

# كتاب السُّلَّامِ بَيْنَ يَدَيَّائِكَ وَوَكَيْشَتِكَ

أَلِيف

أبراهيم فوزي باشا

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية

62.403

فوك

٣٤٩٩٧

رقم التسجيل

رقم المسحوق

## الجزء الأول

طبع على نفقة مؤلفه وإدارة جريدة المؤيد

حقوق الطبع والترجمة محفوظة لهما معا

(تم طبعه في شهر صفر سنة ١٣١٩ هجرية)

فهرست الجزء الاول من كتاب « السودان بين غردون وكنتشر »

| صهيبة                                | صهيبة                                   |
|--------------------------------------|---|
| (بعد المقدمة)                        | ٨٣ تعيين جسي                            |
| ١ تعيين الكولونيل غردون حاكماً       | الغزال                                  |
| على خط الاستواء                      | ٤٠ فصل المؤلف من مديرية حط              |
| ٢ مرافقة مؤلف هذا الكتاب             | الاستواء وتعيين أمين باشا بدله          |
| للكولونيل غردون في الخدمة            | ٤٢ قصة الاقبال في خط الاستواء           |
| ١٠ عزل رؤف بك وتعيين الطيب           | ٤٤ ذكر ما حصل للمؤلف من                 |
| بك عبد الله بدله                     | الكولونيل غردون وسفره لمصر              |
| ١٧ ذكر انشاء ديوان خط الاستواء       | ٤٤ ذكر ما حصل للمؤلف مع شاهين           |
| في الخرطوم                           | باشا ناظر الحربية                       |
| ٢٢ الملك أمتيه وأمره في بلاده        | ٤٥ مقابله المغفور له خديو مصر           |
| ٢٣ كيفية فتح صري                     | اسماعيل باشا                            |
| ٢٨ تعيين المؤلف مديراً لبور والغربية | ٤٧ عودة الكولونيل غردون لمصر            |
| ٢٩ تعيين غردون حاكماً عاماً لمعوم    | واستقالته                               |
| خط الاستواء                          | ٤٩ تعيين محمد رؤف باشا حاكماً عاماً على |
| ٣٠ مديريات بحر الغزال                | السودان                                 |
| ٣٢ بلاد نغم                          | ٤٩ ذكر وظائف المؤلف بعد ذلك             |
| ٣٤ شأن ادريس أتر بعد ذلك             | ٥١ ذكر ما وقع للمؤلف مع العرابين        |
| ٣٥ استقالة المؤلف من مديرية بحر      | ٥٢ ذكر السجن المظلم                     |
| ١١ ال                                |   |



Digitized by the University of Alexandria Library



| صحيفة   | صحيفة                                     |
|---|---|
| ٨٤ حملة راشد بك ايمن على المهدي               | ٤٥ مسألة احراق الاسكندرية                 |
| ٨٤ ذكر من لحق بالمهدي من مشايخ كردفان         | ٥٥ تجريد المؤلف من رتبة وألقابه           |
| ٨٥ واقعه جبل الجراة                           | ٥٦ تاريخ السودان القديم                   |
| ٨٥ تعيين عبد القادر باشا حلمي حاكماً للسودان  | ٥٧ ضم السودان الى مصر                     |
| ٨٦ حملة يوسف باشا حسن الشلاي                  | ٦١ فتح كردفان                             |
| ٩١ ذكر ترتيب جيش المهدي بعد ذلك               | ٦١ مقتل الامير اسماعيل باشا               |
| ٩٢ ذكر تحريم المهدي للدخان                    | ٦٣ شغوص محمد علي باشا الى السودان         |
| ٩٣ ذكر من لحق بالمهدي من أعيان السودان الاوسط | ٦٤ ولاية السودان                          |
| ٩٤ واقعة عامر بن المكاشني مع سنار             | ٧٠ ترجمة المتمهدي                         |
| ٩٧ واقعة الشريف أحمد طه                       | ٧٣ حادثة الغلام بكر دفان                  |
| ٩٨ ذكر وصول عبد القادر باشا حلمي الى الخرطوم  | ٧٤ وفاة الشيخ القرشي وتشيد قبّة على ضريحه |
| ٩٩ ذكر تدبير مكيدة لقتل المهدي                | ٧٥ ذكر اجتماع عبد الله التعايشي بالمتمهدي |
| ١٠٠ ذكر حوادث كردفان                          | ٧٦ دعوة المتمهدي سرا                      |
| ١٠٢ واقعة البركة بكر دفان                     | ٧٧ ظهور دعوة المهدي                       |
| ١٠٣ ذكر واقعة الطيارة                         | ٧٩ واقعة جزيرة آبا                        |
| ١٠٥ ذكر زحف المهدي من جبل قدير                | ٨٠ حملة على بك لطفى                       |
|   | ٨٢ ذكر جبل ماسة وقدير                     |
|   | ٨٣ ذكر جبال تقلى                          |

| صحيفة                                | الى الابيض                         |
|--------------------------------------|------------------------------------|
| ١٢٧ ذكر القبض على محمد سميد باشا     | ١٠٨ ذكر وصول المهدي الى كابه       |
| والضباط وقتلهم                       | ١٠٩ ذكر استحكام الابيض             |
| ١٢٩ ذكر ترتيب جيش المهدي             | ١١٠ ذكر هجوم المهدي على الابيض     |
| واحكامه                              | ١١١ حملة على بك لطفى مرة أخرى      |
| ١٣١ ذكر فصل عبد القادر باشا والغناء  | ١١٢ سقوط بارة                      |
| نظارة السودان                        | ١١٣ ذكر كنيسة جبل الدكن            |
| ١٣٢ ذكر تعيين محمد علاء الدين        | ١١٤ ذكر واقعتي شات والمرايع        |
| حكمدارا للسودان                      | ١١٥ ذكر واقعة عبود                 |
| ١٣٣ ذكر دارفور                       | ١١٦ ذكر واقعة معتوق                |
| ١٣٤ تاريخ دارفور القديم              | ١١٦ ذكر واقعة الدامي               |
| ١٣٦ ذكر فتح دارفور                   | ١١٧ ذكر واقعة سقدي مويه            |
| ١٤١ ذكر رأى عبدالقادر باشا في دارفور | ١١٨ ذكر رأى عهد القادر باشا في     |
| ١٤٣ ذكر قدوم محمد خالد زقل من        | إنقاذ الابيض                       |
| دارفور                               | ١٢٠ ذكر واقعة ابن عبد الغفار       |
| ١٤٥ ذكر حملة الجنرال هيكس باشا       | ١٢١ مأمورية الكولونيل ستوارت       |
| ١٥٣ ذكر ترك السودان للقوضى           | ١٢٢ ذكر حصار الابيض                |
| ١٥٤ ذكر فرار وكيل مديرية الخرطوم     | ١٢٤ ذكر سقوط الابيض                |
| ولحاقه بالمهدي                       | ١٢٥ ذكر مقابلة المهدي حامية الابيض |
| ١٥٥ ذكر سقوط دارفور                  | ١٢٦ ذكر احصاء ما غنمه المهدي       |

| صحيحة                              | صحيحة                               |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| ١٨٥ ملحق لذلك المنشور              | ١٥٨ ذكر سقوط مديرية كباية           |
| ١٨٧ ذكر لحاق الشيخ الطاهر بثمان    | ١٥٩ ذكر سقوط الفاشر                 |
| دقنه وذبح المسجونين                | ١٦٠ ذكر مسألة الجب خانة بدارفور     |
| ١٨٩ ذكر واقعة سنكات وقتل           | ١٦١ ذكر قتل عمر أغا ترحوه           |
| توفيق بك                           | ١٦٢ ذكر قدوم سلاطين باشا على        |
| ١٨٩ ذكر حملة محمود طاهر باشا       | المهدي                              |
| ١٩٠ حملة بيكر باشا                 | ١٦٣ ذكر قتل آدم أم دبالومك تقلى     |
| ١٩٢ واقعة الجنرال جراح في التيب    | ١٦٥ ذكر قتل المنه                   |
| ١٩٤ ذكر تقدم عثمان دقنه الى سواكن  | ١٦٧ ذكر قل التوم بن زعيم السكبابيش  |
| ١٩٤ ذكر واقعة طمية                 | وعجبل زعيم الرزيقات                 |
| ١٩٦ ذكر تقدم الجنرال جراح الى بربر | ١٦٩ منشور المهدي الذي أصدره         |
| ١٩٧ ذكر حوادث كسلا                 | لاقناع أهل بارة الخ                 |
| ١٩٨ منشور رابع للمهدي              | ١٧٢ حوادث السودان الشرقي            |
| ٢٠٤ الحراطوم قبل قدوم غردون اليها  | ١٧٣ ومن الطف النوادر التي سمعها الخ |
| ٢٠٤ ذكر عصيان الشيخ العبيد بدر     | ١٧٥ ذكر الشيخ الطاهر المجذوب        |
| ٢٠٥ ذكر صفات الشيخ العبيد وما      | ١٧٦ ترجمة عثمان دقنه                |
| اشهر عنه                           | ١٧٨ ذكر وفود عثمان دقنه على المهدي  |
| ٢٠٧ ذكر كتاب من المهدي الى         | ١٧٨ منشور ثان للمهدي                |
| الشيخ العبيد                       | ١٨١ ذكر أوبة عثمان دقنه الى سواكن   |
| ٢٠٩ ذكر اتلاف اتباع الشيخ العبيد   | ١٨٢ منشور ثالث للمهدي               |

| صحيفة                            | صحيفة                           |
|----------------------------------|---------------------------------|
| ٢٣٤ ذكر بنات محمد بن الحاج أحمد  | الإسلاك التأخرافية بين الخرطوم  |
| أم برير                          | وبربر                           |
| ٢٣٦ كتاب من المهدي الى محمد أحمد | ٢١٠ كتاب آخر من المهدي للشيخ    |
| أم برير                          | العبيد                          |
| ٢٣٧ ذكر نهب أموال النوم شيخ      | ٢١٢ كتاب المهدي الى اتباع الشيخ |
| عرب السكبايش                     | العبيد                          |
| ٢٣٨ ذكر قدوم الشيخ الحسين زهرا   | ٢١٣ ذكر غارة الشيخ مضوي عبد     |
| على المهدي                       | الرحمن على ارباص الخرطوم        |
| ٢٤٠ قصيدة الشيخ الحسين زهرا      | ونبهه الماشية وهزيمته           |
| التي قدمها للمهدي مشيراً فيها    | ٢١٤ ذكر الداعية محمد بن الطيب   |
| الى وجوب اسناد الوظائف           | البصير                          |
| الى الكفاة                       | ٢١٥ ذكر واقعة المسكري باخلاوين  |
| ٢٤٦ ذكر انذارات المهدي للشيخ     | ٢١٦ كتاب المهدي الى الشيخ       |
| محمد الامين                      | السنوسي                         |
| ٢٤٨ ذكر كتاب من المهدي للشيخ     | ٢٢٠ ذكر نغر الدين مدعي الخلافة  |
| محمد الامين                      | ٢٢١ نص كتابين أرسلهما المهدي    |
| ٢٥١ كتاب ثان له أيضاً            | لمدعي الخلافة                   |
| ٢٥٤ سقوط شكا وخفرة النحاس        | ٢٢٤ ذكر جمع الغنائم وعسر بيت    |
| ٢٥٦ سقوط بحر الغزال وأسر لبتن    | المال وما أصدره المهدي من       |
| بك مديرها                        | المنشورات في ذم اخفاء الغنائم   |

| صحيفة                              | صحيفة                          |
|------------------------------------|--------------------------------|
| بالكتب والهدية                     | ٢٥٨ كتاب من المهدي الى لبتن بك |
| ٢٩٥ مأمورية غردون الحقيقية         | ٢٥٩ ذكر عودة غردون الى السودان |
| ٢٩٨ ذكر تلغرافات غردون الى السير   | ٢٦٠ ذكر العفو عن المؤلف وارجاع |
| بارنج وما أجابه به                 | رتبة وألقابه ووساماته اليه     |
| ٣٠١ مقصد غردون بمخاطبته السير      | ومرافقته غردون الى السودان     |
| بارنج                              | ٢٦٥ ذكر سفر غردون باشا         |
| ٣٠٢ أول حصار الخرطوم               | ٢٦٧ ذكر كتاب غردون الى المهدي  |
| ٣٠٣ واقعة الخلفاية واصابة المؤلف   | وهديته                         |
| برصاصة والاحسان اليه برتبة         | ٢٦٨ الخرطوم وغردون             |
| اللواء                             | ٢٦٩ ذكر وصول غردون الى أبو حمد |
| ٣٠٥ واقعة القبة                    | ٢٧١ ذكر مغادرة غردون بربر      |
| ٣٠٦ ترجمة السعيد حسين وحسن         | ٢٧٤ وصول غردون الى الخرطوم     |
| ابراهيم                            | ٢٧٦ ذكر عبدالقادر بن أم مريوم  |
| ٣٠٧ واقعة الخلفاية الثانية         | ٢٧٧ ذكر عوض الكريم بن أبي سن   |
| ٣٠٩ ذكر حصار الفكي المصطفي         | ٢٧٩ كتاب المهدي الى عوض أبي    |
| الخرطوم من جهة الضفة الغربية       | سن وأسرته                      |
| ٣١٠ خطاب المهدي للفكي المصطفي      | ٢٨٣ كتاب ثان لهم أيضا          |
| ٣١٢ حوادث بربر                     | ٢٨٥ غردون وابن البصير          |
| ٣١٤ ذكر محمد الخير داعية المهدي في | ٢٨٦ خطاب المهدي لـ غردون       |
| بربر                               | ٢٩٤ قدوم رسول المهدي الى غردون |

| صحيفة                             | صحيفة                              |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| جبل الدائر <sup>١</sup>           | ٣١٥ ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر  |
| ٣٣٦ ذكر صفات جبل الدائر           | ٣١٦ ذكر قدوم محمد الخير بدعوة      |
| ٣٣٨ ذكر رد طالقة الثلاث           | المهدي الى بربر.                   |
| ٣٤٠ منشور المهدي المتضمن حل       | ٣١٧ ذكر واقعة شندی                 |
| وطي طالقة الثلاث                  | ٣١٨ سقوط بربر                      |
| ٣٤٣ زحف أبي قرجة على الخرطوم      | ٣١٩ كتاب المهدي الى محمد الخير     |
| ٣٤٤ ذكر تفشى الجدرى بين           | والموعظة التي شفع بها ذلك          |
| الدرأوش                           | الكتاب                             |
| ٣٤٥ واقعة الجريف                  | ٣٢٧ ذكر إمارة أبي قرجة على البحرين |
| ٣٤٦ واقعة الحلفاية وهزيمة الدراوش | من قبل المهدي                      |
| فيها                              | ٣٢٨ ذكر حروب صالح بك الملك         |
| ٣٤٧ واقعة أبي حراز                | في فنداسي                          |
| ٣٤٨ واقعة القطينة وقتل ساني       | ٣٣١ كتاب المهدي لصالح بك           |
| ٣٤٨ واقعة العيلقون                | ٣٣٢ كتاب آخر له                    |
| ٣٤٩ واقعة أم ضبان وقتل محمد علي   | ٣٣٣ ذكر زحف المهدي من الأبيض       |
| باشا وحملته                       | الى غدير الرهد                     |
| ٣٥١ أوراق البون                   | ٣٣٤ خطبة المهدي التي قال فيها «ان  |
| ٣٥٣ ذكر وصول البواخر الى سنار     | الدجال سيأتي الى الأبيض بعد        |
| ٣٥٤ ذكر خيانة ابراهيم رشدي كاتب   | شخصي منها»                         |
| غردون                             | ٣٣٥ ذكر حرب المهدي مع أهل          |

صغيرة

|     |                                |     |                            |
|-----|--------------------------------|-----|----------------------------|
| ٣٨٣ | كر ارسال البواخر الي المنة     | ٣٨٣ | ذات ما يايه غردون من التود |
| ٣٨٢ | ذكر المجاعة في الخرطوم         | ٣٨٢ | ذات ما يايه غردون من التود |
| ٣٨٦ | ذكر سقوط أم درمان              | ٣٨٦ | ذات ما يايه غردون من التود |
| ٣٨٨ | كتاب المهدي الى فرج الله الزين | ٣٨٨ | ذات ما يايه غردون من التود |
|     | وصاحبه عبد النبي               |     | ذات ما يايه غردون من التود |
| ٣٨٩ | ذكر الاخبار التي تبودلت بين    | ٣٨٩ | ذات ما يايه غردون من التود |
|     | غردون والمهدي                  |     | ذات ما يايه غردون من التود |
| ٣٩٠ | كتاب المهدي الاول الي غردون    | ٣٩٠ | ذات ما يايه غردون من التود |
| ٣٩١ | الكتاب الثاني                  | ٣٩١ | ذات ما يايه غردون من التود |
| ٣٩٢ | الكتاب الثالث وهو الانذار      | ٣٩٢ | ذات ما يايه غردون من التود |
|     | الاخير                         |     | ذات ما يايه غردون من التود |
| ٣٩٣ | ذكر فرار الصنجنين عمر والمطا   | ٣٩٣ | ذات ما يايه غردون من التود |
| ٣٩٤ | ذكر ما دبره غردون لانتفاذ      | ٣٩٤ | ذات ما يايه غردون من التود |
|     | الاوربيين                      |     | ذات ما يايه غردون من التود |
| ٣٩٦ | ذكر سقوط الخرطوم ومقتل         | ٣٩٦ | ذات ما يايه غردون من التود |
|     | غردون                          |     | ذات ما يايه غردون من التود |
| ٤٠٠ | ماقاله غردون لي حيث استدعاني   | ٤٠٠ | ذات ما يايه غردون من التود |
|     | الي غرفته قبل ان يحل به المنون |     | ذات ما يايه غردون من التود |



## اهداء الكتاب

﴿ الى سدة مولاي وولى نعمتي الحديو المعظم ﴾

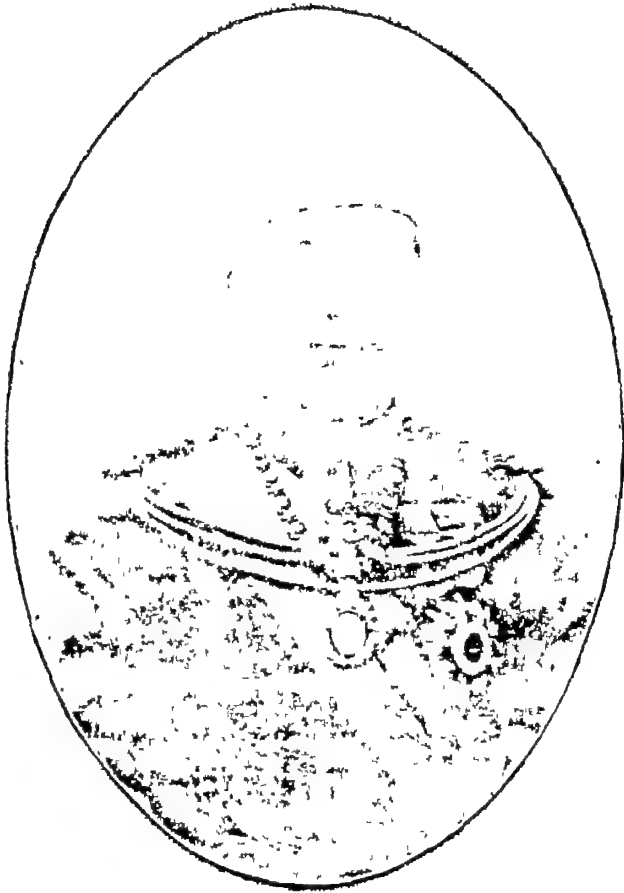
عباس باشا حلى الثاني

الافخم

« هذه يامولاي معلومات ومشاهدات شخص من رعتك فضى »  
« في السودان أكثر عمره بين ضابط صغير . وقائد كبير . وسجين »  
« أسير . رأى كل ضروب الرخاء والشقاء . خلال المدة التي قضاها »  
« في تلك الارزاء . وهى حوالى الثلاثين سنة مائسنت لمصري غيري . »  
« ولذلك رأيت أن أجعلها بين دفتي كتابي هذا الذى سميت « السودان »  
« بين يدي غردون وكتشتر » لان جميعها عبارة عن مقدمة ونتيجة »  
« انطوتا في معنى هذا الاسم فتقبل يامولاي هذه الخدمة التى قام بها »  
« جهدا المستطاع عبد من أخلص مخلصي رعتك لاسدتك . لم ينس في كل »  
« أطواره واجب ولاء عبوديتك . (ابراهيم فوزي) »





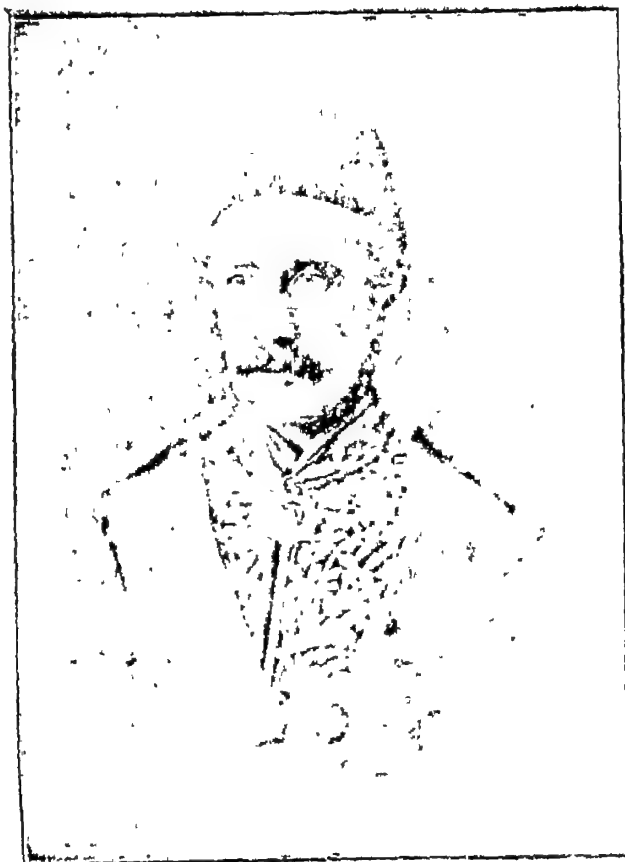


﴿ مولانا الحديو المعظم عباس حلمي الثاني حفظه الله ﴾

﴿ ٤٤ ﴾ مقدمة الكتاب ﴿ ٤٤ ﴾

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 « أما بعد » . فلما كنت أول من رفق غردون باشا في خدمة السودان  
 وآخر من ودعه عند الرmq الأخير من حياته في عاصمته . وأول أسير مصري  
 مسجون افتككه كتشنر باشا . وآخر من عاد من أمري المهديوية الى وطنه .  
 وكانت حوادث السودان في غضون هذه المدة التي انقضت بين أول عمل  
 قام به غردون باشا الذي فيه قبر . وآخر عمل من كتشنر باشا الذي طار به  
 ذكره ونشر . من أجل حوادث الزمان اعتبارا . وأعظمها ادكارا . منها يعرف  
 الانسان كيف يخطيء الحاكم في حكمه . وكيف يقضي على ساطانه بظلمه .  
 وكيف يطوي سجل النظام . وتقوم مقامه فوضى الاحكام في الانام . وكيف  
 تعمي الجاهلة صحبها . وتغري الضلالة رهبها . بل كيف يقدم الرجل العظيم نفسه فداء  
 لمقاصد قومه . وكيف تدخر الاقدام الراسخة في سياسة الائم هذا الفداء العظيم ليومه .



✦ غردون قاي مصطفی قومه بلسه ✦

كل شيء من علو السياسة وسقوطها. وآيات رفعة الامم وهبوطها. مجتمع بين دفتي تاريخ السودان. كما يجمع النور والظلام في الليل الحالك. توفد فيه النار منارا للسالك ودليلا للبحير ان. لذلك رأيت من واجب قومي وأمتي ان ومن حق على نفسي أن

أضع هذا الكتاب مشتملا على كل ما وقفت عليه أن اتصل بي من حوادث الاقطار  
السودانية في خلال المدة التي اشترت اليها. وذقت طعموم السراء والضراء بين يديها.  
ولم أكتف في سرد الوقائع بما بقي في خاطري من رسومها بل استعنت بجماعة  
من كبار موظفي الحكومة السودانية الذين كانوا قبل ذلك الدواوين الدائمة  
متفرقين في أقسامها ليكون لنا على كل واقعة أو حادثة ومن كل جهة شاهد رؤية في  
الاكثر. وتلك قد اطلعت على أكثر ما كتب سلاطين باشا ومسيو نيوفيلد  
وغيرهما ممن شاركوني في مشاهدات حوادث السودان ومصائبه واستأنست  
فيما غاب عنه عني بشيء من المنشورات التي ثبتت بالاثار روايتها كما ثبت في  
نفسى من قبل مغزاها

وبالجملة فاني لم آل جهدا في تحقيق كل واقعة تسكمت عنها وحادثه روينها  
ومقصد بيته. ولنزحليته. حتى صرت بعد ذلك أعتقد اني وفيت التاريخ حقه كما  
يستطيع عاجز مثلي قليل البضاعة من الكتابة

وبعد. وضعت مسودات الكتاب بالتفصيل والاسهاب. استعرت قلم بعض  
الكتاب الذي في تهذيب ألفاظه وتنقيح عباراته وحذف المكرر منه وترتيب  
وقائعه على ما يناسب الموضوع زمانا. وكاننا بحمد الله كما يراه القارى وله الحكم فيه  
تخطئة أو تصويبا. على أنه لا يبعد أن يطلع عليه من يكون روى واقعة على غير ما رويت  
أو شاهد حادثة يعتقد أنها على خلاف ما شاهدت ليكتفي أعذره من أول الامر كما  
ينبغي له أن يذمرني لحوادث السودان كمثل حوادث الثورات وعواصف الاضطرابات  
لها عند كل واقف بينها مهب ريح وفيها لكل ناظر وجه يتجلاها فيه. لكن هذا  
الاختلاف لا يغير من حقيقة الحادثة عند من نظر اليها من الجهة التي اطلع عليها  
كذلك كتابي هذا قد تضمن حقائق الحوادث من الوجه الذي شاهدتها عليه

ومن يزعم أنه رافق الطيب الذكر غردون باشا كما رافقت. وعرف مقاصده  
كما عرفت. وشاهد من دولة المهدي ما شاهدت. وكابد من اضطهادات التعاشي  
ما كابدت. فليكتب للقراء كما كتبت. وليقل انك أخطأت وما أصبت. والا فأننا قد  
أصبت وما أخطأت فيما خططت وبه عليه توكلت « ابراهيم فوزي »



﴿ ابراهيم فوزي باشا ﴾

كتاب خصوصي من شقيقة غردون باشا

من غريب الصدف اننا يوم شرعنا في طبع هذه المقدمة ورد لنا الكتاب الانى  
سوتها بملتون في ١١ مايو سنة ١٩٠١

عزيزي فوزي باشا

انا شقيقة المرحوم الجنرال غردون باشا وكنت متشوقة منذ زيارة  
(هيرنيوفيلد) أن اكتب لك

وقد استلمت أخيرا نسخة من جريدة اجبسيان غازيت وفيها خلاصة  
حادثة معك وهي وان كانت محزنة الا أنها مفيدة ولذيذة

اني أشكرك من صميم قلبي على عاوشرفك الذي أبديته وتبديه لذكرى  
المرحوم غردون مع الصدق والاخلاص اللذين خدمته بهما حال حياته وبعد مماته  
وعندي كتاب نيوفيلد وأعرف منه تاريخك ويمكنك أن تعرف مقدار  
اهتمامي بكل شيء يتعلق بتلك الحادثة المؤلمة وبنهايتها المحزنة ولذلك أحب أن  
اسمع منك كل ما تقدر أن تقوله لي عن رئيسك وصديقك

هل عندك صورة غردون والا فانا أرسلها لك ان كنت تريد ها وأؤمل  
أن هذا الكتاب يترجم لك كما أنني أحب أن أعرف كل شيء عن أصدقائي  
الذين خدموه بالاخلاص في مدة حياته . هل البستاني حي حتى الآن  
آمل أن يصلني منك خبر ولا زلت (المخلصة الحجة)

هيلين موفيت

وقد وضعنا صورة هذا الكتاب في مقدمة كتابنا ليكون شبه سؤال  
جوابه في خاتمة هذا الجزء التي وان تكن خاتمة محزنة الا أنها مفيدة ولذيذة  
(ابراهيم فوزي)

## تعيين الكولونيل غردون

حاجا على خط الاستواء

لما مهدت انكلترا أمر التداخل في شؤون السودان واقنعت المرحوم اسماعيل باشا الخديو الاسبق بتعيين غردون في وظيفة سامية به فاقتنع أصدر أمره في أواخر سنة ١٢٩٠ هـ (يناير سنة ١٨٧٤) بانتدابه لمأمورية سامية في أعلى النيل وكان السير صمويل بيكر مأموراً لخط الاستواء خاضعاً للحكمادارية عموم السودان فتم الاتفاق على أن يخلفه غردون في وظيفته ولكن ليكون الخلف مستقلاً في أعماله وقد كان ومنح مائة ألف جنيه من الخزينة المصرية نفقة لحملته الابتدائية وكان غردون قد حضر قبل تعيينه بنحو شهرين الى مصر فلما تم تعيينه وتلقى الاوامر من المرحوم الخديو الاسبق شرعاً لبعض الاوامر التي تلقاها من خارجية انكلترا كما يعلم هذا بالبداية توجه الى السودان فوصل مدينة الخرطوم حيث كان المرحوم اسماعيل باشا أيوب حكامداراً لعموم السودان فاستقبله بابهة عظيمة واستعرض له فرقة من العساكر لاداء تحية القدوم واطلقت له المدافع فأكبر الناس شأن هذا القادم وعلموا أنه ليس كبقية حكام الاقاليم وبديهي ان اسماعيل أيوب باشا لم يستقبله هذا الاستقبال الفائق محابة وتبرعا من قبيل المجاملات الشخصية بل لا بد ان تكون اوامر الخديو قد سبقت غردون الى الخرطوم فكان من الحكمدار انفاذاها

وهو ما دخل بسببه شيء في نفس الحكمدار العام من هذا المأمور الجديد الذي سينازعه في سلطته من جهة ويكون كرقب عليه من جهة أخرى

وقد أقام غردون في سراي الحكومة الكائنة في ضاحية المدينة من  
الجانب الشرق المشهورة بقصر راسخ بك

## مرافقة مؤلف هذا الكتاب

• للكونونيل غردون في الخدمة •

وبعد ثلاثة أيام من وصول غردون باشا طلب من حكمدار عموم السودان  
فرز أربعة بلوكات من عساكر الجهادية أبناء العرب مسلحين بأسلحة رامتون  
وان يكون ضباطهم من المروفين بالخبرة العسكرية والنشاط والاقدام فاجابه  
الحكمدار الى طلبه ولكنه لم يحسن انتخاب العساكر والضباط ولا أعطي  
الاسلحة من الطرز الجديد المطلوب . وفضلا عن ذلك فان اكثر الضباط  
امتنعوا عن قبول هذه المأمورية لبعث الشقة ولعلمهم بما يقاسون من عذاب  
السفر ومكافحة الاقوام المتوحشة التي يقصد غردون اخضاعها لسيطرته  
. ويقال ان الحديو الاسبق لم يكن مع ذلك مرتاحاً لتعيين غردون في مأمورية  
بالسودان خيفة ان يكون من ورائه تنفيذ مقاصد انكلترا التي كانت لا تخفى  
عليه فعينه وهو كاره وأراد أن يحدث في طريقه العراقل فاعز الى اسماعيل  
أيوب باشا سرا بما أوعز حتى اذا حصلت حركة ضده في السودان اعتذر  
اسماعيل باشا بها وتخلص من ورطة ما يتوقعه . ولكن لست آخذ على مسئوليتي  
تحقيق هذه الرواية التي كان يصعب على مثلي وقتئذ تحقيقها

وكنت انا اذ ذاك ضابطاً صغيراً أو شبه ضابط برتبة الاسبران ( وكانت  
هذه من رتب الجيش فوق الصف ضباط وتحت الملازم الثاني ) فظهرت  
رغبة شديدة في مصاحبة غردون فاحتقر اسماعيل أيوب باشا مني هذه الرغبة



. وكان أحد المستخدمين من أصحاب غردون حاضراً خلال الفرز  
 وشاهد ما كان مني ملاحظاً ما كان من الحكمدار العام فلما عاد الى مقر غردون  
 أخبره بسوء انتخاب العساكر والضباط وذكر له قصة انتهار الحكمدار  
 العام لي عند ما أبدت رغبتي في السفر الى خط الاستواء فلم يكن منه الا ان  
 بعث شكوى تلغرافية الى الخديو الاسبق قائلاً ان اسماعيل باشا أيوب  
 يعرقل مساعي ويضع في سبيل نجاح مأموريتي العقبات. وهو لذلك انتخب  
 أسوأ العساكر وأردأ الأسلحة عدة لي في مأموريتي. فورد في الحال الرد الى  
 اسماعيل أيوب باشا بتوبيخ شديد يأمره فيه أن يجيب طلب غردون  
 في كل ما يطلب حتى لو أمرك أن تصحبه وجب أن تمتثل أمره فوقع هذا  
 في نفس الحكمدار العام أسوأ وقع ووصلت صورة هذا التلغراف الى غردون  
 باشا من قبل المعية السنية ليحيط علماً بما كان من صدور الامر الجديد لحكمدار  
 السودان حسب رغبته. ولا يبعد أن كتابة نص التلغراف على هذه الصورة  
 كان بطلب من الوكالة الانكليزية في مصر كما جرت العادة في مثل ذلك  
 والذي كان من اسماعيل أيوب باشا بعد ذلك أن دعاني اليه وطيب خاطري  
 بكلام لطيف قائلاً انما كان انت هاري لك شفقة عليك. ثم علمت ان الكولونيل  
 غردون طلبني منه بالاسم فاشار علي أن أتوجه له في سراي الشرق وان أذكر له  
 عرضاً الذي أبلغه خبر معاً كسة الحكمدار العام له مبالغ أو مخطيء في النقل  
 وعلى ذلك ذهبت الى سراي الشرق وتقابلت مع الطيب الذكر غردون  
 فرأيت منه رجلاً حليماً شفوفاً كريم الاخلاق متواضعاً في حديثه وحركاته  
 وسكناته مع مخايل شرف النفس وعلو الهمة وبعد أن سلمت عليه فأحسن  
 لقلبي خاطبني قائلاً : اذا كنت أنت الاسبران ابراهيم فوزي الذي رغب

مصاحبتنا ولقي من الحكمدار الاساءة من اجلنا فقد فوضت اليك امر فرز  
الاربعة بلوكات وضباطهم وأسلحتهم « فاجبته يا مولاي أنا الذي رغب خدمة  
بلده بمرافقتك . وعندئذ أعطاني أمرا للمرحوم أسماعيل أيوب باشا بمضمون  
ما قال فاستلمت الامر وتوجهت الى الحكمدار وسلمته المکتوب فأحسن  
مقابلتي وأمرني بالتوجه الى القشلاق لمباشرة فرز العساكر وضباطهم وأسلحتهم  
من نوع الرامنتون حسب رغبة الكولونيل غردون ففعلت وأخذتهم الى سراي  
الشرق حيث استعرضهم فاعجب . مرآهم وتناسب أعضائهم وحركاتهم وجودة  
أسلحتهم وخطبني أمام الجميع بعبارات الشكر والامتنان كما أنه خاطب الضباط  
والعساكر بما طيب خواطرهم وأطلق وجوههم بالبشر

ثم أمرني أن أجهزهم جميعا للسفر الى جهات خط الاستواء ماعدا نحو  
٥٠ نفرا يبقون بمعيتة بصفة حرس خصوصي له

وعلى ذلك أعددتنا أربعة وابورات لسفر العساكر المذكورة وهي ( بردين )  
( تلحوين ) و ( الصافية ) و ( المنصورة ) وانزلناهم في الوابورات التي سافرت  
الى مقصدها في شهر شعبان سنة ١٢٩١<sup>(١)</sup>

أما أنا فقد تأخرت حسب أمره لآكون قومنداناً على حرسه . وبعد  
بضعة أيام صدر أمره بأعداد الوابور الرافس المسمى ( خديو ) ليركبه ونحن  
في معيتة وقد كان وسرنا على بركة الله في النيل الأبيض فوصلنا ( فشوده ) بعد

(١) جاء في العدد ٦٩٦ من جريدة الجوائب الصادرة في يوم الاربعاء ٢٧ ربيع أول

عام ١٢٩١ هجرية تحت عنوان مصر مايتي

ذكر في ايحيت المطبوع في الاسكندرية ان الكولونيل غردون الذي عينه الخديو  
المعظم والياً على خط الاستواء خائفاً عن السر صامويل باكر أرسل رقيماً من الخرطوم  
تاريخ ١٤ مارس الى حفرة سعادتلو خيري باننا مهتر دار الجناب الخديو قال فيه

قطع مسافة سبعة أيام. وهناك قابلنا مديرها الرحوم يوسف بك حسن كرده  
بالخفاوة اللائقة كما كان لردون مثل ذلك عند وصوله الى الخرطوم وأزيد. وشاهدنا  
ما وصلت اليه وقشند من درجة العمران والتقدم في الحضارة بعناية الحكومة  
وعلمنا أن أهاليها من العبيد الشلك والنوير والدنكا آمنون مطمئنون

وبعد أن أقمنا بفشوده يومين تابنا المسير الى محطة (سبت) وهي المحطة الكائنة  
على مقرن نهر سبت الآتي من بلاد الحبشة وتبعد هذه المحطة عن فشوده  
بنحو ١٨ ساعة بسير وإبور البخار وهي أول جهات خط الاستواء من الشمال  
ولما القينا عصا التسيار هناك حيث المساكر كانت سبقتنا إليها عزم  
غردون على وضع أول حجر من أساس أعماله في وظيفته فلما مضى الليل وجاء

وصلت الى الخرطوم في ١٢ مارس ولقيت من حضرة اسماعيل أيوب باشا حاكم السودان  
من الاكرام والالطاف ما يستحق الذكر وقد فعل لمساعدتي كل ما في وسعه أن يفعله اما  
اعتناؤه بالمساكر فخير بالثناء فقد راقني أحوالهم وأحوال ماؤاهم ومستشفاهم وهيئتهم  
وانتظامهم وكذلك اعتناؤه بالمسكن وما يتعلق به وقد شاهدت هذا الحل فوجدت فيه  
نحو ما تمني تأميد ورأيت أن معلمهم يعتنون بتعليمهم وتهذيبهم على أحسن منوال فراقني أن  
أرسل الى الجنداب الخديو انموذجا من خطهم ولا بد من أن الحاكم المواليا قد أرسل الى  
جناب الخديو الحبيب السار عن فتح الخليج في قوندو كورو (كوندكرو) مما سرني غاية  
السرور لهامي بأن حنابه الرفيع يحسبه من الامور المهمة وهو في الواقع مفتاح الموقع  
فأرجو اني عن قريب أتوجه الى قوندو كورو فان كل ما لزمني من لوازم السفر قد حصل  
بهاء الحاكم المشار اليه فشكرآله على ذلك ولست أقدر الآن على الحكم على الباخرة  
الكبيرة الراسية اذ لا بد لي قبل الحكم عليها من رؤية البحيرة وفي عزمي أن أستصحب  
معي رجلا لانهاء سفن شراعية عند الوصول الى طوبو ويترجح عندي انه مع بذل  
الهمة والعناية يتيسر لنا مجاوزة الشلالات فالرجو من جنابكم أن تصدروا لنا اذا من  
الحضرة الخديوية الى الحاكم المشار اليه عند انهاء السفن في تسييرها الى البحيرة ولا  
بد لي من التلبث في قوندو كورو وظالهم ودون التوغل في السير وحيث ان جناب الحاكم  
قد بدل أقمي بمجوده في فتح الجنوب فأعظم المسرات عندي أن أكون أول قادم اليه

الصباح أمر بلوكات المساكر وجماعات الاهالي بحفر خندق لحطة سبت وقرر  
للمعمل أجرة فوق مرتبات المساكر لهم وللأهالي مثل ذلك فلم يمض  
أسبوعان حتى تم ما أراد وشيدت عليه الطواهي كما رسمها ثم أنشأ مركزا  
للحكومة فيها ناط به أحد الضباط الذين معنا وهو اليوزباشي محمد أحمد أفندي  
جعله محافظا على محطة (سبت) تاركا له البلك الذي تحت قيادته وأمره  
بحسن المعاملة والرفق بالأهالي وشدد عليه في منع الاتجار بالريق وعدم  
مروره عليه ثم تركنا هذه المحطة قاصدين جبل الرجاف وكند وكرو حيث  
يقيم المرحوم رؤف بك (باشا) حاكما على تلك الجهة خلفا للسيرصويل  
بيكر باشا. فلما وصلنا في سيرنا الى مدخل (بحر الزراف) الذي يستقي من

وأرجو أن انشاء السفن يتم بعد خمسة أشهر أو ستة وأول فرض واجب على حسب  
ماتلقته هو ادخار المؤنة وهو من صعب الامور التي تقتضي حضوري في تلك الجهة ثم  
اني بحسب أمر الحديو أعلنت هذه الاوامر الآتية .

بمقتضى ما فوض الى الحديو المعظم من ادارة حكومة البحيرات الكائنة بخط الاستواء أعلن  
أولا . ان التجارة في العاج خاصة بالحكومة . ثانياً أنه لا يسوغ لاحد أن يأتي الى هذه  
النواحي من دون تذكرة من حاكم السودان العمومي وهذه التذكرة انما يعمل بها  
بعد النظر فيها من حكومة قوندو كورو وغيرها . ثالثاً أنه لا يسوغ لاحد أن يجمع رجالاً متسلحين  
داخل هذه الجهات . رابعاً أن جلب السلاح والبارود ممنوع . خامساً ان كل من يخالف هذا  
المرسوم يجرى عليه الجزاء بحسب القوانين العسكرية انتهى ثم ورد خبر بالتغراف بتاريخ  
٣ صفر من حضرة حاكم السودان الى حضرة خيرى باشا مضمونه انه في صباح هذا  
اليوم سافر الكولونيل غردون الى قوندكورو في سفينة مخصوصة بعد ان أحضر له  
كل ما يلزمه وهو ممنون لفضل الحديو وشاكر له ثم ورد خبر آخر بتاريخ ٢٠ صفر  
مضمونه ان الباخرة المخصوصة التي سافرت بعد فتح الشلالات قد رجعت الى هنا وبشرت  
ببلوغ الارب وفي غد أرسل الحمرات التي أرسلها المجردون لهذا العمل والتي حررها  
أيضاً الكولونيل المذكور عند ملاقاته الباخرة المذكورة

ميمة (أي بركة) كبرى تسمى (بحيرة السنيورا) ألقينا مراسينا عنده وركب  
 غردون ونحن معه وابوره الخصوصي سائراً في ذلك النهر نحو عشر ساعات  
 لاختبار الطريق هل هي سهلة أو فيها من العقبات ما يمنع وصولنا إلى أعالي  
 خط الاستواء فلما قطعنا هذه المسافة وجدنا النهر مسدوداً بالأعشاب الكثيفة  
 فعدنا إلى مرسي الوابورات أي إلى مدخل بحر الزراف وحولنا مسيرنا إلى  
 جهة خط الاستواء من جهة طريق البحر الأبيض ومازلنا سائرين حتى  
 وصلنا إلى تلك البحيرة وفيها من الجانب الغربي مدخل لبحر الغزال ومدخل  
 آخر لخط الاستواء موصل إلى جبل الرجاف فوقفنا عند ذلك المدخل حيث  
 أمر غردون بقطع أخشاب لوقود الوابورات بدلاً عن الفحم ثم سرنا نحن  
 على وابوره الخصوصي للاستكشاف داخل بحر الغزال فقطعنا مسافة ثلاثة  
 أيام وصلنا في نهايتها إلى مشرع يقال له (مشرع الرق) وهو متصل بمشارع  
 بقية البحار الموجودة ببحر الغزال لغاية مديرية (شكا) ولكن كان من  
 المتعذر تجاوز هذا المشرع لانسداد النهر بالأعشاب الكثيفة الملتفة والحشائش  
 المشتبكة من الشاطئ إلى الشاطئ

على أننا لم نحاول اجتياز هذه العقبة الجديدة بل بقينا في مرسي المشرع  
 السالف الذكر وأمر الكولونيل غردون أصحاب المشرع أن يحضروا بين  
 يديه رؤساء الأهالي في تلك الجهة فأحضروهم وقابلهم بمقابلة حسنة ووزع عليهم  
 الهدايا استماله لقلوبهم ففرحوا وامتنوا وأظهروا تمام الإخلاص للحكومة  
 الحديوية كما أنهم أحضروا لنا الأخشاب اللازمة وعدنا بعد ذلك إلى البحيرة  
 حيث اجتمعنا بوابوراتنا والعساكر وقتنا جميعاً قاصدين مدخل البحر الموصل  
 إلى جبل (الرجاف) ولكن لم نلبث في سيرنا يومين حتى وقفت الغابات

الكثيفة والحشائش الملتفة سداً منيعاً في طريقنا وقد حاولنا كثيراً أن نفتح الطريق فلم نفلح ولذلك أمر الكولونيل غردون أحد الوابورات بالرجوع إلى الخرطوم ليأتينا بالآلات التي تستعمل عادة لقطع حشائش النهر وقد كان وجاءتنا الآلات وباشرنا ففتح الطريق مدة أربعين يوماً حتى تمكننا من اجتياز الوابورات ونال العساكر ما نالهم في هذه الدفعة من العناء والتعب الذي لا مزيد عليه حيث الامطار كانت تنساب عليهم ليل نهار كأفواه القرب ولذلك كافأهم الكولونيل غردون بصرف مرتب ثلاثة أشهر فوق مرتباتهم وأجرتهم

وبعد ان تم فتح الطريق سرنا في النهر مسيرة يومين وصلنا بعدها بحيرة كبيرة جداً تسمى (ميمية شانيه) وعليها مشرع كبير يسمى (غابة شانيه) كان كبار التجار مثل أبو عموري وكوچك على وغطاس وغيرهم ينزلون فيه للتجارة بسن الفيل فلما وصلنا إلى هذا المشرع استقبلنا شيخه وهو رجل أسود دنكاوى مسن اسمه الشيخ الحداد استقبالا حسناً ونزلنا جميعاً في أرضه حيث أقنا الخيام وأرسينا الوابورات تجاهنا وبعد استراحة يومين رسم الكولونيل غردون محل خندق وأمر العساكر بحفره فتم لهم ذلك في مدة عشرين يوماً وأنشأ هناك مركزاً ترك به اليوز باشي مصطفى افندي فتجى ببلوكة وسماه مأمور جهات (شانيه) وشدد عليه الاوامر في معاملة الاهالي بالرفق وبمنع تجارة الرقيق منعاً باتاً كما انه أبلغ رؤساء هاته الجهات انهم صاروا تابعين لسلطة الحكومة الحديوية وان ذلك المأمور الذي يتركه عليهم يمثل شخص الحكومة فواجب عليهم أن يطيعوه

وبعد ان وطد نفوذ الحكومة في هذه الجهة اقلعنا بوابوراتنا قاصدين

(الرجاف) فررنا في طريقنا على محطة كبيرة تسمى محطة (بور) والفينا بها نحو  
أربعمائة من العساكر بأسلحتهم مأجورين للتجار فاستقبلونا بالفرح ولبثنا عندهم  
خمس أيام ثم أبلغ الكولونيل غردون رئيسهم بأنهم صاروا تابعين للحكومة  
وأن يقدموا له كشوفاً بالأسلحة والجنه خاينة والموجودات التي لديهم مما قررت  
الحكومة احتكاره لنفسها فأحضروها وتم بعد ذلك تشكيل مديرية سميت  
(مديرية بور) كما كان وعين على المديرية وكيلها رجلاً اسمه (آدم افندي  
عامر) وهو ضابط سوداني كان من رجال حملة بيكر باشا ومقيماً في هذه  
الجهة ثم قنا قاصدين جبل الرجاف وكندكرو حيث يقيم رؤف بك باشا  
كما أسلفنا وقد وصلنا هاته الجهة بعد عشرة أيام سفرًا في البحر من (بور)  
وقابلنا رؤف بك بالعساكر المقابلة المعتادة في مثل هذا المقام وبعد الاستراحة  
هنيهة من الزمان أخذ الكولونيل غردون يسأله عن أعمال حكومته وأحوال  
الرية فأخذ المرحوم رؤف بك يقص عليه أحاديث محارباته مع أهالي البلاد  
حتى قال اننا منذ ثلاث سنوات لم يستقر لنا بالسلم قرار فاجابه غردون بقوله  
وأنا يظهر لي أن كل هذه الاضطرابات والحروب ناشئة من سوء ادارتكم  
وعدم معاملتكم اياهم بالرفق والعدل وسترى أن كل هاته العساكر والضباط  
الموجودة لديك سترسل الى مأموريات أخرى ولا يبقى بدلها غير مئة من  
العساكر يستتب بهم الامن العام تمام الاستتباب قال رؤف بك ان هذا  
لا يمكن أن يتم لان مئة نفر اذا تركوا وحدهم هنا لا يلبث العبيد ان ينزلوا  
عليهم فيقتلوهم عن آخرهم فقال الكولونيل غردون الآن حققت قول السير  
صمويل بيكر فيك وما كنت أعهد ضابطاً حائزاً لرتبة الميرالاي يكون مثلك

بهذا الحور وهذا الضعف وسترى أنه يكفي لهذه المديرية خمسون رجلا بدل  
مئة وفي الحال أمر أن يحضر لديه مشايخ القرى ورؤساء القبائل وكانوا  
حاضرين في مركز الحكومة فجأزه وأخذ يخاطبهم بالفاظ لينة وكلام لطيف  
وأحسن عليهم بالكساوى الحمر والسيوف حتى انطلقت وجوههم بشرا  
وفاضت صدورهم سروراً ثم قال لهم بعد ذلك انى تارك بين ظهرانيكم  
خمسين نفراً فقط من عساكر الحكومة لحراسة رايها وتشخيص سلطتها  
واتم المسؤولون بعد ذلك عن كل شيء يحدث في البلاد فاجابوه اننا عبيد  
الحكومة وما دمنا لا يهضم لنا حق ولا يقع علينا ظلم فلا يجمل بنا أن نقوم  
في وجه الحكومة ولا نحدث أقل تشويش وستسمع عنا كل خير ومحمد  
أما الباعث الحقيقى للكونونيل غردون على تقليل العساكر الى هذا  
الحد فوجهان

أولها بعد الشقة وتمذر نقل الاوازم والمهمات للجيش. والثاني الانتفاع  
بهاثة العساكر فى نقطة ( اللادوه ) المحتاجة كثيراً الى العناية والحذر

عزل رؤف بك وتعيين الطيب بك عبد الله بدله

وبعد أن انقضت حفلة مشايخ القبائل والقرى التفت الكونونيل  
غردون الى رؤف بك وقال له انك لا تصاح لوظيفتك هنا فمالك بالسفر  
الى القطر المصري وعين فى الحال بدله القائم مقام الطيب بك عبد الله وكان  
هذا بكباشى أول الالاي وهو رجل سوداني من قبائل العبيد مثل الذى  
عين لمديرية (بور) ثم أمر الوابورات بنقل العساكر الى جهة ( اللادوه ) ثم  
تراى له ان ينقل الطيب بك عبد الله مديراً الى اللادوه وعبد الله أغا



الدنسوي مديراً للرجاف وهذا الثالث من ضباط الجهادية السود أيضاً  
 وبعد أن قرر مبادئ النظام في هذه الجهة بارحناها قاصدين الجنوب  
 ومعنا نحو ستائة عسكري من أولاد العرب والسودان ومررنا في طريقنا  
 على شلال أمامه جزيرة عالية جداً فيها أشجار كبيرة فاستحسنها الكولونيل  
 غردون لبناء مستشفى للمرضى لأنها قريبة للرجاف بينها وبينه نحو ثلاث  
 ساعات وقد رتب لها سفناً صغيرة (فلايك) ربطها بأسلاك من الشاطئين  
 ليسهل اجتياز النهر إلى الجزيرة من الشاطئين لكل إنسان وأمر ببناء  
 منازل للعساكر فشرع الأهالي في بنائها بالفعل ولبنّا نحن في هذه الجهة  
 ثلاثة أيام لم نشعر بعدها إلا بالعبء قد هجموا علينا محاربين فانتشب القتال  
 بينا وبينهم نحو خمس ساعات انهزموا عقبها شر هزيمة فلما علموا أن لا فناء  
 لهم بمحاربتنا طلبوا الأمان فامنحتم سلموا طائعين فعفا عنهم (غردون) بعد  
 ما أخذ عليهم اليهود والموائيق وذلك بأن حلقوا بالكجور وهو كامام  
 يعتقدون فيه أنه وسيط بينهم وبين الإله يدعون به فيستجاب لهم ان  
 لا يعودوا مرة أخرى لمثل ما فعلوا وبعد أن تم الأمر على ذلك واستقر  
 السلام في هذه الجهة قنّا بعد إقامة نحو ثلاثة أسابيع فيها قاصدين البحيرة الكبرى  
 التي أمامنا فسرنا مسافة عشرين ساعة مضت علينا في أمطار تزل من فوق  
 كالسبول المنهرة حتى وصلنا شلالاً يسمى (شلال مقي) وهو أكبر من  
 الشلال السابق كثيراً والماء ينحدر عنه بدوى شديد يصم الآذان ولم يكن  
 أحد منا يسمع كلام الآخر عند ما اقتربنا منه ولذلك ابتعدنا عنه قليلاً ونصبنا  
 خيامنا حيث رأى (الكولونيل غردون) لزوم إنشاء محطة هناك وقد بعث  
 في طلب مشايخ البلاد والقرى فلم يجبه أحد. ولذلك أمر العساكر ان يشتغلوا

بالبناء والحفر كما أرادهم ثم أنشأنا زريبة أمامها خندق لأننا توقعنا الشر من أهالي هذه الجهة وقد كان الذي توقعناه فأننا بينما كنا نعمل عملنا لم نشعر إلا وقد دقت الطبول وصاحت الابواق وتبعنا ذلك حركة مزعجة من جموع كثيرة تحاول الهجوم علينا فسارعت العساكر للتأهب والاستعداد داخل الزريبة وانتظرنا حتى كان بيننا وبين أولئك المهاجمين مرمى الرصاص ولكننا أمسكنا عن إطلاق النيران حتى يبدووا بالمدوان فلما رمونا بالنبال والنشاب السامة رميناهم بنيران حامية لم يحميها فرجعوا الى الوراء ثم عادوا فمدنا وتقهقروا ثم عادوا الثالثة فحملنا عليهم حملة منكرا ارتدوا بها مكسورين ولكن أسهمهم قد أضرت بالعساكر كثيرا حتى لو أن سهما منها أصاب رجلا بين ظفره ولحمه لما نجا بعد ذلك

وفي اليوم التالي لهذه المحاربة حضروا بأولادهم ونسائهم يحملون النيران في أيديهم ليلقوها على الزريبة كي تحترق وقد زحفوا علينا بسرعة غربية وظللتنا نحن نطلق النيران عليهم لنمنعهم من الوصول الى الزريبة فلم يرجعوا وتمكن بعضهم من الوصول اليها والقوا النيران عليها ولكن أخشاب الزريبة كانت رطبة فلم تحترق وتضاعفت خسائرهم فلجأوا الى الفرار وهجروا ديارهم نازحين الى جبل (مقي) القريب من الشلال للاستماتة بشيخه فما كان من السكولونيل غردون الا ان أمر المرحوم عبد العزيز بك لبنان (نجيل المرحوم لبنان باشا) ان يقتني أثرهم بستة بلوكات من العساكر مسلحة بالرامتون وأعطاه الذخيرة اللازمة وساروخا حريبا فقام عبد العزيز بك بالقوة التي معه واجتاز النهر الى البر الشرقي وصار مع العساكر صاعدا الجبل ولكنه أخطأ اذ ترك بعض الجبهة خائفة وأخذ بعضها قائلا إن ما أخذ العساكر في جعلهم كاف لحين

العود ثم لم يلبث أن التحم القتال بينه وبين سكان الجبل واللاجئين اليه فانتصر عليهم بعد نصف ساعة قتالا ثم امتلك الجبل بكل ما فيه وللقضاء المحتم صاح أحد العساكر عليه قائلاً يا بريك قد فرغت الجبهة خانه فأخبر بمض التراجمة السود اخوانهم من سكان الجبهة بهذا السر فنثارت الالهالي مرة ثانية على العساكر وحاصروهم حصاراً شديداً قطعت النيران في أثناءه ثم هجموا عليهم هجمة واحدة أفنواهم بها عن آخرهم وقد مثلوا بعبد العزيز بك تمثيلاً عظيماً سيأتي بيانه

وقد تمكن شخص بروحي أسود من الهرب وعاد إلينا فأخبرنا بهذا الحادث المشؤم ولما رأى الكولونيل غردون ما أصاب العساكر طلب مدداً من الجهات الشمالية فجاءتنا في نحو عشرة أيام ستمائة نفر جرد منهم الكولونيل غردون ومن العساكر الذين كانوا لدينا حملة تحت قيادته اجتازها النهر وعند ما وصلنا أسفل الجبل قسم العساكر إلى أربع فرق جعل على كل واحدة منها قائداً وكان هو القومندان العام وبذلك امتلكننا الجبل من الجهات الأربع وصعدنا بالتدريج فلما شعرنا بنا صاروا يرموننا بالنبال والنشاب فأحدثوا بنا أضراراً كثيرة لا شرافهم علينا من فوق وكان القائد العام ينتقل بيننا من مكان إلى مكان مشجعاً مستنهضاً حتى صعدنا لاهلى قمة الجبل وتمكننا من قهرهم فقتل من قتل وأسر من أسر والذين بقوا على قيد الحياة طلبوا الأمان فأمنهم غردون وأبطل إطلاق النيران عن الالهالي بالكلية وهناك رأينا جثث القتلى من عساكرنا محروقة بالنار ماعدا جثة عبد العزيز بك فقد رأيناها مصلوبة على جذع شجرة قد انفرست في جسمه نحو خمسمائة نشابة لا تزال مفروسة فيه فسلنا الأسرى عن سبب ذلك فقالوا اننا أمسكناه حياً واثقناه بجذع

هذه الشجرة وأمرنا أولادنا الصغار الذين يتعلمون رمي النشاب أن يرموه به فصاروا يرمونه حتى مات كما ترونه . قالوا ولكن روحه لم تقض الا بعد ثمانية أيام من صلبه مع استمرار رميه بالنشاب كل يوم فأثر ذلك فينا تأثيرا شديدا وحاولنا أن نخرج من جسمه السهم فتعذر علينا ذلك الابتزيق الجسم ولذلك اختار الكولونيل غردون تكسير أيدي النشاب الحشوية بالمشار مع بقاء أسلحته فيه ودفنه على هذه الحالة وقد كان ذلك

وبعد ان واصلنا نفوذ الحكومة بين أهل الجبل وأقنابين ظهرانيم عدة أسابيع قمنا قاصدين البحيرة الكبرى وبعد مسيرة يوم وصلنا جهة يقال لها اللابودية بها شلال عظيم جدا وأرضها منحطة ولذلك بعد ان عزمنا على انشاء المحطة بها اخترنا ان تنشأها على ربوة عالية بينها وبين الشلال مسيرة ساعة من الزمان وقد حضر لنا أهالي هذه الجهة طائعين مسلمين قيادهم لنا باسم الحكومة الحديوية وساعدونا على حفر الخندق وبناء الاستحكام الذي أنشأناه وبعد انجازه عين الكولونيل غردون لهذه المحطة مأمورا تاركا معه شرفة من المساكن ثم قمنا سائرين في وجهتنا وبعد مسيرة يومين من مغادرة شلال اللابودية صعدنا جبالا مملوءة بالبيد السود وأرضها خصبة كثيرة المواشي من بقرو غنم وغيرها فلما رأنا السكان كانوا يسارعون الي قمم الجبال فيصعدون عليها ويقذفوننا بالحصى ويشتمون ويسبون ومحصل سبابهم (رجعوا ياترك الي حيث جثم ارجعوا أيها الجائعون الذين أتيتم لتأكلوا أبقارنا وأغنامنا ارجعوا الي بلادكم فلا تراحمونا في أرزاقنا) وقد خاطبناهم نحن باننا ما جئنا إلا للتفرج على بلادهم والسياحة الي البحيرة الكبرى فساءلنا بعضهم ولماذا أنشأتم المحطات وأقيم الحصون وحفرتم الخنادق وتركتم النقاط العسكرية

في طريقكم ثم قالوا ( اذا كنتم تريدون ان تقيموا بيننا مراکز ومتاريس فلا بد ان نهاجكم ونقلتكم عن آخركم وأما اذا كنتم تريدون البحيرة الكبرى فهامى الطريق أما مكم مفتوحة )

أما نحن فقد ظللنا سائرین وعن كلامهم معرضین ومازلنا كذلك حتى وصلنا الى البحيرة وتسمي هناك البركة والمیعة العظمی ونعني بها ( نيازنا ) ولما أقبلنا عليها شاهدنا صحراء متسعة جدا مكتظة بالاشجار وانواع الخضرة وفيها نوع من النبق كبيض الدجاج في حلاوة العسل مع طيب الفاكهة فخططنا رحالنا ونصبنا خيامنا للمبيت على شاطئ البحيرة وبتنا ليلتنا محترسين محاذرين من هجوم العبيد علينا ولكن لم ينتصف الليل حتي هاجمنا سيل نزل علينا من الجبال بقوة تيار جارفٍ شديد فاخذ ما كان معنا من المؤنة والامتعة وألقاها في البحيرة وصرنا في حيرة شديدة حتى الصباح فوجدنا كل ما كان معنا قد ذهب طعمة للبحر الا الجبة خانة فاننا كنا احنطنا لها من أول الامر فوضعناها على أشجار عالية فلم يمسسها ضرر

وما طلع النهار حتي أغار علينا العبيد بقوة هائلة ظانين ان السيل قد أخذ منا الجبة خانة ولذلك لم نزل نطلق عليهم النار حتي لجؤا الى الفرار واكتسبنا منهم في هذه الواقعة نحو مائة رأس من البقر وخمسمائة من الغنم وصار طعامنا بعد ذلك اللحم والنبق بلا كسرة خبز ثم استولينا على عشر مراكب من سفن العبيد استعملناها في خدمتنا وفي استكشاف شواطئ البحيرة

وفي ذات ليلة ركبنا هذه السفن وسرنا بالمجازيف للاستكشاف فقامت علينا زوبعة ذهببت بنا كل مذهب في البحيرة وقد خشينا الفرق الا أن الله عز وجل قد نجانا منه وجمعنا بعد انقضاء الليل في هذا التيه على بر السلامة

في نقطة يقال لها ( ماقنقوه ) ومن فضل الله جاءنا أهلها متوددين واستضافونا فاسترحنا عندهم واكلنا وشربنا مسرورين من حسن معاملتهم وفي خلال ذلك سأل الكولونيل غردون مشايخ الجهة عن أحوالهم فقالوا نحن في فوضى يأكل القوي منا الضعيف ويحكم العزيز الذليل فقال لهم غردون هل ترضون أن يأتيكم حاكم مثلي بقوة كبيرة وسلطة قادرة على توطيد الأمن بينكم ودفع القوى عن الضعيف فقالوا اننا من الفريق المضوم الجانب المظلوم الضعيف ولا ريب اننا نرضي بكل سلطة تأتي إلينا لتساوي بيننا وبين ظالمينا ثم سألهم الكولونيل غردون أي فريق بينكم الأقوياء المتسلطون عليكم فقالوا له قبيلتنا (أريونجا وبكريك) ولو طلبت مشايخ هاتين القبيلتين ما أجابوك ولا خضعوا لك فقال لهم نحن الآن نطلبهم للحضور من قبيل التجربة وارسل لهم فابوا وقابلوا الرسل بالسباب والشتائم

أما نحن فقد اخترنا أن نرجع إلى جهة ( الدفليه ) التي هي في البر الغربي للبحيرة وهي الجهة التي اخترناها نقطة للحكومة ولذلك عدنا بعد يومين فرأينا عساكرنا في أشد القلق علينا لأنهم ظنوا أن العاصفة التي هبت قد أغرقتنا في البحيرة

وبعد إقامة نحو عشرة أيام في تلك الجهة قنا قاصدين مديرية العموم التي مقرها ( اللادوه ) وقد تركنا في الدفليه نقطة عسكرية تحت قومندان ومأمور الجهة وقد مررنا في عودتنا على كل المحطات التي أنشأناها فوجدناها في أمن وسلام ولما وصلنا اللادوه أخذ الكولونيل غردون يخبر المعية السنية في القاهرة والكمندارية في الخرطوم بطلب ما يلزمه من الواجورات والمهمات وسأل ترقى كثير من الضباط الذين معه فكان نصيبي من ذلك رتبة اليوزباشي

وبعد إقامة نحو الشهرين في اللادوه قام الكولونيل غوردون وأنا في صحبته قاصدا الخرطوم وشاهدنا ثمرات أعمالنا في عودتنا من فرح أهالي كل جهة سررنا عليها وسرورهم بما صاروا فيه من الأمن والرغد وحسن النظام الى ان وصلنا الخرطوم وقبولنا فيها بما يقابل به القاطن الظافر

وعقب وصولنا الى مدينة الخرطوم وكان ذلك في أوائل سنة ١٢٩٢ هجرية اتفق الكولونيل غردون واسماعيل باشا أيوب الحكمدار على قسم الواورات والصنادل ودار الصناعة وعملها قسمين. أحدهما يكون لحكمدارية عموم السودان. والثاني لحكومة خط الاستواء وعرضا عن ذلك للمعية السنية فصدر أمر الحديو لحكمدار السودان بتنفيذه وقد كان ذلك فأخذنا نصف عمال الترسانة ونصف عددها وآلاتها وأرسلناها معهم الى بحيرة (نيانزا) حيث أمر الكولونيل غردون بإنشاء دار صناعة في محطة الدفليه على شاطئ البحيرة الغربي ثم كان نصيبنا من الواورات (بوردين وتلحوين والصابيه والمنصوره وانبابه ونمرة ٩ وواور الرفاس وواور الاسماعيليه) الذي كانت أدواته في المخزن لاصلاحه وأخذنا أيضاً نحو أربعين سفينة بين كبيرة وصغيرة وخمس شلبات كبار وضعنا فيها كل ما يلزمنا من التجهيزات والمهام وجميع ما يحتاج لخط الاستواء



### ذكر انشاء ديوان خط الاستواء في الخرطوم

وبعد ترحيل الواورات المذكورة والامتعة والادوات رأي الكولونيل غردون ان ينشئ ديوانا خاصاً بأعمال خط الاستواء منفصلاً عن حكمدارية السودان ورتب له الكتاب والموظفين وأوجد له الدفاتر اللازمة وسماه

(ديوان خط الاستواء في الخرطوم) وعين عليه رئيساً على افندي سراج المشهور (بتهته) بعنوان (ملاحظ أشغال خط الاستواء)

ومن ذلك التاريخ صارت حكومة خط الاستواء قائمة بنفسها وسمى السكولونيل غردون حكمداراً لمعوم خط الاستواء وصارت واردات خط الاستواء من سن فيل وریش ومسك ترسل من فوق لرئيس ديوان خط الاستواء في الخرطوم وهو الذي يؤدي حسابها ويرسلها حسب الاوامر التي تصدر له من الحكمدار

وبعد ان أتم السكولونيل غردون ترتيب ديوانه الجديد في الخرطوم عدنا الى جهة خط الاستواء. وسروراً بنجاحه التمس لنا الاحسان علينا برتبة صاغول أغاصى فلم يكن بينها وبين رتبة اليوزباشي غير شهرين أو ماحوالي ذلك ثم سافرنا على بركة الله بوابور (تلحوين) فلما وصلنا الى جبل اللادوه وكان عمال الترسانة قد وصلوا اليها وانتظرونا بها أمرهم بفك واپور الحديد ونقله قطعاً الى ترسانة البركة (دار صناعة) بالدقليه وتم ذلك في نحو أربعة أشهر وفي خلال هذه المدة كان بناء الترسانة جارياً على قدم وساق ولما تم اصلاح وتركيب الواپور ركبناه وسرنا به في لجج البركة نستكشف جهاتها حيث كان الاهالي يقفون على شواطئها كلما اقتربنا من واحد منها صنفوا معجبين مندهشين من رؤية الواپورات اذ لم يكونوا رأوا السفن البخارية من قبل وكان يزيد عجبهم كلما شاهدوا ضخامته ويخبرون في كيفية نقله مع جسامته الى البركة

وفي أثناء سيرنا وصلنا الى جهة (ماقنقوا) التي كانت فيها واقعة المرحوم عبد العزيز لينان فاستقبانا استقبالا حسنا وهناك ألقينا مراسينا



ونزلنا الى البر وأمر الكولونيل غردون أن نباشر انشاء محطة بها فأقننا بعمل ذلك وكنا قد أحضرنا معنا مدافع وجلة آلات ومهمات حربية فاخرجناها الى البر واطلقنا واحداً وعشرين مدفعاً اعلاناً بفتح هذه الجهة

وما سمع الاهالى أصوات المدافع حتى أطبقوا علينا جموعاً كثيرة وكلهم شاكو السلاح من الحراب والنشاب كانهم قادمون على حرب وقد توجس الكولونيل غردون خيفة من حالهم هذه فامر العساكر ان تكون على التأهب والاستعداد للطوارئ ثم فكر في حيلة نافعة هي أن دعا مشايخهم وأعيانهم اليه فادخلهم معنا داخل الزريبة التي كنا انشأناها حتى لا يتهم علينا الاهالى. ولكي لا يتوهموا انهم رهائن عندنا أخذ يوزع عليهم الاعطية من ملابس وسيوف وزجاجات خمر فقرحوا واطمئنوا كثيراً وسألهم عن تجارة السن عندهم والقيم التي يتبادلونها فيها فقالوا انها النحاس الاصفر وانواع الخرز والودع الابيض وكان منها كثير في مخازن السرصمويل بيكر باعها وكنا أحضرنا جانباً منها معنا فلما راوها أعجبتهم كثيراً

ولما وثق الكولونيل غردون بهم أذن لهم في الانصراف الى منازلهم فانصرفوا شاكرين وبعد قليل أرسلوا لنا عدداً وافراً من البقر والغنم هدية لنا فاعطاهم الكولونيل غردون جانباً من الودع والخرز مقابل هديتهم فقرحوا به فرحاً شديداً ثم أخذوا يتواردون علينا بالكميات الوفيرة من السن وهو يعطيهم قيمتها من تلك البضائع الرائجة عندهم حتى اجتمع في مخزن الحكومة في مدة عشرة أيام نحو الخمس مائة قنطار وقد كثر التردد من الاهالى على مركزنا ومن عساكرنا بينهم وكانوا بعد ذلك من أصدق رعايا الحكومة وبواسطتهم جرت فتوحات كثيرة في تلك الجهات وتمت المواصلات بين هذه

المحطة وبين محطة (الدفليه) بواسطة الوابور الذي معنا وبواسطة جملة سفن شراعية  
انشئت خلال ذلك

وبعد أن اطمأن الكولونيل غردون على مركز الحكومة الذي شيدناه  
في جهة (ماقتقوا) عدنا الى محطة الدفليه ثم توجهنا الى محطة اللادوه مركز  
العموم وكان قد تم صعود النيل فركبنا الوابورات الصغيرة التي معنا وعدنا  
ثانيا بطريق البحر تارة والبر اخري الى جهة الدفليه كي نرتب الوابورات الصغيرة  
والسفن بين كل شلال وآخر حتي تكون الملاحة متصلة بين اللادوه والدفليه تماما  
أما الوابورات الصغيرة المذكورة فقد كانت الحكومة أرسلتها لنا قطعاً  
داخل صناديق فركب بعضها بالخرطوم وبعضها حمل الي بركة (نيانزا) وصار  
تركيبه هناك في الترسانه كما أنشئت الشلبات الجديدة والسفن الشراعية الكبيرة  
وبالجملة فقد صارت الملاحة بين البحر الابيض وبين بحيرة الليانزا سهلة من  
كل وجه وأمكن التجار الارباويين والسياح التردد بينهما كما سهل نقل الجنود  
والمهمات والذوازم الحربية كلما أريد ذلك

وبعد أن عدنا الي الدفليه أخذنا أهبتنا من الذخائر الحربية والمؤونة الى  
ماقتقوا الشرقية (البركة) حيث استأجرنا نحو ألفي عبد منها لحمل هذه الذخائر  
والامتنعة ورحلنا حملة الى جهة يقال لها (فاتوكه) وهي من بلاد (كبريكا وأريونجا)  
والاول بمنزلة وال والثاني بمنزلة السلطان على بلاد فاتوكه المذكورة وعند  
وصولنا اليها قابلنا مشايخها وأهلها بالعداء على بركة مياه خاربنا هم نحو  
أربع ساعات فقتل منهم عدد كبير جداً ومن لم يمت منهم فرهاربا وبذلك  
استولينا على البركة وأخذنا في انشاء محطة على شاطئها ورفعنا علم الحكومة  
وأطلقنا المدافع اعلانا بفتحها ومكثنا في الاستحكام الذي اقمناه نحو شهر من

الزمن كمحسورين نخابر الالهين بالتسليم والطاعة فيأبون

فلما مللنا الإقامة عزم الكولونيل غردون على مهاجمتهم . ففي صبيحة يوم أخذ معه خمسة بلوكات مسلحة بالرامنتون وترك بلوكا واحدا لخفارة الاستحكام وتوجه اليهم في غلس الظلام فلم تسكد العين تقع على العين حتي أصلتهم جنودنا نارا حامية فلم يصبروا عليها وولوا الادبار وامتلكنا ذرايرهم وقرايم بجميع ما فيها من ماشية ودواب وأثاث فأخذنا هذه الاسلاب كلها وعدنا الى المركز على البركة ومن جملة ما أخذنا عدد كثير من نساء وأولاد المشايخ والاهالي وكان وجود هؤلاء معناداية الى عودة المشايخ والاعيان الى طلب العفو عنهم على أن يكونوا عبيدا للحكومة عوناً لها على أعدائها

فلما جاءت رسلهم الى الكولونيل غردون عصر يوم الواقعة المذكورة قبل منهم توبتهم وأخذ عليهم العهود والمواثيق ( وهم يمتقدون في الله فقط ) على ما قالوه وسلمهم الاسرى والابقار والاغنام على أن يرسلوا مشايخهم وأعيانهم خجاء طائعين وعلامة الخضوع أنهم كانوا يضعون التراب في أفواههم كمادتهم ثم اتفق معهم على أن يسيروا به الى جهة ( مرولي ) من أراضي الملك أمتيه وأن يأتوا له بالرجال ليحملوا الامتعة والذخائر الحربية بالاجرة فأجابوه سمعاً وطاعة ولكنهم قالوا ان أمتيه ملك جبار عظيم السطوة شديد البأس كبير القوة وعنده الاسلحة اثنائية والمدافع ونخشي أن يعرف منا اننا نحن أدلاءكم اليه فيرسل لنا بعدئذ قوة من رجاله يسفكون دماءنا وينهبون اموالنا ويهتكون أعراضنا فقال لهم الكولونيل غردون لا بأس عليكم فأنتم الآن رعية الحكومة المصرية ومن واجباتها أن تحفظكم من أعدائكم وتؤمنكم في دياركم وانا ذاهبون اليه ندعوه وقومه الى طاعة الحكومة الحديثة فان

## الملك أمتيسه وامره في بلاده

وعلى ذلك جردنا حملة قوية كثيرة العدد والعدد ولم نترك في مركز فاتوكه سوي بلوك واحد بضباطه وسرنا على بركة الله الى جهة (سرولي) وهي تبعد عن المركز الذي كنا فيه مسيرة ثلاثة أيام في البحر وكلما أتينا بلدا في طريقنا وجدنا أهلها قد هجروها ولم نثر الا على شيخ طاعن في السن ضعفت رجلاه عن الانتقال به وكأنهم غفلوا عنه فلم يحملوه معهم فسألناه عن فرار الاهالي من وجهنا فأجاب انهم فروا حتي لا يقابلوكم بلا اذن من الملك أمتيسه وأنتم في مروركم لا بد أن تحتاجوا الى شيء من الطعام أو الى شربة ماء على الاقل فاذا بقوا في ديارهم لا يبعد أن يجيئوكم الى ماتسألون ولو بالدراهم وهذا مما يفضب الملك ويوجب نقمته عليهم كما حصل في أمر السياح الذين كانوا آتين من بلاد الزنجبار فقال له السكولونيل غردون اذن الاهالي غير ملومين على مهاجرتهم من بلادهم ثم التفت الى الرجل وقال اننا صرنا نخشى عليك السوء من ملكك لانك قابلتنا وجاوبتنا على سؤالنا فماذا تفعل اذا. فقال الرجل أما أنا فستري مني ماذا أصنع ثم قبض بيده على حربة صغيرة وقال ها أنا ألوذ بكم فاعتبروني واحداً منكم وقد صرت أخشى أن ينم على الحجر والمدور والشجر الى الملك الذي له من كل شيء واش ورقب . فضحك غردون وقال قد بالغت أيها الرجل فكيف تصل سطوة أمتيسه الي هذا الحد وكيف يكون له من كل شيء رقيب عليكم . فقال الرجل لان جميع الاشجار التي ترونها لا بد وأن تكون مخبئة المدد العديد من أعوان الملك

أمتيسه وأرى أن أخبركم واصله اليه أولاً فأولاً عن كل حركة وسكون فاذا  
شتم نجاتي فاحملوني معكم واحسبوني منكم أنى سرتم فقبله الكولونيل  
غردون وأكرمه وأمر بحمله على عنقريب من الحشب فوق أكتاف الرجال  
وظل معنا الى أن فتحنا مديرية مرولي



### كيفية فتح مرولي

لما وصلنا الى أول بلاد هذه المديرية من حوزة الملك وشرعنا في بناء  
مركز نتخذ محطة أولي لنا أخذ العبيد يناوشونا القتال حتى يشغلونا عن  
تشيد المحطة وظللنا على ذلك زمناً طويلاً فلا هم مجتمعون لقتالنا بانتظام ولا هم  
تاركونا لهيئاً لنا مركزاً نقيم فيه مطمئنين

ثم بدا للكولونيل غردون أن يخبر أمتيسه فعاتبه على فرار الاهالى  
من وجوهنا وتركهم بلادهم حتى لا نستعين بهم على قضاء حوائجنا ثم أخطره  
بأننا آتون باسم الحكومة المصرية وهى قوية السلطان شديدة البأس لا تريد  
من هذه البلاد الا أن تعمم فيها المدنية والمدالة وتفتحها لخير التجارة التي بها  
يتبادل الناس منافعهم فان كان الملك أمتيسه يريد لبلادهم خيراً صافى الحكومة  
المصرية واستظل تحت ظل علمها الوارف والآتته بجنود لا قبل له بها وأرته  
من قوتها واقتدارها ما يدك الجبال الرواسى ويرغم أنوف الجبابرة . وهأنا  
مقيم بمرولي انتظر منكم الرد بما تستصوبون

فلم تمض أربعة أيام حتى حضر رسول من عند الملك أمتيسه يلوم غردون  
على تهديده الملك من حيث لا يعلم كنه قوته وهو في بلاده وقادر على أن ينزل  
به وعن معه البلاء العظيم فلا تنفعه قوة الحكومة المصرية اذا استنجد بها

مهما كانت عظيمة. ثم سأل الكولونيل غردون عن سبب مجيئه الى بلاد الملك أمتيه لينازعه فيها قائلاً عن لسان ملكه اننا راضون عن حالتنا وما بثنا لكم الشكوي أو العوز لحاجة ونحن في غنى عن مدينةكم التي تسلبنا نعيمنا واستقلالنا الذي نحن فيه

وبعد مخبرات دارت على هذا النمط اذن الملك أمتيه للكولونيل غردون أن يشيد المحطة التي يريد تشييدها في مرولي وأذن للاهالي أن يودوا الى بلادهم وأن يتبادلوا مع العساكر البيع والشراء . وكان ذلك سببا في زيارة مشايخ وأعيان البلاد للكولونيل غردون فأهداهم الهدايا الفاخرة وخلع عليهم الخلع النفيسة حتي استمالهم كثيرا لجانبه واستعان بهم على حفر الخندق واقامة الاستحكام للذين اراد انشاءها وبعد أن أتم بناء المحطة بكل لوازمها رفع عليها العلم المصري وأطلق ٢١ مدفعا اعلانا بفتح هذه المديرية وكان الملك أمتيه يتظاهرها له تجاه كل ذلك بالحب والوداد ويقول اننا نكون يدأ واحدة وأستمد قوتي من الحكومة المصرية في بسط سلطتي على الرعية وتأمينها واسعادها وكان الكولونيل غردون أرسل الى مصر ليستحضر للملك أمتيه عربية يركبها -- وهي التي كان يركبها التعايشي في أيام دولته كما سيجيء --

أما أراضى مديرية مرولي فهي من أخصب الاراضى الافريقية وكانت بلادها عامرة وأهلها متقدمين في الزراعة وماشيتها من البقر والغنم كثيرة وملابس أهلها منسوجة نسجا دقيقا من لحاء أشجار هناك يقشرونها ويدقونها دقا يصيرها أشبه شيء بالتيل في خيوطه الدقيقة. وألبستهم الازر يلغونها لقافي أوساطهم ليستروا بها انصافهم السفلي

أما الملك أمتيه نفسه فكان يلبس القباطي الحريرية من صنع الزنجبار وعلى

رأسه عمامة كعمائم أهل مكة وفي رجله الجوارب والنعال الحمر ويسكن بناء منظماً وكان عنده شاب أصله من أبناء جنسه ولكنه تربى في زنجبار فعرف اللغتين الانكليزية والعربية فوق لغته الاصلية واسمه (مفتاح) فاتخذ ترجماناً له ولكثرة ما كان يأتيه السياح من جهة الزنجبار عرف الاخذ والعطاء ومبادلة الهدايا والسؤال عن الاحوال العمومية .

لذلك كان الملك أمتيه أقوي حكام مجاهل أفريقيا وكان أهله على درجة من التقدم نوعاً عن أهالي الجهات الاخرى وقد أحسنوا زراعة الكروم خلاف ما يخرج عندهم من أشجار الفواكه اللذيذة العديدة في غابات شاسعة يشي المسافر في ظلها أياماً طويلة لا يكاد ينتهي لآخرها

ولما استقرت قدمنا في بلاد الملك أمتيه وتبادل الكولونيل غردون معه محادثات المودة خطر على باله أن يدعو للاسلام لانه دين الحكومة المصرية الرسمي لان الملك أمتيه وقومه مجوس يعبدون الاصنام والتماثيل فأجابه بالقبول وطلب منه أن يرسل اليه علماء لتعليمه وقومه أحوال الدين الاسلامي ففي الحال أرسل الكولونيل غردون له اثنين من أئمة الاورط واثنين من الحلاقين ليحريالهم طريقة الحتان فاستقبلهم الملك (أمتيه) بالحفاوة والاکرام ثم ضرب موعداً لمقابلة الامامين فتوجها اليه وقابلاه ولكن قد وجد اعنده أربعة من القسوس وأصلهم من المبعوثين البروتستانت جاؤا اليه من ناحية الزنجبار فجعل هؤلاء عن يمينه والآخرين عن شماله وأخذ يسأل كل فريق عن أصول دينه وكأنه لما تحقق بالسؤال من الامامين أن غردون مسيحي دينه دين هؤلاء القسوس اختار الدين المسيحي وكتب الى غردون يستشير في دخوله في النصرانية بعد ما ترك ذلك القديسين ورفيقهما الحلاقين أياماً عديدة مهملين

لا سائل عنهم حتي كانوا يمشون الرقت الطويل بلا قوت يكاد يقتلهم الجوع  
فاضطروا أن يرجعوا من حيث أتوا

ويظهر من ذلك أن ( الملك أمتيسه ) كان منافقا ينظر إلى مصلحة نفسه  
وليستعمل كل غش وتدليس في طريق الحصول عليها فانه كان يرغب في الدين  
الاسلامي قبل ان يتحقق من مسيحية غردون فلما عرف انه نصراني عول عن  
رغبته الاولى واعتنق النصرانية دينا . ولذلك كانت عنده الرايتان المصرية  
والانجليزية فاذا حضر سياح من الانجليز ادعي انه خاضع لسلطة الانكاز  
ورفع الراية الانجليزية واذا حضر أحد من قبل المصريين رفع العلم المصري  
بحجة انه تابع للحكومة المصرية ولكن انتهى أمره لرفع العلم الانجليزي دائما  
ولذلك تركه الكولونيل غردون على حاله واعتبر ( مديرية مرولى )  
آخر حدود السلطة المصرية وكانت هذه المدينة مركز المديرية المسماة باسمها  
وأول من عين لها القائم مقام محمد ابراهيم بك وأصله من مواليد السودان  
وشهرته ابن جميه

وبعد تأسيس المديرية على هذا الاعتبار رجعنا إلى مركز ( اللادوه )  
وكانت طريقنا آمنة مطمئنة وفرح أهالي اللادوه بعودتنا فرحاً عظيماً وخصوصاً  
لفتوحنا البلاد الكثيرة حتى صارت مدينتهم عاصمة لقطر شاسع كثير الخيرات  
والبركات يأملون ان يكون لها مستقبل عمران عظيم كمواسم الممالك الكبرى  
وتخلص هؤلاء الاهالي من سيطرة التجار أصحاب الكبابين ( الشركات )  
المستبدين . وعقب أن وصلنا إلى اللادوه ببضعة أيام جاءت الاخبار من ( الاتوكة )  
وهي جهة بينها وبين ( كندكرو ) مسافة اثني عشر يوما بان زرائب السيد أحمد  
العقاد وجماعة من التجار الآخرين مضايقة من العبيد مضايقة شديدة وقد



اشتمد الحصار عليهم وقلّ زادهم وعندهم تجارة واسعة وأموال كثيرة  
ويطلبون النجدة في أقرب وقت، والا وقعوا في الأسر والقتل ونهب مالهيم  
فاضطر الكولونيل غردون ان يجهز حملة بعث بها الى تلك الجهة تحت  
قيادة الصاغ محمد اغا عبد الكافي وأصله من ضباط الجهادية السود فسار الي  
(اللاتوكه) في طريق كلا اجبال وعرة يسكنها همج العبيد الذين كانوا يتعرضون  
له فيقاتلهم ويظفر بهم بأسلحته النارية وما زال كذلك حتي وصل الى الجهة التي  
يقصدها ورأى هناك وكيل السيد احمد العقاد واسمه طه بن محمد ومعه  
مصريون نخلصهم من الورطة التي كانوا فيها وجاء بهم وبأمتعتهم وبضعة آلاف  
حمار من حمر اللاتوكه هي ذات ألوان خضراء تمشي الهويناء كما يمشي البقر وتدر  
البانها كما تدر البقر وهم يستعملونها لذلك لا للركوب والحمل وعادوا بجميع  
ذلك الى (اللدوه) وقد أخذ العجب منا كل مأخذ لرؤية هذه الحمر الغريبة  
في شكلها ومعيشتها ورأى الكولونيل غردون ان يوزعها على الضباط والعساكر  
فأشار ان تدرب شيئاً فشيئاً بالركوب والحمل وقد دربت حتى أمكن  
استعمالها لذلك بكل صعوبة ثم رأى ان يترك نقطة (اللاتوكه) فلا تكون  
تابعة للحكومة المصرية لبعدها وقلة خيراتها

ولما رأى الكولونيل غردون أن جهات خط الاستواء الشاسعة صارت  
في قبضة الحكومة المصرية مع ترائي اطرافها وقلة الجنود الذين عنده اختار  
ان يضم الى قوته بعض العبيد الذين كانوا عساكر مأجورين لزرائب التجار  
وقد قبلوا ذلك فاخذ منهم ألقي عبد انخرطوا في سلك عساكرنا وصاروا  
بعد ذلك أحسن الجنود دربة ونظاماً ولكن كان يراعى في اقامتهم بعدم من  
مراكزهم الاصلية فالذي أصله من جهة الغرب يبعث به الى نقطة في الشرق

والعكس بالعكس مراعيًا في ذلك تخالف الاميال ونفرة القبائل التي كانت مستحكمة عملاً بقاءة احكم كل جهة باعدادها وهكذا كلما احتاج الي عساكر يرسلها الى جهة ينتخبهم من اعدادها لتأييد سلطته بذلك على الجميع

### تعيين المؤلف مدير البور والغربية

وبعد مضي بضعة أسابيع على عودتنا من جهة (مرولي) أصدر غردون أمراً بتعييني مديراً عمومياً على مديرتي بور والغربية وهما من اكبر مديريات خط الاستواء وقد أعلن هذا التعيين في خطبة القاها على مجمع من الضباط وكان تاريخ تعييني هذا تاريخ ترقيتي الى رتبة البكباشي في أوائل سنة ١٩٠٤ هجرية وبعد ان استلمت الاوامر وكل ما يلزمي من قوت وذخيرة قمت على وابور (المنصورة) الى مقر وظيفتي

وقد بقيت في هذه الجهة نحو ثلاثة أشهر أعمل طبق الاوامر التي كان يصدرها لي مدير عموم خط الاستواء الكولونيل غردون الذي ظل هذه المدة ينفذ ويروح بين شمال القطر وجنوبه وشرقيه وغربيه وفي خلال هذه السنة بعث لي أمراً بالنزول الي القطر المصري في صحبته وعين بدلي القائم مقام الطيب بك الذي سيأتي الكلام عنه. وقد كان ذلك وعدنا على بركة الله الى القاهرة وقابل الكولونيل غردون يوم وصولنا المرحوم الحديو الاسبق وكنت معه في هذه المقابلة فأنتم علي بترتبة القائم مقام وكان ذلك في شهر رمضان سنة ١٢٩٤ لان الكولونيل غردون أحسن الشهادة في حقي كثيراً وبعد هذه المقابلة عدنا الى قصر النزهة حيث كان غردون نازلاً وظل

عشرة أيام في القاهرة ثم غادرها الى انكلترا . وكنت أخذت اجازة منه أن أقيم في مصر مدة الثلاثة أشهر التي عزم على قضائها في أوروبا الا أنه بعد مضي شهرين ورد لي منه وهو في انكلترا تلغراف أن أبارح القاهرة قاصدا عموم خط الاستواء بصفة وكيل حكمداره العام فصعدت بالامر

### تعيين غردون حكمدارا لعموم خط الاسواء

ولم أكد أصل الى بربر في طريقي حتى علمت من وكيل مديريتها بصدور أمر حال من الخديوي يعين به الكولونيل غردون حكمدارا عاما لجميع البلاد السودانية المصرية ولسواحل البحر الاحمر وبذلك فصل اسماعيل باشا أيوب من وظيفة حكمدارية السودان . ثم علمت أيضا بورود تلغراف للمديرية يفيد عودة غردون باشا الى مصر وقضده مباشرة مصوع . ثم حصلت الخبارة بيني وبينه بالتلغراف فأشار علي أن أبقى بالخرطوم الى حين وصوله . وقد كان ذلك فائتي بارحت بربر قاصدا الخرطوم وهناك انتظرت الكولونيل غردون حتي وصل اليها واستقبل الاستقبال اللائق بل الفائق من كل وجه وأكثر من الاعطية والانعامات على مشايخ القبائل والاعيان مما لم يروه قبل من حكمدار . وكان فرمان تعيينه يمنحه السلطة المطلقة التي يتصرف بها على ما يراه موافقا للمادة السودان وتنظيم أحواله الخ

وعلى أثر ذلك صدر أمره بتعييني باشمعاونًا لحكمدارية عموم السودان وكانت هي الوظيفة التالية لوظيفة وكيل حكمدار عموم السودان وفي ذلك الحين صدر أمر خديوي بضم جهات بحر النزال الى أملاك الحكومة المصرية وكانت لاتزال في سلطة أصحاب الكبابين (الشركات)

## مديريات بحر الغزال

تعيين المؤلف مديرا لبحر الغزال - وبداية حوادث ادريس أبتر  
 حضر الى الخرطوم على أثر تعيين غردون حكمدارا لعموم السودان  
 وخط الاستواء وسواحل البحر الاحمر من جهة بحر الغزال رجل اسمه  
 « ادريس أبتر » وهو دنقلاوى الاصل اشتغل بالتجارة مجتهدا فآثري وصار  
 من رؤساء الكبابين . وطلب مقابلة غردون فأجيب طلبه وأخذ يقص  
 على مسامعه من أعمال سليمان بن الزبير باشا - وكان رئيس قومانية أيضا -  
 ماهيج أعصابه من أعمال الظلم والقسوة والسلب والفتك والتهتك الخ وحسن  
 له ضم جهات بحر الغزال الى سلطة الحكومة الحديوية وذكر له من خيراتها  
 ما حرك أمياله نحوها ولذلك سأل السدة الحديوية اصدار الامر الذي أشرنا  
 اليه قبل فصدر ثم عقد مجلسا من كبار ضباط الجهادية هناك لانتخاب مدير  
 لعموم بحر الغزال فاستقر رأيهم على تعيين مديرا لها وقد أسر الى غردون  
 وقتئذ ان سليمان بن الزبير باشا طامح الى الاستقلال ببحر الغزال وانه يجند  
 حوله جنودا ويستطيل على الشركات التجارية هناك حتى أوجس التجار منه  
 خيفة ولهذا رغب أن أستصحب معي قوة كبيرة وبعض المدافع والذخائر الحربية  
 والاسلحة الكافية فاستصحبت ستة بلوكات بضباطهم وعددهم وأخذت جملة  
 فصائل من الباشيزوق بأسلحتهم ومدفعين جبليين وساروخين حربيين وبلوكين  
 من الفرسان وسرنا هكذا على ثلاث وابورات وخمس عشرة سفينة شراعية  
 قاصدين بحر الغزال بطريق البحر الابيض ولما وصلنا الى فشوده أخذنا من  
 جندها ثلاثة بلوكات من الجهادية أيضا وتابعنا سيرنا حتى وصلنا الى مشرع

يقال له (مشرع الرق) على الشاطئ الغربى من بحر الغزال وهناك تعطل سير السفن بسبب الغابات الكثيفة التى تسد البحر في نقط كثيرة منه فطلعنا الى محطة المشرع وهى صحراء واسمة فأقننا بها زريبة من الشوك مربعة الاضلاع ونصبنا بها الخيام ورفعنا عليها علم الحكومة اعلانا بفتح هذه الجهة ثم أرسلنا رسلا الى مشايخ القبائل فحضروا وأعلمناهم بدخولهم فى ولاية الحكومة فأظهروا الخضوع والسرور وتبادلوا البيع والشراء مع العساكر

ثم كتبنا منشورا الى جميع الجهات اعلانا لوكلاء الكبابين (الشركات) والاهالى بصيرورتهم من رعايا الحكومة المصرية وأن يحضر أولئك الوكلاء والاعيان الى مركز ( مشرع الرق ) ولم تمض أيام قلائل حتى حضر قناوى بك أبوعمورى ونظاره ( وكلاؤه ) ومشايخه على القبائل طائمين وحضر أيضا وكلاء الحواجا غطاس وهو من مشاهير التجار وأصحاب القومبانيات الكبيرة وهكذا أخذ رؤساء التجار يفدون واحداً بعد آخر اظهاراً لطاعتهم وسرورهم بامتداد سلطة الحكومة المصرية عليهم وكنا نأخذ من رجالهم الاسلحة وحصص الحكومة من أنواع التجارات المحتكرة لها كالريش والصمغ وسن القيل ومقدار هذه الحصص كان مقدرا بثلاثة أخماسها الا أنهم كانوا يظهرون التضرد من قلة ماتتركه الحكومة والتمسوا فى نظير ذلك ان تعفيهم الحكومة من أجرة نقل بضائهم على مراكبها بين بحر الغزال والخرطوم

وقد استلزم الحال أن توجه الى أماكن هذه الشركات التجارية واحداً بعد آخر لقسم حصصها وضبط نصاب الحكومة منها واستصدرنا أمراً من حكمدار عموم السودان بأجابة ما التمس أولئك التجار فصدر الامر بذلك وفى خلال ذلك تبينت من أمر ( ادريس أبتر ) انه رجل غير مستقيم

مثير للفتن ذو سوابق سيئة بينه وبين جميع التجار فرأيت أن أزجه في السجن  
لأتدارك ما كنت أتوقع من شروره

سورة النمل

### بلان نمم

ومما يتصل ببحر النزال بلاد النمام وبلاد (القورقرة) التي تكثر فيها  
الببغاء ذات الذنب الأحمر

ولذلك أخذت أنقا من مشاريع التجار حتى وصلت الى تلك الجهات  
وأهل النمم حمر الألوان نحاسيون عمرة الاجساد غير أن نساءهم يسترن  
عوراتهن بالحشائش الخضر التي يغيرنها كلما جفت وكل ما يملكون من انواع  
الحيوانات وطيور الدجاج التي تفوق العد على قدر ما يناسب حال كل منهم  
وكذلك الكلاب ولحمها عندهم أغر ما يأكلون وهو طعام امراءهم ولذا  
كانت قليلة عندهم

واراضيهم واسعة خصبة تثبت قصب السكر والذرة والموز ينبت وحده  
في غابات شاسعة لكثرة نزول الامطار هناك

وفي طرف من هذه البلاد جبل يسمى (جبل الدنبو) لاهليه رجالا ونساء  
شفف كبير بالغناء يضربون الاطمان على السفاير وهي ضرب من الناي باتقان  
عجيب ومن عاداتهم أن ينزلوا في رأس كل عام وقت الحصاد ويمروا على البلدان  
وأجرات المحاصيل للتسول بغنائهم فيجمعون قوت عامهم ويعودون الى  
بلادهم وهم يصطادون الوحوش والطيور والفيالة لاكل لحومها وهم أنعم  
أهالى تلك الجهات مراسا وأضعفهم جانبا لا يمتدون على أحد كما لا يعتدى  
أحد عليهم

وقد سألت عن الذين يأكلون لحوم البشر منهم فعلمت أنهم أهل قبيلتين فقط. من بلاد النَّمَم وليس ذلك من عادة القبائل كلها وأن أكل الانسان عند تينك القبيلتين ليس دائماً وفي كل حال بل اذا مرض أحدهم وغلب اليأس من شفائه أسلمته قبيلته الى الاخرى لتأكله كما تفعل الثانية ببعضهما مع الاولى ومن ذلك يتبين ان اكل لحوم البشر في بلاد نَمَم ليس غذاء عاديا لهم كما يتوهم البعض بل هي طريقة اتخذوها لبيان معزة أحدهم عند الموت وironها اسمي شأننا من دفن الانسان في القبر أو احراقه بالنار مثلاً. ويرون في ذلك راحة لهم من عناء انشاء المقابر واحتياطاتها الصحية

أما سكان قورقورو وهي من ذلك الاقليم أيضاً فهم بيض الوجوه صفر الشعور زرق العيون كأنهم أوروبيون يعيشون في القارة الاوروبية ولكنهم يخالفونهم في زيادة الشقرة في اللون حتي ان الرأي ليستغرب وجود مثل هؤلاء الناس في وسط القارة الافريقية وعلى القرب من خط الزوال

وفي هذه البلاد حيوان يسمى ( البعام ) أشبه شئء بالانسان في صوته وقامته يستأنس كالقردة وله شعر مسترسل خلف ظهره وعلى جانبيه فائق في طوله جميل في منظره يتنزل به السودانيون كما تنزل العرب في عيون الجآذر والنزلان

وتجاور أهل قورقورو قبيلة تسمى ( تيكتيكه ) أهلها أقصر ما رأيت قامات وهم على غاية من الوحشية في معيشتهم ونفورهم من غير ابناء قومهم وبعد ما تجولت في هذه المديرية زمناً أصابني مرض شديد اضطررت معه الى الاستئذان في العودة الى الخرطوم فعدت وأخذت معي ما جمعت من سن القليل وریش النعام ولكن عند وصولي اليها كان الكولونيل فردون قد ذهب

الى سواكن فاستأذنته تلغرافياً في اعطاء الشركات ما يخصها من تلك السلع فاذن  
لى وبلغت قيمة ماخص الحكومة مما جلبت اليها مئة الف جنيه او دعت  
بمخزينة المالية بالخرطوم

### شأن ادريس ابتر بعد ذلك

تقدم لى الكلام على ادريس ابتر وزجى اياه في السجن لما تبينته من  
حاله فلما عدت الى الخرطوم جلبته معي اليها مخافة أن يكون في بقاءه هناك  
ما يجلب الشرور والفساد

وكانت عنده في بحر الغزال كمية وافرة من سن القيل أخذناها منه كما  
أخذنا مثلها من الشركات الاخرى وتقديناه ثمنها بعد عودتنا الى الخرطوم .  
والمال كما يقال أقوى شفيع للانسان في كل حال اذ تمكن ادريس ابتر لوجود المال  
معه من استمالة قنصل المانيا بالخرطوم اليه وبالفعل خابر القنصل الكولونيل غردون  
تلغرافيا بان ادريس ابتر قد سجن ظلماً وأنه يرى من كل ما نسب اليه والقنصل  
المذكور كان من أخص اصدقاء الكولونيل غردون ويشق به ثقة عمياء ولدى عودة  
الكولونيل غردون من سواكن ذهب للقاءه خارج المدينة على احدي البواخر  
ومعي القريب عثمان رفقي باشا القائد العام للجنود السودانية وقتئذ فأول كلام  
فاتخني به رغبته في عودة ادريس ابتر الي بحر الغزال فاخذت اشرح له بأدلة  
ما عساه يقع من عودة هذا الرجل وبينت له باسباب أعماله السيئة الماضية فلم  
يكترث بشيء من ذلك وأصر على ارجاعه وكان خطابه لى بالغاظ الاستعطاف لا  
الامر حتى انقطع حديثنا بالوصول الى المدينة والاستغفال بما أعد له من الاستقبال  
الرسمى وعلى أثر وصوله الي سراى الحكم مديرية طير رساله تلغرافية الى



الجناب الخديوي بالقاهرة التمس فيها الاحسان على برتبة الامير الاي والوسام  
المجيدى الثالث اه وما مضى يومان حتى جاءت الاجابة من لدن الحضرة الفخيمة  
الخديوية وكان ذلك فى شهر محرم سنة ١٢٩٥ هجرية

## استقالة المؤلف

( من مديرية بحر الغزال )

« وتعيينه حاكماً على مديريات خط الاستواء وتعيين ادريس أبتر بدله »  
ذكرت ما لم بصحتي من الانحراف بسبب سوء تأثير هواء بحر الغزال  
عليها فلما رأيت اصرار غردون على الصفع عن ادريس أبتر واعادته الى بحر  
الغزال رأيت الفرصة مناسبة لان أستقيل محتجاً باعتلال صحتى والظاهر ان  
غردون رأى في هذه الاستقالة أيضاً فرصة مناسبة لارضائى وارضاء ادريس  
ابتر معاً فقبل استقالتى وعينى في الحال حاكماً عاماً على أقاليم خط الاستواء  
بدلاً من براوت بك الاميركاني الاصل الذى كان حاكماً عليها قبل ذلك . ثم  
أصدر أمره بتعيين ادريس أبتر مديراً على بحر الغزال والتمس له من الجناب  
الخديوي الرتبة الثالثة

ثم أمرت بمبارحة الخرطوم فأخذت فى أهبة السفر وعندئذ استدعانى  
الكلونيل غردون للتوفيق بينى وبين ادريس ابتر فأصلح ما بيننا . وبقينى أن مغبة  
تعيينه ستكون وبالاً على بحر الغزال ومع ذلك قد محضته النصيح فى أمور  
كثيرة أخصها أن يكف عن مناوأة سليمان بن الزبير وأوضحت له صعوبة  
عمله اذا لم يكن معه على صفاء

وبعد ذلك بارحت الخرطوم قاصداً مقر وظيفتى على وابور ( الاسماعيلية )

وسافر هو كذلك الى مقر وظيفته على وابور (الصفاية) وظللنا سائرين معاً حتى وصلنا الى بحيرة تدعى (ميمية السيورة) وهي التي بها مدخل بحر الغزال من الجهة الغربية وطريق خط الاستواء بالجهة الجنوبية وهناك افترقنا بعد ما كررت له النصيحة السابقة وما زلت سائراً في بحر خط الاستواء حتى وصلت الي (اللاذوه مركز عموم الاقاليم الاستوائية) وهناك أصدرت منشوراً عمومياً أبلغهم به الاوامر الجديدة بتعييني مديراً على تلك الاقاليم وقومنداً على عساكرها وبالاعمال اللازمة لاستتباب الامن العام وسعادة البلاد ثم رأيت أن لا اطيل الاقامة في مركز وظيفتي قبل أن أمر على مراكز المديريات لتفقد حالة المال والاهالي وهكذا سرت أنتقل من جهة الى جهة مدة أربعين يوماً ثم عدت الى اللاذوه ثانية وأقمت بها نحو خمسة عشر يوماً ثم بعدها متابعاً المرور شمالاً فاصداً مديرتي (بور وسبت) وبينما كنت سائراً بوابور الاسماعيلية في سروري هذا شمال مديرية (بور) قبل أن أدرك محطة (شانييه) بنصف ساعة اذ سمعت لفظاً كثيراً من العساكر الذين سمعوا فساتلهم عن سبيه فأخبروني ان أناساً سائرين على الشاطئ حاملين راية حمراء يستغيثون بنا وهم يطلقون بنادقهم في الهواء استغاثاتنا لناقضت وأخذت منظاري يبدى وتحققت من أمرهم فأمرت برسو الوابور وانتظارهم وبعد هنيهة وصلوا اليها واذا بادريس بك أتر مديرجر الغزال مقبلاً علينا فاندھشت لرؤيته في هذا المكان وسألته عن سبب قدومه فأخبرني ان سليمان بن الزبير قد هجم على مركز المديرية وأخذ كل ما فيه من الاسلحة والذخائر فاستفهمت منه عن السبب الذي حمله على فعله هذا مع انه أقام في هذه المديرية سنة كاملة لم يقدم في خلالها على مثل هذا الامر فأنكر إدريس بك السبب الحقيقي قائلاً

انه أقدم على هذا الامر من تلقاء نفسه ولا أعلم له من سبب ورجاني اعطاه  
 عساكر لمقاومة عصيان وردده عن طغيانه فقلت له لا بد أن تكون أنت  
 السبب في عصيان هذا الرجل ثم استفهمت عن حقيقة ماجرى من القاضى  
 والضابط اللذين اصططجهما معه ادريس بك فحاولا أولاً مداراة مديرهم ثم رأيا  
 أن لا سبيل الى المداراة ولا مصلحة فيها فأقرا بما كان. وهو أن ادريس أبتز لما  
 وصل الى زرية شركة المعلم غطاس أدب له مستخدمو الشركة وجلهم من الدناقلة  
 بنى جلده مأة حوت كثيراً من أنواع المسكرات فلما لعبت بمقله بنت الحان  
 أخذ يقول انه تعين مديراً رغماً عن ابراهيم بك فوزي وانه أنفق في هذا السبيل  
 ألف جنيه للقنصل فريدريك الذي تقدم لنا ذكر شأنه معه ولا بد من استعاضته  
 بتوزيعه على موظفي المديرية ثم لا بد من تجريد حملة عسكرية لقهر سليمان بن  
 الزير وتخريب زريته وقتله وصار يتفوه بألفاظ السباب والشتائم في حق ابن  
 الزير فلما بلغ ذلك سليمان بن الزير قام هاجماً على مركز المديرية وكان منه ما كان  
 مما أخبر به ادريس أبتز وكان ذلك قبل وصول ادريس أبتز الى مركز المديرية  
 فلما نعى اليه الخبر اعتصم بالفرار لينجو بحياته وكان من أمر اجتماعه بنا في  
 الطريق ما ذكرناه

وعلى أثر ذلك أرسلت ادريس أبتز الى غردون مخفوراً بعشرة من العساكر  
 وواحد من الضباط وكذلك أرسلت له الاوراق التي باشرت فيها التحقيق  
 وفيها «ان ادريس أبتز كان قد أخذ العهد على أولئك الذين قصدوا مدارته في أول  
 الامر بكم ما حصل منه ثم عادوا الى الاعتراف بالحقيقة» وما بلغ ادريس أبتز  
 الخراطوم حتى زجه غردون باشا في السجن

## تعيين جسي باشا مديراً على بحر الفزال

وبعد أن زج ادریس أبتري في السجن أصدر غردون باشا أمراً بتعيين جسي باشا وهو ايطالي الاصل مديراً على بحر الفزال وعهد اليه اخضاع سليمان ابن الزبير ومقاومة عصيانه وادى وصوله الى بحر الفزال بدأ بمطاردته وحشد عشرة آلاف جندي لمقاومته ووجرت بينهما وقائع عديدة كان النصر في جميعها حليف جنود الحكومة وفر سليمان بن الزبير الى برية بين بحر الفزال ودارفور تدعى ( حفرة النحاس ) فتأثره جسي باشا حتى أدرسه وليس معه أكثر من أربع مائة مقاتل من العبيد البازنجار قواهم ولم يعودوا قادرين على مداومة القتال وكان رابع الذي قيل انه مملوك الزبير باشا من ضمن أولئك البازنجار فاستمال اليه نحو نصفهم وزين لهم الفرار والاتجاء الى الفلوات الواقعة بين دارفور وبحر الفزال ريثما يتناسي الناس أمرهم فيعودوا الى أوطانهم بعد انطفاء جذوة غضب رجال الحكومة على تجار الرقيق فاطاعوه وفروا الى جهة الجنوب الغربي من حفرة النحاس وقبل أن يتعدوا عن معسكر ابن الزبير بعشرة أميال انقض عليه جسي باشا وقبض على من فيه وقتل ابن الزبير واثنين وعشرين رجلاً من أشهر النحاسين الذين معه<sup>(١)</sup> ولم

(١) جاء في العدد ٩٨٤ من جريدة الجوائب بتاريخ ٢٥ محرم سنة ١٢٩٧ قلا عن الجرائد المصرية . وقد قال أحد مكاتب التيمس ان الاخبار الواردة من غردون باشا عند ما كان في دارفور تفيد ان القائم مقام جسي انتصر أخيراً على تجار الرقيق في اقليم بحر الفزال كما انتصرت الانكليز على الزولوس وذكر المسترجبي خبر نصرته بالايجاز . وخواه انه لما هجم سليمان أحد زعماء العصاة هزمه المسترجبي واقفى أثره مدة أميال فانقلب سليمان الى حصنه ولم يمكن المسترجبي أن يستمر مقتفياً أثره بسبب عدم وجود المؤنة معه فكث لغاية ٢٨ ابريل الي أن أنه الذخيرة الكافية فشرع في

تعر الحكومة على شيء يذكر من أسلحه وغاية ماغنته لايتجاوز سبع قناطير من سن الفيل ونحو خمسة آلاف من الريالات المجيدى واستولت على سندات بقيمة عشرين الف ريال بمواعيد مختلفة يؤديها بعض تجار الرقيق لابن الزبير وعثر على أوراق دلت على ان أسباب المصيان كانت مدبرة بينه وبين والده ويقصد هذا من ذلك أن تكلفه الحكومة باخضاع ابنه حيث يبلغ أربه من العودة الي بحر النزال

ثم عاد جسي باشا الى مقر وظيفته وقتل خلقاً كثيرين من النخاسين والذين لهم علاقة بابن الزبير ومكث مديراً على بحر النزال سنة كاملة ثم استقال لاعتلال صحته فاquil وسار من بحر النزال الى الخرطوم فسواكن حتي ادركته المنية بالسويس قبل ان يبلغ القاهرة وخلفه في وظيفته (موسي باشا شوقي) من الضباط المصريين فاستقر قدمه فيها حللواها من النخاسين الذين هم مصدر كل الشرور والفتن . أما راجح فانه من أولاد العساكر السود

الاقدام والمهجوم وكان معه نحو ١٠٠٠٠ نفر فالتهمز سليمان الفرصة وجمع ٣٠٠٠ نفر من الرقيق غير ان جسي أعثق بعض أنفاره مكافأة لهم علي خدمتهم ثم حصلت مناوشات انتصر فيها جسي وفي ٥ مايو حصلت ملحمة عظيى انهزم فيها العدو شر هزيمة فعزم جسي على أخذ القلعة بالمهجوم ففاز بذلك وهرب سليمان نفسه ومعه نفران وترك جميع الذخائر والمكاتبات التي يستفاد منها خيانة أبيه زبير باشا وكذلك ترك ألف جنيه من ريالات فضة و٦٣٠ رطل عاج وكيس ذهب وحوالات كانت مع التجار المصريين لشراء الرقيق والعاج وريش النعام يبلغ مقدارها نحو ٢٠٠٠٠ ريال أي ٤٠٠٠ جنيه وغير ذلك من المواد والمهمات وأصدر جسي أمراً بقتل كل من يتعدي علي أحد من الاهالي وشنق تسعة من كبار المذنبين عبرة ليعتبر بها باقي تجار الرقيق وقتل ثمانية من الزعماء في الوقعة الاخيرة وفي عزم جسي تجريد الاهالي من الاسلحة بدون فرق وطردهم جميع تجار الرقيق

الذين يسكنونهم في اصطلاح الساكر ( غلمان الجاهلية ) ولم يكن مملوكا الزبير  
باشا ولا لغيره قاده الطاع وحسب السكسب الى الانظام في سلك تجار الزبير  
فانظام في حملة ابي عموري التاجر وكان دافعا للزبير باشا ثم لاجبه من بعده  
ومدة الحرب بين جسي وابن الزبير لم تباع أسبوعين كان يدعو جسي بك الى  
خلالها الى الطاعة والابتعاد عن سبل العصيان

### فصل المؤلف

هو من مديرية خط الاستواء وتعيين أمين باشا بدله  
وبعد عودتي من الرحلة التي لقيت فيها ادريس ابر جاءني سائح اسمه  
الدكتور (ينكر) يطالب مني ان اجمع له مائة شخص من الاهالي يحملون أثقاله  
مدة تجوله في انحاء خط الاستواء وكانت العادة المتبعة عندها اذ ذاك ان نسمح  
بمثل ذلك لكل سائح على شرط ان يؤدي أجرة كل شخص ثلاثة غروش  
من العملة الصاغ عن كل يوم وان يدفع لكل شخص أجرة ثلاثة شهور سلفا  
وان يكون مكافئا بلوازمهم اليومية من الطعام فرضت عليه هذه الشروط  
فاكبرها وادعى ان لديه أوامر من فردون باحتساب كل نفقات سياحته على  
جانب الحكومة فطلبت منه الرقيم الصادر من فردون فلم أجده عنده شيئا  
من ذلك وأخيرا دفع أجرة شهر واحد لكل حامل من الذين جمعناهم له  
وتعهد بدفع الباقي عند عودته وبعد ثلاثة شهور عاد من سياحته وامتنع عن  
دفع ما بقي في ذمته من أجرة الحمالين وبعد محاورات كثيرة دفع لهم أجرة  
الشهرين الباقيين ثم أخذ في أهبة السفر ومعه شيء كثير من الحاج  
فاخبرته باحتكار الحكومة هذا الصنف ومنعها الاتجار به وحمله الى الجهات

الشمالية وأهمته ما تقضى به الاوامر من ضبط مامعه وأخذ الجانب الحكومة  
فامتنع أولاً ثم رضى ثانياً وكان كثير الالفة والتودد الى طبيب الحكومة  
الدكتور شنيتزر الذى سمي نفسه بعد باسم (محمد أمين) ثم صار حاكماً على  
أقاليم خط الاستواء باسم أمين باشا

وفى غضرن إقامة هذا السائح بخط الاستواء نقل الى كثير من تجار  
الاوروبيين هناك أنه مصمم على الوشاية بي عند غردون وانه لابد من  
ان وشايت ستغضى الى فصلى وانه يرشح أمين افندي طبيب الحكومة لولاية  
الحكم على أقاليم خط الاستواء بعد فصلى

على أننى لم اكرث بهذا القول وعدده من قبيل الهوس وخصوصاً ما ذكر  
من أمر أمين افندي الطبيب لاني وسائر من ممي من الموظفين نعتقد فيه فقدان  
الروية وعدم الخدق حتى فى صناعته التى انقطع لها ودرسها فكيف يكون  
شأنه اذا عين بوظيفة حاكم لأقاليم خط الاستواء ادارتها عسكرية ومدار  
تملها على الحركات العسكرية والمهارة الحربية ثم غادر الدكتور (ينكر) خط  
الاستواء على احدى البواخر فكتبت الى الكولونيل غردون أعلمه بكل  
ما وقع بينى وبين الدكتور (المذكور) وشرحت له ما علمته من أولئك التجار من  
نوايا ونوايا أمين افندي الطبيب ولما وصلت الباخرة الى مكان يدعى (شبهه)  
بعد عن الخرطوم بنحو مائة ميل أصابها خلل أوقف متابعة سيرها فخرج  
السائح منها واستأجر نوقاً وصل على ظهورها الى الخرطوم وقابل الكولونيل  
غردون وألقى عليه ماشاء من الاكاذيب والوشايات فاحتدم غيظاً جرياً على عادته  
حيث كان من طباعه أن يصنى لسل ولاش سبق غيره بالشكوى اليه من غير أن  
يتحرى صدقه ويقف على كنه قصده

وبعد بضعة أيام أُلحح خلال الباخرة فاستأنفت سيرها الى الخرطوم  
وبعد وصولها ذهب صاحب البريد ليسلمه للكونلونيل غردون فامتنع من  
استلامه وأصدر أمراً بفصل من مديرية خط الاستواء وتعيين أمين افندي  
الطبيب وكيله حتى تصدر أوامر أخرى . ثم غادرت خط الاستواء قاصداً  
الخرطوم حيث أصدر الكونلونيل غردون أمراً بتعيينه حاكماً عاماً على أقاليم  
خط الاستواء فوق ذلك موقع الدهشة والاستغراب لدى الموظفين الذين  
لا يرفون لهذا الرجل أهلية إدارية أو عسكرية تبوؤه هذا المنصب الخطير وأيقن  
الكل بأن الدكتور (ينكر) هو الذي مهد له هذا السبيل وبوآه هذا المنصب  
ولا غرابة في ذلك فإن الدكتور شنيتر قدّر على إخفاء دينه وتسمي  
بمحمد أمين فليس بعيد على منافق كهذا استمالة مثل الدكتور ينكر مادام  
عالمين من الكونلونيل غردون الاصغاء لكل مبادير بالوشاية ولو كان  
ذا قصد سيء



### قصة الأفيال في خط الاستواء

ومن الأعمال التي تدل على جهالة أمين افندي وبعده عن أصالة الرأي  
بعد السماء من الأرض أن الكونلونيل غردون كان اشترى من أفيال الهند  
الداجنة عدة وجلبها الى خط الاستواء ولما عينت حاكماً على خط الاستواء  
سلمها اليّ وأمرني أن أقم لها زريبة من الشوك على بعد ألف ومائتي متر  
من مدينة (اللادوه) وكنا في غداة كل يوم نخرجها من الزريبة ونسرحا في  
القلاة تفتات بالحشائش ونختط بالافعال الوحشية وفي أصيل النهار نعاد  
الي الزريبة فيتبعها منها بضعة أفيال أو أزيد بعد ادخالها في الزريبة فيقتل



العساكر الافيال الوحشية رميا بالنبل فتأخذ الحكومة أسنانها وتأكل العساكر لحومها اذ هي لذيذة جداً ومحبوبة عندهم وبذلك تقتصد الحكومة ثمن اللحوم التي تجريها على العساكر. وفضلا عن ذلك فان الاقاليم الاستوائية لا توجد بها ادواب للحمل ونقل الاثقال من مكان لآخر فكانت هذه الافيال تؤدي وظيفة الحمل في زمن الحروب ونقل الذخائر من أهم حوائج الجند اذ يحمل الواحد منها اكثر من حمل خمس من الابل

وغير هذا وذاك اتى لما غزوت بعض البلاد لادخالها في طاعة الحكومة وحملت الاثقال على تلك الافيال كان الاهلون في كل جهة مررنا بها يقابلوننا بالاعجاب ويتساءلون كيف أخضع هؤلاء الناس القليل الذي هو أكبر حيوان وكيف ذلوه لاراحتهم وقادوه كما تقاد الشاة ولما وصلت الي بلاد العصاة لم يقابلوني بغير تقديم الطاعة والتسليم هم وملوكهم وصرحوا لي بأنهم لا يستطيعون قتالي وقتال جنودى الذين ذلوا الافيال وكان ذلك شأني مع كل بلاد غزوتها بالافيال وأطلق الجنود اسم بلاد الافيال وقبائل الافيال على كل بلاد وقبائل دانت بطاعة الحكومة رهبة للافيال وأطلق الاهلون على اسم (الحاكم صاحب الافيال) وبعد مبارحتى خط الاستواء خيل لامين افندي باشا أن يذبح الافيال الداجنة ليتحقق الفرق بين لحومها ولحوم الافيال الوحشية ولاجراء تحليلات كيمياوية وقد فعل فانظر الي هذه السخافة

وكان في خط الاستواء ثيران من البقر تبلغ الالفين ذلت بأزمة حتى صارت قابلة لحمل الاثقال والركوب كالجمال فذبحها كلها ولو كانت الافيال والثيران باقية لماهلك اكثر الذين رافقوه مع المسترستانلى الرحالة عند مغادرته خط الاستواء كما سنذكر ذلك في موضعه ان شاء الله

ذكر ما حصل للمؤلف من الكولونيل غردون وسفره لمصر  
ولما وصلت الخرطوم قصدت سراي الحكومة والتمست مقابلة  
الكولونيل غردون فلم يأذن لي بمقابلته فعدت الى منزلي وأنا مصر على مفادرة  
السودان وعدم قبول أى خدمة فيه بعد الاهانة التى لحقتني من السائح الذي  
نسبي بالوشاية في عند من لم يتحر الحقيقة ولم يعتقد في الاوروبيين انهم بشر  
يجوز في حقهم الكذب والحيانة والغرض فرضت اليه التمس التصريح لي  
بالشخص الى مصر فاستدعاني وخطبني بأففة قائل انك تريد السفر الى مصر  
قلت نعم قال ولماذا قلت اني مكثت سبع سنوات هنا وأود العودة الى وطني  
لتبديل الهواء والقرار من وجه السياح الكذابين مثل (ينكر) فقال أهو كذاب  
قلت نعم ولو أطلعتني على سعايته بي عندك لا ظهرت لك كذبه واتي ماعاملته  
الآبما لامندوحة لي منه وهي واجبات وظيفتي وختمت حديثي باعادة  
الالتماس بالتصريح بالسفر الى مصر على نفقة الحكومة فقال قد أذنت لك  
وأمر بكتابة الاوامر بسفري على نفقة الحكومة ثم طلبت منه كتابا الى الحربية  
المصرية مؤذنا باحالي عليها فأعرض عن الاجابة فألححت في الطلب وصمم  
على الرفض فانصرفت عنه وهو مغم من الغضب وأنا مغم من الغيظ والكدر  
وما مضت أيام حتى غادرت الخرطوم وما زلت سائرا حتى وصلت القاهرة

ذكر ما وقع للمؤلف مع شاهين باشا ناظر الحربية

وفي ثاني يوم وصولي لمصر ذهبت لديوان الحربية لابساً الملابس الرسمية  
حيث قابلت شاهين باشا ناظر الحربية والبحرية المصرية فتمثل لي واقفا ببشاشة  
وطلاقة وجه وبعد تناول القهوة سألني وأمارات الدهشة والاستغراب بإدية على

وجهه أنت حائز لرتبة أمير ألاي فقلت نعم فقال ومن أين قدمت فأجبت من السودان فقال ما اسمك قلت ابراهيم فوزي فقال هل عندك كتب من حاكم السودان قلت كلاً فقال وبماذا نعرفك فقصصت عليه ما كان من امتناع حاكم السودان من اعطائي كتاباً فقال ولاي شيء كان ذلك قلت لا أعلم ثم سألتني عن براءة الرتبة التي أنا حائز لها فأجبتته بأن لدي البراءة من رتبة الملازم ثاني حتى رتبة الامير الاي فقال أود الاطلاع عليها وعند ذلك لم أتمالك كظم غيظي حيث قلت له أظن بأنني مختلس هذه الرتبة فان كان كذلك فان لديك القربى عثمان رفيق باشا الذي كان قائداً عاماً لعساكر السودان فسله عني ينبتك اليقين واذا شئت فان معية الجنب الخديوي تخبرك بما يجعلك في غنى عن توجيه هذه الاسئلة اليّ ثم انصرف عنه وهو يلاطفني ويرجوني أن أقابله في الغد



### مقابلة المغفور له خديو مصر اسماعيل باشا

وبعد انصرافى عن ناظر الحربية ذهب هو الى سراي عابدين العاصرة وتشرف بمقابلة الجنب الخديوى وقص على مسامعه الكريمة حديثي فأمر ناظر الحربية باستدعائى بين يديه فى الغد لمقابلة سموه وفى الغد ذهبت الى ديوان الحربية كما أمرت ولما دخلت على الناظر كان أول خطاب وجهه الى «أنت جئت» كأنه يرتاب فى محيئى ثم قال. بعد ساعتين نتشرف بمقابلة الجنب الخديوى المعظم فظهرت السرور وبعد انقضاء الساعتين ركبت معه عربته ولما مشات بين يدى الخديو قابلني بالبشاشة والاکرام وكان ناظر الحربية قد سبقني الى ذلك وبعد الجلوس سألتني عن اسمي فقلت ابراهيم فوزي الذي قابل

سموكم مع الكولونيل غردون وأنا يومئذ حائز لرتبة الصاغفول اغاسى  
وقد أحسن سموكم على رتبة البكباشى فى غضون تلك المقابلة وقد تنازل  
سموكم بابلاغى ممنونية الكولونيل غردون منى وثناء على بالنسبة لما كان  
منى من الخدم التى أدتها فى فتوحات خط الاستواء وتنازل سموكم أيضا وخاطبني  
بالفاظ التشجيع والوعد بالترقى اذا ظلمت على النهج الذى أوجب ثناء الكولونيل  
غردون على

فالتفت سموه الى ناظر الحرية وقال له لو رأيت الكتب التى وردت  
على من الكولونيل غردون باللغتين العربية والفرنسية بالثناء على هذا  
الرجل لعلات انه مستحق لرتبة الفرع مثلك فاعتذر ناظر الحرية وأمره  
الجناب الحديري بمعاملى اسوة امثالى فانصرفت بمداسداء الشكر للحضرة  
الفخيمة الحديوية وانصرف ممي ناظر الحرية وفى نفسه شىء منى فدعانى  
لركوب عربته للعودة الى نظارة الحرية وبينما نحن سائرون لمحت منه امتعاضاً  
على الكولونيل غردون لانه يكيل الرتب جزافاً فانكرت عليه ذلك وقلت  
له بلفنى انك لما كنت حائزاً لرتبة اميرالاي كنت أصغر سناً منى فقال كلاً  
فاننى لما رقيت الى رتبة اميرالاي كان سنى اثنين وثلاثين عاماً فقلت له وما  
تحسب سنى قال عشرين سنة أو اكثر بقليل فقلت ان عمرى ثلاثون سنة  
وقد نلت الرتب باستحقاق حيث كابدت مشقات وقاسيت صعوبات فى فتح  
بلاد جديدة وانتهى الحديث بيننا بالوصول الى الديوان حيث أمرني بالتردد  
عليه ريثما يجد لى وظيفة تليق بى فكثت متردداً نحو شهرين لم يعرض  
على ناظر الحرية وظيفة تليق أولاً تليق بى

## قدوم الكولونيل غردون مصر واستقالته

وفي أواخر سنة ١٢٩٦ هجرية قدم الكولونيل غردون الى مصر لمقابلة الخديو فتوجهت لزيارته بقصر النزهة بشبرا حيث كان نازلا فيه ضيفاً على الحكومة المصرية فقابلني بفتور وكان معه ضابطان أوردبيان كانا موظفين بخط الاستواء حينما كنت مديراً ولما رأيت منه هذا الفتور استأذنته بالانصراف فخرجت وأنا مصمم على عدم العود الى زيارته وبعد خروجي انكر عليه الضابطان ما قالاني به من الجفاء وكانا قد بارحا خط الاستواء لتبديل الهواء في الباخرة التي سافر عليها الدكتور ينكر وغادرا الخرطوم الى القاهرة فأوروبا قبل ان يقفا على شيء من أمري ثم انهما كانا مائدين من أوروبا ولما رأيتني مع الكولونيل غردون كانا يظنان انني قدمت معه كلمة الاولى والضابطان المذكوران يدعي احدهما الكولونيل (مارنوبك) والثاني الكولونيل (منسون بك) فسألا الكولونيل غردون عن سبب هذا الجفاء فقص عليهما كل شيء من أمري ينكر فاكدا له تزييف كل ماوشى به ينكر وقصا عليه الحقيقة من أولها الى آخرها فلم يقتنع حتى أطلما على مخاطبات من السامح ينكر والدكتور أمين تدل على انهما كان يلحان عليهما ليوافقهما على دسائسهما ووشاياتهما على مايا ترفعاً وأنفة من مثل هذه الدنات وعقيب ذلك ارسل الى الكولونيل غردون وبالنسبة في الاعتذار ورجائي ان اعتقد بان منزلتي لديه صارت أجل وأرفع مما كانت عليه وانه يتأسف كثيراً على ما لحقني من الاهانة فيما مضى فقبلت عذره واكدت حفظ الوداد فكتب في الحال الى نظارة الحرية والى الممية السنية رسالتين يثنى عليّ فيهما ويسألها توظيفي بوظيفة لائقة

ولما وصل كتاب الكولونيل غردون الى الممية السنية أمر الجناز  
الحديوي ناظر الحرية بتوضيحي فاعتذر بعدم وجود وظيفة لأتمة فامر دباحاتي  
على الاستيداع بنصف الراتب الذي هو خمسة وعشرون جنيها  
ولم تمض ثلاثة أيام علي احالي على الاستيداع حتي استدعاني الكولونيل  
غردون وعينني بوظيفة قائد عام لجنود السودان الشرقي فاخذت في الالهبة  
للسفر لمقر وظيفتي

وبينا أنا كذلك اذ بلغني ان الكولونيل غردون قد استقال من وظيفته  
وأقالته الحكومة الحديوية فاسرعت وسألته ان يتوسط لي في قبول الاقالة  
من هذه الوظيفة ففعل وقبلت وساطته وصدر الامر بعودتي الي الاستيداع  
أما الاسباب التي بنيت عليها استقالة الكولونيل غردون فلم أقف على  
شي منها وغاية ما علمته من أخبار الصحف وقتئذ أن الخلاف الذي كان قائما  
بين مصر والحبشة في مسألة تمديد التخوم لم يعمل فيه الكولونيل غردون بما  
كانت تمنح اليه الحكومة احديوية من حسم الخلاف بالطرق الودية وملافة  
الشحناء بالمخابرات السلمية بل كان يود غير ذلك وكانت حالة الحكومة الحديوية  
اذ ذلك في ارتباك داخلية لا يجهلها القارئ وهي التي بدت طلائعها قبل  
استقالة المغفور له الحديو اسماعيل باشا ويقرب من العقل تصديق  
هذه الرواية

وقررت الحكومة منحه عشرين الف جنيه مكافأة له على خدمه التي  
اداءها بالسودان فاعتذر عن قبولها وأظهر شهما اذ قال انني ما خدمت الحكومة  
الحديوية لانال منها مكافأة بل كان قصدي خدمة المدينة وسع النوع البشري  
وغاية ما يمكنني قبوله هو مرتب شهرين باق لي لم أقبضه حتي الآن فدفعت

له الحكومة مراتب الشهرين فوزعه على الخدام والطهارة الذين كانوا يتولون خدمته في قصر النزهة ولم يدخر منه غير نفقة وصوله الي بلاده ثم بارح القاهرة الي الاسكندرية فلوندره



تعيين محمد رؤف باشا حاكما علي السودان

وبعد استقالة غردون باشا عينت الحكومة خلفا له امر محمد رؤف باشا الذي جعل ادارته قاصرة على الغاء أكثر الخاميات اقتصادا للنفقات وأنزل مراتب الموظفين الي النصف ورافقه ضباط مصريون روى لنا واحد منهم هو القائمقام اسكندر بك محمد أنه سمعه يقول لم يحسن الجناب الحدو بتوليته علي عموم السودان لاني أعرف من نفى عدم القدرة علي ادارة شؤون هذه الاقاليم وكان الاحسن أن يمينني مديرا علي اقليجي « بربر ودنقله » فقط وي أيامه ظهر المهدي وكان من أمره ما نأني علي شرحه



ذكر وظائف المؤلف بعد ذلك

وفي أوائل سنة ١٢٩٧ تمين المرحوم عثمان رفقي باشا ناظرا للحربية المصرية فعينني في وظيفة مامور عمليات اقليم الغربية بمرتب خمسين جنيا مصريا في الشهر غير نفقات السفر وبعد انتهاء العمليات عينت مامورا لتعداد النفوس باقليم الجيزة ثم عدت الي الغربية لفرز انفار القرعة ثم انتدبت لتحقيق مسألة دعوي جماعة من الضباط علي دولة البرنس ابراهيم باشا أحمد بأنه غصب منهم نفقش الزنك كون من أعمال الشرقية وبعد مباشرة التحقيق ظهر كذبهم وفساد دعواهم ثم فصل عثمان رفقي باشا من نظارة الحربية وعين خلفا له محمود سامي

(باشا) البارودي وبدت حوادث الرايين

وفي ابان ذلك أرسلت حكمدارية السودان الى المعية السنية تلغرافاً تخبرها  
 باول حادثة جرت لها مع المهدي فامرت الحكومة بمحشد أربعة طواير  
 نصفها من السودانيين والنصف الآخر من المصريين وتاليف الاى منهم  
 لارساله الى السودان وتعيين المؤلف أمير ألاى عليه وبعد حشد الجنود أخذنا  
 في تمرينهم على اطلاق النار بضواحي العباسية ثم بعد ثلاثة شهور أرسلت  
 الحكمدارية تلغرافاً الى المعية السنية تقول فيه إن ميزانيتها لا تتحمل نفقات هذا  
 الألاى وانها انتدبت لقتال المهدي يوسف باشا الشلالى وجعلت تحت إمرته  
 جنوداً نظامية وباشبوزق وأكدت لها قدرته على مقاومة العصاة وإخضاعهم  
 وأنه لا بد أن يقضي القضاء الاخير على دعوة المهدي قبل أن تشب من طوقها.  
 ولما كنت عارفاً بيوسف باشا المذكور التزمت أن أعرف المعية عنه بأنه كان  
 نوتياً ثم صار نخاساً من الذين كانوا يجر الغزال ولم يكن عسكرياً ولا ادارياً قط  
 فلم تلفت لاقوالى وصدرت الاوامر بحل الألاى وكان من أمر يوسف باشا  
 مايجي ذكره في حوادث المهديوية وأضيف طابورا السودانيين الى لواء عبد  
 العال حلمي (باشا) وقتئذ والآخران الى ألوية المصريين ثم عينت بوظيفة  
 باشمعاون نظارة الحربية ومكثت بهذه الوظيفة حتى اطلاق الدونمة الانكليزية  
 القنابل على الاسكندرية ثم عينت أمير ألاى على أعد الايلات التى جندت  
 وقتئذ وهو الألاى الاول من الفرقة الثالثة وكانت اقامة هذا الألاى بشفر  
 رشيد ثم أمرنا بالتوجه الى أبوقير وعسكرنا بها الى ما بعد واقعة التل  
 الكبير



## ذكر ما وقع للمسلمين مع العراقيين

لا أتوخي في هذا المقام شرح حادثة العراقيين بل أبين للقاري ما لحقني من السجن والمحكمة لدخولي في زميرتهم فاقول

لما انهزم عراقي في واقعة التل الكبير وتأثره الانكليز أرسل اليه تلغرافا بابو قير يثنيهم بمجته وانكساره النهائي ولم نلبث أن جاءنا بعد ذلك تلغراف من المغفور له توفيق باشا الحديوي السابق يخبرنا فيه بالقبض على عراقي وزجه في السجن . يامرنا بالوجه الى كفر الدوار وتسليم الاسلحة والذخائر لقائد الجنود الانكليزية هناك فامثلنا وذهبنا الى تلك الجهة فوجدنا بها الجنرال (وود) الذي صار بعد ذلك سردارا للجيش المصري وعند ما أبصرنا أمر جنوده باخذ الاسلحة والحذر فقلدوا الاسلحة ولذلك تركت عساكري وذهبت بنفسي الى مكانهم عند قنطرة المحمودية ومعى فارسان فقابلنا الجنرال (وود) وسألني عن نفسي فقلت له الميرالاي ابراهيم فوزي قائد الأتلاي الاول من الفرقة الثالثة فقال وماذا تقصد الآن فاخبرته بتلغراف الحديوي فقال أنت خاضع له قلت نعم فقال ترجل عن جوادك وسلم سيفك ففعلت فرد الى السيف وأمرني بالعودة الى عسكري لامرهم في وسط صفوف عساكره ونجري تسليم الاسلحة والذخائر عند محطة كفر الدوار وانصرف العساكر الى بلادهم فرجعت الى عساكري وألقيت عليهم التعليمات المذكورة واكدت عليهم بلزوم الادب وقلت لهم في عرض كلامي اذا لم تكونوا شجعانا بوسائل في بداية الحرب فكونوا مؤدبين في نهايتها فاطاع العساكر أو امرى واجتازوا صفوف الجنود الانكليزية بكل هدوء وسكينة وكانت الجنود الانكليزية تؤدي وقت

مرورنا التحية العسكرية حتى جاءنا أحدياوران الجنرال وأمرنا بوضع الاسلحة  
والذخيرة في عربات السكة الحديدية ثم انصرف العساكر الى بلادهم وتلطف  
الياور في سؤالنا تسليم سيوفنا وأسلحتنا الخشوية ورايات الالوية فقلعنا  
وعقيب ذلك ساقونا وجميع الضباط وكانوا نحو مائتي ضابط الى سراي  
الرميل بصفة مسجونين وخفراءنا من الجنود الانكليزية وكانت معاملتهم لنا  
حسنة سيما تقديم الاغذية النظيفة والشاي والقهوة وبعد انقضاء أسبوع جاءنا  
الفريق اسماعيل كامل باشا ومعه ضباط من المعية فاطلقوا صفار الضباط وأبقوا  
كل حائز لرتبة القمقام فما فوقها وبعضا من الحائزين لرتبة البكباشي وأبلغوهم  
جميعا خبر تجريدهم من رتبهم وألقاهم ونياسينهم وأنهم كسائر افراد الاهلين ثم  
ساقونا الى الاسكندرية فدراري رأس التين وبها وجدنا المفنود له الحديد وتوفيق  
باشا واقفا على شرفة مطلة علينا وعلامات الاسف ظاهرة عليه حيث كانت  
الجنود الانكليزية محيطة بنا احاطة السوار بالمعصم



### ذكر السجن المظلم

وبعد وقوفنا تحت الشرفة بسراري رأس التين جاءنا عثمان باشا عمر في  
محافظ الاسكندرية وقادنا الى سجن باب شرق بالاسكندرية وأدخلنا من  
سرداب لايسع اكثر من شخص واحد الى سجن مظلم لانرى فيه نور  
النهار ولا يبصر بعضنا بعضا من شدة الظلام وفي هذا السجن حشرات من  
نوع البراغيث والبق تتسابق على انتزاف دمننا ولشدة تراكم بعضنا على بعض نحس  
بحمل ثقيل فوق جسمنا فاضلا عن الآلام التي نتكبدناها من امتصاصها حيث يستحيل  
معهما أن يزور الكرى اجفاننا . وبتنا تلك الليلة ولا فراش لنا غير الارض التي

تشور منها الحشرات وغطاؤها السقف الذي يطرنا الكثير منها وزد على ذلك الظلم فأننا  
 قضينا تلك الليلة نستغيث ونطلب جرعة ماء فلا نجد لها حتى مطلع الشمس فدخل  
 علينا الخفراء وكانوا ايطاليين لا يعرفون كلمة واحدة من اللغة العربية كما أننا  
 لا نعرف مثلها من لغتهم والمكالمة بيننا بالاشارة والايحاء وبعد مضي ليلتين في هذا  
 العذاب جاءنا خبر قدوم خدامنا حاملين فرشنا واغطينا ولبس ملابس فتناولها  
 الخفراء وألقوها بين ايدينا بغير تمييز فأخذ كل واحد منا يميز فرشه وملابسه  
 وأما الغذاء فان الخفراء حينما يأتيهم الخادم بطعام ويخبرهم باسم سيده يدفعونه  
 لآخر ولسنا نعلم لذلك سببا سوى الاهمال وعدم الاعتناء ولم ندفع ضرر هذه  
 المسألة الا بالاتفاق بيننا على تادية ثمن الاغذية من جيبنا حيث صار المتهد  
 يؤدي لكل واحد غذاءه دون أن يلحقه حيف وبعد خمسة وعشرين يوما  
 غادرنا السجن الى مصر وقد حملنا على عربات العفش ولما وصلنا المحطة وجدنا  
 شرذمة من العساكر المصرية تنتظر قدومنا بها فاحاطت بنا حتى أوصلتنا  
 سجن الضبطية حيث وجدنا به عرابي (باشا) ورفقاءه وكل الذين وقعت عليهم  
 تهمة معاصده ومتقابلت الوجوه ببعضها حتى أقبل بعضنا على بعض نتلاوم  
 متخاذلين كما هو شأن الخذولين وبمد ثلاثة أيام نقلنا الى الدائرة السنية  
 وسجنا فرادي حيث كان خفراؤنا من الجراكسة فانتقموا منا شر انتقام وكانوا  
 يهينوننا بالدفع واللطم والشتائم القبيحة وغير ذلك من انواع سوء المعاملة حتى  
 أنه لم يكن يؤذن للواحد منا بالذهاب الى المراض الا بعد اللتيا والتي ويقفون  
 بالباب ويدعونه للخروج قبل قضاء الحاجة وان لم يبادر بالاجابة يلجئون عليه  
 ويخرجونه مسحوبا على وجهه. وقد اتصل بنا هذه المعاملة السيئة برجال الاحتلال  
 فقاموا وقعدوا وشددوا الكير على الخفراء وحالوا بينهم وبين متابعة هذه

الغنائع والتدبوا واحدا من ضباطهم صار يمر على المسجون كل يوم ويسأل  
المسجونين فردا فردا عن راحتهم ويتولى بنفسه قطع أسباب الشكوى وإذا  
أبلغه مسجون شكوى من أحد الخفراء عاقبة عقابا صارما

وفي غضون ذلك قبض على عدد ليس بقليل من العلماء الازهريين  
بتهمة موالاته العرابيين وسجن كل واحد منا مع واحد منهم وكان حبسي مع  
واحد منهم يسمى الشيخ احمد عبد الغني وكان فاضلا وكنت حسبت انني أجد  
منه أنيسا يسري عني بحديثه الهوم فتقضي معا وقتنا بشيء من التسلية لكنه  
لم يكن ذلك لانه كان يقضي أكثر أوقات الليل والنهار نائما لا يكاد ينتبه  
الالاء فريضة الصلاة أو تناول الطعام فعتبت عليه يوما وطلبت منه أن يقلل  
من نومه فاعتذر بأنه مادام متكدرا فلا يفارقه النوم فتمجبت من هذه العادة  
التي فطره الله عليها وتمنيت أن أكون مثله في هذه الحالة

وكنّا في كل يوم نساق للاستنطاق وكان صاحبي الشيخ احمد عبد الغني  
يدافع عن نفسه دفاعا كانت نتيجه سرعة الافراج عنه فبقيت بعده منفردا  
أعني رفيقا بدله ولو كان نواما مثله آنس برؤيته وأسمع ترديد أنفاسه. وبعد  
ذلك ببضعة أسابيع أفرج عني بالضمانة بعد استيفاء المجلس أسلتي

### مسألة احراق الاسكندرية

وبعد خروجي من السجن أخذت الى الاسكندرية لاستنطائي عن حادثه  
الحريق التي حدثت بها فذهبت اليها وتوجهت الى المجلس الذي شكل به التحقيق  
هذه المسألة تحت رئاسة محمد رؤف باشا حيث ادعى القائم مقام سليمان داود بك  
أن (عرابي) أرسلني اليه يأمره باحراق الاسكندرية فآذنت له في ذلك

وبينت للمجلس الحقيقة وهي أن سليمان داود بك أخرج الاسكندرية  
 من تلقاء نفسه وان عرابي لما بلغه هذا الخبر أرسلني اليه ومعي  
 القائمقام نسيم بك الطوبجي قبل غروب الشمس بساعة وقال لنا قولا له  
 ان هذه المدينة مصرية وفيها نزلاء أجانب وليست انكليزية حتى يجوز  
 لنا احراقها انتقاما من فعل مدرعاتهم باستحكاماتنا وقال ادعوا ليحضر بلوائه  
 الى باب شرق فلما ذهبنا اليه وجدناه واقفا في ساحة المنشية يملأ الطلبة  
 بزيت البترول ويقذفه على المدينة ويأمر عساكره بنهب ما في المنازل ولما  
 أبلغناه الاوامر كان جوابه لنا « اني أرفض سماع هذه الاوامر ولا أفعل  
 غير ما في ارادتي » وختم كلامه بقوله « يرى الحاضر ما لا يرى الغائب » فتركناه  
 وعدنا لعرابي فاخبرناه فاستشاط غيظا وأرسل اليه جماعة من الضباط وأمرهم  
 بنصحه فان لم يرضخ للامر طوعا رضى كرها تخاف العاقبة وترك الاسكندرية  
 ولحق بعرابي في باب شرق فعنفه واكثر من لومه وبعد ان أخذ المجلس أقوالا  
 واجهني به فاعدته في وجهه فانكر فجئنا بالقائمة ام نسيم بك فأيد ما قلته ثم  
 استشهد بضباط آخرين من ضباط لوائه قال انهم سمعوا مني ومن نسيم بك  
 ابلاغه أو امر عرابي بحرق الاسكندرية فجئهم فشهدوا عليه مؤيدين كل  
 أقوالنا ولم يكتب بهؤلاء حتي استشهد بغيرهم فشهدوا عليه لاله وأخيرا حكم  
 عليه بالاعدام شنقا



### تجريد المؤلف من رتبة وألقابه

وعلى أثر ذلك أشخصت من الاسكندرية للقاهرة كما أمرني المجلس وبعد  
 عشرين يوما أتمها فيها صدر أمر عال بالتصديق على بعض الاحكام الصادرة

على الضباط والتعديلات في بعضها فكان نصيبي من هذا الامر التجريد من كل رتبي والثاني ونياشيني التي احرزتها بالمتاعب والمشقات واقتحام الاهیوال في فتوحات خط الاستواء وبید الله كل شیء والیه مصیر كل شیء ولا حول ولا قوة الا به

### تاریخ السودان القديم

أورد في هذا الباب طرفا من تاریخ السودان القديم نقلا عن مصادر یتعذر ایرادها في مثل هذا الكتاب اذ لا یوجد تاریخ لهذه البلاد لما كانت علیہ من البداوة فسكانها الاقدمون زنوج يطلق علیهم اسم (النوبة) وفي القرون الوسطی دخلها أعراب من صعيد مصر واختلطت أنسابهم بالنوبة وقامت منهم دولة عربية اخضعت لسلطانها كل السودان المصری عدا كوردان ودارفور وتدعي هذه الدولة بدولة (النون) نسبة الى مؤسسها وكان مقرها بمدينة سنار التي تبعد عن الخرطوم مسيرة عشر مراحل جهة النهر الازرق وروی لنا شیخ من السودان ان العرب الذين استوطنوا السودان انتشر الجهل بینهم بعد انقراض جيلهم الاول وأصبحوا لا یعرفون من الاسلام غیر الشهادتين فكانت المرأة اذا طلقت في الصباح تزوجت باخر قبل المساء وحكي لنا ان شاعرا ينظم القصائد باللغة العامية دخل علی أحد ملوك الفون فانشدہ قصيدة مدحه فیها وجاء فی آخرها ذكر (طه) صلى الله علیه وسلم فانكر الملك هذا الاسم وسأله مستغفرا أمن الصحابة طه هذا فسكت الشاعر فاعاد علیه السؤال قائلا كيف لا تعرف طه فقال أظنه من سنار الصحابة لانني أعرف الاكابر كلی وعمر وأبی بكر وقس علی ذلك من أمثال هذه الجهالة

وأما مظالم هذه الدولة فحدث عنها ولا حرج فان الملك وسائر قواده وذوى قرابته لهم ان يأخذوا كل بنت حسناء ويتمتعوا بها كوطوءة بملك اليمين ولا يمكن ان يقل عدد المحظيات في بيت الملك عن الالف ومن دونه عن المائتين

وكانت البلاد الواقعة وراء سنار غنية بكثرة معادنها الذهبية ويجبى الى اولئك الملوك من خراجها القناطير المقنطرة فيصنعون منها الخلي التي من بينها شكل على هيئة راس (سفنكس) الذي هو من قدماء المصريين ويسمون هذا الشكل « دجاجة » وكان أهل الطبقة العالية من النساء لا يلبسن نعلاً الا من الذهب ولا يئمن الا على أسرة من التبر

وكانت البلاد منقسمة الى مقاطعات ولكل مقاطعة منها وال يجبى الخراج بغير حد معلوم. وقد حدث في بعض السنين ان الملك صادر كل محصولات البلاد فوقت في مجاعة بلغ فيها ثمن اوقية الذرة مثلاً من الذهب وما حال الحول حتي هلك من الناس ما يربو على ثلاثة ارباع السكان ومن عوائد هؤلاء الملوك ان لا يدخل عليهم أحد وعلى راسه قلنسوة أو عمامة بل يدخل مكشوف الرأس حافي الاقدام حاسراً ملابسه الى ما فوق سرته ويجثو على ركبته ويقول « مانجل » اي ملك الملوك ويردها حتى يأمره الملك بالجلوس فيجلس على الارض جاثياً على ركبته وهذه التحية واجبة على كل أحد للملك وسائر افراد أسرته من ذكر أو انثى

وكان من عوائد بنات الملوك أن يخرجن مكشوفات الوجوه كالافرنج وخلقهن المئات من الجواري بحلى كحلى سيداتهن تحمل كل واحدة على راسها طبقاً من الخوص فيه من ضروب الزينة كالذي عليها وعلى مولاتها ومن

أشهر ملوك هذه الدولة الملك (المجيب بن المانجك) وتسمى هذه الدولة باسم  
الزرقاء لأن ملوكها كانوا يلبسون فلنسوة سوداء لها قرنان طويلان

ثم دالت هذه الدولة بعد أن مضى عليها قرنان وقامت دولة الحمير  
وهم مماليك (القون) ثاروا على مواليهم ونزعوا الملك من أيديهم وكانت دولتهم  
شبيهة بسابقتها إلا أنهم أبطلوا الولاية ومنحوا كل شيخ قرية أو رئيس قبيلة سلطة  
مطلقة يحكم في قريته أو قبيلته بما يشاء بشرط أن يؤدي للملك كل ما يفرضه  
عليه من الخراج في كل عام فاعترف أولئك المشايخ من المظالم والمغارم مالا  
يحصي . ومن أنواع هذه المظالم أن شيخا من مشايخ قرى الجميلين قبض على  
عشرين رجلا من رعاياه بتهمة أنهم سعوا به عند الملك فلما أوقفوا بين يديه  
قال لهم من لم يتمخض منكم كما يتمخض المرأة ويلد بيضة كبيضة الدجاجة ضربت  
عنقه وبعد هنية ضرب اعناقهم بعد أن يتمخضوا ولم يلدوا بيضا

وأمثال هذه الأفعال الوحشية كثيرة يضيق المقام دون إيرادها وآخر  
ملوك هذه الدولة (عدلان بن ادريس) الذي سيأتي ذكره وأنه اسلم سيفه إلى  
الأمير اسماعيل باشا بن محمد علي باشا . وقبل الختام نورد نكتة للملك عدلان  
ابن ادريس وهي أنه كان يد من الحر في نهار رمضان وكانت له وصيفة اسمها (تام  
زينه) فإذا جلس في مجلسه والناس حوله دعاها وسألها أغربت الشمس  
فتجيبه غربت شمسك وشمس رعيتك لم تغرب فيتناول الكأس منها ويشربه  
وقد صدق هذا القول عليه وغربت شمس ملكه والدوام لله

### ضم السودان إلى مصر

قضى ساكن الجنان محمد علي باشا محي الديار المصرية لبائتين من فتح



السودان بل تخلص من ورطتين كبيرتين فقد علمت من شيخ ذى منصب  
معاصر لمحمد على باشا أن دولة أوروبية كانت تسعى لمعارضته باحتلال منابع  
النيل فاهتم لهذا الخبر اكبر اهتمام واستشار كثيرا من المهندسين الاوروبيين  
الذين جاء بهم من بلادهم الى هذا القطر فافقروا بالاجماع على أن وقوع منابع النيل  
تحت برائن هذه الدولة مما لا تحمد مغبته حيث تصير حياة مصر في يدها  
فصمم على انفاذ حملة الى السودان وكانت جنوده من النر غير النظاميين وكان  
يقاسى أهوالا من عدم انقيادهم له فيما كان يتوخاه من انشاء جنود نظامية  
على الطراز الاوروبي فعول على انفاذهم الى مجاهل السودان ليستريح من  
مشاكستهم وهناك احدي الخطتين اما الموت أو الظفر. فان كان الاول  
لا يعدم من جنوده الذين ينظمهم على الشكل الاوروبي عوضاً عن هؤلاء  
وان كان الثاني فيكون قد أمن الخطر التي تهدد حياة بلاده. وظل أولئك  
القاتحون يجنون خيرات البلاد المفتوحة بأيديهم وانطلقت يد العزيز يجند  
كيف يشاء ويدرب الكتائب وينظمها بلا معارض ولا عدول

هذان هما السببان اللذان وجه اعزيمة المغفور له محمد على باشا الى فتح السودان  
فبيأت المقادير له قضاء اللبائتين والتخلص من الورطتين فوفد عليه زعيم  
قرية من قري الجميلين باقليم بربر اسمه (بشير بن عقيد) وقرية اسمها (العقيدة)  
في الضفة الغربية من النيل شمالي قرية (شندي) بنحو عشرين ميلا فاستقبله  
بالاكرام وعرض هذا الزعيم على محمد على باشا انفاذ حملة لفتح السودان وقص  
عليه سبب قدومه وهو ان زعيما يدعى (الملك نمر) وشي به عند الملك فارسل  
اليه يستقدمه فاعتذر فارسل خلفه شرذمة من رجاله وأمرهم بضرب عنقه

عند وقوع بصرهم عليه فقر منهم ولجأ الى مصر فاخذ محمد على باشا في الامة وسير الحملة وجعل قيادتها لابنه الامير اسماعيل فقادرت القاهرة في أواخر عام خمس وثلاثين بعد الالف ومائتين من الهجرة فاجتازت اقليم دنقله من الشمال بدون مقاومة وفي جنوب هذا الاقليم تألفت قبيلة الشايقية وحاربت الجيش المصرى فرجعت مقهورة وسار الجيش الى الجنوب فقابله سكان اقليم (بربر) بالخضوع واجتاز النهر الى جزيرة الخرطوم فاعجب الامير منظر الخرطوم وموقعها بين النيلين وكتب الى والده بما أحرزه من النصر ثم زحف قاصداً (سنار) ولما دنا منها كتب الى الملك عدلان بن ادريس يدعوهُ الى التسليم ويخذره سوء العاقبة فكتب اليه الملك كتابا يقول له فيه «ان مدينة سنار محروسة بالخيول الرومية. وفيها شبان يحبون القتال بكرة وعشية. فلا تغتر بانتصارك على الشايقية. بل تيقن اننا نحن الملوك وهم الرعية.» وما وصل الكتاب الى الامير اسماعيل حتي زحف بخيله ورجله عليه فالتقي الجيشان في وسط غابة «ابى سقرة» ولا سلاح لدى السودانين غير الحراب والسيوف فاصلتهم العساكر المصرية نارا حامية فانهمزموا وتأثر الامير اسماعيل بمن معه المنهزمين حتى دخلوا مدينة سنار فقصد الامير دار الملك فالفاه جالسا في إيوانه فدخل عليه فوقف خاضعا بين يديه وصاحفه وأسلمه سيفه علامة على الطاعة والخضوع وأجلسه على فراشه وجلس على الارض كواحد من الناس وكان يلتفت الى من حوله من اتباعه ويقول لهم «هكذا أراد الله فلا راد لقضائه» وبعد هنيئة قام اليه الامير اسماعيل وادناه منه واجلسه بقربه وحفظ له حرمة ولم يسلبه شيئا غير الامر والنهي وحذا حذو الامير في اكرام هذا البيت كل الذين تولوا الحكم على السودان

## فتح كردفان

وبعد استيلاء المصريين على سنار أنفذ الامير اسماعيل صهره الدفتردار بجيش لفتح كردفان ودار فور وكان فيها قائد من قبل سلطان دارفور يدعي (المقدم مسلم) جمع لقتال المصريين سبعين ألف مقاتل من أهل دارفور فتلقاهم الدفتردار ومن معه بنيران حامية فانهزموا وهم وجلون من فرقة المدافع واكثرهم يظنون أن الله أرسل الرعد والصواعق تحاربهم مع المصريين وأخذوا يكررون الآية (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) واستولى الدفتردار على كوردفان وأخذ في الاهبة للزحف على دارفور فقا جاء نبأ مقتل الامير اسماعيل في (شندي) فمدل عن متابعة الزحف وقصد شندي محل الواقعة وكان ذلك في أواسط سنة ١٢٣٧ هجرية

## مقتل الامير اسماعيل باشا

بعد اتمام فتح مدينة سنار واعلان ضمها لاملاك الحديوية المصرية عاد الامير الى شندي ليجمع المال لنفقة اتمام فتح السودان الغربي فنزل ضيفاً عند زعيم شندي (الملك نمر)

وهنا أبسط للقاريء حقيقة أرى من الواجب عليّ تقريرها فان الاقوال تباينت في ايضاح السبب الذي من أجله قتل الملك نمر الامير اسماعيل باشا. فروي بعضهم ان الامير رأى امرأة هي أخت هذا الزعيم فسأله عنها فقال انها احدي جواري فقال له ممازحاً أطلب منك مائة مثلها فلم يحمل الزعيم هذا القول على المزاح بل ظن ان الامير انما يود التناول لهتك عرضه فأضمر له الشر وفعل مكيدته التي تراها في هذا المقام

على ان هذه الرواية لا تخلو من انتقاد لان المطلع على اخلاق وعوائد  
اعيان السودان يرى انهم من الرفيع الى الوضيع لا يأنفون من تقديم الجوارى  
لاى ضيف ولو وضعوا فضلاً عن حاكم ذى مقام سام كالامير اسماعيل باشا وبذلك  
يمكننى ان اؤكد فساد هذه الرواية وبعدها عن الحقيقة بمبدأ شاسعاً. وهناك  
رواية أخرى اوردتها هنا لانني اعتقد قربها من الحقيقة ان لم تكن هي  
الحقيقة عينها على ان السبب الذي أدى الى هذا الاختلاف هو أن الامير وسائر الذين  
كانوا يرافقونه ذهبوا ضحية تلك المكيدة ولم يفلت منهم أحد ولا ريب ان كل  
رواية عن هذا السبب يرجع اسنادها الى قاتليه ولا ريب أيضاً انهم لا يقولون  
الا ما يبرر فعلتهم ويختلقون اسباباً تمحو عنهم عاراً ارتكبوه بقتل الامير في  
ضيافتهم وليس معه غير نحو عشرين مملوكاً من الجراكسة خدامه الخصوصيين  
أما الرواية التي أشرت الي أنها القريبة من الحقيقة فهي ان (الملك  
نمر) عرض على الامير اسماعيل باشا أموالاً طائلة وسأله أن يبعد عنه (الملك  
بشير بن عقيد) الذي تقدم لنا ذكر وفوده الى مصر ومرافقته الامير  
فيها وقد ذكرنا ان الاسباب التي أدت الى فراره هي احنة بينه وبين  
الملك نمر وانه سعى به الى الملك الذي ارسل في طلبه فقرر من وجه طالبه. وفي  
رواية وان يمكنه من قتله ففضب الامير عليه وانتهره فصمم على اغتيال الامير  
والنمر به قبل ان تأتي رجاله لانه كان يخشى ان يلحقه مكروه من الامير  
بعد ذلك فجمع قدراً كبيراً من البوص حول النرفة التي ينزل فيها الامير  
وفي منتصف الليل أضرم النار فمات الامير من الاختناق بالدخان وفي غداة  
التهار أخرجت جثته وليس بها أثر من النار وجردت من ملابسها وأخذ  
النسوة يهنونها بالضرب والبصق والسحب على الارض وفي آخر النهار

أخذها رجل من التجار وكان الفساد قد دب فيها فطلاها بالصبر وخبأها في  
 بيته وبعد اسبوعين جاءت الاخبار بقرب وصول الدفتردار وأخذ الملك نمر  
 في الالهبة للفرار من وجه الدفتردار الذي قتل من عشيرة الملك نمر ما يربو  
 على عشرين ألف رجل وسببا من الصيادين والنساء ما يزيد على هذا العدد  
 وأرسلهم الى القاهرة ولا تزال ذرارهم موجودة بجمعة (حوش الجاموس) وفي  
 كثير من البيوتات القديمة . وتأثر الدفتردار الملك نمر وقتل من رجاله خلقاً  
 كثيرا وانتهى الامر بالتجاء الملك نمر الى بلاد الحبشة وبقي فيها حتى مات  
 حقيراً ذليلاً

وهبت ثورة من حزب ضد الملك يعرف باسم ( الشفائي ) فقتل عمر  
 ابن الملك نمر واستأمن بقية أولاده الحكومة فأمنتهم وأذنت لهم بالاقامة في  
 جهة الصوفي عند نهر (أثبره) ويقال ان تصدى حزب الشفائي لقتل ابن الملك  
 نمر واضطرار أولاده لفارقة الحبشة والسكنى في بلاد الحكومة كان بدسياسة  
 من حكام السودان ليرتاحوا من مفسادهم لانهم كانوا يوالون الغارة على بلاد  
 الحكومة وينهبون ويسلبون ويمشون في الارض الفساد وبموتهم انقطعت  
 هذه المفساد واستتب الامن وعادت السكينة وانقطعت القلاقل

### شخص محمد علي باشا الى السودان

وعلى أثر المذابح التي أتاها جنود الدفتردار في شندى تمكن الرعب  
 والفرع من قلوب السوداين وعول كثير منهم على الهجرة ومغادرة البلاد  
 التي وقعت تحت سلطة المصريين فشخص المغفور له محمد علي باشا الى السودان  
 ليتدارك الحالة قبل اتساع الحرق وتعذر رقه فسافر على طريق النيل فوصل

الى الخرطوم وتعداها الى ماوراء سنار وعاد بقناطير مقنطرة من التبر وتمكن  
بحكمته من اعادة الامن الى ربوع السودان وبذل ماخالج اشددة السكان من  
الرعب بالامن والاخلاص الى السكينة اهـ

## ولاية السودان

في اوائل سنة ١٢٣٨ هجرية اسندت حكمه لدية السودان الي المرحوم  
عثمان بك فعمل لتسكين خواطر الاهلين واجتهد في تأمينهم واعانهم على  
حرارة اراضيهم ليتسنى لهم الخلاص من مغالب القحط الذي كان فاشيا في  
السودان عامئذ وشرع في تعمير مدينة الخرطوم وجعلها عاصمة  
السودان المصري وكان مركز الحكومة منذ الفتح في مدينة (ولد مدني)  
التي تبعد عن الخرطوم مسيرة أربعة أيام على ضفة النيل الازرق وهي  
ذات هواء جيد بالرغم عن كثرة نزول الامطار بها ولا تزال تلك المدينة  
موطنًا لكثير من المصريين

وفي سنة ١٢٣٩ خلف (موحوبك) عثمان بك في الحكم لدية ولا بد ان  
يلاحظ القاري ان مدة عثمان لم تطل اكثر من سنة مع العلم بأن مدة الذهاب والاياب  
بين مصر والخرطوم تستغرق نصف سنة على الاقل فتكون مدة الإقامة  
ومباشرة الاعمال هو النصف الباقي فنقول له ان أولئك الولاة كانوا على الدوام  
طامعين للاستقلال بالسودان وساكن الجنان محمد علي باشا كان كثير الحذر منهم  
ولذلك كان يبادر بعزل كل من ارتاب في نواياه وقليل منهم من لم تكن نواياه  
غريبة وقد وجه موحوبك همته الى اتمام عمارة الخرطوم فشاد فيها القشلاقات  
لإقامة الجنود وأسس بناء دور الحكومة وغرس الاشجار الظليلة في السبل

تستظل بها السابلة وحفر الآبار في الطرقات المعطشة ليستقي منها ابناء السبيل ولا تزال هذه الآثار باقية ومنسوبة الى (موحوبك) رحمه الله وجزاه الجزاء الحسن

وخلفه خورشيد باشا سنة ١٢٤١ هجرية وكان ذا دين وورع واستقامة شيد المساجد وأحسن الى العلماء وكان يخرج في كل ليلة متكررا يتفقد حال الجنود والرعية وفي ذات يوم خرج على عاتقه آخر الليل فعثر على أمة تصنع رقاقاً من خمير الذرة يسميه السودانيون (القرف) فدخل عليها وسألها عن هذا النوع فاخبرته فطلب منها شيئاً منه فجزته له مع الابن يأكله واستلذه فما زالت تعرض عليه وهو يأكل حتى رأى انه كاد يستنفد ما عندها فامتنع وهم بالانصراف بعد أن - ألما عن مولاها وكان ذلك في شهر رمضان فاستدعاه من الغد ليستسجد له من طعامه فآظمر له مزيد السرور والفرح من هذه الضيافة التي لم يكن يتوقعها وبقي خورشيد باشا حاكماً على السودان مدة اثنتي عشرة سنة أي الى سنة ١٢٥٣ حيث خلفه المرحوم أحمد باشا ابودان فافتتح السودان الشرقي وطارد عصائب اللصوصية من قبائل (البارية) وأسس مدينة (كسلا) وحصنها وكان مشهوراً بالشدة على المفسدين وأهل السودان يطلقون عليه اسم (المنصور) وفي أيامه انقطع دابر الفتن والقتل وأنشئت سبع مديريات في السودان وفي أواخر سنة ١٢٥٧ هجرية عزل أحمد باشا ابودان وخلفه أحمد باشا المنيكلي فسار على سيرة سلفه الا انه اعتنى بتأسيس أطيان تكون ملكاً للحكومة يزرع فيها قصب السكر فنجحت ولكنها أهملت ممن خلقوه وحاول انفاذ كثير من المشروعات الزراعية ومنها زراعة التبلة لكن من الاسف أن أعماله قوبلت بدمم الاكتراث ممن خلفه

لما زولة صناعة المراكب كي يتحصل منها على مال يتزوج به ابنة عم له يدعى  
فاطمة بنت حاج فامتنع أولاً ثم رضخ بعد الالحاح وذهب الى مدينة الخرطوم  
واقترن بها وفي ليلة دخوله اجتمع النسوة والرجال ليرقصوا مختلطين كمادة  
السوادانيين فقام بينهم ومنعهم من الرقص وابان حرمة فأنصرفوا غضاباً منه  
وكان في كل معاملاته يظهر الورع والتقوى والزهد والتقشف وعلى أثر اقترانه  
بابنة عمه انقطع عن العمل فكان أخواه يحرضانه عليه ويستعينان عليه بزوجه  
التي كانت تهجره ليقبل نصحتها ويسير طوعاً ارادتها فلم يكثر بشئ من أقوالها ولم  
يتأثر من هجرها واخيراً جاءت في يوم من الايام وهو يقرأ في المصحف الشريف  
فأمسكته منه وألقته في الأرض فاستشاط غيظاً وطلقة في الحال وخرج من  
منزلها وافتتح مكتباً لتعليم النلمان القرآن الشريف ثم أبطل المكتب ولحق  
بجزيرة (آبا) في البحر الأبيض على مسيرة عشر مراحل من الخرطوم جهة  
الجنوب وكان بها رجل من قبيلته يدعى أحمد شرفي فتزوج ابنته وكان يقوم  
بكل ضرورياته من حرفته التي هي صناعة المراكب الشراعية أيضاً وكان  
أستاذ الشيخ محمد شريف نازلاً بمكان يدعى (المرايع) لا يبعد عن هذه الجزيرة  
الا بضعة أميال

وفي أوائل سنة ١٢٩٥ وقع نفور عظيم بينه وبين أستاذه بسبب انه كان  
يري منه الميل الى دعوي المهديوية وكثيراً ما كان هو يحرضه على دعواها فأصدر  
الأستاذ منشوراً الى أتباعه يلغهم فيه انه عزل محمد أحمد المتمهدي من الخلافة  
وأبعده عن طريقته وذكر فيه عيوبه وطوحوه الى الدعاوي الكاذبة توصلاً الى  
الملك والرئاسة فكبر الأمر على محمد أحمد وكاد مريدوه ينفضون من حوله  
لولا أنه ذهب الى رجل مسن يدعى الشيخ القرشي من تلاميذ الشيخ أحمد



بقصد اخضاعها فلم يفلح في أكثر غزواته وأخيراً رمى بأنه طامح للاستقلال  
 وبقي الى سنة ١٢٨٠ حيث توفي بالخرطوم ودفن بها ويقال ان بعض الموظفين  
 دسوا له السم لما آتسوا منه الرغبة في الاستقلال وهو أول من وضع الضرائب  
 على الاهلين وقسم الخراج الى قسمين. قسم على المقارات. وقسم على الاشخاص  
 اما ضرائب المقارات فكانت مخصوصة بالبلاد الواقعة شمال الخرطوم. واما  
 ضرائب الاشخاص فهي مخصوصة بسائر البلاد السودانية لانهم صالحوه على  
 ذلك وفرض ضريبة سنوية على القبائل الرحالة وتعين بدله عثمان بك نغرى  
 وفي سنة ١٢٨١ عزل وخلفه جعفر باشا صادق وفي ايامه ثار الاسواء  
 الرابع من الجنود السودانية بمدينة (كسلا) وقتلوا ضباطهم ونهبوا المدينة وقتلوا  
 كل ابيض واحتلوا مواقع المدينة من الحصون المحيطة بها واستفحل امرهم  
 فانفذ المغفور له الحديو اسماعيل باشا المرحوم جعفر مظهر باشا ومعه آدم  
 باشا السوداني فتمكنوا من قهر العصاة والقبض عليهم واستئصال شأفتهم  
 واصدر الحديو دستورا بمنع تأليف قوة من الاسلحة الراكبة من السودانيين  
 وان لا يملو فن اطلاق المدافع ( الطوبجية ) وان لا يحتلوا مواقع منيعة  
 وأن لا يرقى منهم ضباط عظام. وبعد معاقبة الثوار عاد جعفر مظهر باشا الى  
 الخرطوم واسند اليه منصب الحكمدارية ورفع كثيرا من المظالم وسمي في  
 نشر العلوم بين الشعب ورفع منزلة العلماء واجرى عليهم المرتبات ولاغرو  
 فالفضل يعرفه من الناس ذوه اذ كان عالماً تقياً ورعاً فارق الخرطوم وعليه  
 دين يربو على الالف جنيه لان راتبه لم يقم بحاجاته لكثرة انفاقه على  
 الفقراء والموزين ومن كرمه الخاتمي أنه كان يدعو لتناول الطعام على مائدته  
 الفاخرة اكثر من مائة شخص جلهم من العلماء في كل غداء وعشاء ولا يزال

السودانيون يذكرون له هذه المبرات ويتبركون بسيرته في اكثر الاوقات وهم  
 مجمعون على ان ايام ولايته كانت غرة في جبهة السودان رحمة الله عليه . وخلفه  
 ممتاز باشا في سنة ١٢٨٨ فارتكب من المظالم شيئاً لم يسبقه اليه احد حيث  
 أحل الظلم لنفسه وحرمه على من دونه وأوعز الى الاهلين أن يطالبوا الحكام  
 والمأمورين بالرشاوى التي تناولوها منهم منذ ضم السودان لمصر ومن امتنع  
 من أولئك الحكام أوقع به البلاء وضربه أكثر من خمسمائة جلدة ولم يمض  
 سوى أيام قليلة حتي اجتمع عنده من المال شيء كثير ثم سافر الي سنار فعاد  
 منها بما يقرب من خمسمائة ألف ريال وفي آخر الامر ظهر سوء عمله فسجن  
 حتي توفي ولم يحسن في شيء مدة توليته غير تعليم الاهلين زراعة القطن  
 وفي مستهل سنة ١٢٩٠ خلفه في وظيفته اسماعيل أيوب باشا فتضاعفت  
 المظالم وتوالت المصائب على السودان وبالرغم عن حنكته في الادارة كان ذا شغف  
 شديد بجمع المال فزادت الضرائب في عهده حتى أصبح من المتعذر احتمالها ومن  
 هاته المظالم تمكن في نفوس الاهلين الجنوح الى الثورة والعصيان  
 وخلف غردون باشا اسماعيل أيوب باشا وقد تقدم لنا ذكره فسعي في إزالة  
 المظالم فلم يفلح لانه كان بسبب جهله باللغة العربية منقاداً الي كاتب أسرارته التهامي  
 بك وكان ظالماً يفوق اسماعيل أيوب باشا بمراحل فكان يقلب الحقائق  
 لغردون باشا ويحسن القبائح وزاد الطين بلة ما جاء به غردون من تحرير  
 الارقاء ومنع الاتجار بهم فان الاهلين عجزوا عن تحمل هذه المصيبة وباتوا  
 آيسين من اصلاح معيشتهم لاسباب كثيرة . منها ان الاتجار بالارقاء معين  
 ثروة كبيرة لهم . ومنها ان أهالي السودان لم يتودوا فلاحه أراضيهم بأيديهم  
 كما ان نساءهم لا يتخذن خدماً يتيمة بأيديهن فسكانت مفاجئتهم بأمر تحرير

الارقاء سيئة المنفعة وكان مما لاريب فيه استياؤهم من هذا الامر وخصوصاً ان القائمين بتحرير الارقاء كانوا أوروبيين ولشدة كراهتهم لهذا الامر حملوه على سوء القصد وظنوه اضطهاداً من المسيحيين للمسلمين وقد سمعت واحداً من المشايخ كان يفهم من حوله أن مسألة تحرير الارقاء لم يكن لها أصل من القوانين بل هي اضطهاد ديني كالذي حل بمسلمي الاندلس فقصدت مراجعته في هذا القول فصمت وتظاهر بعدم المعرفة ولما انصرفت عنه قال لمن حوله وهذا كافر أيضاً

وفي مدة حكم اسماعيل أيوب باشا اختلفت النظمات التي كانت تسير عليها المجالس التي تأسست في سنة ١٢٦٦ وتلاعب بها حيث جعل كل أعضائها من رجال السودان الجهلاء الذين لا يعرفون غير تجارة الصمغ والمنسوجات وعهدت الرئاسة الى رجال لا يفقهون كلمة من الكلمات التي تتركب منها جمل القانون وفي اكثر الاوقات يكونون أميين والقضايا لا يفصل فيها مع طول المدة فيظل الحصان يتناظران بالرشوة حيث يحرم المجلس ويشدد على الخصم في الاستئطاق فيحذو حذو خصمه ويقدم المال فينتلب التشديد على الآخر وهكذا حتى يملأ الاتفاق فيتصالحان

وأما الحكام الاداريون فان أغلبهم من أهل البلاد وهم علة كل خراب وأصل جميع المظالم فقد كانوا يشترى الوظائف بالاموال ولذلك لا يرون بدا من اعتياض ما أنفقوه أضعافاً مضاعفة ولا ريب ان من فوقهم من الحكام لا يصنعون لشكوي من أوائك الظالمين ماداموا قد تناولوا رشوة باهظة منهم

وسألت تصرفات المأمورين الى حد أن المطالب بإداء الضريبة يجوز

ضربه خمسمائة جلدة أو يؤذنى ولو بضعة قروش ويتغنون في طرق التعذيب حتى  
ابتدعوا مسألة (القط) حيث يوثق الرجل كتافاً ويدخل قط في سرويله فضلاً  
عن تناول أولئك الظلمة على أعراض الناس فيقبضون على كل امرأة حسناء  
عجز وليها عن أداء الضريبة ولهذا الأسباب امتلأت قلوب السودانيين بالضغينة  
وباتوا ولا هم لهم غير تدمير ثورة يتيها لهم بها الخلاص من هذا النير فاغتم  
محمد أحمد المتهدي هذه الفرصة وادعى المهدوية فقبل بالتصديق والرضى من  
كل انسان حتى ان بعض المشايخ قال له أعاهدك سواء صدقت في دعواك  
أو كذبت مادمت على عدااء الحكومة وحررها

### ترجمة المتهدي

ولد محمد أحمد المتهدي في جزيرة (الحناق) الواقعة جنوب مدينة (المرضى)  
قاعدة اقليم دنقلة من أبوين دنقلاويين (بربريين) من قبيلة تدعى الحناقبة  
تسكن هذه الجزيرة وكان أبوه يدعى عبد الله بن فحل وصناعته التجارة ينشئ  
السفن الشراعية ويصنع آلات السواقى وكان مولده في سنة ١٢٥٠ هجرية وله أخوان  
يدعيان محمداً وحامداً كانا تجارين كاييهما وأخت اثني تدعى آمنة واسم أمه (جاره)  
وفي هذه السنة أجدبت بلادهم بسبب انخفاض النيل فهاجر أبوه وأخوته وهو  
رضيع لم يبلغ عمره ثلاثة شهور واستوطنوا قرية تدعى (كررى) شمال أم درمان  
بنحو خمسة عشر ميلاً ولم يحل عليه الحول حتى مات أبواه وتركاه يتيماً تحت  
كفالة أخويه اللذين ذكرناهما. ولما بلغ السابعة من عمره كانا يصطحبانه معهما  
ليعلماه صناعة المراكب ففي يوم رأي غلماناً ذاهبين الى الكتائب وبايديهم  
الالواح فرغب في ان يكون منهم فغفاه اخواه وحسننا له صناعة

تستغل بها السابلة وحفر الآبار في الطرقات المعطشة ليستقي منها انشاء السبيل ولا تزال هذه الآثار باقية ومنسوبة الى (موحوبك) رحمه الله وجزاه  
الجزاء الحسن

وخلفه خورشيد باشا سنة ١٢٤١ هجرية وكان ذا دين وورع واستقامة  
شيد المساجد وأحسن الى العلماء وكان يخرج في كل ليلة متنكرا يتفقد حال  
الجنود والرعية وفي ذات يوم خرج على عادته آخر الليل فعثر على أمة تصنع  
رقاقاً من خمير الذرة يسميه السودانيون (القرف) فدخل عليها وسألها عن هذا  
النوع فاخبرته فطلب منها شيئاً منه فجزته له مع الابن يأكله واستلذه فما زالت  
تعرض عليه وهو يأكل حتى رأى انه كاد يستنفد ما عندها فامتنع وهم بالانصراف  
بعد أن - ألما عن مولاها وكان ذلك في شهر رمضان فاستدعاه من الغد ليستسمحه  
من طعامه فظهر له مزيد السرور والفرح من هذه الضيافة التي لم يكن  
يتوقعها وبقي خورشيد باشا حاكماً على السودان مدة اثنتي عشرة سنة أي الى  
سنة ١٢٥٣ حيث خلفه المرحوم أحمد باشا ابودان فافتتح السودان الشرقي  
وطارد عصائب الاوصية من قبائل (البارية) وأسس مدينة (كسلا) وحصنها وكان  
مشهوراً بالشدة على المفسدين وأهل السودان يطلقون عليه اسم (المنصور) وفي  
أيامه انقطع دابر الفتن والقلاقل وأنشئت سبع مديريات في السودان

وفي أواخر سنة ١٢٥٧ هجرية عزل أحمد باشا ابودان وخلفه أحمد باشا المنكيكي  
فسار على سيرة سلفه الا انه اعتنى بتأسيس أطيان تكون ملكاً للحكومة يزرع  
فيها قصب السكر فنجحت ولكنها أهملت ممن خلقوه وحاول انفاذ كثير من  
المشروعات الزراعية ومنها زراعة النيلة لكن من الاسف أن أعماله قوبلت بدم  
الاكتراث ممن خلقه

لمزاولة صناعة المراكب كي يتحصل منها على مال يتزوج به ابنة عم له يدعى فاطمة بنت حاج فامتنع أولاً ثم رضى بعد الالحاح وذهب الى مدينة الخرطوم واقترب بها وفي ليلة دخوله اجتمع النسوة والرجال ليرقصوا مختلطين كعادة السوادانيين فقام بينهم ومنعهم من الرقص وابان حرمة فأنصرفوا غضاباً منه وكان في كل معاملاته يظهر الورع والتقوى والزهد والتقشف وعلى أثر اقترانه بابنة عمه انقطع عن العمل فكان أخواه يحرضانه عليه ويستعينان عليه بزوجه التي كانت تهجره ليقبل نصحتها ويسير طوعاً ارادتها فلم يكثر بشئ من أقوالها ولم يتأثر من هجرها واخيراً جاءته في يوم من الايام وهو يقرأ في المصحف الشريف فأمسكته منه وألقته في الارض فاستشاط غيظاً وطلقها في الحال وخرج من منزلها وافتتح مكتباً لتعليم النلمان القرآن الشريف ثم أبطل المكتب ولحق بجزيرة (آبا) في البحر الأبيض علي مسيرة عشر مراحل من الخرطوم جهة الجنوب وكان بها رجل من قبيلته يدعى أحمد شرفي فتزوج ابنته وكان يقوم بكل ضرورياته من حرفته التي هي صناعة المراكب الشراعية أيضاً وكان أستاذه الشيخ محمد شريف نازلاً بمكان يدعى (المرايع) لا يبعد عن هذه الجزيرة الا بضعة أميال

وفي أوائل سنة ١٢٩٥ وقع نفور عظيم بينه وبين أستاذه بسبب انه كان يري منه الميل الى دعوي المهدوية وكثيراً ما كان هو يحرضه على دعواها فأصدر الأستاذ منشوراً الى أتباعه يبلغهم فيه انه عزل محمد احمد المتمهدي من الخلافة وأبعده عن طريقته وذكر فيه عيوبه وطموحه الى الدعاوي الكاذبة توصلاً الى الملك والرئاسة فكبر الامر علي محمد احمد وكاد مريدوه ينفضون من حوله لولا أنه ذهب الى رجل مسن يدعى الشيخ القرشي من تلاميذ الشيخ احمد

الطيب جد الشيخ محمد شريف فأدخله في سلك الطريقة وجاد له اجازة الخلافة  
وكان الشيخ القرشي هذا بالغاً من العمر نحو تسعين عاماً فاقداً للقوي المميزة  
وؤكدون أنه ذو يد مع المهدى في تدبير الدعوى وأنه مهد له اتحافاً بما أخذ  
يتكلم به عنه من الشهادات الحسنة وأنه يعلم ذلك بطريق الكشف والاطلاع  
على الغيب وأشار عليه بالسياحة في أنحاء السودان لاستطلاع أفكار الناس  
وأخذ المهود عليهم بنصرته وموازرته إذا صدع بدعوته ففعل ووجد من  
قلوب سكان كوردفان المملوءة بكرهية الحكومة ما قوى أمله بالنجاح

### حادثة الغلام بكوردفان

ثم عاد المتهدي من الخلاوين محل إقامة أستاذه الجديد الشيخ القرشي  
إلى محله بحزيرة آبا والخلاوين اسم لقرى عديدة على ضفة النيل الأزرق  
على بعد ست مراحل من الخرطوم جهة الجنوب وسكان هاته القرى يطلق  
عليهم اسم (الخلاوين) وهم عرب تناسلو من قبيلة عربية تسكن في جنوب  
سنار تدعى (جهينة) وسنأتي على ذكر شيء من أخلاق وعادات هذه القبيلة  
بعد اذهي من أكبر أنصار المتهدي ومنها داعيته محمد بن البصير ولنعد إلى ذكر  
المتهدي بعد عودته إلى جزيرة آبافانه. شخص إلى إقليم كوردفان فصادف  
نجاحاً عظيماً من الأهالي الذين عاهدوه على موازرته ونصرته ثم عرج على  
الابيض عاصمة كوردفان فنزل ضيفاً على أحد المشايخ الدافلة

وفي ذات يوم سمع ضوواء الطبول والموسيقىات بمنزل بجوار منزله  
ورأى من الناس الدهشة والاستغراب فسأل عن الأسباب ف قيل له ان فلانا  
النجاس يريد ان يتزوج بغلام اسمه (قرفه) فلم يصدق واخيراً دعي اثنين من

أتباعه وذهبوا الى محل البدعة فوجدوا المدعويين والموائد ممدودة والموسيقى تصدح والدفوف السودانية ( الدلوكة ) تعزف وجرى بشخص يلبس عمامة وطيلسانا كالماء فاجري صيغة العقْد ودخل النحاس بالعلام فامسك المتهدي سيفه وهم بضرب عنق النحاس وكل من قابله من أولئك الفسقة الضالين فامسكه صاحبه وحمله الى منزله فاجتمع معه جماعة من المشايخ وذهبوا الى محل الحكومة يشكون اليها أمر هذه المنكرات فقولوا بالاهانة والازدراء وقال لهم مامور الضبطية ( الدنيا حرية ) فجاءت هذه الحادثة من الاشياء التي يتمسك بها المهدى على فساد وكفر رجال الحكومة فماهده كثير من أعيان ووجوه المدينة بالطاعة لاول اشارة تبدو منه وقفل راجعا الى جزيرة ( آبا ) وبالبحث واجراء التحقيق من رجال الحكومة تحقق ان المسألة العويبة لم يكن لها اثر من الحقيقة



### وفاة الشيخ القرشي وتشيد قبة علي ضريحه

تقدم لنا القول بان الشيخ القرشي من الذين ساعدوا المهدى على دعواه بما نطق به من الشهادات المسندة الى الكشف والاطلاع على المغيبات في حقه وانه هو الذي اشار عليه بالسياحة في البلاد ولدى عودته الى جزيرة آبا وافاده في هذا الشيخ وانه ترك وصية قال فيها « ان زمن ظهور المهدى المنتظر قد حان وان الذي يشيد على ضريحي قبة ويحنتن أولادى هو الامام المهدى المنتظر » فلما سمع المتهدي ذلك طار فرجا وجمع نحو ثلثمائة رجل من أتباعه وذهب معهم الى الخلاوين وشيد القبة من الابن الاخضر وختن أنجال الشيخ القرشي بعد أن أخذ اليهود على كثير من الناس تصديق دعواه قبل أن يصدع بها



## ذكر اجتماع عبد الله التعايشي بالمتهمدي

لا نورد في هذه السطور شيئاً من ترجمته وذلك لأنني بها عند افضاء الخلافة اليه وانما نذكر هنا طرفاً من اجتماعه به نقلاً عن الاستاذ الشيخ محمد شريف نور الدايم قال «في سنة ١٢٩٥ جاءني رجل من البقارة يروم سلوك الطريقة السمانية على يدي فلقنته أورادها ومكث ملازماً لخدمتي واخبرني انه جاء مع والده من بلاد (السكلكة) جنوب مقاطعات دار فورقاصدين الاقطار الحجازية لتأدية فريضة الحج وانهما فقيران لا يملكان غير عجل من انبقر ذللاه بزمام وامتطياه على مألوف عادة أهالي تلك البلاد ولما وصلنا الى بلاد الجمع من تخوم كوردفان الشرقية ات أبوه ولحق به العجل فأقام بمنزلي نحو غامين فكان اكثر كلامه معي قوله انك المهدى المنتظر من ارتاب في ذلك فقد كفر فكنت انهاء عن هذا القول ولا ينتهي وفي ذات يوم قلت له انا لست مهدياً وأبفض شيء الى سماع هذه الكلمة التي لا يسير بها غير تلميذي الذي طرده محمد أحمد وقلت له على سبيل السخرية والازدراء اذا كنت ممن يتوقعون ظهور المهدي فعليك به وفي اليوم التالي سألت عنه فلم أجده وأخيراً علمت أنه لحق بمحمد أحمد المتهمدي وهو في الخلاوين يشيد قبة الشيخ القرشي وانه حينما وقعت عينه عليه خر على الارض مدعياً انه أنعم عليه وبعد حين رفع رأسه فسأله الحاضرون عن سبب اغمائه فقال نظرت أنوار المهدي على وجهه فصعقت من شدة تأثيرها على حواسي ومن ثم صاحبه وعاد معه الى جزيرة آبا وكان الدنقليون أقارب المتهمدي يضطهدونه ويزدرونه وهو يقابلهم بالحلم والصبر حتى أفضت اليه الخلافة فانتقم منهم شر

انتقام» هذه قصة اجتماع عبد الله التماشي بمحمد احمد المتهمدي ومنها يعلم أنه ذودها وحيل ومكر وخداع وسنأتي على ترجمته وبقية أعماله في غير هذا المكان

### دعوة المتهمدي سرا

وبعد عودة المتهمدي من الحلاوين أخذ يدعو الناس للمهدية سرا وبايعه على الطاعة خلق كثير من قبائل الاعراب النازلين حول جزيرة آبا منهم قبيلتا دقيم وكنانة وكان سبب اقبال هاتين القبيلتين على دعوته هو الخليفة (علي بن حلو) الذي لقبه بخليفة الفاروق وكان دقيماً صاحب محمد احمد المتهمدي وكان يستخلفه على محله بجزيرة آبا كلما سافر الى مكان وكان في أول عهده يعلم الصبية القرآن الشريف

وقبيلتا دقيم وكنانة يقال لهم (البقارة) وهذا الاسم يطلق على كل قبيلة ماشيتها من البقر ورجالهم معروفون بالشجاعة وقوة لباس وعاداتهم تقرب من عادات قبائل كوردفان حيث لا تزوج البكر قبل ان يكون لها أولاد من الزنا يعينون أخاها وكل ولد من هذا القبيل يدعى (عينة خاله) ونساؤهم مشهورات بالتربص في السبل وقطع الطرق على المارة لالاخذ المال بل للفسق ومن امتنع من الرجال أمسكوه من مذاكيره حتى تفيض روحه أو يقع مغشياً عليه وقد أبطلت المهدية هذه العادة منهم فذهبت كأن لم تكن

وعاهده كثير من موظفي الحكومة السودانيين على موافاته بالاخبار واجتمع حوله زهاء ثلاثة آلاف رجل من الاعراب وعمال الحكومة لاهون

عنه وانبرى لتكذيبه أناس من نفس اتباعه وصر يديه فأخذوا يبلغون  
 مأمور المركز حقيقة فيردم عنه لانه سوداني من قبائل الاعراب التي دخلت  
 في دعوة وأخيراً رفع أولئك المبلغون الرافض الى الحكماء محمد  
 رؤف باشا الذي أحال النظر فيها على (الطيب بك) مدير فشوده فساfer من  
 مقر وظيفته على باخرة حتى بلغ جزيرة (آبا) فامسك المتهمي وزجه في السجن  
 فقام اتباعه وقدموا للمدير رشوة مائة أردب من القمح وسفينة شراعية تحمل  
 هذه الرشوة فاطلقه وهدد الذين أبلغوا الحكماء وتوعدهم بكل مكروه  
 اذا عادوا الممارضته. وقال المهدي للمدير في غضون التحقيق ان الحضر عليه  
 السلام هو الذي بشرني بالمهدية فقال المدير للمبلغين اتركوا صاحب الحضر  
 وقفل راجعاً الى فشوده والمدير هذا هو الذي ذكرنا انه عين مديراً في أحد  
 أقاليم خط الاستواء بدل المرحوم محمد رؤف بك (باشا)

### ظهور دعوة المهدي

قلنا انه كان يدعو الناس سرّاً الى أوائل سنة ١٢٩٨ ثم كان من أمره  
 مع مدير فشوده ما قوي عزيمته فأرسل الى جميع الذين عاهدوه بالطاعة منشوراً  
 ختمه بخاتم نقش فيه محمد احمد عبد الله قال في طالعته بعد البسلة والحمدلة  
 «جاءني النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ومعه الخلفاء الراشدون  
 والاقطاب والحضر عليه السلام وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم وأجاسني  
 على كرسيه وقال لي أنت المهدي المنتظر ومن شك في مهديتك فقد  
 كفر وان الترك كفار وهم أشد الناس كفراً لانهم ساعون في اطفاء نور  
 الله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وأخبرني صلى الله عليه وسلم

بأن النصر يسير بين يدي أربعين ميلا وأنه صلى الله عليه وسلم يحضر  
بذاته الكريمة امام جيشي ومعه الخلفاء الراشدون وأن الله تعالى أيدني بالاولياء  
والشهداء والصالحين من لدن آدم عليه السلام الى زماننا هذا ومؤمني الجن  
يجهلون ممي ولا يهزم لي جيش وان الله ناصري ومؤيدي على كل من  
حاربي من الثقلين وان أصحابي كأصحابه صلى الله عليه وسلم وعامتهم اكبر  
مقاما في دار الخلد من الشيخ (عبد القادر الجيلي) وختم منشوره بالخص  
على الهجرة اليه ومغادرة الخرطوم للحاق به والجهاد معه وأرسل نسخا  
عديدة من هذا المنشور الى أناس في الخرطوم منهم الشيخ الامين الضير  
رئيس العلماء بالسودان فاطلع عليها الحكمدار محمد رؤف باشا الذي انتدب  
(أبا السعود بك العقاد) أحد معاونيه وأصحبه جماعة من الدنقلين سكان  
الخرطوم وأنفذهم رسلا اليه يدعونه الي الطاعة ويحذرونه الفتنة ويبلغونه  
أوامر الحكمدار بدعوته الى الحضور عنده فذهبوا على الباخرة (الفاشر)  
فلما وصلوا الى جزيرة آبا قابلم كل من فيها بالتكبير على الكفار وكان المهدي  
يتعبد في سرداب في الارض فامتنع من مقابلتهم أولا ثم اذن لهم بلقائه فدخلوا  
عليه والسيوف مسلولة على رأسه فسألوه عن دعواه فاجابهم بما أوردناه  
من منشوره فقال له أبو السعود بك ان الحكمدار يدعوك الى الحضور  
عنده فقال لا أذهب فقال له يا سيدي أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي  
الامر منكم فقبض على سيف كان على فخذه الايسر وكشر أنيابه وقال أنا ولي  
الامر الآن على سائر الانس والجان فاستأذن الرسل وهم الناس بضربهم  
لولا ان شدد عليهم في الكف عنهم وقفوا راجعين الى الخرطوم

## واقعة جزيرة آبا

ولما عاد الرسل الى الخرطوم وقصوا على الحكمدار نتيجة مأموريتهم  
ضمهم علي ارسال قوة عسكرية تقبض عليه فانتدب بلو كين من المشاة المنظمين  
معه مدفع من الطراز الجبلى وعين ضابطين من رتبة الصاغ قول اغاسى (ابراهيم  
افندى علي وعلى افندي عزمي) وسير معهم آبا السعود بك المقاد وقال لكل  
واحد منهم انت قائد الحملة فسافروا على باخرتين في أوائل شهر رمضان  
سنة ١٢٩٧ فوصلوا الى جزيرة آبا قبيل غروب الشمس

هذا ما فعلته الحكومة أما المهدي فان اكثر الناس تفرقوا عنه ولم  
يبق معه غير نحو أربعائة رجل جلهم من الدنقلين أقاربه علي أثر عودة الرسل  
عنه لانهم أيقنوا بان الحكومة لا بد ان تخضعه بالقوة

ولما لقت الباخرتان مراسيهما بالجزيرة هبط الجنود الى الشاطئ وأخذوا  
في الالهبة والاستعداد للزحف على محلة المهدي وكان السير متعذراً عليهم  
بسبب الاحوال الممتعة من الامطار اذ كان الفصل صيفاً فبدأ الضابطان في العمل  
هذا يأمر الجنود والآخر ينكر عليه هذا الامر ويقول له انا الرئيس وأنت المرؤس  
فيحتدم غيظاً ويجاوب زميله بالشم ويقول لا بل انا الرئيس فتعاجبا الى أبي  
السعود بك معاون الحكمدار فكان حكمه أنه الرئيس على كليهما فازداد  
الاشكال عقدةً ومكثوا على هذه الحال الى ما بعد نصف الليل فداهمهم المهدي  
بمن معه من المقاتلة ففتك بهم ولم يفلت منهم غير بضعة اشخاص منهم أبو  
السعود بك وقتل الضابطان وضم المهدي اسلحتهم وذخيرتهم وترامت الاخبار  
في انحاء السودان بنلو كثير فيها واعتقد البسطاء انها من الاعاجيب السماوية

بل من الكرامات التي خص بها. وعاد أبو السعود بك بالباخرتين ووقع  
العرب في قلوب السكان وأيقن الكل ان أولئك الجنود الابرياء ذهبت  
أرواحهم ضحية سوء تصرف الحكمدار وقلة رويته وهجر الخرطوم عدد  
كبير من السودانيين ولحقوا بالضواحي

### حملة علي بك لطفي

ولما وصل أبو السعود بك الي الخرطوم كان نبأ الفتك بالبلوكين قد سبقه  
اليها بالتشرف فارس الحكمدار الي العلماء والاعيان وقص عليهم  
ما ذكرناه من أمر المهدي فأشار عليه الشيخ شاكرا الرئيس مفتي الاستئناف  
بان يتوجه بنفسه الي البواخر الي جزيرة آبا ولا يكل أمر هذه الفتنة انسيده  
فجزره الحكمدار وأغلظ عليه القول. ويروي عن بعض الحاضرين انه قال له  
أريد أن تتحمل امرائي ويفقدني أولادي ثم ان الحكمدار عين القائم مقام علي  
بك لطفي الشهير (بابي كوكه) ومعه بلوكان من المشاة ومدافع وسواريج ليخفر  
جزيرة آبا ويمنع وصول الامداد اليها من ضفتي النيل. وقد يندهش الانسان  
من هذه الاعمال الخرقاء وتدركه الحيرة من عمل الحكمدار هذا. اذ كيف  
يعقل أن باخرتين تقومان بحراسة جزيرة يزيد طولها عن خمسة عشر ميلا وما  
هي الفائدة من هذا الحصر. وأغرب من هذا وذلك أن المتهدي قام بين  
أتباعه وقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يصنع من (الطرود)  
أو (المبج) وهو نوع يشبه الفلين لحفته وطفيانه على الماء شبه مراكب  
يحتاز بها النيل الي الضفة الغربية وان الله سيأخذ على ناصية الترك الكفار فلا  
يستطيعون إيصال الاذي الينا حتى نبلغ مأمننا من الشاطئ الغربي ومن هناك

نتوجه الى دار هجرتنا بجمبال (ماسة وقدير) وهي دار هجرة الانبياء كلهم الى  
 نبينا محمد صلوات الله عليه وعليهم فطير القائمقام على بك لطفى رسالة برقية الى  
 الحكمدار يخبره بما حزم عليه وسأله أن يأذن له بتدمير سفنهم بالقنابل  
 وسط لجة النهر فكان جواب الحكمدار له (اياك أن تعترضهم وقد خابرت  
 محمد سيد باشا مدير كردفان وأمرته بالحملة عليهم براً. وبين كوردفان والمكان  
 الذى يهبط اليه المهدي من الضفة الغربية مسيرة أكثر من عشر مراحل  
 فاجتاز المهدي النهر والجنود تنظروه ولا تستطيع ايصال السوء اليه بخاتم هذه  
 المسألة كرامة ثانية له ولكنها نتيجة عمل الحكمدار ويعتقد كثير من الناس  
 بسبب هذه الحادثة ان الحكمدار مصدق بمهدية محمد أحمد. أما نحن فلانصدق  
 ذلك بل نجزم بصحة ماقاله عن نفسه من عدم القدرة على ادارة بلاد واسعة  
 كالسودان كما أثبتناه فى مبحث توليته على السودان

ولما هبط المهدي الى الشاطئ التف حوله كثير من رجاله دقيم وكنانة  
 وقدموا له الاقوات وبايعوه على الطاعة والجهاد في سبيل الله وهذا نص البيعة  
 « بايعنا الله ورسوله وبايعناك على طاعة الله وأن لا نسرق ولا نزنى ولا نأتى  
 بهتان نفترية ولا نعنصيك فى امر بمعروف ونهى عن منكر بايعناك على زهد  
 الدنيا وتركها وأن لا نفر من الجهاد رغبة فيما عند الله » ويبلغ عدد الذين رافقوه  
 نحو عشرة آلاف مقاتل سلاحهم السيوف والرماح وجلهم فرسان. أما محمد سعيد  
 باشا مدير كوردفان فانه سار بقوة كبيرة ولم يقابل المهدي ولم يقف له على  
 أثر وذلك لان الجبهة التي كان بها المهدي واقعة فى الجنوب الشرقي من الابيض  
 قاعدة كوردفان وتبعد عنها بعشر مراحل ووجهة سير المهدي كانت الى الجنوب  
 الغربى فادراكه اذاً من المستحيلات وغاية الامر ان مدير كوردفان انضم الى

على بك لطفي واتحدا ودخلا جزيرة آبا وقبضا على أناس أبرياء لم يكن لهم  
علاقة مع المهدي ونكلا بهم شر تشكيل وقفلا راجعين هذا الى الخرطوم  
وذاك الى كوردفان وسار الرجل الى قدير وتوغل في وسط الجبال

### ذكر جبل ماسة وقدير

يوجد في الشمال الغربي من فشوده جبل لا يزيد ارتفاعه عن علو جبل  
المقطم وشكله كزاوية مستديرة مع فرجة من جهة الشرق وفي داخل الدائرة  
بركة يجتمع فيها ماء المطر يسمى هذا الجبل بجبل (القدير) ثم حذفت اداة التمرير  
فصار جبل قدير . ولم يكن اسم (ماسة) معروفا لهذا الجبل قبل ظهور دعوة  
المهدية وانما اتفق ان المرحوم الشيخ حسن العدوي من أشهر علماء  
المالكية بالازهر الشريف ذكر في كتابه مشارق الانوار « ان المهدي  
المنتظر ستكون هجرته الى جبال ماسة » فادعي المهدي ان ماسة اسم لجبل  
قدير مع ان كل السكان ينكرون هذا اذ لم يعرف به قبل هذا الوقت وبالنسبة  
لما للشيخ حسن العدوي من الشهرة في بلاد السودان راجت حيلة المهدي  
عند كثير من من البسطاء وعدوها من الآيات الدالة على صدق دعواه  
ويحيط بجبل قدير جبال كثيرة سكانها من السود يطلق عليهم اسم  
(النوبة) وبلادهم خصبة وفيها الماشية من البقر والغنم بكثرة والخنازير وهي  
أحب ما يؤكل اليهم والخنزير الواحد يعدل ثلاثة من البقر وفي هذه البلاد النحل  
بكثرة والعسل يكاد يضارع الماء كثرة ويسكن في سفوح هاتيك الجبال قبائل  
من الاعراب حلفاء للنوبة وبينهم صلات المصاهرة واعراق القرابة وبعض  
الاعراب استوطنوا الجبال وتشبهوا بالنوبة في كل اخلاقهم واطوارهم

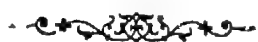


وقبول المهدي في مسيره الى جبل قدير بمقاومات كثيرة أكثرها من النوبة. والاعراب، تذبذبوا بين النوبة والمهدي وانتهي الامر بفوزه على جميع الذين ناهضوه ولما وصل الى جبل قدير أظهر السكان تخوفهم من بقاءه بين ظهرانيهم وحاربوه فظهر عليهم ونزل بجيشه داخل دائرة الجبل وأقام حرسا من أتباعه على الفرجة الشرقية وأخذ يدعو السكان للإسلام لأنهم لا دين لهم والاعراب يزعمون أنهم مسلمون وأكرهم لا يعرف الشهادتين فضلا عن غيرها

## ذكر جبال تقلي

في الشمال الغربي من جبل قدير جبال تبلغ المائة متدانية من بعضها يطلق عليها اسم جبال تقلي وسكانها عنصر يعرف بهذا الاسم متناسلون من قبائل العرب والنوبة ولغة أكثرهم العربية وكلهم يخضعون للملك يدعونه (الملك) وبلادهم خصبة وفيها معادن التبر وقد حاولت الحكومة إخضاعهم فلم تفلح وفي الأيام الأخيرة استمالت ملكهم (ناصر) فسافر الى مصر ليقدم خضوعه للمنفور له اسماعيل باشا خديو مصر فاجتمع قومه وملكوا عليهم ابن اخيه وحالوا بينه وبين العودة الى بلاده فاقطعت الحكومة أرضا بحجة (معتوق) من أعمال الخرطوم فبقى بها حتى أدركه الموت وبقيت هذه المملكة مرتجة الابواب في وجه الحكومة فحاول المهدي إيقاعها في قبضته بحيلة دعوته فلم يفلح حيث تصدى لتكذيبه وأظهار افتراءه على الله ورسوله علماؤها سيما القاضي وحصل اجتماع بين المهدي والملك فسأله الدخول في دعوته فاعتذر من ذلك عملا بنصائح العلماء وسيأتي أن المهدي قتل هذا القاضي وظفر التعايشي بهذه

المملكة وخر بها ثم لم تشعها وعادت كما كانت



### حملة راشد أمين بك علي المهدي

كانت الحكومة عزلت الطيب مدير فشوده الذي ذكرنا قصة اطلاقه المهدي وخلفه في وظيفته المرحوم راشد أمين بك وكان ذلك قبل واقعة (آبا) ببضعة شهور

فلما وصل المهدي الى جبل قدير الذي يبعد عن فشوده بنحو ثمان مراحل جهة الغرب والطريق اليه كثيرة الوعر والغابات قام راشد من تلقاء نفسه وسار بحملة الى جبل قدير ومعه (كيكوم بك) زعيم قبائل (الشلك) فنهض اليه المهدي وفتك بجنوده وكانوا يزيدون عن ثلاث فصائل (بلوكات) وغنم اسلحتهم وذخيرتهم وجاءت هذه المسألة ضغنا على إيالة حيث زادت في قوة المهدي فاصبح لديه من الاسلحة النارية ما يزيد عن الف بندقية من طراز رامنجنون وقتل راشد بك المدير وكيكوم بك زعيم قبائل الشلك

### ذكر من لحق بالمهدي من مشايخ كوردفان

قلنا ان المهدي لقي من سكان إقليم كوردفان لما زارهم ما قوي عزيمته على ادعاء المهدوية وقد أخذ عليهم العهود والمواثيق بنصرته والقيام بدعوته وقت الحاجة. ولما شخص الي (قدير) وترامت أخبار انتصاراته على جنود الحكومة في جزيرة آبا وعلى الذين اعترضوا سيره من سكان الجبال قبل أن يصل جبال قدير ثم كان من أمره الانتصار على حملة راشد بك مدير فشوده رفع أهالي إقليم كوردفان رؤسهم للفتنة وهرع ألوف منهم الى قدير ليبايعوا المهدي

ووفد اليه كل من الشيخ (نواى) زعيم قبيلة الحوازمة التي تسكن بين دارفور وكوردفان وماشية هذه القبيلة من البقر ولذا يطلق عليها اسم (البقارة) وهي كسائر قبائل السودان الغربى في القوة والشجاعة والميل الى الهياج والحروب ووفد عليه (اسماعيل بن الامين دلدوك) زعيم قبيلة (القديات) التي هي كالحوازمة فى الاخلاق والعادات ومع كل واحد منهما ما شافارس من قومه وبايعاه على الطاعة وقال له الشيخ نواى ابايكم على المهديّة وان لم تكن مهديا ابايكم على قتال الحكومة وخلع طاعتها

### واقعة جبل الجرادّة

جبل الجرادّة واقع في الشمال الشرقى من جبل قدير ويبعد عنه بنحو ١٥ ميلا وسكانه خليط من اعراب ونوبيين كانوا قد امتنعوا من مقابلة المهدي والدخول فى دعوته لما احتل جبل قدير وقد اظهروا عداوتهم له وتحفّزوا للوثبة عليه فعاجلهم بعد انهزام راشد بك وزحف عليهم واصلاهم حربا دارت دارتها عليهم واباح اموالهم غنيمة لانصاره ثم صفح عنهم ورد اليهم اموالهم بعد ما اذعنوا له بالطاعة وانتظموا فى سلك اتباعه. ثم تابع غزواته فى سكان الجبال وكثرت عنده الاقوات

### تعيين عبد القادر باشا حلبي حاكما للسودان

وفي ربيع الثانى سنة ١٢٩٩ فصل محمد رؤف باشا من الحكمديرية وخلفه عبد القادر باشا حلبي حيث جمعت له وظيفة لم تكن معروفة قبل وهي اعتبار حاكم السودان كاحد نظار الحكومة الحديوية ويدعى ناظر

وحكمदार عموم السودان

وبعد عشرين ليلة مضت غادر محمد رؤف باشا الخرطوم قاصداً مصر  
وناب عنه في ادارة شؤون الحكمدارية وكيلها ججلر باشا الالماني

### جملة يوسف باشا حسن الشلالي

تقدم لي القول اني كنت بمصر لما أرسلت الحكومة حملة الي المهدي  
تحت قيادة يوسف باشا حسن الشلالي حيث عرفتها حقيقة وأنه رجل نوتي  
جاهل بالفنون العسكرية كجملة بالكتابة والقراءة فلم تلتفت لنصحي بناء  
على الشهادات الحسنة التي شهد هاله وكيل الحكمدارية ججلر باشا وانه تمهد  
للحكومة بالقبض على المهدي فخردت الحكومة ستة آلاف جندي تحت  
قيادته منهم نحو الثلث من الجنود النظامية وضابط برتبة قائمقام واثنان برتبة  
بكباشي واثنان من مشاهير السناجق قواد للجنود غير النظامية (الباشبوزق)  
فشخص من الخرطوم في منتصف جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ هجرية على  
عدة بواخر قاصداً فشوده ومنها الى جبل قدير فلحقه في الطريق عبد الله  
ابن دفع الله ومعه نحو الف مقاتل من متطوعي كوردفان وانضم اليه وتابعوا  
سيرهم حتى فشوده ومن هناك ارسل القائد العام بكتاب الى المهدي يدعوه  
فيه الى الطاعة ويحذره مغبة العصيان وعرض في خطابه بشيء كثير من  
الشتائم التي لا تليق فرد عليه المهدي بكتاب مشهور نقله هنا ليطلع القارئ  
عليه اتما للفائدة وهو بنصه

«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنتقم القهار . والصلاة على سيدنا محمد  
 وآله الاخيار مع السلام . وبعد فن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن السيد

عبد الله الي يوسف حسن الشلالى ومن معه من الجموع وصل الينا كتابك  
وصار معلوما لدينا وقوفكم على الاذار. وعجاءرتكم بالانكار. وكان قصدنا أن  
نضرب عن افادتكم صفحا . ونطوي دون اجابتكم كشعا . ولكن أردنا  
أن نين لكم غلطكم فيما ادعيتموه بالبراهين السواطع. أما قولك إن إرسال  
الطلائع ينافي دعوي المهدي لان علم الغيب ضرورى لها فنقول لك هذا جهل  
منك بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام فانه كان يرسل الطلائع كخليفة  
اليماني وبلال والزبير بن العوام فلم يكن ذلك منافيا لرسالته صلى الله عليه وسلم  
فكيف يكون منافيا لمهديتنا . وقتلنا انا قتلنا جملة من المتوطنين بهذا المكان  
ظلمنا وعدوانا فهذا كذب صريح لاننا لم تقتل الا أهل جبل الجراة بعد أن  
كذبونا وحاربونا وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم بان كل من شك في  
مهديتي كافر ودمه مهدور وماله واولاده غنيمة للمسلمين ولما انقاد من بقى  
منهم لحكمنا رددنا عليهم أموالهم من أيدي اصحابنا مع انها حلال لهم. وقتلنا  
انا قتلنا العساكر غدرا في الوقعتين (آبا وراشد بك ) وهو قول باطل لاننا  
ما بد أناهم بالقتال بل هم الذين بدؤنا بالقتال ولما اجتمعت أرواحهم في الدار  
الآخرة شكوني الى الله عز وجل وقالوا ياربنا إن المهدي قتلنا بنيرانك فقلت  
يا ربي أنذرهم فلم يسمعوا لي واتبعوا ساداتهم وعلماءهم وشهد علي صحة قولي  
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقال ان المهدي أنذرهم فلم تسمعوا له واتبعتهم  
سادتكم وعلماءكم فاضلوكم السبيل وأمرهم فسيقوا الى جهنم. وقتلنا ان هؤلاء  
العساكر ما أرسلتهم الحكومة لحربنا بل ليقتلوا على ما عندنا من الادلة وهو  
باطل ايضا لان الحكومة لو كانت تقصد ذلك لما أرسلت العساكر الاغبياء  
وأعطتهم السلاح النارى بل كانت أرسلت العلماء وأهل الدراية بهذا الشأن

وقولكم قوموا وتجهوا الى مكة المكرمة محل المهدي فقول لكم  
اعلموا ان توجها اليها يكون بامر النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي يختاره  
الله فاني عبد مأمور وقد أجلسني صلى الله عليه وسلم على كرسيه وقال لي أنت  
المهدي المنتظر ومن شك فيك فقد كفر وقال لي ان الترتك كفار وهم أشد  
الناس كفرا لانهم ساعدوني في اطفاء نور الله وياي الله الا ان يتم نوره ولو كره  
الكافرون

وقاموا لطلبوا من الله اظهار كرامته تدل على مهديتكم فاعلموا اننا لانطلب ذلك  
لقوله تعالى «ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر» ومع ذلك قد اظهر الله كرامته لمهديتنا  
حيث وجد اسمنا منقوشا على ورق الاشجار وببيض الدجاج ونحن لانطلب  
من الله اظهار كرامته لمهديتنا بل نقف معه عند حد عبوديتنا فان اظهر لنا  
كرامات كانت بمشيئته وحكمة يعلمها سبحانه وتعالى ونجهلها

وقلم ما تبعنا غير الجهلاء وأراذل البقارة فاعلم ان أتباع الرسل عليهم  
الصلاة والسلام كانوا كذلك وقد قال تعالى حاكيا عن قوم نوح «وما نراك اتبعك  
الا الذين هم أراذلنا» الآية ولا بد ان يجعلك الله ومن معك غنيمة للبقارة  
وقلت لا تغتر باسما عيل الامين ونواي فاعلم انني منصور على كل من  
ناواني من أهل الثقلين وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم بانه يحضر بذاته  
الكريمة أمام جيشي وان عزرائيل ملك الموت عليه السلام يحمل راية سوداء  
أمام جيشي

وقلم انكم امسكنم أربعة رجال من طليعتنا وأرهقتموهم تمديبا فاعلم انهم  
مأجورون على ذلك ولا بد ان يوقعكم الله بأيدينا وتذوقوا العذاب بما صدقتم  
عن سبيل الله

وقالتم ان افندينا ولى النعم امركم بعدم محاربتنا حتي نتعدي الحدود وهذا قول لا يفوه به غير ضعفاء العقول لاننا تعدينا حدودكم وخالقنا مقصودكم من يوم قتلنا عساكركم بأبأ وبعد هذا ليس بيننا وبينكم خطاب غير الحرب والطمعان والسيوف والسنان والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردي ولعنة الله على من كذب وتولي اه

هذا ما كتبه المهدي الى يوسف باشا وقد وقفنا عليه في المجلد الاول من مجموعة منشورات المهدي التي طبعت بالخرطوم بعد سقوطها في قبضة المهدي ولم نقف على صورة الكتاب الذي بعثه له يوسف باشا

وزحف يوسف باشا بمحملته من فشوده في العشر الاخيرة من شهر جمادي الآخرة وانضم اليه جنود من حامية فشوده واحصي المهدي من معه من المقاتلة فكانوا اثني عشر الف مقاتل وزحف بهم للقاء يوسف باشا في الطريق وبات المهدي عند سفح جبل الجراة والحلة تبعد عنه بمسافة عشرة أميال فلما أصبح كتب منشوراً وزعه بين اتباعه يقول فيه

ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بان جميع أصحابي الذين باتوا بسفح جبل الجراة باتت أرواحهم في الجنة ومن دخل الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى (ومام منها بمخرجين )

وفي اليوم التالي زحف على الحلة وكانت قد أحست بزحفه عليها فتحصنت داخل زريبة من الشوك وبدأ الهجوم عليها من جهة الجنود النظامية فتقهقر بخسارة عظيمة وقتل أخوه حامد وجماعة من مشاهير رجاله الذين ساعدوه على دعواه ومنهم الشيخ آدم بن الاعيسر وأصله من بلاد (فلاقة) بالسودان الغربي وكان صهر المهدي علي ابنته زينب وانهزم الدراويش راجعين

الى الجردة ووقع بقلوبهم رعب شديد فاخذ أحمد بن سليمان أمين بيت المال  
بلجام دابة المهدي وحوّله راجعاً الى الجردة فوجم المهدي لشدة ما أصابه من  
الذهول حتى أدركه الخليفة محمد شريف الذي لقبه بخليفة الكرار وسأل احمد  
ابن سليمان الى أين تذهب بالمهدي فقال الى الجردة لنحشد جيشاً آخر نعود  
به الى الحرب فصغفه وأمسك بلجام الدابة وقال للمهدي نذهب ياسيدي  
لنموت وأخذ يكررها ويقول نذهب لنموت والذين كانوا حوله يقولون انه  
كان في ذهول صيره لا يبي شيئاً

ولما اتى محمد شريف ما آتاه انبته المهدي كانه أفاق من سبات  
وأدرك انه اذا رجع الى الجردة مهزوماً وثب عليه سكان الجبال سيما  
أهل الجردة نفسها واغتنموا فرصة ضعفه وقضوا عليه وعلي دعوته القضاء  
الاخير فوطن نفسه على اقتحام المربع ليموت أو ينتصر فتراجع عليه  
المنهزمون وزحف امامهم تحت نار حامية حتى دنوا من الزريبة فنزل  
عن راحلته واستقبل القبلة وصلى ركعتين وما كاد يفرغ من الصلاة حتى رأي  
انصاره اقتحموا المربع ووجلوا في الزريبة وقتل صاحب رايته أبو هداية وكان  
دقلياً من أقاربه وقتل القائد يوسف باشامولياً وكان أراد الفرار بشخصه من جهة  
الشرق راجعاً الى فشوده فلم يتم له وبعد ذلك دخل المهدي الزريبة وأمر برؤس  
يوسف باشا ومشاهير القواد فنصبت حول الزريبة وأقام ثلاثة أيام مشتغلاً  
بجمع الغنائم ثم حاد الى محاته بجبل قدير ونجا نحو مائة جنسدى ولحقوا  
بنشوده فاخبروا بما شاهدوه وقد استنتجنا من أقوالهم ان جيل القائد بالقنون  
العسكرية كان السبب القوي في هلاك الحملة



علي أن يوسف باشا المذكور كان قبل هذه الحملة مديراً لسنار فأحدث فيها من المظالم شيئاً لم يسبقه إليه أحد وثلاث أنه قبض على سكان قريتين وباعهم وأولادهم أرقاء فعزله رؤف باشا وابتعاد في الخرطوم ريثما تتم التحقيقات ويساق إلى المحاكمة وبعد عزل رؤف باشا عهد إليه ججلر باشا وكيل الحكم مديرية قيادة هذه الحملة التيمسية

### ذكر ترتيب جيش المهدي بعد ذلك

ولما ظهر المهدي بحملة يوسف باشا رتب جيشه على ثلاث فرق فالفرقة الأولى مؤلفة من قبائل السودان الغربي ورايتها سوداء وقائدها الخليفة عبد الله التمايشي . والفرقة الثانية رايها خضراء وقائدها الخليفة علي بن محمد حلو وهي مؤلفة من القبائل التي تسكن ضفتي النيل الأبيض والقبائل التي تسكن الجبال التي حول جبل قدير والفرقة الثالثة من قبائل السودان الأوسط أي أقاليم الخرطوم وبربر ودنقله وسنار وجمل قيادتها إلى ابن عمه الخليفة محمد شريف بن حامد الذي لقبه بخليفة السكرار ولقب التمايشي بخليفة الصديق والخليفة علي بخليفة الفاروق وجمل القيادة العامة لآخيه محمد عبد الله ولقبه بأمير جيش المهدي وأسند القضاء بين الناس إلى الشيخ أحمد بن جبارة أفا وأصله ضابط في الجيش المصري القديم سوري الأصل له من الأولاد أكثر من سبعة ذكور لحق بالمهدي أكثرهم وصاروا من أمرائه وخواص دولته وسأني على شيء من سيرتهم بعد ولقبه بقاضي الإسلام وعقد له راية على ذوي قرابته ومواطنيه وجعلها تابعة لفرقة الخليفة محمد شريف وانتدب أحمد ابن سليمان أميناً لبيت المال وهو من قبيلة تدعى ( المحس ) بمديرية دنقله وبالن

في مدحه حتى انه كتب اليه يقول ان انتداب هذه الامانة كان من الله ورسوله وان اسمه مكتوب تحت ساق العرش احمد بن سليمان أمين الله ورسوله ومهديه وكان مقربا لديه لوقوفه على دخائل اسراره وكان المهدي يمنع أهل بيته من الطبخ والحبز مبالغة في الزهد ويمنع ان توقد في بيته نار لهذا الغرض وكان احمد بن سليمان يصنع له في منزله الاطعمة الفاخرة ويهئها له فياً كل منها وكان بعض جهلة الاعراب يظنون ان المهدي يعيش بلاأكل وفي آخر الامر ظهر أمره مع أحمد بن سليمان ظهور الشمس في رابعة النهار وكان يختار له النساء ويبعث بهن اليه وبالجملة فقد كان صاحب سره ومشيريه في كل شيء وسيأتي ذكر قتله في أيام التعالishi وذكر ما افشاء من الاسرار المهمة

### ذكر تحريم الدخان

أصدر المهدي وهو في (قدير) منشوراً قال فيه بحرمة الدخان وتنال في تحريمه حتى قال اذا وقع رجل على أمه في جوف الكعبة كان سخط الله عليه أخف من سخطه على مستعمل الدخان ووضع حداً لمن يستعمله ثمانين جلدة وحبس سبع ليال ولم نعلم لذلك من سبب دهاه الى هذه البدعة ووضع حد على شيء لم يعرف تحريمه قطعا من جهة الشريعة الفراء وقضى مرة على مدخن بمصادرة أمواله وأخري باسترقاقه وبه كإتباع الارقاء. وعقابه على شرب الخمر لا يختلف في شيء عن عقاب مستعملي الدخان. أما القاعدة التي سار عليها التعالishi بمصادرة أموال وسبي ذراري السكيرين والمدخنين على السواء مع عقوبة الجلد

وأعلن المهدي ابطال تقليد الأئمة الاربعة وقال انه مجتهد وأخذ يكتب

المنشورات متضمنة كثيراً من أحكام العبادات والمعاملات وكان يسمى الزمن الذي قبله زمن الجاهلية أو الفترة

( ونقل ) لنا بعض مشايخه انه كان مكبا على مطالعة كتاب إحياء علوم الدين تأليف حجة الاسلام الغزالي وقد أيد ذلك مطابقة بعض مشتملات منشوراته لما في هذا الكتاب. وكتب منشورا يبحث فيه الامراء والقضاة على قطع يد السارق قال فيه مانعه ( تقطع يد السارق وان لم يبلغ ماسرقة نصا بابل أقول لكم اقطعوا يده ولو كان ماسرقة أقل من بيضة دجاجة لا بارك الله في وال تركه ولا في أمير استعان به )

ذكر من محق بالمهدي من اعيان السودان الاوسط  
ما كاد المهدي يصل الى جبل قدير حتى لحق به كثير من اعيان السودان الاوسط وبعدها نايهموه على الطاعة وحرب الحكومة كتب لبعضهم بالولاية على جهات من بلادهم وأمرهم باشهار الحرب وكان من هؤلاء المهدي ابن أبي رؤف زعيم قبيلة ( جهينة ) التي تسكن جنوب سنار وهي قبيلة كبيرة رحالة ماشيتها من الابل ورجالها معروفون بالجن والسكر وغالب أفرادها ذووقامات قصيرة كالاقدام ومن الامثال السائرة في السودان ( ان كل عشرة من جهينة لا يصرعون رجلا واحداً ) فكتب له المهدي عهدا بالامارة على قومه ومحاربة رجال الحكومة وطردهم من بلاده .

ومنهم أحمد بن المكاشفي أذن له ببياعة الناس له ودعوتهم له وسيأتي الكلام على ترجمة أحمد بن المكاشفي . ومنهم الشيخ مضوي المحسي وأصله من قرية ( العيلفون ) القريبة من الخرطوم وكان طالب علم بالازهر الشريف ثم عاد الى

السودان وهجر مسقط رأسه واستوطن في قرية بجنوب سنار ثم لحق بالمهدي منها فكتب اليه عهداً أن يباع له ويجمع سكان القرى حوالى الخرطوم على طاعة المهدي وحرب الحكومة. وغير هؤلاء كثير لم نذكرهم فراراً من التطويل وقد أصدرت الحكومة الاوامر بمعاملة املاك كل الذين لحقوا بالمهدى من الاهلين ولكن الحكام أساءوا التصرف وجعلوا أوامر الحكومة وسيلة لملء جيوبهم بالاموال كما سنبينه في حادثة سنار



### واقعة عامر بن المكاشفي مع سنار

بالقرب من مدينة سنار قرية المكاشفي والد عامر هذا وأحمد الذي ذكرنا نبأ لحاقه بالمهدى ووالدهما المكاشفي كان شيخاً معتمداً وأصله من قبيلة (الكواهلة) التي تسكن حوالى سنار وتعيش بالبان الماشية والزرع ورجالها مشهورون بالكرم والشجاعة وعددهم قليل كما شيتهم وفي أواخر شهر جمادى الاولى علمت المديرية بشخص أحمد بن المكاشفي الى المهدي فارسلت مندوباً لمصادرة أمواله فلم يعثر له على مال فامسك أخاه عامراً وأوسعاه ضرباً وإهانة ولم يطلق سراحه حتى اقتدى منه بالف ريال هي كل ما يملكه من عتار وماشية فبلغ الخبر ناظر القسم محمود سعد الله فاحتدم غيظاً وقال كيف يدفع هذا القدر للمندوب المديرية وأنا ناظر القسم فذهب الى القرية وقبض على عامر وبالغ في ضربه وتعذيبه حتى اجتمع جماعة من صريديه ودفعوا له مائة وخمسين ريالاً ووعدوه بمثلها بعد أسبوع ثم ان عامراً لما رأي ذهاب كل ما يملكه وانه أصبح فقيراً أعزم على مهاجرة دياره واللحاق بالبادية لان له أصدقاء وصريدين فيها من اعراب جهينة فتصدق عليه أناس من أهل القرية

بعض دواب يحمل عليها نساءه وأولاده فخرج من القرية وانتهى الخبر  
الى محمود سعد الله ناظر القسم فاقتني أثره بنحو عشرين راكباً من عبيده فادركه  
عند حى اعراب وأمسكوا نساءه وبناته والحقوا بهن العار على مرأى منه ومن  
سكان الحى وسلبوا ما معهم من الحلى وقطعوا آذانهم وهو موثق كتافاً امامهم  
وسلبوه والنساء الملابس وتركوهن عراة كيوم ولدتهن امهاتهن وانصرفوا بالدواب  
وما عليها وكان عامر لا يفر عن تلاوة الآية (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا  
وان الله على نصرهم لقدير) وما بارح مكانه حتى تألب حوله نحو ألف مقاتل  
فادعى انه وزير المهدي ونسل اليه الناس من كل حذب وبأيوه على  
طاعة المهدي ومحاربة الحكومة وزحف في اليوم التالي على مدينة سنار في  
سنة آلاف مقاتل والتقى في طريقه بمندوب المديرية الذي أخذ منه الالف  
ريال ومعه أحد الصناجق المدعو محمد أغا النمر تلب فقصد الايقاع بهما فقرا  
وأعلم المدير بأمره ولم يكن عالماً بشيء من ذلك فارسل يعلم الحكمدارية على  
جناح البرق فورده عليه الخبر بارسال اثنين من أعيان سنار بكتاب له فانتدب  
محمد عبد القادر الفادى متعهد طلبات أقوات الحامية ومعه آخر من أعيان  
سنار كان جديقاً حميماً عامراً بن المكاشفى وسلمهما المدير كتاباً مملوءاً بالتهديد  
والوعيد واليئس ما قالاه بعد عودتهما وأرسل الى الحكمدارية بالتفراف

لم نبعد عن منازل المدينة أكثر من ميل واحد حتى قبضت علينا طليعة  
العدو واوسعنا ضرباً وانزلتنا عن دوابنا ومزقت ملابسنا وساقنا الى (الديم)  
أى المعسكر والسيوف مسلولة حولنا وأوقفنا بين يدي عامر بن المكاشفى  
فرايناه في حالة جنون ولا يتكلم الا بالآية الشريفة «أذن للذين يقاتلون  
بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» وسيفه موضوع على نغذه اليسر

فقبض عليه وقال لنا ما الذي جاء بكما فقلنا سمعنا بخبرك وجئنا بابيك فقال  
 احسبنا ودنونا منه وبالعناد ولشدة ما صاحبه من الدهول قال لصاحبي ما اسمك  
 مع أن المعرفة شديدة بينهم وكان منذ بضعة أيام ضيفاً بمنزله وبعد هنيئة قلنا له  
 ان المدير اعطانا كتاباً لك فصاح باعلى صوته مزقوا كتاب الكافر فتناوله اتباعه  
 من أيدينا ومزقوه وقال لنا في الغد ادخل المديرية فارجونا ان يكتب لنا اماناً  
 ففعل وأمرنا بالانصراف الى منازلنا فانصرفنا اه وكانت المدينة خلوا من  
 التحصين وليس بها سوى ثكنة يقيم بها نحو مائة جندي ومدفع من الطراز  
 الجلي وفي الغد خرج المدير للقائه خارج المدينة بمائة جندي فانقض عليهم  
 بمن معه وقتلهم ووقف محمد اغا التمر تلب عند المدفع حتى قتل ونجا المدير ووكيله  
 ولحقا بسفينة في البحر ودخل المدينة عامر بن المكاشفي وقصد دار سمود  
 ساعد الله فقتله وانتهب ما فيها ودخل دار المديرية ووقف علي باب الحزاة  
 وكان بها نحو مائتي ألف جنيه وقال اكسروا الاقفال فتقدم اليه رجل من  
 اعيان مديرية المنيا كان منفيّاً هناك اسمه الشيخ مصطفى أبو اسماعيل وقال له  
 انها صارت لك فلا تتلف الاقفال بل اجعل عليها حراساً فاستحسن قوله  
 ووضع عليها حراساً مسلحاً بحربة طويلة وذهب الى سلامك المديرية وبينما  
 هو صاعد عليه فاجأته رصاصة لم يعرف المكان الذي جاءت منه فأصابته  
 احشاءه ووقع مغشياً عليه فاحتمله أصحابه وعادوا به الي معسكرهم وتراجع  
 المهزمون وعاد المدير ورتب الاهالي بكيفية دافعوا بها عن أنفسهم اذ حولوا  
 رؤس المنازل الى متاريس والذي ساعدهم على الدفاع ان عامر بن المكاشفي  
 كان يقول لقومه لا تحاربوا بالبنادق لانها سلاح الكفار ومكث المدويهاجم  
 المدينة ويضيق عليها الحصار ثمانية أيام حتى وصل اليها السر سوارى صالح

الملك بمائة وخمسين جندياً فدخلها بعد حرب خسر فيها العدو نحو ألف نسمة  
وغادر ججلر باشا الخرطوم على باخرتين ومعه السر سوارى عثمان بك الدالي  
والملك يوسف لانتقاد سنار

### واقعة الشريف أحمد طه

بينما كان ججلر باشا سائراً مجتداً لامتداد سنار اذ سمع الصياح من  
الضفة الشرقية فألقت البواخر مراسيها ثم وجد عمال الحكومة فأخبروه برجل  
يدعى (الشريف أحمد بن طه) جمع نحو خمسة آلاف مقاتل وعسكر بهم عند  
أبو حراز وهي منتصف الطريق بين الخرطوم وسنار فأرسل اليه السر سوارى  
الملك يوسف بكتاب يدعو فيه الى الطاعة فقتله وجنوده واتصل بججلر باشا  
ان الالهين متحفزون لخلع طاعة الحكومة فكمث بأبو حراز وأرسل تلغرافاً  
الى القضايف يطلب طابوراً من الجنود النظامية لان الجنود التي بالخرطوم  
قليلون جداً وبقاؤهم بها لحراسة المدينة ضرورى وأنفذ السر سوارى  
عثمان بك الدالي الى نقطة (فداسى) ليمنع الناس من اللحاق بالمعصاة وجاء  
الشيخ عوض الكريم أبو سن زعيم قبيلة الشكرية بنحو ألفين من قبيلته  
ومعه الشيخ محمد الفيل شيخ طريقة المركيين وحاصروا المعصاة ولما وصل  
الطابور الى أبو حراز كان عبيد القادر باشا حلي قد وصل الي بربر فابلق  
الحادثة بالتلغراف فتوجه الى المحطة وأخذ في الاستفهام عن مركز العدو فأخبر  
به فرسم كيفية الهجوم عليه ورتب القوة كأنه يقودها بشخصه وتقدمت  
نحو العدو الذي قابلها ببسالة شديدة فأوقعت به وقتل الشريف أحمد بن طه  
وحملت رأسه الى الخرطوم وتابع ججلر باشا مسيره الى سنار فوجد العدو قد

بعد عنها مسيرة مرحلتين فشرع في تحصينها وخندق عليها وأرسل حملة على العدو فشنت شمله وعاد إلى الخرطوم بعد أن ترك بها حامية تقوم بحراستها ولما اتصل بالمهدي خبر قتل الشريف أحمد بن طه استاء وكتب إلى الشيخ عوض الكويم أبي سن والشيخ حمد النيل كتابا قال فيه ( قتلتموه خذلة للدين ونصرة للكافرين فاعلموا أن ثأره بعد حين ) و قبيلة الشكرية هذه قبيلة كبيرة رحالة تسكن شرق الخرطوم بين النيل الأزرق ونهر اتره وما شيتها من الابل وهي كقبيلة جهينة الا أن رجالها معروفون بالشجاعة وقد بقيت هذه القبيلة على ولاء الحكومة وسيأتي ذكر رؤسائها الذين ماتوا في سجن التعايشي وما آل إليه أمرها من الاضمحلال والقضاء. والشيخ حمد النيل من أسرة تدعى ( المركيين ) واجداده معتقدون في السودان ومعروفون بالصلاح منذ ثلاثة قرون تقريبا وقد صادر المهديون ماله ومات حقيقا ذليلا في اسرهم انتقاما منه حيث ساعد الحكومة في قتل الشريف أحمد بن طه

### ذكر وصول عبد القادر باشا حلبي الخرطوم

قدم عبد القادر باشا حلبي الخرطوم وقلوب السكان مملوءة بالخوف لقلعة الجنود في الخرطوم وخلو المدينة من كل تحصين ووجود كثير من عصابات الاشقياء حول المدينة متحفزين للوثبة عليها طمعا في السلب والنهب وكان السكان يقضون الليل في حراسة انفسهم فوق أعالي المنازل حذرا من أن يأخذهم العدو على غرة كالأخذ سنار

ولما وصل عبد القادر باشا الخرطوم قصد ظاهر المدينة فوجد الميرالاي حسن بك حلبي ومعه نحو خمسمائة جندي وثلاثة مدافع من الطراز الجلي



وقد نصبوا لهم سرادقا وصنوا المدافع في رحبته وليس حرلهم متاريس ولا  
 شيء من معدات الدفاع فسأله ماذا تقصد بهذا العمل فقال الدفاع عن المدينة  
 فضحك عبد القادر باشا وأمر بالسرادق فقوض ورتب عسا الحراسة المدينة  
 وأخذ في جمع عدد من الارقاء وأنشأ ثلاثة طواير منهم وكان يباشر تمرينهم  
 على الحركات العسكرية بنفسه في كل غدو ورواح واختبر كل الضباط الذين  
 كانوا في الخرطوم فلم يجد فيهم كفاءة ولا أهلية لما يشغلونه من الوظائف  
 حتى أن ضباط الطبجية كانوا لا يعرفون اطلاق المدافع الا اذا كانت من النوع  
 الذي يطلق في أيام الاعياد والمواسم

وشرع في تحصين المدينة وخندق عليها ووضع على الابراج الحراس  
 فذهب كل خوف من قلوب السكان وتوطدت السكينة وانتشر الامن  
 حوالي الخرطوم

وكان في حدود الحبشة نحو ستة طواير من الجنود النظامية فاستدعاها  
 للدفاع عن البلاد

### ذكر تدبير مكيدة لقتل المهدي

لما وصل عبد القادر باشا الخرطوم كان المهدي قد تقوت شوكرته  
 في جبل قدير فاتفق عبد القادر باشا مع شخصين من أهالي كوردان مشهورين  
 بالشجاعة والمخاطرة في سبيل احرار المال يدعي أحدهما (عبد الله بن ابراهيم)  
 والآخر (أحمد بن الحسين) ودفع لهما ثلاثة آلاف ريال ووعدهما بثلاثين ألف  
 ريال مجيدي يقبضانها أو ورثتهما على ان يذهبا الى المهدي في جبل قدير ويقتلاه  
 رميا بالرصاص فاذا نجوا من شر الاعداء قبضا المال وان وقعا في أيديهم قبض

المال ورثتها وقد كتب لك بينهما وبين محمد سعيد باشا مدير كوردفان  
 بالنيابة عن عبد القادر باشا الحكمدار وكان ممن حضر هذا التدبير (الياس باشا  
 أم بربر) أحد تجار كوردفان وكان هواه مع المهدي وذهب الرجلان مصريين  
 على انفاذ هذا العزم فارسل الياس باشا راكباً سبقهما بكتاب الي المهدي أوقفه  
 فيه على مادبره عبد القادر باشا لاغتiale فاخذ حذره ولما بلغه قرب وصول  
 الرجلين من معسكره قام بين أصحابه خطيباً وأخبرهم ان النبي صلى الله عليه  
 وسلم أخبره بأمر الرجلين وما اتفقا عليه مع الكفار وأمرهم بلقائهما وإخبارهما  
 بان المهدي عالم بما جاء به فلما فعلوا اندهش ذلك الرجلان ولم يداخلا شك  
 في ان الامر كما هو وان المهدي علمه من هذا الوجه واعتقدا صدق مهديته  
 وألقيا ما بأيديهم من السلاح وقصداه تأئين من ذنبهما وعاهداه على الاخلاص  
 له وبايعاه بيعته المعلومة وصارا من خيرة انصاره واكابر قواد جيشه . والعامه  
 تبلغ في رواية هذه القصة وتزعم أن الرجلين اطلقا الرصاص على المهدي فلم  
 يصبه وخضعا له عند رؤيتهما هذه المعجزة والحقيقة هي التي أوردناها  
 وسيأتي ذكر قتل الياس باشا صبراً في سجن التمايشي

### ذكر حوادث كوردفان

وفي غضون اشتغال الحكومة بأمر الشريف أحمد بن طه وعامر بن  
 المكاشني قام بدعوة المهدي في كوردفان رجل اسمه عبد العزيز بجبة (دارحمر)  
 وكان المهدي أرسله بكتاب الى ابراهيم بن اسماعيل منعم شيخ قبيلة حمر  
 وابنه اسماعيل  
 وقبيلة حمر هذه قبيلة كبيرة تسكن في المنطقة التي بين كوردفان ودارفور

وهي رحالة في أوقات معلومة من السنة وتنزل القري في إبان الزرع واكثر بلادها لاءاء فيها ويتقضون حاجتهم من الطبخ والخبز بماء البطيخ وكل من عطش اكل منه وفي بعض الجهات يخزنون ماء المطر في جوف أشجار عظيمة تسمى ( التبلدى ) وعوائدهم كموائد من ذكرناهم قبل من قبائل كوردفان ويكثر في هذه البلاد ريش النعام لان الاهلين يقتنونه بكثرة في منازلهم ولذا يكثر تردد التجار على بلادهم للحصول على هذا الصنف

ولنرجع الى ذكر عبد العزيز داعية المهدي فنقول انه قوبل بالاجابة والثفت قبيلة حمر حوله وأول عمل أناء انه هجم على البكباشي نظيم أفندي مأمور تحصيل الاموال الاميرية بهذه الجهة على غرة وسلب كل مامعه من هذه الاموال وجرده من كل شيء حتى من ملابسه وقال له اشهد أن الله واحد وان المهدي المنتظر حق ففعل وكان في قلة من الجنود ولم يستطع الدفاع عن نفسه . وكان هذا الداعية جاهلا ابتدع من عندياته مسألة هذه الشهادة وكان يقول ان الشهادة لحمد رسول الله قد ابطلت والغيت

ثم ان البكباشي نظيم جاءه اثنان من شيوخ حمر وحملاه الى بلدة ابو حراز التي تبعد عن الابيض عاصمة كوردفان بنحو أربعين ميلا وهناك جمع جنوده المتفرقة وتحصن بداخل زريبة من الشوك . وعاد عبد العزيز الى جبل قدير حيث استدعاه المهدي ليؤدي ماعنده من الاموال التي انتهبها من نظيم أفندي . ثم عزله وخلقه عبد الله بن النور فنادر جبل قدير ومرّ على نقطة ( فوجة ) بين دار حمر ودارفور فقتل من فيها من الجنود وقتل عمال التلغراف وقطع الاسلاك ثم قصد أبو حراز وناهض البكباشي نظيم أفندي فلم يظفر به وتقهقر من وجهه حتى بلغ الابيض بعد عناء شديد ووقعت بلاد

حر كلها في قبضة المهديّة

وتقدم عبد الله النور الى البلاد الواقعة شرق الابيض وقصد نقطة  
اسحف التي تبعد عن مركز ( باره ) بنحو خمسة عشر ميلا وكان بها الصنم  
محمد آغا ياسين المشهور ( بشبوا ) ومعه النور بك عنقره من نخاسي بحر الغزال  
فداهما عبد الله النور ففر النور بك عنقره وترك امتهته ونسائه وتمهقر محمد آغا  
ياسين بمن معه حتي وصل الى نقطة باره وغنم عبد الله النور طيلاً  
حروباً كبيراً كان غنمه النور عنقره من أحد ملوك دارفور وقت فتح تلك  
البلاد وقد ظل هذا الطبل موجوداً عند المهديين حتى سقطوا أم درمان ،  
والتي عبد الله النور ودراويشه بشرذمة من الجنود المصرية كان اغنمها مدير  
كوردفان تحت قيادة نظم افندي واشتبك معها بحرب اسفرت عن انتصار  
الجنود وهزيمة الدراويش وخسارتهم الفا وخمسة مائة قتيل ثم رأي قائد الحملة  
ان لا فائدة من هذه الحرب مادام الاهلون كلهم مع العدو محاربين الحكومة  
مظهرين عدم طاعتهم لها فصدر الامر لها بالعودة الى الابيض

### واقعة البركة بكوردفان

اجتمع نحو مائة الف مقاتل من قبائل البديرية رئيسها عبد الصمد  
ابن أبي صفية ومن قبيلة حمر وغيرهم في جنوب مكان يدعى ( البركة ) وبينهم  
وبين الابيض مسافة خمسين ميلاً وجعلوا يوالون الفارة على اطراف المدينة  
وينهبون الماشية فارسل لهم محمد سعيد باشا مدير كوردفان حملة تحت  
قيادة البكباشي نظم افندي مؤلفة من طابور من المشاة النظاميين وانغم  
اليها أربعة الوية من الجنود الباشبوزق والمتطوعين المعروفين باسم ( كباين )

أى شركات كما تقدم لنا ذكرها في خط الاستواء وبحر الغزال وسارت  
الحملة فكمن لها المدوق الطابق ليحولوا بينها وبين الماء وناوشوها القتال ثم  
هجموا على أحد جناحيها فولجوا منه واشتغلوا بالنهب والسلب وقبضوا على  
الذخيرة فتمكن القائد من إعادة النظام بين الجنود وسار بهم غير ملتفت الى  
شيء حتى بلغ مكان الماء فخصه واستراح هو وجنوده من وعاء السفر  
وتجمع النصاة حوله فهاجمهم في الغلس وقتل منهم أكثر من أثنى مقاتل واسترد  
كل ما أخذوه منه لدى هجومهم عليه في الطريق

وقتل من قواد الجنود غير النظاميين بشير أغا الازيرق وسيف النصر  
أغا قائد المغاربة ومن قواد المتطوعين واحدا وعادت الحملة الى الأبيض



### ذكر واقعة الطيارة

(الطيارة) مدينة تجارية واقعة على مسافة مائة ميل جنوب الأبيض عاصمة  
كوردفان يقصدها التجار لا بتياع الصنع الذي هو من محصولات البلاد  
الواقعة بين الأبيض والنيل الأبيض وهي قاعدة مركز الطيارة وسكان  
هاته البلاد قبيلتنا (الجمع والجوامع) والاولي يطلق عليها اسم (بقاره) لان  
أكثر ماشيتها من هذا النوع والثانية تنزل القرى وتشتغل بالزرع والضرع  
معاً وكلتاها مشهورتان بالشجاعة والاقدام مثل سائر قبائل كوردفان وعاداتهم  
متشابهة ويكثر من شرب المسكرات والفاحشة شائعة بين نساءهم حتى  
ان الرجل يبصر ابنته وأخته وسائر محارمه يباشرن الفاحشة بلا مبالاة ولا  
استحياء وانما العيب ان تزني المرأة بعد ان تزوج ومن أكبر العار ان تزوج  
قبل ان تلد أكثر من ثلاثة أولاد ذكور تدفعهم لا أكبر اخوتها ليعينوه على

حراثا أرضه أو رعاية ماشيته ومحولاء الاولاد يسمنهم ( عينة خالهم ) كما  
سبق ذلك ولا عيب في ذلك كله عديم وبعد ان تزوج المرأة تحرص على الوفاء  
لزوجها وتنف عن الزنا. وقد أبطل المهديون هذه العادة وأقاموا الحدود  
الشرعية على مرتكبيها فبطل التظاهر بها وان ارتكبت خفية

ودخل هاتان القبيلتان في دعوة المهدي وخلفتا طاعة الحكومة على  
يد رجل يدعي ( المته ) كان يعلم الصبيان القرآن في احدى القرى وكان متظاهراً  
بالصلاح على جهل كثير فكذب اليه المهدي يعده بالخلافة فاجتمع حوله من  
قبيلتي الجمع والجوامعة ما يربو على خمسين ألف مقاتل هجم بهم على مدينة  
الطيارة وكان بها نحو خمسمائة جندي تحت قيادة اليوزباشي محمد افندي شافعي  
ونحو عشرة آلاف من التجار فقتل العساكر كلهم ولم ينج من التجار الا نحو  
عشرين نسمة وبقرطون نحو ألف امرأة حبلى وقتل الاطفال شرقة حيث  
كانوا يقذفونهم في الجو ويتلقونهم بالرماح وأحرق بضائع التجار ولم يسلم  
محل تجاري في كل انحاء السودان من خسارة بالغة في واقعة الطيارة لانها  
المدينة الوحيدة التي يقصدها تجار الصمغ من كل مكان للحصول عليه . وكان  
من الذين نجوا من هذا الخطب رجل من ( شنقيط ) فسأله سائل عما شاهدته  
فقال جاء في الحديث الشريف ما اجتمع ثلاثة من أمتي الا وفي أحدهم الخبير  
وقد رأيت عشرة آلاف من الجمع والجوامعة يجتمعون على قتل صبي وكاهن  
يحرض على قتله ولا يقولون الا شراً . كانهم ليس فيهم ثلاثة من أمة محمد -  
وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان سنة ١٢٩٩ وكانت المديرية ارسات  
مأثتي جندي من الباشبوزق وبلوكا من المشاة النظاميين ومعهم مدفع من  
الطراز الجبلي لتعزير حامية الطيارة وبينما كانت هذه الحملة سائرة في طريقها

اذ وثب عليها رحمة بن نوفل شيخ قبيلة الجرامعة في الفين من قومه فثبت الجنود وانتشبت الحرب ثمان ساعات أسفرت عن هزيمة الجرامعة وانتصار المصريين وقد أمدوا عدداً كبيراً من جيشه وأرسل الشيخ رحمه يستعصر قومه فتألب منهم أكثر من خمسة آلاف وأحاطوا بموقع الحملة وفي الغد بدأوا بالهجوم عليها من الامام والحلف وساعدتهم وعورة المكان وكثرة الانخفاض والارتفاع في أرض تلك الجهة فانقضوا على الجنود وذبحوهم عن بكرة أبيهم وغنموا كل ما معهم من الاسلحة والذخيرة وكانت هذه المذبحة بعد مذبحة الطيارة بليتين ولم تقف المديرية على شيء مما أصاب الطيارة الا بعد هلاك الحملة حيث اتصل بها الخبران معا



### ذكر زحف المهدي من جبل قدير الى الابيض

لما رسخت قدم المهدي في جبل قدير وتغلب على كل الذين ناهضوه اجتمع عليه خلق كثير من الاعراب سكان تلك الجبال وكان ما ذكرناه من أمر انتشار دعوته في اقليم كوردفان عدا الابيض حاصمة الاقليم وبعض المراكز التي تحتلها حاميات الحكومة وكان تجار كوردفان كلهم يكتبونه ويستحثونه على القدوم اليهم وفي مقدمة أولئك التجار (الياس باشا أم برير) وكان شديد الكره للحكومة كثير الميل لجهة المهدي وقد ذكرنا انه اطلعه على خبر المكيدة التي دبرها عبد القادر حلمي باشا لاغتيال حياته

ولما ظفر المهدي بحملة يوسف باشا الشلالى جمع كل ما غنمه من الساعات والاشياء ذات القيمة وأرسلها الى الياس باشا فباعها وأرسلها ثمنها له . واني أرى اتما للفايدة اثبات ترجمة هذا الرجل فاقول . هو من قبيلة الجميلين

التي تسكن اقليم بربر من احدى انفاذا المدعو (النفيباب) سافر الى كوردفان في العهد القريب من فتحها فاثري من التجارة وكان له تداخل مع الحكام وميل منهم له بما يقدمه لهم من الرشا فاطلقوا يده حتي انه كان يقتل وينهب أموال الناس وفي الايام الاخيرة بذل مالا طائلا لاحد الحكام فعيّنه مديراً على اقليم كوردفان فارخي العنان لنفسه وأصاب من الاموال وارتكب من المظالم ما أوجب عزله قبل مضي شهرين على ولايته وقد شق عليه العزل فسمى مجدأ يعود الي المنصب فلم يفلح وفقد وراء هذا السعي جلّ ثروته ولما أدركه اليأس علل نفسه بمساعدة المهدي عساه أن ينال منه ما لم ينله من الحكومة فخاب ظنه وانتقم الله منه بعبد الله التعايشي حيث قتله صبراً ونفى أولاده وقتلهم مثله (ومن أعان ظالماً سلط عليه)

وكان بين الياس باشا وبين احمد بك دفع الله من تمجار كوردفان عداوة شديدة لانه يشاطره النفوذ وأحمد بك من قبيلة الجعليين أيضاً وكان شديد الولاء للحكومة وسيأتي ذكر قتله مع مدير كوردفان وكان ذا شهامة وشجاعة رحمه الله يحض الحكومة النصيح ويحذرهما من الياس باشا فكانت تقابل أقواله بعدم الاصغاء نظراً لما اشتهر بينهما من العداوة

ولما أحس عبد القادر باشا بنوايا المهدي عن كوردفان أخذ يطلب من الحكومة الامداد لحشد جيش جرار في كوردفان يستطيع مقاومة المهدي واتحاد الثورة التي عمت البلاد وكانت الحكومة اذ ذاك واقعة في الفتنة العراقية ومن جهة أخرى في الازمة المالية المعروفة في ذلك العهد فلم تجبه ولكنه مع ذلك لم يترك حيلة بل جند كثيراً من الصناجق الباشوزق وسيرهم الى كوردفان وبعث بطابور من الجنود النظامية سيأتي خبر الفتك به في الطريق



قبل بلوغه الابيض واجتمع تجار كوردفان بايماز الياس ورفعوا عريضة الى عبد القادر باشا يسألونه عزل محمد سعيد باشا مدير كوردفان وتولية الياس باشا بدله وكان قصدهم من ذلك أن يسلم المديرية الى المهدي بغير مقاومة متي صار الأمر الناهي عليها فادرك عبد القادر باشا الحيلة واجاب طلبهم وعزل محمد سعيد باشا وولي بدله على بك شريف وكيل المديرية وبعد بضعة ايام اعاد محمد سعيد باشا لانه كان لايري في على بك شريف كفاءة عسكرية لمقاومة تيار المهدي

ولما وطن المهدي عزمه على الزحف ارسل دعاة كثيرين حوالى الخرطوم ليشغلوا عبد القادر باشا عن امداد كوردفان وقد أفلحت سياسته حيث اشتعلت نيران الحروب واضطر عبد القادر باشا الى العدول عن الاهتمام بامر كوردفان وانقطع ارسال المدد اليها وماتم له الانتصار على أولئك الدعاة الا بعد أن تم للمهدي الاستيلاء على عاصمة كوردفان والقضاء الاخير على سلطة الحكومة فيها وسيأتي تفصيل ذلك على حدة

نعود الى المهدي فنقول انه ترك انقاله ونساءه في جبل قديرو وكل حراستهم الى عمه السيد محمود بن عبد القادر

على ان المهدي لم يكن واثقاً بالغلبة على كوردفان لقربها من الخرطوم وكانت عزمته متجهة الى الزحف على دارفور واخضاعها حيث يتخطاها الى جهات السودان الغربي كمالك بورقو وبورنو وأبو ريشه وغيرها من تلك الجهات وبالتعمل كانت دعوته قد بلغت ديار (فلاته) من نواحي (تمبكتو) ولكن الياس أم بربر كان يقلقه بكثرة الحاحه عليه بالتقدم الى كوردفان ويوقفه على مافيه الحكومة المصرية من الفوضى بسبب الفتنة العرابية فتقدم نحو كوردفان

وترك أثقاله بجبل قدير ليعود مخفياً إذا قدرت له الهزيمة والقشل

## ذكر وصول المهدي الي كابه

(كابه) منهل جنوب البحر الابيض بمسافة عشرة أميال وماؤه من الامطار  
تجتمع في مكان منخفض ويقصده الاعراب لسقي ماشيتهم وهو أقرب منهل  
الى الابيض في طريق المهدي وقد استقبله فيها خلق كثير من أهالي كوردقان  
ومعه من المقاتلة مائتا ألف أوزيدون منهم نحو ثلاثين ألف فارس وما كاد يصل  
الي كابه حتى بعث رسولين بكتاب الي محمد سعيد باشا مدير كوردقان ومن معه  
من ضباط الحامية وجميع سكان الابيض يدعوهم فيه الي التسليم ويحذرهم من  
بطشه وفي ذلك الكتاب ما في غيره من الدعاوى التي ينتحلها لنفسه ككفر من لم  
يصدق بمهديته وغير ذلك مما تقدم لنا ذكره وكنتمش اسمه على ورق الاشجار  
وبيض الدجاج فدخل الرسولان علي محمد سعيد باشا ودفعوا اليه الكتاب وجلسا  
بجانبه بغير اذن وأخذوا يسبانه ويتوعدانه بكل مكروه حتى قالوا له ان خيل  
المهدي لا بد أن تطأ موضع قدميك وتروث على بساطك هذا. وما وقفت  
سفاهة ذينك الرسولين عند هذا الحد بل تناولوا شخص الجناب الحديوي  
فاستدعى المدير كل الضباط ووجوه السكان وقرأ عليهم كتاب المهدي  
فكان جواب الضباط انا لانسلم لهذا الشقي وفيما قطرة دم ووقف احمد بك  
دفع الله التاجر الذي تقدم لنا ذكره وقال كما قال الضباط وزاد عليهم انه أقسم  
بالوفاء. أما الياس باشا أم برير وسائر التجار فانهم سكتوا ولم يفوهوا بكلمة  
والرسولان مسترسلان في ميدان السفاهة والشتائم مما هيح غضب الضباط  
الذين ألحوا على المدير بقتلها فأمر قومندان الجنود اسكندر بك محمد بقتلها

رمياً بالرصاص فقبل وأخذ المدير في اتمام حفر الخندق واعداد ما يلزم من  
 المعاول والطوابي ومعدات الدفاع . ومكث المهدي أياماً ينتظر عودة رسوله  
 ثم علم بقتلها فأرسل ألف فارس تفرقوا في أطراف المدينة يرفعون أصواتهم  
 بدعوة الناس الى اللحاق بالمهدي في كابه فخرج اليهم محمد بن العريق من  
 التجار وكان رئيس المجلس الهلي واشتغل المدير بأعمال الدفاع

### ذكر استحكام الأبيض

مدينة الأبيض كبيرة وسكانها يزيدون عن مائة ألف نسمة وكانت  
 الحكومة خندقت عليها ولكن رأى محمد سعيد باشا ان هذا الخندق لا يقوم  
 بحراسته أقل من ستين ألف جندي وبداخل هذا الخندق آخر محيط  
 بالاماكن الاميرية ومنازل للضباط وأعيان المصريين وقد أعدت الحكومة  
 منازل لالياس باشا وغيره من التجار داخل الخندق الصغير وشدت عليهم  
 في نقل أمتعتهم الى المنازل التي أعدت لهم فقرروا ولحقوا بالمهدي في كابه عدا  
 أحمد بك دفع الله و ابراهيم بن عدلان وهاهي أسماء أولئك التجار الذين كانوا  
 سبياً في اغارة المهدي على كوردقان بل كانوا السبب في شقاء السودان كله  
 وسفك دماء مئات الالوف من البشر لان المهدي كما قدمنا كان لا يتنى غير  
 طريق الى السودان الغربي وقد انتقم منهم كما انتقم من الياس باشا وسيأتي  
 ذكر ذلك في مكانه وهم ( الياس باشا أم بربر . محمد بن بن العريق . الحاج  
 بن النقا ) ولحق بهم من مستخدمي الحكومة ( الرتيح حامد ) باشكا تب المجلس  
 المحلي ومن قواد الباشبوزق ( طه بن الجملي ) و ( ابن تاي الله ) و ( ابن الحسين )

## ذكر هجوم المهدي علي الأبيض

لما لحق الياس باشا ومن معه من التجار بالمهدي في كابه حرضوه على الهجوم على المدينة فامر أخاه محمد بن عبد الله قائد جيشه ان يزحف بالجيش بعد منتصف ليلة الجمعة لست ليال بقين من شهر شوال عام ١٢٩٩ هـ جريه وأن يتبدى بالمجوم في الغلس وخطب المهدي على الناس وحشهم علي الجهاد وقال لهم ان نيران البنادق لا تصيبكم وانها تتحول ماء كما تحولت نار الخليل برداً وسلاماً فزحفوا واستاقوا غزلاًن القفلة وغيرها من الحيوانات امامهم وفي الغلس بدأ هجومهم فوقف لهم الجند وقفة الاسود وأصلوهم نيراناً حامية حتى انتصف النهار وتكاثف الدراويش على الخندق مما يلى الجبه خانات فوجوا وتمتقر الجنود بانتظام وحالوا بينهم وبينها ثم عادوا الى مواقعهم الاولى من الخندق بعد ان قتل كل الذين ولجوا الخندق وفي منتصف النهار تمت الهزيمة على العدو وخسر اثني عشر ألف قتيل عدا المخرجين حيث كانوا يبلغون ثلاثة أضعاف هذا العدد وسقط محمد بن عبد الله شقيق المهدي وقائد جيشه قتيلين وقتل يوسف شقيق عبد الله التمايشي وقتل قاضي المهدي أحمد بن جباره وقتل الشيخ الامين أحد مؤسسي دعوة المهدي وانفض الاصراب من حول المهدي وارتابوا في صدقه بعد اخباره لهم ان نيران البنادق تتحول ماءً ولحقوا بديارهم ولم يعودوا الي معسكر المهدي بكابه . وقد وقعت هذه الهزيمة اسوأ موقع عنده ولم يبق حوله غير نفر قليل من ذوي قرابته والذين لحقوا به من مدينة الأبيض فصمم علي العودة الي جبل قدير أو الا اعتصام بجبال دارفور وأوديتها السحيقة فأشار عليه الياس باشا بالدنو من الأبيض ومحاصرتها

لأنها في حاجة عظيمة الى القوات وأوعز اليه بان يكتب منشوراً الى جميع  
العارين يخبرهم بان الذين ماتوا احياء في الجنة وسيلقاهم أهلوم فيها وان النبي  
صلى الله عليه وسلم وعده ان لا يقع لانصاره مكروه حتى يفتح الله عليهم  
المدينة وانه قد اباح لهم الفتيمة يأخذونها دون بيت المال فتراجع كثير من  
المنهزمين فزحف في اليوم الثالث وعسكر في جهة (عد العود) التي تبعد  
عن حصون المدينة بنحو خمسة آلاف متر وأقام المتاريس حول المدينة وضيق  
عليها الحصار وسنعود الى تمة ذلك

### حملة علي بك لطفي

في شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٩ انفذ عبد القادر باشا حلمى طابوراً من  
الجنود النظامية تحت قيادة القائمقام على بك لطفي لتعزيز حامية كردفان  
حيث انتهت اليه أنباء تقدم المهدي نحوها وكان مع الطابور نحو الفين من  
الجنود الباشبوزق تحت قيادة افراد من عمد القرى المجاورة للمدينة وقصد  
عبد القادر باشا من تجنيد الباشبوزق ان يكونوا على الدوام في طليعة الجنود  
يستكشفون العدو وينهبون الحملة على كل كمين في طريقها ولولا ذلك لم تكن  
فائدة لاؤلك الجنود الذين يجاهلون النظامات العسكرية وفي كثير من الوقائع  
كانوا السبب الاعظم في فشل الجنود بما ياتونه من الحركات التي لا تنطبق  
على الفنون العسكرية وما كادت الحملة تبلغ حدود كردفان حتى تألب  
لمناوئها قبائل الجمع والجوامع فاضطرت الى تشكيل قلعة تدافع بها المهاجمين  
وهي سائرة في الطريق التي يكثر فيه الماء وهو منحرف لجهة الشمال وينتهي سيره  
عند نقطة (باره) وبعد بضعة أيام وصلت الحملة الى مكان يقرب من باره يدعي (كوا)

والجنود على آخر رمق فقد دواء به الصبر لانهم لم يذوقوا النوم والراحة منذ وصلوا  
حدود كوردان وهجمات العدو متوالية عليهم الى انهار وكان العدو قد تجمع منه  
زهاء ثلاثين الف مقاتل ووشروا على الحملة وبالرغم مما ابدته الجنود من الصبر تمكن  
العدو من الولوج في المربع وقتل القائد والجنود كاهم الاكوكبة تزيد على المائة  
قادها انيوزباشى السيد أفندي الفوال وتمكن بها من الوصول الى باره وكان لعبد  
القادر باشا عيون يسرون خلف الحملة وهم الذين ابلغوه خبر القضاء عليها حيث  
اذاع عكسه تسكيننا لالخواطر وتطمينا لسكان الخرطوم

### سقوط باره

باره مدينة كبيرة في الشمال الشرقى من الابيض تبعد عنها بمسيرة  
أربع مراحل وفيها بساتين كثيرة بسبب وفرة مياهها وقربها اذ البئر لا يتجاوز  
عمقها مترين وأكثر سكانها من المصريين والأتراك ويوجد بها من  
الدنقلين عدد كبير

ولما قامت ثورة المهديين حصنتها الحكومة ووضعت فيها حامية فاغار  
العدو عليها عدة غارات ورجع مقهوراً منها ولما ثبتت قدم المهدي في محاصرة  
الابيض سقطت باره في قبضته علي شرط ان لا يمس الاهلين بسوء في أموالهم  
وذراريهم ولم يوف لهم بل تناول امراؤه الاموال ومدوا أيديهم الى النساء  
فذهبوا اليه وهو يومئذ محاصر للابيض متظلمين فاحال ظلامتهم على عبد  
الله التمايشي فجمعهم وقال لهم ان الخضر عليه السلام قال له لا ترد اليهم ما أخذ  
منهم لانهم يخشون الآخرة ويمودون الى ما كانوا فيه من شرب الخمر وأغلظ  
عليهم القول وتوعدهم ان عادوا الى التظلم وكان المهدي أصدر منشوراً ضمنه

الثناء على عبد الله التعايشي وقال فيه انه أوتي الحكمة وفصل الخطاب وان  
 الحضر عليه السلام رفيقه ووزيره ومن رأى في حكمه اعوجاجا ظاهرا ففي  
 باطنه من الحكمة كالتى فى قصة موسى عليه السلام مع الحضر وكان الذى  
 أشار على المهدي بكتابة هذا المنشور أحمد بن سليمان أمين بيت المال تمهيدا  
 لحكمه على أهالى بابه والمنشور فيه اختلاف بين نسخه والنسخة التى بيد أمين  
 بيت المال تخالف التى بيد التعايشي وهى التى طبعت فى مجلد المنشورات  
 ويقول أمين بيت المال ان عبد الله التعايشي هو الذى أوعز الى كاتب سره  
 فوزى بن محمود باريه باحداث الزيادة وسيأتي ذكر قتل فوزى وأمين بيت  
 المال وانهما اقرا بالحقيقة عند القتل اه

### ذكر كنيسة جبل الدين

كان جماعة من القسوس الكاثوليك شخصوا الى كوردفان وشادوا بها  
 كنائس وتوغلوا فى بلاد المتوحشين وجباهم يدعون القبائل الى النصرانية  
 وبنا كنيسة فى جبل الدين من أعمال كوردفان وكان بهذا الجبل حامية  
 وضعتها الحكومة للمحافظة على أولئك الدعاة ولمنع الاتجار بالارقاء تحت  
 قيادة رجل من الاوربيين وكان كاتبه مصريا اسمه خليل حسنين وكان ميالا  
 الى المهدي فى ذات يوم أصبح يقص على الجنود رؤيا منامية فخواها انه رأى  
 المهدي وأنه بشره وسائر الذين فى الجبل بانهم من خيرة انصاره وصفوة محبيه  
 وكسام حلا سندسية ووضع على رؤسهم تيجانا زمردية فوقعت هذه الرؤيا  
 موقع القبول عند الجنود ومالت قلوبهم نحو المهدي وبمث خليل حسنين  
 بكتاب الى المهدي يقص عليه الرؤيا ويمرض به دخولهم فى طاعته فارسل

لهم مائة فارس من الاعراب ومعهم كتاب يقول فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بصدق رؤيا خليل حسنين وانه يبذل الامان لكل الدين في الجبل حتى القسوس الذين تعهد لهم بالحرية الدينية ودعاهم للقدوم اليه فلبوا جميعاً ولما مثلوا بين يديه قابلهم بالبشاشة وطيب خواطرهم أما خليل حسنين فكوفئ بادخاله ضمن عمال بيت المال وبقي القسوس حتي سقوط الابيض ثم صودرت أموالهم واجبروا على اعتناق الاسلام بعد تمذيب شديد

### ذكر واقعتي شات والمرايع

(شات) قرية تبعد عن النيل الابيض بنحو عشرة أميال وهي أول منزل ينزله المسافرون من الدويم الى كوردفان وبها تجار لا يتباع الصمغ ويسكنها مصريون من أهالي مديرية أصوان وكان بها حامية من الجنود خندقوا على القرية فرّ بهم أحمد المكاشفي قادماً من قبل المهدي بالولاية على سننار وقد عززه بأمرأه كثيرين من أهالي البحر الابيض أشهرهم ابن كريف عهد اليه المهدي بجمع قبائل البحر الابيض ونشر دعوته بينهم ونصرة أحمد ابن المكاشفي الذي تقدم لنا ذكر أخيه عامر بن المكاشفي وما أتاه في سننار ولما وصل أولئك الأمراء الى شات التفت حولهم الوف من رجال ابن كريف فجمعوا على شات وذبحوا من فيها من الحامية وقتلوا النساء والاطفال وأتوا من المنكرات ما لم يسمع بمثله انسان حيث كانوا يسوقون الاسرى من النسوة عراة كيوم ولا ذهن ويتركن عرضة للحر والبرد حتي يموتن من الجوع والظماً مقرنات في الاغلال يضرهن كل من مر بهن ثم اجتازوا النهر الابيض الى الجزيرة وكانت بها حامية من الجنود في مكان يدعي المربع ففتكوا بها



وانشرت دعوة المهدي في الجزيرة وعلى الخصوص في البلاد المتوسطة بين  
النيلين الازرق والابيض مثل معتوق وعبود

### ذكر واقعة عبود

عبود قرية تبعد عن النيل الازرق بمسيرة خمس مراحل وكان فيها  
نقطة عسكرية فهب الالهون وحاصروا من فيها من الجنود فأرسل عبد  
القادر باشا الى طابور من المصريين كان معسكراني مدينة المسلمية يأمره  
بالتقدم لانتقاذ ( عبود ) فتمرد الجنود لوشاية وصلت اليهم وقالوا لا نتقدم  
وحسبوا ان المسألة حيلة يقصدها هلاكهم في وسط الصحراء لانهم من  
العساكر المرابين الذين بعثتهم الحكومة بعد اخاد نار الثورة فتدارك عبد القادر  
باشا الامر وشخص بنفسه الى المسلمية فاستقبله الجنود وقصوا عليه ما بلغهم  
فطيب خواطرهم وقال لهم اني سائر معكم بنفسى فثابروا الى الطاعة وزحف  
معهم الى عبود ومعه من الجنود الباشبوزق عثمان بك الدالى فلما اقتربوا من  
عبود فرالدو من حولها وانقذت حاميتها وما كادت تمضي عليه بضع ساعات  
حتى وافاه نوابا بأن الداعية ابن كريف جمع نحو ثلاثين ألف مقاتل في معتوق  
التي تبعد عنه بمسيرة نحو يومين ووجهة سيره مجهولة ويخشى أن يقصد بهم  
الخرطوم ووافاه نواب آخر بتضيق احمد بن المكاشنى الحصار على سنار وجاءه  
ثالث بظهور عصابات حول الخرطوم يقودها الشيخ مضوي عبد الرحمن  
المحسى الذي ذكرنا نواباً شخوصه الى المهدي في جبل قدير ثم جاءه تلغراف من  
المعية السنية مضمونه ان الحكومة قد عينت الجنرال هيكلس باشا رئيس الاركان  
حرب الجيوش السودانية فيجب إيقاف جميع الحركات العسكرية الى حين

وصوله وانه سينادر القاهرة بعد بضعة أيام هذا ما كتبتة المعية في حين أن  
ايقاف الحركات العسكرية بضع ساعات أقل نتأجه وقوع الخرطوم وسنار في  
خطر ربما كان انقاذها من مخالبه عسيراً

### ذكر واقعة معتوق

لم تقف على شيء مما أقنع به عبد القادر باشا المعية بضرورة متابعة  
الحركات الحربية فقد زحف بجنوده في اليوم التالي والتقى بابن كريف في غابة  
معتوق واصلاه ناراً حامية ففر منهزماً تاركاً نحو ألفي قتيل في ساحة الحرب  
وتأثره حتى تفرق أنصاره وبلغ عبد القادر باشا (السكره) على شاطئ النيل  
الابيض ومن هناك قصد الخرطوم على احدى البواخر وطارد المصائب التي  
ظهرت حوالي الخرطوم وقبض على جماعة من زعمائها وأودعهم السجون  
وأخذ في الالهبة للحملة على احمد بن المكاشفي وانقاذ سنار

### ذكر واقعة الداعي

زحف عبد القادر باشا من الخرطوم في ثلاثة آلاف من الجنود  
المصريين النظاميين لانقاذ سنار وكان أحمد بن المكاشفي محاصراً لها منذ  
شهر تقريباً ومعه نحو ثمانين ألف مقاتل الثفوا حوله من قبائل ( جهينة  
والسكواهلة ) وغيرهم ولما وصلت الحملة الى مدينة ولد مدني لحق بها الشيخ  
عوض الكريم بن أبي سن زعيم قبيلة الشكرية التي تقدم لنا تعريضها ومعه  
عدد كبير من فرسان قومه كانوا يسيرون في طليعة الحملة يستكشفون المواقع  
والمكامن وبعد اقامة بعض أيام في ولد مدني رتب عبد القادر باشا هيئة  
الزحف وجعل صفوف القتال أربعة واعتني بأمر الجناحين اللذين يدافعان

عن القلب وكان العدو في حماس شديد يقتحم النيران بجيوله وبصبر تحت  
 تطاير المقذوفات ويلتحم بالجنود فدبر عبد القادر باشا حيلة قاومت اقتحام  
 فرسانه حيث صنع آلة صغيرة من الحديد عليها ثلاثة مسامير فاذا أُلقيت على  
 الأرض وقف أحدها وبهذه الحيلة خفت أضرار فرسان العدو حيث يضع  
 الجنود بينهم وبينه هاته الآلة وزحف عبد القادة باشا من ولد مدني في أواخر  
 ربيع الآخرة سنة ١٣٠٠ هجرية فالتقي بإحمد بن المكاشفي في مشرع الداعي  
 ومعه ثمانون ألف مقاتل فانتشب القتال بينهما بضع ساعات أصيب في  
 خلالها عبد القادر باشا برصاصة خرقت ثيابه ودخلت في جوف ساعته ولم  
 تصبه بأذى وانهزم ابن المكاشفي وتكبّد خسارة تزيد على عشرة آلاف قتيل  
 وتابع عبد القادر باشا سيره نحو سنار ورفع عنها الحصار ولحق ابن المكاشفي  
 بجبل (سقدى مويه) الذي يبعد عن سنار بمسيرة ست مراحل وأقام عبد  
 القادر بسنار يرتب معدات الدفاع ويلقى على الحكام الأوامر

### ذكر واقعة سقدى مويه

وبعد أيام انفذ عبد القادر باشا حملة من الجنود الباشبوزق تحت قيادة  
 صالح اغا الملك ومعه صنجقان عثمان بك الدالي والملك الحسين الى (سقدى  
 مويه) فذهبت الحملة والتقت بابن المكاشفي هناك وثبت القواد وأصلوا العدو  
 نارا حامية وفر ابن المكاشفي في عدد قليل من أنصاره وغنموا كل ما في معسكره  
 من الذخيرة والرايات والطبول التي يدقونها وقت الحروب وعادت الحملة الى  
 سنار وأقيم لها احتفال باهر وزينت المدينة وبينما كان الناس يتبادلون عبارات  
 التهئة والسرور ويقدمونها الى عبد القادر باشا اذ ورد عليه نبأ برقي من الحرطوم

بان اجراسيس اخبروا بسقوط مدينة الابيض حاصمة كوردفان في قبضة المهدي  
فاستاء لهذه الفاجعة ولكنه تجدد ولم يوقت من كانوا حوله على شئ من هذه  
المصيبة التي نعتت سرور

### ذكر رأي عبد القادر باشا في انقاذ الابيض

ذكرنا ما كان من أمر المهدي وانه لما وطن عزمه على الزحف الى  
كوردفان أرسل دعائه ليهبوا بالثورة والعصيان حوالي الخرطوم كي يشتملوا  
عبد القادر باشا عن الاهتمام بأمر كوردفان لتعزير حمايتها وقد قرنت سياسته  
هذه بالنجاح حيث لم يستمع عبد القادر باشا الغلبة على أولئك الدعاة الا بعد  
أن تم للمهدي الاستيلاء على حاصمة كوردفان والقضاء الاخير على نفوذ  
الحكومة في ذلك الاقليم

على انه بعد أن نال عبد القادر باشا الظفر في واقعة (سقدي مويه) لم تنزل  
امامه عقبة أخرى وهي وجود داعية يدعي ابن عبد الغفار جمع حوله جيشا جرارا  
في جهة (كر كوج) جنوب سنار يخشي من تقدمه نحوها وقد لحق ابن المكاشفي  
بعد هزيمته من سقدي مويه بجهة النيل الابيض ولكن معاودته الكرة على سنار  
كانت متوقعة وقد اطمأن في هذا الوقت عبد القادر باشا على مدينة الخرطوم حيث  
وصل اليها عدة الوية من الجنود المصرية التي يقودها الخبرال هيكس باشا  
وزحفت فرقة منها لمطاردة ابن المكاشفي في جهات النيل الابيض كللت  
حركاتها بالنجاح

كان رأي عبد القادر باشا ان تمده الحكومة بالمال والرجال  
فيترك حامية تقاوم دعاة المهدي في الجزيرة وحول الخرطوم ويتقدم هو نحو

كردفان في الطريق الشمالية التي يكثر فيها الماء بمكس الطريق الجنوبية  
 التي سارت فيها حملة الجنرال هيكس بحيث تكون جنوده كافية لحفظ خط  
 الرعيمة وتأليف قوة تكون هاجمة ولا ريب ان هذا التدبير كان كافلاً لنقاذ  
 كردفان وارجاع المهدي بصفقة الحاسر المنبون لو مدت الحكومة له يد المساعدة  
 ولكن من أين لها ذلك وهي واقعة وقتئذ تحت برائن الثورة العرابية  
 ومخالب الازمة المالية وقد كانت الجنود التي ناهض بها عبد القادر باشا  
 العدو في حروبه كلها في حالة يرثي لها من شظف العيش وقلة الملابس فقد  
 كانوا يلبسون الجلود ويقتاتون بلحوم الماشية التي يفتنونها من العدو ويلبسون  
 في أرجلهم أحذية من جلدها مع كثرة الحشرات والشوك في تلك البلاد التي  
 يجتازونها ومع هذا كله كانوا على جانب عظيم من الصبر والسكينة لا يتدمرون  
 ولا يتضجرون وقد مضى عليهم بضعة شهور لم يقبضوا مرتباتهم في خلالها  
 وقد بلغني ان عبد القادر باشا بعث يسترحم الحكومة في ارسال ثلاثين  
 ألف جنيه لصرف تلك المرتبات وقال انه لا يليق بنا ان نسوق الجند وضباطهم  
 الى مواطن الموت وأولادهم ونساءهم يتضورون جوعاً فلم يلتفت الي قوله  
 حتي انه كان يسأل الحكومة المكافآت بالرتب والنياشين لكثير من الضباط  
 فتقابل مطالبه بالرفض والاباء . ويقولون ان سبب ذلك كله هو اسماعيل  
 أيوب باشا الذي كان وقتئذ أحد الوزراء فقد أوقف نفسه لمعا كسة عبد  
 القادر باشا وحمل الحكومة على عدم الاصفاء لاقواله وهو أمر في غاية الغرابة  
 يبعد على الانسان تصديقه وقبوله لولا تواتر روايته وتدعيمها عند الكل .  
 وقد وقف القسّم خجلاً عند هذه المسألة ولولا أن تقرير حقيقة تاريخية ساقه  
 لما طوعني في هذا المجال اذ يبعد كل البعد أن يكون وزير من وزرائنا يقف

نفسه لاختناق مساعي آخر في مسائل عمومية قد لا يلحظه منها ضرر بل أضرارها لاحقة بالحكومة ومادعاه الى هذا كله غير انه يكره لبغيضه احراز الفخار ونيل شرف الانتصار فان الله وانا اليه لارجعون

وقد كان في امكان عبد القادر باشا لو اجابت الحكومة مطالبه أن يحول بين المهدي وبين كوردان بوضع الحاميات في جميع المناهل التي على طريقه وقصارى القول أن عبد القادر باشا كان ذاتد بيرات جليلة يستحيل معها على المهدي أن يبلغ أربه من كوردفان ولو اتبعت الحكومة آراءه في العدول عن ارسال حملة الجبال هيكس الى كوردفان لاستطاعت القضاء على المهدوية في ذلك الاقليم وسنبين ذلك كله فيما يأتي

### ذكر واقعة ابن عبد الغفار

وبعد واقعة سقدي مويه زحف عبد القادر باشا بجيش جرار الى جهة سنار للقاء الداعية ابن عبد الغفار الذي جمع حوله ثمانين الف مقاتل من قبائل جهينة والكو اهله وغيرهم واغار بهم على مدينة ( كركوج ) وقتل خلقاً كثيرين من التجار وأحرق شيئاً كثيراً من بضاعتهم. ( و كركوج ) هذه مدينة كبيرة على ضفة النيل الازرق يقصدها التجار من كل انحاء السودان للحصول على الصمغ الذي هو من اكثر حاصلاتها ولكن ثمنه ينقص نحو الثلث عن ثمن صمغ كردفان لجودة هذا ورداءة ذاك والصمغ في كردفان صنف واحد وهو المعروف باسم ( المشاب ) بعكس صمغ كركوج فان أنواعه كثيرة يتفاضل بعضها عن بعض وأما السمس فانه من اكثر حاصلات تلك البلاد وثمنه لا يتجاوز أربعين قرشاً لكل أردب ويطلب هذا الصنف لحاجة جميع الاقاليم الشمالية

السودانية لانه لا يثبت بارضها

نعود الى ذكر الحملة فنقول إن العدو نازحها عدة مرات مناوشات صغيرة كان يقصد بها أن يغربها حتى يبلغ الا ماكن الوعرة كثيرة الغابات فادرك عبد القادر باشا هذه الحيلة وأرسل جواسيسه الى معسكر العدو وحيث تمكنوا من الوشاية بين القائد وأنصاره حتى ألحوا عليه بوجوب الهجوم على الحملة فهاجمها في النسل وقبيل منتصف النهار تمت الهزيمة عليهم وتركوا في ساحة القتال أكثر من عشرة آلاف قتيل عدا المبروحين وتابعت الحملة السير جنوبا حتي تمكنت من تفريق العدو والقضاء عليه وقفلت راجعة الى سنار وجرح أربعة من أكابر قواد العدو جروحا بالغة وأتم عبد القادر باشا تحصين سنار وانقطعت أسباب القلاقل من الجزيرة وانحصرت المهديوية في اقليم كوردفان وانقشع كل خطر عن الخرطوم التي احتشدت فيها جنود حملة الجنرال هيكس

### مأمورية الكولونيل ستيوارت

كانت الحكومة انتدبت الكولونيل ستيوارت بمأمورية الى السودان وكانت سرية فلما وصل الى بربر عرض كتابا على مديرها من المعية السنية وطلب التصريح له باجراء تفتيش عام على كل دفتار الحكومة ومصالحها فارسل المدير على جناح البرق يعلم عبد القادر باشا الذي أمره بالانقياد لكل ما يامر به الكولونيل ثم قصد الخرطوم وكان معه ايطالي اسمه موسيوداليه سبق له التوظيف في حكومة السودان وكان ذا بنص لجبلر باشا الالماني وكيل الحكمدارية فأخذ يسمي مجد في الايقاع به عند الكولونيل ستيوارت الذي كان يمدد بتبوا منصب وكالة الحكمدارية بمد فضل وكيلها جبلر باشا الالماني

وفي ذات يوم زار الكولونيل ستيورات عبد القادر باشا في سراى الحكمه دارية  
 فجلس معه وابتدر ججلر باشا بكلام أغضبه وتبادلا عبارات الشتم وتطاولا على  
 بعضهما بالمغازبة بالكراسى فوقف بينهما عبد القادر باشا ومنعهما من المضاربة  
 وقصد محادثتهما وبعد أيام ترجيا العدول عن معاقبتها حيث اصطالحا واعتذر كل  
 منهما لصاحبه ثم غادر الكولونيل ستيورات الخرطوم قاصدا سنار قال قضا رف  
 فكسلا فصوص فصر وأثنى على عبد القادر باشا واستحسن ادارته وأعماله العسكرية  
 ويقول البعض ان مأمورية الكولونيل المذكور كانت الوقوف على  
 حقيقة ما دأعه ذرو المقاصد السيئة عن عبد القادر باشا حيث قالوا انه طامع  
 للاستقلال بالسودان وقد فند الكولونيل هذه الاشاعة وأظهر سوء قصد  
 الذين اذاعوا هاوروي بعضهم أن ساكن الجنان الحديوثوفيق باشا كان يوالي الاسئلة  
 عن أعمال الكولونيل مما يدل على أن مأموريته كانت ذات اهمية عظيمة

### ذكر حصار الأبيض

تركنا الكلام على المهدي وقد زحف بخيله ورجله وعسكر في (عد العشر) وتراجع  
 اليه المنهزمون ورتب مقاتلته حول المدينة وأعد المتاريس والطوابي ومنع  
 دخول الاقوات

أما الجنود فكانوا يخرجون الى منازل الاهالي وياخذون ما فيها من  
 الغلال والاقوات اذ لا ميرة في مخازن الحكومة ودام الحال علي ذلك حتي غاية  
 شهر ذى الحجة سنة ١٢٩٩ هجرية فنفتد الاقوات

وفي مستهل محرم سنة ١٣٠٠ ابتدوا يذبحون الماشية والحجاجة آخذة في  
 التفشى وذبحوا الحمر الاهلية وبلغ ثمن الاقوة من لحمها مائتين وخمسين ريالاً



وكذلك ثمن الاقة من لحوم الكلاب وبلغ ثمن الكيلة من الفلة سبعمائة ريال  
وأخيراً عدم كل شيء من ذلك وحكى لنا واحد من المحصورين أن خادماً أحمد  
بك دفع الله كان يوماً حاملاً مائة ريال يطلب بها شراء دجاجة لمولاه فلم  
يجدها مع أن ثمن الدجاجة في الابيض كان لا يتجاوز نصف قرش مصري وثمان  
أردب الفلة لا يبلغ الريال وحكى لنا ضابط من المحصورين أن أربعة ضباط اشتروا  
دجاجة ضئيلة بمائة وخمسين ريالاً واقتسموها بينهم

وكان الجنود يخرجون على شكل مربع في كل غداة الى حوالي المدينة  
ليأخذوا حشيشاً اسمه ( الحسكيت ) وهو كالحسك وفي جوفه حبوب تشبه  
الفلة يقتاتون بها ثم نفذ هذا الحشيش واشتدت المجاعة على الجنود الذين  
أكثروا من أكل الصمغ وتفشت امراض الاسهال والدوسنطاريا بينهم وارتد  
عدد الوفيات

ولما وصلت الحالة الى ما تقدم جمع المدير الضباط والموظفين والوجهاء  
وشاورهم في الامر فقرروا جميعاً أن يشاطروا الحكومة ما ادخروه لقوتهم  
وأن يحسب لهم ثمن الاردب بمائة وستة وتسعين ريالاً فتحصلت الحكومة  
على ثلاثمائة أردب وزعتها على الجنود فأصاب كل واحد أقل من كيلة كانوا  
يخطونها مع الصمغ ويقتاتون بها ثم فرغت هذه الاقوات وعاد المدير  
مفاوضة أولئك الناس فتحصل على كمية يسيرة من الفلة أصاب كل واحد من  
الجنود نحو رطلين منها ثم فقد الكل الاقوات وفر كثير من الجنود وأسلموا  
نفوسهم للمهدى واختل النظام وتمرد العساكر على ضباطهم حتي أنهم كانوا  
يغربونهم ويهينونهم وتألفت عصابات من الجنود يوالون الهجوم على المنازل  
في المدينة ليسلبوا ما يجدونه من الطعام وصار الخندق خالياً من المدافعين

ولولا ما وقع في قلب المدوم من الفزع والخوف بعد هزيمته الاولى لاستطاع  
الاستيلاء على المدينة بلا عناء

على أن الجند كان ينتظر رفع الحصار بواسطة نجدة تقدم عليه من الحرطوم  
وقد كان ذلك متوقفا من عبد القادر باشا الذي تقدم لنا أن الحكومة لومدة  
بالمال والجنود لكان في استطاعته انقاذ الايض واستئصال الثورة من اقليمها  
كله وقد كان المهدي في غضون حصاره الايض يروعه كل يوم ما يرفعه  
اليه دعائه من توالى هزيمتهم امام عبد القادر باشا لسنه كان يتعزي برسوخ  
قدمه في كوردفان عموما والايض خصوصا



### ذكر سقوط الايض

وفي أواخر شهر ربيع الآخرة سنة ١٣٠٠ هجرية عقد الضباط ومحمد  
سعيد باشا مدير كوردفان مجلسا للمداولة فقرراى السكل على طلب الامان  
من المهدي بعد أن ايقنوا أنهم غير قادرين على البقاء على هذه الحالة فكتبوا  
كتبا يسألونه أن يؤمنهم على ما يملكونه وأن لا يعيد يده لغير الاموال الاميرية  
فكتب لهم بذلك وزاد أن حلف على المصحف الشريف أمام الملاء بالمحافظة  
على هذه الشروط . وفي اليوم التالي خرج محمد سعيد باشا ومن معه من الضباط  
ومن بقي من الجنود وقابلوا المهدي فامرهم باكواخ انزلوا فيها وأمر بمصادرة  
أموالهم وأموال كل الذين في المدينة فشرع عمال بيت المال في التنفيذ وأخرج الناس  
من منازلهم وأوقف الحاج خالد العمرابي بقبيلته على الابواب يفتشون كل  
خارج وينزعون ملابسهم ووضعوا نسوة تفتش النساء فكن يجردن نساء  
المصريين من ملابسهن ويفتشن عوراتهن ويقبضن على كل حسناء منهن

وأخرج كل سكان المدينة وأقيم عليهم الحراس في صيد واحد حيث  
يأخذهم عمال بيت المال الى منازلهم ويضربونهم ويمدبونهم ليدلوا على أموالهم  
المنجوبة ودفائنهم المستورة وكثير منهم مات من شدة التذيب وقيد المدير محمد  
سعيد باشا ليدل على ماخبأه من ماله

### ذكر مقابلة المهدي حامية الابيض

وفي صبيحة اليوم الذي ضرب أجلا للتسليم خرجت الحامية من المدينة  
على هيئة طاوور والموسيقى تصدح أمامها فقابلها المهدي راكبا ولما دنت منه  
وقفت وترجل هو عن حصانه وجلس على فروة وأذن لمحمد سعيد باشا وضباطه  
في الجلوس فجلسوا بين يديه وقبلوا يده ثم سأل واحدا من الضباط اسمه  
يوسف شعله عن اسمه فاجابه وكان يوسف شعله مأمورا بضواحي المدينة  
وكان مشهورا بالشدة فاجتمع تجار الابيض ساعثن حول المهدي وأشاروا  
عليه بقتل يوسف شعله الذي خاطب المهدي وقال له أنت خليفة الرسول  
والعفو منك مأمول فعفى عنه ونزع جبته والبسه اياها ثم التفت الى محمد سعيد  
باشا وقال له أنت قتلت رسولي فاجابه القائم مقام اسكندر بك انا الذي قتلتهما  
فقال انهما كانا يرغبان في الشهادة وقد من الله عليهما بها ثم التفت الى أحمد  
بك دفع الله وقال له ان أخاك عبد الله مات كافرا مع يوسف باشا الشلاي  
وقد نصحته بالتسليم لي فلم يفعل وأخشى عليك أن تموت كافرا مثله وتحرم  
من دخول الجنة فقال له لا احب دخول جنة لم يدخلها أخي عبد الله ثم انصرف  
عنهم ودعاهم الى طعام فأكلوا وحلقهم علي المصحف أن لا يخبأوا أموالهم  
لأنها صارت غنيمة له خلفوا ودخل المهدي المدينة وأقام بسرأي المدير

## ذكر احصاء ما غنمه المهدي من الابيض

أحصي ما اجتمع في بيت المال فبلغ ثلاثة ملايين ونصفاً من  
الريالات ومائتين وخمسين ألفاً من الجنيئات وأربعة آلاف أوقية من الذهب  
قيمتها ستة عشر ألف جنيه ومن أصناف البندقي والمجر والخيري ما يقدر  
بخمسة قناطر وأربعة آلاف أوقية من الذهب المصنوع حلياً وأكثر من  
أربعين قنطاراً من الفضة

وكان محمد سعيد باشا قد خبأ ماله الذي يبلغ نحو عشرة آلاف جنيه  
وأبي أن يظهره للمهدي وكان أمين بيت المال استدل على مكانه من إحدى  
جوارى الباشا فأسر هذا الخبر للمهدي فكتبه وجلس في محرابه ودعا محمد  
سعيد باشا وأخذ يذكره بنعيم الجنة وخسة الدنيا ويقول له أظهر مالك فيقول  
له ليس عندي مال وأخيراً دعا أمين بيت المال وقال له على رؤس الاشهاد  
ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بالمكان الخبوء فيه مال محمد سعيد باشا  
فاذهب الى مكان كذا من الدار وانبشه تجده فيه فذهب ومعه خلق كثير  
فأخرج المال وأذيعت الاخبار بهذه السرقة وعدها كثير من الناس من  
أكبر كرامات المهدي

وبلغ عدد الارقاء الذين غنمهم ألفين وجمع من الملابس والفروشات  
وأثاث المنازل شيئاً لا يدخل تحت حصر وانتدب أمين بيت المال  
ابراهيم رمضان من أهالي أصوان لبيع الفروشات وانتدب ابراهيم بن  
عدلان لبيع الارقاء والماشية وعين كثيراً من كتبة الحكومة كتبة في بيت  
المال وجلهم من الاقباط

## ذكر القبض علي محمد سعيد باشا والضباط وقتلهم

لم يمض أسبوعان علي سقوط الأبيض حتي قبض علي محمد سعيد باشا  
وعلي بك شريف وجميع الضباط عدا القائمقام اسكندر بك والملازم الثاني  
يوسف منصور ودفع كل واحد منهم الي أحد المشايخ وجمع التعميشي الضباط  
وقال لهم ليذهب كل واحد منكم مع أحد المشايخ ليقوم بحاجاته وأوعز الي  
أولئك المشايخ أن يشددوا المراقبة عليهم وبقوهم كأرقاء عندهم وبعد أيام  
أصدر أمراً بقتل محمد سعيد باشا وعلي بك شريف ومحمود افندي حسن  
فقتل كل واحد منهم بالضرب بالعصى الفليضة علي رأسه وبقي صغار الضباط  
في الاسر الي ما بعد هلاك الجزائر هيكس وزحف المهدي علي الخرطوم  
وقد تضاربت الروايات عن الاسباب التي حملت المهدي علي الايقاع  
بهؤلاء الضباط ونحن نورد هنا ما قالوه بإيجاز فنقول

روي سلاطين باشا ان محمد سعيد باشا وجميع الضباط كتبوا كتابا بعد  
سقوط المدينة الي عبد القادر باشا يخبرونه بما حل بهم وشرحوا له الاسباب التي  
أدت الي هذا السقوط وكان من الذين وقعوا علي هذا الكتاب الضابط يوسف  
منصور الذي أُلح علي اسكندر بك وأقنعه بالذهاب معه الي المهدي وتقديم أعذارها  
عما فرط منهما فأطاعه اسكندر بك لانه أيقن بأن المهدي ينتقم منه مع الباقين  
مادام يوسف منصور مصراً علي اخباره وعند وصولهما اكب يوسف منصور  
علي أقدام المهدي يقبأها واعتذر فصنح عنه وكافأه بتعيينه قومنداناً علي الطوبجية  
وعدل عن معاقبة اسكندر بك ولم يكافأه بشيء هذا مارواه سلاطين باشا  
وقد سمعت من الحاج خالد العمري أحد تجار الأبيض الذين انضموا

الى المهدي وجعله أميراً من أكبر قواده ان ابن أخته عمر أزرق رأى مناما  
بعد سقوط الأبيض. وهو ان الدراويش الذين قتلوا في واقعة يوم الجمعة وقتلوا  
بين يدي الله عز وجل وقالوا ياربنا ان محمد سعيد باشا وضابط الأبيض قتلونا  
ظلماً وكان النبي صلى الله عليه وسلم حاضراً فالتفت الى المهدي وقال له لك الخيار بين  
قتل أولئك الظلمة أو نفيهم من الأرض أو قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف فقال  
المهدي أقتل محمد سعيد باشا وعلى بك شريف وانف بقية الضباط وقد قص  
على عمر أزرق هذه الرؤيا فامرته بتدوينها على قرطاس قدمته للمهدي في  
مجلس كان التعايشي حاضراً فيه ومعه الفقيه جلال الدين الفوراوي وكان من  
المعتقدين فقرأ المهدي عليهم الرؤيا وقال حقا اني كنت حاضراً بهذه الحضرة  
ثم أمر بالضباط ومحمد سعيد باشا ففعل بهم ما بيناه

وقال آخرون انهم قتلوا بشار محمد عبد الله شقيق المهدي ويوسف شقيق  
التعايشي لان المهدي لما دخل المدينة وأخذ يفتش على جثة أخيه فمثر عليها  
زرفت عيناه واستل سيفه وقال سيؤخذ بشارك في الآخرة ليوم من حوله أنه  
لا ينتقم لنفسه

هذا وقد مكث الضباط في الاسترقاق وكتب التعايشي منشوراً أباح  
فيه أخذ كل حسناء من زوجها وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره  
بالحيلولة بينهم وبين أزواجهن الكفار

وقبض على أحمد بك دفع الله ومحمد ياسين وهذا كان ناظر أحد الأقسام  
بتهمة أنهما غير مصدقين بالمهدية فنفيهما قتلًا وكانا مسجونين عند الحاج  
خالد ويقال انه الذي رماهما بهذه التهمة وأخذ المهدي أم الحسن بنت أحمد  
بك دفع الله موطوءة بملك اليمين وكتب منشوراً قال فيه ان هاتفا اليها قال

له لا بأس عليك منها وانها غنمة النبي صلى الله عليه وسلم  
على ان المهدي والتعايشي كانا راغبين في استحياء أئمة بك دفع الله  
وارضائه حتى ان التعايشي كان يود اعطائه راية يجمع حولها كل ذوى قرابته  
ويكون أميراً عليهم فاعتناظ الياس باشا أم برير من ذلك وحذر التعايشي من  
هذا الامر وقال له ان أحمد بك دفع الله اذا رفعت له راية وانضم اليه محمد  
يس فانهما بلا شك يعملان ضد المهدي وبعد مداولات كثيرة بين المهدي  
والتعايشي أصدر المهدي منشورا قال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بقولهما  
فانتدب التعايشي قريبه يونس بن الدكيم ومعه خمسون فارساً وسار بهم الى  
منفاها وضرب عنقهما بعد ان صليا ركعتين وروى يونس بن الدكيم  
ان محمد يس لما قدم للقتل أظهر جبيناً وعلماً فأنهره أحمد بك وقال له اخساً  
فالى أين تفر يا جبان ثم قال للسياف تقدم نحوى يا ابن الفاعلة فتقدم وضرب  
عنقه رحم الله الجميع

### ذكر ترتيب جيش المهدي واحكامه

ذكرنا ما كان من أمر المهدي وترتيب جيشه في جبل قديرو أنه جعله فرقا  
ثلاثاً يقود كل واحدة منها خليفة من خلفائه الثلاثة وجعل القيادة لآخيه  
محمد بن عبد الله الذي قتل بواقعة الابيض ونقول الآن انه بعد انتشار نفوذه  
في اقليم كوردقان كله واستيلائه على الابيض تكاثفت جيوشه وأسند القيادة  
العامة على جيشه للتعايشي وجعله مستشاره الذي لا يقطع أمراً دونه وعين  
أحمد بن على قاضيا بدل أحمد بن جباره الذي قتل في واقعة الابيض ونصب  
أربعة رجال دعاهم الامناء وفوض اليهم النظر في كل المرائض التي ترفع اليه

والفصل فيها وانتدب نحو عشرة رجال دعاهم النواب وفوض اليهم النيابة عنه في نظر المسائل المعظمة التي لها دخل في بيت المال فكان كل فريق من النواب والامناء يحكمون فيما يعرض عليهم من المسائل بغير تحديد

وأخذ يوالي اصدار المنشورات بعضها في ذم الدنيا وخستها وبعضها في الاحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وفي ذات يوم جاءه أحد خدامه (الملازميه) وقال له انه رأى امرأة تزنى خلفه على المصحف الشريف وأمر بالمرأة فقتلت رجلاً بالحجارة وخطب في الناس وقال لهم ان أصحابه لا يكذبون ولا داعي لاربعة شهداء مادام الشاهد الواحد يحلف وقضي ان كل المظالم التي اقترفها الحكماء قبل ظهور دعوته لا يسمع فيها ادعاء وذلك لان ما اغتصبه أولئك الحكماء صار ملكاً لبيت ماله ورده يفقد بيت المال كل ما يملكه . وكان لكثير من الناس ودائع عند تجار الابيض فأمر بعدم ردها الى أصحابها اكراما لحواطر أولئك التجار

هذا حال جيشه وأحكامه وأما تقدمه لامتلاك الخرطوم فقد انجلت عزيمته عنه على أثر ما توالى على دعائه من الهزيمة والفشل وعدا ذلك فان الخرطوم أو انشد كان فيها نحو عشرين الف جندي وامتلاء قلب المهدي فزعا وخوفا من عبد القار باشا وصرح في كثير من خطاباته بان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بترك التقدم على الخرطوم مادام عبد القادر باشا حاكماً على السودان وكان يرفع يديه عقب كل صلاة ويقول (يا قادر اكفنا عبد القادر) وقد وجه عزيمته نحو دارفور ورآى ان امتلاكها اقل صعوبة من امتلاك الخرطوم وسيأتي ذكر تفصيل استيلائه عليها



## ذكر فصل عبد القادر باشا والغناء نظارة السودان

في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٠ أثر انتصارات عبد القادر باشا على دعاة المهدي في جنوب سنار صدر امر عال بفصله عن حكمة ادارة السودان والغناء النظارة وانشاء قلم مخصوص بنظارة الماية لمراقبة حسابات السودان وقد وقع نبأ فصله اسوأ وقع عند أهالي الخرطوم وسائر مستخدمي الحكومة والاعراب الموالين لها وقد رفعوا العرائض تباعا الى المغفور له الخديوى توفيق باشا يسأونه العدول عن هذا الامر فلم يفعل

ولم يكن هذا الاسترحام قاصراً على من ذكرنا بل تناول النزلاء الاوروبيين وقناصلهم فانهم اشتركوا في هذا الالتماس وما ذاك الا لان الكل موقنون بان الطريقة التي اتبعها عبد القادر باشا كانت السبب الوحيد في نجاة الخرطوم وسنار والجزيرة كلها وكان من وراء أعماله ما قنط المهدي من التغلب على الخرطوم وقد أصدر منشورات لسكر دعائه في الجزيرة يأمرهم بكتان الدعوة ما دام عبد القادر باشا حاكماً على السودان وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان دعوته لا تغلح الا بعد مغادرته السودان

على ان الانسان يحار من اقدام الحكومة على هذا الامر الذي فتح باباً للقليل والقال حيث أوله كثيرون بانها غضبت عليه لانتصاره على العدو أو أنها كانت لا ترى بأساً في تقلص نفوذها من السودان وبسط سلطان المهدي عليه وقد محضها النصيح وبين لها ان ارسال حملة الجنرال هيكلس ضرب من الجنون وأن غلبة المهدي عليها ضربة لازب فلم تلتفت الى نصحه وضربت بأقواله عرض الحائط كما فعلت متى حين نصحتها في شأن يوسف باشا الشلالى

## ذكر تعيين محمد علاء الدين حكاما للسودان

وخلف عبد القادر باشا محمد علاء الدين باشا وأعيدت نظمات الحكمادارية والغيت النظارة وكان علاء الدين باشا حكاما للسودان الشرقي وله مع سكانه صداقة مذ كان مديرا على كسله فلما قبض على زمام الحكمادارية وعهدت اليه الحكومة بشراء الجمال للحملة كان أول عمل أتاه انه أخذ من مال الخزينة نحو مائتي الف ريال وشخص بنفسه الى السودان الشرقي لشراء الجمال مع ان مثل هذه المأمورية يقوم بانجازها متعهد من التجار ولكن علاء الدين باشا سرب المال الى جيبه والزم مشايخ القبائل بتقديعها له مجانا ولا غرامة في ذلك لان الجمال كثيرة عند أولئك الاعراب ويوجد منها عند كل شخص ما يربو على مائة راس وقد اشتهر عن علاء الدين باشا تناول المسكرات بكثرة ونقل لنا واحد من خدامه الذين كانوا معه بحملة هيكس انه شرب زجاجة كنيك قبل ان يقتل بعشرين دقيقة

وتلاعب علاء الدين باشا باثمان الاقوات التي تقدم للعامة حيث اتفق مع المتعهدين على اثمان تبلغ ثلاثة أضعاف الاثمان الحقيقية وقبض أموالا طائلة من ذلك

وقد سار على سنته حسين باشا الذي ناب عنه في الحكمادارية ونشأ من وراء تلاعبه مآزر بالخرطوم في غضون حصارها وسيأتي ذكر ذلك في مكانه ومن سن سنة سيئة فمليه وزرها ووزر من عمل بها. وباع علاء الدين باشا وظائف الحكومة الى كثير من التجار السودانيين فاغتنموا الفرصة وتماتوا للمهدي بايقافه على أسرار الحكومة وعهد بالرئاسة على مجلس

الاستئناف الى تاجر بربري اسمه (حمد التلب) لانري له اقل أهلية ترشحه  
لهذا المنصب غير أهلية الاصفر الرنان ومثل هذه المخزقة أشياء كثيرة  
لايسع المقام تفصيلها وقصاري القول ان الحكومة كانت لاهتم بغير انفاذ  
حملة الجنرال هيكس ومحمد علاء الدين باشا كان لاهتم بغير جمع الاموال من  
وراء نفقات تلك الحملة التعميسة هذا ماعولت عليه الحكومة وأما المهدي فانه  
وقف وقفة المدافع ينتظر قدوم الحملة عليه وأرسل دعاة كثيرين الى دارفور  
يجمعون الناس على دعوته ويناهضون الحكومة فيها وسنأتي على سرد كل  
ماهم القاريء الاطلاع عليه ثم نعقبه بذكر حملة الجنرال هيكس وبيد  
الله التوفيق

### ذكر دارفور

دارفور بلاد واسعة في الجنوب الغربي من كوردفان وسكانها ينقسمون  
الى ثلاثة أقسام قسم يسكن القرى والداكر. والثاني يسكن البوادي ويعيش  
بألبان الماشية كأولف عوائد الاعراب. والقسم الثالث يسكن رؤس الجبال  
وبين هؤلاء وسكان القرى تشابه في الاخلاق والعادات والمعيشة حيث  
يشتمل الفريقان بفلاحة الارض واقتراق حيث تجدد سكان القرى بنفسمين  
في الملذات ولهم مهارة في اجادة طبخ الاطعمة وتعدد الالوان الامر والذي  
يجهله أهل السودان كلهم وهم مشهورون بالسكرم وقرى الضيوف وبلادهم  
خصبة وأراضيهم تجود بمحصولات كثيرة وثمر القوت منخفض فيها جداً  
حتى أن الارذب من الدخن الذي هو اكثر محصولاتهم لا يتجاوز بضعة قروش  
مصرية والقمح يكاد يكون أنجس ثمننا من الدخن ويوجد بدارفور تجار أغنياء

لهم أعظم صلاة التجارة مع القطر المصري يجلبون العاج وريش النعام وغيرها  
من سلع السودان

وهؤلاء السكان تناسلوا من عنصر عربي استوطن دارفور منذ أجيال  
ومشأتني على إيضاح ذلك حتى يكون القارىء على بينة منه  
وفي دارفور جبال كثيرة أشهرها ( جبل الحلة ) وبه قبور الملوك وفيها  
مدن كبيرة أشهرها ( النامر ) عاصمة تلك البلاد ومدينة ( داره ) و ( كبايه )  
و ( كلكل )

وفيها معادن كثيرة من النحاس والحديد والرصاص وأهل دارفور  
ميالون للهرج والقتل والحروب

### تاريخ دارفور القديم

لخصنا للقارىء تاريخ السودان القديم ونرى تماماً للفائدة أن نثبت له  
تاريخ دارفور القديم إلى انحلال دولتها وضمها إلى الاملاك الخديوية فنقول  
نرح إلى السودان الغربي أعرب من تونس وما جاورها من البلاد  
الافريقية في أواخر القرن الثامن للهجرة واستوطنوا بلاد واداس وبرقو  
ويحكى أن أخوين من أولئك النازحين وصلا إلى دارفور اسم أحدهما علي  
والآخر احمد المعقور الذي أطلق عليه هذا الاسم بسبب أن أخاه علياً عقر  
رجليه بضربة سيف

وتحرير القصة أن علياً كان متزوجاً بامرأة بارعة الجمال وكان يحب أخاه احمد  
حتى كاشفته بهذا الحب وهو أنكره عليها وتغالي في تنيفها حتى اضمرت له الشر  
وصمت على الإيقاع به عند أخيه لئلا يسبقها بإبلاغه شغفها به فتقع هي تحت

خطر العقوبة فابانت بملها أن أخاه راودها عن نفسها فاستشاط غيظا ونادى  
 بالرحيل فرحل الحى وانفرد هو بأخيه في الغلاة وخر به بالسيف حتى عقر  
 رجله وتركه مصروما على الارض ولحق بالظعن وأمر أتباعه ومواليه بلحاقه  
 وطلق المرأة وتابع مسيره الى واداي وأدرك الموالى احمد المعقور في وسط  
 الغلاة فضمدوا جراحه وأبلغوه أمراخيه وأنه كان لا يقصد قتله بل أن يفترق  
 وسار احمد المعقور مع مواليه ونزلوا على ملك من الزنوج كان متسلطا على قسم  
 كبير من دارفور وكان كساتر زنوج افريقيا لادين له فاكرم وفادتهم وقرب  
 احمد منه وكان ذا دهاء وشجاعة فاحبه سكان البلاد ولم يمض أمد طويل  
 حتى توفي السلطان فاختر الشعب احمد المعقور ملكا عليهم فقام بالسلطنة  
 أحسن قيام وأخضع كل الاقاليم المجاورة له وترامت أخباره حتى بلغت الاعراب  
 النازلين بوداي فنزحوا اليه وشدوا عضده وانتشروا في البلاد واستاثروا  
 بخيراتها وانقرض السكان الاقدمون ولم يبق غير قليل منهم استوطنوا بين  
 دارفو وبرقو وأسسوا مملكة هناك تفرق باسم (ابوريشه) وطالت أيام احمد  
 المعقور حتى ازال كل الصعوبات من المملكة وجعلها ميراثا لولده من بعده  
 وسار خليفته علي سيرة والده ثم حفيده السلطان دالى وكان عالما فاضلا رفع  
 منزلة العلماء ورتب القضاة ليحكموا بالشرعية الفراء وانتشر نفوذ سلطان  
 دارفور حتى بلغ كوردفان وضفاف النيل الابيض وانتشرت الدعوة الاسلامية  
 حتى عمت البلاد التي يحكمونها

وفي أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة افتتح الدفتردار كوردفان  
 وضمها الى املاك مصر

ولما دخلت كوردفان في حوزة الحكومة المصرية لزم سلاطين دارفور

حدودهم وحشدوا جيوشا جرارة لصد تيار المصريين من بلادهم وكان الدفتر دار  
ينوي التقدم الى بلادهم والقضاء على سلطانهم فلم يثن عزمه فغير نبأ قتل  
الامير اسماعيل باشا في شندي حيث قتل راجعا الى شندي كما تقدم لنا  
ذكر ذلك وبقيت مملكة دارفور حافظة لاستقلالها ولا يكتن تجار المصر بين  
الذين كانوا يالفون الشركات في النيل الا يرض قوضوا سلطانها من بحر الغزال وكانت  
خاصة لها وثقلت وطأة أولئك الحكام على الاهلين حيث ضاعفوا الضرائب  
على أثر تقدم كوردفان وبحر الغزال وتوالت الحروب الاهلية والثورات  
الداخلية فضعفت المملكة وكانت نخل عزائم رجالها وأشهر هاته الثورات  
ثورة الرزيقات وهي قبيلة من البقارة يزيد عدد نفوسها على خمسمائة الف  
نسبة تسكن بادية جنوب دارفور وكانت هذه القبيلة شديدة الحمية وكثيرة  
الرغبة في الاستقلال وقد ناهضت مملكة دارفور مرات عديدة وفي كل  
مرة تدور عليها الدائرة فتثوب الى الطاعة ريثما تسترد قوتها فتعود الى الثورة  
والحروب

### ذكر فتح دارفور

يعلم الكل ما كان عليه المنفور له الحديوي اسماعيل باشا من حب  
اتساع المملكة ومتابعة الفتوحات ولذا وجه عنايته لفتح دارفور واستمال اليه  
كثيرا من تجارها وأغنيائها وذوى النفوذ في بلاط سلطانها  
وكان اقليم بحر الغزال يومئذ يايدي التجار لم تنشر الحكومة الحديوية  
نقودها عليه وقد تقدم لنا ان غردون هو الذي أدخلها ضمن أملاك الحديوي  
وقد باشرت انفاذ ذلك حيث انني أول حاكم عين لها وفي سنة ١٢٨٢ هجرية

وفد على المنفور له اسماعيل باشا رجل اسمه البلالي من أقرب مقربي سلطات دارفور وأصله من أهالي بورنو فأكرم وفادته واستأجره في أسر فتح دارفور فآخبره بأمر الشركات النجارية التي كانت متسطة على دارفور وكان الزبير باشا وكيلاً لشركة أبو عموري وهو تاجر مصري وكان يوسف باشا البلالي وكيلاً لأحدى الشركات وكما النور بك عنقره ومع الزبير باشا نحو الفين من الجنود المعروفين باسم (بالنقر) ومع كل من يوسف باشا والنور بك عنقره أكثر من هذا العدد

وقصد البلالي ان يكون رسولا من قبل الحديوي الى هؤلاء الثلاثة ويمسدهم بأرائه كي يهاجوا مملكة دارفور من الجنوب ليسهل على جنود الحديوي مهاجمتها من الشرق وعلى هذا العزم غادر القاهرة بعد ان انعم عليه الحديوي بالرتبة الثانية ثم غادر الخرطوم ولحق ببحر الغزال ونزل ضيفا على الزبير باشا وقبل انقضاء ايام الضيافة الثلاثة أرسل له بعض اتباعه في منتصف الليل وأمرهم بقتله فذبجوه على فراش نومه وحملوا رأسه الى الزبير

ولما علم الحديوي بذبح رسوله امتلا غيظاً وصمم على الانتقام من قاتله ومفاجأته بحملة كبيرة تقتص منه فانتدب اسماعيل ايوب باشا لقيادة هذه الحملة وجعله حاكماً على السودان وماكاد يبلغ الخرطوم حتي ندم الزبير على فعلته وأخذ يكتب الى الحكومة ويمدها بالاغارة على جنوب دارفور فارتأى اسماعيل ايوب باشا قبول وعده وتأجيل معاقبته لفرصة أخرى

وفي غضون ذلك كتب الزبير الى سلطان دارفور يقول ان العبيد لادين لهم وهم عبدة أو ثان يحمل استرقاقهم شرعاً فكتب اليه سلطان دارفور يقول

صدقت انه ليحل لنا استبراق العبيد وبائتي (الشطيطة) لاف الزير من قبيلة  
الجليين واهل دارفور يسونهم بهذا الاسم لانهم يذهبون الى بلادهم تجارا  
بهذا الصنف

وفي أوائل سنة ١٢٩١ كان الزير باشا والنور بك عنقره قد بلغا حدود  
دارفور وكان عرب الرزيقات التي تقدم لنا ذكرهم اعتدوا على قافلة من  
التجار كانت مجتازة بين دارفور وبحر النزال فقتلوا رجالها ونهبوا متاعها فنذر  
الزير بهذا السبب وسأل سلطان دارفور تمويصاً عنها فامتنع وأرسل اليه  
بجيش جرار تحت قيادة وزيره أحمد شتا فتعالف الزير مع عرب الرزيقات  
وقال لهم ان غلبني سلطان دارفور فكونوا معي علي وتأثروني بخيلكم واغضبوا  
اسلابي وان انا غلبته فكونوا معي عليه وافعلوا به ما تقدم فرضي الرزيقات  
بهذا الشرط وتقدم الوزير احمد شتا ورجاله في تيه عظيم نحو الزير وسلاحهم  
الرمح والسيوف لا يعرفون ما البندقية وسروجهم مصفحة بالذهب فصب  
عليهم رصاصاً كالسيل فكانوا يظنونه رعداً قاصفاً ويتلون الآية «ويسبح الرعد  
بحمده والملائكة من خيفته» وسقط ألوف منهم قتلى وقتل قائدهم وأكابر  
قواده وانهمز الباقي وتمزق شملهم كل ممزق وتأثرهم فرسان الرزيقات  
واختنوم قتلاً ونهباً وأرسل الزير يعلم اسماعيل أيوب باشا ويطلب منه المدد  
فسافر اليه مدير كوردقان في ثلاثة طواير من الجنود النظاميين ومعه مدافع  
وسوار يخ فاجتمع عليه وفتحوا مدينة (داره) وتحصنوا فيها وزحف اسماعيل أيوب  
باشا بمسكر كثيف من الخرطوم قاصداً دارفور ولما تحصن الجند في داره  
جمع السلطان ابراهيم جنده وتقدم نحو داره حتى صار على مقربة من الحصن  
فقاها الجنود بنار حامية اضطارته الى التقهقر فرماه قومه بالجبن فقبض



على كثيرين منهم وزجهم في السجون وضرب أعناق كثير منهم ثم هاجمته  
الجنود فحملهم وجماعة من بطائنه وآل بيته ممسكا بيده سيفاً حتى دخل  
وسط الجنود وهو يصيح أين صاحبكم الزبير بائع السباع فعبوا عليه  
الرصاص كالطوفان قتلاً هو وبطائنه وذوو قرابته ودفنت جثته بالأكرام  
اللائق وتقدم الجنود نحو الفاشر عاصمة البلاد واستولوا عليها ونهبوا ما فيها  
حتى كانت الريالات مبعثرة على وجه الأرض والطرق مملوءة منها وفي  
اليوم التالي وصل اسماعيل أيوب باشا الفاشر ونال حظاً كبيراً من الغنيمة  
واشتد الخلاف بينه وبين الزبير باشا الذي شخص إلى القاهرة لمقابلة الخديو  
فمنعه من العودة وكان من أمره ما نحن في غنى عن إيراده ومن ثم خضعت  
بلاد دارفور للحكومة وقسمت إدارتها إلى ثلاثة أقاليم (الفاشر) وهي  
مقر الحاكم العام و (داره) و (كبكايه) ولكل إقليم مدير وعلى السكل  
المدير العام

ولما أبعد الزبير عن دارفور ظن ابنه سليمان أنه وارثه وأنه سيكون  
حاكماً مستقلاً على دارفور فخاب ظنه وفي غضون سياحة غوردون في إقليم  
دارفور دبر ابن الزبير مكيدة لقتله قبل أن يبلغ حصن (داره) وبينما كان ابن الزبير  
واعوانه يتشاورون في الأمر اجتاز صفوفهم غوردون ودخل الحصن فاندحشوا  
حين سمعوا إطلاق المدافع للترحاب به

ولم يمض غير بضع دقائق حتى بمت يستدعي النور عنقرء والسعيد حسين وكان  
نحاسين مع ابن الزبير فخرأ وبعد أن جلسا أمر لهما بالقهوة والسجائر ثم سألهما  
هما دبراه مع ابن الزبير لاغتيا لحياته فقالا ان ابن الزبير يريد القبض عليك  
واخذك أسيراً يستفك بك أباه من مصر فقال لهما ولماذا لم تصحاه وتبيناه

له منبة مثل هذا الجنون فقالا انه محاط باشرار من رجال النخاسة وانه لا يصني  
لنصحننا الا اذا كان موافقا لما يشير به أولئك الاشرار فصدقهما وأمر السعيد  
حسين بالتوجه الي (شكا) وجعله كما عليها وولي رفيقه جهة أخرى ثم استدعي  
ابن الزبير ومحضه النصيح وحذره وخامة عاقبة الخروج علي الحكومة فتظاهروا  
بالطاعة فأمره بمغادرة دارفور والحقا ببحر النزال ثم كان من أمره فيها  
ما تقدم لنا ايراده

ولما خرج ابن الزبير من عند غوردون استطال بالشم على النور عنقره والسعيد  
حسين فردا عليه أقبح رد وقال له لولانا لم يبلغ أبوك ذرة مما بلغ وانا  
سبب كل خير له وها نحن فارقناه وسيكون من وراء فراقنا اياه ما يذهب بحياته  
وقد صدقت الايام قولهما وسيأتي ذكر السعيد الحسين وقتله في غضون حصار  
الخرطوم لحياة ارتكبتها

وقبل انصراف اسماعيل ايوب باشا من دارفور عين حسن حلمي باشا  
الجويسر حاكما على أقاليمها وحشد فيها جيشا كثيفا كانت نفقاته عبثا ثقيلا على  
كاهل الحكومة الخديوية لان دخل البلاد لا يقوم بعشرتلك النفقات لاسباب  
منها ان الضرائب موزعة على القبائل بغير قيد فيؤدي الجباة جزأ طفيفا مما  
يجبونه ويأخذون الباقي لانفسهم

علي ان التعامل لم يكن بالذهب ولا بالفضة بل بقطع من القماش صنع  
أوروبا وكل ثلاثة أذرع قيمتها خمسة غروش مصرية وبقطع من خرق تصنع  
هناك اسمها (الدمور) ومن الاسباب الداعية لزيادة النفقة توالي الحروب  
الاهلية والثورات الداخلية من المطالبين بالملك من وزراء السلاطين بالرغم  
عما اتخذته الحكومة من الحيلة بالقبض على اكثرهم وارسلهم للقاهرة

وما كادت سلطة الحكومة تم تلك البلاد حتى قام رجل من سلاطة ملوكها يدعى هارون وعقد البيعة علي حربها ولقب نفسه بالرشيد واستمر رخ سكان الجبال وبعد حروب كثيرة تمكنت الحكومة من طرده من البلاد حيث لجأ الي الجبال فاغتم غردون هذه الفرصة لتقليل الحماية واقتصاد النفقات ثم تمكن غردون بدهائه من القاء النفرة والشقاق بين النخاسين ليتمكن من اراحة دارفور منهم وذلك بما أتاه مع النور عنقره والسعيد حسين وابن الزبير

وعلى أثر ذلك ثابت البلاد الي السكينة وأخلدت الي الطاعة فاجأتها المهدوية بدعوتها وحروبها كما تبين ذلك

### ذكر راي عبد القادر باشا في دارفور

قبل ان نذكر استيلاء المهدى عليها نأتي على ذكر رأى عبد القادر باشا في دارفور لكيلا يفوت القارئ الوقوف عليه فنقول . قد ذكرنا ان عبد القادر باشا كان يري ان المهدوية يمكن حصرها في اقليم كوردفان حتى تدب عقارب الاختلاف بين انصارها وحينذاك يكون القضاء عليها كما قدمنا ان المهدى كان ذا طموح شديد لدارفور لتكون طريقة الي السودان الغربي أو ملجأ يعتصم به من وجه الحكومة اذا أحس بالفشل وقد كان في غضون حصاره الابيض يوالى ارسال الرواد ويسعي مجدداً لاستمالة البيوت القديمة ويعد من بقي من ذراري الملوك بارجاع الملك الي نصابه فقام دعاة كشير ون وجموا وعصائب كثيرة في امكنة مختلفة

على انهم لم يأتوا أسراً جللاً بل جل ما أتوه انهم قتلوا الطرق بين المدن

وعطلوا سير البريد الذي لا يقدر على السير الا اذا كان حراسه نحو الخمسمائة  
وقد كان عبد القادر باشا يبحث على طريقة تعيد خملوط المواصلات مع  
دارفور ولو بطريق الصحراء المعروف بطريق الاربعين أو من طريق بحر  
النزال فاذا تم له عمل كهذا كان أقل نتائجها تعزيز حامية دارفور حتى تصبح  
قادرة على مطاردة دعاة المهديّة من البلاد والوقوف في وجه المهدي والحيلولة  
بينه وبين دارفور

ولو اتخذت الحكومة من الخطة ما يمنع تقدمه على الخرطوم واتبعت  
مشورة عبد القادر باشا وعدلت عن ارسال حملة الجنرال هيكس كما سيأتي  
ذلك في محله لكانت النتيجة مرضية وقاضية على المهديّة في كوردفان ولكن  
سبق السيف العذل

على انني أقول كلمة وهي ان الحكومة الحديوية بعد اخذها انصائح عبد القادر  
باشا مكنت المهدي من السودان ورضيت بالمذابج والفظائع التي  
ارتكبها المهدي وأول هذه المذابج حملة الجنرال هيكس التي أرسلتها كقطمان  
من النعم تنالها الذئاب من كل جهة

نقول ان حملة الجنرال هيكس أول هذه المذابج اذا قلنا ان الحكومة  
كانت معذورة بسبب الثورة المرابية وغير قادرة على ملافاة ما تقدم من المذابج  
التي أولها واقعة (آبا) الى سقوط الأبيض

هذا وقد علمت ان المال الذي كان يطلبه عبد القادر باشا للقيام بهذه  
الاممال لا يتجاوز مائة الف جنيه وبهذا القدر الزهيد كانت الحكومة تقتصد  
بقية النفقات التي انفقها مؤخرًا على ازالة دولة المهديّة بعد ان دمرت البلاد  
وصيرتها خراباً لا تسترد حالتها الاولى الا بعد قرن

## ذكر قدوم محمد خالد زقل من دارفور

وفي أواخر سنة ١٣٠٠ هجرية وفد محمد بك خالد زقل وكيل مديرية (داره) على المهدى قادما من دارفور برسالة من سلاطين باشا مدير عموم دارفور فاستقبله المهدي خارج المدينة وأطلق له مائة مدفع واستعرض جيوشه أمامه وقدم له هدايا كثيرة من الجوارى الحسان وقرأ كتابا من سلاطين باشا على رؤس الأشهاد في المسجد يقول فيه « اني تركت النصرانية منذ زمان مديد واعتنقت الاسلام دينا وانى مسلم ومؤمن بالمهدى ومصدق بدعواه وأنا مستعد لتسليم البلاد والدخول في دعوة المهدي » فأثني على سلاطين باشا ودعا له بخير وكان ذلك قبل هلاك حملة الجنرال هيكس ببضعة شهور وهنا نورد ترجمة محمد خالد اتماما للزائدة فنقول انه دنقلى من أقارب المهدي يجتمع معه في الجلد الرابع استوطن أبوه دارفور وولد المترجم بها وكان يشتغل بالتجارة حتى حصل على ثروة عظيمة ثم صار وكيل المديرية (داره) وكان ذا دهاء وحيل وزقل لقب له

نعود الى ذكر كتاب سلاطين باشا فنقول يوجد هناك كتاب بعثه سلاطين باشا ولكن مضمونه لم يكن كما قرأه المهدي وليس بعيد ان يكون حرفه كمادته ليبحث به طمانينة في قلوب انصاره حيث كانوا على وشك مناجزة الجنرال هيكس

وهنا ننقل تلك الاسباب عن سلاطين باشا نفسه فقد قال انه لما أحس بكثرة دعاة المهدي في البلاد أيقن أنه اذا عمد الى اعادتهم الى الطاعة بالقوة لا تلبث الذخيرة أن تنفذ ولا يمكن الحصول على غيرها وحينئذ تكون

## المأقبة بالاريب وبالآ

وكان على (داره) مدير ايطالى توفى بالحملى وناب عنه فى وظيفته وكيله محمد خالد زقل وكان سلاطين باشا عالميا بقرابته للمهدى وقد نثيت اليه اخبار ميله اليه ودعوته له سرانخاف سلاطين باشا الداقبة فشخص الى (داره) من القاهر وهناك بث الميون على محمد خالد فتحققت ظنونه وزادت هواجبه منه وزاد الطين بلة انه تحقق تفاقم الحطاب وأحس بميل كثيرين من الاهالى لجانب المهدى وعلم ان المهدى لا يمنعه من ارسال جيش لاخذ دارفور عنوة الا تربسه لملحة الجنرال هيكس فنتاح محمد خالد فى مايلفه عنه فلم يبعد قرابته للمهدى ولكنه حلف ايمانا غليظة على انه باقى على ولاء الحكومة والاخلاص لها فساله سلاطين باشا أن يكون رسوله لدى المهدى ويحمل كتابه له ويعمل لتأخير زحفه على دارفور حتى الفراغ من حملة الجنرال هيكس فاذا كانت الغلبة عليها أسلم سلاطين باشا البلاد للمهدى وان كانت عليه كانت الحكومة جديدة بمكافئته وعلى ذلك بارح محمد خالد زقل دارفور وافدا على المهدى وكان من أمر الاحتفاء به ماوردناه

هنا مارواه سلاطين باشا وقد أصبح محمد خالد احمد أغا الجريدلى

## قاوش أغاسى المديرية

وحكى لنا من نثق بروايته ان وفود زقل الى المهدى كان من الاشياء التى قدر بها المهدى على تسكين خواطر كثير من أنصاره الذين كانوا يحسبون ألف حساب لملحة الجنرال هيكس التى وصلت اليهم انباءها بغلو كثير فكانوا يتحدثون بما لديها من الاسلحة ومعدات القتال بكلام يبعد عن العقل مثل قولهم ان الجنود لا يحملون أسلحة بل الرصاص ينقذف من أفواههم وعيونهم

وأنوفهم وان لديهم نيرانا تسير في الجو كالسحاب ولا تترك شيئاً مرت عليه من شجر ومدر الاجملته رماداً ومثل ذلك كثير لو أردنا ايراده لضاعت عنه المجلدات. ويقول كثير من ضباط حامية دارفور انهم كانوا يستطيعون النجاة والفرار من وجه المهدي بطريق الاربعين حيث ينتهي سيرهم في دتملة وهذا زعم باطل لان حامية مؤلفة من بضعة آلاف شخص عدا حائلتهم التي تبلغ أكثر من اثني عشر ألف نسمة كيف تستطيع الهرب في وسط صحراء لا يقطعها الراكب في أقل من أربعين يوماً وليس في هذه المسافة ماء غير أربعة مناهل فقط

وبقي محمد خالد في الأبيض مع المهدي حتى فرغ من حملة الجنرال هيكس فأعاده الى دارفور وجعله حاكماً عاماً عليها وسيأتي ذكر ذلك بعد حملة الجنرال هيكس

### ذكر حملة الجنرال هيكس باشا

لما قررت الحكومة بصفة رسمية ارسال حملة الجنرال هيكس أبلغ المهدي جواسيسه ما عولت عليه الحكومة فأصدر منشوراً يحض الناس فيه على الجهاد في سبيل الله وأمر المقاتلة أن يعسكروا خارج المدينة فكانوا يقضون الليل في المعسكر ويعودون في النداة الى المدينة وكان هو وخلفاؤه يفعلون كذلك وأصدر منشوراً الى القضاة والنواب بتأجيل نظر ما يرفع اليهم من القضايا لي ما بعد الفراغ من الجهاد وكان ذلك قبل قدوم الحملة بنحو ستة شهور وأخذ يستعرض جيشه مرتين في الاسبوع. وصفة هذا الاستعراض أن

كل قبيلة تقف تحت رايها وهو يمر عليهم ويقف عند كل راية يعظم من حولها  
 ويحضهم على الجهاد في سبيل الله فينتحبون بالبكاء ويمضون الانامل شوقا  
 الى الجهاد وفي الحقيقة ان الرجل كان واعظا بليغا يعرف كيف يتمكن من إلانة  
 قلوب أولئك الجهلاء الا أن مواعظه كانت مشوبة باكاذيب وخرافات  
 لا يقبلها غير أولئك الجهلاء ويكاد يكون وعظه خلوا من الحكم الدينية ويرجع  
 إسنادها الى دعاويه الطويلة العريضة أمثال أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني  
 بكيت وكيت

على أن جميع هذه الاخبار المختلفة لا يخفى اختلافا على جاهل من عامة  
 المسلمين مثال ذلك أنه كان يقول لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أخبرني بان اصحابي أفضل من أصحابه لانهم يحاربون النيران ويخوضون  
 صفوف القنابل والرصاص بخلاف أصحابه صلى الله عليه وسلم فانهم ما حاربوا  
 غير السيوف والرمح ولم يخوضوا غير صفوفها ولا يخفى ما في ذلك من الكذب  
 عمدا على الله ورسوله

وأدهى من ذلك كله دعواه أن فضله كفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لا ينقص عنه شيئا وأن خليفته عبد الله التميمي أفضل من ابراهيم الخليل صلوات الله  
 وسلامه عليه والخليفة على بن حلو أفضل من موسى كليم الرحمن عليه السلام  
 والخليفة محمد شريف أفضل من عيسى روح الله وكلمته عليه السلام

ودخل عليه مرة شاعر ينظم اشعارا باللغة العامية يدعى ابن التويم وكان يتغالى  
 في مدح المهدي حتى افتي كثير من العلماء بكفره واسروا فتواهم حيث أيقنوا أنهم  
 ان اظهروها حكم عليهم بالكفر وقتلوا شر قتلة وقال للمهدي اطلب منك  
 اعطائي مقاما فقال له اعطيتك مقام حسان بن ثابت رضي الله عنه فنفقته



العبرة وبكى وقال ياسيدي إن حسان كان شاعرا مثلي ولكنه كان جباناً  
لا يقاتل مع مولاة وأنا شجاع أخترت مصروف القتال وأنا قائد عسيري  
فكيف أرضي بمقام حسان فقال له المهدي قد أضفنا لك مقام خالد بن الوليد  
رضي الله عنه على مقام حسان فانت اذن حازر للمقامين فاستبشر وقبل يد  
المهدي. ومنح أحد الموالى مقام زيد بن حارثة وسمى نساه بامهات المؤمنين  
وسميت بيان ذلك في غير هذا الموضع

ومن هاته الاكاذيب انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان  
حالة الجنرال هي كس مخدولة وان ارواح كل جنودها تحت مصلاه وانه اذا  
شاء قبض على تلك الارواح فيموت الجند جميعه قبل ان يغادر الخرطوم وانه  
اختار ان يتركها حتى تقدم عليه ليحرز أصحابه ثواب المجاهدين في سبيل الله  
ويفوز من أراد الله به خيرا بالشهادة

وكان أولئك الجهلاء يتلقون هذه الاكاذيب بالارتياح والقبول ولا يجسر  
أحد على اظهار الشك فيها لان عقابه القتل فوراً

وأرسل المهدي قائداً من قواده اسمه الحاج محمد أبو قرجه وعمر بن  
الياس أم برير ومعهما أربعون الف مقاتل من الجعليين والداقلة وأمرهم ان  
يمسكروا في مكان يدعى (البساطه) بالقرب من أم درمان فاذا غادرت الحملة  
أم درمان ساروا من خلفها بمسافة لا تزيد كثيراً عن مرمي المقذوفات النارية  
وهنا نورد طرفاً من ترجمة الحاج محمد أبو قرجه فنقول هو أول من حاصر  
الخرطوم ثم صار أميراً على السودان الشرق واصله دنقلى استوطن اسلافه  
قرية (القطنية) التي تبعد عن الخرطوم بخمس مراحل على النيل الابيض  
وكان تاجراً متوسط الحال لحق بالمهدي في جيل قدير وصار قائداً من

قواد فرقة الخليفة شريف وكان من اجزم أسراء المهدي واعقلهم تزوج ابنت حامد شقيق المهدي وكان الاسراء يرمونه بالانفاس في الملاذ والمكوف على الشهوات لانه كان لا يجاريهم في التغالي في الظهور بالزهد والتقشف كما عليه المهدي وخلقائه وقواده وجميع المقربين منه

وابتدأت الحملة سيرها من أم درمان براً وبحراً حتي بلغت ( الدويم ) وهي قرية على ضفة النيل الابيض تبعد عن الخرطوم بنحو عشر مراحل وهناك اجتمعت الالوية كلها وأخذت في الالهبة للمسير في الصحراء الى الابيض وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٠ هجرية

وأكرم علاء الدين باشا نحو ثلاثين رجلاً من التجار والموظفين الملكيين على مرافقته واناب عنه في ادارة شؤون الحكمدارية وكيلها حسين باشا سرى

ورافقه ديلان أصلهما من قبيلة الجمع قدما الخرطوم بايعاز من المهدي وصارا دليلين لها ليسلكا بها الطريق المعطشة المملوءة بالغابات

وغادرت الحملة الدويم في أواخر شهر ذي الحجة وكان عدد مقاتليها أربعة ألوية مصرية نظامية كل لواء يتبعه أربعة آلاف مقاتل فالحملة ستة عشر ألفاً ومعها ألف جندي من السواري لابسى الدروع والخود ونحو ألف جندي سوداني وجنود أتراك غير نظاميين كلهم فرسان تحت قيادة الصناجق عبد العزيز بك ويحيى كامل بك وخير الدين بك

ورافق الحملة مكاتبان حربيان لجريدتي التيمس والدانيوز الانكليزيين وكان عدد الجمال المعدة لحمل الاثقال يربو على ثلاثين الفا عدا البغال واسلحتها من طررزرا منجوتون وأربعة مدافع كروب قطار تسعة وستة مدافع مترليوز

انكليزي بست طلقات وثلاثون مدفعا من الطراز الجبلي وستة عشر ساروخا  
 حربياً أما الذخيرة الحربية فكثيرة جداً والاقوات كافية لمؤنة ستة شهور  
 وسارت الحملة من (الدويم) الى (شاة) ومنها الى عقبة وما كادت تغادر  
 ضفة النيل - حتى رأت العدو يقلعها بالجلبه والصياح فاضطرت ان تسير  
 في شكل مربع يحيط بدواب الحمل وكانت لا تقدر على المبيت الا في داخل زريبة  
 من الشوك وكل جنود يتعمدون الزريبة عن جلب الحشائش لعلف الدواب  
 يقومون في يد العدو وقد مات اكثر الدواب من قلة العلف ولحق الجنود تعب  
 كثير من قلة النوم لان العدو كان يقلعهم بصياحه في كل ليلة صرات عديدة  
 فيقومون للاهبة لصد هجمته فيعود بغير قتال وهكذا حتى مطلع الفجر  
 ولما بلغت الحملة منهلاً اسمه (الرهذ) يبعد عن الابيض مسيرة أربع  
 مراحل قام المهدي يحرض قومه على الجهاد ويقول لهم اذا رأيتم العدو فكبروا  
 ثم قولوا ( اللهم نواصينا ونواصيهم بيدك وأنت القاتل لهم ) وقبض العدو  
 على الماني كان مهندساً في الحملة بينما كان يرسم بعض الغابات فارسله الى المهدي  
 واكد سلاطين انه هو الذي ابلغه ما يقاسيه الجنود من التعب وما هم فيه من  
 الحور واعتنق هذا الالماني الاسلام وبقي أسيراً بيد المهدي حتى مات ببلاد  
 الحبشة فاراً من الاسر

وكان الخلاف مستحكماً بين الجنرال هيكس وعلاء الدين باشا حتى قيل  
 ان اكثر الجنود والضباط كانوا يظهرون لهيكل السكرامة وعدم الطاعة  
 وفي يوم الجمعة مستهل محرم سنة ١٣٠١ هجرية وصلت الحملة الى (شيكان)  
 وكان بها غدير مملوء بماء المطر وفي اليوم التالي زحف المهدي وعسكر في  
 ( البركة ) على غدير ماء كان يخشى ان تسبقه الحملة اليه وكان عدد مقاتلته المشاة

نحو خمسمائة ألف، مسلحين بالحرايب والسيوف ونحو ستين ألف فارس من  
المسلحين بالبنادق وأصلهم من جنود الحكومة السود الذين غنمهم منها  
وكان يقودهم حمدان أبو غنجه

وفي صبيحة الاحد ثالث محرم هجم حمدان ابو غنجه بالفرسان على ركن  
من أركان الزريبة فوقف له الجنود وقفة الابطال فرجع بخسارة وقتل في  
هذه المعجزة الميرالاي رجب صديق بك وجورجي بك طبيب الحملة وغنم  
العدو مدفعين من طرز مترليوز ونحو عشرين جملاً وبالرغم عما كان فيه  
الجنود من المتاعب تمكنوا من دحر العدو واعادة النظام وأصيب عبد  
الله بن النور من اكبر قواد المهدي برصاصة في نخذه الايمن وقتل محمد  
فوزي كاتب المهدي وأصله رقيق ربته الحكومة في مدرستها حتي صار  
تلغرافياً وأخيراً طرد من خدمة الحكومة لاسباب قانونية ثم لحق بالمهدي  
وقتل نحو الفين من مقاتلة العدو

وفي ذلك اليوم أى يوم الاحد فر جندي اسود وأبلغ المهدي ان الحملة  
فقدت الماء منذ أمس وان غدير (شيكان) نفذ ماؤه ولم يبق فيه غير الوحل  
وان الجنود يأكلون الطين والاوhal من شدة الظمأ وقد تمردوا على  
ضباطهم وسقطت هيبة النظام من قلوبهم حتي أن الضابط اذا أمر الجنود  
بشيء لا يجاوبونه بغير الضرب وقد مضى عليهم اكثر من أربع وعشرين ساعة  
لم يذوقوا فيها طعم الماء وفي صباح الغد أى الاثنين رابع محرم ربما زحفوا  
على الابيض لانهم علموا بوجودكم في البركة وخلو المدينة من المدافعين

فلما سمع المهدي هذه الانباء جمع خلتاءه وقواده والتي عليهم خطبه قال  
فيها ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بهلاك الحملة في صبيحة الغد لو لم

تقدموا نحوها

وفي صباح يوم الاثنين الرابع من محرم صلي المهدي بغلس وقسم جنده على ثلاث فرق وأمرهم بالمهجوم على الحملة التي كانت غادرت شيكان سائرة الى الابيض بنحو ميل وكانت تسير بغير انتظام بسبب ما يقاسيه رجالها من الظمأ فهجم عليها العدو في غضون السير فلم تستطع المقاومة فانقض عليها وذبح كل الجنود ولم ينج منهم الا مائة وعشرون جنديا مصريا وضابطان من رتبة ملازم اسم أحدهما محمد حلمي والآخر محمد عزمي وأخذ الدراويش يجردون القتلى من ملابسههم ويطلقون النيران في أجسامهم مدعين ان النار انماتاً كل أجسامهم اظهاراً لكفرهم وكرامة من كرامات المهدي وزعم المهدي ان احراق النار علامة على ان الملائكة هم الذين قتلهم لانهم حاربوا معه في هذه الواقعة كما حاربوا مع النبي صلي الله عليه وسلم في بدر. وقتل علاء الدين باشا والجنرال هيكس وحسين باشا مظهر ونجا تاجر من الابيض اسمه عبد الرحمن بان النقا وهو ابن الحاج بان النقا الذي تقدم لنا ذكره مع تجار الابيض وكان المهدي أوصى بعدم قتله لانه كان مسجوناً مع الحملة حيث ثبتت خيانتة وانه كان عيناً للمهدي عليها

وفرق المهدي الناجين من رجال الحملة عبيداً للامراء واكد عليهم باستخدامهم في خدمة خيولهم وأقام ستة أيام في البركة ريثما أتم بيت المال جمع الفنائم والاسلحة وقفل راجعاً الى الابيض

هذه تفاصيل مهلك حملة الجنرال هيكس التي لا يخفى ما خامر الناس من الحزن والذهول لما اتصلت بهم أنباءها في الخرطوم ومصر وقد كان عبد القادر باشا يرى أن لا لزوم لارسال هاته الحملة بعد ان سقطت

الايض في قبضة المهدي وان خير طريقة ليس تخدم فيها هذا الجيش هو اقامة معسكرات منيعة على ضفة النيل الايض عند مدود كردفان لتتمتع تقدم المهدي على الخرطوم من جهة ومن جهة أخرى تناوش حدوده لتضطره الى مهاجمتها اذ لاشك انه يعود مدحوراً منها وقد أدرك القاريء انه كان لا يستطيع الغلبة على حاميات الحكومة بغير الحصار وفقد الاقوات أو الماء كما حصل في سقوط الايض ومهلك هاته الحملة التعمية وبديهي ان المهدي كان لا يستطيع الغلبة عليها مادامت محصنة على ضفة النيل وذخيرتها وميرتها تصل اليها من الخرطوم على طريق النيل

وبهذه الطريقة يجوبقية السودان من الوقوع تحت برائن المهدية ويصبح من المستحيل عليه لاستيلاء على الخرطوم ونشر نفوذه في السودان كله على ان حصر المهدية في اقليم كردفان بضع سنين كان ذا نتيجة مرضية لجانب الحكومة لو لم ترسل الجنرال هيكل لان المهدي جمع حوله من المقاتلة مثل العدد الذي ذكرناه ولا بد له من نفقات تقوم بحاجات هذه النفوس ومن أين يقوى اقليم كردفان على القيام بهذه الاشياء وقد تناقص محصول الزراعة بسبب ان اكثر المزارعين صاروا جنداً وهجروا المزارع وسكنوا الايض مع المهدي وكانت تجارة الصمغ معين ثروة كبيرة لهذا الاقليم وقد أبطلها المهدي

وعليه لا يلبث المهدي اذا منع من التقدم الى الخرطوم أن يضطر الى وضع ضرائب فادحة على الاهالى لتقوم بنفقاته وحاميته ولا ريب ان تلك الضرائب تستنفد كل ثروة كردفان في عام واحد وفي الثاني تكون مجاعة يجز معها من تقديم الاقوات للذين جاؤا معه من القبائل المستوطنة في

جبال قدير وفي أطراف دارفور ولا بد أن أكابر القواد يمدون أيديهم  
وينيون ما بأيدي قبائل كوردفان فتقع النمرة بينهما ولا ينبغي أن المهدي كان  
يقسم كل ما عنده لاستمالة الناس وليوهمهم أنه منزى عن ادخار المال وإن  
أمنته هي الدار الآخرة

وبناء على هذه الأسباب يرى المتأمل أن الحكومة أخطأت العوالب  
بارسال هذه الحملة بل قدمت السودان لقمة دسمة للمهدي ثم هي أصرت على خطئها  
ولم تشأ أنقاذ السودان بعد هذه الحملة وذلك أنها صبت آذانها عن ارسال  
جنود مع غوردون باشا حيث كان في الامكان إعادة حفظ الحالة التي كان عليها  
المهدي قبل ارسال الحملة ولكن ارادة الله غالبية على كل شيء لا اراد لقضائه  
ولا حائل دون مشيئته

### ذكر ترك السودان

فقدت الحكومة كل جلد لما اتصل بها نبأ فشل حملة الجنرال هيكنس  
وكان أول عمل آتته أن كتبت إلى الحكمة الإدارية تأمرها بإجلاء الحاميات من  
الدويم والكوة وفشوده وسنار لتعزير حامية الخرطوم وأمرت بترحيل  
المصريين على نفقاتها تدريجاً للجلاء من الخرطوم فأخذت مراكز الدويم والكوة  
وفشوده من حامياتها وكان ذلك بمثابة أمر صريح من الحكومة لعدم سكان  
السودان بالانضواء إلى راية المهدي والخضوع لجبروته

وكان دعاة المهدي حوالى الخرطوم وسنار لا يجرأون على الظهور بالدعوة  
خوفاً من الحكومة فكتب لهم المهدي يبشرهم بما أتبع له من الفوز ويأمرهم  
بإظهار الدعوة ومناوأة الحكومة وسيأتي تفصيل ذلك على حدة

ووثب احمد بن المكاشفي الذي تقدم لنا ذكره وحشد نحو سبعين ألف مقاتل حاصر بهم سنار ومنع الحامية من انفاذ أمر اخلائها وسيأتي ذكر ذلك وزاد الطين بلة صدور أمر مال بترك السودان وأخذ أهل الخرطوم ينزحون الى بربر وأحصى من فيها من المصريين قبلوا أكثر من مائتي ألف نسمة يتعذراجلأولهم عن الخرطوم في أقل من ستين وعادت القلائل ودخل السكان أجمعون في طاعة المهدي فكانوا يجتمعون خارج القرى والمدن ويضربون الطبول ويخلعون ملابسهم ويستبدلون باللبس المرقعة التي هي شعار المهديّة ويرسلون منهم وفداً الى المهدي لتقديم الطاعة والخضوع ولم يعد للحكومة نفوذ وسقطت هيبتها وكان المهدي لا يقطع بان الحكومة عاجزة عن ارسال جنود تمنع تقدمه على الخرطوم ولذلك عاد الى الأبيض وصوب عن يمينه لاسقاط دارفور كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه

ذكر فرار وكيل مديرية الخرطوم ومحاquه بالمهدي  
أشرنا الى أعمال محمد علاء الدين باشا حيث أباح وظائف الحكومة الى تجار السودانيين فجعلوا ينزفون الى المهدي بإيقافه على الاسرار التي تدبرها الحكومة وكان من بين أولئك التجار رجل اسمه محمد الجزولي توصل لمنصب وكالة المديرية مع عدم الاهلية ثم أرسلته الحكومة لجباية الضريبة من جهة المسلمية التي هي وطنه الأصلي فاجتمع لديه أكثر من اثني عشر ألف جنينه ثم اتصل به صدور أمر الحكومة بترك السودان فقبض على من معه من موظفي الحكومة وشخص الى المهدي بالأبيض ودفّع له المال وأملّله على ما عولت عليه الحكومة من ترك السودان فكاد يطير من الفرح وأطلق مائة مدفع



وادعي ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالاستيلاء على الخرطوم وأن اصحابه  
 سيفنمون اموالهم كما غنم اصحابه صلى الله عليه وسلم أموال الفرس والروم  
 وكان لمحمد الجزولي عم يدعى حمد التلب مات مع حملة الجنرال هيكرس  
 وكانت له أموال فاستولى عليها ابن أخيه هذا وادعها تاجراً ذهب بها الى مصر  
 ولما ولي التعايشي قبض على محمد الجزولي وشدد عليه في اداء مال عمه  
 لانه لبیت المال وثقی معذباً في السجن عدة سنوات حتى مرض به ومات  
 بعد اخراجه منه بايام يسيرة ولم ينتفع بنوه بشيء مما اغتاله من مال عمه بل  
 ذهب كل ما كان يملكه لبیت المال واغتال التاجر ما وادعه من المال وهكذا  
 مقبة الظلم ومصير الظامة

### ذكر سقوط دارفور

ذكرنا ما كان من أمر سلاطين باشا وانفاذه محمد خالد زقل للمهدي  
 ولما هلك حملة الجنرال هيكرس رفع أهالي دارفور رؤسهم الى الثورة  
 وجاھروا بخلع طاعه الحكومة واجتمع جيش كبير من الثوار وحاصروا  
 سلاطين باشا في داره فشاوّر ضباط الحامية وسائر الموظفين الذين  
 رأوا عدم قدرتهم على الدفاع وانهم اذا دافعوا لا يمكن ايصال نجدة اليهم بعد  
 هلاك حملة الجنرال هيكرس وتقلص نفوذ الحكومة من كوردفان فكتب  
 سلاطين باشا كتابا الى المهدي عرض فيه التسليم على شرط ان يكون عمال  
 الحكومة آمنين على ارواحهم وأموالهم فاستدعى المهدي محمد خالد زقل  
 وكتب له منشوراً بالولاية على دارفور من قبله وأوصاه بان يستصفى أموال  
 عمال الحكومة عدا سلاطين باشا نقد أوصاه باكرامه ومراعاته وأن لا يمس

بسوء وانتدب عمر بن الياس أم برير ومعه نحو عشرة آلاف مقاتل لمرافقة  
محمد خالد وعمره بجيش يزيد على أربعين ألفاً وخرج لوداعهم مسيرة ستة  
أميال ثم عاد الى الأبيض

ولما وصل محمد خالد الى ظاهر داره خرج للقائه سلاطين باشا ومعه  
الضباط والعساكر ودخلوا المدينة وأبرز محمد خالد كتاباً من المهدي الى سلاطين  
يعلمه فيه بأنه عين أميراً على دارفور وأكد عليه في طاعته وبمسد تلاوة  
الكتاب شرع محمد خالد في استسلام الجبه خانات والاسلحة وما في خزينة  
الحكومة وبعد الفراغ قبض على عموم الضباط والموظفين ومصادر أموالهم  
وشرع في تعذيبهم ليدلوا على ما خباؤه من أموالهم وقتل كثيرين منهم بالتمذيب  
وكان من بين الضباط رجل اسمه حمادة افندى رتبته صافقول أغاسي  
وكان ذا ثروة تبلغ الخمسة آلاف جنيه غادر القاهرة بنحو ألفين منها وحصل  
على الباقي من الاقتصاد لانه كان مشهوراً بالبخل والحرص فأمسكه الدراويش  
وشرعوا في تعذيبه عدة أيام فكان يتحمل التعذيب بثبات غريب ويشتم  
معدبيه ويقول لهم لماذا تضربوني فيقولون له لتدل على مالك فيقول اذا كان  
مالي فأنى دخل اسمي في اخفائه أو اظهاره فيقولون انه مال المهدي فيقول لهم  
هل مات أبوه وتركه عندي أم كيف تقولون ماله فيشتدون عليه بالضرب  
والتعذيب ولسانه لا يسكت عن سب المهدي عليه وأخيراً توفي من شدة  
التعذيب ولم تسمح نفسه أن يدلهم على ماله وتقال لهم لو كان مهدياً لعرف  
المسكان المحبوه فيه المال

ولما فرغ محمد خالد من معاداة أموال المصريين بعث بالاموال الى  
المهدي وخلفائه وأرسل ألوفاً من نساء المصريين كمحظيات للمهدي وخلفائه

واستكتب سلاطين كتابا الى السيد بك جمعه مدير الفاشر يأمره بالتسليم للمهدي وجمع محمد خالد أموالا كثيرة وبني دارا سكناه وتزوج بأخت سلطان دارفور وابتم له ثمر السعادة وأخذ في الاهبة والاستعداد للزحف على الفاشر ويروى عن بعضهم ان سلاطين باشا لما أنفذ محمد خالد لم يشأ ابلاغ الضباط بما كان بينهما من الاتفاق وما دبراه لدفع شرور المهدي عن دارفور ريثما ينظران عاقبة حملة الجنرال هيكس فثار الجنود وهجموا على دار محمد خالد ونهبوها حتى ألحقوا العار بيناته وسجنوا كثيرا من ذوي قرابته والمنتمين اليه وما زالوا مسجونين حتى أطلقهم سلاطين باشا يوم خروجه للقاء محمد خالد ونقل لنا واحد من أولئك المسجونين ان محمد خالد لم يعمد الي نهب أموال الضباط عملا بأوامر المهدي كما أشيع بل لينتقم منهم على فعلهم بال بيته ونهبهم داره

على ان هذه الرواية قريبة من الصحة وقد سألتها لماذا لم يشرك معهم سلاطين باشا فقال لاني كنت عالما بانه غير راض عن فعلتهم وانهم كانوا قد هددوه ظلما منهم انه أرسل محمد خالد ليسلم البلاد الى المهدي في حين أن إرساله كان خدعة ليؤخر تقدم المهدي الى دارفور ريثما ينظرون ما يصير بينه وبين حملة الجنرال هيكس وعلى كل حال كان وقوع دارفور في قبضة المهدي ضربة قاضية

ونقل لنا كثير من الضباط ان سلاطين باشا لما رأي ما أتاه محمد خالد مع المصريين من العذاب الاليم كادت نفسه تهرق وفقد صوابه وذهب الى دار محمد خالد وقال له على رؤوس الاشهاد لو كنت اعلم انكم تعاملون ضباطي بهذه المعاملة لاصليتكم حربا يشيب لها طفل الرضيع ولسمحت

بموت هؤلاء الرجال في ساحة الحرب، وأنا على يقين بأن الواحد منهم لا يموت  
 إلا بعد أن يقتل عشرة منكم فأخذ محمد يلاطفه ويلين له الكلام وأوصى  
 بتخفيف العذاب عن بعض الضباط وأطلق البعض. وكان بعض الحاضرين  
 يتوقع شرا يصيب سلاطين باشا على أثر تهديده لمحمد خالد بنحسب ظنهم ولم  
 يلحظه مكرهه

### ذكر سقوط مديرية كيكاييه

كيكاييه قاعدة الاقليم الشمالى من الفاشر وقد تقدم لنا ذكرها وكان  
 حاكمها ضابطا سودانيا يدعى آدم أفندي عامر وكان رفيقاً ثم انتظم في سلك  
 الجندي النظامية حتى بلغ رتبة البكباشي

ولما استولى محمد خالد على داره كتب آدم أفندي الى سلاطين باشا  
 بصفته مديرا عاما يستشيرهم عما يفعله فوق الكتاب في يد محمد خالد فامر  
 سلاطين باشا ان يكتب له كتابا يضمنه انه مصدق بمهدية المهدي وانه لا طاعة  
 له بمقاومته وينصح له ان يفعل مثله حذراً من ان يخسر الدنيا والآخرة فاطاع  
 سلاطين باشا وكتب كما شاء محمد خالد

ولما وصل الكتاب الى آدم أفندي اعلن دخوله في طاعة المهدي وخلع  
 طاعة الحكومة وأرسل وفدا الى المهدي ليلغوه الامر فتقبل الوفد  
 بالخفاوة وكتب منشورا اثنى فيه على آدم أفندي وجعله أميرا من قبله على  
 الاقليم وقائدا على الجند وأرسل له راية عليها شعاره وأمر ان يزحف بمن  
 معه من المقاتلة والاسلحة والمدافع وينضموا الى محمد خالد الذي كان وقتئذ  
 على وشك الزحف على الفاشر

وكتب المهدي أماناً لعامر أفندي ومن معه من الضباط والموظفين  
واكد ان لا يمسهم أحد بسوء في أموالهم وأعراضهم وقد كان ذلك ولم يصيبهم  
ما أصاب غيرهم من الظلم والحيف ومصادرة الأموال وهتك الأعراض  
وما ذاك الا لانهم سودانيون غير مصريين

### ذكر سقوط الفاشر

مدينة الفاشر هي حاصنة دارفور منذ دخولها في حوزة المصريين وكانت  
مقر السلاطين دارفور

وقد ذكرنا ان سلاطين باشا كان مقبياً بها ولكنه غادرها على أثر وفاة  
مدير (داره) الايطالي وكان السيد بك جمعه مدير أعليها وقومندانا لحاميتها  
وهو ضابط مصري

ولما استولى محمد خالد علي (داره) خاطب مدير الفاشر ودعاه للتسليم  
والدخول في طاعة المهدي على الشرط الذي قبلته حامية داره فاجابه بالرضا  
والقبول ولما اتصل به نبأ ما فعله محمد خالد بحامية داره وما عامل به الضباط  
من النهب والسلب وأنواع التعذيب صمم على نكث العهد والدفاع حتي آخر  
لحظة من الحياة فتقدم نحوه بجيش جرار ومعه مدافع وسواريح وجميع الاسلحة  
التي انفذها معه المهدي والتي غنمها من حاميات دارفور وهجم على الفاشر  
ليأخذها عنوة فقابلته ببسالة عظيمة رالزمته التفهقر بخسائر جمة

وكانت الآبار التي تستقي منها الحامية خارج الاستحكامات ولا آبار  
بداخله فهجم المدوليل على تلك الآبار وردمها وأصبحت الحامية بلا ماء تقاسي  
الظما ثلاثة ايام فاضطرت الي التسليم ودخل محمد خالد المدينة وضاعف عذاب

الخامسة ونيب أموال رجا لها وسبي نساءهم زقاق منها خطا. أنا كالنم بعث ييها  
في الهدي وحلفاء.

وقبض على السيد بك جمعه وكان محمد خالا ينوي قتله ولكنه عدل  
عن ذلك ونفاه بجهة (كرى) ولقي منفيا حتى غادر محمد خالد دارفور فأصلته

### ذكر مسألة المحبب خانه بدار فور

كان بحماية (داره) ضابط صغير اسمه محمد سليمان وهو من الارقاء الذين  
ترقوا تحت السلاح وبعد سنة وط. الناصر جعله محمد خالد قائدا على الجنود  
السود الذين غنمهم من الحكومة وجعل على حراسة الجب خانات ضابطا  
مصريا اسمه محمد أفندي اللاتاني فأقره محمد خالد في وظيفته ومعه عشرة من صف  
ضباط مصريون يشتغلون في الجب خانات بمثل تعبئة الخرطوش وغيرها  
وكان محمد سليمان طالما لو وظيفة محمد اللاتاني ليكون ذا وظيفتين فاعز الى  
رجل من اتباعه أن يقذف في الجب خانه قبا من النار في الوقت الذي يكون  
العمال مشغولين فيه بأشغالهم ففعل والتمب البارود وتقاذفت القنابل واحترق  
محمد اللاتاني وخمسة من عماله ونجا خمسة منهم كانوا قد تقيبوا عن الجب خانه  
في قضاء حوائج لهم فدخل محمد سليمان على محمد خالد وقال له ألم أمضك  
النصح باجتناب اللاتاني وسائر قومه المصريين فانهم احرقوا الجب خانه من  
تلقاء انفسهم ليموتوا ويتلفوها اضرارا بنا وان الخمسة الذين كانوا خارج الجب  
خانه هم الذين رموها بقبس النار فقبض عليهم وضربت اعناقهم لانهم كذاد  
مصريون رحمة الله عليهم أجمعين

## ذكر قتل عمر اغا ترحوه

ذكرنا أن المهدي بعث عمر بن الياس أم برير مع محمد خالد إلى دارفور  
وقد تقدم لنا الإشارة إلى المنكرات التي كان يأتياها أبوه الياس أم برير وإلى  
ما كان منه من الانحياز لجانب المهدي وشدة بنه للاحكامه

وكان في دارفور صديق اسمه عمر انا ترحوه مشهور بالاجاعة والافتداف  
وله اليد البيضاء في الحروب التي رفعت أوزارها بين الحكومة والسحبي هارون  
الرشيده المطالب بعرض دارفور وأنه هو الذي قتل وزيره سعد الذي جاء قتله  
سبب فشل مولاه ولذلك قصة لا بأس من إيرادها هنا

وهي أن القائم على بك شريف شيد كوردفان الذي تقدم لنا ذكر  
قتله مع محمد سعيد باشا كان يقود قوة لمطاردة بنارون ووزيره قترامنه وأوغلا  
في الثغبات فتأثرهما حتى لحق التعب فرسانه فأحجموا عن المطاردة إلا عمر  
أغا ترحوه فإنه تابع المطاردة بنفسه بالرغم من التعب وفقدان الرفيق  
حتى أدرك الوزير وقتله وحز رأسه فنازعه ششم الموس (أغا) وقتها (باشا)  
وادعى أنه الذي قتله وبعد التحقيق ظهر مساد دعواه فكشفت الحكومة  
عمر أغا ترحوه وجعلته قائداً على أربعمائة جندي من الباشبورق

ولما استولى محمد خالد على (داره) أكرمه وجعله قائداً من قواده وبمته  
مع عمر بن الياس لمصادرة أموال قبيلة من الاعراب أظهرت عدم الطاعة  
للمهدوية فجعل عمر بن الياس همه في احراز المال وانفاذه إلى أبيه في الأبيض  
ويقال أنه أنفذ أكثر من ثلثمائة ألف ريال يخاف أن يكون عمر أغا ترحوه  
عيناً عليه من قبل محمد خالد فرماه عنده بأنه يدبر مكيدة ضده وأنه ينوي

الكبايش ومن معهم ان يتركوا جميع العوائد المخالفة للكتاب والسنة  
 وتركوا نهب أموال المسلمين ولا تتعرضوا لأحد به بذلك وأقيوا الصلوات  
 في أوقاتها وأخرجوا زكاة أموالكم واحضروا عندنا سرعياً بدار الهجرة فأنها  
 واجبة على كل مسلم فإذا فهمتم ما ذكر فافعلوا جميع ما أمرناكم به وارجعوا  
 لجماعة جهينة ما لهم كله فإن سمعتم ما ذكر فعليكم امان الله ورسوله وتفوزوا  
 برضاء الله وإن خالفتم أمرنا هذا فعليكم غضب الله ورسوله بمخالفتكم لأمر  
 الله ولا بد من مجازاتكم وخراب دياركم والسلام التاريخ ٢٠ رجب سنة ١٢٩٩ هـ  
 ولما وصل الكتاب الى المرسل اليهم اذعنوا بالخضوع للمهدي وهم يبطنون  
 له العداء وفعلوا ما أمرهم به ووفد على المهدي التوم بن فضل الله تائباً عما  
 فرط من قومه واثقاً بامان المهدي

وفي اليوم الثاني عشر من ربيع الاول سنة ١٣٠١ قبض التمايشي على  
 التوم وعجيل زعيم قبيلة الرزيقات التي ذكرناها في الكلام على دارفور وضرب  
 عنقهما فتأثر الناس لانهم لم يعلموا من سبب لذلك واجتمع الخليفة شريف  
 ابن عم المهدي وعمه عبد القادر ساتي على ومحمود عبد القادر وغيرهم من  
 ذوى قرابته ودخلوا على المهدي وسألوه هل أمر التمايشي بقتل ذينك  
 الرجلين فاجابهم سلباً وانحدرت الدموع من عينيه فقالوا له ان التمايشي  
 فعل هذه الفعلة لينفر الناس من مهديتك ويشوه سمعتك فاعزله وول  
 أحدنا مكانه وهاهو محمود عبد القادر خير كفؤ لهذه الخلافة فلم  
 يجهم بغير الاسترسال في البكاء وأخيراً أمرهم بالانصراف حتى يأتيه  
 النبي صلى الله عليه وسلم ويرشده الى حل هذه المشكلة وزاره  
 التمايشي فامرهم بلزوم بيته ريثما يأتيه النبي صلى الله عليه وسلم



تقدم لنا ذكرها وسماه عبدالقادر سلاطين وأمره بلزوم باب الماشي والاشمار  
بأمره وسيأتي ذكر بقية أخباره

والفرس التي أهداها له ماديو تسمى ( صقر الدجاج ) أي أنها سريعة  
في اقتناء أثر النعام وادراك الصيد لأن صاحبها كان يقتنص بها

### ذكر قتل آدم أم دبالومك ثقلي

ذكرنا فيما تقدم بعض الايضاح عن جبال ثقلي وهنا نذكر ان المهدي  
لما كان فاراً من وجه الحكومة الى جبل قدير تقابل مع آدم أم دبالومك جبال  
ثقلي فأكرم وفادته وأضافه خمسة وعشرين يوماً وأهدي اليه شياً كثيراً من  
التبر والماشية وأمدّه بخمسة فارس من قومه أوصلوه الى جبل قدير وفننوا  
راجعين الى جبال ثقلي

ولما ظفر المهدي بحملة الجنرال هيكس رغب الى الملك آدم أن يزوره  
في الابيض فأجاب الدعوة وقدم في عدد كبير من قومه ومعه مائتا فارس  
مسرلين بالدروع والحدود وخيولهم منقطة بمخيشات من القطن فخرج المهدي  
للقائه بجميع جيشه وأطلق له مائة مدفع ترحيباً بمقدمه واستعرض له جيشه  
وأطلقت نيران البنادق أيضاً ونصبت له السراقات ونحرت النوق لطعامهم  
ومكثوا أكثر من أربعة أسابيع وبلغت درجة اكرام المهدي له انه كان يحمل  
قصة طعامه بنفسه الى أن يضمها بين يديه حتى حسده التعايشي الذي كان  
يخافه على مركزه من أي انسان يحس باقبال المهدي عليه

وكان الملك آدم استأذن المهدي في العودة الى بلاده فاغتم التعايشي هذه

الفرصة وأشار على المهدي أن لا يأذن له في العودة ويسأله مرافقته الى الخرطوم  
 للجهاد معه فانكر عليه المهدي هذا الرأي فاقنعه بان لا يرغب في هذا الامر  
 وانما يقصد اختباره ويتأكد من طاعته للمهدي فقبل المهدي فلم يظهر من  
 الملك آدم غير الاستحسان والطاعة ثم عاد التماشي لانفاذ بقية مقاصده  
 فنقل الى المهدي ان الملك آدم ممتعض منه وانه ساخط من فعلته وقد أظهر سخطه  
 لكثير من الامراء حيث قال لهم ان مهديكم كذاب ولا وعد له وقد غرر بي  
 واعدني من بلادي ثم انه يريد مرافقتي له حتى يفرغ من الخرطوم وقد نكث  
 العهد الذي أعطانيه حيث وعدني بالاوبة بعد ايام يسيرة وما زال التماشي  
 يسمى به حتى أصدر المهدي منشورا زعم فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم  
 أمره بقتل الملك آدم أم دبalo وقاضيه الفقيه أحمد لانها غير مصدقين بدعوته  
 فضربت اعناقهما وسط الجيش الذي استقبلا فيه واستعرضاه والي الله  
 تصير الامور

وهنا نورد صورة كتاب أصدره المهدي نقلا عن الجزء الثاني من كتاب  
 منشورات المهدي المطبوع بعد سقوط الخرطوم صحيفة ٣٦ ومنه يفهم ان  
 جبال تقلي دانت بالطاعة للمهدي وانه يعتبر ملكها حكام من قبله وهو  
 «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا  
 محمد وآله مع التسليم وابدقن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الي أهل جبل  
 السكدر والهبي والمندل والتم نل وكافة أهل الجبال المؤمنين بالله ورسوله  
 وتابسين لامرنا نقد أمرنا عليكم عمر بن الملك آدم فقوموا كلنكم بحروبكم  
 معه الى قتال الدلج الترك والنصاري ولا تتأخروا عن القيام مع الملك عمر

فن خالقه فقد خالفنا ولا عهد له عندنا ولا يلومن الانفسه والسلام التاريخ  
١٢ شوال سنة ١٢٩٩ «

## ذكر قتل المنه

ذكرنا ما كان من أمر المنه وقيامه بدعوة المهدي في كوردفان واستيلائه  
على الطيارة وقد بينا ما أتاه من الفظائع والمنكرات  
وكان المهدي يعده بتبوء منصب خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه  
ولما زحف المهدي على الأبيض اجتمع عليه «المنه» وزاد في اكرامه وكان يروح  
ويغدو الي المهدي وحوله نحو عشرين من خدامه شاهري السيوف حوله  
خلفا لما كانت عليه عادة المهدي من عدم السماح لغير الخلفاء ان يحيط بهم  
أناس كحراس اظهاراً لعلو مراتبهم

وكان المنه يضابق المهدي ويستنجزه ما وعده به من منصب الخلافة  
فيعده من يوم لآخر لانه كان ينوى خدعة السيد محمد المهدي بن السنوسي  
المشهور بهذا المنصب كما سيأتي ذكر ذلك على حدة

وقد اغتر المنه بوعود المهدي وأخذ يذيع بين الناس انه رابع الخلفاء  
وكان شديد البغض للخليفة عبد الله التمايشي ويكثر من الوشاية به عند  
المهدي الذي كان لا يتبدل ثقته في التمايشي ولسكنه كان يدارى المنه ويخادعه  
لما له من المنزلة عند قبيلتي (الجمع والجوامع) اللتين تسكنان شرق اقليم كوردفان  
الذي هو طريق حملة الجنرال هيكس حيث كان المهدي يخشي انتقاض هاتين  
القبيلتين عليه وانضمامهما الى الحملة

ولما فرغ المهدي من أمر هذه الحملة لم يعد قادراً على احتمال ما وقر في نفسه من المنه فاشخصه الى جهة الطيارة وكتب اليه بالامارة المطلقة عليها فغادر الابيض ولحق بقرية له خارج المدينة وبعد أسبوع انتدب التعايشي التي مقاتل من حملة البنادق والذين من الفرسان تحت قيادة حمدان ابني عنجه وسلمه كتاباً من المهدي يأمره فيه بمغادرة الابيض بمن معه من المقاتلة ولا يشعر أحداً بوجهة سيره حتى يدرك المنه ويقبض عليه على غرة ويضرب عنقه ويأتيه برأسه ويصادر جميع أمواله فسار حمدان وبلغ القرية قبيل الفجر واحاط بها احاطة السوار بالمعصم وقبض عليه على فراش نومه وقبض على أخيه ووكيله واوثقوا كتافا وقادهم الي الطيارة وضرب اعناقهم بجانب الحصن الذي ذبح فيه المنه حامية الطيارة

ولما دنا الجلاد ليضرب عنقه رفع رأسه وقال للحاضرين « اشهدوا انني لم أذنب ذنباً غير قتلي للمصريين الذين كانوا بهذا الحصن وقد اغتررت بوعود الظالم المهدي وأعنته فانتقم الله مني وسلطه عليّ ومن أعان ظالماً سلط عليه » وحملت الرأس للمهدي الذي أعلن بان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان المنه منافق ايمانه لا يتجاوز تراقيه وانه ادعى الخلافة كذباً وبهتاناً ولذلك قتله وأظهر التعايشي كتاباً من المنه الي المهدي يقول فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بانه الخليفة الرابع وانه وارث مقام ذي النورين عثمان بن عفان عليه سحائب الرضوان وانه صلى الله عليه وسلم بمقاومة المهدي اذا لم يرضخ لهذا القول

على أن هذا الكتاب ملفق لم يكتبه المنه بل اختلق ذريعة لتبذير عملهم وتسكين خواطر الذين ساعدوا المهدي على امتلاك البلاد واذلال العباد

## ذكر قتل عمر اغا ترحوه

ذكرنا أن المهدي بعث عمر بن الياس أم برير مع محمد خالد الى دارفور وقد تقدم لنا الاشارة الى المنكرات التي كان يأتيا ابو الياس ام برير والى ماكان منه من الانحياز لجانب المهدي وشدة بغضه للحكومة

وكان في دارفور صنيق اسمه عمر اغا ترحوه مشهور بالشجاعة والاقدام وله اليد البيضاء في الحروب التي رفعت أوزارها بين الحكومة والمسمي هارون الرشيد المطالب بعرش دارفور وانه هو الذي قتل وزيره سعد الذي جاء قتله سبب فشل مولاه ولذلك قصة لايأس من ايرادها هنا

وهي أن القائمقام على بك شريف شهيد كوردفان الذي تقدم لنا ذكر قتله مع محمد سعيد باشا كان يقود قوة لمطاردة هارون ووزيره ففرامنه واوغلا في الغابات فتأثرها حتى لحق التعب فرسانه فأحجموا عن المطاردة الا عمر اغا ترحوه فانه تابع المطاردة بنفسه بالرغم عما لحقه من التعب وفقدان الرفيق حتى أدرك الوزير وقتله وحز رأسه فنازعه خشم الموس (أغا) وقتها (باشا) وادعى انه الذي قتله وبعد التحقيق ظهر فساد دعواه فكافأت الحكومة عمر اغا ترحوه وجعلته قائدا على أربعمئة جندي من الباشبوزق

ولما استولى محمد خالد على (داره) أكرمه وجعله قائدا من قواده وبعثه مع عمر بن الياس لمصادرة أموال قبيلة من الاعراب أظهرت عدم الطاعة للمهدوية فجعل عمر بن الياس همه في احراز المال وانفاذه الي آبيه في الابيض ويقال انه أنفذ أكثر من ثلثمائة ألف ريال نخاف أن يكون عمر اغا ترحوه عيناً عليه من قبل محمد خالد فرماه عنده بأنه يدبر مكيدة ضده وانه ينوي

الكتابي ومن معهم ان يتركوا جميع العوائد الخالصة للكتاب، والسنّة  
 وتركوا نهب أموال المسلمين ولا تتعرضوا لأحد به. بل ذلك، وأقرباً من ذلك  
 في أوقاتها وأخرجوا زكاة أموالكم واحضروا عندنا سرّاً بدار الهجرة فإليها  
 واجبة على كل مسلم. إنّا فهمتم ما ذكر فافعلوا جميع ما أمرناكم به وارجموا  
 جماعة جهينة ما لهم كله فإن سمعتم ما ذكر فعليكم أمان الله ورسوله وتغوزوا  
 برضاء الله وإن خالفتم أمرنا هذا فعليكم غضب الله ورسوله بمخالفتكم لأمر  
 الله ولا بد من مجازاتكم وخراب دياركم والسلام التاريخ ٢٠ رجب سنة ١٢٩٩»  
 وأوصل الكتاب إلى المرسل إليهم اذعنوا بالخضوع للمهدي وهم يبطنون  
 له العداء وفعلوا ما أمرهم به ووفد على المهدي التوم بن فضل الله تائباً عما  
 فرط من قومه، وأثقا بأمان المهدي

وفي اليوم الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١٣٠١ قبض على التمايشي على  
 التوم وعجّل زعيم قبيلة الرزيقات التي ذكرناها في الكلام على دارفور وضرب  
 عنقهما فتأثر الناس لأنهم لم يعلموا من سبب لذلك واجتمع الخليفة شريف  
 ابن عم المهدي وعمه عبد القادر ساتي على ومحمود عبد القادر وغيرهم من  
 ذوى قرابته ودخلوا على المهدي وسألوه هل أمر التمايشي بقتل ذينك  
 الرجلين فاجابهم سلباً وانحدرت الدموع من عينيه فقالوا له ان التمايشي  
 فعل هذه الفعلة لينفر الناس من مهديتك ويشوه سمعتك فاعزله وول  
 أحدنا مكانه وهاهو محمود عبد القادر خير كفؤ لهذه الخلافة فلم  
 يجهم بغير الاسترسال في البكاء وأخيراً أمرهم بالانصراف حتى يأتيه  
 النبي صلى الله عليه وسلم ويرشده إلى حل هذه المشكلة وزاره  
 التمايشي فأمره بلزوم بيته ريثما يأتيه النبي صلى الله عليه وسلم

وفي اليوم التالي خرج ومعه منشور هو الذي أوردنا خوارق الكلام على سقوط (باره) وقد اشرنا الى ما كان من أمر هذا المنشور وانه أصدره ليقنع أهالي باره عن المطالبة بمقوقهم

وقد تضاربت الاقوال في أمر هذا المنشور فترقب قال ان هذا المنشور أصدره المهدي لاقتناع أهل باره وقال آخرون انه أصدر في هذا اليوم وعلى كل حال فان المهدي خرج على قومه في اليوم التالي بهذا المنشور وتلاه عليهم ليكنفوا عن توجيه اللوم ونسبة الظلم لعبد الله التمايشي

ويدل هذا المنشور أيضاً على انها كانا منفقين باطناً على هذا العمل وهما هي صورة المنشور بالحرف الواحد نقلاً عن الجزء الاول من كتاب المنشورات

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله اعلاماً منه الى كافة عباد الله المؤمنين بالله وبكتابه أما بعد اعلموا أيها الاحباب ان الخليفة عبد الله خليفة الصديق الملقب بقلائد الصديق والتصديق فهو خليفة الخلفاء وأمير جيش المهدي المشار اليه في الحضرة النبوية فذلك السيد عبد الله بن السيد محمد حمد الله عاقبته في الدارين فحيث علمتم ذلك يا احبابي ان الخليفة عبد الله هو مني وانا منه وقد أشار اليه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فتأدبوا معه كتأدبكم معي وسلموا اليه ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله ولا تموه في فعله فجميع ما يفعله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم أو بأذن منا لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن هوى بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره صلى

الله عليه وسلم والقضاء بإشارته فإن فعله بكم وحكمه فيكم بحسب ذلك واعلموا  
 يقيناً أن قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى  
 «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة  
 من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» فمن كان في صدره  
 حرج لأجل حكمه فذلك لعدم إيمانه وخروجه من الدين بسبب غفلته وذلك  
 بشاهد قوله تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم  
 لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً» ولا شك في شرك من  
 استنكف عن حكم الله ورسوله سيما بقوله صلى الله عليه وسلم «ان أخوف  
 ما أخاف عليكم الشرك الخفي» الخ الحديث مع أنه خليفة الصديق وأول  
 المصدقين في المهديّة فانظروا المسكنة الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن  
 العظيم وانظروا المسكنة من أورثه الله مكان الصديقين ووازره بالباطن بالحضر  
 عليه السلام فهو مسدد مؤيد من الله ورسوله ويد من أيدي الله لنصر دينه  
 بإشارة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقد ورد في فضله كثير فحيث فهمتم  
 ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال والخذلان وسلب الإيمان واعلموا أن  
 جميع أفعاله وأحكامه محمولة على التصواب لانه أوتي الحكمة وفصل الخطاب  
 ولو كان حكمه على قتل نفس منكم أو سلب أموالكم فلا تعرضوا عليه  
 فقد حكمه الله فيكم بذلك ليظهركم ويزكيكم من خبائث الدنيا لتصفى قلوبكم  
 وتقبلوا إلى ربكم ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسى جزءاً فقد خسر  
 الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ويخشى عليه من الموت على سوء  
 الخاتمة والعياذ بالله لانه خليفة الصديق الذي قال الله في حقه «اذ يقول لصاحبه  
 لا تحزن ان الله معنا» وقال صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس على في الصحبة



أبو بكر وقال عليه السلام ما طلعت شمس على أحد بعد النبيين أفضل من  
أبي بكر وحيث علمتم فهو بمنزلة الأنس لأن أصحابنا كأصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو المذكور خليفة لنا في الدين وخلافته بأمر النبي صلى الله  
عليه وسلم فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ويصدق بما بهدتي فليسلم  
للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً وإذا رأيتم منه أمراً مخالفاً في الظاهر فاحملوه  
على التنبؤ بعلم الله والتأويل الحسن واعتبروا بأولي الأبصار بقصة موسى  
والخضر عليهما السلام حكاهما الله في كتابه العزيز حكيم داود وسليمان عليهما  
السلام والسلام لتسلموا من الشكوك والاهام وإنما أنذرتكم بهذا رحمة  
لكم وشفقة عليكم وليبلغ الشاهد منكم الغائب لئلا تسبوه وتنبهوا إليه  
الظلم والجور فهل كوافاً نذروا عن أذية أولياء الله غناها أذية الله ورسوله وقد  
لعن الله ذلك في كتابه فقال «ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا  
والآخرة» كما أن من أذى لي ولياً فقد أذنته بالحرب فإن الله غيور على أوليائه  
فقد علمتم أنه ورد من نقض الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار أهون عند  
الله من أن يؤذى ولياً من أوليائه وإن الخليفة هو قادة المسلمين وخليفتنا النائب  
عنا في جميع أمور الدين وأيامكم والوسوسة في حقه وظن السوء وعدم الامتثال  
إليه في قوله والمشاجرة له أو لأحكامه والخلاف والحسد فتوبوا إلى الله وارجعوا  
قبل أن تذهب حسناتكم وتسلبوا ثواب الإيمان وإنما حملني على هذا البيان  
النصيحة في الله وحمايتكم من الوقوع في هاوية الانفس والاماني فمن تاب  
تاب الله عليه ومن عاد فينتقم الله منه ويسلط عليه وهذا أمر الله ورسوله  
فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم ولا  
حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام

## حوادث السودان الشرقي

السودان الشرق عبارة عن فيافي مترامية الاطراف تمتد من شرق وشمال نهر (أبهر) حتى شطوط البحر الاحمر كمصوع وسواكن وغيرهما من تلك الشطوط ومتاخم للاحباش من جهات كثيرة وهو عبارة عن اقليم (التاكا) وقاعدته مدينة (كسلا) ومحافظات الشواطي' كمصوع وسواكن وغيرهما وسكانه قبائل ضاربة ألوانهم الى لون النحاس أو بعبارة أخرى كلون زنوج أفريقية الجنوبية الذين تختلف ألوانهم عن زنوج السودان الاوسط وهاته القبائل تشبه بعضها في الاخلاق والعادات مع بعض فروع وكلها لا تتكلم باللغة العربية بل بلغات أعجمية لا كتابة لها وتعيش اكثر القبائل كما يعيش الاعراب الرحالة بالبلان الماشية ولحومها وماشيتهم جلبها من الابل وتسكن بعض القبائل رؤس الجبال وبعضها يأوي الى كهوف في الارض متسعة تسع عدة قرى في داخلها

ومن القبائل التي تعيش كعيشة الاعراب قبائل (الهدندوه) وبني عامر والهاباب وأما رار فالحمدندوه تسكن حوالي كسلا وبنو عامر والهاباب يسكنان حوالي مصوع وأما رار تسكن ضواحي سواكن وهناك قبائل كثيرة اضربنا عن ذكرها فراراً من التلويل

واكبر هاته القبائل قبيلة الحمدندوه وعدد نفوسها يتجاوز مليون نسمة وماشيتها من الابل كثيرة جداً ورجالها ميالون الى الحروب وسفك الدماء والغارة على جيرانهم عكس بني عامر والهاباب المعروفتين بالميل الى الدعة والسكون ونوقهم مشهورة بهظم السنام حتى ان الواحدة منها لا تستطيع القيام

بغير مشقة ومن أشهر القبائل التي تسكن رؤس الجبال وبطون الكهوف (الباريه) وهي قبيلة أعجمية ديانتها مجوسية ولم تخضع للحكومة ورجالها ذوو بأس وشجاعة يتطعمون السبل على المارة ويعيرون على بلاد الحكومة ومنهم قبائل كثيرة تدين بالاسلام وعوائدها تشبه عوائد طوائف الدروز واليزيدية

وتنسب قبائل بني عامر والهاباب الى رجال من الاكراد مسجونين سلاطين العثمانيين في سواحل البحر الاحمر منذ أربعة قرون أو أكثر فتزوج أولئك المسجونون نساء من الاحباش والزنج وانتشر نسلهم وعاشوا بمعيشتهم البدوية كسلافهم الاكراد

أما الزراعة في جميع أنحاء السودان الشرقي فانها لا تذكر وأكثر القبائل تعيش بغير الحبز ووجد منهم من لم يذق الحبز مدة حياته وقس على ذلك سائر القول فانها غير معروفة عندهم البتة

ويوجد في داخل مدينة سواكن أناس من السكان الاصليين لا يذوقون الحبز مرة في السنة وغداؤهم قاصر على اللحم والابن وطريقتهم في اللحم واحدة لا تتبدل وهي انهم يأتون بأحجار يضرعون عليها النار حتي تتحول حجراً فيضعون عليها اللحم حتي ينضج ويصير اللحم لذيذاً واسمه (سلات) ويمكن لكل انسان أن يتحصل على هذا اللحم ثمن بخس اذ الاسواق مملوءة به وثمان الشاة الواحدة لا يبلغ خمسة عشر قرشا مصرياً والوعاء الذي يحوى نحو خمسة وعشرين رطلاً من اللبن لا يبلغ ثمنه أكثر من قرشين

ومن ألطف النوادر التي سمعتها ان اعرابيا من قبائل السودان الشرقي التقى بقافلة سائرة من بربر الى سواكن فرأى بين أيديهم بصلاً يأكلونه مع

الحيز فأعطوه بصلة فأراد أن يشمها ويأكلها كما رأهم يفعلون فتصاعد ريحها إلى أنفه فتقدف به إلى الأرض وأخذير كض إلى الحي واستصرخ قائمه إلى الانتقام من هذه القافلة أتى جاءت إلى بلادهم بنوع خبيث ينشر بينهم الأمراض وينقل إلى بلادهم جراثيم الاوبئة والأمراض وبعد عناء شديد تمكنت القافلة من متابعة سيرها ونجت من الهلكة

ومن ذلك أن رجلاً من أهالي بربر تعرف برجل من كبار الأعراب فنزل ضيفاً عليه في بربر فقدم له غذاء من طبيع الملوخية فامتلاً الرجل غيظاً وقال لمضيفه هل أنا بمنزلة الثور عندك حتى تقدم لي الحشائش الخضراء التي لا يأكلها غير ثورك فأخذ الرجل في ملاطفته ليقنعه بأن غذاءه وغذاء سائر مواطنيه من هذا النوع فلم يعده وخرج من منزله في أشد حالات الغضب فسبحان من أقام العباد فيما أراد

وأهالي السودان الشرقي كلهم يتركون شعورهم حتى تبلغ من الطول الحد النهائي وشعورهم صلبة قوية يتركونها واقفة غير مسبولة يخالها الرأي من البمد قبعة من النوع الاسود الطويل جداً ويدهنونها بشحم الجمال أو البقر وملابسهم هي ملاءة من (الدثور) ولا يلبسون شيأ من السراويل والاقبية ويزعمون أن لباس السراويل والاقبية مما يولد الأمراض في الجسم سيما أمراض المعدة وحلق الشعر أوقصه مما يولد أمراض العيون وضعف البصر هذا ما نوردته هنا عن شرقي السودان عموماً حيث نسرده حوادثه وسيأتي الكلام عن كل جهة بما فيه الفائدة والله الموفق



## ترجمة الشيخ الطاهر المجذوب

غير خاف ان عثمان دقنه هو الذي كان داعية المهدي ونائبه في السودان الشرقي وكان عثمان دقنه مریداً للشيخ الطاهر المجذوب ومخلصاً وسيعلم القاري مما يجيء ان المهدي لم يكن يصطفي عثمان دقنه لهذا الامر الخطير بل الذي اصطفاه له أستاذه الشيخ الطاهر ولذلك رأينا أن ترجمه هنا ثم نمقبه بترجمة عثمان دقنه ليكون القاري على بينة من أمرهما فنقول

الشيخ الطاهر المجذوب هو شيخ الطريقة المجذوبية ورث هذه السجادة عن عمه الشيخ محمد المجذوب الصغير تلميذ السيد احمد بن إدريس المغربي وأصلهما من بطن من بطون قبيلة الجلميين اسمه المجاذيب نسبة الى جدهم حمد المجذوب ويسكن هؤلاء الناس على ضفة النيل جنوب نهر (أبهره) في قرية (الدامر) محمل ضريح جدهم حمد المجذوب

أما محمد المجذوب عم صاحب الترجمة فانه ولد بهذه القرية ثم هاجر منها ولحق بالحجاز وهناك التقى بأستاذه السيد احمد بن إدريس ومكث ملازماً كبقية تلاميذه مثل السيد السنوسي صاحب الطريقة السنوسية المشهورة بأفريقة الغربية والسيد محمد عثمان الميرغني صاحب الطريقة الميرغنية أو الختمية وغيرهم كإبراهيم الرشيد نزيل مكة المكرمة ثم عاد محمد المجذوب الى الحجاز بعد أن نال من أستاذه كل رعاية والنفات وتحصل على درجة سامية من العلوم العقلية والنقلية ثم غادر الحرمين الشريفين واستوطن ضواحي سواكن فانتظم في سلك اتباعه الألوف من رجال القبائل وترامت شهرته في أطراف البلاد حتي صارت القبائل تحترمه احتراماً زائداً وتجبسه حبا فوق العادة

وكانت بينه وبين صاحب الطريقة الميرغنية، ناظرات شديدة توارثها  
اتباعها، وكانت أسرة عثمان دقنه من أعظم أتباع الشيخ محمد المجذوب، وله  
ديوان في المداخل النبوية وتوفي ولم يعقب فورثه ابن أخيه الشيخ الناصر  
المجذوب وكان في بداية أمره على منزلة تقرب من منزلة عمه في ولوب الناس  
وله أملاك في سواكن والحكومة تبلغ في احترامه وتنسابق إلى استرضائه  
حتى كان من أمره ما سوره والله في خلقه شؤون

### ترجمة عثمان دقنه

هو عثمان بن أبي بكر دقنه نسبة إلى قبيلة (الدقني) وهي قبيلة صغيرة  
تسكن سواكن وأصلها منسوب إلى قائد تركي نفاه ساكن الجناح السلطان  
محمود وكان عمه وجهين في سواكن أحدهما على دقنه حاز لقب بك من  
الحكومة وكان المترجم صاحب أملاك في سواكن وتاجراً يتردد إلى مصر  
في كل عام

وفي سنة ١٢٩٤ هجرية سافر إلى دارفور ويقال أنه قبض عليه مع قافلة  
نحاسين وسبق إلى المحاكمة ثم فر منها وفقد كل ثروته التي كانت حوالي عشرة  
آلاف جنيه وكان متزوجاً بابنة عبد الغفار الضوي أحد تجار المصريين في  
بربر وكان أعطاه عشرة آلاف ريال ليتجر بها فأضاعها ثم لحق بسواكن ومكث  
بها فحجر الدائنون على أملاكه

وحكى لنا موظف في سواكن أن عثمان دقنه جاءه متظلماً مما أتاه  
الدائنون معه حيث حجبوا على كل ما يملكه حتى الضروري لحياته فوجد الموظف  
مرتبكاً في بحر أفكار شديدة فسأله عن حاله فقال أتاني تلغراف أن ابنتي

مريضة جداً فقال له اني اعرف نوعاً من الزاوية ولكنتي اشك في صدقها  
 فقال ولماذا فقال لانها منذ عشرين سنة مضت تحبني ابنتي اصير ملكاً كبيراً  
 وشهري تطبق آفاق الارض كلها فقال له الموظف لا بأس من سؤالها عن  
 صحة ابنتي فتناول قرطاساً وقلماً وبعد ساعة رفع رأسه وقال له تقول الكاذبة  
 ان ابنتك قد زال عنها الخطر وانه يأتيك خبر شفائها قبل ان تقوم من مقامك  
 هذا ثم قال انها تقول ذلك ولكنتي أخبرتك بانها تكذب على منذ  
 عشرين سنة ولم يتم هذه الكلمات حتى دخل موزع التلغراف ورفع الى  
 رسالة قرأت فيها شفاء ابنتي وزوال الخطر عنها فلما سمع عثمان دفقة  
 هذا الكلام ضحك حتى استلقي على ظهره وقال هذه أول مرة صدقت  
 فيها ولعلها تصدق بعد الآن وانني لا انصرف من هاهنا حتى اسألها السؤال  
 الذي لم تصدق في الاجابة عنه منذ عشرين عاماً فتناول القرطاس والقلم وأخذ  
 يرقم الاعداد وفي النهاية ضحك وقهقه وقال لي انها تقول دنا الاجل فاطرح  
 الرجل ثم أخذنا في حديث آخر فاستأذني بالانصراف فشيئته الى الباب  
 وكررت عليه الرجاء ان لا يجعل زيارته كبيعة الديك فقال مازحا وهل تحب  
 ان تكون بيضة دجاجة فقلت نعم فقال يفعل الله ما يشاء وانصرف فلم أره  
 حتى سمعت بظهوره في ارباض سواكن وانتشار نفوذه في كل انحاء السودان  
 الشرقي وبمد الله كل شيء.

وقد كان عثمان مشهوراً منذ حداثة سنه بالميل الى العبادة ومواظبة  
 الصلاة وملازمة أوراد الطريقة وكان مشهوراً بالشفقة والرحمة  
 هذا وقد رأينا صوراً كثيرة يقال انها صورته ولأول وقوع بصرتنا ادركنا  
 بانها غير حقيقية بل هي صور وهمية او خيالية تبعد عن الحقيقة بعداً شاسعاً وغاية

ما حاله ان قتل ساعديه واعتدل قامته بدلان على القوة والقوة  
والشدة عن عثمان الشراء في الاكل حتى انه يأكل الحزوق المشوي وحده  
وكما الشرب بالنهم فقد عرف عنه الصبر على الجوع حتى انه في اكثر أسفاره  
وعز وابه صبر عن الغذاء اياما معدودة ويقتصر على اكل ورق السدر وغيره  
من ورق الشجر الكثير المرارة والحاصل انه غريب الفكل في اخلاقه وعاداته  
وسياق ذكر كثير من هذه الغرائب

### د كرو فود عثمان دقنه علي المهدي

كانت الخطابات بين المهدي والشيخ الطاهر المجذوب متبادلة منذ وطن  
المهدي نفسه على اتحال هذه الدعوى ويقال ان اول خطاب وصل الى الشيخ  
الطاهر من المهدي مؤرخ في شعبان سنة ١٢٩٨ يخاطب به كل المشايخ ومثل  
هذه الخطابات كثير وقد اخترنا هذا لتورده هنا قلا عن الجزء الاول من كتاب  
المنشورات وهو بنصه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبمد  
فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله جزيل السلام الى كافة الاخوان  
من المحبين ومشايخ الدين لا يخفى عزيز عليكم ان المؤمن لا عناية له الا فيما  
يرضي الله من كمال الايمان والاتباع على السنة والكتاب وبصرف الهمة في  
هذا الوجه بتولاه الله ويقوم بحظوظه في الدارين واذا التفقت الى حظوظه  
وصرف همه الى ذلك وكله الله على نفسه ولم يحصل له من حظوظه شيء  
الا بالتعب القلبي والبدني واتم ايها المؤمنون الذين يظن بكم المعاونة على



زعيم السنة ومعلم أن جاه الدنيا ولذتها لا يؤثره العاقل العارف لأن ما في  
 الدنيا مفارق يصير كأنه لم يكن ولذتها لا تقي بحسرتها بل عين الامة تصير عين  
 الحسرة حتى لا يشهد بيده شيء فالعاقل العارف لا يسمى الا في رضا الله وعلى  
 ذلك يا احبابي اني لم أقدم على تنبيه الناس احثهم على النعيم لاقامة السنة الا  
 بأمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ولا يكذب على سيد الوجود الا  
 من لا اخلاق له عند الله ومع ذلك شهد على ذلك جمع من الاتقياء الذين  
 يمشونهم وكانهم عند الله لا يخفي وفضلا عن ذلك تعلمون هذا الزمن وما  
 فيه من البدع وما لهم تحصن من ذلك الا بالتمرار بالدين وطلب الهجرة بالدين  
 في هذا الحال وارد كتابا سنة ووعيد من ترك الهجرة وارد كتابا سنة كما  
 لا يخفى وقد كاتبت على أمر النبي صلى الله عليه وسلم جميع أهل الدين باليمين  
 على دين الله واقامة السنة وقد ضمن النبي صلى الله عليه وسلم من يكون  
 معنا وما ذلك الا امر من الله ورسوله فان كانت قد بلغتكم تلك الاجوبة  
 السابقة فهذا اليكم لتشعروا على ذلك فان هذا الامر ما بثته الا بعد أن خرج من  
 سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ثم تكرر مرارا عديدة وفضلا عن ذلك أن  
 من مثلكم لازم يكون لثقل هذا الامر أول قائم ويحث عليه ومعلوم أن من  
 تركه وصد عنه فعليه اثمه واثم من صدهم جميعا واعلموا انكم ان اتبعتم هذا  
 الامر صرتم من المقربين والا كان عليكم انكم واثم من تبعكم وهذا الامر  
 حقيقة من الله ورسوله ولا يخفى انه لا يميز على الله أن يظهر قدرته في أضعف  
 خلقه ويظهر الدين على كراهة اهل معصيته فن أعرض عن ذلك فحسبه الله  
 فان مات قبل ظهوره لم يأمن عقوبة الله في اعراضه عن الحق وصدته لمن اراد  
 الاستقامة والهجرة لله ورسوله ومعلوم أن من لم يتبع هذا الامر يخذل في الدارين

ومن حصل له شك يظهر له فيما بعد كما بين والسلام شعبان سنة ١٢٩٨ هـ  
ولما حاصر المهدي الأبيض كان يوالي ارسال الخطابات الى الشيخ الطاهر  
بستحثه فيها على مناوأة الحكومة والقيام بدعوته في السودان الشرقي وأذن  
له بمبايعة الناس نيابة عنه وانه أمير من قبله على هاته البلاد فبعث اليه الشيخ  
الطاهر بوفد من أتباعه يرأسه عثمان دقنه ومعه كتاب يقول فيه ان عثمان  
دقنه من خيرة مريديه وأصدق أتباعه وانه من رجال الحزم والعزم وانه  
لا يفضل أبناء النازلين من صلبه عليه وان إمارة شرق السودان خليف بها  
اكثر مني واني لأستنكف أن أكون تابعا لافضل مریدی عثمان وأكون  
مستشاره ومدير أموره وأنصح لكل أتباعي بالقيام بصنعتهم وموازرتهم وان  
المانع لي من قبول هذا الامر لنفسی هو الطعن في السن وعدم القدرة  
على الانتقال والقيام والقعود اذ هي من ضروريات هذا المنصب وبكفني ان  
أكون أول من يذعن بالطاعة لعثمان وفي ذلك من التعميد والحض لعموم  
أتباعي ما يقرن عمله بالنجاح

ولما قدم عثمان على المهدي وجد الأبيض سقطت في قبضته فتلقاه  
بالحناة والاکرام

ولما اطلع على الخطاب داخله بعض الريب في أمر الشيخ الطاهر وتردد  
في قبول ما أشار به عليه لانه لم يكن واثقا بانه يرفض قبول الرئاسة لمثل هذه  
الاعذار ويهديها الى أحد مريديه وبعد بضعة شهور تحقق ان الشيخ الطاهر  
محبب في كل ما قاله وخصوصا لانه ملازم للخلاوة والانفراد ويتألم من الغوغاء  
وليس بين أولاده من يرض بهذا الحمل الثقيل وبعد مداوات كثيرة بينه وبين  
التعاشي أيقن بصحة القول وعزم على انفاذ عثمان دقنه واسناد هذه المهمة اليه

وكان ضمن هذا الكتاب ان الحكومة عولت على انفاذ حملة لقهر المهدي وسيكون طريق هذه الحملة من ثغر سواكن الى بربر وأشار على المهدي بوجوب المبادرة بإرسال عثمان لأن أهالي السودان الشرقي كلهم متأهبون للقيام معه وخلع طاعة الحكومة فيتمذرسير الحملة الى بربر وتتهيأ للمهدي الفرصة للاستيلاء على الخرطوم لأن قيام الثورة في ضواحي سواكن يضطر الحكومة الى إعادة الجند الى مصري ترسلهم عن طريق دنقلة أو العظموور فلا يصلون الخرطوم في أقل من عامين على ان هذه الطريقة كانت تأتي بالنتيجة المذكورة لو لم يتردد المهدي في قبولها لأن الاشهر التي أقامها عثمان عند المهدي كانت كافية لبلوغ معظم الجنود بربر فلم ينبجح عثمان فيما كان دبره له أستاذاه من عرقلة سير الحملة وسد الطريق في وجهها وان نجح من جهة أخرى حيث خلع أهالي شرق السودان أجمعون طاعة الحكومة والتفوا حوله وبلغ ما كانت تحمته بالارتقاء اليه زائرجته ونال فوق ما كان يتناهى ثم أخذ أمره بالاضمحلال وساءت أفعاله وثقلت وطأته على الذين شدوا أزره وتجردوا لنصرته وكان سقوطه مساويا لارتفاعه كما سنشرحه بعد

### ذكر أوبة عثمان دقنه الى سواكن

لما اقتنع المهدي بسلامة نية الشيخ الطاهر خاف أن تقوته فرصة عرقلة سير الجنود من سواكن الى بربر فسير عثمان دقنه من الابيض في شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٠ وكتب له منشورا الى جميع أهالي السودان يعلمهم بأمر دعوته ويأمرهم بطاعته وموازرته وقد بحثنا على صورة هذا المنشور في مجلدى المنشورات فلم نظفر بها ولكن عثرنا على منشور كتبه بهد ان وصل

الى سوانح يعظه فيه واتباعه ريز محمد هم في الدنيا  
 أما المنشور الذي يتضمن توليته فنورد فخواه نقلا عن مصادر أخرى  
 وهو بعد ذكر ما أصاب الاسلام من الضعف وما انتابه من قهقريال الحدود  
 انني قد وجهت اليكم الشيخ عثمان بن أبي بكر دقنه السواكني نائبا عني فيكم  
 فبايويه ووازره وانصروه وانني أرف لكم بشري ما أتاح الله لي من  
 النصر والاستيلاء على كوردغان كلها ولكم البشري أيضا بان الله سيصيركم  
 ويثبت أقدامكم ويورثكم السودان الشرقي ويهلك من فيه من جنود  
 الحكومة لقوله تعالى (ألم نهلك الأولين ثم نتبهم الآخرين كذلك نفعل بالخيرمين)  
 وأما المنشور الذي تضمن عبارات الوعظ والزهد فان بعضهم يقول انه  
 صدر مع هذا المنشور وهذا قول لا نصيب له من الصحة اذ المنشور يتضمن  
 عبارات كثيرة من المدح والثناء على عثمان دقنه مما يدل على انه صدر بعد  
 ان عاد عثمان الى سواكن وبدأ بتشيل رواياته التي أدهشت المهدي نفسه كما  
 أدهشت العالم كله لانه لم يكن يتوقع منه مثل هذه الاعمال الباهرة وهاعى  
 صورة المنشور بنصها نقلا عن الجزء الاول من كتاب المنشورات صحيفة ٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن  
 العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه وصفيه وعونه  
 ونائبه في اقامة دين الله ذي الرأفة بالضعفاء عباد الله المستسلمين المنيبين الى  
 الله والشدة على المتكبرين اعداء الله عثمان بن أبي بكر دقنه وقاه الله كل  
 محنة وجعله الله من أعلا أهل المكرمة. حبيبي أن الدين قد انهدم بسبب تشييد  
 الحظوظ النفسية السفلية التي تزول عن قريب وتوجب من دوام النصيب

يا انت واخوانك التامون لنا عن ساعد الجد على ترك المشتهيات النفسية  
 وساة الشدايد التي تقرب الى رب البرية فيدوم خيرا في الدار الآخروية  
 ولعلهم ان الخير الذي لا يدوم خير منه الشر الذي لا يدوم لان صاحب الخير  
 زال أشد الناس خسرة وتوجعا وصاحب الشر الذي زال أشد الناس  
 دينا وسرورا فلما علم العاقل المؤمن بما عند الله فاقبة خيرات الدنيا زهدا  
 بها عند القوت وشدة حسرتها عند الممات مع انها تشغل مما في الآخرة  
 يفر عن القيام لله خالصا وبالوثوق بالله صادقا فانيبوا لما عند الله واكتفوا  
 بولا تنعموا في دار البلايا ودار الظالمين الاشقياء فتصرفوا بذلك عما أعد  
 للقيين واقتدوا بالنبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه في الاعراض عن الدنيا  
 وباعها واصبروا على الجوع والخضوع لما عند الله بالقلب القنوع واعلموا انه  
 كان في الدنيا خير لصها الله على عبده المؤمن ولا عطاء كل ما عند الكفار  
 ولكن ليست هذه الدنيا محل العطاء ولا دار الجزاء ولا زمن السراء فاعرفوا  
 بالحق له من الاكتساب منها الى محل الاجتماع بالاحياء ودوام اللقاء فيها  
 بالحياتي ولا تعطلوا بهذه الدار مع من تعطل بها لغزوره بمحض البلاء قال الله  
 تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجالعون  
 عليها صميذا جرزا غير الدنيا مؤد الى الوقوع في الهوي الخلاء وانظروا  
 رب ما فيها من البلاء اذ قال الله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع  
 ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم  
 مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة  
 ربهم هم المهتدون) فانظروا العطاء الذي في البلاء وهو الصلوة من الله مع  
 صبره والهداية اذا كان العبد راضيا أو صابرا على مراد الله لما عند الله معقدا

أولاد الله له وسيدته عليه فيحسن به الظن زيادة عما أحسنه في أمه الشفيع  
عليه الذي يعلم خبره وقدره وعظمه فيعلم يقينا أن أباه الموصوف بتلك الصفات  
لولا محض الشفقة عليه وإرادة الخير له لا يقصده ولا يسقيه الدواء المر المعين  
السيح ولا يأخذ ماله إلا بإذنه له فكذلك المؤمن بالله وبأولاده الله يعلم أن  
عند الله خيرا لا تزنه السموات والأرض وما فيها وتعلم أنه قادر على إعطائه  
كل خير وبشده خزائن الجبرات ولكن المعلوم أن المريض إذا أعطاه أبوه  
لذيذ لا طعمه عجبت بموته وإذا أباح له الملاعب والشهوات عن إحياء للتعليم  
كبر فيها جاهلا وكذلك حكمه الله في صرف النعم عن عبده وبشره عنها  
في الدنيا من هذا القليل وأعلما في ضرره بالخاضر الذي يعقب حسرة  
طويلة ولذلك فعل بإصفياءه ما قتل مما هو معلوم وقد قال النبي صلى الله عليه  
وسلم (أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل) والأخبار في هذا  
المعنى كثيرة من الكتاب والسنة فانظروا ما ناله العبد بالبلاء في قوله تعالى  
(وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم  
صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) فقلوا إنا لله وإنا إليه راجعون  
هو حسن ظن بالله معرفة به لكثرة أياديه ونعمه عليه واشتياقا إليه دون  
الشهوات التي تكون قبل لقائه فالمعلوم أن من انتسب إلى ملك وأخلص في  
انتسابه له وعلم الملك أن له حقيقة عمل له كل إحسان ورفع به بكل درجة وإذا  
علم الملك أيضا من قلب ذلك الشخص أنه إلى أبده مستعد من قلبه أنه  
لا يرجع إلى غيره أعدله ما يقدر عليه من حسن المأوى فكذلك العبد المؤمن  
لما يعلم أيادي الله عليه وأولويته له مع معرفته أنه قادر وغني وخبير يفرح  
بما يقضيه عليه قائلا إنا لله يعني نحن ملك الله وهو الأول بنا منا ولما يعلم

انه لا مرجع له الا اليه مع معرفة أياديه وعظمته وما أعده في الآخرة ليشان  
اليه فقط ويصرف نظره عن ما يعطيه قائلًا وإنا اليه راجعون فثيبه الله صلوات عليه  
فيصلي عليه كما دلي على أحبابه من الانبياء والمرسلين والملائكة والمترين ويرحمه  
الرحمة الخاصة التي تليق بعظمته وبما ظنه في الله قد سلك طريق الله والجنة  
فهده الله الي ذلك لان الجزاء من جنس العمل ومن جاهد يهديه الله كما  
قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فلا تظنوا أحبابي في غير ربكم  
ولا تتشوفوا لغير دار الدوام مما يزول ويعقب حسرة تطول فتنبوا بهلاء  
الدنيا لحسن الظن بالله وأعرضوا عن متاع الدنيا التي تعقب الشقاء وحشوا اخوانا  
الذين معكم بالحال والمقال وكونوا كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استمعينوا  
بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أهوات  
بل أحياء ولكن لا تشعرون) ووطنوا أنفسكم على الرضا بقوله تعالى (ولنبليكم  
بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر  
الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم  
صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) لتناووا بالرضا والصبر على مراد  
الله تحسينا لظنكم بالله الصلوات والرحمة والهداية كما ذكرت ذلك ولا تغفلوا  
عن ذلك والسلام

(ملحق)

وانه يا حبيبي بعد وصيتي هذه فليكن اعتمادكم على الله تعالى في كامل  
أموركم تصديقا وامثالا لقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فالتوكل  
على الله كنز المؤمن لان المؤمن كنزه ربه كما ورد وحيث ان مطمح نظره  
ربه وصل اليه وجازاه ومن اعتمد على غير الله خذله في محل حاجته كما لا يخفى

ذلك وأيضاً لا تمتدوا على الكثرة بل اجتهدوا في الصفة التي هي الاعتماد على الله وحده وزهد الدنيا والتشوف الى ما عند الله في دار البقاء فالذي عندكم ينفذ وما عند الله باق فان الكثرة بغير الله خذلان فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فاصبروا على مراد الله راجين له وانظروا لنصرة الله ولا تمانوا للقوة الاخرى فقد قال تعالى (ويوم حنين اذ أعجبتمكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً) فانظروا لذلتكم الحقيقية التي هي عجزكم من أنفسكم اذ أنتم من نظفة مذرة فعل بكم ما ترونه من كمال هيكلكم بقوته والروح التي تحركون بها هي بيد الله قبل الروح من أمر ربي وبذيرها الانسان خير منه الطين لانه يصير منتناً ومن نظر هذا المعنى صرف ان ملكوت كل شيء بيد الله فلا يخشى من غير الله وهو الذي له الخلق والأمر فلا تخشوا الناس واخشوا الله الذي بيده كل شيء وقوموا بأمره له فقد قال الله تعالى (ولينصرن الله من ينصره) فاعتمدوا على الله واكتفوا به واشتاقوا الى الذي عنده والسلام

ولما غادر عثمان دقته بربر وجد آخر حملة من الجنود نازلة على منهل بين بربر وسواكن اسمه (ككريب) فاخذ بيكي وينتجب ويقول لمن معه تلب على هؤلاء الكفار لنقتلهم فلم يوافقه أصحابه وكانوا بضعة أشخاص ثم تابع سيره والناس يقدون عليه لاخذ البيعة وتقديم الطاعة والخضوع ومع ذلك كان يكتهم أمره ولم يجاهر بدعوته حتي يجتمع بالشيخ الناهر

وقد سلم المهدي كتابين بخط يده الى عثمان ليوصاهما له في أحدهما ان نائبه علي السودان الشرق هو الشيخ الناهر ويأمر الناس بعبايته وفي الخطاب الثاني استعطاف له والحاح بقبول هذا المنصب وانه اذا كان مصرراً



على الرفض وعدم القبول فليكن الأمر الناهي في باطن الأمر علي عثمان دقنه  
وقد أوصي المهدي عثمان دقنه بترك الامارة لاستاذته اذ ارضى بما كتبه  
المهدي وان أصر علي رأيه الاول فليكن مؤتمراً بكل ما يأمره به وفي كلا  
الحالين ان المسؤول الحقيقي أمام المهدي هو الشيخ الطاهر لا عثمان دقنه

كل هذا يدل على أن المهدي لم يكن واثقاً بثمان دقنه وقد اتفق الطاهر  
وعثمان على ان يكون الثاني منفذاً لكل أوامر الاول

على ان عثمان دقنه لم يكن واجداً في نفسه أقل شيء من استاذته وكانا  
على حالهما الاول وعثمان أطوع له من يده وكل الاعمال التي كالت بالنجاح  
الباهر في أوائل أمر عثمان دقنه كانت من أعمال أسناذد وسيأتي ان الشيخ  
الطاهر لما لحق بالتماشي في أم درمان ظهر الخلل في أعمال عثمان دقنه فاعيد  
الى سواكن فتدارك الخلل وبعد وفاته هزم عثمان من توكر وتفرقت من  
حوله القبائل وقصارى القول ان الفاعل الحقيقي لكل ما جري في السودان  
الشرقي هو الشيخ الطاهر وان عثمان دقنه لم يكن الا آلة في يده وهذه  
حقيقة لا ينكرها الا الذين يجهلون الحقائق ويحكمون بالاشاعة

ذكر لحاق الشيخ الطاهر بعثمان دقنه وذب المسجونين  
كان جواسيس الحكومة في كوردفان أبلغوا الحكمدارية في الخرطوم  
أمر عثمان فمالت علي القبض عليه قبل وصوله الى سواكن فلم تفلح ويقول الثقات  
انه قضى عدة أيام في بربر عند صهره والحكام لاهون عنه بالرغم عن تشديد  
الحكمدارية في القبض عليه

ولما قرب عثمان من (هندوب) التي لا تبعد عن سواكن بأكثر من خمسة

أميال بمثل يعلم الشيخ الطاهر وكان مقيماً في سواكن مغموراً بنساء الحكومة  
إلى درجة أنها كانت تكلف المسجونين بقضاء حوائجهم الذاتية كالأبنية وحفر  
الآبار أسوة أعمال الحكومة

وفي اليوم الثامن من شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٠ هجرية استأذن الشيخ  
الطاهر الحكومة لينتقل المدينة إلى هندوب حيث عزم على حفر بئر فيها  
وتشييد مسجد فأعطته الحكومة ثلاثين مسجوناً من المصريين ليقوموا بهذا  
العمل وفي اليوم التالي شخص من المدينة ومعه كل أسرته

ولما أطلع عثمان الشيخ الطاهر على ما كتبته المهدي وألح عليه في  
قبول الأمانة لم يتغير عن عزمه الأول وقام في وسط الجموع وبأيع عثمان بيهة  
المهدي ونزع ملابسه ولبس شعار المهدي الذي هو القميص المرقع وقبض  
عثمان على الثلاثين مسجوناً وذبحهم وكان ذلك ضحوة يوم عيد الأضحى فكان  
الناس يقولون نضحى بهؤلاء الكفار

والتفت القبائل كلها حوله وبأيعوه اقتداء بالشيخ الطاهر وترامت  
أخباره إلى كلاً ومصوّع ودخلت جميع القبائل في طاعته ماعدا قبيلتي بني  
حامر والهاباب ثم غادر عثمان ومن التف حوله هندوب لقربها من سواكن  
ولحق (سنتكات) لبعدها ومنعتها بالوعور والغابات

هذا وقد بقي بعض القبائل يبطن الولاء لعثمان ويظاهر الحكومة  
بالطاعة حتى كانت واقعة سنتكات وقيام الأهاليين عن بكرة أبيهم بالثورة وخلع  
طاعة الحكومة

## ذكر واقعة سنكات وقتل توفيق بك

لما عسكر عثمان في سنكات أصدرت الحكومة أمرها الى محافظ  
سواكن بوجوب القبض عليه فانتدب توفيق بك مأمور توكر وستين جنديا  
للقبض عليه ولم تكن الحكومة عالة ان عثمان معه نحو عشرين ألف مقاتل  
واستصحب توفيق بك شيخى قبيلتي الشعياب والنوراب اللذين أكدا له  
سهولة القبض على عثمان وأقسما له أن يكونا عوزين له وما كاد توفيق يصل الى  
(سنكات) حتى فرا منه ولحقا بعثمان الذي بدأ يهاجم الجنود وهم بالرغم عن قتلهم  
يردونه ويدفعونه بخسائر وفي آخر الامر تحصن توفيق بك داخل زريبة من  
الشوك واحتفر متاريس ليدافع بها حتى صار من أمر الحملة ان عثمان فتك بها  
بعد هزيمة الحملة التي كان يقودها محمود طاهر باشا وتلتها هزيمة بيكر باشا كما  
يأتى سرد ذلك

## ذكر حملة محمود طاهر باشا

لما قررت الحكومة ترك السودان وإخلاءه عهدت الى محمود طاهر  
باشا قيادة خمسة آلاف من الجنود لانتقاد توكر وسنكات فشخصت الحملة من  
سواكن الى ترنكيتات بحراً ثم سارت براً من ترنكيتات قاصدة توكر  
وكان عثمان قد علم بأمر هذه الحملة فحشد جيشا جرارا يزيد عدده على  
خمسین ألف مقاتل كلهم في نهاية الحماس ولكن بهم في منتصف الطريق بين  
توكر وترنكيتات ولم تقطع الحملة مسيرة عشرة أميال حتى خرج عليها الكمين  
من كل ناحية وداهمها على غرة فأوقع بها ولم ينبج منها غير القائد وقليل من  
الجنود وغنم عثمان كل ذخيرتها ومدافعها

وعلى أثر ذلك جاءت الأنباء الى الحكومة بزيادة الخطر على الخرطوم  
وعولت على اجراء عمل من شأنه أن يسهل اخلاءها وصار العدويشن النار  
حول المدينة ولولا البحر لاستولي عليها فأرسلت الحكومة البريطانية سفنًا  
حربية حافظت على المدينة ومنعت وقوعها في قبضة العدو

### حملة بيكر باشا

لما هزمت حملة محمود طاهر باشا انتدبت الحكومة بيكر باشا  
قومندان الجندسة المصرية ومعه نحو أربعة آلاف جندي وفي أواخر المحرم  
سنة ١٣٠١ هجرية استعرض المغفور له الحديوي توفيق باشا جنود بيكر  
باشا في القاهرة وأبدى سروره من حسن انتظامهم ثم غادر بيكر باشا  
القاهرة قاصداً سواكن ومكث أياماً يخبر رؤساء القبائل بخبرات سلمية فم تسفر  
عن نتيجة مرضية ثم أبدى رغبته الى الحكومة أن تاذن له بمخاطبة قبائل مصوع  
عساه يجد منهم حلفاء يعاونونه على فتح الطريق الى كسلا ومنها الى الخرطوم  
فصادفت ماموريته بعض النجاح حيث وجد قبائل بني عامر والهاباب ينفرون  
من المهدوية ولذا لم يدخلوا في طاعتها فتولد عنده مل النجاح وأخذ يخبر القبائل  
الواقعة بالقرب من كسلا فعلم انها كلها دخلت في طاعة المهدوية ورفعت لواء  
العصيان على الحكومة

وبعد بحث طويل علم أن الطريق من مصوع الى كسلا مملوءة بالنابات  
ومحاطة بكثير من الصموبات وان الطريق من كسلا الى الخرطوم بعيدة  
وانه يخترق صحراء قاحلة فماد الى سواكن واخذ في الاهبة للزحف على توكر  
لاتقاذها واتقاذ سنكات

وفي شهر ربيع الثاني سنة ١٣٠١ هجرية البحر بيكر باشا بحملته من سواكن الى  
 ترنكيتات اي في طريق حملة محمود طاهر باشا ثم سار بحملته في ذلك الطريق ولشدة  
 وعورة المسلك وتكاثر الغابات المظلمة والاشجار العظيمة كانت القوة سائرة  
 علي هيئة (يوليه) تتقدمها المدافع وبجانييها الفرسان وكان العدو كامنا في الطريق  
 فوثب عليها عثمان واختلطت مقدمته بمقدمتها فحاول القائد تشكيل قلعة من  
 المشاة ولكن اسراع العدو في الهجوم وخفة حركاته حالا دون اتمام العمل  
 فركن من في الساقة الي الفرار والقوا ما بأيديهم من الاسلحة وأثنى العدو  
 فيهم قتلا وضربا فكانت جملة الخسارة نحو ثلاثة آلاف قتيل ونجا القائد  
 ولحق بترنكيتات وغنم عثمان كل الاسلحة والمدافع التي كان فيها عدد من  
 الطراز الكبير جدا

على ان هذه الهزيمة جاءت تلو التي قبلها وبالا سباب عينها الا أن جنود  
 بيكر باشا أطلقوا نيرانا كانت كافية لارجاع العدو القهقري لو لم يختلط  
 فرسان العدو بفرسان الحملة فتقوض الجانب الذين يحمونه من هيئة المربع  
 المستطيل فكان الفشل من نصيب الحملة ولا يعزب عن فكر القاريء ان  
 هذه الحملة جاءت مذبحتها بعد مذبحه الجنرال هيكس فكانت الدهشة بمصائبها  
 عظيمة وان توفيق بك كان قد وصلت اليه اخبار تقدمها فكان الامل يعلو  
 جانيه بأن تنقذه فلما بلغه ما أصابها خرج بجنوده القليلين ليخترق صفوف  
 العدو إما له وإما عليه فخرج في حالة تدلي على ما كان عليه من الشجاعة التي  
 ضاعفها اليأس وما كادت جنوده تفارق الزريبة حتي أحاط بها العدو من كل  
 جانب ومكان وعدده يربو على ستين ألفا أي لكل رجل من رجاله ألف  
 من رجال عثمان فقتل هو ووجنوده بعد دفاع اعترف له ووجنوده بفضل الاعداء

وتوفيق بك هذا سورى الاصل كان نصراً يائماً ثم اعتشق الاسماء ودخل  
في خدمة الحكومة

وعلى كل حال فان عثمان نال في أعماله نجاحاً ما كان المهدي يتوهمه  
وجاءت أعماله في شرقي السودان معطلة لما كانت عليه سرعة المواصلات  
بين بربر وسواكن وتقوى به ساعد المهدي حيث كفاه مكافئة جزء  
ليس بقليل من قوات الحكومة كان في الامكان أن تحول بينه وبين تقدمه  
الى الخرطوم لو عمدت الحكومة الى ارسالها مع غردون لدى عزده

ومن المدهش ان الحكومة في تلك الايام قصدت فتح طريق من  
مصوع الى كسلا فالخرطوم وهي تجهل ما في تلك الطريق من العقبات الكؤود  
والصحاري القاحلة ولو عمدت الى فتح هذا الطريق على شاطئ النيل لم تقم  
في طريقها صعوبات كالتى قامت في وجه بيكر باشا لما عاد فشلا من مخبرة  
القبائل من كسلا ولا أضاعت الاوقات في الاشياء التي لاتعود بفائدة فلا حول  
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

### واقعة الجنرال جراهم في التيب

ولما فشلت حملة بيكر باشا قررت الحكومة الانكليزية ارسال قوة  
عسكرية لقهر عثمان دقنه وفتح الطريق بين بربر وسواكن وعهدت بقيادة  
هذه الجنود الى الجنرال جراهم فوصلت هذه القوة الى سواكن في أواخر شهر  
ربيع الثاني سنة ١٣٠١ وبعد بضعة أيام ابحرت منها الى ترنكيتات

على ان المصائب التي حلت بالملتين السابقتين دعت الجنرال جراهم  
لاخذ الحذر وعدم الاعتراض فصار بحملته وعدد مشاتها ثلاثة آلاف وفرسانه

ثم ائمة ونحو اربعمائة من المهندسين والطوبجية وجبل الفرسان في جانبي المربع  
 ثم سار المربع من تركيبة تات تيبيل النهر ورافق بيكر باشا الجنرال جراح  
 هذا ما كان من أمر الجنرال جراح أما عثمان فقد تحصن في التيب واحتضر  
 خندقاً صغيراً أحاطه بمناريس وضع عليها مدافع السكروب التي غنمها من  
 الواقعتين السابقتين ولكنهم كانوا بلا مؤخرة تحفظهم من الخلف فكانت هذه  
 الفعلة مما شجع الجنرال جراح فتقدم هاجماً على العدو وكان ضمن رجاله جنود  
 من الذين شهدوا واقعة بيكر فجنبوا ولم يثبتوا في الدفاع وولوا الادبار  
 وكانت مقدوفات العدو متواصلة ومع ذلك لم تجاوبها قنابل الجنرال جراح  
 وأخيراً تقدمت الحملة حتى صارت على بعد ميل واحد من حصون العدو الذي كانت  
 نيرانه وقنابله شديدة جداً عليها وهناك أخذت نيران الحملة وقنابلهما  
 ومتريوزاتهما تجاوب مقدوفات العدو وكان أحد جوانب الحملة عرضةً لمقدوفات  
 العدو فأراد القائد ابدال شكل المربع بطريقة تصير الأضرار خفيفة فلم يفلح  
 وجرح كولونيل انكليزي فاغتنم عثمان الفرصة وزحف بخفة غربية ثم اشتبك مع  
 الحملة وصار القتال بالسلاح الأبيض وبعد بضع ساعات انفصل الجيشان  
 ووضعت أوزار الحرب وخسر عثمان نحو ثلاثة آلاف قتيل وتقهقر الى (توكر)  
 وتابع الجنرال جراح مسيره متأثراً له فلم يصادف مقاومة في طريقه  
 وكان عثمان يقصد من هذا التقهقر ان يغتر الجنرال جراحهم ويتأثره فاذا  
 توغل في الغابات وأدرك جنوده بعض التعب يكر عليه ولكن الجنرال  
 أدرك الحيلة وقفل راجعاً من توكر ولم يتأثر العدو وقتل بكباشي انكليزي  
 وجرح بيكر باشا

وقد وصلت أخبار هذه الهزيمة الى غردون في الخرطوم وهو في أوائل

الحصار فكانت مما ضاعف احزانه وسيأتى ذكر ذلك على حدة

### ذكر تقدم عثمان دقنه الى سواكن

قلنا ان عثمان كان يقصد بالتقهقر التفرير بالحملة حتى تتأثره فلما أدرك قائدها الحيلة وقفلت راجعة الى سواكن أخذ يعرض أنامل الندم لقوات الفرصة حيث كان في مكانه معاودة السكره عليها في طريق توكر أو بعد احتلالها اياها فزحف على سواكن وتحصن في مكان يدعى (طمية) وأرسل قسما من رجاله يناوشون المدينة حتى يضطروا الحامية الى الخروج اليهم فاشتدت وطأتهم على المدينة وكادت تسقط في أيديهم لولا نيران السفن الانكليزية التي اضطرتهم الى النكوص على عقبهم مرات عديدة وكان ذلك مما أياس الجنرال جراهم الذي كان آملاً فتح الطريق بين بربر وسواكن

### ذكر واقعة طمية

ولما كثرت غارات العدو على سواكن حمل الجنود الانكليز على العدو وخرجوا فتقهقر المغيرون أمامهم حتى بلغوا طمية ولما تراى الجمعان لزم الجنود خطة لدفاع وتحصنوا داخل زريبة من الشوك فانقض العدو عليهم ليلا وذبج عددا كبيرا منهم وما زالوا في دفاع حتى مطلع الفجر فانقسم الجنود قسمين وشكوا مردين أحدهما يقوده الجنرال بول والثاني يقوده الجنرال دافيس وتقدم هذا نحو العدو الذي قابله بثبات مدهش وفك باكثر الجنود واختلط بهم فتدارك القائد الامر وتقهقر بانتظام حتى صار حيال مربع الجنرال بول وأخذ المربان في اطلاق النار على العدو



مما فتقته تر بنحسائر حجة وبلغ عدد من قتل من الجنود الانكليزية نحو أربعة  
آلاف ويقال ان جنود الجنرال دافيس أظهرت جبنا واحجمت عن اطلاق  
النار حتي تمكن العدو من الدنو منها وعادت الحملة الى سواكن

أما عثمان فقد أعاد الكرة على سواكن وأخذ يوالي حث القبائل على  
الجهاد وذلك كله ليمنع تقدم أى قوة الى بربريشتد بها ساعد غردون وأرسل  
دعاة كثيرين حصر واكسلا كما سيأتي ذكر فلك في مكانه

ولما اتحد المربعان تقدمت الجنود قليلا الى معسكر العدو وأشعلت  
النار في معسكره وأحرقت خيامه واسرت كثيرا من العائلات والنساء  
ولحق العدو بعض خور اضطره الى عدم تأثرها حتي بلغت سواكن

وقد تغالي مكاتبو الجرائد الانكليزية في وصف هذه الحادثة الى حد  
انهم قالوا بان الدراويش اشجع رجال في الدنيا وأكثر الناس خبرة  
بفنون الحرب

على أن الحقيقة عكس ما قالوا لان القوم لم يكونوا الا في الدرك الاسفل  
من الغباوة والجل وما أظهروه من الشجاعة كان نتيجة ما كان يقال لهم عن  
نعيم الجنة وحياة الشهداء فهم يريدون احراز ذلك والتمتع به. هذا وقد امتدح  
المجذوب بن الشيخ الطاهر عثمان دقته بقصيدة طويلة عقب هذه  
الواقعة مطلما

بطل تهاب بنو الاصيفر بانسه لم لاوساء صباحهم تكرارا  
والقصيدة طويلة اكتفينا بايراد مطلما حلوها من الفائدة وتضمنها الغلو  
في المدح والخروج عن خد الادب في ذم الحكومة وهجائها

## ذكر تقدم الجنرال جراهم الى بربر

وفي غضون ذلك وردت الاخبار الى القاهرة ولندره بقطع الاسلاك  
التلغرافية بين الخرطوم والقاهرة وشرع العدو يحاصر الخرطوم فقررت  
الحكومة الانكليزية ارسال حملة الجنرال جراهم لفتح الطريق بين بربر  
وسواكن وأمرت الجنرال جراهم بالحملة على عثمان دقته واختراق الصحراء  
للوصول الى بربر

وكان لعثمان دقته عيون في داخل سواكن يبلغونه كل أخبار الحكومة  
ونواياها ولما سمع هذا الخبر سربه وعزم على عدم مقاومة الحملة بالقرب من  
سواكن واخلاء الطريق لها حتى تتوغل في الصحراء وهناك يثور في وجهها  
ويتمكن من ابادتها

ولما خرج الجنرال جراهم كان علي حذر شديد وتقدم في الصحراء  
مسيرة يوم وليلة ثم علم بحقيقة ما دبر له وعلم أنه ان تابع مسيره كانت عاقبته  
لا تختلف عن مغبة حملة الجنرال هيكرس فصمم على العودة الى سواكن قبل أن  
تطرأ ظروف تجعل السلامة في خبر كان فماد ولم يصادف كيدا في  
ذهابه أو اياه

ولما سمع عثمان بعودة الجنرال جراهم أسرع اليه ليهاجمه قبل أن يبلغ  
سواكن فلم يفلح وبلغت الحملة أمنها سالمة غير ظافرة بشيء مما كانت تتوق اليه  
وبهذه الحملة ختمت رواية الجنرال جراهم حيث غادر سواكن وانصرفت  
أُميال الحكومتين المصرية والانكليزية عن فتح الطريق بين سواكن وبربر  
وأصبح الامل ضعيفا من اسعاف غورجون وامداده من جهة السودان

الشرقي حيال ما أظهره عثمان من القوة والبسالة اللتين أدهشتا العالم أجمع  
وشدّدت عزائمه وقوت أمله في الاستيلاء على الخرطوم ووقوع السودان  
كله تحت قهره وجبروته

وفي غضون ذلك كانت القبائل التي حول بربر رفعت رأسها للثورة  
وسقطت بربر في يد المهدي والخلاصة أن جميع حركات الجنرال جراهم لم  
تعد باقل فائدة بل كانت مما قوى ساعد العصاة بما غنوه من الاسلحة والذخيرة  
والى الله مصير الامور

وانسحب الجنرال جراهم من سواكن بكل عساكره ولم يترك غير مائتين  
منهم ليقوموا بحراسة المدينة مع السفن الانكليزية  
وكان انسحاب الجنرال جراهم من سواكن بعد أسبوعين مضيا على حصر  
غوردون وقطع الاسلاك البرقية بين الخرطوم ومصر

### ذكر حوادث كسلا

كان السيد محمد عثمان الميرغني شيخ الطريقة الميرغنية مقبلا في قريته  
(الحتمية) بجوار كسلا وقد خاطبه المهدي مرات عديدة يدعوّه الى القيام  
بدعوته في إقليم (التاكا) فكان لا يجاوبه بحرف واحد واعرض عن إجابته  
كل الاعراض

وفي شوال سنة ١٣٠١ كتب له خطابا ملاء بالوعود والوعيد وصرح له بان  
لإنجاة له لا باحد اميرين اما اللحاق به أو القيام بدعوته تحت إمرة عثمان  
دقته وعرض له وسأله ان لا يأنف من رئاسة عثمان دقته عليه لان ذلك لا يؤخر  
مثله عن نصرة الدين ولو كان عثمان (شيلكاويا) نسبة الى قبيلة (شلك) في

مقالة فشيده وهي قبيلة من العبيد لادين لها ينال افرادها على الرماء وينسلون  
وجرعهم ببول البقر وعاءون عمرة كيريم ولا هم أمهاتهم وما هي صورة المنشور  
بنصها نقلا عن الجزء الثاني من المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فقد العبد المقتدر الى الله محمد الهادي بن عبد الله الى جليله في الله محمد بن  
محمد الحسن ميرغني كان له مولاه الغني امين

أما بعد فجزيل السلام ورحمة الله وبركاته عليكم وعلى من لديكم ثم نعمتكم  
انه قد تكررت المحاطبات منا الى عباد الله بالدعوة الى الله والانابة الى  
ما عنده والقيام بامر الله والالتقياد له والخروج عن النفس والملافة المعوقة  
وكل من أخلص لله وكان أمره لله قد اتصل لدين الله معنا ومن لم يجتمع  
وقام بامر الله على قصد إعانتنا وقاسى الشدائد لصفاء سريرته في إثبات ما عنده  
الله فهو منا والينا ولومات على ذلك فجدير ان يتصل بربه ويتنعم عنده بما  
لا يوصف من النعيم المقيم ويستريح من شؤم الدنيا وقد كانتناك خاصة غير  
مرة رعاية لمقامكم وشفقة عليكم وظنا للخير بكم فما رددتم الينا جوابا ولا  
حضرتم للحجرة ولا حصلت منكم غيرة للدين بأعمال حركة في جهتكم وما  
أدري ما المانع لكم من ذلك مع انكم أولى بالفرح بنا واجابتنا ونصرة دين  
الله تعالى من كل أحد فما الذي أخركم حتى فاتكم العوام وأنتم العارفون  
وأولو الشرف والمقام وذوو الالباب الذين قال الله فيهم إن في خلق السموات  
والارض واختلاف الليل والنهار آيات لا ولي الالباب الذين يذكرون الله قياما  
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت

هذا باطلا سبحانه فكنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيت  
 وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم  
 فآمننا « وانك من أعظم من يمد ويظن بالصدقة والاخلاص لله في مثل هذا  
 الامر وما عهدت لك انك تتباطى على قدر هكذا لانك جد عارف بعظمة  
 ما عند الله وخسة الدنيا وما فيها ووجوب الهجرة الي اذ انه لا يخفى على من  
 دونك نورا اني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم محي ما اندرس من الدين  
 ومظهر آثار المرسلين ومن المعلوم ان المهدية اختبار لمن يدعي الدين فكل  
 من كان لدين الله الخالص صادقا لا يأتي التعمد والانقياد والتواضع لحوز ما عند  
 الله الدائم ومن كان باطله حب الجاه وما يجبي اليه من الهدايا والوظيفة عند  
 غير الله مال الى ذلك وتوقف وصرف جماعة من الناس عن الدين الواصل  
 كما كان ذلك دأب القسيسين والرهبان الذين كانوا يعرفون رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ويستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به خوفا من فوات  
 الجاه والوظيفة عند الناس وما يجبي اليهم من الهدايا والقطائف حبا لمتاع الحياة  
 الدنيا وما ذلك عند الله بمخلص ولا يتولي العبد عند لقاء الله قال تعالى «ليس بامانيكم  
 ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجذله من دون الله ولولا ولا نصيرا»  
 وقال «وما ينبغي عنه ماله اذا تردى» الى غير ذلك وانك يا حبيبنا ممن لم يكن  
 دينه على حرف ان أصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنه انقلب على وجهه  
 بل أنت ممن يطالب رضا الله ولو تقطعت اربا اربا وفاتت عنك المطالب  
 النفسية لما تاهمه من عظمة الله ونمته وشدة عقابه لمن وقع فيه وكل ذلك  
 أنت خير به وشأنك ان تربي من أتاك هكذا فاستعمل ذلك وتبصر عاقبة  
 أمرك فانه لا غناء لك من صلاح نفسك واكتساب ما عند الله وانك من

أنظام من يقبل النصيح تواضعا لله الذي خاف وأحيا واليه رجع ومن أحسن المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فإذا بلك جبابه هذا فاما ان تهاجر الى أنت ومن معك من الاصحاب المحبين من غير نظر الى علاقة واما ان تحاصروا الترك الذين في جهنم وتجاهدوا من اغتر بزينة الدنيا ولا رضاء لنا عنكم الا بهذين الامرين فان فعلتم احدهما رضي عليكم وانه فلا وقد تعلم انه لا يتحول أحد بغير الله فلا تخافوا اعداء الله الذين نواصيهم بيد الله واستعملوا أمر الله فيهم ولا تابوا بلاء الله لكم لتصفية الايمان والفوز عند الرحمن فالي متى الفرار من بلاء الله تعالى الذي فيه لكم الكرامة والمخامة والله تعالى يقول «ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا» وكيف لمثلك ان يركن الى الراحة وتترف المترفين في دار الظالمين فانهمض هممتك وقو بالله عزمك وشعر فيما يرضيه جهديك وقد ذكرتك بهذا امثالا لامر الله تعالى لقوله «وذكر فان الذكري تنفع المؤمنين» هذا واذا توكلتم على الله ورغبتم في الجهاد والمحاصرة هناك فاتحدوا مع عثمان دقنه مع جميع الامراء الموجودين هناك ولا تحالفوا عثمان دقنه في شيء ولا تأنفوا من ذلك فان منزلتكم عندنا معروفة وأولى التقدم المذكور في اثار ما عند الله والرغبة في وسع درجات الآخرة لمعلومكم ان ما عند الله خير وأبقى ومعلوم ان العاقل يسمى فيما هو خير ولا سيما وقوة احاطتكم بمعرفة عظمة ما عند الله ومعرفة خسة الدنيا وما فيها فلذلك لا يخفى ان المخلص في طلب ما عند الله يطلب قلبه ان يشيد الدين ويؤيده ولو مع شكاوى وان قصد المؤمن المصدق حوز رضاء الله والسمي فيما يقربه من الله ومن كان على حرف من الدين فرح ان وجد الرياسة والمال والمنافع الثابتة وان

لم يبعد ذلك نازع أو أعرض أعاذنا الله وإياكم من ذلك إذ أن ذلك للمنافقين  
الذين قصرت همهم على الدنيا فرضوا بها واطمأنوا غافلين عن آيات الله تعالى  
وهم يجعل الدار الآخرة إلا للمؤمنين المخلصين قال الله تعالى «تلك الدار الآخرة  
نجهلها الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً» فارادة العلو مفهومة إرادة  
الفساد أعظمها حب الدنيا إذ يبي رأس كل خطيئة ولظننا ببراءة ساحتكم عن  
ذلك كاتبناكم أولاً من ابتداء أمر المهدي لظن الخير فيكم وقيامكم بخالص  
الدين وما نظن توقفكم عن الهجرة والجهاد إلى هذا الآن إلا بحسد الحاسدين  
وصرف المعرضين فإذا بلغكم جوابي هذا خفوا وظنى فيكم وقد ذكرنا لكم  
أن ذا السكشف الصادق والدكم السيد الحسن أشار إلينا مراراً وتكراراً  
بالمحلات وبعض الصفات التي تحققت فبعد هذا فنلصكم أولى بالقيام بما لله  
وإشاره على جميع المشاهي والسلام شوال سنة ١٣٠١

ولما وقف السيد محمد عثمان الميرغني على كتاب المهدي له أرسل يدعو  
القبائل لاجتماع عام عند سفح جبل (تكروف) فاجتمع ألوف منهم فقام فيهم  
خطيباً يسألهم أن يعرضوا عن دعوة المهدي وحذرهم الفتنة فكان جوابهم له  
السخرية والازدراء فعاد إلى قريته وأخذ في الإهبة للرحيل ومضى النصيح لكل  
من قابله بمغادرة السودان إلى الحبشة والفرار من وجه الفتنة وقال لاتباعه  
فروا بدينكم وغادروا (التاكا) إلى بلاد الحبشة ومنها إلى مصوع فسواكن لأن الطريق  
من كسلا إلى مصوع كانت مملوءة بدعاة المهدي وأكثر القبائل دانت بالطاعة  
لعثمان دقنه ولم يخلف عليه غير قبيلتي (بنى عامر والهاباب) لأنها أتباع الطريقة  
الميرغنية وأوغلتا في البلاد حتى قرب مصوع وتخلفت عليه قبيلة (الحران) وهي  
قبيلة تسكن شرقي نهر أتره بين حدود الحبشة وكسلا ورئيسها يدعي (عجيل)

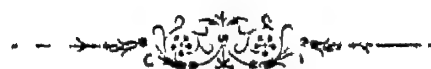
فنزح باكثر قبيلته الى بلاد الحبشة حيث امده الملك يوحنا بما يحتاجه وجعله  
مرابطا في حدود بلاده يدفع عنها غارة المهديين ويوالي الغارة على بلادهم  
وسنأتي علي بقية حواده

ونقل لنا بعضهم عن الشيخ مضوي عبد الرحمن انه قال لما دخلت حدود  
الحبشة فارأ من عبد الله التعايشي قابلي الشيخ عجيل الحمراني بالخفاوة والاكرام  
فلما حضرت صلاة المغرب قام يصلي بالناس اماما وبعد تكبيرة الاحرام رفع  
صوته بالقراءة فقال ياسيدي محمد عثمان الميرغني الكبير ياسيدي الحسن ياسيدي  
محمد عثمان الصغير وصار يعدد أسماء آل بيت الميرغني صغيرهم وكبيرهم  
ذكورهم وانثاهم بيا النداء حتي جاء علي آخرهم ثم كبر لاركوع ثم رفع وسجد  
ثم عاد للقراءة بمثل الركعة الاولى ولما انتهت الصلاة كان بجاني رجل من أهل  
العلم فالتفت اليّ مسرعا وقال ايك ان تفوه بنت شفة فقد مضى علينا سنوات  
نصلي هكذا وقد ضربت اعناق كثيرين لاقبل كلمة ابدوها في الاعتراض على  
هذه الصلاة فالتزمت السكوت وكانت قبائل شرقي السودان الى اوائل القرن  
الثالث عشر من الهجرة مثل سائر زنوج افريقية ولم ينتشر الاسلام بينها الا  
بعد ان استوطن السيد محمد عثمان الميرغني بين ظهرانيهم

وقبل وصول هذا الكتاب الى السيد محمد عثمان كان رجل يدعى  
الكميلاي جاء من قبل عثمان دقنه بدعوة المهدي وقطع الاسلاك الكهربائية بين  
كسلا وسواكن وقتل صنجا اسمه جباره اغا كان يجبي الضريبة من الاهلين  
فانتدبت الحكومة راشد كمال باشا قومندان حدود الحبشة في قوة  
كبيرة لتقبض على هذا الداعية وبعد مسير القوة اياما عديدة صدر لها الامر  
بالعودة فمادت بغيران تصادف كيدا



ويقال إن الباب في رجوع الحملة هو أن جماعة من أعيان البلاد  
 كتبوا عرائش على اسم الباقى للحكومة يذنبون ولاءهم وحناءتهم للجمهورية  
 وكان ذلك خدمة لها فأنزلت الحكومة وأصدرت الأوامر بترجيح الحملة  
 ويوجد في صمراء (ديره) التي بين النيل الأزرق ونهر أبتريه تهيئة الشكرية  
 التي رفضت الدخول في دعوة المهديّة مخالفة على ولاء الحكومة  
 وإلى هنا نكتفي بإيراد حوادث السودان الشرقي حيث نشبع الكلام عليها  
 بعد إيراد حوادث الخرطوم وسقوطه في يد المهديين والله الموفق



## الخرطوم قبل قدوم غوردون عليها

ذكرنا أن الحكومة لما اتصل بها نبأ هزيمة الجنرال هيكنس وهلاكه ارتبكت وأمرت بجلاء حاميات الدويم والكوة وفشوده وسنار لتعزز حامية الخرطوم حتى تصير قادرة على حفظ خط الرجوع الى مصر حيث عولت على اخلاء الخرطوم وترك السودان فنيمة للمهدي

ولما اتصل النبأ بوكيل الحكمدةارية حسين سري باشا اذاعه وأخذ الناس في الالهبة للرحيل واكن معدات النقل لم تكن كافية فكانت أجرة الشخص في المراكب الشراعية لا تقل عن عشرين ريالاً مجيدياً من الخرطوم الى بربر وأجرة حمل الجمل من هذه الى كروسكو لا تقل عن خمسين ريالاً مع أن الاولى كانت لا تتجاوز ثلاثة قروش والثانية ثلاثة ريالات وتوات الانذارت من المهدي الى سكان الخرطوم بالتسليم وكان وكيل الحكمدةارية يقول للناس جهاراً انزحوا من الخرطوم الى مصر أو الى المهدي فتد تركت الحكومة بلادكم والقت زمام أحكامكم الى المهدي فكانت هذه الاقوال مما جراً الاهلين المتحفزين لاثورة وخلع نير الطاعة عليهما

هذا وقد ظهر دعاة كثيرون سنورد أخبارهم ونستقصي أعمالهم للوقوف

عليها حتى لا يفرت القاري شي منها

## ذكر عصيان الشيخ العبيد بدر

الشيخ العبيد بدر من قبيلة اسمها (المساعية) تسكن في النيافي التي

تبعد عن ضفة النيل الازرق شرقي الخرطوم وتميش بلبن الماشية الصغيرة  
والزراعة

وكان الشيخ العبيد هذا أمياري غنم الناس بالاجرة ثم تظاهر بالانخراط  
في سلك الطريقة القادرية وكان على جانب عظيم من الذكاء والفقطنة استخدمهما  
بين أولئك الاعراب حتى اجتمع حوله اتباع كثيرون  
ومما اشتهر عنه ان اعترافاً قال له ان حماري ضاع فقال له شرب سمننا فشربه  
ولما احس بالاسهال خرج الى الفلاة فعمثر على حماره وسط الاشجار فعد اولئك  
الاغبياء ذلك من اكبر الكرامات للشيخ العبيد وشرب السمن للدواء شائع  
في السودان كله حتي ان الدواء اما ان يكون السمن أو الكي بالنار او العشبة أو  
الرقية بالقرآن

وكان الشيخ العبيد مشهوراً بين قبائل جهته يقصده الناس من اطراف  
السودان النخاسا لبركته ولداواة مرضاهم وعلاجاته قاصرة على السمن ويسميه  
دواما ( الفقيه سمن ) ويعمل لبعض المرضى عمليات جراحية لمرض كثير  
الانتشار هناك وهو آفة في الرجل يسميها السودانيون (النبت) وفي الغالب  
ان عملياته تقرر بالنجاح ويرقى بعض المرضى الذين يصابون بالامراض  
العقلية التي يطلق عليها العامة لبس الجن لا بدان المصابين بها  
وقد حصل الشيخ العبيد على ثروة طائلة من هذه الاشياء واه ببح نافذ  
السكامة بين القبائل التي تسكن شرقي الخرطوم ومرعى الجانب عند كل  
قبائل السودان وهو يسكن في قريته التي تبعد عن الخرطوم مسيرة مرحلتين  
في الضفة الشرقية واسمها ( ام ضبان ) أي ان الذباب كثير فيها وسيأتي ذكر  
قتل محمد علي ونحو ثلاثة آلاف جندي بهذه القرية

ولما ظهر المهدي بحملة الجنرال هيكرس أرسل كتابا الى الشيخ العبيد  
يدعوه الى الدخول في دعوته وان لا نجا له الا بالتقدم عليه او حصر  
الخرطوم وعرض له بذكر الشريف احمد طه الذي تقام خبر قتله وكان الشيخ  
العبيد ملازما لاجياد مدة قيام المهدي بكونه ودفان فكان ينظر المهدي ولا يحب  
ان تسمع عنه الحكومة الميل لجهته فكان اذا سأل سائل عن حقيقة دعوى  
المهدي يجيبه بمباراة المشهورة وهي ( اذا كان مهدي جيد لنا وان كان مامهدي  
شين لنا ) ومعناها اذا كان مهديا فانه جيد لنا وان لم يكن مهديا فاي شيء لنا  
وهذا الجواب يدل على ما كان عليه هذا الرجل من الدهاء وكان رسل المهدي  
واتباعه اذا جاءوا يتقابلهم بالاكرام ويسر اليهم انه منهم واذا جاء عمال الحكومة  
أظهر لهم الطاعة ونوه لهم عن الضعف بمباراة عامية مشهورة ايضا وهي ( انا  
جنيزه مخظه وجديده مكشبه ) ومعناها انا كالجنازة المكشبة ان حملت الى  
المقابر فانها لا تقاوم او كدجاجة متبوخة بالبصل لا تقاوم من يريد أكلها

ويقول البعض ان الرجل ولو انه أول من حاصر الخرطوم وقتل عددا  
كثيرا من جنودها في واقعة أم ضبان فانه مكره اخاك لا بطل وكان الشيخ العبيد  
قبل ظهور المهدي بعدة سنوات يكره دخول مدينة الخرطوم ويقول كلمة  
مشهورة ايضا ( بركة القيوم ما أدخل الخرطوم ) أي أسأل القيوم أن لا يدخلني  
الخرطوم وكثير من أتباعه يقولون انه عالم بطريق الكشف وخرق حجب  
الغيبات بما يصيب أهل الخرطوم من البلاء ولذلك كان يخشي ان يصيبه  
ما يصيبهم الى غير ذلك من الامور التي ليس في وسعنا ايراد جميعها في مثل  
هذا المؤلف لعدم فائدتها

وحاصل القول انه رجل من أدهى أهل بلاده ولذا لم نقدر على الحكم

بحقيقة نيته بل نترك الحكم ويقرب من الظن انه كان مكرها لا بطلا والله أعلم بالصواب وهذه صورة الكتاب نقلا عن الجزء الثاني من المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المفتقر الي مولاه محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه في الله ( العبيد  
بدر ) وقاه الله جميع الضر ووفقه على ما عند الله يسر ومن معه من المحبين  
حبيبي قد تكررت المخاطبات الي عباد الله للانابة الي ما عند الله والانقياد لامر  
الله والخروج عن النفس والعلاقة المعوقة وكل من أخلص لله وكان امره لله  
قد اتصل لدين الله معنا ومن لم يجتمع وقام باصر الله علي قصد اعانتنا وقاسى  
الشدائد امضاء سريره في اثار ما عند الله ومات علي ذلك اتصل بربه وتسم بما  
لا يوصف من النعيم واستراح من شؤم الدنيا كاحمد بن طه الشريف  
المعلوم الذي جاهد الترك ومات علي صدق حبه واتباعه وكذلك أمثاله قال الله  
تعالى « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أؤذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب  
الله » خاشا ان من له معرفة يجعل فتنة الناس في الدنيا كعذاب الله  
في الآخرة بل هان عليه كل تعب ومشقة في الدنيا ليسلم من عذاب الله  
لذي لا يساوي عذاب الناس في جنبه بشيء ما ولا سيما ما عند الله من الخيرات  
التي لا تزن الدنيا جميعها فيها شيئا قليلا كما ورد فن نظر ذلك هان عليه فوات  
كل متعة في الدنيا ومنارفة كل حبيب بالنظر الي الدوام العظيم كما هان عليه  
متاساة شدائد لدنيا بالنظر الي شدة عذاب الآخرة وانك من أعظم من  
يبد ويظن بالعداقة والاخلاص لما عند الله وما عهدتلك انك تتباطئ  
علي قدر هكذا مع انك جد عارف بهظمة ما عند الله وخسة الدنيا وما فيها

ووجوب الهجرة الى اذنه لا يحكي على من دونك نوراً انى خليفة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم محي ما اندرس من الدين وسنة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ومن المعلوم عند ذوي العرفان ان المهديّة اختار لمن يدعى الدين  
فكل من كان لدين الله الخالص صادقاً لا يأبى التبعيد والانقياد والراضع  
لحوز اعند الله الدائم ومن كان باطنه حب الجاه وما يجي اليه من الهدايا  
والوظيفة عند الناس توقف عن الانقياد لاجل ذلك وصرف جماعة من  
الناس عن الدين الواصل لله كما كان ذلك دأب الاحبار والقسيسين والرهبان  
الذين كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفتحون به فلما جاءهم  
ما عرفوا كفروا به خوفاً من فوات الجاه والوظيفة عند الناس وما يجي اليهم من  
الهدايا والقطائف لمتاع الحياة وما ذلك عند الله بمخلص ولا يتولى العبد عند  
لقاء الله قال تعالى «ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سواً يحزنه  
ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً» وقوله تعالى «وما يغني عنه ماله اذا  
تردى» الى غير ذلك وذلك من المعلوم عندك وانك ممن لم يكن دينه على حرف  
فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه بل أنت ممن  
يطلب ما عند الله ولو تقطعت اربا اربا وفاتت جميع المطالب النفسية لما تعلم  
ما هو عند الله من العظمة التي لا توازيها جميع المطالب بل من فاته ذلك ووقع  
في عقاب الله الذي هو معلوم بالشدة أحب ان يفتردي بجميع ما في الدنيا من  
محبوباته التي لا يبقى له منها عن قريب أثر شيء منها وكل ذلك وأنت تربي به  
من أبناك فاستعمل ذلك حبيبي فانه لا غناء لك من صلاح نفسك واكتساب  
ما عند الله وانك من أعظم من يقبل النصيح تواضعاً لله الذي خلق وأحيى واليه  
المرجع وقد وعد وأوعد كما قال تعالى «وذكر فان لذكرى تنفع المؤمنين» فليس

بمد الله شيء ولا أصدق من قوله وانك من أخص المؤمنين الذين يستمعون  
 القول فيتبعون أحسنه وأنتك الذين همديهم الله وأولئك هم أولوا الباب  
 وفقني الله وإيالة والمسلمين لما يحب ويرضى فاذا بلغك جوابي هذا فاما أن  
 تهاجر أنت ومن معك من الاصحاب المحبين ومن يطلب ما عند رب العالمين  
 من غير نظر الى علاقة وإما ان تحاصروا الخرطوم وتجاهدوا من اغتر بزينة  
 الدنيا ومتاعها عن الصديق مع الحي القيوم حتى نأتيكم ولا رضاء لنا عنكم الا  
 بهذين الامرين فاذا فعلتم رضينا عليكم وأنت تعلم انه لا يتحول أحد بغير الله  
 فلا تخافوا أعداء الله الذين هم نواصيهم بيده واستمعوا أمر الله فيهم فانه أحق  
 ان يخشى ولا تأبوا بلاء الله لكم لتصفية الايمان والفوز عند الرحمن فالى  
 متى الفرار من بلاء الله تعالى الذي فيه لكم الفخامة والكرامة فقد قال الله  
 تعالى « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم  
 مستهم الباساء والضراء وزلزلوا » الى غير ذلك من كلام الله في هذا المني فلا  
 تطلبوا الراحة وترف المترفين في دار الظالمين وكل ذلك ذكرتك به لانك  
 أهل لذلك وممن له الصداقة مع رب العالمين والسلام اه

وفي اوائل شهر صفر سنة ١٣٠١ قامت عصابات من اتباع الشيخ العبيد  
 وقطعت اسلاك التلغراف بين الخرطوم وبربر فارتاع لهذا الحادث وكيل  
 الحكمدارية وارسل وفدا برئاسة أحمد بك على جلاب مدير الخرطوم وسر  
 التجار وثلاثة من الاعيان ولما دنار رجال الوفد من ام ضبان قابلهم اتباع  
 الشيخ العبيد بالشم والسباب وقالوا لهم لما ذا جئتم يا كفرة الله اكبر عليكم فلم  
 يجابوهم بشيء بل دخلوا على الشيخ العبيد الذي قابلهم بالحذر الشديد وقرأ  
 عليهم ما كتبه له المهدي فقالوا له نحن عازمون على التسليم والدخول في طاعة

ويقول كثير من الناس ان هذا المدير كان ذا ميل الى المهدي وقد آمنه على ماله وأولاده ووعده بالجزاء الحسن وقد قبض غوردون عليه ثم غضون حصار الخرطوم واطنه لم يتحقق لديه شيء مما نسب اليه والرجل مات قتيلا يوم سقوط الخرطوم رحمه الله وتجاوز عنه

### ذكر كتاب من المهدي الى الشيخ السنوسي

قلنا ان المهدي نصب خلفاء ثلاثة وسمى كل واحد باسم خليفة أحد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين عدا عثمان بن عفان عليه سحائب الرضوان وانه كان ينوي اهداء هذه الخلافة الى حضرة الشيخ محمد المهدي بن السنوسي وفي سنة ١٣٠٠ كتب كتابا مع الطاهر اسحق من أهالي البلاد الواقعة غربي دارفور الى الشيخ السنوسي يخبره بانه كان ينتظره لاقامة الدين والجهاد في سبيل رب العالمين حتي آتته المهديّة الكبرى وان النبي صلى الله عليه وسلم اجلس ثلاثة من أصحابه على كراسي خلفائه وأبقى كرسي عثمان بن عفان رضي الله عنه له وقال هذا لابن السنوسي عاجلاً أو آجلاً وقال ان نورانيتك تحضر معنا في حضرات كثيرة ورجا منه القدوم عليه أو القيام بدعوته في جهته والغارة على مصر. قال الرسول لم يجابوب السنوسي بخطاب بل قرأ كتاب المهدي وقال انني لم ابلغ منزلة الغبار الذي نار في أنف فرس عثمان بن عفان رضي الله عنه في احدي غزواته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا جواب عندي على هذا الكتاب ثم أمر الرسول بالعودة من حيث جاء

وهذه صورة الكتاب نقلا عن كتاب المنشورات أيضا



شديد في طاعة الملاك المجيد وقد كنا نمدكم للنائبات التي تزل من عدم الصبر  
عليها أقدام الثقات، لتمييز بواطنكم واوقاتكم بذكر الله ودلائلكم في الله  
وعكوفكم على قدم الصدق الذي تنافس فيه أهل الله وحزبه وانتم أهل دراية  
ومعرفة وقد علمتم ان القلب اذا خلا من غير الله يمتلئ نورا ويفيض منه  
الى خلق الله ولا شك ان الرباني المتمسك بالله كامثالكم شأنه هكذا وسماه  
وعلامته هي عدم الخشية من أحد غير الله والى الآن انتم معدودون عندنا  
لاجل ذلك وقد بلغنا عنكم عدم الاهتمام والقيام لقتال الكفرة حيث ندبكم  
محمد بن العلي البصير لذلك فتخلفتم عن إجابته وما كان لكم أن ترغبوا

عن الله ورسوله وتشاركو المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في  
عذر لكم بعد أمر الله ورسوله وأمرنا هذا وإن كنتم في أشد البلياء فإن  
الدين بالبلوي يزيد تجملا ولا يعرف الذهب من الزيف الا بحرقه في النار ولا  
يرغب عن ملة ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام الا من سفه

وما أراكم أن ترضوا بذلك لكونكم عندنا من الاخيار فاطلبوا ما عند الله  
فالبدار البدار وتوبوا مما توقفت لاجله فانه لا شيء يعتذر به ويستحي المؤمن  
اذا وقف بين يدي الله تعالى وينكس رأسه ذليلا منكسرا حيث أثر الغير  
على محبة الله وتأتى من طلب الله لاجل شيء ظنه عذرا وتوانى عن نصرة الله  
فيودان تسوى به الارض من شدة وجله وخجله من الله حيث انكشف  
له حقيقة حاله عند الله وبمثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فاذا بلغك  
جوابي هذا فشر وقو عزمك في الله وشد حزام العزم والحزم وتوكل على  
الله واعتمض به وانتصر بالله فتم المولى ونعم النصير وبوصول جوابي هذا  
اليك اجمع همك في الله وأرسل لجميع اتباعك وأحبائك وأهلك وعشيرتك في

الله وجاهر في معاداة الكفرة واقطع السكك وبارز بالعداوة ظاهراً وباطناً بالقتل والاسر والرباط والحصار ولا تتوقف ابداً الامر ما ان كنت ممتثلاً مصدقاً بمهديتنا افعل ذلك ولا تبال بحكم ما فعل محمد الطيب البصير وان خشيت فانضم اليه وهاجر من محلك الذي أنت فيه واتحد معه كيد واحدة فلا يكون لك بد عن هذا أبداً فخرض المؤمنين على القتال وسلم نفسك واتباعك من الحساب والسؤال فان من قصد الله ورسوله واقامة الدين يجاهد عدو الله ورسوله ولو مع شللكاوى فلا تغر نفسك فلا يكون رضاي عليك الا بفعل ما أمرتك به من أخذ الامرين مع عود الافادة الينا عاجلاً لنعلم ما أنت عليه والسلام

ولا تجاوبنا بغير ما أمرناك به ولا تبسط لنا الاعذار وها قد أنذرك ومن بلغه الانذار لاحق له في الاعتذار والسلام

« الثاني » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الي احبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه خصوصاً دفع الله تلميذ العبيد ولد بدر وكافة عصبته ورجاله واتباعه اجمعين اما بعد فالذي نعلمكم به أيها الاحباب انه جاء الحق وزهق الباطل وقد علمتم ان خروج المهدي وظهوره كقيام القيامة يتضح فيه أهل الدين والابحان ويكشف عن الصادقين من الاحباب وأنتم أبناء الطريقة وخدمتها المريدون لحرب الآخرة والمجتهدون فيها وهذه سنة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظلمت وايدها الله بظهورنا وأوجب عليكم طاعتنا ونصرتنا في الله لا قامة الدين وترك كل ما ألهي وشغل من مال وبنين وحيث فهمتم ذلك فاتكم الهجرة

الاولي وكان الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب اليكم من كل شيء سواه  
فبمجرد وصول جوابنا اليكم صحبة رافعه محمد الناز تمزبوا في الله احزابا احزابا  
وجهبوا حالكم واستعدوا للقتال والجهاد للكفرة بكل ما أمكنكم وانضموا  
الى العبيد بدر وبمجرد سماعكم بحلولنا بالبحر الابيض تقوموا بكامل رجالكم  
خفافا وثقالا وقابلوا الخرطوم بجهتكم التي يقال لها القبة وحاصروا أعداء  
الله وضيقوا عليهم فان الله يخزيهم وينصركم عليهم فاني موعود بالنصر والظفر  
عليهم باذن الله تعالى ولو كنت وحدي فمن تخلف بهد مجيئنا قدمه هدر  
ورله وأولاده غنيمة للمسلمين يكون معلومكم ذلك وبعده السلام  
وأيا كتبتنا لوالدكم العبيد بالحصار والجهاد تجاه القبة للخرطوم وان  
يساعدكم على هلاك الكفرة فتعاونوا عليهم فان المؤمنين كالبنيان يشد بعضهم  
بالبعض يكون معلوم والسلام  
وسنعود الي ذكر تأثير هذين السكتين

### ذكر غارة الشيخ مضوي عبدالرحمن علي ارباض الخرطوم ونهب الماشية وهزيمة

في أوائل شهر صفر سنة ١٣٠١ جمع الشيخ مضوي نحو الف رجل  
أغار بهم على الخرطوم ونهب نحو الف رأس من الماشية كانت ترعى خارج الخندق  
ولما تأثرته الجنود فر الى جهة الجديد على بعد مرحلتين من الخرطوم  
جهة النبل الازرق ثم انتدبت الحسكة مديرية اللواء ابراهيم حيدر باشا في الذين  
من المشاة المصريين فاجبر من الخرطوم على باخرتين حتي بلغ الجديد فقابله  
الشيخ مضوي برايته وبوده فصبر لهم حتي اقتربوا من المربع وأصلحهم

ناراً حامية فلم يستطيعوا الثبات عليها وولي قائدهم مدهور أوسقط نحو مائتين منهم تنلى وشرقوا في الفلاة ومنذ ذلك اليوم اختفى أثر الشيخ مضوياً ولم يوقف له على خبر إلا بعد أن زحف أبو قرجه وابن البهيرة وحاصروا الخرطوم من جهة الجريف كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه

### ذكر الداعية محمد بن الطيب البصير

تقدم لنا تعريف قرى الخلاوين عند ذكر الشيخ القرشي أستاذ المهدي ونقول الآن كان في الخلاوين رجل اسمه الطيب البصير كان أستاذ القرشي هذا قبل أن يجتمع بالاستاذ الكبير أحمد الطيب بن البشير ناشر الطريقة السماوية في الاقاليم السودانية وكان الطيب البصير ضريراً فعماه أستاذاه بصيراً وكان ورعاً تقياً ذا شهرة كبيرة وسيرة حسنة في أيامه توفي في منتصف القرن الثالث عشر من الهجرة الشريفة وله أولاد أُرشد محمد بن البصير ولما أباد المهدي حملة الجنرال هيكل أرسل إلى ابن البصير يأمره بالقيام بدعوته وكان المهدي زوج ابنته فاحجم في بادئ الأمر وأخذ يدعو الناس سرا ولم يقدر على المجاهرة

وكان في مدينة ولد مدني رجل سوري اسمه محمد اغا جباره وهو والد احمد جبارة قاضي المهدي الذي ذكرنا خبر قتله يوم واقعة الجمعة بالابيض كان يدعو الناس سرا للمهدي بهذه المدينة

ولما اتصل بالحكمداية هذان الخبران انتدبت احمد بك على جلاب مدير الخرطوم وشددت عليه الاوامر بالقبض عليهما فذهب على احدي البواخر واحاط بالقرية التي فيها ابن البصير وبعد ان قبض عليه أوكد قدم

بمد الله شيء ولا أصدق من قوله وانك من أخص المؤمنين الذين يستمعون  
 القول فيتعلمون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب  
 وفقى الله وإياك والمسلمين لما يحب ويرضى فاذا بلغك جوابي هذا فاما أن  
 تهاجر أنت ومن معك من الاصحاب المحبين ومن يطلب ما عند رب العالمين  
 من غير نظر الى علاقة وإما ان تحاصروا الخرطوم وتجاهدوا من اغتر بزينة  
 الدنيا ومتاعها عن الصدق مع الحي القيوم حتى نأتيكم ولا رضاء لنا عنكم الا  
 بهذين الامرين فاذا فعلتم رضينا عليكم وأنت تعلم انه لا يتحول أحد بنير الله  
 فلا تخافوا أعداء الله الذين هم نواصيهم بيده واستعملوا أمر الله فيهم فانه أحق  
 ان يخشى ولا تأبوا بلاء الله لكم لتصفية الايمان والفوز عند الرحمن فالى  
 متى الفرار من بلاء الله تعالى الذي فيه لكم الفخامة والكرامة فقد قال الله  
 تعالى « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم  
 مستهم الباساء والضراء وزلوا » الى غير ذلك من كلام الله في هذا المعنى فلا  
 تطلبوا الراحة وترف المترفين في دار الظالمين وكل ذلك ذكرتكم به لانك  
 أهل لذلك وممن له الصداقة مع رب العالمين والسلام اه

وفي اوائل شهر صفر سنة ١٣٠١ قامت عصابات من اتباع الشيخ العبيد  
 وقطعت اسلاك التلغراف بين الخرطوم وبربر فارتاع لهذا الحادث وكيل  
 الحكمديرية وارسل وفدا برئاسة أحمد بك على جلاب مدير الخرطوم وسر  
 التجار وثلاثة من الاعيان ولما دنا رجال الوفد من ام ضبان قابلهم اتباع  
 الشيخ العبيد بالشتم والسباب وقالوا لهم لما ذا جئتم يا كفار الله اكبر عليكم فلم  
 يجابوهم بشيء بل دخلوا على الشيخ العبيد الذي قابلهم بالخذر الشديد وقرأ  
 عليهم ما كتبه له المهدي فقالوا له نحن عازمون على التسليم والدخول في طاعة

ويقول كثير من الناس ان هذا المدير كان ذا ميل الى المهدي وقد آمنه على ماله وأولاده ووعد به بالجزاء الحسن وقد قبض غوردون عليه في غضون حصار الخرطوم واطنه لم يتحقق لديه شيء مما نسب اليه والرجل مات قتيلا يوم سقوط الخرطوم رحمه الله وتجاوز عنه

### ذكر كتاب من المهدي الى الشيخ السنوسي

قلنا ان المهدي نصب خلفاء ثلاثة وسمى كل واحد باسم خليفة أحد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين عدا عثمان بن عفان عليه سبحانه الرضوان وانه كان ينوي اهداء هذه الخلافة الى حضرة الشيخ محمد المهدي بن السنوسي وفي سنة ١٣٠٠ كتب كتابا مع الطاهر اسحق من أهالي البلاد الواقعة غربي دارفور الى الشيخ السنوسي يخبره بانه كان ينتظره لاقامة الدين والجهاد في سبيل رب العالمين حتي آتته المهدي الكبري وان النبي صلى الله عليه وسلم اجلس ثلاثة من أصحابه على كراسي خلفائه وأبقى كرسي عثمان بن عفان رضي الله عنه له وقال هذا لابن السنوسي عاجلاً أو آجلاً وقال ان نورانيتك تحضر معنا في حضرات كثيرة ورجا منه القدوم عليه أو القيام بدعوته في جهته والفرار على مصر . قال الرسول لم يجابوب السنوسي بخطاب بل قرأ كتاب المهدي وقال اني لم ابلغ منزلة الغبار الذي ثار في أنف فرس عثمان بن عفان رضي الله عنه في احدي غزواته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا جواب عندي على هذا الكتاب ثم أمر الرسول بالعودة من حيث جاء وهذه صورة الكتاب تقلا عن كتاب المنشورات أيضا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم زبدة فن  
عبدربه الفقير اليه محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله الخليفة محمد المهدي  
ابن الولى السنوسي فيا أيها الحبيب الواقف على سنة النبي المرشد المرقى العباد  
الى مقام التقريب قيد كنايا حبيبي ومن معنا من الاعواز ننتظرك لاقامة  
الدين قبل حصول المهديّة للعبد الدليل وتذكرك لما سمعنا باستقامتك  
ودعائتك الى الله على السنة النبوية وتأهّبك لآحياء الدين بان نصير اليك  
ونجتمع معك فلم ترد الينا المكاتبة وأظن عدم وصولها اليك حتى انى ذا كرت  
جميع من اجتمعت معه من أهل الدين والشيوخ والامراء الميعنين فابوا ذلك  
لهوان الدين عندهم وتمكن حب الوطن والحياة في قلوبهم وقلة ترديدهم  
حتى بايعوني الضعفاء على الفرار بالدين واقامته على ما طالب رب العالمين  
وقنعت نفوس من بايعنا من الحياة لما يرون بلدين من الممات ولا زال المساكين  
الذين لم يبالوا في الله بما فاتهم من المحبوب يزددون وفيما عند الله يرغبون  
حتى هجمت المهديّة الكبرى من الله ورسوله على العبد الحقير والله هو الفاعل  
المختار الذى هو على كل شيء قدير فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان  
اكتب بها الشرق والغرب من غنى أو فقير فصدق بها من أراد الله سعاده  
وكذب بها الاشقياء وصاروا في النكير مع ان النبي صلى الله عليه وسلم قد  
خلفني بالمهديّة مراراً بالجلوس على كرسيه والبسني سيفه بحضرة الخلفاء  
والاولياء والاقطاب والملائكة المقربين والحضر عليه السلام وأعلمت انه  
لا ينصر على أحد بعد إتيان سيف النصر الي من حضرته صلى الله عليه وسلم  
ولا زال التأييد من الله ورسوله يزدد وأنت منا على بال حتى جاءنا الاخبار

فيك من النبي صلى الله عليه وسلم انك من الوزراء لي ثم لازلنا نتظرك حتي  
 أعلمنا النبي الحضرة عليه السلام باحوالكم وما أنتم عليه ثم حصلت حضرة عظيمة  
 عين فيها النبي صلى الله عليه وسلم خلفاء خلفائه من أصحابي بجلوس أحد أصحابي  
 على كرسي أبي بكر الصديق وأحدهم على كرسي عمر وأوقف كرسي عثمان  
 وقال هذا الكرسي لابن السنوسي الى أن يأتيكم بقرب أو طول وأجلس أحد  
 أصحابي على كرسي علي رضوان الله عليهم أجمعين ولا زالت روحانيتك تحضر  
 معنا في بعض الحضرات مع أصحابي الذين هم خلفاء خلفاء رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وأعلم وإن كان لا يخفى عليك ان المهدي كعلم الساعة لا يعلمها على  
 الحقيقة الا الله كما بينه المحققون كالسيد احمد بن ادريس فانه قد قال كذبت  
 في المهدي أربع عشرة نسخة من نسخ أهل الله وقال سيخرج من جهة لا يعرفونها  
 وعلى حال ينكرونها وكذلك قال محيي الدين في بعض تغايره الى غير ذلك  
 من أقاويل الحققين ولا سيما وان المهدي لا تدعي لكثرة أعدائهم وقوتهم وعلى  
 انها لما ظهرت أنا بين أظهرهم في أشد الضعف والقلة فلولا انها من الله  
 تعالي لما مكثنا في الدنيا يوما واحداً من شدة قوتهم وضعفنا وهم محتاطون  
 بنا من كل جانب فالقي الله في قلوبهم الرعب وصيدهم بالحيلة وقد أمرنا  
 النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى جبل بالرب يقال له (قدير) بلصق جبل  
 يقال له ماسه فجمعوا جموعهم اليها مراراً فقتلهم الله وأحرق جلودهم بالنار  
 يرى ذلك الخاص والعام علامة لشقاوة من أنكر مهديتي وقد أعلم صلى الله  
 عليه وسلم ان من شك في مهديتي كافر وكررها ثلاثاً ومراراً يقول من أنكر  
 مهديتي ومن خالفني فابي أمرى كافر فن أراد الله له السعادة صدق بمهديتي  
 ومن لا جعل الله له شكوكاً وشبهات تصده عن الايمان بمهديتي فيخذه الله في



الدنيا قبل الآخرة الا من أراد الله تعالى له الهداية بعد فاذا بلغك جواب هذا  
اما ان تجاهد في جهانتك الي مدبر وجهاتها أو تهاجر اليها والسلام ه رجب  
سنة ١٣٠٠

وكان الناس متشوقين للوقوف على ما يجارب به السيد السنوسي والم  
يعلم شيأ من ذلك تداول الناس ما نقلناه عن الرسول وأمسك المهدي عن  
الكلام في شأن السنوسي حتى كانت أيام الخليفة التعايشي فصعد المنبر في ذات  
يوم وقال ان المهدي أخبره بان خلافة عثمان أمرها مفوض له وانه ان شاء أبقاها  
للسنوسي وان شاء أعطاها غيره وكان يقصد بهذه المقدمة إعطاء الخلافة  
لاخيه يعقوب أو لابنه عثمان الذي لقبه بشيخ الدين ثم تراآى له من أميال  
العامية انه ان فعل ذلك لاقى من تشنيعهم مالا يأمن مغبته وربما اتخذ البعض  
ذريعة للازدراء باقوال المهدي وحجة لاطهار كذبه وفريته على رسول الله  
صلي الله عليه وسلم حيث قال في خطابه للسنوسي ان نورانيتك تحضر معنا  
في حضرات كثيرة

وقد كان المهدي يحزم بان السنوسي يقع في حبال كذبه ويسقط في  
مهواة غدره نخاب ظنه ولم يعد قادراً على الخوض في أمره بما اعتاده من  
تكفير كل من اعرض عن دعوته ورغب عن متابعتها بعد الذي شاع عنه من  
الثناء عليه والاعجاب بأمره مما تضمنه هذا المنشور

وتوجد أقوال غير متواترة عن المهدي انه قال ان رسول الله صلي الله  
عليه وسلم أخبره بان السيد السنوسي سيموت قتيلاً بسيف دعوته وانه طرد  
من الحضرة النبوية منذ أعرض عن دعوة المهدي وهذه الاقوال معزوة  
الى عبد الله التعايشي لانه يرمي بها الى تهديد الخلافة المزعومة لابنه أو لاختيه

والحاصل ان اعراض السيد السنوسي عن دعوة المهدي جعل أهالي ( وادي ) و ( باقرمه ) وغيرهم من ممالك السودان الغربي أعداء الداء للمهدي ودعوته وسيأتي ذكر حروبهم للمهدوية وقيامهم لمناجزتها في السودان الغربي وعلى ذكر ممالك السودان الغربي نقول ان أميراً من أمراء بلاد ( فلاته ) اسمه عثمان بن محمد فوديه كتب له المهدي كتاباً قال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بانه يكون وزيراً من وزرائه وانه يحضر معه في الحضرة فاجابه بكتاب طويل قال فيه انه كان حاضراً معه في حضرة فيها جميع الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بطاعة المهدي ونشر دعوته في السودان الغربي فسر المهدي بهذا النبأ واسكنه صادف مقاومات عنيفة من السيد السنوسي وكل ملوك السودان الغربي الزمت به بترك هذه الدعوة والتبرأ منها بعد ان اتصل به نبأ موت صاحبها

### ذكر فخر الدين مدعي الخلافة

كان لنجاح المهدي وانتقاد الناس له وتصديقهم لما جاء به من الاباطيل والخزعبلات وقع سيئ عند كثير من رصفائه والذين على شاكلته وبدت عليهم علامة الندم على ما فاتهم من الفرصة لان منهم من كان مشهوراً بالصالح وحوله من الاتباع ما يربو على شهرة المهدي وعدد اتباعه وكان جماعة من المشايخ يكتبون له أنهم رأوه في الحضرة وشهدوا جلوسه على كرسي النبي صلى الله عليه وسلم كما يزعم ويزيدون على ذلك انه صلى الله عليه وسلم أمر باعطائهم كذا وكذا أو بولايتهم على بلاد أو بتبؤهم مناصب من مناصب الخلافة فكان هو يتقابل كل هذه الدعاوى بالتكذيب وعدم

التصديق ويقنع منتحلها بان الحضرات والاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم لا تكون لغيره البتة وانه لا ولاية ولا كشف في زمانه وانه خاتم الولاية كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقد حذر ارباب الطرق ومنهم من اعطاء اليهود وابطال اجتماعهم واذكارهم ومن فعل ذلك منهم نكل به شرنكيل وما ذلك الا ليتفرد بالسلطة المطلقة في الامور الدينية والسياسية

وبعد مقتل الشيخ المنه بايام ادعي غلام من اولاد المشايخ المشهورين ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بانه خليفة الخليفة عبد الله التعايشي وانه سيع هاتفا يقول له انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالعدل. فاجابه المهدي بخطابين فيما أن الخليفة عبد الله التعايشي هو في باطن الامر المهدي وفيه أن الحضرة عليه السلام رأي الاولياء مجتمعين في بيت المقدس يستبشرون بظهور المهدي ووزارة عبد الله التعايشي له وأن الشياطين يقولون كنا نعيش بالمرور والخداع والآن لا نعيش لنا لان المهدي ظهر ولو أشير بالخلافة لغير عبد الله لوجدنا في المهدي دخولا وفي الكتاب الثاني ناولات لما رآه سعي الخلافة وهما في صورة ماجاء الكتابين نقلا عن كتاب المنشورات

« الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن العبد المقتدر الي الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه نضر الدين حسن فقد بلغنا جوابك وتلونا وفهنا ذلك المطلوب كل مؤمن شفيق ومن ينيب الي الملاء الاعلى وأحسن الرفيق وقد بلغنا عنك مرارا وتكرارا من الواردين

والمرتدين وبعض من أدل العيان أنك قد تظاهرت للناس بالخلافه وتحكمها  
عن النبي صلى الله عليه وسلم مع ان الله أظهرنا رحمة للامة وجعل هذا الامر  
منوطا بنا ومتوقفا علينا وأيدنا على ذلك بما لا ينكره إلا كافر والحمد لله إذ  
جئت منييا بلا سيف فترجر الله علي جوابك هذا ان يزيل عنك كل حيف  
ولكن حبيبي ان المؤمن المؤثر ما عند الله بسبب ايمانه لا بد ان يبتليه الله تعالى  
على صدق ايمانه فان كان ما ادعاه من الايمان حقيقيا صبر ورضى واحتسب  
أجره على الله حيث ان النصيب نصيب الآخرة قال الله تعالى «أحسب الناس  
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله  
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» وحيث انك كاتبتنا بادعاء الحالة المطلوبة في  
الايمان فاعرض على عبد الله الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم خليفة أبي  
بكر الصديق وأجلسه على كرسيه في أول تأييد المهدي وتواتر بذلك التصديق  
الي ان أظهر الله الدين بموازرتة وقد أنانا خبر من الحضر عليه السلام ان  
الاولياء اجتمعوا في بيت المقدس يقولون الحمد لله الذي أظهر المهدي وجعل  
عبد الله وزيره وثم وجد اجتماع الشياطين وهم مهتمون يقولون كان عيشنا  
بالغش والمكر والخداع والكذب فأتى المهدي وقطع علينا عيشنا ولولا ان  
عبد الله وزير له وكان الخليفة غيره لكنا نجد في المهدي دخولا فالآن أعرض  
عليه قبل وصولك اليها فان كانت صدقا يتضح وتصبر وترض فيما يحكم به  
عليك ثم بعد ذلك تلاقيني بالفقو والرضى وتكون من أصحابنا المقربين  
والسلام ٢ شوال سنة ١٣٠١ « الثاني »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى الاخ في الله  
 نخر الدين ان امر الخلافة من الله ورسوله الذي عرض لك كما كاتبتنا بذلك  
 وقلنا لك لما تاتنا نبين لك معنى ذلك وانك اذا كنت سمعت هاتفا من قبل  
 الله باناجملناك خليفة في الارض فهو أن الله جعل كل أحد خليفة عن آباءه وكل  
 قرن خليفة عن القرن السابق قال الله تعالى «ثم جعلناكم خلائف في الارض  
 من بعدهم لننظر كيف تعملون» وقال تعالى «هو الذي جعلكم خلائف في الارض  
 فمن كفر فعليه كفره» ونظائر هذه الآيات كثيرة وأما قوله جعلناك خليفة في  
 الارض فاحكم بين الناس بالحق فبعد أن عرفت ان الخلافة مجرد الوجود في  
 الارض بعد موت اهلها السابقين وقوله لتحكم بين الناس بالحق هو قوله صلى  
 الله عليه وسلم كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته فالرجل راع على أهل بيته  
 وأولاده يحكم بينهم بالحق ليزيل عنهم الفساد ويدلهم الى رب العباد ويكون  
 لهم خيرا فيكون إماما لهم كما تعالى «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة  
 أعين واجعلنا للمتقين إماما» فقرة الامين من الأزواج والذرية هم المتقون وابوهم  
 امام لهم في تقوى الله وطاعته والقيام بالحق كما سبق في الحديث الآنف ذكره  
 وأما الرؤية النبوية اذا تحققت في كونك خليفة عبد الله فهو أن عبد الله دال  
 لجميع الخلق الى الله وهو خليفةتنا على ذلك وانت خليفة على أهلك وذريتك واما  
 عبد الله في الباطن فهو المهدي لانه أول دال الى الله في آخر الزمان وأنت خليفةته  
 على أهل بيتك وذريتك فهذا بيان ما أشكل عليك وطلبت بيانه منا والسلام  
 ٤ شوال سنة ١٣٠١

وبعد اطلاع مدعى الخلافة على الكتابين قدم على المهدي فقبض عليه  
 التعالشي وسجنه حتي مات واحجم الناس عن ادعاء مثل هذه الخزعبلات

وتركوها للمهدي الذي يزعم ان ظاهره أغلق أبواب الميمنة ويوجه الشياطين  
وانهمهم لالكونه المهدي بل لانه اكذب منهم ويفنون عليهم في المكرو الخداع  
ومن النكات المضحكة انني كنت أقرأ هذين الكتابين على أسير مصري  
فقال لي ان صح هذا الخبر فلا بد أن يكون الشياطين رأوا المهدي ثم فأتى  
عليهم في مقام الابلّاس وتربى غواية الناس بما جعلهم يحسدونه على نجاحه

### ذكر جمع الغنائم وعسر بيت المال

كان كثير من الأمراء واتباعهم اخفوا كثيراً من الغنائم ولم يسلموها  
الى بيت المال فانتدب المهدي كثيراً من الأمراء في كل البلاد التي خضعت  
له ليجمعوا ما يعثرون عليه في أيدي الناس ويواصلوا التجسس والاستعلامات  
السرية عن حال الناس ليعلموا من كانت عنده أشياء من الغنائم فتذمر  
الناس من هذه الحالة فاخذ يطيب خواطرهم باصدار منشورات عديدة في  
دخم اخفاء الغنائم وتعالى في تلك المنشورات بما لم يعمد له مثيل  
وقد كان المهدي وقتئذ واقعاً في أعسار مالية شديدة وما في بيت المال  
لا يكفي نفقاته ونفقات أقاربه الذين كانوا يتناولون من بيت المال نصيباً وافراً  
اذ كانت أعلى مرتبتهم خمسمائة ريال واقلها خمسون ريالاً فكتب اليه كثير  
من القواد والأمراء يعرضون باحمد سليمان أمين بيت المال وأنه يخص أقارب  
المهدي بالمطايا الوافرة دون غيرهم وكان عبدالله التعايشي المحرك لهذه الحركة  
لان أمين بيت المال كان لا يساويه في العطاء بأقارب المهدي ويمنع أقاربه العطاء  
فكتب المهدي منشوراً قال فيه انه مجتهد وانه يفعل ما يشاء وكتب اليه بعض  
الناس بنصوص شرعية عن الواجب الذي يتعين اتباعه في أمر توزيع الغنائم

وقسمها فاجاب عليها كلها بمشور ثبته هنا نقلا عن كتاب المذورات ليقف  
القارئ على مراوغة المهدي وهربه من الحقيقة وبعد المذور صورة حضرة  
يعظ فيها الناس وان الذين يخفون الفنائم سيصيهم من المذاب ما يقطعهم  
عن صحبتة وكل هذه الاخبار موضوعة على النبي صلى الله عليه وسلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم انه من  
خليفة رسول الله محمد المهدي بن عبد الله إعلاما منه لكافة أمرائه ونوابه  
وجميع عماله في سائر الجهات والاقطار مع جملة الفقراء والفقهاء والعلماء والعمار  
والتجار خصوصا أحبابه وأتباعه المهاجرين والانصار متع الله جميع العاملين  
بها بالنظر الى وجهه الكريم في دار القرار اللهم آمين. أما بعد اعدوا أحبابي انكم  
عندنا من الاصفياء الاخيار الناظرين بنظر أولى النهى والابصار واني قد  
وايت عليكم بولاية الله ورسوله لاقامة الدين وجئتكم داعيا الى الله ومبلغا عنه  
ما حملته اليكم اقفوا آثار من سلف من المهتدين السالفين وعلى نهج سيدنا  
محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين ولم يكلفنا الله واياكم باقامة  
الدنيا والسعي فيها هو مضمون وليس من عرفنا الاصفاء الى طلاب الدنيا  
لنأتي لهم بما فات منها ونجتهد لهم في مصالح تديرها فكل ذلك في أم  
الكتاب مكتوب ومختوم وانما قصدنا منكم جميعا المعاونة في تقويم الدين  
القوم واني في ذلك كواحد منكم ولوددت ان لو قام به غيري وصرت من  
جملة اعوانه فما كان الا ارادة الله من تحملي باقامة الدين وقد بلغتكم من  
الانبياء والرسل ما بلغتكم من اعراضهم عن الدنيا ومباعدة أصحابهم منها مع ان  
الدنيا هي فانية وعند الله لا شيء وانها أهون عنده من جيفة بالية واني ذواما

ادلكم على الله وانهاكم عنها وتطلبون الصرف من بيت المال ونسيتم  
 ما دعوتكم اليه حتى حملكم انكم تهمونني بالتعريض بالمخاطبات وتورون  
 بالشيخ أحمد سليمان وانما فعلتم ذلك كي تطلبوا الصرف في زعمكم لاجل اقامة  
 الدين الذي لست أولى به منكم حيث طلبتم الصرف منا لا قامتة وتشيده  
 ولو شاركتوني في الدين وصرتم فيه مثلي لكان لكم ان لا تطلبوا الصرف  
 مني الا بعد العجز عن السكيات والجزئيات حيث انكم من جملة المهزين  
 للدين والمطلوب حينئذ ان يكون المؤمن مع أخيه كالدين تغسل احدهما  
 الاخرى وان المؤمنين بعضهم من بعض والمؤمنون أوليائي وأعواني حيث  
 يقول الله «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» واذا كنتم كذلك فاذا  
 صدق الايمان فليست أولى به منكم بحسب اتصافكم بهذه الشروط وأما  
 بحسب الانفاق فيه فقد أنفق أبو بكر ماله وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة  
 فناء لانفسهم وأموالهم في نصرة الدين فقد صاروا لنصرة الدين مع رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم كنفسه بل انهم فدوه بانفسهم وأموالهم وأولادهم  
 وأهلهم برضى من أنفسهم حتى انهم يقدون طمعة الشوكة لرسول الله صلى  
 الله عليه وسلم بارواحهم فضلا عن الغير. أحبائي فانما لم آتكم ان تقيموا بي  
 دنياكم وتسالوني عن صلاحها وانما كان سؤالكم لي واجتهادكم معي فيما  
 حملته فقط مع مراعاة ما كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له  
 في كامل أحوالكم وأموالكم ومع ذلك لما رأيت انه لا بد لي من اجابتكم  
 فيما طلبتم جمعت لرد ظلامتكم رضاء حوائجكم اعوانا ولفصل قضايكم نوابا  
 والجميع من بعضكم البعض فتركتهم نوابي وأعواني وفضلتم تهمونني بالتعريض  
 وتسبون أصحابي وأعواني وتؤذونني فيهم وقد بلغكم ان أصحابي كأصحاب رسول



الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيتي كامل بيته وأنتم تعلمون منع ذلك في كتاب  
 الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف ترددوني في أصحابي وتنفون  
 بقسمة الله تعالى لكم وتطلبون ما لم يكن لكم مع انكم ليس لكم حق  
 ولا نصيب لكم في مال الأيضا قطعا من جهة كونه غنمة لانه مما افاء الله  
 به علينا لكونها فتحت بغير قتال فإله كله في بيت المال خاصة وإنما كان  
 أعطائنا لكم منه من باب التفضل والاحسان فقط وأما بالنسبة الى الصرف  
 فليس لكم فيه حق إلا بعد العجز عن الجزئي والسكلي كما ذكرنا وبمعهما  
 طهارة السرائر من التكذيب والجحود والانكار وحل عقدة سرائر  
 الاصرار وبمعهما التجرد ممي لاقامة الدين حيثما كان وبمد ذلك الرضا بقسمة  
 الله تعالى في القليل والكثير دون التشوف والتمني الى ما فصل الله به بعضكم على  
 بعض في الرزق فانها قسمة أزلية كما قال جل من قائل « نحن قسمنا بينهم  
 معيشتهم في الحياة الدنيا » الآية فهو قضاء سبق كما في الحديث القدسي. أحبابي  
 انكم بايعتموني على المهدي وتزعمون انكم مصدقون بمهديتي وتعلمون الوقائع  
 التي حصلت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد مما فعله رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فمعلوم ان في حنين أخذ أموالا كثيرة مما غنمنا من حنين  
 فاعطاه للمؤلفة قلوبهم من أهل مكة وكما لا يخفاكم انه قد بذل لابناء مرضعته  
 حليلة أموالا كثيرة مع ان المجاهدين غيرهم مساكين وضمايف وعطاياهم صلى  
 الله عليه وسلم كثيرة حتى عرفوه بأنه يعطي عطاء من لا يخشى فاقة وذلك  
 كله مع وجود المجاهدين كما تقدم آنفا وما ذاك إلا بعلمه صلى الله عليه وسلم  
 وفيما رأي من أحوال الصحابة من الجوع والعري سابقا ومن الضرر الذي  
 لم يحصل على أهل صحبتنا في هذا الزمان فرأى أموال قريش وأموال بني

قريظة والنضير فتمنى ان يكون له شيء من ذلك يزيل به ضرر أصحابه وأهل بيته فقال الله تعالى « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم » الآية فمع انه صلى الله عليه وسلم يري المجاهدين والمساكين أعطى أغنياء من أهل مكة لتأليفهم وضعاف الانصار الذين لم يعرفوا ما حواه رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأليف وعود المصلحة على المجاهدين مما أعطاه وغيره من الحكم فانه أولى لهم وقد فعل في الافياء ما تعلمون مع انه حاصر هو وأصحابه مدة طويلة وغير ذلك مع انكم في زعمكم بعم نفوسكم وبذاتم أموالكم فلم أمسكتموها ولم تسلموها لبيت الممان ولم تأكلوها وتفقدوها على أنفسكم في إقامة الدين حتي تنفذوها بل تؤخرونها وتطلبون غيرها فانظروا لحالكم معي وحال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ولكن أقول ان الصحابة رضوان الله عليهم مسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يأتي ويذر ويعلمون انه المبين للوحى تفصيلاً وانه عنده من العلم ما لا يعلمونه وأنتم بايعتموني على المهدية وتزعمون أني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم واني لكم ناصح أمين وأولى لكم من أنفسكم وأدري بصالح شأنكم وما تعلمون ماذا أريد ان أفعل فيما بعد في الغنيمة ولا تعلمون ما يعلمه الله مما انطوت عليه سرائركم أني الغنيمة استحقاكم ولا تعلمون ما أفعله فيها وهذا الكلام كنتم تحكونه ولا تحكونه بالجيب أحمد وغيره وأولي ان كنتم انصاراً أن تعاونوني فيما حملت به من أمر الحاقق وهذه الغنائم راقدة مدة طويلة اطاب الاصحاب في تفريقها فما وجدت ذاهبة يقوم بامرها وقسمتها مع انه ورد لي فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يقسم وفيما يخص بيت المال للمسلمين وتعلمون ان كنتم من أهل العلم

الخلاف في كون القرآن ينسخ بالقرآن وبالحديث ينسخ القرآن وتزعمون اني  
 مجتهد ولو كنتم مصدقين بمهديتي لما اهتممونني حتى تقولوا ما قلتم فנסأل الله  
 تعالى ان يمن علينا وعليكم بالثبات على الايمان الكامل فتوبوا الي الله جميعاً  
 أيها الاحباب واسلكوا نهج أصفياء الله وأمناء دينه واصرفو وجوهكم عن  
 الدنيا وأقبلوا للواحد المتعال ولا تشغلوني بطلب الدنيا وكثرة السؤالات  
 الخارجة عن مقتضاها وارفعوا حوائجكم الي بالصدق مع الاقبال ولا تعرضوا  
 لي بنصوصكم وعلومكم عن المتقدمين فلكل وقت ومقام حال ولكل  
 زمان وأوان رجال وقد علمتم ان من صدق مع الله في بيعته في نفسه وماله  
 فبمجرد بيعته خرج عن حكم نفسه فضلاً عن ماله فلا يفعل شيئاً بدون اذننا  
 ومشورتنا هذا في خاصة نفسه وأما بالنسبة الي ماله وهو تحت يده أمانة الله  
 ورسوله حيث بذله لله وصار ملكه لنا فلا يصح له فيه الانفاق في غير اقامة  
 الدين خصوصاً الصرف والاسراف في المباهاة كما علمتم والسلام

(لاحق)

وانه أحبابي بعد هذه المواعظ والتذكارات وبيان الخيرات والاشرار وبيان  
 طريق الالامة وقرب يوم القيامة فمن لم يتعظ ويهتد ويتجرد ويصف من  
 الغنائم والاموال من الامراء فليصر عزله مع تجريده جبراً عن ما يضره فان  
 الجماع عدو نفسه كما علمتم انه لما حصل التذكير للاصحاب عندنا في غنائم  
 الابيض قد أوعدنا بان من لم يتجرد من الغنائم ويصف من عطب الدنيا ويرغب  
 فيما عند الله ويتوكل على الله وحده لا تصير له إمارة لسكون امارتنا الارشاد  
 لما عند الله والخروج من دار الملائى واذا كان الداعي هالكا وميتا فكيف  
 السلامة للاتباع فلانولى ميتا لا يصالح نفسه والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله من  
التسليم . ( وبعد ) سأذكر البعض من الواقعات التي وردت في الغنائم وغيرها  
باختصار فبعد أن وردت الواردات في كيفية الغنائم وضررها بالايض حكيمة  
الاخوان حضرة حصات فوق السموات وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب  
الاصحاب فلا يصل الي ذلك المحل الا الاصفياء الزهاد الخالصون من العلاقات  
الدنيوية وتمطل منها بعض من الاخوان لاجل عاقلاتهم فلم يطيقوا الصعود  
اليها من علاقاتهم فأعلمت بذلك من انقطع بسبب علاقاته الدنيوية من الرقيق  
والاموال فتجرد لله عن ذلك وصعد الى الحضرة المذكورة وثم حصلت  
حضرة محمد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جمع من المقربين ويجلسني عنده  
فيما روى وينرز بيننا عوداً طويلاً أجلس كأنه شعبة الخيمة الوسطى التي  
تقوم عليها وفي رأسها الثمر ويقول صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة شجرة  
الصدقة فكل من له صدقة فليصعد عليها فيصعد عليها قوم ويزاق منها  
آخرون فلا يقدرزون على الصعود عليها لينالوا ما فوقها من ثمار فكان ما فوقها  
هو نصيب الآخرة ولا يناله أحد الا بالصدق في الايمان والطاب لما عند  
الرحمن فأعلمت من تمطل عن ذلك بسبب العلاقات الدنيوية فتجردوا عن  
ما عظمهم وثم حصلت أيضاً شجرة الصدقة في وقت آخر وطلب الاصحاب  
بالصعود لنيل الخيرات فوقها فصعدوا الاصحاب الا الذين أكلوا الغنائم  
فامتألت عليهم سمها فكلما أرادوا أن يتعلقوا بها ليصعدوا فوقها يزلقهم  
السمغ الذي عليها وبعض من الاخوان الذين عندهم ولم يحضر المذاكرات  
حصلت له رؤية وكان المذكور قبل رؤياه متأسفاً على فوات مذاكرتنا للاخوان

في كيفية الغنائم والتجرد عنها ان هي عنده من الانصار قال ولما أعلمني من  
 حضر المذاكرة عزمت على اخراج ما عندي من النسيمة وهو أمة وحمارة  
 وقبيل من الدراهم قال وبعد عزمي باخراجها ودفعها لبيت المال أخبره بعض  
 اخوانه بانك كيف تخرج هذه الامة الواحدة التي لا خادم لك غيرها ومن  
 يخدمك ان أخرجتها وأي شيء تركب ان أخرجت هذه الحمارة الواحدة وان  
 قام الامام للسفر لا بد أن تشتري بالجميع جملة تسافر عليه مع المهدي للجهاد  
 قال فطاوعت من ذاكرني من الاخوان بذلك وعزمت على ترك اخراج  
 المذكورات لبيت المال قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أتى للخليفة  
 عبد الله يذكره فقال لئذ كور في نفسه لما فاتتني مذاكرة المهدي فليكن  
 الاسراع مني لحضور مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم للخليفة عبد الله قال  
 فلما حضرت وجدت المذاكرة قد تمت الا اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم  
 يقول للخليفة عبد الله عند فراغه له لاي شيء لم تستوعب أمر المهدي فالذي  
 يأمر بك به المهدي كله افعله هذا معنى كلامه للخليفة عبد الله قال ثم أتيت للخليفة  
 عبد الله لاسمع منه مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت مع الخليفة بعضا  
 من ملازميه يصلون معه فقطع الصلاة وقال لي أين الخادم أي الأمة التي من  
 النسيمة فعدم اتيانك بها لبيت المال أنسدت علينا صلاتنا قال وقال لي الخليفة  
 عبد الله لاي شيء لم تجرد من الغنائم أما سمعت قول المهدي انه قال تجردوا  
 فما لك لم تجرد قال فقلت له ما عندي الا شيء يسير فقال هذا القليل أدليت  
 المال ولو قرشاً واحداً ومثل هذا كثير وبعض من الذين لم يجردوا من الغنائم  
 تمخض لهم تماسيح تمنعهم من حقوق المهدي وأصحابه الصادقين فتفرقه حتى  
 كان أحد من الاخوان عنده ازار من النسيمة فقبضه تمساح وأوقعه في المهالك

فاستغاث بآته وبرسوله وبالمهدي فأدركه المهدي فخلعه ليخرجه فأمسكه حجر  
 لم يتركه يسلم حتي أقسم انه يعطى ثمن الازار فخلص ثم ان المذكور قوم الازار  
 بنحو ستة دراهم أو أقل فدفعه ليت المال فصار مع الاصحاب وغير ذلك  
 فيأحبابي ان السعيد يخلص في الدنيا قبل الآخرة فهناك تسبق الاصفياء  
 ويعطى أهل حطام الدنيا فقد روي ان القيامة قد قامت والمهدي مع أصحابه  
 الاصفياء دخوا الجنة بلا حساب ولا رؤية هول ولا مشقة وأحد الاخوان  
 عنده قليل من المال والله أعلم لم يذكر من قلته فبس من الدخول وصار  
 يصيح ويكي من شدة الهول حتي خلس بعد نصف ساعة فدخل الجنة  
 والاهوال لازالت على الآخرين فصاروا يتخلصون واحداً بعد واحد على حسب  
 صفائهم وتجردهم من الدنيا فبعضهم يخلص فيصل بعد ساعة وبعضهم بعد  
 ثلاث ساعات الى أن خلس آخر الاصحاب نصف النهار ونصف النهار في ذلك  
 اليوم خمسمائة عام ونصف الساعة نحو الاربعين سنة في ذلك اليوم فمن ذا الذي  
 يطيق هذا الهول فيرضي لنفسه مثله بسبب متعة قليلة في أيام قليلة هي في  
 حكم المدم فيرث بسبب ذلك هذا الهول الشديد والكرب الذي يقف فيه  
 جائعاً عطشاناً نحو الاربعين سنة أو أكثر فتجرد ذلك الاخ الذي خلس بعد  
 نصف ساعة وحتم أن لا يطلب في الدنيا مالا قليلا ولا جاها مادام فيها حياً  
 حتى يلاق الله تعالى هذا ولعلم الاخوان ان من كان مؤمناً بالبعث وقرب  
 الآخرة وحسابها وكثرة خطرها وضررها ورفعة الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
 وعظيم فوزهم وملكهم المقيم الدائم ويعلم شؤم الدنيا وهوانها على الله وشؤم  
 ما تعقبه من الحسرة الطويلة فليتجرده لله لينال جزيل الدرجات ويفوز بدائم الخيرات  
 وليصر من أبناء الآخرة مادام حياً ولا يطلب الدنيا ومتاعها فانها قد انقضت

وهذه الايام آخر أيامها كما يخفى صدق ذلك ولا يجتمع العبد متاع الدنيا ونعيم الآخرة  
كما ورد أنهما ضربتان وكلاهما شرق والمغرب فبقدر ما يقرب العبد من المغرب  
يبعد منه المشرق وروي أن بعضا من الاصحاب الذين اكلوا الغنائم وتمتعوا  
وماتوا قبل اخراجها والحال انه أراد اخراجها فمات قبل اخراجها انه حبس  
وعذب ووتج عليه وقيل له ان المهدي انذرك فبعد انذاره أتريد ان نجتمع لك  
متاع الدنيا مع نعيم الآخرة ذق المذاب الاليم فلا عذر لك وغير ذلك وفيما ذكرته  
كفاية لمن له عناية وورد عن الاخوان الذين ماتوا واستشهدوا في حال صفائهم  
وصدق انابتهم لما عند الله انهم تنعموا نعماء عظيمة لا تخطر ببال ولا تقاس  
منها ان بعضهم رؤى في نعيم عظيم وحوور وولدان وفرش وأسرة وقصور  
وخيم وغير ذلك فيقال له صف لنا هذا الذي أنت فيه من النعم فيقول هذا  
شيء اكرم الله به عباده المخلصين فلا أقدر أن أصفه ولا أعده فانه لا يوصف ولا  
يعد وبعضهم يرى ان هبوب الجنة تدخل في مسامه وجميع جسده كالدهان  
الذي يخرج من بيت القش فيجد لها لذة أشبه بلذة الجماع ولكن تلك التي  
في الجنة أحلى وألذ أضغافا مضاعفة لا تخطر ببال ويلتذ بها بجميع جسده  
ويسمع لنساء الجنة نعمات لا توصف لذتها وهن يمشين في الهواء كشين  
على أرض الجنة فيمشين على وجه الارض ويطنن ويزرن أزواجهن ويقفن  
معهم في الجهاد ويهللن لهم فان استشهد أخذهن ومضين به الى دار نعيمه وان  
جرح ولم يستشهد قعدن معه يمرضنه الى ان يموت أو يطيب من الجرح \*  
وبعض الاصحاب من شهداء وقعة الشلالى يرى في نعيم عظيم وقصور كثيرة  
فيقول أحد الاخوان الأحياء انكم قد أنزلتم هذا المنزل الكريم وتنعمتم هذا  
النعيم العظيم فاين منازلنا ونعمنا فيقول لا تشفق فان أصحاب المهدي الصادقين

معه لهم منازل ونم كمثل هذا فامض ممي لأريك منازلكم فيريه منازل عظيمة  
ونما نخيمة فيقول متى نلحق بهذا ونخرج من هذه الدار الكدرة المتعبة  
فيقول له لا تشفق فإن أصحاب المهدي يعملون قريبا فيتنعمون بنعمهم هذه  
وبعضهم يري بعض اكابر الصالحين المتقدمين فيسأله عن مقامهم مع مقامات  
أصحاب المهدي الذين ماتوا فيقول هيئات فإن أصحاب المهدي من علو درجاتهم  
لا نراهم فهم راقون مرقى عظيما وكثيرا يري انهم يغبطون أصحاب المهدي  
ويقولون ليتنا كنا أصحاب المهدي لما يرون من عظيم مكانتهم وفضلهم عند الله  
تعالى وبعضهم يستشفع بالاصحاب ويقول اطلبوا المهدي أن يجمعني من أخس  
أصحابه فاني راض برتبة أخسهم وافرح بها ان وجدت ذلك ومثل هذا كثير مما  
رؤى في اللجنة للاصحاب الصادقين فيها أيها الاحباب ان القدوم الى ما عند  
الله قريب « اه

وكانت هذه الشدائد في إبان عودة غوردون ويمكنني أن أقول لورافق  
غوردون لدي عودته جنود يحولون بين المهدي وبين الخرطوم لتحققت  
امنية عبد القادر حلمي باشا التي تقدم لنا ايرادها وهي ان ثروة كوردفان لا تقوم  
بحاجة المهدي وجيوشه اكثر من سنتين ثم يعقبها ضيق شديد ثم تكون  
النتيجة انفضاض الناس من حوله وتكاثر الانتفاضات عليه من الاهلين وفي  
ذلك القضاء عليه وعلى دعوته قبل تمكنه من الاستيلاء على السودان برمته



ذكر بنات محمد بن الحاج احمد ام برير

لا هالي السودان عادة من اقبح العوائد واشنعها وهي ان الرجل يقدم  
ابنته أو من له الولاية عليها الي من شاء هدية يطؤها المهدي اليه كمملوكة



يعين ولا حرج بينهم من هذه العادة بل يتناخرون بها وهي شائعة عن  
الجمعيين أكثر من غيرهم وفي الغالب يقصدون بها الزلفي من حاكم ذي سلطة  
يرجى نواله ويتقى وباله

وقد قدم كثير من أعيان السودان بناتهم كمحظيات للمهدي وخلفائه  
وقواده حتى بلغ عددهن نحو مائة ومن هؤلاء محمد بن الحاج أحمد أم بربر  
ابن أخى الياس أم بربر فانه قدم بناته الثلاث هدية للمهدي وقال له على رؤس  
الاشهاد تمتع بهن ياسيدي الامام المهدي المنتظر فأنى اهديتهن لك وملكتك  
إياهن فاجابه قبلت منك وانما لا يجوز الجمع بين الاخوات فقال له كيف  
لا يجوز وانما قد وهبت لك المتعة من فاعاد عليه المهدي قوله لا يجوز فانظر  
الى جهله المركب وتفرقته العمياء بين حرامين كأن وطأ الحرة بملك اليمين جائز  
دون الجمع بين الاختين أو الاخوات

وكان المهدي يتبسم من الضحك وأمارات الفرح بادية على وجهه لانه  
كان يرى أن مثل هذه المنكرات من أدل الدلائل على أن القوم يحبونه ويتقادون  
له انقيادا أعمي ويتقربون اليه ببناتهم ولا يلتفتون الى تحريم شرعى كانوا  
لا يحرمون الا ما حرمه وكان كل حرام حلالا عندهم

ثم قال المهدي للحاضرين مكانكم حتى أختار واحدة من البنات وبعد  
هنية عاد وقال قد اخترت كبراهن نخذ الاثنين فقال أبوها لا آخذها بل  
أتركها لتكونا خادمتين لك وما زال المهدي يرفض قبولهما والرجل يلح  
عليه حتى التفت الى جلسائه فرأى بينهم محمد بن عبد الكريم من اقاربه فقال  
قد وهبت إحداهما لمحمد بن عبد الكريم ثم وهب الثانية الى أمين خاتمه عبد  
الكبير بن احمد الكنانى

وفي اليوم التالي غدا ابوها الى صهره المهدي ودفع اليه كتابا مملواً  
بالاعذار وبسط الحاجة وسأله في آخر الكتاب مبلغاً من المال فاندھش  
المهدي من سخافة الرجل الذي كانه يطلب ثمن بناته فانصرف الى داخل  
بيته ووعد بالاجابة على كتابه فقدمت له المرأة كتاباً آخر من ايها وجد  
فيه ما في الكتاب الاول فلم يعط الصبر وخرج الى مكان جلوسه ودعا  
بدواة وقلم وكتب الي صهره كتاباً موجزاً نورد هنا صورته نقلاً عن  
كتاب المنشورات وهي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه وصفيه محمد بن أحمد أم  
برير وفقه الله للخير ومن معه من الاهل وانجاء من ظلمة القبر حبيبي  
ان المعطي والمانع هو الله كما أن النافع والضار الله والناس اشياء لا قوام لها  
بقبح ولا نجاح والمعلوم ان الجثة قيامها وحركاتها وتصرفاتها بالروح والروح  
من أمر الله واذا أخذ الله سره الذي هو الروح من الجثة وقعت والحركات  
زالت منها فمن هنا يعلم ان تصرفات العبد هي من الله اذ هي من الروح الذي  
هو أمر الله كما قال الله تعالى « قل الروح من أمر ربي » فالؤمن يكون واثقاً  
بالله راجياً ما عنده وخائفاً منه فقط لان من نظر التوحيد بالحقيقة لا يري  
مع الله شيئاً من لا إله الا الله. ومن محمد رسول الله المخبر عن الله بمغيبات  
الآخرة من ان خيرها جسيم والدنيا لا ترز جناح بموضوعة وانصرف قلبه من  
الحسيس الذي هو الدنيا وما فيها الى النفيس الذي هو ما عند الله في الدار  
الآخرة فما عندكم يتفقد وما عند الله باق. هذا وان المبلغ الذي ذكرته ان شاء الله

يصل اليك ولكن لا تقل ان القوام به بل ان القوام بالله وهو ضامن الارزاق وما على العبد المؤمن الا ان يسمى لنصيب الآخرة لانه لا نصيب له في الدنيا ولو كانت تزن عند الله جناح بموضوعة لا عطاها المؤمن ولذلك قال الله «ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجمعنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لمامتاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين» والسلام

### ذكر نهب اموال التوم شيخ عرب الكبايش

ذكرنا قصة قتل التوم شيخ عرب الكبايش وبعد بضعة أشهر مضت على قتله أصدر المهدي منشورا بأن جميع ما كان يملكه صار حقا لبيت المال فانتدب محمد بن ادريس بن عمه والحاج محمد أبقرجه ومعهم نحو النسي مقاتل فذهبوا الي (جبره) شمال كوردفان وقبضوا على اموال الشيخ التوم ونسائه وأولاده وعادوا الي الابيض وبلغ ما قبضه بيت المال اكثر من عشرة آلاف بدنة من الابل وثلاثة آلاف رأس من البقر ونحو عشرين قطيعاً من الغنم وبلغ ما ذبحه محمد بن ادريس والحاج محمد أبو قرجه لغنائمها وغذاء من معهم من المقاتلة نحو نصف هذه الاعداد

ولما عادوا الي الابيض وسلموا ما بأيديهم الي بيت المال قدم كثير من رفقاتهم تقارير لأمين بيت المال علم منها ان ذينك الاميرين لم يقدموا الي بيت المال غير الماشية والاشياء التي لا يمكنهما اخفاؤها وانهما اخفيا كل ذي قيمة من الذهب والنضة ويقدر ما تسرب الي جيبيهما عدا ما تسرب الي جيوب انصارهما بمشرة آلاف أوقية من الذهب ونحو عشرة قناطر من الفضة ولا غرابة في ذلك

فان الرجل كان معروفاً باتساع الثروة وقبيلته السكبابيش اكبر قبيلة في السودان واكثرها ماشية ومالا

ولما استوثق أمين بيت المال بصدق الذين رفعوا اليه التقارير عرض على المهدي وجوب القبض على ذينك الاميرين وارغامهما ليؤديا الي بيت المال ما اغتالاه فرفض المهدي العمل بما أشار به أمين بيت المال تطبيقاً لحاطر ذينك الاميرين اذ هو في حاجة لاكتساب مودتهما

وكان من جملة الغنائم عشرة دروع من الحديد قديمة جداً وعدد ليس بقليل من الخيول العربية وقسم المهدي النساء كجوار وخص عبد الله التعايشي بالنصيب الاوفر منهن وأطلق سراح الذكور من أولاده وتركهم في حالة يرثى لها من الفقر المدقع يسألون الناس في الطرقات وأبواب الدور ولا يجدون من يمن عليهم بكسرة خبز غير افراد قليلين من المصريين وكلما رأهم أحد من الدراويش يقول انظروا كيف صارت عاقبة ذراري الكفار الذين لم يصدقوا بالمهدي ويؤمنوا بدعوته ومات اكثرهم جوعاً في العارقات وسيأتي بعد ذلك ذكر مصادرة أموال قبيلة السكبابيش وفنائها عن بكرة أبيها والدوام لله وحده

### ذكر قدوم الشيخ الحسين زهراء علي المهدي

الشيخ الحسين زهراء من قبيلة صغيرة تسكن قرية قريبة من «الحلاوين» عند مكان يدعى «وادي شعير» فارق بلاده في نحو العشرين من عمره ولحق بالقاهرة ومكث فيها اكثر من سبع سنين كان يتلقى العلوم في خلالها بالازهر المعمور وكان ذاكاء مفرد وقريحة وقادة قل ان توجد بين السودانيين حتى قال مشايخه انه نابغة في العلوم المأقولة والمنقولة مملاً خلافاً لمواطنيه

من الطلبة السودانيين وتلقى دروساً في الفلسفة والطبيعات زادت قريحته  
انتقاداً ثم عاد الى بلاده وفتح مدرسة في قريته وانقطع لافادة العلم فافاد  
فائدة تذكر

وكان من عادة الحكومة ان تمديد المساعدة لكل الذين وقفوا  
نفوسهم لتثقيف عقول الالهيين وإزالة جهالتهم مع ان جلمهم ان لم نقل كلهم  
يضررون اكثر مما ينفعون اذ هم اغمار لا يعرفون من العلم غير حفظ الفاظ  
القرآن وقليل منهم من يحفظ متن رسالة ابن أبي زيد القيرواني في فقه  
المالكية ولم تلتفت الحكومة الى الشيخ الحسين بما تلتفت به الى اقرانه  
فوغر صدره منها وعظمت سخيمة صدره عليها

ولما ظهرت دعوة المهدي وتصدى العلماء لدحض حجج منتحلها  
واظهار تخرص مدعيها كان المتوقع ان يحذو الشيخ الحسين حذوهم وخصوصاً  
فيما كان من ترهات المهدي الذي يزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه في  
اليقظة وأمره بتلك الحزبيلات التي جاءت كلها ناقضة لما هو معروف من  
شريعته صلى الله عليه وسلم وحسبنا ان هذه الدعوي مضادة للشريعة  
المطهرة فلم يتصد الشيخ الحسين لتكذيبها سيما وقد كان مشهوراً بين الناس  
بالورع والوقوف عند حد الشرع فجاء امره بالعكس حيث كان يحرض  
الناس سراً على نصرته وموازرتة وقد ارسل له المهدي هدايا من المحظيات  
اللواتي أصلهن حراً ثم مصربات استرقهن المهدي عملاً بقريته التي قال فيها انه  
صلى الله عليه وسلم اخبره بان من أنكر مهديته كافر دمه مهذور وماله  
وأولاده غنيمة للمسلمين فوطئهن الشيخ الحسين ولم يتقيس بالشرع كما كان  
يظن به الناس

ولما ظهر المهدي على حملة الجنرال هيكس وفد عليه الشيخ الحسين  
فقباله بالخفاوة والاكرام وكان الامل يناجيه بانه سيصبح في دولة هذا المهدي  
حائزاً لاسمي مرتبة ومتربعاً على دست اكبر ووظيفة وما كادت تمضي عليه  
بضعة أيام حتى رأى ان هذه الدولة تبغض العلم والمتعلمين ولا يتولي وظائفها  
غير الجاهلين فتولاه الياس مما رأي فكتب قصيدة طويلة قدمها الى المهدي  
ظاهرها مدحه ونصحه بوجوب اسناد الوظائف الى العلماء وفي القصيدة  
مغازن كثيرة تدل على ما خمره من اليأس لما رأى ان اكبر وظيفة لدى المهدي  
مسندة الى أجهل رجل من اتباعه هو عبد الله التعايشي وقد اخترنا ايراد هذه  
القصيدة برمتها للاطلاع عليها وهامى بنصها

|                              |                           |
|------------------------------|---------------------------|
| برح الخفا ما الحق فيه خفاء   | وتوالت الآيات والانباء    |
| فالامر جد والقلوب مريضة      | والداء داء والدواء دواء   |
| والحادثات مصاعق بمنابر       | بمظاتها تتواضع الاشياء    |
| والحق أظهر ان يرى بشواهد     | لم لا وقد قامت به الاسماء |
| والشمس في أوج السماء من مغرب | بهرت عليها هيبه وبهاء     |
| والبدر قابلها فتم كماله      | وتقلدت بعقودها الجوزاء    |
| ودرار أفلاك العلادارت على    | أقطابها فزهت بها العليا   |
| وتكاملت في كل مجد أبجد       | لما استقام زمانها الاشياء |
| ما ان ترى الا جيلا زاهراً    | بهرته في حلل البها زهراء  |
| وسقته من خمر الهوى بعيونها   | ولي شقور شفاهها لمياء     |
| بالآية الكبرى التي بظهورها   | كل الرضي وانجابت الاسواء  |
| مهدي رب العرش منتظر الوري    | والي الولي والاكرمون وراء |

السابق ابن السابقين الى الهدى  
 وبهم تبليج كل غصن مشر  
 تسقى بعذب رائق من البحر  
 وهي وجاد على الانام بما ترى  
 بشري لنا بظهور مهدي الوري  
 جمعت حذافير الولاء لنا به  
 رفعت منه يد بقدرة قادر  
 بمكانه الامن المؤبد وقتنه  
 أنتم بامر كان من جد القضا  
 وله الاشارة من ألت بر بكم  
 ما حالهم ما بالهم لم يسموا  
 من يحفظ التنزيل من يدري الذي  
 من يحفظ الاخبار عن أهل النهي  
 ويرد أشكال الامور لشكها  
 ويرى القبيح بداية ونهاية  
 مثل الذي في بحر جهل ليله  
 لا والذي خلق النوري وهدي الوري  
 علماء أمة أحمد ناشدتمكم  
 أرضي وترضون الضلال بعيدا  
 ويخيب ظني فيكم وعشيرتي  
 وتكون دون الدين من بين الوري  
 من معشر تجت بهم زهراء  
 بحلاه تزهو روضة خضراء  
 من فيضها ملأ البحور الماء  
 من غيثه المسمى عميم سماء  
 إيه ونمي بعدها نماء  
 وعلى الجميع من الامام خباء  
 فوق المباني ما عليه بناء  
 والارض أرض والسماء سماء  
 جار وقد حكمت به الاسماء  
 طوعا له وليس مع العلماء  
 نفسى لهم مما يشين فداء  
 فيه ومن لم يدرك ذلك سواء  
 وتمين ذلك فطنة وذكاء  
 ولها عليه من الثناء سناء  
 ويروم أحسن ما الاله يشاء  
 داج وأشرق ما يراه مساء  
 وله وراء مماتهم إحياء  
 ردوا جوابي انكم علماء  
 ظهر الهدى وانجذب عنه قذاء  
 أنتم وتقمع جمعنا الغرباء  
 كلنا يدي احساننا خرقاء

ردوا علي أعينكم من شامت  
 مهدي أمة أحمد بي لم تذر  
 فنكرت من ذاك كل مقاصدي  
 مالي سواك وليس بعمدي من جفا  
 وأرى علي بوقت عدلك دائماً  
 وأنا المصغر بين ظهورانيهم  
 لم تعرف الايام قبلك منزلي  
 واستعملتني اليوم في عاداتها  
 أجملت فيما لا أري اجماله  
 ومواضع التفصيل دوني شأنها  
 فلسان حالي ألكته فهاهتي  
 جهل الولاة أمات دين محمد  
 وتراكت ظلماتهم بين الوري  
 يا ابن النبي محمد ووليه  
 أنا عبد عبد أستعيز بذمتي  
 ما بي استهانوا بل بشرع محمد  
 واماته الجم الغفير مهاجرا  
 فتناولنه من اللثام واعطه  
 واشترط عليهم ما أردت من الهدى  
 رسم تفرق بالسنا فله الهنا  
 وكسته أثواب الرضا مهدي

لكن أجيدوا فالجواب شفاه  
 خلا: يدوم له لدى اخاء  
 فاذا الجميع سوي علاك هباء  
 لكن بذاك جري على قضاء  
 بين الوري تكبر الاسماء  
 حسبي التصاغر انهم اكفاء  
 ولذلك لم يرفع علي لواء  
 فأطمتهم ولي اليك رجاء  
 حقاً ولكن للامور مضاء  
 لعبت بها من دوني الاهواء  
 بفضال داء مالدیه دواء  
 وأهيله ماتوا وهم أحياء  
 لما اطمان لهم ودام ولاء  
 وأمينه ماذا اليك مرأه  
 أبدا اليك ولي هنا أعداء  
 فعليه من أثر الدمار حياء  
 وله بماء سمائك الاحياء  
 صنف الكرام فأهله العلماء  
 يعطوا العهد لانهم أمناء  
 اذ ناله بعد الفناء بقاء  
 تسلو المضرة أختها السراء



فعدا بها يختال في حلل البها  
 كم ارتقى من روض دانية الجنا  
 طارحتها تحف الكلام فنوعت  
 واذا نسيات الصبا دعت الصبا  
 ترتاع ان هتفت بها من كوة  
 عاش ابن سينا جهده أوصافها  
 دقت ورقة وارتقت في سكره  
 كيف التواصل والقوى هت السري  
 فتزلت حاجتها في سوح من  
 وتركها وكفي لقائي مرة  
 تلك الذي جهد الزمان لوصلها  
 حتى بالطائف المهيمن مكنت  
 ففقدت بها متصرفا في أهله  
 ودعا بها لله دعوة قاهر  
 فأجابه أهل الزمى في طاعة  
 وديار من لاوي الهدي منقضة  
 حاكت بها يسر لي الشمال عجائبا  
 في أنان الأيام الدونية عطلت  
 في تاسع من رابع في الثان من  
 والله طاهر من طائفي وأباده  
 ولقد يبدد في جسمه زبرماحهم  
 واسكل شيء شدة ورخاء  
 ثم الرخي تدنيه لي وجناء  
 تحف الملام وهاجها ادلاء  
 لوصالها تتصل الاعضاء  
 سحرا لتجديد السلام رخاء  
 بشفائه فاذا هي المنقاء  
 بلبي شفاه دونه الصفاء  
 اذ مسها من ضعفها الاعياء  
 بحمولهم تنزل الضعفاء  
 اذ لا يدوم مع الزمان لقاء  
 وله بذلك غدوة ومساء  
 أغراضه منها يد يعضاء  
 يعطى ويمنع من يرى ويشاء  
 سبغت لوزن مكانها المظاء  
 سيفكت بها قبل اللقاء دماء  
 وسقوفها بين السقوف هواء  
 شملا تفتقه يند غسراء  
 ليبيضن بها لوجواهي وفتلاء  
 يعلمه المئين أوللاء وثلاثاء  
 تحقن رولا قتله الضعفاء  
 لتكافيه في خلقه أثلاء

صالوا به وذويه بين حصونهم  
شادوه بالحصن القوى وأيدوا  
في كل مزغال شرارة بندق  
وكروبهم كالرعد بين صواعق  
الله أكبر أن يرد وجوههم  
ولجوه صمدا باختيار صادق  
وقت بذمة أحمد ومحمد  
فعلوا وما فعلوا ولكن لا بهم  
وسموا خراطيم الشقا بحوازم  
نوح الحمام تنوح غير موسد  
تنشاق بعد عير عنبر مسكها  
وبنات آرام ترامت من ذوى  
فصل الطلول هناك عن أسيا فهم  
وامرر بهم وعلى الديار فيها  
واغش القبور بمنحة وهدية  
واستجوب الاطواد صرعى بينها  
وتخط خط النار تعرف خط من  
والنار ترعى فى الجسوم كأنها  
مال النار شأن النار أعجب ما أرى  
عنها استفد خبرا وكن متبصرآ  
عبر تجل على قلوب ذوى الذكا

فى خندق غرت به الاذواء  
بالنار من فى النار فى جناء  
رام طوي من فى يديه خواء  
للمسلمين وكل ذاك عداء  
عن شأنه أو تمنع البأساء  
ولهم يد فى فتكه خرقاء  
مهديهم وجنوده شهداء  
رام بهم ولهم بذلك سخاء  
بيض بكت آثارها بيضاء  
بعد الوساد وعينها وسناء  
رمم الانام وذا التراب وطاء  
أوج الملا ما عندهن غطاء  
ورماحهم فى الكافرين رواء  
ان الديار من الدمار هباء  
ان القبور ببهضها شهداء  
ماذا الرغام وفى النفوس اياه  
مح المهدى لما نهاه شقاء  
عشب لعمرى ان ذا لبلاء  
تجرى بهم وجسومهم سوداء  
فى أمرها ولا يعمل منك بكاء  
إيه وتكسف بينهم ذكاء

أتظن تلك كرامة مأنوسة  
وهدي لدين محمد من يهتدي  
هم والذي برأ الوري هم لا سوى  
وفدا النفوس انا فاني دونهم  
هم كالنجوم هدي وفي الجدوى ندي  
ماذا الذي نقتاس من أفعالهم  
مادونهم مرمى مرید صادق  
فسوي خلافت احمد هدي الوري  
الا الذين غدوا على آثارهم  
ذاك الرفيق الزمه وأترك غيره  
واعصم سقاءك بالوكاء من الظما  
واصحب خيرك في الثري خوف الثوي  
واحلل أسيرك هاهنا إن تستطع  
خفض عليك فلا يخطرب ترسل  
وعلى النبي وآله صلي الذي  
وكذاك سلم ذا العلاما أنشدت

لا والذي ضلت به الآراء  
وبه تخصص في الهدى الخلفاء  
كل النفوس لهم سوى فداء  
بي والذي برأ الوري ادواء  
بل الصدا ما بهدم اعطاء  
فقياسهم بسواهم اغواء  
هل بعد عرش الاستواء بناء  
كل الانام من الخيور فضاء  
أهل الولاية والصفاء الامراء  
ربط الجياد لغير ذاك نواء  
ما في القضاء امام قصدك ماء  
بين المذا وخطا الخطا بهما  
ما في القيامة للاسير فداء  
طورا وطورا شدة ورخاء  
وصل الصلات فطالها العطاء  
برح الحفا ما الحق فيه خفاء

ولما اطلع المهدي على القصيدة التبس عليه فهمها وتردد في حل معيها  
فدفعها الي عبد الله التعايشي الذي اطلع عليها كاتبه فوزي بن محمود بادية  
فلم يهتد الي فهم ما بطنه الناظم وغاية الامر انه قال لعبد الله التعايشي  
ان الناظم لا يقصد بقوله . جبل الولات أمات دين محمد . غيرك وانه ينصح  
للمهدي بتولية العلماء وإقصاء الجاهلاء ويقول انهم آمناء وانت وأمثالك خائنون

فقبض التعاشي على الشيخ الحسين وزجه في السجن وبعد أيام أطلقه بعد أن  
 قاي من العذاب أشده وأخذ عليه العهد بعدم العودة الى مثل هذه النصيحة  
 وقال له في عرض كلامه سبب سلامتك أن تنفي كل ما تعلمته من العلوم  
 وتصير كأنك لا تدرك كلمة واحدة منها وأن تتعلم من علومنا ولا تقرأ من  
 الكتب غير منشورات المهدي لأن كل الاحكام والشرائع التي كانت قبل ظهور  
 المهدي لقد نسخت بظهوره فاجاب الشيخ الحسين على هذه الاقوال  
 بالسمع والطاعة

وينذهب بعضهم الى ان الشيخ الحسين كان ذا نظر سياسي أعماه عن  
 النظر الى مفتريات المهدي حيث يرى أن المهدي سيشتد دولة وطنية سودانية  
 وحجة الذاهيين الى هذا موجودة في هذه القصيدة حيث يقول وتقع  
 جمعنا الغرباء وقد جاء هذه التلميح في مقام الاحتجاج على العلماء  
 الذين تصدوا للتكذيب المهدي ونقض حججه الواهية وفيه رز الى تبرير  
 الوسطة التي انتجت هذه الغاية

وقال آخرون انه يقصد بالغرباء عبد الله التعاشي وقومه البقارة الذين  
 خاف عاقبة تمكنهم من البلاد لانهم غرباء وبلادهم واقعة جنوب دارفور  
 وحاصل القول أن القصيدة تحتمل تاويلات كثيرة ليس في وسعنا ايرادها كلها  
 ولنعود الى بقية أخبار الشيخ الحسين وقتله قبيل فتح أم درمان

بسم الله الرحمن الرحيم  
 كبر انذارات المهدي للشيخ محمد الامين

رحمة الشيخ محمد الامين البصير رئيس العلماء بالسودان ولد بصواحي  
 لمقر طوم وأصله من قبيلة أسهما (الحس) فقد بصره مشد طفولته وحفظ

القرآن الشريف قبل أن يبلغ الماشرة من عمره وانقطع لدراسة العلوم الشرعية  
على يد أستاذه الشيخ أحمد بن عيسى الأزهرى تلميذ مولانا الشيخ أحمد  
الدردير المشهور حيث قضى ثلاثاً وثلاثين سنة في صحبته وتلقى العلوم عليه ثم عاد  
إلى وطنه بالسودان واليه ينسب انتشار العلم في تلك الاقطار وكان الشيخ  
أحمد بن عيسى بحراً زاخراً في جميع العلوم العقلية والنقلية تقياً ورعاً له قدم  
راسخ في الصلاح

ولزم الشيخ محمد الأمين أستاذه حتى نال من العلوم نصيباً وافراً وظهر  
عليه النجاح والذكاء فلقبه أستاذه بالبصير عكس الضمير  
ولما ولي جعفر مظهر باشا حكمة ادية السودان رفع منزلة الشيخ محمد  
الأمين وعينه رئيساً لعلماء السودان وكان يقول لا يفتى وأمين بالسودان  
تنويعاً بما عرفه من فضله ووزارة علمه في فقه المالكية له شلح يقدان لها  
ولما ظهرت بدعة المهدي كان أول من تصدى لتكذيبها فالتقى نصيحة  
ملاها بالأدلة الشرعية على بطلان ما دعه المهدي وشفعها بأدلة الإمامة مولانا  
أمير المؤمنين السلطان «عبد الحميد خان الثاني» وأثبت نيابة المفتي مولانا  
محمد توفيق باشا واستنتج أن المهدي خارج على الإمام وأسرع الأدلة الشرعية  
التي تدل على رسوخ قدمه في الشريعة المطهرة وسيأتي ذكر تلك الرسائل وغيرها  
من رسائل العلماء التي ألفت رداً على المهدي في غير هذا المكان  
وكان المهدي شديد البغض للشيخ محمد الأمين حتى كان يعبر عنه بقوله  
أعمى البصيرة الذي أضله الله على علم وختم على سمعه وجعل على  
بصره غشاوة  
وقد تبودلت بين الشيخ والمهدي خطابات عديدة كان الشيخ يحضيه

النصح فيها ويدعوه الى التوبة فكان يجاوبه بالمعاطاة والاستمالة وهذه صورة  
ما جاء في كتابين من المهدي له وفي أحدهما يقول ان البيان لا يهدي وانما  
الهادي هو الله ويقول في الثاني انك لا تجمل أن النبي صلى الله عليه لم يكن  
أصوليا ولا نحويا «الاول»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله الي شيخ الاسلام المكرم والاستاذ  
المعظم الشيخ محمد الامين جعله الله من المكرمين لا يخفى على عزيز علمك وجليل  
فهمك ان البيان لا يهدي وانما الهادي هو الله تعالى وقد أعلم الله نبيه صلى  
الله عليه وسلم بان ليس عليه الا البلاغ وانه لا يهدي من أحب وإني قد كاتبتك  
لظن الخير فيك وأعلمتك بالحقبة التي لا كذب فيها ولست فيها بمتحيل ولا  
بمتصنع وانما هو الحق الصدق الآتي من الله ورسوله فقد أيدني الله تعالى  
بالمهدية الكبرى ومعلوم انه لا يكذب على الله ورسوله الا من لا خلاق له  
عند الله تعالى ومن يعلم علم يقين ان متاع الدنيا قليل لا يزن جناح بموضوعة  
لا يؤثره ولو آثره على ما عند الله زال كأن لم يكن وأعقب عليه حسرة لا آخر  
لها فلا يؤثر جاء الدنيا على التقوي والاقتداء بالانبياء والاصفياء الا من لا عقل  
له واني عبد مسكين لا طاقة لي بقوام أذني شيء فلو لا اني على نور من الله  
وتأييد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدرت على شيء ولا ساغ لي  
ان أحكي شيئا وما أخبرت عن النبي صلى الله عليه وسلم بما أخبرت الا بامر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخبرني صلى الله عليه وسلم بأخبار ليست  
عند الاولياء ولا عند العلماء وقد قال تعالى «ويخلق ما لا تعلمون» وقد جمع النبي

صلى الله عليه وسلم أرواح الذين أنكروا مهدي من الاولياء العارفين العلماء  
 العاملين وببختهم غاية التوبيخ وعدد عليهم النعم الدينية والدنيوية والظاهرية  
 والباطنية وما صرف عنهم من البلايا الحسية والمعنوية وقال لهم ما شكرتم  
 نعمة الله تعالى حيث أنكروا مهدي فلان وقد اعطاكم الله نعمًا فما شكرتموها  
 حيث لم تصدقوا بمهدي فلان وفلان هذا قد شكر نعم الله فولاه عليكم واعطاه  
 المهدي فكيف تنكرون حصول المهدي له قالوا تبنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه  
 وسلم اطلبوا منه العفو فطلبوا مني العفو فن له سعادة صدق باني المهدي  
 المنتظر ومن لا جعل الله له عوارض تصده عن التصديق بالمهدي لي وقد  
 دلت كرامات على صدق اخباري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن  
 لا تنفع الكرامات والآيات من أراد الله شقاوته وقد أخبرني النبي صلى الله  
 عليه وسلم سرًا أن من شك في مهدي كفر بالله ورسوله وان من عاداني  
 كافروا من حاربي يخذل في الدارين وماله وأولاده غنيمة للمسلمين وليكن  
 معلوما عندكم اني لا أفعل شيئاً الا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم والجهاد الذي  
 حصل للترك فانه أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرني صلى الله  
 عليه وسلم بأسرار كثيرة الى آخر فتح البلاد بالدين والسنة وبعض ما يحصل  
 فيها واني منصور دائماً على من عاداني واقسم صلى الله عليه وسلم باني منصور  
 ومنظور من الله تعالى وقد كشف لي يوم القيامة وان الترك الذين قتلهم  
 شكوا للحق عز وجل وقالوا يا الهنا يا مولانا الامام المهدي قتلنا من غير  
 انذار فاقول يا رب انذرهم وأعلمهم فلم يقبلوا قولي وتبعوا قول علمائهم وصلوا  
 على وحضر شاهداً على ذلك سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقال لهم ذنبكم  
 عليكم الامام المهدي أعلمكم وأنذركم فما قبلتم وسمعتهم قول علمائكم فاقبل

بعضهم على بعض يتلاومون فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم  
 لسكننا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن  
 الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وأما عدم تسليم أهل الدولة من أول  
 الامر فانها حكمة أزلية ووقت تسليمهم علمه عند الله وفي ذلك اسوة برسول  
 الله صلى الله عليه وسلم حيث لم تسلّم له الملوك من أول الامر وقد حصلت  
 له صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاق عظيمة ومقاتلات كثيرة مع الاكابر  
 وعلماء اليهود والنصارى الذين كانوا يدعون انهم يكونون أول اتباعه صلى الله  
 عليه وسلم وكانوا يستفتحون به وكل ذلك وهو صلى الله عليه وسلم خير خليفة  
 الله عز وجل واني مقتنف أثره ومهتد بنوره وقد أخبر ان الترك لا يظهرهم  
 الا السيف الا من تداركه الله بلطفه وقد أخبرني صلى الله عليه وسلم ان الامة  
 تهتدى لى بدون المشقة التي حصلت له صلى الله عليه وسلم واتباعه واني مخلوق  
 من نور عنان قلبه صلى الله عليه وسلم وبشرني صلى الله عليه وسلم ان أصحابي  
 كاصحابه وان عوامهم لهم رتبة عند الله تعالى كرتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني  
 فان الفضل بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء وقد يدخر الله للمتأخرين ما عسر على  
 المتقدمين ولكن لا يخفي عزيز علمك ان العلماء ينكرون كثيرا من أمور  
 المهدي لانه ليس على معتقدهم الذين يظنونونه ولانه يخالف مذاهبهم فله هديتي  
 من الله دلائل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ومما يخبرك بعدم معلومية  
 عين المهدي للعلماء اختلاف الروايات وكثرة الاقوال عن أهل الكشف  
 والمعلوم ان ما علمه في ازله لا يكون على هذه الروايات الكثيرة وقد وردت  
 فيه أحاديث منها المقطوع والموضوع والضعيف بل الحديث الصحيح ينسخه  
 الحديث الصحيح كما ان الآيات تلسخها الآيات والتصديق بالمهدية صعب



لا يوفق له الا من أدركه الله بسابق سعادة لانه لا يهتدي الى معرفة حقيقته  
 الا الاولياء العارفون الذين لم يحجبوا عن رؤية نبيهم صلى الله عليه وسلم وأما  
 ما ذكرت في رسالك الى معلوم جواب كل كلمة منها في اصابة أمري لمن  
 أنصف وكنت أردت ان أبين جواب كل كلمة واسكن قد علمت ان الهداية  
 ليست من كثرة البيان وانك ان اعمنت النظر بعد تصديقك بمهديتي  
 وجدت جواب ذلك أوضح من الشمس كما علم ذلك كل من صحبني من العلماء  
 على التصديق بمن هو دون علمك في الظاهر ولو علمت حقيقة لما كنت  
 تكتب لي ما كتبه ولما وسعت الامانة لي على ما قلني الله تعالى فتدارك  
 عمرك فقد مضى ولا تؤثر على اجابتي أهلا ولا مالا ولا جاها لنفوز بالنفوز العظيم  
 والخير الجسيم ولا تعاون الظلمة بعد هذا فانه لا يخفاك ما أحدثوه في الاسلام  
 وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيهم باخبار كثيرة ومثلك تكفيه الاشارة  
 والسلام « الثاني »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فجزيل السلام من عبد ربه الوائق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الي سلم  
 الشريعة المحمدية المستفيض من رحمة ربه بالعلوم النقلية حبيبنا وصفينا في  
 الله على المحبة الايمانية الاصلية محمد الامين كان الله في عونك ووفقك لمرضاته  
 ولزوم طاعته آمين أما بعد فالذى نعلمك ايها الحبيب ان المتحابين في الله على  
 منابر من نور يوم القيامة وأن من أراد الآخرة سعي لها سعيها وشئت شمله  
 في الله ليكون من ابنائها وأهلها وبذل جهده في طلبها ليدرك ما فات من أمرها  
 وقد أوتيت من العلم بها وبحقارة الدنيا وخسرتها نصيبا وافرا ونرجو الله ان

يكون نور العلم معك حجة لك وانى قد عددت وكررت لك الانذارات  
 والمواعظ التي تشهد حقيقتك بها وخاطبتك سابقا قبل كل الناس وخصصتك  
 بالحقيقة التي لا شيء بعدها وندبتك الى الاجابة لداعى الله فلم تجب دعوتي ونظرت  
 الى الثقل والملائق المعوقة القاطعة عن الله ولحسن ظني فيك ومحبتى لك  
 فى الله وارادتى لك البر والخير الدائم والنعيم السرمدي والملك الكبير عند  
 الله لم آيس من مخاطبتك ولم اتوقف عن دعوتك لانى مأمور بذلك المنهاج  
 على سلوك قدس الحق ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الله  
 تعالى لارشاد امته وانت جدير بذلك لان أحوج ما يكون لك المال اليه  
 وغاية المعرفة بالله اجلال الله وتعظيمه والقياس بامرء حيثما كان على الراس  
 والعين سيما وانت من اكابر العلماء الوارثين قدم الشريعة المحمدية ومقتدي بك  
 فالى متى ترضي لنفسك التخلف عن اجابة الله ورسوله وترضي لها أن ترغب  
 عن ملة ابراهيم ومحمد عليها الصلاة والسلام حبيبي ان كنت كما ظننت فيك  
 من الايمان بالله واليوم الآخر فالماضي لا يعاد فبوصول جوابي هذا اليك اترك  
 المواطن والمساكن وحبها ولا تنظر لمال ولا ولد ولا أهل ولا أحد بل  
 لاتراع الا أمر الله ورسوله والمبادرة للهجرة ولروية الضر والنفع من الله  
 فقط كما ورد كتابا وسنة ولا تراع غزارة علمك وكثرة فهمك ولا تستحقر  
 طلبنا لك فعاين ما عند الله الذي منه الحول والقوة وبادر لاجابتنا بهمة  
 وشفقة ولا تحش بعدها من عقاب ولا عتاب فانت فى أمان الله ورسوله  
 وأماننا اذا طاوعت الاسر كما ذكرنا فلا نرضى عليك الا بالهجرة فقط دون  
 أمر آخر وما أراك أن ترضي بغير ذلك فأحسن بظننا فيك ولا تحوجنا الى  
 خطاب بعد هذا حيث علمت عز منا عليك بالهجرة فلا عذر لك أبدا عنها

حبيبي وقد كتبت لك سابقا لجودة فهمك وزيادة فطنتك فيما هو حقيقة بلا  
 تصنع لتجيب الدعوة الى الله وتنفع قبل الناس ولكن حبيبي تعلم ان من  
 كبر وبلغ الغاية في الكبر عاد الى التسافل الى أن يكون أرذل من كل شيء  
 والصغير لازال يزداد فلا تنظر حبيبي لكبرك في السن والعلم وصغري في  
 السن والعلم فانك تعلم ان الله يختص برحمته من يشاء ومن له نور ايمان  
 لا يخفى عليه مهدي بنظر نور الايمان وكثير من العلماء الاكابر الذين لهم سابق  
 سعادة رأوا ذلك فرجموا عما كانوا عليه وأتوا نادمين وانك تعلم ان النبي صلى  
 الله عليه وسلم ما كان أصوليا ولا نجويا بل نبيا أميا وخصه الله بخافية لا يعلمها  
 الا هو مع انه يتيم وبين أميين ولم يكن في أبائه ملك الى آخر ما استنبأ عنه  
 هرقل ابا سفيان ليري به الحقيقة والتأهل للنبوّة فرفها مما أفهمه به ولكن  
 حجبه ما تعلمه من الملك والجاه والصيت وحب متاع الحياة الفانية ولم يفهم  
 عنه ذلك شيئا كما تعلم ذلك فلا تتوقف لما تظن من قصوري فسلم الامر لله  
 واتق لتسعد ولا تسكن ممن حجبه الجاه والمال الفانيان فانقطع عما عند الله  
 ولا تسكن ممن حجبه الكبرياء عن التواضع لله والالتقياد للحق فانك تعلم  
 ان علماء اليهود والنصارى كانوا يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفتحون به  
 فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به خوفا من مفارقة الجاه والرياسة وما يجبي اليهم من  
 الهدايا والقطائف التي يتمتعون بها في الحياة الفانية وقد ساعدوا الكفار  
 والمشركين لطلبهم متاع الحياة الفانية ولئلا يزاحموا القراء المساكين الذين  
 الذين خرجوا عن الجاه والمال واختاروا ما عند الله لاستحقاقهم لهؤلاء وتكبرهم  
 عليهم وبنظرهم لكبريائهم وجاههم وما يجبي اليهم من متاع الحياة الفانية أظلم  
 عليهم أن ينظروا عزة ما عند الله وان الشاكرين العارفين نعمة الله في الدين

هم الذين اختاروا فراق كل عزيز لاجل ذلك وهان عليهم فراق الوطن والاهل  
والاولاد والاموال لما ان حدهما قريب ليس لها عند الله جدوي وانما يبقى  
ما اكتسبه العبد مما يقربه الى الله زاني قال الله تعالى «وما أموالكم ولا اولادكم  
بالتى تقربكم عندنا زلفى» وكذلك يقف المؤمن مع ما ذكر عن ايثار الله وعلبه  
قال الله تعالى «قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم» الخ واذا أراد المؤمن  
السفر لطلب الله ورسوله وايثار ما عنده وهجس له الاهل والبنون والاموال  
كفاه قول الله تعالى «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» وقول النبي صلى الله عليه  
وسلم «اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الاهل والمال والولد» وان المؤمن  
يعلم من نور الايمان ودلالة القرآن ان الذي وجه وجهه له هو الذي يخلفه في  
أهله ولا يخفي عليه حالهم وفضل الله أوسع من فضله عليهم وهو أقدر من  
قدرته وأدلة ذلك من الكتاب والسنة متضحة ومثلث حبيبي لا يعرف  
باكثر من ذلك وما تعبت لك في النصيحة الا لارادنى لك الخير والسلام  
ربيع الآخر سنة ١٣٠١

### سقوط شكا وحفرة النحاس

«شكا» إقليم واقع في الصحراء التي بين بحر الغزال ودارفور وسكانه  
أعراب جل ماشيتهم البقر ويطلق على جميعهم اسم «البقارة» ومنهم قبائل الرزيقات  
والهباينة وبنو هلبه وغيرهم من قبائل البقارة  
ولما استولى المصريون على دارفور افتتح غوردون باشا «شكا» وجعلها  
مديرية وكانت مملوءة بالنحاسين ولهم فيها شركات تقيم معسكرات يطلق  
عليها اسم (الديم) أي المعسكر وهي توالي الغارات على بلاد العبيد للسلب والنهب

وحفرة النحاس بالقرب من شكا جعلها غوردون مقاطعة ووضع فيها  
حامية وفيها معدن نحاس كبير استخرجت منه الحكومة شيئاً كثيراً إلى عهد  
غوردون ثم أهمل أمره من خلفه من الحكام ونقلت الحامية منها وسيأتي  
أن الخليفة التعايشي اعتنى بأمره واستخرج منه شيئاً كثيراً من النحاس واكتشف  
معدناً للرصاص ومعدناً للكحل استخرج منهما شيئاً كثيراً

وكان في شكا أخوان نحاسان دنقليان يدعيان محمد وكرم الله كرغساوي  
وفدا على المهدي بعد سقوط الأبيض في قبضته وأخبراه بقدرتهما على نشر  
دعوته في «شكا» وحفرة النحاس وبحر الغزال ولما استولي على دارفور أشخصهما  
إلى شكا في التي مقاتل فقد ما عليها وكان بها الصاغ منصور أفندي حسن  
ومعه أكثر من ألف جندي جلهم من الجنود غير النظاميين يطلق عليهم اسم  
(الخطرية) أي المتطوعة

ولما صار كرم الله كرغساوي على مقربة من شكا كتب إلى الخطرية  
يلعلمهم بقدمه وسألهم للحاق به فاجابوا دعوته ولحقوا به واجتمع عليه نحو  
خمس آلاف مقاتل من الدنقلين النحاسين فكتب إلى منصور أفندي حسن  
يدعوه إلى التسليم والدخول في دعوة المهدي وبعث له بكتاب من سلاطين  
باشا يخبره بتسليمه للمهدوية وتصديقه بدعوة المهدي وقد كتب هذا الكتاب  
بناء على رغبة المهدي

ولما وقف منصور أفندي على الكتابين توقف عن التسليم في بادئ  
الأمر واستشار من معه الجنود وكانوا نحو ثلاثمائة فكروهوا أن يقتاتلوا  
جميعاً وأنفقوا على التسليم وكتبوا إلى كرغساوي يسألونه أن يأمنهم على أموالهم  
وأعراضهم فكتب لهم بهذا كله وأقسم لهم بالآيمان المغلظة على الوفاء فسلموا

أنفسهم وأسلحتهم فلم يلتفت الي شيء مما اشترطه على نفسه بل قبض على منصور أفندي ومن معه من الضباط والموظفين المصريين وذهبهم عذاباً أليماً ليدأوا علي أموالهم وأخذ نساءهم وبناتهم غنيمة له ولا نصاره ولم يس أحد من السودانيين بسوء

ولما دانت له البلاد بالطاعة تقدم نحو حفرة النحاس وضم الي جنده من فيها من النحاسين وأرسل للمهدي بالوف من الارقاء وبخمس ماغنه من أموال المصريين وبناتهم وأخذ في الاهبة للتقدم الي بحر الغزال

### سقوط بحر الغزال واسر لبتن بك مديرها

بحر الغزال هي البلاد التي تقدم لنا الكلام عليها قبل ايراد حوادثه وكنت أول حاكم ولي عليها باسم الحكومة الخديوية لما عينني غردون مديراً عليها فأعلنت ضمها الي الخديوية وقد سردت اكثر حوادثها الي خروج سليمان ابن الزبير علي الحكومة بها وتولية «جسي باشا» عليها وقتل هذا الخارج له واشياعه واقصاء النحاسين منها

وأقول الآن بعد ان غادر جسي باشا بحر الغزال خلفه في وظيفته موسى شوقي باشا من الضباط المصريين وكان وكيله انكايزيا اسمه «لبتن بك» ثم عزل موسى شوقي باشا وخلفه لبتن بك

ولما استولى كرغساوي علي شكا تقدم نحو بحر الغزال بخمسة آلاف مقاتل أو يزيدون وأرسل الي لبتن بك انذاراً دعاه فيه الي التسليم ومع الانذار كتاب من سلاطين باشا يختلف فحواه عن الكتاب الذي أرسل الي منصور أفندي حاكم «شكا»

وكان مع لبتن بك نحو الف وخمسمائة جندي جاءهم من «الخطارية» فخذلوه  
 وحلّوا بكرغساوي ولم يبق معه غير عدد قليل من المصريين من الضباط  
 والموظفين وهبّ الاهلون العبيد واعلنوا دخولهم في طاعة كركغساوي ومنعوا  
 وصول الاقوات الى لبتن فاضطر هو ومن معه من المصريين الى التسليم بعد ان  
 استأمنوا كركغساوي فامسك بهم ثم قبض عليهم وأذاقهم عذاباً مرّاً واستصفي أموالهم  
 وهتك اعراضهم ثم بعث بهم جميعهم أسراء للمهدي

وفي غضون مسيرهم في الطريق استأنس رئيس الحراس بلبتن بك  
 واسراليه انه ينفذ المهدي ويظن الولاء للحكومة ولا ملبتن بك على خضوعه  
 بغير مقاومة فكشف له دخيلة أمره وقال انني لم أسلم الا لما رأيت جندي  
 خذلني والتف حول عدوي ولو لا ذلك لدافعت حتى آخر نسمة من حياتي  
 وعندى ان الموت أفضل من الوقوع في يد هؤلاء البرابرة المتوحشين

ولما وصل لبتن بك الى المهدي أخبر رئيس الحراس المهدي بما دار بينه  
 وبين لبتن بك من الحديث فأسره المهدي ولم يطلعه

ولما سمع لبتن بك بقدم غردون الى الخرطوم كتب له يعلمه بأمر تسليمه  
 ويشرح له الاسباب التي تقدم لنا ايرادها ودفع الكتاب الي قبلي اسمه  
 صالح شنوده كان كاتباً في بحر النزال

وكان لبتن بك لما قابل المهدي اعتنق الاسلام على يده فسماه

عبد الله

وغادر صالح شنوده معسكر المهدي قاصداً الخرطوم فقبضت عليه  
 طلائع المهدي وأعادوه الى المهدي فاخذ ما معه من الكتب وعذبه حتى اطلمه  
 على الحقيقة فزجه في السجن وقبض على لبتن بك وسجنه وبالغ في تعذيبه

ثم أرسل له كتاباً وهو في سجنه يقول فيه ان رئيس الحراس لما أخبره لم  
يلتفت الى اخباره بل كان يتوقع أنه سيحسن اسلامه بعد مواجهته له  
وشرح له مسألة القبض على صالح شنوده وقال له انك اذا ثبت في سريرتك  
ورجعت عن غوايتك لا بد ان يأتيني خبر من الغيب عن ذلك ولا بد ان النبي  
صلي الله عليه وسلم أو الحضرة يخبرني بامرئ وبقي لبث في اسوء عذاب  
وسنعود الى تمة اخباره حتي وفاته

وكان سقوط بحر الغزال في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هجرية  
وهاهي صورة كتاب المهدي الي لبث بك نقلا عن كتاب المذهورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المفتقر الي الله محمد المهدي بن عبد الله الي عبد الله المسلماني وقاه  
الله السوء وجعله من أهل التواني كان سابقا أخبرنا الاخ الصادق وفي  
العهد الذي جاء صحبتكم من كوردان بانه أظهر لك انه لم يكن راضيا بالمهدي  
وقصد بذلك الوقوف على حقيقةك فأعلمته بان التسليم الذي حصل منك  
ليس على غرضك وانما هو لعدم المواز على الحرب لاجل أن العساكر التي معك  
سلمت جميعها وأظهرت النفاق معها وانك على ما أنت عليه من الكفر  
ومراكنة الترك فعصمنا عن ذلك أملا في أنك ان لاقتنا يصف إيمانك ويتم  
تصديقك وتسليمك لنا بالذاكرة ولما قابلتنا ذا كبرتك وأعلمت ان أمرنا هذا  
الهي وان الله اذا أراد أمرا امضاه ولم تنفع في مقابلته مدافع ولا جيوش انكاي  
ولا غيرها ولا بواير ولا كافة الحيل اذ انه لا يئلب الله غالب وكل ذلك لتصفي  
معنا سريرتك ويصير لك الحظ الوافر عند الله وتنال سعادة الابد وتكون



من الاصحاب المؤمنين الذين لهم عند الله حسن السكينة العظمى وكل ذلك  
خير لك ابدى حتى ظهرت خيانتك وتصميمك على النفاق بمكاتبتك لندرون  
واظهارك له انك لم تسلم باختيارك وانك منتظر نجدة الانكيز واظهارك  
له ان جماعتنا اكثرهم مرضي جائعون لا يقدرين على حرب شهر كل ذلك ظهر  
عند ضبط صالح شهوده لحياته ايضا من الآن وصاعدا ان تبث من سريرتك  
بينك وبين الله واعتقدت ان هذا السجن لتصفيتك وتجريدك عما يضرك عند  
الله وصدقت مع الله في تسليمك لنا لئلا يبد ان يظهر لنا على سميتك أو باخبار  
من الغيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من الخضر عليه السلام وان  
لم تبث من سريرتك وبقيت على نفاقك كذلك فربما ان يظهر لنا فتزيد عذابا  
على عذابك والآخرة أشد عذابا وأشد تنكيلا فان أراد الله بك خيرا يهديك  
وتظهر هدايتك لاتباعنا والصدقة معنا وان أراد الله شقاوتك وعذابك في  
الدنيا والآخرة تصمم على ما أنت عليه من النفاق ولا تقل ان الهداية التي  
تنفع بادعاء اللسان فان ذلك لا ينفع كما رؤي عليك حين أتيتنا من عدم الصفا  
على وجهك فان اهتديت من سريرتك سترى خير الدنيا والآخرة ان شاء  
الله تعالى والسلام ٢٠ محرم سنة ١٣٠٢

### ذكر عودة غردون الى السودان

لما سقطت وزارة شريف باشا وخلفتها وزارة نوبار باشا كانت الحكومة  
الحديوية في ارتباك فقدت معه كل تدبير وذلك انها كانت لاتكاد تقرر شيئا في  
السودان حتى تنقذه قبل أن يمض على تقريره يوم أو بعض يوم  
وبينما هي في هذه الحالة عرضت عليها الحكومة البريطانية تعيين

غردون باشا بوظيفة حاكم عام على السودان ومنحه سلطة مطلقة . وكان هذا العرض في شهر صفر سنة ١٣٠١ هجرية

وفي منتصف شهر ربيع الاول أعلنت الحكومة رفض هذا الاقتراح ثم لم تمض بضعة أيام حتي تلقينا من مصادر الاخبار الرسمية نبأ مغادرة غردون لوندرة قاصداً القاهرة حيث أمر بتقديم نفسه لجناب السرافلن بارنيج قنصل جنرال انكلترا في مصر

وفي يوم ٢٦ ربيع أول سنة ١٣٠١ كان وصول غردون القاهرة وفي اليوم التالي اجتمع بالسرافلن بارنيج وتلقى منه كل التعليمات التي يجب عليه اتباعها في مأموريته

## ذكر العفو عن المؤلف وارجاع رتبته والقباه

ونياشينه اليه ومرافقته غردون الى السودان

قصص في أول الكتاب ما أصابني من تجريدي من رتبتي وألقابي ونياشيني التي أحرزتها في إبان مرافقتي لغردون في خط الاستواء لما كان حاكماً على الاقاليم الاستوائية وقد مضى على نحو سنة ونصف

وفي شهر ربيع الاول سنة ١٣٠١ جاءني خطابان أحدهما من الجنرال وود باشا سردار الجيش المصري والآخر من نوبار باشا رئيس الوزارة يرجوني كل منهما ان اقبله في النقد فذهبت الى السردارية وقابلت وود باشا فأخبرني ان غردون بعث اليه بتلغراف يعلمه بعزمه على مرافقتي له في العودة الى السودان فأجيبته بأنني مطرود من خدمة الحكومة فقال انني لأجهل ذلك ولكن غوردون سيطلب لك العفو من سمو الخديو

المعظم وختم كلامه بلزوم أخذ الالهة والاستعداد الى السفر فودعته  
وانصرفت بعد ان وعدته بأخذ الالهة ثم ذهبت الى نوبار باشا فأعلمني ان  
غردون بعث اليه بتلغراف كالذي بعث به الى وود باشا وكان حديثه مميّ كحديث  
وود باشا فانصرفت عنه بعد ان أكد عليّ في الاستعداد للسفر

وفي يوم وصول غردون باشا الى محطة سكة حديد القاهرة كانت غاصة  
بالمستقبليين من ضباط الانكليز وموظفي الحكومة ورجال التشريفات الحديدية  
ولما وصل القطار الذي كان يقبله استقبل بكل حفاوة وكرامة ولما  
وقع بصره عليّ تقدم نحوى وصاحني مخاطباً انك يا عزيزي متوجه مميّ  
الى السودان فسردت عليه ما لحقني من التجريد والطرْد فطيب خاطري  
قائلاً سأطلب من الجناب الحديو العفو عنك وارجاع كل ماسلب منك  
فشكرته ثم قدمني لكل الذين استقبلوه من الانكليز وسرد عليهم تاريخ  
مرافقتي له في المرتين السابقتين ثم اركبني معه العربة الى منزل وود باشا حيث  
كان مدعوّاً اليّ مأدبة هناك وبعد وصولي لهذا المنزل استأذنته في الانصراف  
بعد ان أكد عليّ في العودة اليه في الغد

وفي نحو الساعة التاسعة صباحاً عدت اليه بمنزل وود باشا فقابلني بوجه  
باش وقال لي اذهب الي نوبار باشا لاستلام الاوامر بسفرك فقلت في نفسي  
كيف أستلم الاوامر بالسفر قبل صدور العفو وترددت قليلاً ثم امتثلت  
وذهبت الى نوبار باشا فقابلني بالاكرام واجلسني بجانبه وقال ان غوردون  
باشا مسافر على عجل وإني يريه يرغب مرافقتك له وانني أعطيك راتب ثلاثة شهور  
كم رتب أمير الاي ثم انك لا تبلغ بربر حتى أكون قد التمتست من الجناب  
العالي الحديو العفو عنك وارجاع كل رتبك ونياشينك لك وسأرسل لك

البرآت والنياشين قبل وصولك الى بربر فقلت له لا يمكن ذلك ابدا ولا  
أرضى بمغادرة القاهرة قبل ان أحرز رضا مولاي الحديو وأتحصل على العفو  
منه فأخذ يراجعني ويقسم لي الايمان الملاحظة بصيرورة ذلك لا محالة فلم أقبل  
وما زال يراجعني وانا مصر على الرفض واخيرا استأذنته في الانصراف وعلامات  
الغضب ظاهرة على وجهي فقصدت محل غوردون وأخبرته بما يجري بيني  
وبين نوبار باشا فاستاء وقال لي لم يكن اتفاقى مع نوبار باشا هكذا ثم ركب  
عربيته قاصدا السراي الحديوية وتقابل مع الجناب الحديو وعرض على  
مسامحه طلب العفو عني فاجابه بان هذا مطرود من خدمتى ومعه من هم  
أرفع منه ومن هم دونه ولا يوافق العفو عنه دونهم فقال له يا مولاي انك  
جدير بالعفو عنهم كلهم فقال ولكن الظروف غير الجدارة وانني أعطيك  
ضابطا بدله ولو من ضباط حرسى فالح غوردون في الرجاء وقال إننى رغبت  
مرافقة اثنين كانا معى وحضرا معى فتوحات خط الاستواء وهما ابراهيم  
فوزي وكاتبى محمد بك التهامى الذى أسفت لفقده البصر مما كان حائلا دون  
مرافقته لى وأخذ يسرد على مسامع الحديو الخدمات الجليلة التى قمت بها  
معه من رحلة خط الاستواء والخدمات التى اديتها فى غضون ولايته على  
السودان فوعده الحديو بالعفو عني فشكره غوردون وانصرف وارسل الحديو  
يدعو الوزراء للاجتماع عنده

ولما عاد غوردون من السراي الحديوية قص على كل ما دار بينه وبين  
الحديو من الحديث ثم دفع الى كتابا بالفرنساوية وأمرني بإيصاله الى الحديو  
فى الساعة الثانية بعد الظهر فحملت الكتاب وذهبت الى المعية اقمتر فى أذبال  
الحجل وأعرض انامل الندم ولات ساعة مندم وتمثل لى ما فرط منى فى ولاء

العرايين باقبح صورة وزاد عليه تبكيت الضمير حيث تذكرت ما كان من  
الجناب الحديو ونصحه لي بالابتعاد عن المسألة العراية وتذكيره لي بنم  
والده على وانني ان تابعت العرايين كنت مقابلا لهاته النعم بالعقوق والكفران  
فلم التفت الى الذكرى بل انغمست في الفتنة العراية وكان ما كان حتي كائني  
فقدت العقل وعدمت الرشد ولا حول ولا قوة الا بالله

ولما دخلت المعية السنية وجدت طه باشا ويوسف شهدي باشا جالسين  
في أودة التشريفات ومعهما كثير من الضباط فسلمت عليهم فلم يردوا تحيتي  
وظهر على وجوههم التقطب والعبوس والتفتوا الى محققين ثم أداروا وجوههم  
يتغامزون على فتقدمت وجلست بجانبهم غير مكترث بشيء مما أبدوه وبعد  
هنية دخل علينا زكي بك تشريفاتي خديو فاندھش لرؤيتي بهذا المكان  
ولكنه تجددوا أخني ما خارمه وحياني قائلا ( طيبين يامسيو فوزي ) فقلت  
له ( طيبين يامسيو زكي ) وبعد هنية أشار الي بالذنو من مجلسه  
وابتدرني بقوله . ألم تعلم يا أخني ان ضباط الثورة المطرودين محظور عليهم  
الجمي الي هنا فقلت نعم فقال وما الذي جاء بك فقلت أقصد التشرف بمقابلة  
الحضرة الفخيمة الحديوية فقال اني اخشى عليك من زيادة الغضب وألح على  
بالعدول عن هذا القصد فشكرته وأخرجت له كتاب غردون فنظر الي  
العنوان وأسرع بإيصاله الي الحديو ثم عاد وقال لي على مسامح من الحاضرين  
ان الجناب الحديو يسلم عليك وبعد خمس دقائق تحظى بمقابلته فاندھش  
أولئك الذين لم يردوا تحيتي والتفتوا نحوى يرحبون بي بقولهم ( مرحباً ) فلم  
التفت اليهم ولم أرد تحية واحد منهم وقات في نفسي واحدة بواحدة  
وبعد مضى الخمس دقائق دخلت على الجناب الحديو فوجدته واقفاً

فلم أتمالك نفسي ووقعت على قدميه وأنا أقول ( العفو يا أفندينا ) حتي انحنى  
على وأخذ بكفتي وهو يقول ( استغفر الله قد عفوت عنك وردت عليك  
رتبك والقبابك ونياشينك وكل ما جردت منه ) وكررها ثلاثا فوقفت على  
أقدامى فجلس وأمرني بالجلوس وأخذ يماثلني وأنا لا أقول له غير « وكان أمر  
الله قدراً مقدوراً » ثم استدعي خيرى باشا المهردار وقال له اننى عفوت عن  
ابراهيم بك فوزي ورددت له كل ما سلب منه فدعا له بطول البقاء وأمنت  
على دعائه وبعد برهة عاد ومعه البراءة والنياشين فوقف الخديوى على قدميه  
وسلمنى البراءة وقال لى اذهب الى منزلك وتقلد بزة عسكرية لاقلدك  
النياشين بيدى فذهبت وبعد برهة عدت فقلدني النياشين بيده وجلس وأمرني  
بالجلوس وقص علىّ خفوي الشهادات الحسنة التي شهد بها غردون عن  
سلوكى معه في الايام السالفة وأعرب لى عن أمله في نجاح غردون وأوصانى  
بطاعته وحذرني من مخالفته ووعدني بالالتفات ونوال الخيرات ثم انصرفت  
شاكراً بعد ان ودعني بأرق الفاظ المحاملة

ثم قصدت محل إقامة غردون وأنا متقلد نياشيني وملتحم بملابسي الرسمية فاستقبلني  
بالضحك الذي يشف عن زيادة السرور وأمرني بأخذ الالهبة حيث السفر في  
الساعة التاسعة من مساء الغد من محطة بولاق الدكرور فعدت الى منزلي  
وأنا مشغول بأخذ الالهبة للسفر ثم مقابلة المهنيين من الاهل والحلان  
وقصصت على غردون كل ما دار بيني وبين الجناب الخديو من الحديث  
وكتب الى المالية بصرف مرتب ثلاثو شهور مع نفقات السفر وفي اليوم  
التالى قبضت المال وتأهبنا للارتحال والحمد لله على كل حال

## ذكر سفر غردون باشا

في مساء يوم ٢٨ ربيع أول سنة ١٣٠١ في الساعة التاسعة مساءً أعد قطار خصوصي في محطة بولاق الدكرور ليقبل غردون باشا ومن معه الي أسبوط فازدحمت المحطة بالمودعين وفي مقدمتهم نوبار باشا رئيس الوزراء ومعه النظار وقنصل جنرال الدولة الانكليزية وعدد عظيم من ضباط جيش الاحتلال والموظفين الانكليز وبعض من رجال التشريفات الخديوية

واتصل بي ان عبد القادر حلمي باشا تحدث مع غردون يومئذ في شأن مأموريته وقال له انني أتوقع لك شراً مادمت قاصداً السودان بلا جند وأما مأموريته السلمية فاني أجزم منذ الآن بأن المهدي وأعوانه لا يقابلونها الا بالسخرية والازدراء على انني أقول لك لو كان معك ألفاجندي فان أخبارهم تصل الي المهدي بغلو كثير وخصوصاً اذا ذاع ان جنوداً غيرهم قادمون لامدادك وفوق ذلك فاني أشك في وصولك الخرطوم سالماً فأجابه غردون على كل ما قاله بقوله ان ممي الله وحده وخاطب عبد القادر حلمي باشا السكولونيل ستيوارت الذي ذكرنا انه سافر بمأمورية سرية الى الخرطوم في عهد ولاية عبد القادر حلمي باشا عليها واختاره غردون لمرافقته بما خاطب به غردون فأجابه انني لا أشك في صحة كل ما قلته ولكنني رجل عسكري أطيع أوامر رؤسائي طاعة عمياء لان أقل احجام مني يمد جبيناً وانني لأرتاب في انني ذاهب لحقني بنفسي

وفي الساعة العاشرة سافر القطار بين هتاف الجماهير قاصداً أسبوط التي وصلناها في صباح الغد فاستقبلنا مديرها وتناولنا طعام الغداء على مائدته

ثم ركبنا باخرة في النيل الى أصوان وهناك قابلنا قسوس من الكاثوليك كانوا دعاة للنصرانية في السودان وهجروا الخرطوم لما أحسوا بأحد اق الخطر بها فقصينا معهم بضع ساعات كان غردون يسألهم في خلالها عن الاحوال فكانت أجوبتهم لا تختلف عما قاله عبيد القادر حلي باشا لغردون

ثم غادرنا أصوان الى الشلال وركبنا باخرة هناك قاصدين كروسكو وبعد مسيرة يومين وصلناها فالقينا الجمال ومعدات السفر كلها في انتظارنا فمضى غردون قومنداننا للحملة وأخذت في الاشتغال بتجهيز وحزم الامتعة حتي الظهر ثم أقيمت التنبهات على رعاة الجمال بأن السير يتبدى في الساعة الثالثة بعد الظهر وعدت الى الباخرة وأخبرت غردون بجميع الترتيبات وكان جالسا على ظهر الباخرة ومعه الكولونيل ستيوارت والجنرال جراهم أحد قواد جيش الاحتلال وكان عين لمرافقة غردون الى كروسكو ثم جلسنا نحن الاربعة لتناول طعام الغداء فقال غوردون للجنرال جراهم انني التمت من الجنب الحديوى الاحسان على الكولونيل ستيوارت و ابراهيم فوزي برتبة اللواء ليكون الاول وكيلى والثانى قومنداناً للعساكر البرية والبحرية فأجاب الجنرال جراهم بالاستحسان

وبعد الغداء طير رسالة برقية للجناب الحديوى بهذا الالتماس ثم امتطينا الجمال وغادرنا النيل في طريق الصحراء قاصدين آبار المرات التي هي منتصف الطريق بين « ابو حمد » الواقعة على ضفة النيل وبين ( كروسكو ) وسنعود الى هذا الموضوع في غير هذا المحل



## ذكر كتاب غردون الى المهدي وهديته

قبل أن ينادر غردون كروسكو كتب كتابا الى المهدي ومعه هدية من نوع الهدايا التي تقدم لمشايخ الاعراب كالبنش وغيره وخوى الكتاب كما يأتي بالايجاز « انني أعترف بك سلطانا على السودان الغربي كله وملكا مطلقا على كل اقاليمه التي هي كوردفان ودارفور واني لما بلغني ما أصاب أهالي السودان من سفك الدماء وتوالي الحروب خامرني غم شديد ولذا قد عينتني حكومة جلالة ملكة بريطانيا العظمي وامبرا طورة الهند واليا على السودان وصدقت على ذلك الحضرة الفخيمة الحديوية واني من صميم فؤادي ارجو توثيق عرى العلائق الودية بيني وبين سلطنتكم وأرجو ان تسمحوا باعادة المواصلات التلفرافية وأظن ان أدوات ذلك قد تلفت في غضون الخطوب وقد أصدرت الاوامر الى مركز الحكمدارية بأن يعطى لكم كل ما تطلبونه من أدوات التلفرافات وأن يستقبل رسولكم كما يستقبل أعظم سفير وقد داخلى حزن شديد لما علمت بقطع طرق السودان الشرق التي جاءت حائلة بين المسلمين وبين مكة المكرمة التي يقصدونها في كل عام لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام فهيا بنا لفتح هذا الطريق والقاء السلاح لنشيد أركان الراحة ونوطد دعائم السلام

هذا ملخص خطاب غردون للمهدي وسنأتي على اجابة المهدي عليه بعد وقد طير رسالة برقية الى الحكمدارية يأمرها باستقبال سفير المهدي باطلاق المدافع والزينات واعطائه كل ما يطلبه من أدوات التلفراف فقبلت هذه السياسة من الخرطوم بالدهشة والاستغراب ولكن الآمال كانت

تخيل لهم ان غردون لابد أن يكون معه جنود يجبرون المهدي على قبول مثل هذا الامر ويعلمونه من التقدم الى الخرطوم على ان الامر الذي لامراء ولا جدال فيه ان المهدي كان يرضخ صاغراً لما رسمه له غردون لو كان هناك جنود ولو بضعة آلاف

### الخرطوم وغردون

ما كاد نبأ تعيين الجنرال غردون يبلغ الخرطوم حتي كان الاهلون المصريون في فرح شديد ظناً أن غردون لابد أن يكون قادماً بعناية كبرى من الحكومتين البريطانية والحدوية وانهما لا يتخيلان عن مساعدته بجنود يقدر بها علي ارقام المهدي ومنعه من التقدم اليهم فأرسلوا اليه بالتلفرافات وفي كلها التنويه بأنه محط الآمال

وأرسل علي لسان البرق منشورات فيها الاعتراف بسلطة المهدي علي السودان الغربي وانه عين من قبل الحكومة البريطانية الخ ما جاء في خطابه الي المهدي

وزاد انه تجاوز عن المتأخرات من الضرائب والاموال الاميرية وتجاوز عن ضرائب ثلاثة أعوام في المستقبل

وأرسل تلغرافاً بفصل حسين سري باشا من وكالة الحكمدارية وتعيين الكولونيل دي كوتلجف بدله وهو انكليزي كان في الخرطوم منذ سنة بحمة سرية

وأرسل تلغرافاً ايضاً بتعيين عوض الكريم أبي سن زعيم قبيلة الشكرية مديراً للخرطوم وسنأتي علي ترجمته وأخباره بعد

وأرسل ايضا على لسان البرق أمراً بتعيين الفقيه عبد القادر بن أم صريوم  
قاضيا لقضاة السودان

### ذكر وصول غردون الى ابو حمد

وبعد مفادرتنا كروسكو ظللنا سائرين أربعة أيام بلياليها لم ندق الراحة  
فيها غير ساعتين في كل يوم وليلة وماؤنا وزادنا على ظهور المطايا لا يرى المسافر  
في تلك الصحراء القاحلة طيراً ولا وحشاً ولا شجراً حتي ألقينا عصا السفر عند  
آبار «المرات» وهي واقعة في منتصف الطريق بين أبو حمد وكروسكو وماؤها  
ملح لا يستقر في جوف شاربها حتي يأخذها الاسهل

وبعد استراحة ليلة وبعض يوم استأنفنا السير قاصدين أبو حمد  
وبعد مسيرة أيام وليال أخرى وصلنا أبو حمد وهي أول حدود مقاطعة بربر  
من جهة الشمال وأول حدود اقليم دنقلة من الجنوب وسكانها يقال لهم  
(الباطاب والمناصير) وهم من جنس قبيلة الجعليين التي سنتكلم عليها بعد  
وبلادهم قاحلة وكأها مكسوة بالاحجار ولا قوت لاهلها غير ما يجلب الي بلادهم  
من محصولات البلاد الشمالية والجنوبية

ويحكى ان رجلاً من الباطاب كان يأكل نوعاً من الحبوب اسمه  
(قوسيل) فسقطت من يده حبة وكان الظلام حالاً كما فصرخ صرخة ارتجت  
لها جوانب قريته فنسل الناس نحوه يصيحون هل لدغتك أفعى فقال سقط  
من يدي ثور قوسيل فاصططكت أسنانهم وسقطوا على الارض اعظم تأثرهم  
لانهم يعدون الحبة كشور من البقر والقوسيل نوع من اللوبيا

واستقبلنا في أبو حمد حسين باشا خليفة مدير بربر ومعه أعيان المديرية

فألقى عليهم غردون خطبة أبان فيها انه تجاوز عن كل المتأخرات لغاية سنة ١٨٨٣ كما انه تجاوز عن ضرائب ثلاث سنوات في المستقبل وانه أطلق لهم النخاسة وألقى الاوامر الصادرة بمنع هذه التجارة فقال له أحد شيوخ الاعراب انك حافيتنا من هذه الضرائب وانا لاناؤمن أن يخلفك حاكم آخر فيعود الى جبايتها مادامت اسمائنا في بطون الدفاتر فقال له صدقت وسأصدر الاوامر باحراق هاته الدفاتر لزيادة الطمأنينة فشكروا ودعوا له وللخديو

ثم قال لهم وبعد مضي الثلاث سنين أنظر في تخفيض الضرائب وتزيلها حتى تكون أقل بكثير مما هي عليه الآن ثم قال واني أحذركم من الزكون الي المهدي الكذاب خصوصا وأنتم تعلمون انه دقلي كاذب في كل ما ادعاه وانه لا يقصد غير تقويم معاشه وتسلمته عليكم فصاحوا جميعاً بصوت واحد انا ندافع عن سلطة الحكومة بما ندافع به عن أبنائنا وانه يستحيل علينا ان نخضع لهذا الكذاب فشكروا وأحسن على كثير منهم بالرتب والنياشين على ان ذلك كان منهم محض خداع لانهم كانوا يخشون ان يكون مع غردون جنود

ثم طير غردون رسالة تلغرافية الى السرافان بارنج يقول فيها ان المقابلة والمحادثة التي دارت بينه وبين الاهلين في أبو محمد تبشر بنجاح مأموريته وتزيد ثقته بالفلاح سيما وان الاهلين وعدوه بان يقبضوا على كل داع يقوم بدعوة المهدي بين ظهرانيهم

وقضي غردون جزءاً من الليل في مشاهدة الالعب التي أقامها الاهلون احتفاءً به وهي لعبة (الدلوكة)

وفي الغد استأنفنا السير على ظهور المطايا الى بربر حيث كانت البواخر في

انتظارنا وكنا كلما مررنا بقرية استقبلنا أهلها بالابتهاج والفرح وكان  
غردون يوزع عليهم الملابس والدرام وبعد مسيرة خمس مراحل وصلنا بربر  
فالفينا بها شزيمة من المساكر مصطفة في انتظارنا ثم أطلق واحد وعشرون  
مدفعاً ترحيباً بقدوم غردون وبعد الاستراحة في سراى المديرية ابتدئت  
المقابلات فدخل عليه قناصل الدول وحادثوه في شأن مأموريته ولم يخفوا  
عنه ما داخلهم من الارتياح في نجاحه فقابل تصريحاتهم بعدم الاكتراث  
ثم دخل عليه موظفو الحكومة فكانت آراءهم كأراء القناصل فقال لهم  
ان الجنود على اثرى قادمون من مصر ثم دخل عليه الاعيان فوعدهم بالاجتماع  
عنده بعد الظهر

وبعد تناول طعام الغداء عقد جلسة من الاعيان وكبار الموظفين للمشورة في  
أمر المهدي فقال له الاعيان ان المهدي اشتدت شوكته وخضع له السودان  
الغربي كله وان لديه من الاسلحة خمسين الف بندقية من طراز رامنجتون  
وخمسين مدفعاً وانه لا يخضع أبداً لما جئت به الا اذا رأى قوة تضارع قوته  
أو تربو عليها فقال لهم مهما يكن من أمره فان الحكومة الخديوية أقوى سبباً وان  
حكومة جلالة الملكة فيكتوريا تساعدها وانه لا بد من ان تقهره عاجلاً أو  
آجلاً ثم ختم أقواله بالقاء الاوامر المشددة على الكل بالاخلاد الى السكينة  
والابتعاد عن الهرج وأساباب الفتن

### ذكر مغادرة غردون بربر

وبعد قضاء ثلاثة أيام في الراحة من وعشاء السفر أبحرنا من بربر  
قاصدين الخرطوم على احدى البواخر وكنا كلما اقتربنا من الخرطوم نرى

من الاهلين نفوراً منا حتي بلغنا ( السبلوكه ) وبينما كانت الباخرة تمخر الماء  
 عند جبل الرويان اللذين هما جبلان على ضفتي النيل يخترقهما النهر اذ  
 سمعت صياحاً في الضفة الغربية فامسكت النظارة المعظمة فابصرت بها  
 عشرة أشخاص ممتطين خيولهم يصيحون بقولهم ( نحن مظلومون يا أفندينا )  
 ثم ابصرت كيفما خلفهم يبلغ مائتي فارس يتوارون وراء الجبل وخيل لي من  
 هيئة ملابسهم المرقعة انهم عصاة يقصدون الوقعة اذا القت الباخرة مرساها  
 فقلت لربان الباخرة الذي كان ممسكاً نظارته أيضاً ان هؤلاء يقصدون البطش بنا  
 ونحن ومستخدمو الباخرة لا يربو عددنا على خمسة وعشرين رجلاً وان  
 غردون اذا سمع صياحهم الذي لم يكن الا خدعة أمر برسو الوابور واذا  
 رسا الوابور وقمنا في حبالهم بلا ريب ولا سبيل لا قناع غردون بسوء  
 قصد كما انه لا سبيل لنجاتنا الا بشيء واحد وهو انه اذا أمرك بايقاف الباخرة  
 تستدر له بان هذا الشاطئ مملوء بالصخور ولا يمكن الرسو فيه فتردد الربان  
 في قبول ما أشرت به عليه وقال لي ان أمرت برسو الباخرة امثلت الامر  
 فاخذت ألح عليه وبينما نحن في المحادثة خرج غردون من غرفته وما كادت  
 اذنه تسمع الصياح حتى أمر الربان برسو الباخرة فامثل ولم يلتفت الى  
 ما حدثته به فقلت لنوردون ان هذا مكان قفر وليس حوله قرى وانني أرى  
 وراء هؤلاء الصائحين كيناً والأولي بنا ان نعدم بالنظر في ظلامتهم بعد خروجنا  
 من بين الجبلين فنضب غردون ولم يكثر بنصيحتي وقال لي أرى انك بعد  
 رجوعك للقاهرة فقدت ما كنت أعرفه فيك من الشجاعة والجرأة وأظن  
 ذلك نتيجة الانفاس في الترف فقلت له لم يكن شيء مما رأيت وظننت بل  
 انني رأيت الكمين وهو ما دعاني للريبة في أمرهم فازداد غضبه ودخل غرفته

وأعرض عني كل الاعراض وما كاد يبلغ غرفته حتي أطلق علينا أولئك  
المتظلمون النيران وظهر السكمين على سفوح الجبل فاطلع غردون فرآي  
العشرة صاروا مائتين يطلقون النيران علينا ويسبوننا بأقبح السباب فأخذ  
يضحك ويقول لي لا تؤاخذني يا عزيزي فوزي فقد بالقت في لومك مع  
ان الحق معك وأنا المخطيء

ثم انابهم خروجننا من بين الجبلين لم نر أجدا وعرجنا على مكان يدعى  
( ولد أبو حليمه ) فيه محطة للخشب الذي يوقد للسفن فالتت الباخرة مرساها  
لأخذ ما يلزمها من الخشب فالفينا بهذه الجهة شيئا كثيرا من الخشب ،  
مكائين متقاربين ولم نجد أحدا من الحفراء أو المتهمدين بجانبه فخرج نوتية الباخرة  
وأخذوا يحملون الخشب الى داخل السفينة وانا واقف أحثهم على الاسراع  
وخرج غردون وجلس في ظل شجرة تبعد عن النهر بنحو مائة ياردة

وبينا نحن دائبون على العمل لحث شخصا لم أكن رأيته قبل في السفينة  
فدنا مني وحياني فعرفته واذا هو جندي من جنودي الذين كانوا معي في خط  
الاستواء يعرفني جيدا ويعرف غردون فأجبت أن استطلع ما عنده من الاخبار  
فقطع علي الكلام وقال اني عائد من حيث جئت انما جئت لاختيرك للصدقة  
القديمة بيننا بان سكان هاته الجهة سمعوا بقدومك مع غردون وسيهممون  
عليكما في هذه اللحظة وانصرف مسرعا وعاد من حيث جاء فأمرعت الى  
غردون فوجدته غائبا في لجة أنكار فابتدرته بقولي قم بنا بسرعة الى الباخرة  
فقد طرأ أمر يمنعني من الكلام فقام معي مسرعا ولم يبد أقل مراجعة وضحمت  
بالنوتية ادخلوا الباخرة ولم نكد ندخل حتي هجم على السفينة عدد كبير فأسرعنا  
الى قطع الحبال وتأخر عن الدخول شخصان من النوتية لازدحام الطريق الموصلة

من البر الى السفينة فقتلها العدو وأخذ يطلق النار علينا ويسبنا  
وبعد ان توسطت الباخرة لجة النهر قصصت هلى غردون أمر ذلك  
المسكري فتعجب وأثنى عليه وعلى مروءته وأظهر رغبة شديدة في مكافأته  
على حسن صنيعه

ثم تابعنا مسيرنا حتى وصلنا أم درمان فألفينا بها نقطة من الجنود قابلتنا بالحفاوة  
وأطلقت المدافع وبعد ان تفقدنا حصونها تابعنا سيرنا الى الخرطوم  
على ان غردون استشعر بان مأموريته لن تصادف نجاحاً وانه كان مخطئاً  
في قدومه بلا جنود وانه تسرع ولم يتثبت في ارسال تلغرافه الى السرافلن  
بارنج ولكن كان عنده بقية أمل حيث كان ينتظر اجابة المهدي

### وصول غردون الى الخرطوم

ولما أبحرنا من أم درمان رست بنا الباخرة في ( المقرن ) أي نقطة  
اجتماع النيلين الابيض والازرق وبعد أن ادت الحامية التحية العسكرية أخذنا  
نتفقد الحصون فسر غردون من متانتها وأثنى على العساكر وشجعهم ثم  
استأنفنا السير الى الخرطوم وهناك ألقينا العساكر مصطفىين والاهلين  
محتشدين فخرجت من الباخرة انا والكولونيل ستيوارت صحبة غردون فاندش  
الناس وقالوا أمن هؤلاء الثلاثة يخاف المهدي ويترك التقدم علينا ان هذا  
لشيء عجيب

ولما وصلنا الى سراى الحكمدارية وقف غردون عند السلامك ودفع  
فرمان توليته الى الشيخ حسين المجدى رئيس أساتذة المدرسة الاميرية فصعد  
على منبر الخطابة وقرأ الفرمان بصوت مرتفع والناس منصتون لسماعه كأن



الطائر على رؤسهم ثم أطلقت المدافع ثم صعد على المنبر ابراهيم بك مأموراً بالخطبة  
وأخذ يلى عليه هذه الخطبة وهى «يا أمهالى السودان عموماً ان الجناح العالى  
الحديوى يسلم عليكم صغيراً وكبيراً أحراراً وعبيداً انا وذكوراً وكذلك جلالة  
الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وامبراطورة الهند وانكم لا تجهلون  
شفقتى عليكم ومحبتى لكم وقد ساءنى ما سمعته عنكم حيث نشبت الحرب  
بينكم وتعلت تجارتمكم وسفكت دماؤكم ومنذتم من تادية فريضة  
الحج التى هى من أركان الاسلام وزيارة قبر النبي عليه السلام وقد أساء هذا  
الحال كلا من جلالة الملكة وسمو الحديو المعظم فانتدبت من قبل حكومة  
جلالة الملكة لا كون واليا على السودان ومرخصاً فوق العادة وقد صار  
فصل السودان عن مصر فصلاً تاماً وفوض الى الحكيم المطلق وقد خابرت  
حضرة السيد محمد أحمد المهدي بفجوى مأمور بتي واعترف له بالسلطة المطلقة  
على السودان الغربى برمته على شرط ان لا يمد يده لغيره. هذا وقد الغيت  
جميع الاوامر الصادرة بمنع تجارة الرقيق وتجاوزت عن جميع المتأخرات  
من الضرائب لغاية سنة ١٨٨٣ وقد تجاوزت أيضاً عن ضرائب ثلاث سنوات  
منذ أول سنة ١٨٨٤ وأمرت باحراق دفاتر المتأخرات وأمرت باطلاق جميع  
المسجونين على اختلاف جرائمهم وتنوع جنائياتهم وعزمت منذ الآن ان  
لا يكون أعضاء حكومتى الامن الوطنيين حيث اننى اود تشكيل حكومة وطنية  
ليحكم السودان نفسه بنفسه وقد عينت عوض الكريم اباسن مدير الاخرطوم  
وأحسن عليه برتبة الباشوية ولى الامل بان العلائق ستصبح بينى وبين  
سلطان العرب وثيقة العري وقد أمرت منذ اليوم بفتح ابواب الحصون  
واتلافها وسحب الجنود منها لتلقتوا الى عمران بلادكم وحرث اراضيكم

وانما تجارتكم ومنى عليكم السلام ءاه وكان أهل الخرطوم يسمعون هذه  
الخطبة ودموعهم تنهر من أعينهم حيث كانوا موقنين بان هذه سياسة  
خرقاء وأن المهدي سوف يتقدم نحوهم ويقهرهم  
ثم دخل عليه العلماء مسلمين وقالوا له إنا نصبح قتلي وأسرى في الغدان  
اتلفت شيئاً من الحصون وإن المهدي لا يلتفت الي شيء مما دعوته اليه ولا  
يرده عن نفيه غير جيش جرار وإن من حولنا من الأعراب متحفزون للوثبة  
علينا فإظهر لهم التردد ولكنه كف عن تخريب الحصون وتدميرها  
وعلى أثر ذلك هجر المدينة كثير من الناس قاصدين القطر المصري  
واستقال كثير من الموظفين ومنهم السكولونيل دي كوتلجن فتعجبت من  
أصرار غردون على رأيه الأول بعد أن رأي الخطر الذي أحدق بحياته مرتين  
في الطريق وعلم اجماع الآراء على عدم نجاحه

### ذكر عبد القادر بن أم مريوم

عبد القادر بن أم مريوم فقيه من أهالي القرى التي حول الخرطوم  
وأهالي هذه القرى كانوا يثقون له ويؤمنونه فقصده غردون توليته القضاء  
رجاء أن يؤثر بنفوذه على أهالي هاته الجهات ويمنعها من الدخول في دعوة المهدي  
ولما وصل غردون الخرطوم وفد مسلماً عليه فأكرم وفادته وأحسن  
عليه بثلاثمائة ريال فأخذ يقول على رؤس الأشهاد أن محمد احمد كاذب في  
دعواه وأنه لم يكن مهدياً وبعد قبضه الثلاثمائة ريال قال لغردون اني ذاهب  
الى قريتي لا عود بمائتي وعشيرتي فقال له غردون أخشى ان لا تمود فقال  
له أقسم بسبعة إيمان يعرضن على الله لا عودن بمائتي وعشيرتي وانني أموت

على ولاء الحكومة وطاعتها ولوليتي من عساكرها واحد فاني اكون الثاني  
فاذن له غردون في العودة الى قريته واكد عليه في الاسراع بالتقدم وشيعه  
الى الباب

وفي اليوم التالي ورد على غردون كتاب من عبد القادر المذكور يقول  
فيه انني أنصح لك ولئن ملك من الموظفين ان تسلموا للمهدي المنتظر  
الذي من شك فيه فقد كفر وان النبي صلى الله عليه وسلم بشرني به منذ  
ثلاث وثلاثين سنة وقال لي صلى الله عليه وسلم انك تصير أحد وزرائه فتغيظ  
غردون من هذا الكتاب وكتب منشوراً قال فيه من جاءني برأس عبد القادر  
ابن أم مريوم فله جائزة الف جنيه ولحق عبد القادر بالمهدي فمقد له لواء  
بالامارة على كل أهالي القرى المجاورة للخرطوم وفي يوم سقوطها دخل منزل  
محمود محبي الدين أحد أعيان المدينة وقتل صاحبه وسبي نسائه

وجاءت هذه الحادثة من اللواتي آذن بان مساعي غردون ذاهبة ادراج  
الرياح وانها لا تجدي نفعا ولا تفي فتبلا

### ذكر عوض الكريم ابن أبي سن

قلنا ان غردون عين عوض الكريم ابن أبي سن مديراً للخرطوم  
واهداه لقب باشا وعوض الكريم هذا زعيم قبيلة (الشكرية) وهي رحالة تسكن  
شرقي النيل الأزرق في صحراء (ريره) الواقعة بين نهر اتيهه والنيل الأزرق  
وماشيتها من الابل والبقر كثيرة جداً وعدد نفوسها زهاء خمسمائة ألف  
نسمة ورجالها مشهورون بالشجاعة وقوة الباس وعندهم من الحياول العربية الجيدة  
كثير وكان أحمد باشا أبو سن والد عوض الكريم مديراً للخرطوم وزعيماً

لهذه القبيلة وقبيل وفاته قدم القاهرة وقدم لالخديو اسماعيل باشا هدايا كثيرة وتوفي بالقاهرة بغتة خلفه ابنه عوض الكريم في زعامة قبيلته

ولما ظهرت دعوة المهدي كانت قبيلة الشكرية وزعيمها من أصدق القبائل ولاء للحكومة واجتمع منهم نحو عشرة آلاف مقاتل ساعدوا الحكومة على اخماد الثورة التي أضرم ناراها الشريف أحمد طه الذي تقدم لنا ذكر واقعته وقتله وشهد عوض الكريم وكثير من رجاله أكثر الوقائع مع عبدالقادر باشا حامي وبالجملة فإن هذه القبيلة حافظت على ولاء الحكومة ولم تؤثر تحريضات المهدي على عقول زعيمها وعشيرته أسرة أبي سن

ولما فتك المهدي بحملة الجنرال هيكس وانتشرت دعوته في السودان الاوسط حوالى الخرطوم كانت قبيلة البطاحين التي تسكن غرب صحراء ربه قد دخلت في دعوة المهدي وقبيلة البطاحين هذه رحالة أيضا وماشيتها كماشية قبيلة الشكرية الا انها أقل منها نفوسا اذ لا تبلغ نفوس قبيلة البطاحين خمسين ألف نسمة ولكن رجالها مشهورون بالقوة والاقدام وهم لصوص يقطعون الطرق في كل أنحاء السودان فلا تكاد تكون عصبة لصوص أو قطاع طرق الا من البطاحين ولما دخلت هذه القبيلة في دعوة المهدي وقويت شوكة الداعية محمد بن الطيب البصير ابتعدت قبيلة الشكرية عن ضفة النهر وأوغلت في الصحراء الى قرب نهر أتبره فاوعز ابن البصير الى قبيلة البطاحين بمناوأة قبيلة الشكرية والغارة عليها لسلب ماشيتها

وكان عوض الكريم يقصد من الدنو من نهر أتبره مقابلة بيكر باشا حينما عزم على فتح طريق من مصوع الى كسلا ومنها الى الخرطوم حيث يخترق صحراء ربه ثم لما عاد بيكر باشا الى سواكن وفشلت حملته كانت عيون

عوض الكريم تأتية بالاخبار من سواكن عن حركات الجنرال جراهم وكان  
 مؤملا الاجتماع باى جنود تتقدم لتعزيز حامية الخرطوم أو انقاذها  
 ولما حصر المهديون كسلا أحدثت الاخطار بقبيلة الشكرية وكثرت اعتداءات  
 البطاحين عليها فعمدت الى مظاهرة المهدي وكتبت له بالخضوع والطاعة  
 وسألته ان يعتبرها خاضعة له فكان جوابه لها أن ذلك لا يكون بغير انضمامها  
 الى محمد بن البصير واتحادها معه لقتال جنود الحكومة فكانت تعذر تارة  
 بمرض زعيمها وأخرى بتوالى غارة البطاحين عليها

ولما وصل غوردون الخرطوم بعث بكتاب الى عوض الكريم باشا ابى  
 سن يعلمه بتعيينه مديرا للخرطوم ويدعوه لاستلام منصبه فوصل الرسول  
 مع رسول قادم من المهدي بكتابين لعوض الكريم وسائر أفراد اسرة ابى  
 سن فاختل عوض الكريم وأسرته برسول غوردون وسألوه همل جاء معه  
 بجنود فقال لا ولكنهم سيحبون فثنا عوض الكريم التراب على رأسه  
 وقال يا ضيعة الأمل ثم كتب الى غوردون بخرج موقفه وعدم قبوله هذا  
 المنصب وأرسل اليه بالكتابين اللذين جاآه من عند المهدي وزاد ان البطاحين  
 يسافرون بكثرة الى بربر ليساعدوا داعية للمهدي قدم اليها ولا بد انهم  
 يتغلبون على بربر وان بقائي في هذا المكان انفع لك من قدومي الى الخرطوم  
 اذ لا بد لي ان اظهر آية نجدة تتقدم اليك من شرقي السودان فوق رايه موقع  
 القبول والاستحسان عند غوردون فاقره عليه وهاهي صورة ما جاء في الكتابين

« الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن  
 العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الي أحبابه في الله واعوانه على سكة

رسول الله عوض الكريم أحمد أبي سن وعبد الله أحمد أبي سن وعبد الله أحمد أبي  
 سن ومحمد أحمد أبي سن وعمارة أحمد أبي سن وعبد القادر أحمد أبي سن والأمين  
 أحمد أبي سن وأبي عاقلة أحمد أبي سن وحسان أحمد أبي سن وعمر أحمد أبي سن  
 ومحمد عوض الكريم وعلي عوض الكريم وعبد الله عوض الكريم ومحمد  
 عوض الكريم وموض الكريم أحمد وأخوانهم وأولادهم وعشيرتهم  
 وقبيلتهم أحبابي ان الدنيا ظل زائل ونعيمها مائل هائل وسرورها غم وراحتها  
 تعب وهم والركون اليها غرور وكفي بذلك شهيدا وما الحياة الدنيا الا متاع  
 الفرور وجمعها شتات وشتاتها عقل وثبات والتخلي عنها نعيم والتخلي بها نار  
 وجحيم ومكرها خفي حائق والالتفات لها عن الله عائق والتماق بها خول  
 وبوار والسعي في طلبها دمار وخسار والتمتع بعيشها ضرر والفرح بها انقباض  
 وكدر والتنعم بها بؤس وطالع سعدها غارب منحوس وشرابها سراب وصفائها  
 عقاب وحلوها مر وميلها غدر وحنانها قطيعة وصلتها فظيعة وعاقبتها ندم  
 ووجودها محض عدم وخيرها يسير وحسابها كثير وطلبها وبال وبقاؤها محال  
 وعلوها سفلى والاجتهاد في طلبها حق وجهل وكفي في التحذير منها والتباعد  
 عنها قول الله المتين « وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب » ولا يغتر باللعب والهوى الا  
 الخامدون وقول النبي الاواب الناطق بالصواب « لو كانت الدنيا ترن عند الله  
 جناح بعوضة لما سقي كافرا منها جرعة ماء » فانظروا رحمكم الله الى خسرتها وما  
 فيها ودم خالقتها وباريها ومبدعها ومنشئها ورسوله المأمون الذي أوضح للخلق  
 السر الممكنون فكيف بعد هذا تركنون اليها وتعدونها دار اقامة مع انها جنة  
 أعدائكم المبعدين عن رحمة الله والكرامة ولو كانت فيها خير للمؤمنين  
 السالكين طريق خير المرسلين لما خرج منها صلي الله عليه وسلم ولم يضع

ابنة على ابنة ولما زهدوا الصحابة ونظروها حقيرة ممتنة أmaalكم في رسول الله  
 اسوة حسنة واتباع لسيرة أصحابه الواضحة المستحسنة فاخرجوا عنها فانها  
 ذميمة وتجنبوا نتائجها فانها عقيمة واصبروا على شدائدنا وبلاياها واجاهدوا  
 النفس وصدوها عن ركوب مطاياها وشدوا أزركم على اقامة الدين وعلى اعداء  
 الله الكافرين والخروج عن طاعتهم وتشتيت شملهم وتفرق جماعتهم وبارزهم  
 بالمعصيان لتنالوا كمال الرضوان وقاتلوهم فانهم مخذولون واجاهدوهم فانكم  
 عليهم منصورون وشعروا في ذلك عن ساعد الجد والاجتهاد لنيل غاية القصد  
 وبلوغ المراد وقابلوهم بعزم قوي وصدق نية وغيره وحماية وحسن طوية  
 وارغبوا فيما أعد الله للمجاهدين وابدلو نفوسكم وأموالكم في الله طمعا  
 فيما ادخر لانصار الدين قال الله تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم  
 وأموالهم بأن لهم الجنة » فكيف بمد ان جعلت الجنة ثمنا للنفوس والاموال  
 تتأخرون عن الجهاد ولا تبادروا اليه بكامل الاحوال ما هذا التواني والتأخير  
 وأنتم لا تملكون لانفسكم نفيرا ولا قطمير وخذوا بزمام حزمكم وسارعوا  
 الى مغفرة من ربكم وبادروا الى قول نبيكم ايما عبد من عبادي خرج مجاهدا  
 في سبيلي وابتغاء مرضاتي ضمنت له الجنة ان أرجعته أرجعته بما أصاب  
 من أجر أو غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته أو كما قال فكونوا عباد الله  
 إخوانا في الدين واجاهدوا في الله فان الانهماء في الدنيا ضلال مبين وقاتلوا  
 الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ولا تهنوا في ابتلاء القوم  
 ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وأعدوا  
 لهم ما استطعتم من قوة ولا تتأخروا عن جهادهم وخذوهم بقوة وذلك  
 بانضمامكم مع محمد الطيب البصير وإصمال الرأي والمكيدة وما يجب للمعدو

والتدمير واعتمدوا على الله العالم بما في الضمير وأخلصوا النية فان خلوصها  
 مطاياكم وحسنوا الظن في عالم سرهم ونجواكم وكونوا يداً واحدة وشدوا  
 بعضكم بعضاً فانما الرجال بالاخوان والمعاضدة وتيقنوا ان عفونا لكم عن  
 الهجرة ورضانا عنكم مقرون بذلك ولا تأخذكم نخوة الجاهلية والتفاخر  
 بالآباء فان الله عالم بما هنالك بل أفيقوا من سكرة الغفلات واندموا على الزمن  
 الذي صرفتموه في البطالات فان الدنيا ذهبت والآجال اقتربت وطلب الآخرة  
 أصنى لكم وانقضى وما عند الله خير وأبقى واحرصوا على ما فيه نجاحكم وفلاحكم  
 واعلموا ان الجهاد فيه صلاحكم ورباحكم وإياكم وسماع قول من يفرمكم ولا  
 ينصحكم ويحسن لكم ما فيه هلاك نفوسكم وفي مهاوى الهلاك يطرحكم  
 وتيقنوا ان صحبتنا مبنية على الانكسار وصفاء المرائر من دنس الافكار  
 واطلاق النفوس من سجن حب الدنيا وطلب ما أعد الله للمجاهدين  
 والمتقين من الرتب العليا فان كنتم صادقين في جوابكم المحضر اليها بالصحبة  
 والاتباع فخرضوا قبائلكم وعشيرتكم واحضروا بانفسكم ثلوا كمال المزية  
 وحسن الارتفاع وكونوا أنتم ومحمد البصير في المعاونة على شعائر الدين يداً  
 وساعدوا واحذروا الكبير الذي يصمد عن الله ويباعد في الحديث القدسي  
 العظيمة ازارى والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما غمسته في ناري واشتاقوا لما أعد الله  
 للمجاهدين حيث قال في كتابه العزيز « ولا تحمين الذين قتلوا في سبيل الله  
 أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون  
 بالذين لم ياحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فاعتبروا  
 يا أولي الأبصار وانظروا بعين الحقيقة والاستبصار والسلام



« الثاني » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم  
( وبعد ) فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى أحبائه عوض  
الكريم أحمد أبي سن والطيب محمد وحمد احمد أبي سن وعبد الله أحمد أبي  
سن وعبد الله أحمد أبي سن ومحمد احمد أبي سن وعمارة أحمد أبي سن وعبد  
القادر أحمد أبي سن وأبي عاقلة أحمد أبي سن والامين أحمد أبي سن وحسان  
احمد أبي سن ومحمد عوض الكريم وعلى عوض الكريم وعبد الله عوض  
الكريم وحمد عوض الكريم ويوسف أحمد أبي سن وأولاد محمد أبي سن  
وجميع آبائهم وعائلتهم وخواصهم أحبائي قد قال الله تعالى لئن لم  
عليه وسلم « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على  
نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه  
غفور رحيم » ومعلوم انكم تعلمون ان الله أنزل القرآن ليهتدى به وهو الذي  
هدي به نبيه صلى الله عليه وسلم وهو شفاء ورحمة للمتنقين فامنعوا النظر فيما  
دل اليه وآمنوا بما جاء من عند الله يقين فان المؤمنين قد وحدوا لله بما  
سمعوه فيه من آيات الانفس والآفاق فلما نظروا انه لا يقدر على ذلك أحد  
سواه وعلموا ان ملكوت كل شيء بيده لم يخافوا الا من الله ولم يرجوا  
سواه فمن له نور بالتصديق بما عند الله آثره على كل شيء ولا سيما اذا  
سمع قوله تعالى « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى » والاحوال  
السابقة معلومة وقد علمتم فوات ما رغب فيه من متاع الدنيا من قبلكم فاذا  
صدقتم وعلتم اني داع الي الله لمصالحكم التي لا يمود عليكم سواها وكل  
ما آثرتموه من متاع الدنيا فانما يمود بالحسرة الطويلة عند الفوات كما حصل

لمن سبق فأفبقوا فانكم عقلاء وأهل قريحة فلا تضيعوا فيما قال الله فيه  
 « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » فإذا بلغكم جوابي  
 هذا وكنتم مصدقين كما حسنا فيكم الظن بحسب مجاوبتكم وما أسررتوه  
 من بعض الاحسان على الاهل بحسب حسن الظن وكل ذلك لا يخلص  
 الانسان بل يخلصه صفاه وحسن تصديقه لما عند الله الذي يوجب له ايثار ما عند  
 الله فان الذين كانوا جامدين على مام فيه من الجاه والمال احتجبوا عن الاتباع  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كانوا ينتظرونه ويستفتحون به فلما جاءهم  
 ما عرفوا كفروا به خوفاً من فوات المال والجاه وخوف الخلق والطمع في  
 المال فاخلصوا لله كما كتبتم الاتباع فانه لا يخلص عند الله الا الاتباع الحالي  
 من النفاق الذي هو ايثار الآخرة على الدنيا واذا آثرتم الآخرة وعلمتم ملكية  
 الله وانه لا اله الا الله وان الذي أخبرنا بخسة الدنيا ونفاسة الآخرة بمقاله وحاله  
 محمد رسول الله صادق أمين فاخرجوا عن ملكية الترتك واستعملوا شرع الله  
 ولو متم في ذلك فان الدار الآخرة والحياة حياتها ولا متاع خال عن طول  
 الندم الا متاع الآخرة ولا والي في الدارين ولا حبيب غير مفارق الا الله  
 فأنبؤوا للآخرة وثقوا بالله واصبروا على بلاء الله الذي فيه لكم التصفية  
 وتكثير الدرجات الدائمة ولا تقفوا مع الزائلات فيفوتكم بها خير الدوام  
 ومع هذا فشمروا على احياء شرع الله في أنفسكم ومن معكم ولا تتبعوا الا  
 طريق الرسول صلى الله عليه وسلم الي أن يأتيكم منا أمر أو نأتي بالبحر الابيض  
 فتلحقوا بنا فيه واكتفوا بالله وأنبيوا اليه ولا تلتفتوا بعد هذا الى غير الله قال  
 الله تعالى « وأنبيوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون  
 واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم

لانشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين الآية وأيضا من المعلوم ان المنيب لما عند الله الذي عرف قدرة الله تخاف منه يمثل أمر من ولاء الله للدلالة اليه والدعاية الى ما عنده فان لم يمثل ويدخل في التسليم في جميع الامور حارب الله ورسوله فاذا وصلكم جوابي وكنتم مؤمنين مطيعين لله فكفوا عن البطاحين وان كان لكم عليهم تبعات فاصبروا حتى يحكم الله بينكم على يدنا فيوصل لكل ذي حق حقه والسلام ربيع الاول سنة ١٣٠١

### غردون وابن البصير

ذكرنا ما كان من أمر ابن البصير ودعوته للمهدي في الخلاوين وسائر بلاد الجزيرة وانه كان في قلة وقد سعت الحكومة في القبض عليه فلم تفلح

ولما وصل غردون الى الخرطوم كتب الى ابن البصير كتابا يخبره فيه باعترافه بسلطة المهدي على السودان الغربي وان بلاد الجزيرة خارجة عن دائرة نفوذه وأن قيامه بدعوة المهدي في تلك البلاد مخالف لهذه المعاهدة وانه اذا كان لابد من بقاءه تحت سيادة المهدي فليغادر الجزيرة ويلحق به أو ليكن خاضعا لأمر غردون ودفع الكتاب الى رسول أصله من الذين وقعوا في أسر الحكومة من العصاة

ولما وصل الكتاب الى ابن البصير جمع أهل مشورته وتلا عليهم الكتاب فقالوا بلسان واحد انه . ضرب من الشعوذة ونوع من الاسحار واننا نحن

انصار الدين وقد عصمنا الله من أن يؤثر فينا هذا السحر فكتب ابن البصير الى غردون كتاباً تحاشى عن ايراده لما تضمنه من الشتم وبذاءة القول في حق غردون وجلالة الملكة فيكتوريا والتهديد حيث قال له اننى قادم عليك ومتحفز لمناجزتك ايها الكافر ولما اطلع غردون على الكتاب مزقه لشده تأثره مما تضمنه من الاهاجى السافلة وجاء كتاب ابن البصير ضغتنا على ابالة حيث لم يبق عند غردون ذرة من الامل وامر بترميم الحصون وإصلاح ما تلف منها واخذ في إعداد معدات الدفاع والتأهب للطوارئ

## ذكر خطاب المهدي لغردون

ذكرنا ما كتبه غردون للمهدي وما اهداه له من الملابس ونقول الآن لما وصلت الهدية والكتاب للمهدي كتب الى غردون كتاباً ضمنه الاحتجاج عليه بعدم جواز ولايته على المسلمين ودعاه فيه الى الاسلام وعرض له بذكر خضوع دارفور له وانتشار نفوذه في جميع انحاء السودان الغربي وبعث له بصور الانذارات التي خاطب بها يوسف باشا الشلالى ومحمد سعيد باشا حاكم كوردفان والجنرال هيكس وقد تقدم لنا ايراد انذار يوسف باشا الشلالى فلا حاجة الى اعادته هنا

وعرض له بذكر سلاطين باشا وغيره من الذين دانوا بطاعته وذكر تاجرا يونانيا اسمه ديمتري سجاهه اعتنق الاسلام وحسن اسلامه وأرفق الكتاب بآخر شكر فيه غردون على الهدية التي اهداها له واعتذر عن قبولها بعدم حاجته الى مثلها لان ملابسه مما يلبسه الزهاد الذين يعرضون كل الاعراض عن متاع الدنيا وذكر انه مرسل بهدية الى غردون

من نوع ملبسه يسأله قبولها والتخلي بها اذا وفقه الله لاعتناق الاسلام  
وكتب على ظهر الغلاف بخط يده ان محمد سعيد المسلماني الذي كان اسمه  
جورجو اسلامبوليه اخبرني بأن السيد أفندي نعيم الاجزاي يعرف لغة  
اوربية فاسألك ان تقف على ماحواه الكتابان ولترجمهما هو لك والسيد أفندي  
نعيم هذا كان صيدلى الحكومة بالخرطوم وأصله مصرى ومحمد سعيد أو جورجو  
تاجر سوري وقال المهدي في كتابه الى غردون ان محمد سعيد باشا مدير كردفان  
بعد ان مات جاء خبر بانه صار من السعداء بسبب انه بايعه وجلس معه وهما في  
صورة ما جاء في الكتابين وصورة انذار وصل الى هيكس قبل مقتله بايام

### « الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم  
وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى عزيز بريطانيا  
والخديوية غردون باشا قد وصانا جوابك وفهمنا ما فيه وانك تزعم ارادة  
اصلاح المسلمين وفتح الطرق لزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام واتصال  
المودة فيما بيننا وبينكم وحل المسيحية من النصاري والمسلمانيين وان تجمعنا  
سلطانا على كردفان فاقول والامر لله اني قد دعوت العباد الى صلاحهم  
وما يقربهم من ربهم وان يفرغوا من الدنيا الفانية الى دار البقاء ويعملوا ما  
يصلحهم في آخرتهم وقد كتبت الى حاكم دار الخرطوم وأنا « بآبا » بدعايته الى  
الحق وبان مهديتي من الله ورسوله ولست في ذلك بمتحيل ولا مرید ملكا  
ولا جاها ولا مالا وانما أنا عبد أحب المسكنة والمساكين واكره الفخر  
وتعزيز السلاطين ونبؤهم عن الحق المبين لما جبلوا عليه من حب الجاه والمال  
والبنين وهذا هو الذي صدهم عن صلاحهم وأخذ نصيبهم من ربهم فاخذوا

الفاني وتركوا الباقي واشتغلوا بما لا يكون من الفانيات ولم يسموا قول الله  
 ولا رسوله ولم يذكروا خبر القرون الذين لم ينف عنهم ذلك شيئاً وندموا  
 على قدر الذي تمتعوا به فايدنى الله تعالى بالهدية الكبرى لدلائهم الى الله  
 تعالى وليتركوا العز الفاني والنعيم الفاني الى العز الدائم الابدي في دار النعيم  
 المقيم ولا عرفهم ضرور من يريد لعاجلة ويظن انه ساع في رضى الله ويكون  
 له نصيب في الآخرة وقد قال المسيح عليه السلام يا معشر الحواريين ابنوا  
 على موج البحر داراً لتلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً ومن ظن انه يخوض البحر  
 من غير بلل فهو مغرور فكذلك من ظن انه يجمع الدنيا ويريد عزها  
 وجاهها ويكون له في الآخرة شأن. فأنب الى الله الباقي واخضع لجلاله واطلب  
 عز الآخرة ولا تظن ان هذه الدنيا دار حتى تسمى للمسكها وعزها وكيف  
 من يكون على خلاف طريق النبي صلى الله عليه وسلم يفتح باب زيارة قبره ولم يكن  
 النبي صلى الله عليه وسلم ممن يرغب زيارة الكلاب كما ورد ان الدنيا جيفة  
 وطلابها كلاب ولم يكن يرضى من عبد غير الله ونسي الله واعرض عن كلامه  
 وطلب متاع الحياة الفانية فان كنت شقيقاً على المسلمين فبالاولى اشفق على  
 نفسك وخلصها من سخط خالقها وقومها على اتباع الدين الحق باتباع سيدنا  
 محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أحى ما اندرس من ملل الانبياء  
 والمرسلين وأتى مصداقاً لما بين يديه من الكتب لجميع الانبياء عليهم السلام  
 لو حضروه لما سلكوا غير ملته وكلهم يتذنون ان يكونوا من أمته ومن حضر  
 بعثته ومن بعدهم لا يقبل منه دين غير دينه فطهر نفسك أولاً بالدخول في ملته  
 ثم أشفق على أمته بسلوك سنته فمعد هذا تكون الشقيق ومن غير هذا فمالك  
 من المحقين رفيق كيف وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود

والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين» الى ان قال «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون» واننا قد امتثلنا أمر الله فما نتخذ وليا الا الله ورسوله والمؤمنين وعلى ذلك قد وعد الله بالغلبة كما سمعته من قول الله هذا حيث ان الله يقول هم الغالبون فلا غلبة لغيرهم فان رجعت عما أنت عليه من ملة غير الاسلام وأثبت الى الله ورسوله واخترت الآخرة تتخذك وليا وتكون من اخواننا وتكون المودة المطلوبة عند الله ورسوله وتكون ممن امثل أمر الله بعد هذه الآيات فاستحق الوعد والبشارة في قوله تعالى «ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» الآية فبعد هذا تتصل المحبة والمودة فيما بيننا وبينك وتكون ممن عمل بالقرآن والتوراة والانجيل وتكون قد اتبعت باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عيسى وجميع الرسل والنبيين وحزت الخير الابدي والا حيث علمت ان حزب الله الذين وليهم الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون من كلام الله فاعلم ان حزب الله واصل اليك ومزيل لك عما شاركت به خالقك فادعيت ملك عباده وأرضه مع ان الارض لله يورثها عباده الصالحين وأما المسلمانيون والمسيحيون الذين دعوت الى اطلاقهم اليك فانا أريد لهم الصلاح والنفع عند الله وفي دار الابد كما أريده لك ولكافة عباد الله فلا أبعدهم من جنتهم الى محنتهم فان الله قد أيدني رحمة للمبادلات قد هم من الهلاك الذي هم واقعون فيه لولا رحمة الله بظهوري فيهم واعلم اني

المهدي المنتظر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا حاجة لي بالسلطنة  
ولا بملك كدخان ولا غيرها ولا في مال الدنيا ولا زخرفها وانما أنا عبد الله  
دال على الله والي ما عنده فن كان سعيداً آجاني واتبعني ومن كان شقياً أعرض  
عن دالتي فازاله الله عن موضعه وأذله وعذبه عذاب الابد وقد أيدني الله  
تعالى بالانبياء والمرسلين والملائكة والمقربين وجميع الاولياء والصالحين لاهياء  
دينه وقد بشرني النبي صلى الله عليه وسلم ان جميع من يلقاني بعداوة يخذله الله  
ويهزمه ولو كان الثقلين الانس والجن فلا تستر قهلك كما هلك اخوانك  
فافهم وسلم تسلم. وأما الهدية التي أرسلتها لنا فعلي حسب نية الخير جزاك الله  
الخير وهداك الى الصواب واعلم انه كما كتبنا لك أنا لا نرغب متاع الحياة  
الدنيا وزينتها وانما هي قصد المترفين الذين لم يكن لهم عند الله نصيب فهاهي  
مرسولة اليك مع ما نرغبه من اللبس لنفسنا ولاصحابنا الذين يريدون الآخرة  
ويرغبون فيما عند الله من الخير الباقي الابدی ليستحقوا بذلك نعيم الابد  
وملك الدوام كما درج على ذلك الانبياء والمرسلون وجميع السعداء من عباد  
الله الصالحين وتعلم ذلك أنت حقيقة من سيرة عيسى عليه السلام وحواريه  
وقد قال كبيت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدي فتعلم بذلك ان من خالفه من  
الاحبار والرهبان وجميع من يدعي اتباعه ليسوا محقين وانما غرهم الحياة  
الفانية والامتنعة الآيلة الى ان تكون جيفة وعذرة ثم عدما محضاً فتكون  
حسرة ونداما عند فراغها لما فوتته من اكتساب خيرات الدوام ثم ان مثل  
هديتك عندنا كثير ولكن أعرضنا عنه طلبا لما عند الله وأقول في ذلك كما  
قال سليمان عليه السلام بلقيس وقومها اتمدون بما آتاني الله خير مما آتيكم  
بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم



منها اذلة وهم صاغرون» واعلم انك اذا أتيتنا مسلماً نريك ونريك من النور  
 ما يطعن به قلبك ويحول به طمعك في الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك ان رأينا  
 فيك خيراً وصلاًحاً للمسلمين وليناك كما فعلنا ذلك بمحمد خالد المشهور بقرق  
 مدير (دارا) سابقاً فانه لما أتانا ورأى الحق وفرح بقلاننا غاية وندم على ما فات  
 مما ضيعه من عمره في الفاني واطمان قلبه بالله واختار الآخرة ووثق بالله  
 وليناه على دارفور وقد كتب لنا قبل ذلك عبد القادر سلاطين بالتسليم  
 فاكرمناه والى الآن نريد كمال تربيته وهو الآن في خير كثير وكذلك السيد  
 جمعه الذي كان مدير الفاشر الآن أرسلنا الى محمد خالد المذكور يأتي به الينا  
 لسكمال التربية والارشاد وبلغنا حسن اسلام الدمترى سباده وصدق اتباعه  
 لنا وابنته للآخرة وكذلك جميع أمراء النقط بدارفور قد اذعنوا لله كباقى  
 سلاطين دارفور وسلموا جميعاً أمرهم الينا في حب الله ورسوله فحسن تسليمهم  
 واتباعهم لنا وكذلك الملك آدم مك جبال تقلى الآن أتى مهاجراً لما رأى الحق  
 وحسن اتباعه وصدقه وقد اكرمناه وهو الآن معنا بخير كثير وهلم جرا  
 فكل سعيد لا بد ان يتصل بنا من جميع أقطار الارض ومن أي لا بد ان يخذله  
 الله ويمدبه في الآخرة كما أشار الى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم مراراً وليكن  
 معلوماً عندك يا حضرة الباشا ان جميع الذين قتلوا على يدي قد اندرتهم أولاً  
 انذاراً بليغا وهاهو واصل اليك انذار ولد الشلال بعد مخاطبته لى وانذار  
 هكس باجوبة عديدة للعامّة وجواب مخصوص له ولا كابر جيشه وقد أرسلنا  
 الى باشة الابيض بجواب فقتل رسلنا وبعد أن وقع في يدنا اكرمناه واعطيناه  
 جبة جميلة ليتدرج الى الصدق مع الله ولازلنا نكرمه ونعظمه ليقندي بنا  
 ويصدق مع الله فيكون من الاصحاب الذين هم كالنفس فلم يصدق ولا زال

يقع فيما يهلكه ونحن نصفيح عنه حتى أخذته نيته فمات ومع ذلك لاجل مبايعته  
ومجالسته معي اياما قد اتانا خبر بعد موته أنه عفى عنه في الآخرة فصار من السعداء  
والعبد اذا كان يسعد في الآخرة فهو المقصود ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها  
بل انما متاعها يكثر الحسرة والحسب فقط يوم القيامة ونيتي بالعباد سعادتهم في  
آخرتهم الابدية وازالة الهلاك عنهم من الله ولذلك لاطفت جميع الاكابر وأهل  
الدولة بالقول والفعل ليمرفوا ما عند الله فيرغبوا فيه. ويتركوا الحسب الفاني  
وهكذا جميع من وقع في قبضتنا من الاكابر من اهل الدولة والحكام ما عملنا  
معه الا الخير والاكرام فن صدق منهم معنا فهم الآن في خير كثير وازدياد  
شرف والسلام - جماد أول سنة ١٣٠١

وبعد هذا البيان فان اهتديت وسلمت لي واتبعني حزت شرف الدنيا  
والآخرة وفزت باجررك وبأجر جميع من اتبعك والا هلكت فكان عليك  
اثمك ومثل آثام جميع من اتبعك وان كان لك حسن نور في العقل تعلم اني خليفة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تتهمني فيما أسوق به الى الله والدار الآخرة  
ولا تسمع على قول الظالمين الحساء الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم  
ويابى الآ أن يتم نوره وقد قال صلى الله عليه وسلم من شك في نصرة المهدي  
فليقرأ قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره على  
الدين كله ولو كره المشركون وقوله تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله  
ولزيادة الشفقة عليكم لزممت التحشية بهذا والهادي هو الله وكثرة البيان  
لا تهدي هدايا الله والعباد الى الصواب آمين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالى الكريم \* والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

(وبعد) فن عبد ربه الفقير الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى غردون باشا باطلاعك على ماتدوّن بالجواب اليك تعلم باطنه وبه كسوة الزهاد أهل السعادة الكبرى الذين لا يبالون بما فات من المشتهيات طلبا لمآلي الدرجات وهي جبة ورداء وسراويل وعمامة وطاقيّة وحزام وسبحة فان أنبت الى الله وطلبت ما عنده فلا يصعب عليك أن تلبس ذلك وتتوجه لدايم حظك وهاهو الرسول الذي أتى منك واصل اليك مع رسل من عندنا كما طلبت والسلام «صورة ما كتبه المهدي على ظهر المظروف الذي أرسل الي غردون» سألتك بحق الله وبنبيه عيسى عليه السلام أن تقف على أجوبتنا هذه بالحرف وقد أبلغني محمد سعيد المسلماني الذي يسمى جورجوس اسلامبوليه أن رجلا يسمى السيد افندي نعيم الاجزائي له معرفة بلغتكم وبالخط العربي وما دام أنه يعرف الخطين واللغتين نرغب منكم الوقوف على ما في هذا الظرف جميعه حرفياً على يد المذكور أو من هو مثله وقد سألتك السؤال المذكور لما ذكرته والسلام اهـ

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم (وبعد) فن الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى من يسمع من أهل الجردة ممن له عقل فانه لا يخفى على ذي عقل ان الامر بيد الله ولا يشركه في ذلك بنادق ولا مدافع ولا سواريح ولا عصمة لاحد الا من عصمه الله تعالى فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد فلا تقفروا باساحتكم ولا بجموعكم التي تريدون ان تقاتلوا بها جنود الله فانه لا قوة لشيء دون الله وان قلتم ان مهديتنا مكذوبة فاعلموا ان التكذيب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف

المخلوق ويستعجز قدرة الله فاذا فهمتم ذلك فلا تغرنكم أقوال علمائكم فان  
الترك الذين قتلهم شكوا للحق عز وجل وقالوا يا الهنا ومولانا إن المهدي قتلنا  
من غير انذار فاقول يا رب انذرتهم فلم يسمعو واحضر على ذلك شاهدا سيد الوجود  
صلى الله عليه وسلم وقال لهم الامام المهدي انذركم فلم تسمعو له وسمعتهم قول  
علمائكم فذنبكم عليكم فاقبل بعضهم على بعض يتسلاومون فقال الذين  
استضعفوا للذين استكبروا والولاء انتم لسكننا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين  
استضعفوا انحن صددناكم عن الهدي بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين فان كان لكم  
نور تؤمنوا بالله ورسوله والدار الآخرة وتصدقوا بمهديتنا وتخرجوا اليها  
مسلمين ومن أسلم يسلم وان ابتم الا الجحود والاغترار بالمدافع والبارود فاتم  
مقتولون كما أخبر سيد الوجود وأسوتكم ماسبةكم من الجنود والسلام - ١٩ ذي  
الحجة سنة ١٣٠٠

وقدم على غردون رسولان مع رسوله يحملان الكتب والهدية التي  
هي جبة مرقعة وسراويل وعمامة كلهما من نوع خرقة اسمها (الدمور) تصنع  
في السودان وهي أردأ من النوع الذي يعمل في مصر أشربة للسفن الشراعية  
ولما وصل الرسولان الى الخرطوم شهرا سيفيهما فأمرهما ضابط باب  
الحصن باغمادهما فلم يطيعاه فأمر غردون بالحفاظة عليهما حتى يصلا الدراري  
وهاج أهل الخرطوم عليهم وهم الصبيان والرعاع برجمهما بالحجارة فتمنوا ولما  
دخلوا على غردون قالوا له (السلام على من اتبع الهدى) وسلماه الكتب  
والهدية ولما نظر الهدية غضب ورفضها برجله وقال (غوديم) ثم اطلع على  
الكتب وبقى الرسولين بطرف حاجب السراي ريثما حرر للمهدي كتابا قال  
فيه انني أدعوك الى السلم وأنت تدعوني الى الحرب وادعوك الى حقن الدماء

وأنت لا تميل الا الى سفكها فاقول لك الآن لا بد من قهرك وكبح  
جراح طفيتك ومهما يكن عندك من الاتباع فلا بد ان ترضخ صاغراً أو  
تملك حيال قوتي الحكومة الحديوية والدولة الانكليزية وعاد الرسولان الي  
المهدي واشتغل غردون بمخابرة مصر ولوندره بالتلغرافات التي نذكرها فيما يأتي

### مأمورية غردون الحقيقية

عقدت هذا الباب بياناً شافياً لما سرده قبل من مأمورية غردون التي  
كانت ترمي اليها حكومة انكلترا وقد حسر اللثام عنها غردون نفسه فيما كتب  
من مذكراته المشهورة بتاريخ ٢٢ يناير وهي بنصها

أرى ان حكومة جلالة الملكة قد عقدت النية على ان لا تأخذ على عهدتها  
المهمة الكثيرة الصعوبة التي غايتها وضع حكومة منتظمة لأمم السودان وانها بدلا  
من ذلك قد صممت ان ترد الي هذه الامم حريتها وان لا تسمح للحكومة  
المصرية بالتدخل في شؤون تلك الامم اهـ

وعليه فان مأمورية غردون منحصرة في هاته السطور بمعنى ان  
حكومة جلالة الملكة كان غرضها ان يمد غردون السبيل لوقوع تلك البلاد  
في محالب الفوضى وبعبارة أخرى ان يقضي على نفوذ مصر في تلك الارزاء  
هذه كانت مقاصد انكلترا أما الحديوي توفيق باشا فان مقاصده الحقيقية  
اعادة الامن والسلام الى هاتيك الاقطار ثم اجبر على تحويل مقاصده بجمعها  
قاصرة على انقاذ المخلصين من رعاياه من الخطر المهدق بهم واخلاء السودان  
اخلاء تاماً عن كل المصريين والذين استوطنوه من العناصر المتمدنة واقامة  
حكومة وطنية بها

ويظهر جلياً ان الحديوي كان مرتاباً في نجاح مأمورية غردون بالطريقة  
السلمية التي كان متمسكاً باذياتها ولذلك صرح للبارون دي مالورتى بالتصريحات  
الآتية وقد نشرها البارون في الصحف الانكليزية الكبيرة وهي كما يأتي  
لم يكن في استطاعتي ان أبدي دليلاً على حسن مقاصدي باحسن من  
تعيين غردون باشا حكامداراً عاماً للسودان ومنحه كل السلطة في عمل ما يراه  
ضرورياً لاصابة الغرض الذي ترمى اليه حكومتى وحكومة جلالة الملكة .  
حتى انى قلده نفس السلطة المخولة لي وتركت له الحكم على الحالة الراهنة ولا  
ريب في ان ما يستطيع اتيانه من الاعمال احسن ما يكون . وقد قبلت سلفاً  
ما يمكن ان يقترحه من الوسائل الى ذلك اذ ما يراه حسناً من التصرفات يكون  
الزامياً بالنسبة الينا ثم اني بعد ان جعلت عظيم ثقتي بهذه السكيفية في هذا  
الباشا لم اشترط عليه الا شرطاً واحداً وهو ان يبذل عنايته فيما فيه طمأنينة  
العناصر المتعددة من أوروبيين ومصريين وها قد أصبح الآن الرئيس  
المفوض يرافقه حسن آمالي في هذه المأمورية التي هي من الخطارة والاهمية  
بمكان فان قلبي يذوب عند ما أفكر في الالوف المألفة من رعاياي المخلصين  
الذين تكفي غلطة منه لهلاكهم . واني لا أشك في انه سينذل كل ما في وسعه  
لحقن دماء اكثرهم على الاقل . فان نجح بعون الله في اخلاء الخرطوم وأهم  
مواني السودان الشرقي فله الشكر مدي الدهر على رعيته التي ترتد فرائضها  
من توقع ما يخشى حصوله بعد حين . أما قولي لك انه ينبغي في مأموريته فهو  
من قبيل المجازفة مني في الكلام كثيراً فن امامه قوات اكثر منه عدداً  
وأهوالاً غير اننا نرجو الخير وأما هو فيمكنه ان يعتمد على اصدق مساعدة  
وأسرع معونه مني انا وحكومتى بقدر ما تصل اليه يد الامكان اه

ويظهر من هذا التصريح ما قلناه من ان الحديوأجبر على قبول مأمورية غردون على علاقتها ولما رأها ترمي الى غرض إيقاع السودان في مهاوى القوضى اقتنع بأمنية واحدة هي انقاذ رعاياه المخلصين من الشرور التي كان متوقعاً حصولها من نتيجة مأمورية غردون الذي أرسل ليموت حتى يموت به يثم غرض دولته

على ان غردون لم يكن جاهلاً بكنه تلك النية ولهذا كان يرسل التلغرافات تتري ويدون المذكرات لا ليقنع قومه بالمسدول عن ذلك العزم بل ليجمع التاريخ حكماً بينه وبين قومه لاعتقاده ان تلغرافاته ومذكراته لا بد ان تنشر على الجمهور ويطلع عليها العالم أجمع وهم لا بد ان يحكموا له لا عليه وقد تحققت أمنيته حيث نشرت الحكومة البريطانية تلك المذكرات والتلغرافات في كتبها الزرقاء وكان لها من الاهمية فوق ما كان يتناه صاحبها وقد دارت مباحث كثيرة بشأنها في اندية انكرا وبرلمانها ومجلس لورداتها وأهم هاته التصريحات ما فاه به مستر غلادستون في مجلس العموم حيث قال «ان حكومة جلالة الملكة تأخذ على عاتقها مسؤولية المأمورية التي القيت مقاليدها الى غردون أدبياً وسياسياً وانها ستعمل كل ما في وسعها للوصول الى نتيجة مرضية اهـ

ثم فاه غلادستون أيضاً بتصريح اوضح من هذا حيث قال «ان مهمة غردون هي اخلاء السودان وانقاذ موظفي الحكومة ثم قال ان ثقتنا به عظيمة ولسنا مباغنين في شيء من روايتنا واننا عقدنا النية على ان لا نفاجأ بعمل دون استشارته وأخذ آرائه»

وغير هذا وذاك كثير من التصريحات التي لا مشاحة في انها كانت من

معميات السياسة حيث يري من ظاهرها ان غردون لو أشار باصبعه لملأت  
انكلترا البر والبحر رجالا وسفنا وانقذته من كل خطر يهدده وقد اكدت  
الحوادث خلاف هذه الاقاويل فان الانكايير صموا آذانهم دون نجاته حتي  
قضي عليه ولم يمدوا له يد المساعدة وذلك أدل دليل على ان ما عقدوا نيتهم  
عليه لم يكن غير ما أصاب غردون وما تم من إعطاء أئم السودان حريتهم ومنع  
الحكومة الحديوية منعاً باتاً من التماخل في شؤونهم وسنورد بعد هذا  
كثيراً من مذكرات غردون وتلغرافاته وهي تؤيد ما قلناه وتثبت كل ما أوردناه  
والله الهادي الى سواء السبيل

### ذكر تلغرافات غوردون

لما يش غردون من نجاح مأموريته السلمية وانقطع جبل رجائه بما  
ورد عليه من كتب المهدي وداعيته محمد بن البصير اجتاز النيل الازرق الى  
الشرق عند قصر راسخ بك وأرسل احدى عشرة رسالة برقية الى السير  
بارنج يخبره فيها بما وصلت اليه حالته وان العدو على وشك الزحف عليه  
للاحاطة بالمدينة وان الاسلاك البرقية ستقطع قبل أن يتمكن من مخاطبته مرة  
أخرى وأرسل برسائل أخرى الى الحديو المرحوم توفيق والى نوبار باشا رئيس  
الوزارة المصرية وقتئذ فوردت عليه من السير بارنج رسالة جاء فيها انه لم يفهم  
ما تضمنته الاحدى عشرة رسالة وان الاولى به أن يخبره بقصده بعد طول  
التفكير مع ان ما جاء في الاحدى عشرة رسالة يتضمن شيئاً واحداً هو بالاجاز  
وجوب ارسال النجدة لاسعافه وحفظ خط الرجوع من دنقله الى بربر  
ولعل جناب السير افان بارنج كان يقصد من قوله لم أفهم انك لاتجهل



ان مقاصد حكومة جلالة الملكة غير ما تطلبه ولم أفهم منك هذه الطلبات حيث انك لا تجهل انها لا تحول مما عقدت نيّتها على انفاذه وفي تلغرافات غردون ان الاسلاك البرقية على وشك الانقطاع وانه من المتعذر بمد هذه القرصة وصول اخباره الى القاهرة فكانت اشارة السير بارنج بمخبرته بعد التفكير أمرا في غاية الصراحة بعدم لزوم المخبرة حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا

وأرسل غردون تلغرافا في أول مارس سنة ١٨٨٤ الى السير بارنج جاء فيه ما يأتي

لم أزل أعتقد كمال الاعتقاد ان اخلاء السودان ممكن لكن أقول لك انه من المستحيل اجلاء المستخدمين المصريين عن الحرطوم اذا لم تساعدني الحكومة في الطريق الذي أوضحته لها اه

فأجابه السير بارنج بتاريخ ٢ مارس بالرسالة الآتية

قد وصلتني الاحدى عشرة رسالة التلغرافية المرسلة الى في الاربعة أيام الاخيرة بخصوص مسائل السياسة العامة واني شديد الرغبة في مساعدتك بكل طريقة لكنني لم أتمكن من معرفة ما رغبه للآن وأرى ان أحسن طريقة هي ان تلخص المسألة جيدا وتخبرني تلغرافيا بما تستصوبه اه  
فأجابه غردون بالرسالة الآتية

يجب على الحكومة مساعدتي وان اجابة مطالبي ضربة لازب هذه خلاصة ما تبودل بين غردون والسير بارنج من التلغرافات وقد كان هذا يرضها كلها على الحكومة الانكليزية ويشفعها بعبارات ترقلها. منها تلغراف السير بارنج الى اللورد غرانفيل بتاريخ ٤ مارس حيث قال ما يأتي

ان الجنرال غردون والسير ستوارت يلحان بوجوب فتح الطريق بين  
سواكن وبربر لنجاح مأموريتهما الحاضرة  
أما أنا فلا يمكنني تعصيد ماجاء بتلغراف ستوارت من ارسال فرقة  
من الحيلة الانكليزية أو الهندية الى سواكن

وأرسل السير بارنج الى اللورد غرانفيل الرسالة الآتية أيضاً  
أتشرف بأن أخبر سعادتكم ان الجنرال غردون كتب الى تلغرافياً  
بأننا لو أرسلنا مائة جندي الى أصوان ووادي حلقا يأمن من كل خطر  
ويكون في حالة اطمئنان كالسواح المسافرين في النيل وينتج منها تحويل صغير  
أما أنا فلا أريد مطلقاً أن أخاطر بحياة فرقة صغيرة مؤلفة من مائة جندي  
فقط اهـ

وقد كان غردون لسوء حظه يبعث بتلغرافاته الى السير بارنج وقد رأيت  
كيف انه كان ينصب نفسه لما كسبه والنصح للحكومة البريطانية بعدم  
الالفت الى شيء من مطالبه حيال تلك التصريحات التي تقدم لنا ايرادها عن  
الجناب الحديوي وساسة الانكليز الذين تمهدوا بمساعدته ومعاونته في سبيل نجاح  
مأموريته حتي أن نجاته كانت متوقفة على ارسال مائة جندي الى أصوان  
وحلقا فلم ير السير بارنج لزوماً للمخاطرة بهذه الكوكبة الصغيرة فهل بعد  
ذلك كله من حاجة الى برهان بان غردون أرسل ليموت ويترك السودان  
الى القوضي. ويرى القاري فيما أوردناه من تلغرافات السير بارنج الى غردون  
بتاريخ ٢ مارس عبارته التي يقول فيها انني شديد الرغبة في مساعدتك بكل  
طريقة ثم ما أوردناه بعدها من تلغرافاته الي دوائر انكلترا وعرفلته لكل  
مشروع من شأنه ان يساعد غردون على النجاح حتي انه نصح الحكومة

الانكليزية بعدم ارسال مائة فارس الى أصوان ووادي حلفا لان إرسالهم يكون سببا في إبعاد الخطر عن غردون بعض الأبعاد

على أن ارسال المائة فارس الى حلفا كان يقصد به غردون ان أخبارهم تصل الي المهدي بملو كثير حيث يظن ان جنودا قادمون لامداد غردون فلا يجسر على التقدم عليه ومناجزته

ولو عملت الحكومة الانكليزية برأي غردون وأرسلت المائة فارس لكانت النتيجة حسنة ولم تسقط بربر في أيدي المهديين حيث بسقوطها أهدق الخطر بغردون وانقطع أملهم من وصول نجدة عن طريق حلفا أو سوا كن لان بربر نقطة التقاء الطرفين

وكان قصد غردون بكل مخبراته مع السير بآننج أن يكون التاريخ حكما بينه وبين انكائرا كما قدمنا ولذا بعث بتلغرافات قبل وصوله الى الخرطوم فخواها ان الاضطرابات اقل مما كان يظن وانه يرى ان لامندوحة له من تمحيص حكومة جلالة الملكة النصيح بتسكين الاضطراب في السودان الشرقي وتقوية خطوط الاتصال بين بربر وشواطيء البحر الاحمر من جهة وبين حدود مصر من جهة أخرى وحاول اقناع السير بآننج بان السودان مفتقر كل الافتقار الي اشراف الحكومة الحديثة عليه بحقوق السيادة الى مصر فذهبت مساعيه كلها ادراج الرياح وأصر السير بآننج على انفاذ الخطة التي توخاها أولا ولم يلتفت الى شيء من نصائح غردون الذي كان يرى ان وقوع السودان كله في قبضته سيكون خطرا على مصر وان احتلال انكائرا لوادي النيل يحتم عليها العمل عاجلا لابعاد كل الاخطار عن البلاد التي احتلها

ليوطلدوا دعائم الامن والراحة في ارجائها  
 وجاء ضمن نصائحه ان حكومة جلالة الملكة ستتضرر يوماً لمناجزة  
 المهدي وكبح جماح طغيانه وسوف تتكبد من الضحايا ما يبلغ عشرة أضعاف  
 ما تتكبد به الآن لو عملت بمشورته وقبلت نصيحته فلم يلتفت السير بارنج الى  
 شيء من ذلك كله بل أصر على انفاذ مرسومه سياسة قومه غير مكترث بشيء  
 من الضحايا التي يتكبدها سكان السودان عموماً وسكان الخرطوم خصوصاً  
 والحاصل ان التلفزيونات غردون لم تعد بفائدة ولو صغيرة واصبح لامناص  
 له من الوقوف امام الصعوبات التي كان يراها تدنومنه حتى وقع القضاء وتغلب  
 المهدي على السودان والامر لمن له الامر  
 ولما كانت الصور الرسمية التي بأيدينا قد لعبت بها أيدي الضياع ايام وقوعنا  
 في أسر المهديين اضطررنا لنقل هذه التلفزيونات من كتاب مصر في عهد الاحتلال  
 الانكليزي لمؤلفه هنس رزيرالاماني مترجما وكلها طبق الحقيقة

### اول حصار الخرطوم

ذكرنا ما كان من أمر الشيخ العبيد وما ورد عليه من كتب المهدي  
 وقطعه الاسلاك التلفزيونية ثم سماحه باعادة اصلاحها  
 وفي غضون اشتغال غردون بمخاطبة السر بارنج ارسل اليه الشيخ العبيد  
 كتاباً يدعو فيه الى التسليم في هذا اليوم وانه أمر بقطع اسلاك التلفزيونات  
 في الغد فكتب اليه غردون يلاطفه ويسأله ان لا يكون مع المهدي لمكانته  
 من الصلاح والشهرة فرد عليه اسوأ رد وفي يوم ١٦ مارس زحف ابراهيم  
 والعباس ابنا الشيخ العبيد ومعهما سبعون الف مقاتل على الضفة الشرقية

من الحرطوم وقطعوا الاسلاك قبيل الظهر وتقدموا الى ضفة النيل واطلقوا  
النيران على المدينة وكان جل مقدوفاتهم يسقط على سراي غردون لان موقعهم  
كان تجاهها

واجتمع في سراي غردون من سكان المدينة نحو الف نسمة يظهرون  
شديد اسفهم وكان هو واقفا كواحد منهم الا انه كان مصوبا نظارته المعظمة  
الى مكان اجتماع العصاة وكان اكثر الناس مثله وسمع البكاء والولولة من دور  
المدينة كلها لان السكان كلهم مدركون خطارة الحالة وشاعرون بما يحدث بهم  
من الاهوال والمصائب وغردون كان في الباطن مثلهم لا يقل عنهم الا انه كان  
يظهر عدم الاكتراث ويبدى من الضعف قوة ومن اليأس رجاء حتي كان ظهوره  
بهذه الصفات مما ساعد كثيرا علي بث روح الشجاعة في قلوب السكان

### واقعة الخلفايه واصابة المؤلف برصاصة

والاحسان عليه برتبة اللواء

في اليوم الذي ظهر فيه العصاة وقطعوا الاسلاك البرقية عهد الى غردون  
ترتيب الحامية في الضفة الشرقية حول قصر راسخ بك وتفقد الخندق المحيط  
بذلك القصر فاجتزت النهر وعدت بعد ان رتبت الحامية فالفيت البواخر على  
أهبة السفر وبها نحو ثلاثة آلاف جندي بين نظاميين وغير نظاميين  
فاستدعاني غردون ودفع الي أمرأ بقيادة هاته الجنود وأمرني بمباغثة العصاة  
الذين عسكروا في الخلفاية على بعد أربعة أميال من قصر راسخ بك فاجرت  
على الباخرتين ولدي وصولنا الى الخلفاية ألفت العدو وقد تحصن بها وراء  
متاريس وشاد نحو ثلاث طواب فأخذ مني العجب مأخذاً حيث لم يكن قد

مضى عليه اكثر من بضع ساعات منذ حلوله في هذه الجهة وكانت متاريسهم  
وحصونهم بشكل نصف دائرة فرجتها الى النهر وعرضها الى الفلاة  
وبعد ان ألفت الباخرتان مراسيهما شكلت قلعة زحفت بها على ميسرة  
العدو الذي قابلنا بثبات غريب وصوبنا قنابلنا الى الثلاثة طواب واجتخنا  
المتاريس من جهة الميسرة وبعد ساعتين ثبت فيهما الجنود ثباتاً غريباً - اتولينا  
على المتاريس والطوابى وطردنا منها العدو وتقدمت ميمثنا واحتلت الاكواخ  
التي كان النساء والاطفال فيها وساقتهم أسرى وقبضنا على عدد كبير من  
الرجال أسرى كذلك

وكانت ميمنة العدو باقية على المقاومة فتقدمت نحوها بميسرة جنودي  
فتمكنت في برهة يسيرة من الزمن من طردهم واحتلال موقعهم فتأثرتهم  
الجنود الذين اضطرت لارغامهم على العودة الى النظام وعدم تأثر العدولان  
الظلام بدأ بارخاء سدوله علينا وبينما أنا على هذه الحالة أصابتنى رصاصة في  
نخذي الايمن اخترقت اللحم ونفذت الى العظم فاحتملني الجند وعادوا بي  
البواخر واستولت عليهم دهشة شديدة عادوا بسببها الى البواخر بدون انتظام  
ولو لم يكن العدو قد لجأ الى الفرار لكانت العاقبة سيئة ولم يفقد من الجنود  
غير اثنين وواحد من قواد الباشبورق

ولما عدت الى المدينة استقبلني غردون ملهوفاً ولما رأني ملقى على الفراش  
والدماء تسيل من نخذي تأثر الى درجة كاد يفقد معها عقله وأصدر في الحال  
أمره باحتمالي الى دارى وأمر طبيبه الخاص بالاشتراك مع أطباء الحامية  
وشدد عليهم في وجوب الاعتناء بمعالجتي وخاطبني قائلاً قد أهدمت عليك  
برتبة اللواء وسلمنى اعلاناً بذلك

وظللت ملازم الفراش نحو ثلاثة أشهر كان يزورني خلالها كل يوم وقد رجوته مراراً عديدة ان يقلل من زيارتي حرصاً على عدم ضياع أوقاته في غير الاهتمام بشؤون الدفاع عن المدينة فلم يفعل بل ظل على عادته حتي من الله على بالشفاء وأصدر الأطباء قراراً بأن الإصابة كانت خطيرة جداً ودان يخشى على حياتي منها وأن مانشأ عنها من العاهة يستحيل زواله واعدتني الي الحالة الاولى

### واقعة القبة

القبة قرية على ضفة النيل الشرقية بينها وبين الخرطوم النيل وموقعها بازاء المدينة وسكانها سود وبها ضريح قديم لشيخ اسمه (خوجلي) يزعم أولئك السكان انهم من نسله وهي مرتفعة عن البحر وهوؤها جيد يقصدها أهل الخرطوم للنزهة والرياضة

ولما هزمنا العدو في الحلفاية تراجع في ليلته وتجمع في هذه القرية واتخذ جدران المنازل متاريس واخذ يطلق النيران على المدينة حتي تعذر على السكان الاستقاء من النهر فوضع غردون تحت سرايه مدفعين من طرز كروب واخذ يطلق واحدا بنفسه والمسترباورد قنصل انكثرا في الخرطوم يطلق الثاني والرصاص يهطل عليهما كالطررهما في غاية الثبات وقبيل الظهر امر بتشكيل قوة من الف جندي تكون محمية بالقنابل تفاجىء مكان العدو لتطرده فسارت القوة برأ من حصن قصر راسخ بك يقودها ضابط عظيم فامسك العدو عن إطلاق النيران حتي أشرفت على متاريسه فهاجمها فرسانه فاطلقت النيران عليهم حتي ولوا الادبار ودخل ثلاثة فرسان المربع فوقعوا القشل في الجنود وانتشر عقد نظامهم وولوا الادبار الى الحصن وكان غردون ينظر ذلك بعينيه

فأظهر الاستياء للقائد وأمره باستئناف الهجوم في الظهر حيث تمكن من  
دحر فرسان العدو الذين وثبوا عليه ثانية ودخلت الحامية القرية وأجبت عنها  
العدو وخرج كثير من سكان الخرطوم ولحقوا بالحامية ونهبوا القرية وأضرموا  
النار في المساكن ثم عادت الحامية الى حصن راسخ بك عند غروب الشمس  
وبذلك عاد بعض الامن الى ضفة النهر وأمسي السكان قادرين على  
الاستقاء منه الا أنهم كانوا يداودون الكرة ويطلقون النيران على المدينة  
فعقد غردون مجلسا من القواد وموظفي الحكومة وبعد المداولة أقر على  
انفاذ قوة كبيرة تسير من قصر راسخ بك برا الى الحلفاية تهاجم العدو وتطرده  
من معسكره

وكان غردون يظن ان هذه الحركة ستكون نتيجتها الفوز كما حصل  
للقوة التي كنت قائدها نخاب أمه حيث خان اثنان من القواد وذبح نحو  
ثلاثة آلاف نفس من الحامية كما تراه مفصلا فيما يأتي



### ترجمة السعيد حسين وحسن ابراهيم

السعيد حسين الجمياعي نخاس كان مع ابن الزبير وقد ذكرنا ان غردون  
ولاه على احدى المقاطعات بدارفور هو والنور عنقره لما اعتزلا ابن الزبير  
وهو من قبيلة حقيرة اسمها (الجمياع) تسكن على بعد خمسة عشر  
ميلا من شمال الحلفاية وعدد نفوس هاته القبيلة لا يتجاوز الخمسمائة نسمة وأرضها  
قاحلة مكسوة بالحجارة ولا ماشية عندها وقوام معيشتهم على الاعمال  
الدينية كأعمال الفعلة في الابنية وغيرها وكثير منهم لصوص وقطاع طرق  
كما أنهم لا يأنفون الكسب ببذل العرض وخلع برقع الصون والنفاف كالذين



أشار اليهم سلاطين باشا في كتابه المعلوم  
ولما كانت النخاسة والاعمال التي يقوم بها محترفوها لا تختلف عن مهنة  
الاصوصية انتظم من هذه القبيلة أفراد في سلك النخاسين كان من بينهم  
السعيد حسين هذا حتى صار من أمره ان غردون لما استماله ولاء على احدى  
المقاطعات الواقعة بين دارفور وبحر النزال ثم خرج على الحكومة حتى جرد  
عليه حاكم دارفور حملة أرجعته الى الطاعة قسرا وجاءت به الى الخرطوم  
ولدى عودة غردون أنتم عليه برتبة الميرميران الرفيعة مع لقب باشا  
وعينه قومنداناً على جنود الباشبورق وجعل حسن ابراهيم المترجم الثاني  
وكيلا له حتى كان من أمرهما ما نورده بعد

وأما حسن ابراهيم فانه ابن عم يوسف باشا الشلاي وكان نخاساً أيضاً  
وترجمته لا تخالف ما أوردناه في ترجمة ابن عمه وقد أنتم عليه غردون برتبة الميرميران  
كالسعيد حسين وعينه وكيلا لقمندانية جنود الباشبورق

### واقعة الخلفاية الثانية

لما عقد غردون النية على انفاذ حملة أخرى الى الخلفاية لتطرد الدراويش  
منها عهد بقيادتها الى السعيد حسين الجمياني وحسن ابراهيم الشلاي وكان عدد  
جنودها ثلاثة آلاف من الباش-بورق وألغا من الجنود النظاميين ومعهما  
مدفعان من الطراز الجبلي وساروخان حربيان وزحفت الحملة في غداة اليوم  
الرابع من بداية حصار الخرطوم

ولما التقى الجمعان لم يقذف الجنود رصاصة واحدة حتى انجاز القائد  
السعيد حسين ووكيله حسن ابراهيم الى الاعداء وجرد انسيغيهما وقالوا

الله أكبر على الكفار ووضعوا السيف في رقاب الجنود الذين اختل نظامهم وذبح  
العدو منهم أكثر من ثلاثة آلاف وغردون واقف على سطح سرايه يرى  
هذا المنظر الفظيع ويضرب الأرض برجليه ويمض أنامله ثم اعترته نوبة شديدة  
فقد معها عقله وحاول أن يلقي نفسه من سطح السراي فأمسكه المستر باور  
قنصل انكلترا

ووقف عند المدفعين والسادوخين نحاس اسمه مولا بك ودافع حتى  
قتله العدو وبلغ عدد الذين نجوا من غير أن يصيبهم سوء نحو خمسمائة نفس  
ولما وضعت الحرب أوزارها بقي السعيد حسين وحسن إبراهيم مع  
ال دراويش وقدمت الاطعمة فاكلا مع الامراء وجري الحديث بينهم  
فقال لهما أحد الامراء أرى انكما قد أدتما واجبكما وأخشي عليكما شرآ ان  
عدتما الى المدينة فقلا خفض روعك فانه لا بأس من عودتنا واننا لا نقنع  
بما فعلناه بل لا بد من احضار رأس غردون لناخذ بشار الذين قتلهم  
من اخواننا النخاسين في بحر الغزال ودارفور ثم عادا الى المدينة بالليل فسألها  
غردون عما رآها يفعله لانه فقلا ان الجنود اظهروا جبنآ واننا فعلنا ذلك  
لذكرهم على الثبات فاغتاظ من هذا الكلام وأمر بالقبض عليهما وسجنهما  
في القشلاق وألف مجلسا عسكريا لمباشرة التحقيق فظهرت ادانتهما فحكم  
عليهما بالاعدام وصدق عليه غردون ولما أخرجا الى ميدان القتل هاج الجنود  
وهجموا عليهما وضربوهما بالمعاول حتى ماتا وعجز القواد عن كبج جماح الجنود  
حتى ينفذ حكم الاعدام بالطريقة القانونية

ولحق غردون تأثر سيء من هذه الحادثة حيث أصيب بمرض كاديودي  
بحيته ومع اشتداد وطأة المرض عليه كان لا يعمد الى الراحة والنوم على

القراش الا بعض سويكات من النهار اما الليل فانه كان يقضيه ساهرا على  
الحصون يتلقى أخبارها كل لحظة ويأمر بزيادة التيقظ

على ان حركة العدو وان كانت في الشرق والمدينة مأمونة من جهة الخندق  
المحيط بها فقط الا ان أهالي الضواحي الذين ذكرنا انقيادهم الي عبد القادر أم  
مريوم هجروا قراهم وأوغلوا في القلوات وامتنعوا عن الدخول في المدينة  
وتقديم الاغذية لان ابن البصير والشيخ العبيد كتب اليهم بان كل من دخل  
المدينة كافر محاد لله ورسوله وماله وأولاده فنيمة للمسلمين

وقد هجر المدينة نحو ثلاثين الف نسمة من السكان السودانيين ولحقوا  
بدعاة المهدي فامر غردون بهدم منازلهم وجمع أخشابها لوقود البوابرات  
وسكان المدينة ولم يبق في المدينة غير المصريين وسيأتي ان عددهم  
يقرب من مائتي الف نسمة عدا الذين هاجروا من المدينة الى القطر المصري

## ذكر حصار الفكي المصطفي المخرطوم

﴿ من جهة الضفة الغربية ﴾

الفكي المصطفي بن الفكي الامين بن ام حقين كان أبوه الفكي الامين  
معتقداً وكان يسكن جزيرة في النيل شمال أم درمان على مسيرة مرحلة واحدة  
وتوفي بها وله ضريح في الشاطئ الغربي

وكان الفكي المصطفي مشهوراً بالسكينة والابتعاد عما لا يعني منقطعا  
لحراثة أرضه والقاء دروسه وارشاد مريديه فارسل له المهدي كتابا معنوئاً  
بعبارة مبهمه هكذا (الي المعتلاء الكرام) مع رسول زوده وصايا شفاهية  
حيث قال له ادفع له الكتاب وقل له بعد اطلاعه عليه اذا لم تكن معنفاً فكن

علينا وانه لا نجاه لك بغير أمرين إما ان تجمع اليك قبائل الضفة الغربية من  
الجموعية والجمعيات والسروراب والفتيحاب وتحاصر الخرطوم وإما ان تدخل  
مع غردون في المدينة وتكون معه علينا

ولما اطلع على الكتاب أرسل يستصرخ هاته القبائل فانسولوا اليه  
وبأيامه على طاعة المهدي وخلع نير الحكومة فزحف بهم على أم درمان وعسكر  
ازاء نقطتها

وكان الغالب عليه ملازمة السكون فكانت الحامية في راحة حيث كان  
لايهاجها الا نادرا ولا يناوشها الا مناوشات خفيفة وما هي صورة الخطاب نقلا  
عن كتاب المنشوات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن  
العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى العقلاء الكرام لا يخفى عزيز  
عليكم ان ماسوى الله هباء وكل ما في الدنيا زوال وما للعبد الا العمل الصالح  
الموافق للسنة وماسوي ذلك يهود بالحسرة والندامة وانى قد كاتبت جميع  
الطهين ومشايخ الدين وانذرت بكروب تحصل ولا فرج عنها الا  
باجتماعنا وذلك باشارة من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وبأمر منه مع  
بشائر لنا جسيمة وأوامر عظيمة وأشار لنا صلى الله عليه وسلم الى محل يكون  
فيه قوام الدين وصلاح أمر الدارين وفضلا عن ذلك انه لا سعاية للعبد الا  
في الدين الخالص الموافق للكتاب والسنة واذا لم يكن العمل على ذلك فهو  
مردود كما ورد. وحيث ان هذا زمان توافقت فيه الناس على البدع ومحبة  
الدنيا وصار لهم ذلك عادة واسترقت الطباع بعضها ومعلوم ان الطبع

يسرق الطبع والانسان على دين من منه في الدنيا ويحشر يوم القيامة عليه  
قال صلى الله عليه وسلم « يحشر المرؤ على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »  
واذا فهم الماقل هذا من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فلا شك انه ينحاز  
الي من ينهضه حاله ويدله على الله مقالته وذلك هو الفقير المتجرد عن السوء  
المقبل على المولى الذي لم يكن له قبله ولا مقصد الا الله تعالى وقد تجرد عن  
كل شيء سواه وتحقق بحقيقة لا اله الا الله وقد ورد. اذا رأيتم العالم يحب  
الدنيا فاتهموه على دينكم. وفي بعض الكتب الالهية يقول الله تعالى « لا تسألوا  
منى ما لا اسكره حب الدنيا فيقطعكم عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق  
على عبادي » ومعلوم ان العبد اذا لم يكن له مقصد في التجرد لله تعالى يلاحظ  
في جميع كلامه وأحواله ما يزيد جاهه ورأسته ولا يتفاد للحق حيث كان بل  
يتكبر عليه ولا يخرج عن جاه ولا رئاسة لجرد الحق وفي مثل هذا قال الله  
تعالى « واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم خسبه جهنم ولبئس المهاد » ومثل  
هذا الضرر ورد الذم لحب الجاه والمال قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه  
والمال يبتتان النفاق في القلب كما يبت الماء البقل » وقال صلى الله عليه وسلم  
« ما ذئبان جائعان ارسلتا في زريبة غنم بافسد لها من حرص المرء على المال »  
الحديث وقال تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في  
الارض » الآية والادلة الشرعية من الكتاب والسنة وبأمر من سيد الوجود  
صلى الله عليه وسلم كاتبناكم بالاجتماع معنا ومعلوم انه لا امان الا في الكتاب  
والسنة كما ورد ان المؤمن لا بنية له ولا مطلب له الا الدين فمن كان مهتما  
بإيمانه ودينه شقيقا على أمر ربه أجاب الدعوة واجتمع معنا للمعاونة على  
تقويم الكتاب والسنة ومن له جاه ورئاسة وانقاد للحق وانخلع عن جاهه

ورئاسته لله وللانتباه على الدين الخالص عوضه الله خيرا منه قال صلى الله عليه وسلم «انك ان تجدد فقد شئ تركته لله» أي ان تجدد له ألما ولاهما وقال تعالى «ولو ان أهل الكتاب آمنوا وأتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» الآية ومن أشفق على جاهه ورئاسته وماله ولم يخرج من ذلك أوقعته في الهموم وفي سخط القيوم وزالت منه واعقبته الحسرة فقد قال صلى الله عليه وسلم «من جعل الدنيا همه شئت الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا الا ما قسم الله له ومن جعل الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة» الى غير ذلك والقليل من ذلك ينفع المؤمن القابل والكثير وان أفىض لا ينفع المنافق الغافل والسلام»

### حوادث بربر

بربر اسم لاقليم من أقاليم السودان يحده من جهة الجنوب اقليم الخرطوم عند موضع اسمه (حجر المسيل) وهو جبل صغير أحجاره من الصوان ويحده من جهة الشمال مقاطعة دنقلة ومن جهة الشرق اقليم كسله ومحافظة سواكن

وسكانه ينقسمون الى قسمين رحالة وقرويون والرحالة هم قبائل أعجمية يشبهون قبائل السودان الشرقي في الاخلاق والمادات ويطلق عليهم اسم (البشاريين) ولغتهم أعجمية وأما سكان القرى فأكثرهم بطون من قبيلة الجعليين ومعايشهم من

الزروع وبعض الماشية الصغيرة وأرضهم لا تجود بمحصول يقوم بحاجة السكان لأن طريق الري هي بالسواقي فقط وفيها غناء كبير والأمطار قليلة لا تجود السماء عليهم بمطري يقوم بري أراضيهم إلا نادراً وقد ضبطوا أن بربر لا تسقى بالمطر إلا في كل سبع سنين أو عشر مرة واحدة ولهذا كان العيش في ذلك الإقليم شظفاً خلافاً للسودان الجنوبي ومن الأمثلة العامة في حقهم (يكيلون بالطاسة ويحسبون القراصنة) والطاسة مكيال لا يتجاوز رطلاً من الغلة ومعنى يحسبون القراصنة أنهم يقصدون للربط عدداً معلوماً من الخبز والقراصنة اسم لكل قطعة تصنع من خبز الذرة الذي يطلق عليه اسم (كسره)

ولهذه الأسباب ترى الجعليين يتطوحن في بلاد السودان وسكان تلك البلاد يحقرونهاهم فأهلالي السودان الغربي يسمونهم (بائي الشطيطة) وأهلالي السودان الجنوبي يسمونهم (ناس عره) أي ركاب البحر لأنهم يشترك منهم أكثر من عشرين في ركوب حمار واحد

ومع هذا كله تراههم من أكثر قبائل السودان شراً ولهم دعاوي طويلة عريضة في الانساب حيث يزعمون أنهم من نسل العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وأن أجدادهم استوطنوا السودان من عهد قيام الدولة العباسية في بغداد والحقيقة أنهم من نسل العرب الذين دخلوا السودان من صعيد مصر وبعيد عن الاحتمال أن يستوطن بنو العباس بلاد السودان في عنوان دولتهم وعظيم سلطانهم ولا توجد بين صفحات التاريخ إشارة إلى ذلك مع أن المؤرخين ملأوا الكتب بأخبار دولة بني العباس رضي الله عنه إلى حد أنهم كانوا لا تفوتهم أخبار الندماء وما شاكل ذلك من الدقائق والجلال

على ان الجميلين لم يكونوا منفردين بهذه الدعوى بل جميع قبائل السودان حتى العبيد سكان الجبال ينتسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم والى آل بيته الطاهرين حتى يخال الانسان ان السودان كان موطنه صلى الله عليه وسلم وانه كان خاليا من السكان قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وقد اشتهر عن الجميلين الكذب وعدم الوفاء وكل الخصال الممقوتة وانهم على الدوام مع الفئة الغالبة وهم شديداً بالبغض للمصريين وكل ابيض ولهم اعتقادات في غاية السخافة. منها أن بياض البشرة يدل على أن صاحبه عجمي لأصل له وان الانسان لا يكون ذا نسب أو حسب الا اذا كانت بشرته سوداء وكل ابيض محقر عندهم حتى انهم لا يسمونه الا (الجميذي) أي العجمي ولهم أخلاق وعادات غريبة لا فائدة في سردها هنا اكتفاء بما تقدم

### ذكر محمد الخير داعية المهدي في بربر

محمد الخير هذا هو الذي تقدم لنا ذكره وانه كان صاحب مدرسة علمية وان المهدي كان تلميذاً بمدرسته وأصله من قبيلة اسمها (القبش) وهي قبيلة صغيرة تسكن ضفة النهر الغربية بأزاء «الخيرق» مركز مديرية بربر وهذه القبيلة تنسب الى رجال أصحاب أزرحة في هذه الجهة اسم أشهرها عبد الماجد ويطلق عليهم اسم (القبش) الذي معناه زهاد متقشفون قدموا الى بربر من بلاد تكروور في السودان الغربي

وكان محمد الخير هذا فقيهاً يعلم الناس الفقه وكان مشهوراً بالتقوى ويقول بعضهم انه ذو ضلع كبير في اتحال دعوة المهدي وان صاحبها صدع بها عن



رايه وعمل بإشارته

وكانت الحكومة تعطى محمد الخير راتباً شهرياً يبلغ خمسة جنيهات  
وبضعة ارادب من الذرة

ونقل لنا أحد تلاميذه أنه لما تصدر للتدريس كان ذا تحقيق في مذهب  
إمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه ومع هذا كان لا يعرف شيئاً من النحو  
والصرف وعلوم البلاغة فاحتقره تلاميذه وأسمعوه مرات عديدة انتقاداتهم  
على جهله حتى أن أحدهم قال له يوماً يا سيدي الشيخ أنك لا تعرف أعراب جاء  
زيد فكيف يليق بنا أن نتكوف حولك في حين أن تكوفنا هذا الطالب العلم وانت  
منفق إليه أكثر منا فتأثر من هذا القول وقام من مجلسه وبعد صلاة العشاء  
دعا اثنين من خاصته وركبوا دوابهم بغير أن يشعر بهم أحد وقصدوا الخرطوم  
ومنها إلى ضواحي المسلمية حيث اجتمعوا بالشيخ الحسين زهراء وقص  
عليه محمد الخير ماجري له مع تلميذه فقال له قد محضك والله النصيح ثم  
انقطع لدرس النحو وعلوم البلاغة على الشيخ الحسين نحو عامين أدرك  
فيهما ما يدركه غيره في أربعة أضعافهما ثم عاد إلى مزاولة دروسه في بربر وبلغت  
الحبة بينه وبين أستاذه الشيخ الحسين درجة لا توازي

### ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر

حسين باشا خليفة مدير بربر سابقاً من قبيلة العبابدة التي تسكن أرياض  
اصوان وكان أباه ادلاء الحكومة في طريق السودان المسمى (المطود) ثم  
ولى على مديرية بربر في عهد ولاية ممتاز باشا على السودان فظهر من أعماله  
ماوجب عزله وسجنه في القاهرة حتى جاءت وزارة المرحوم شريف باشا فعين

مدير اعلی بربر قبیل عودۃ غوردون باشہر قلیۃ ونسب الیہ فی غضون نزوح  
المصريین الی القاهرۃ انہ کان عاملاً علی معاکستہم وعدم السماح لہم بالوصول الی  
القاهرۃ وکان صدیقاً حمیلاً ل محمد الخیر داعیۃ المہدی فی بربر



ذکر قدوم محمد الخیر بدعوۃ المہدی الی بربر  
فی جمادی الآخرۃ سنۃ ۱۳۰۱ ہجریۃ قدم محمد الخیر الی بربر عائداً من  
عند المہدی فی الابيض وقد کتب لہ کتاباً الی سکان مقاطعتی بربر ودنقلہ بانہ  
تعمین من قبلہ أمیراً علیہم وأمرہم بمبايعتہ نائباً عنہ  
وکان محمد الخیر یطلق علیہ اسم محمد الضکیر فأبدلہ المہدی باسم محمد الخیر  
وکان شخوصہ الی المہدی بحد ولایۃ حسین باشا خلیفۃ علی  
بربر فانہ لما قدمہما اختلی بہ وقال لہ أراک تأخرت عن واجب علیک فاقدم  
علی المہدی وأبلغہ خضوعي لہ ودخولي فی دعوتہ وکان حسین باشا یقصد  
من هذا العمل ان یولیہ المہدی علی بربر ودنقلہ فقبل محمد الخیر ما أشار بہ  
حسین خلیفۃ الذی أعطاه نفقة السفر ودفع الیہ کتاباً برسم المہدی فشخص  
من بربر الی الابيض فقبول من المہدی باکرام عظیم وحفاوة لیس لہما منیل  
وبعد أيام کتب لہ بالامارة علی بربر ودنقلہ وأهداء شیاً کثیراً من  
الجواری والحوول والنوق فقفل راجعاً ولما بلغ أول حدود بربر من جهة  
الجنوب استقبلہ الاهلون باحتفال عظیم وأرسل الکتب یدعو الناس لاجتماع عام  
فی المتمدۃ وهي منتصف الطريق بین بربر والحرمون فנסلوا الیہ فدعاهم الی البیعة  
للمہدی فاطہر کثیر الاریاب فی صدق دعواہ فقام فیہم خطیباً وقال أشہد  
الله وملائکتہ انہ المہدی المنتظر وقبض علی لحيته وقال لہم انہ اذا لم یکن المہدی

المنتظر فجروا لحيتي هذه بين يدي الله عز وجل وقولوا هذا أضلنا سواء السبيل  
فصدقه الناس وباليهوه على طاعة المهدي وحرب الحكومة ولبسوا اشعار المهدي  
ورقعوا ملابسهم وهرع الناس اليه من كل انحاء البلاد وانضم اليه عدد ليس  
بقليل من الاعراب وتقدموا نحو حامية شندي

### ذكر واقعة شندي

شندي قرية على ضفة النهر الغربية شمال المتة بميل واحد وهي التي  
ذكرنا قبل خبر قتل الامير اسماعيل بن محمد على باشا فيها بعد فتح السودان وجل  
سكان هذه القرية مصريون وكانت قاعدة لاحد المراكز  
ولما وصل محمد الخير المتة وباليه الاهلون على طاعة المهدي كانت في  
شندي حامية تبلغ زهاء الثلاثمائة جندي جلهم من الباشبوزق فباوشها العدو  
مناوشات عديدة ومنع وصول الاقوات اليها وحينما سمعت الحامية بتقدم  
الداعية محمد الخير عقدت النية على الخروج من معقلها ومتابعة السير شمالا  
للانضمام الى حامية بربر فباغتها بجنوده واتخذها ذبيحاً بينما كانت تحاول الخروج  
ومثلوا بالاطفال والنساء تمثيلاً تقشع من فظاعته الابدان  
ومما يذكر هنا ان محمد الخير منع أتباعه منعا باتاً عن مدأيديهم الى نساء  
المصريين بأنواع السبي والهتك اللذين كان المهدي يفعلهما مع نساء المصريين  
وكتب الى المهدي كتاباً مطولاً قال فيه اني لا أري وجهاً من الوجوه الشرعية  
يسوغ لنا أن نعامل نساء المصريين بالمعاملة التي جرت عليهم فاضطر المهدي  
الى اجابته بان فوض له العمل في هذا الشأن بما يراه موافقاً فتمنع كل أتباعه  
من هتك أعراض المصريين ومن فعل ذلك عاقبه عقاباً صارماً

هذه حسنة نذكرها هنا الحمد الخير ونقول ان عمله وان جاء ضربة  
شديدة على الخرطوم لان سقوط بربر قضى على أمل وصول النجدة الى  
غردون لكن شره كان أخف من شر المهديين كلهم . وبعض الشر أهون  
من بعض

وكانت واقعة شندي هذه في أواخر شهر جمادي الآخرة سنة ١٣٠١ هجرية



### سقوط بربر

لما سقطت شندي تقدم محمد الخير بمجموعه الي بربر في أوائل شهر  
رجب سنة ١٣٠١ هجرية ومعه نحو سبعين الف مقاتل وسلاح جهم  
المعاول والمحارث لان الجمليين فلاحون لاسلاح عندهم  
وكانت حامية بربر لا تتجاوز الاربمئة جندي تحرس خندقا يزيد  
طوله على اربعة أميال وليس لديها من المدافع غير مدفعين من الطراز  
الجملي العتيق

ولما اقترب من بربر أرسل انذاراً للحامية والسكان يدعوم فيه الى  
التسليم فامتنعوا وأحاطوا بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم ومكث محاصرا  
لها مدة سبع ليال كانت الخبابرات السرية جارية في خلالها بينه وبين حسين  
باشا خليفة مدير بربر الذي كان يؤمل ان المهدي لا يولي غيره عليها  
وكان في بربر خمسون الف جنيه أرسلت من مصر لنفقات حامية  
الخرطوم وأرسلت الباخرة الفاشر لحملها الى الخرطوم فاخذ حسين باشا  
يعاقل ربان الباخرة حتى لا يصل المال الخرطوم ويكون غنيمة عاجلة للمهدي  
وفد وصل الى بربر شيء كثير من ملابس غردون وأمتعته التي أرسلت

خلقهم من مصر كلها وقعت في أيدي الدراويش

وفي صبيحة اليوم الثامن من بداية حصار بربر اجتمع الدراويش ودخلوا المدينة عنوة بدون ان يصيبهم أقل ضرر وانحنوا الالهالي قتلا ونهباً وذبحوا اكثر من ثلاثة آلاف من المصريين اما حسين باشا خليفة فقد أحاط بداره حرس محمد الخير ومنعوا وصول أي اذي له بالرغم عن تكوف العصاة حول بيته وعزمهم على الانتقام منه

واشتغل محمد الخير بجمع الغنائم وعذب المصريين غذابا لئلا يلدوا على خباياهم ودفاتهم وامتنع كثير من قواد الجمليين ان يؤدوا الى بيت المال ولو قليلا من الاموال التي تحت أيديهم فكتب محمد الخير الى المهدي ينبئه بوقوع بربر في قبضته ويخبره بما كان من أمر الامراء الذين امتنعوا من تسليم ما بأيديهم من الاموال الى بيت المال

ولما وصل كتاب محمد الخير الى المهدي أمر باطلاق المدافع جريا على عادته وامتلاء غيظا من أولئك الامراء اذ كان في حاجة عظيمة الى المال فكتب الي محمد الخير يأمره باكرامهم الي تأدية المال له وشفع الكتاب بصورة موعظة في ذم اغتيال الغنائم وهاهو نص الكتاب والموعظة نقلا عن كتاب المنشورات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى صفيه عامله على بربر  
وجهاها محمد الخير بن عبد الله خوحي وقاه الله كل تمويق وأدام له التوفيق  
وحققه بمقائق التحقيق وانه أعلى رفيق آمين بعد السلام عليكم ورحمة الله

وبركاته حبيبي انك حقيق بمعرفة ما عند الله من كريم المكانة وعظمة ماهنالك  
 مما لا يقاس بشيء وخسة ما في الدنيا وان كثرت ونما ومن المعلوم عندك أيها الحبيب  
 أن الدنيا لا شيء فهي لا تزن عند الله جناح بعوضة فلذا لم اذا كرك في الشأن  
 الذي يحصل فيها ولعلني بانك امين ولا تدخلك ترهات الخيال الذي فيها  
 وتزين باطلها وان مقصدهك اقامة الدين ولذلك قد اكثرت التذكير مني  
 للاخوان في التنفير عن الدنيا والترغيب في الله وفيما عند الله وفيما يخلص العبد  
 ويرفعه عند خالقه مع شدة التعريف لحسة الدنيا ونفاسة الآخرة والتعريف  
 لعظمة الله وكمال قدرته على كل شيء وأن من أراد خيره وقربه عنده نفعه  
 عن الدنيا وأراه قرب زوالها مع قلة قدرها وشؤم ما تعقبه من طول الندامة  
 والوبال ليهون على المؤمن جفاؤها ويزيد الشكر لله في انزوائها واكتساب  
 نعيم الجنة وعلاؤها من اصابة الظمأ والنصب والخمصة في سبيل الله واغاضة  
 الكفرة بمواطئ امكنتهم وتوهمهم واثالة الجرح والقتل في سبيل الله مما فيه  
 حسن المكانة الدائمة والوظيفة الكبرى التي لها قدر عند الله تعالى كما ذكر الله ذلك  
 والمؤمن انما يرغب النصيب الدائم الذي وعد الله به المؤمنين الصادقين في ايمانهم  
 بالصبر لما عند الله يقينا بما وعد به وتفويضه فيما أراد ودل عباده اليه وابناء  
 الدنيا من الكفرة والمنافقين انما ترغبهم الوظائف والأموال القانية لانهم  
 لا يجدون في قلوبهم الايمان واليقين بما عند الرحمن من حسن المكانة الدائمة  
 ودرجات الجنان وانه يا حبيبي جميع من صبحني وسمع مني وعلم ما أنا عليه صار  
 غرضه ما عند الله وفرغ قلبه من فاني اللذات الى دائم الخيرات ومن نافق  
 ولم يسر على منهجي فقد فوت ما عند الله واظهر الله نفاقه وطرده عن الصحبة  
 ورمي عليه المهرالك في الدنيا قبل الآخرة وأنت حبيبي لمهنتك بالنجاة عند الله

تعالى على التسليم لي والعزم على اتباع ما ألهمنى الله كنت سألتنى عن الغنائم وطريق العمل فيها وقد أعلمتك بما هو جار فيها سابقا لامور منها الظن ان ماورد لنا فى المديرىات الغربية خصوصية حتى سألتى أمين بيت المال عن غنائم بربر فلم تظهر لي الخصوصية عن تكرار سؤاله. وقد ورد لنا من الغيب أن ضرر ذلك كثير ولا بد ان يصلحكم منها شيء. ولما كان الاخوان الذين معك نريد لهم الصفا والسلامة والدخول في عظيم الكرامة والتباعد من عطب دار الملامة أخبرت أمين بيت المال بما وصلكم عنه فانه وان كان منكم من تناول من الغنائم على ما ذكرته لك سابقا فقد تجدد الوارد وأتى من الغيب كبير الضرر في تناول ذلك ونريد الآن ان يقتدي الاخوان بما ورد لنا من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم على ما رأينا انه صلاح للمسلمين واصلاح للدين بما ألهمني الله من الالهام الصائب الذي لو كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حاضرا الآن لفعله وانك حبيبي غير متهم عندنا في الصداقة والامانة معنا ومع الله ورسوله فيما تطلبه عند الله ومتيقن فيك موافقتنا فيما يرد علينا من الامور التى فيها صلاح الدين والمسلمين وليكن معلوما عند الاخوان ان حب الوظائف والاموال والمتاع هو الذي عطل الدين واستقامة المسلمين ولولا الفقراء والمساكين والاغنياء الذين تجردوا عن الدنيا ليقينهم بما عند الله لما تقوم هذا الامر وكامل الذين معكم من الانصار يلزمهم أن يسلكوا هذا المسلك ولا ينسبوا لانفسهم اغاظة الكفرة والنصر عليهم فان النصر من عند الله فان وقفوا مع اديهم مع الله تعالى ونسبوا الامر اليه وصاروا عبيدا له نالوا عظيم المسكنة التى يصغر فى جنبها كل نعمة وملك يذكر لأن الله تعالى يعطيهم من عظمة المقدار ما لا يخطر على بال ففضلا عن المجاهدين المكرمين والشهداء

المعظمين فان الله يعطى الصالحين الذين هم دونهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فمن عاين هذا مع الرضى عند رب العباد لا ينظر الى خسيس الدنيا الذى لا يزن جناح بعوضة فلا يبدلوا نصيبهم هذا العظيم الدائم بما لا يزن جناح بعوضة ويزول عن قرب ولا يدخلهم المعجب وينسبون قيام الله بهذا الشأن الى أنفسهم فتفسد أعمالهم ولا يفتتروا بما فتح عليهم من الدنيا فيؤثروه على ما عند الله ويفرحوا لثلا يقع من انطوى على ذلك فى وعيد قوله تعالى « حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » الآية الخ والسكتاب مطول وكل ما فيه لا يخرج عما تقدم ولا عن مضمون الموعدة الآتية . وتاريخه ٢ صفر سنة ١٣٠٢

وأما الموعدة فنأتى عليها برمتها لزيادة الفائدة . وهى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فانى سأذكر البعض من الواقعات التي وردت فى الثنائيم وغيرها باختصار فبعد ان وردت الواردات فى كيفية الثنائيم وضررها بالابيض حكيت للاخوان حضرة حصلت فوق السموات وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الاصحاب فلا يصل الى ذلك المحل الا الاصفياء الزهاد الخالصون من الملاقات الدنيوية وتعطل منها بعض من الاخوان لاجل علاقاتهم فلم يطبقوا الصعود اليها من علاقاتهم فاعلمت بذلك من انقطع بسبب علاقاته الدنيوية من الرقيق والاموال فتجرد لله عن ذلك وصعد للحضرة المذكورة وشم حصلت حضرة قعد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جمع من المقرين وأجلسني عنده فيما روى وعرز بيننا عودا طويلا امس كأنه شعبة الحيمة الوسطانية التي تقوم عليها وفى



رأسها الثمر ويقول صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة شجرة الصداقة فكل  
من له صداقة فليصعد عليها فيصعد عليها قوم وينزل منها آخرون فلا  
يقدرون على الصعود عليها ليتألفوا ما فوقها من الثمار فكان ما فوقها هو نصيب  
الآخرة ولا يناله أحد الا بالصدق في الايمان والطلب لما عند الرحمن فاعلمت  
من تعطل عن ذلك بسبب العلاقات الدنيوية فنجردوا عما عطلهم وثم حصلت  
أيضا شجرة الصداقة في وقت آخر وطالب الاصحاب بالصعود لنيل الخيرات  
فوقها فصعدوا الاصحاب الا الذين اكوا الغنائم فامتلأت عليهم صمغها فكما  
ارادوا ان يتعلقوا بها ليصعدوا فوقها ينزلهم الصمغ لذي عليها وبعض من  
الاخوان الذين عندهم شيء ولم يحضر المذكرات حصلت له رؤية وكان المذكور  
قبل رؤياه متأسفا على فوات مذكرتنا للاخوان في كيفية الغنائم والتجرد عنها  
لمن هي عنده من الانصار قال ولما أعلني من حضر المذاكرة عزمتم على  
اخراج ما عندي من الغنيمة وهوامة وحجارة وقليل من الدراهم قال وبعد  
عزمني على اخراجها ورفعها لبيت المال أخبره بعض اخوانه بانك كيف تخرج  
هذه الامة الواحدة التي لا خادم لك غيرها ومن يخدمك ان أخرجتها وأي  
شيء تركب ان أخرجت هذه الحجارة الواحدة وإن قام الامام للسفر لا بد ان  
تشتري بالجميع جملا تسافر عليه مع المهدي للجهاد قال فطاوعت من ذاكرني  
من الاخوان بذلك وعزمت على ترك اخراج المذكورات لبيت المال قال  
فرايت النبي صلى الله عليه وسلم أتى للخليفة عبد الله يذكره فقال المذكور  
في نفسه فأتني مذاكرة المهدي فليكن الاسراع مني لحضور مذاكرة النبي  
صلى الله عليه وسلم للخليفة عبد الله قال فلما حضرت وجدت المذاكرة قد  
تمت الا اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول للخليفة عبد الله عند فراقه

لاي شيء لم تستوعب أمر المهدي فالذي يأمرك به المهدي كله افعله هذا معنى كلامه للخليفة عبد الله قال ثم أتيت الخليفة عبد الله لا سمع منه مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت مع الخليفة بعضاً من ملازميه يصلون معه فقطع الصلاة وقال لي أين الخادم أي الامة التي من الغنيمة فقدم آتيانك بها لبيت المال أفسد علينا صلاتنا قال وقال لي الخليفة عبد الله لا شيء لم تجرد من الفنائم أما سمعت قول المهدي تجردوا فمالك لم تجرد قال فقلت له ما عندي الا شيء يسير فقال هذا القليل أده لبيت المال ولو قرشنا واحداً ومثل هذا كثير وبعض من الذين لم تجردوا من الفنائم تحضر لهم تماشيح تمنعهم من لحوق المهدي وأصحابه الصادقين فنفرقهم حتى كان أحد من الاخوان عنده ازار من الغنيمة فقبضه تماشاح وأوقعه في المهالك فاستعان بالله وبرسوله وبالمهدي فادركه المهدي فحملة ليخرجه فاخذه به حجر لم يتركه يسلم حتى أقسم انه يعطي ثمن الازار بثلثي ثم ان المذكور قوم الازار بنحو ستة دراهم أو أقل فدفعه لبيت المال فصار مع الاصحاب وغير ذلك فيا أحبائي ان السعيد يتخلص في الدنيا قبل الآخرة فهناك تسبق الاصفياء ويعطى أهل حطام الدنيا فقد روى ان القيامة قد قامت والمهدي مع أصحابه الاصفياء دخلوا الجنة بلا حساب ولا رؤية هول ولا مشقة واحد الاخوان عنده قليل من المال والله أعلم لم يذكر من قبلته فبس من الدخول وصار يصيح ويبكي من شدة الهول حتى خلص بعد نصف ساعة فدخل الجنة والاهوال ما زالت على الآخرين فيخلصون واحداً بعد واحد على حسب صفائهم وتجردهم من الدنيا فبعضهم يخلص فيصل بعد ساعة وبعضهم بعد ساعتين وبعضهم بعد ثلاث ساعات الى ان خلص آخر الاصحاب نصف النهار ونصف النهار في ذلك

اليوم خمسمائة عام ونصف الساعة نحو الأربعين سنة في ذلك اليوم فمن ذا الذي  
 يطيق هذا الهول فيرضي لنفسه مثله بسبب متعة قليلة في أيام قليلة هي في  
 حكم المدم فيرت بسبب ذلك هذا الهول الشديد والكرب الذي يقف  
 فيه جائعا عطشان نحو الأربعين سنة وأكثر فتجرد ذلك الاخ الذي خلص  
 بمد نصف ساعة وحتم ان لا يطلب في الدنيا مالا ولوقليلا ولا جاها مادام فيها  
 حيا حتي يلاقى الله تعالى. هذا وليعلم الاخوان ان من كان مؤمنا بالبعث  
 وقرب الآخرة وحسابها وكثرة خطرها وضرها ورفعة الذين آمنوا وعملوا  
 الصالحات وعظيم فوزهم وملكهم المقيم الدائم ويعلم شؤم الدنيا وهو انها على  
 الله وشؤم ما تعقبه من الحسرة الطويلة فليتجرد لله لينال جزيل الدرجات  
 ويفوز بدائم الخيرات وليصير من ابناء الآخرة مادام حيا ولا يطلب الدنيا  
 ومتاعها فانها قد انقرضت وهذه الايام آخرايها كما لا يخفى صدق ذلك ولا  
 يجتمع للعبد متاع الدنيا ونعيم الآخرة كما ورد انها ضربتان وكالمشرق والمغرب  
 فبقدر ما يقرب العبد من المغرب يبعد منه المشرق وروى ان بعضا من  
 الاصحاب الذين اكلوا الزناثم وتمتعوا وماتوا قبل اخراجها والحال انه أراد  
 اخراجها فمات قبل اخراجها انه حبس وعذب ووبخ عليه وقيل له ان المهدي  
 انذرك فبعد انذاره تريد ان تجمع لك متاع الدنيا مع نعيم الآخرة ذق العذاب  
 الاليم فلا عذر لك وغير ذلك وفيما ذكرته كفاية لمن له عناية وورد عن الاخوان  
 الذين ماتوا واستشهدوا في حال صفائهم وصدق انابتهم لما عند الله انهم  
 تنعموا نعمًا عظيمة لا تخطر ببال ولا تقاس. منها ان بعضهم رؤي في نعيم عظيم  
 وحور وولدان وفرش واسرة وقصور وخيم وغير ذلك فيقال له صف لنا  
 هذا الذي أنت فيه من النعم فيقول هذا شيء اكرم الله به عباده المخلصين

فلا أقدر أن أصنعه ولا أتعده فإنه لا يوصف ولا يعد وبعضهم يرى أن محبوب  
 الجنة تدخل في مسامه وجميع جسده كالدخلان الذي يخرج من بيت القش  
 فيجد لها لذة أشبه بلذة الجماع ولكن تلك التي في الجنة أحلى والذاضعافا  
 مضاعفة لا تخطر ببال ويلتذ بها بجميع جسده ويسمع للنساء الجنة نعمات  
 لا توصف لذتها وهن عيشين في الهواء كعشيين على أرض الجنة فيعشيان على  
 وجه الأرض ويطنون ويترنن أزواجهن ويقفن معهم في الجهاد ويهلان لهم  
 فان استشهد أخذنه ومضين به الى دار نعيمه وان جرح ولم يشهد فقدن  
 معه يمرضنه الى ان يموت أو يبريء من الجرح وبعض الاصحاب من شهداء  
 وقعة الشاللي يرى في نعيم عظيم وقصور كثيرة فيقول أحد الاخوان الحبين  
 انكم قد انزلتم هذا المنزل الكريم وتعمتم هذا النعيم العظيم فاين منازلنا  
 ونعمنا فيقول لا تشفق فان أصحاب المهدي الصادقين معه لهم منازل وأنهم كمثل  
 هذا فامض معي لأريك منازلكم فيريه منازل عظيمة ونما نخبة فيقول متى  
 نلحق بهذا ونخرج من هذه الدار الكدرة المتعبة فيقول له لا تشفق فان  
 أصحاب المهدي يصلون قريبا فيتنعمون بنعيم هذه وبعضهم يرى بعض اكابر  
 الصالحين المتقدمين فيسأله عن مقامه مع مقامات أصحاب المهدي الذين ماتوا  
 فيقول هيئات إن أصحاب المهدي من علو درجاتهم لا ترام فهم راقون مرقق  
 عظيم وكثيرا يرى انهم يغبطون أصحاب المهدي ويقولون ليتنا كنا أصحاب  
 المهدي لما يرون من عظيم مكاتهم وفضاهم عند الله تعالى وبعضهم يستشفع  
 بالأصحاب ويقول اطلبوا المهدي يجملني من أخس أصحابه فاني راض برتبة  
 أخسهم وأفرح ان وجدت ذلك ومثل هذا كثير مما روى في الجنة للأصحاب  
 الصادقين فيها أيها الاحباب فان القدوم الى ما عند الله قريب والسلام

ولما اطلع محمد الخير على ما كتبه المهدي استدعى الأمراء وتلا عليهم الكتب المذكورة فأصروا على الامتناع وأبو الانصياح وامتنع كل واحد بمشيرته وخيف وقوع الفتنة وقبض محمد الخير على زعانف منهم وكتب يخبر المهدي بما وصلت اليه الحالة فأمره بالتساهل وصرف عزيمته الى تجنيد الرجال واعداد الجيوش للغارة على دنقلة والوقوف في وجه الحملة الانكليزية وكانت قد بدأت حركاتها في دنقلة

واستقرت قدم محمد الخير في بربر ودانت له البلاد وخص ذوي قرابته وتلامذته بكل الوظائف فحق عليه الجمليون وأضمرؤا له العداوة وذهب وفد منهم الى المهدي يشكو من محمد الخير فعنقهم وأرجعهم خائبين حتى كان من أمرهم ما ذكره في أيام التعايشي الذي كان شديد البغض للجميلين ومتربصاً بالفرصة للانتقام منهم على هذه الفعلة وسيأتي ذكر ذلك كله في مكانه والله الموفق



١٥٠

ذكر امارة ابي قرجة علي البحرين من قبل المهدي

ذكرنا ما كان من أمر الداعية ابن البصير وما وشي به على الشيخ العبيد ونقول الآن ان المهدي انتدب الحاج محمد أبا قرجة الذي كان متأثراً بحملة الجنرال هيكس وكتب الى الذين دخلوا في دعوته بطاعة أبي قرجة وانه أمير على البحرين الابيض والازرق فغادر أبو قرجة الابيض ومعه عشرون ألف مقاتل ولما وصل الى شاطيء النيل الابيض أرسل يدعو جميع الدناقلة أقاربه الذين كانوا مستوطنين في قري عديدة اشهرها قرية القطينة على بعد نحو مائة ميل من جنوب الخرطوم وكان أبو قرجة ينوي الزحف على الخرطوم من القطينة ولكن الاخبار

فاجأته بالواقعة الاولى بين صالح بك الملك والداعية ابن البصير فزحف من القطيئة الى فداسي ومعه زهاء ستين ألف مقاتل مسلحين ببنادق من طراز رامنجتون ومعهم مدافع وسواريح وكان ذلك في منتصف شهر جمادي الاولى سنة ١٣٠١

ولما وصل أبو قرجة الى الحلاوين وزع عماله على الجهات وعزل عمال ابن البصير فاشتد الحصار بينهما وخيف وقوع الشرب بينهما فكتب المهدي الى ابن البصير يأمره بطاعة أبي قرجة فلم يستطع غير تقديم طاعته وانتدب أبو قرجة أخاه نصرا حاملا على المسلمية وعهد اليه مصادرة أموال كثير من الذين يبطنون ولاء الحكومة فتحصل على شيء كثير من هذه الاموال وقبض نصر على الشيخ محمد بن القبة وكان عالما بخرير آلانه قام خطيباً في أهالي المسلمية وسرد عليهم الادلة الشرعية التي تظهر بطلان كل ما اتحله المهدي من الدعاوى الكاذبة

ولما اوقف الشيخ محمد بين يدي نصر سأله عما نسب اليه فأعاده امامه وقال انني لا أُرهب الموت في الله فأمر به فسيق الى السوق وضربت عنقه ويروى عن بعض الحاضرين ان أبا قرجة كان يكره قتله لانه كان يعتقد فيه الصلاح

### ذكر حروب صالح بك الملك في فداسي

صالح بك الملك صنيق من الشايقية كان يقود أربعمائة جندي من الباشبوزق وكان ذا مهارة وعقل راجح شهد أكثر الوقائع مع عبد القادر حلمي باشا فشهد له بالشجاعة والمهارة

وقد ذكرنا فيما مضى انه دخل سنار مع مائة وخمسين جنديا بمد غارة عامر  
ابن المكاشني عليها

ولما وصل غوردون الى الخرطوم أرسل الى سنار يستقدم صالح بك  
الملك الى الخرطوم فغادر سنار براً ومعه صنجقان يقود كل واحد منهما  
مائتي جندي

وبعد مسيرة يوم وليلة من سنار رأيت في طريقه ان البلاد كلها دخلت  
في دعوة المهدي فاستشار قواده فأشاروا عليه بالعودة الى سنار فلم يرق له  
ذلك حيث علم ان الاعداء يطعمون فيه ويتأثرونه فتابع سيره الى الخرطوم  
وما كاد يصل الى جهة «فداسي» وهي قرية على ضفة النهر حذاء المسلمية حتي  
قام الجمليون الذين يسكنون المسلمية واستصرخوا عليه سكان القرى القريبة  
من المسلمية فاجتمع عدد يربو على الخمسة آلاف وهاجموه وكان قد أخذ  
أهله وتحصن داخل زريبة من الشوك فاقتحم الدراويش الزريبة ووقف  
هو وعساكره وقفسة الابطال فقتلوا أربعة آلاف مقاتل ورجع الباقون  
بالهزيمة والفشل واتصل الخبر بابن البصير فتقدم الي فداسي في جمع كشاف  
للحرب فتقهقر بخسارة ثلاثة آلاف قتيل ولكنه بقي محاصراً للجنود حتي قدم  
أبو قرجة ووقعت بينه وبين صالح بك واقعة خسر فيها أبو قرجة أكثر من  
ثلاثة آلاف مقاتل ثم أرسل أبو قرجة الى الشيخ العبيد يستقدمه فقدم على  
باخرة من بواخر الحكومة وقعت في يد الدراويش وأرسل أبو قرجة الشيخ  
العبيد الى صالح بك فاجتمع به وقال له ان الخرطوم قد سقطت في قبضتنا  
وحلف له على ذلك أيامنا مغلظة

وكان رسل صالح بك قد وصلوا الخرطوم فأبلغوا غوردون ان صالح بك

في حاجة شديدة الى المدد وأن ذخيره أوشكت أن تنفذ فكتب اليه غردون  
يعده بالنظر في أمر ايصال النجدة اليه وكان ايصال المدد متعذراً لعدة وجوه  
منها عدم وجود جنود في الخرطوم تستطيع المخاطرة والتقدم براً من الخرطوم  
الي فداسي

وقد كان من الممكن ايصال النجدة بحراً لو كان النيل مرتفعاً لان البواخر  
لا تستطيع السفر من الخرطوم وقتئذ اكثر من ثلاثة أميال  
وفي أوائل شهر جمادي الاخرة سنة ١٣٠١ فقد صالح بك كل أمل  
بوصول المدد اليه كما فقد كل ذخيره فاسلم نفسه الي ابن قرجة الذي ارسله  
اسيراً للمهدى

وبسقوط فداسي أخذ أبو قرجة وابن البصير يستعدان للزحف على  
الخرطوم وحصارها من جهة الخندق

ولما وصل صالح بك الى المهدي قابله بشيء من الاكرام وأخذ يحثه  
على الطاعة والانقياد لاوامره ثم قبض عليه وسجنه مع سلاطين باشا ولبتن  
فكتب اليه عدة كتب يسأله الصفع عن زلته فكان يجاوبه بان السجن خير  
له من الاطلاق لان فيه تنظيف سيرته من النفاق والميل الى الكفار  
وبقي مدة في الاسر حتى توفي أواخر سنة ١٣٠٦ من الهجرة

ونذكر هنا بعض ما كتبه له المهدي نقلاً عن كتاب المنشورات لما فيها  
من الفائدة والدلالة على ان صالح بك كتب الي غوردون يعلمه بكثير مما دبره  
المهدي فوقت الكتب بأيدي جواسيس المهدي وقضي صالح بك مدة في  
عذاب السجن والاشغال الشاقة وحفر بيده بئراً يزيد عمقها عن مائتي متر  
وكان غوردون قد أنعم عليه برتبة الميرميران الرفيعة مع لقب باشا



وهذه صورة كتاب من كتبه له

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فمن العبد المفتقر الى مولاه المهدي بن عبد الله الى صالح الملك وقاء الله كل  
 كفر وشك وجمله من أهل الخير الذين يخشون الله الملك لا يخفك أن الله  
 قادر وبيده كل شيء وقد جمل الدنيا دار ابتلاء ليميز المصدقون بدار الجزاء  
 من زائل لباقي العارفون بقدرة الله على كل شيء المتحققون انه لا يجري في  
 الكون شيء الا بإرادته وما فعل فلان الا كان على حكمة بالغة فمن أعرض  
 عنه جهلا به عاقبه عقوبة شديدة لقيام البراهين على السنة الرسل والاولياء  
 الدالين على الله وعلى ما عنده ومن أعرض على معرفة كانت الحجة عليه أكد  
 وعذابه أشد وأشد وانك قد عرفت في الجواب الذي أرسلته الى الفردون  
 أولا أن القدرة كلها لله ولا يغالب دين الله أحد الاغلبه وان الله برحمته قد  
 أنقذك من الوقوع في الورطة وذلك على مهديه بالخروج من الظلمات الى النور  
 ومع ذلك كله لواقع حقيقة جمعت ذلك ظاهراً فقط وان باطنك منطوق على  
 غير ذلك مخاطباً به الفردون في الجواب الثاني وما أعرضت وتوليت بذلك  
 عن الله والدار الآخرة الا لحبك الحياة الدنيا وصارت مبلغ علمك ولو كان  
 إيمانك بالله وبما عند الله صادقا لما نافقت بطلب خسيس الدنيا من الجاه والمال  
 ولما باطننت به الفردون ولما كنت تنصرف عن الله وعن مهديه بسبب جوع  
 أو نحلة كما أنك تعرف ان المصدقين بما عند الله قد صبروا على ما هو أشد  
 مما حصل عليك اضماعاً وقد ذهبت في الله أموالهم وفارقوا ديارهم وترزلت  
 أولادهم وأحبابهم راضين بذلك عارفين ان المبلى بذلك ربهم لتعظيم ثوابهم

وتصفية إيمانهم ولكن أقول صدق الله في قوله حيث قال «ومن الناس من يمسد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة» الآية فلو كان إيمانك على تمكين ويقين لعددت ما يحصل لك من البلاء رحمة من الله بك إيماناً بما عند الله وبحسن قضاء الله وجلب ذلك خير ما عند الله فلو تقطعت بذلك أربا أربا لما خادعت الفردون حيث ان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يقول «ما بلى أحد مثل ما ابتليت» وكل ما بليت بالاجوع والاثقال والمرض والخفوف لعرفت ان ذلك قليل في جنب الذي تطلبه عند الله ولقلت نعم ما هو الفوز عند الله اذ يقول الله تعالى «استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين» الى قوله «وأولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» فأعرضت عن الله ولم تصدق بكلام الله وقد قال الله تعالى «فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم» ومع شؤم الحالة واستحقاقك فيها القتل قد أردنا تصفيتك وتكفير خطاياك بالسجن والحبس والغل لتكون مع المكرمين الصادقين في طلب ما عند الله من المزايا العظيمة الدائمة رحمة بك فلما نلت ذلك كنت تحمد الله على قدر ما يزيد عليك التأديب اذ في كثرة البلايا المزايا كما ورد ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها الذي تتأسف على فراقه فاذا أتاك جوابي فقوض أمرك لله وترقب حسن ما عند الله وأعرض عن الدنيا وما فيها

لتنال الرضا الكامل والسلام ١٤ محرم سنة ١٣٠٢

وهذه صورة كتاب آخر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد

فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى محبنا صالح الملك وقاه  
الله كل سوء ومهلك وجعله ممن للخيرات تملك آمين أيها الحبيب لا يخفى ان  
هذه الدار منقضية وقد خلقها الله للتزود لدار القرار والسعي فيما يقرب الى  
الخالق المختار واعلم ان حبسك هذا ليس لمواخذة وانما هو شفقة بك وتقديم  
الي خيرك الدائم وتغيير وتبديل لك من سوء ملايم وانى أعرف بحالك  
وبصلاحك منك وليس عندي قصد نفسانيات كما لا يخفى على جميع المؤمنين  
والمؤمنات وستنظر خير ذلك وكما لوحت بمخلق النبي صلى الله عليه وسلم من  
صفحه ورحمته فيفضل الله تعالى قد خلقني الله بذلك رحمة منه لا يحولي ولا  
بقوتي ولكن بتسليمك لنا وحسن الظن بنا تجد عظيم المنى فحسن ظنك في  
الله وفينا فبحسن البداية تجد كمال النهاية والسلام

### ذكر زحف المهدي من الأبيض الى غدير الرهد

لما علم المهدي ان دعوته قد انتشرت في أكثر أنحاء السودان وأن نفوذ  
الحكومة قد تقلص ولم يبق في السودان غير الخرطوم وسنار وكسلة وكلها  
محصورة بمجنوده جمع اليه أهل مشورته وكان من رأى عبد الله التعايشي أن  
لا يغادر المهدي الأبيض عاصمة كوردفان وأن يبعث بالجيوش لاخضاع  
الخرطوم وسنار وكسلة وحمل أموالها وذخيرتها له ليشثد ساعده ويتقدم الي  
دارفور ومنها الى ممالك السودان ليؤسس بها مملكة تكون بعيدة عن  
احتمال غارة المصريين عليها فمارضه أحد الخلفاء فقال انا لا نقف عند الخرطوم  
بل لابد لنا من التقدم الى مصر ومنها الى الشام فالحرمين الشريفين وان  
تقدمنا الى جهة الغرب يدعو كثيراً من الناس للشك في أمر المهدي حيث

انهم يرون لاثبات المهدي ضرورة قيام صاحبها بها في الاماكن المقدسة ونحن  
قد وعدناهم بصيرورة ذلك لا محالة وعليه فان انصراف وجهتنا عن الخرطوم  
يفتح باباً لمثل هذه الشكوك التي ربما كانت سيئة المغبة فوافق المهدي علي  
هذا الرأي تبعاً لاميال اقاربه الذين هم من دنقلة ويكرهون الابتعاد عن  
أوطانهم والتطوح في السودان الغربي ومن جهة أخرى ان أهالي السودان  
الاوسط اذا علموا بنيته على الزحف الى السودان الغربي رغبوا عنه ووالوا  
الحكومة. والحاصل انه عقد النية ووطد العزم على الزحف الى الخرطوم  
وأخذ يحث الناس على الهجرة ومغادرة ديارهم مقبحا لهم منافع الدنيا وجاء  
باشياء كثيرة من المواعظ في ذم اقتناء البقر والابل وغيرها من الماشية وان  
الله متكفل بارزاق العباد فلا يليق بالبعد ان يركن الى الزرع ويهتم بامر  
المعيشة فصادت مواعظه آذاناً صاغية من أهالي كوردفان فكانوا يحرقون  
منازلهم ويبيعون ماشيتهم أو يذبحونها ويلحقون بالمهدي في الابيض حتى  
اجتمع حوله زهاء ثمانمائة الف مقاتل ضاقت بهم الابيض وقل الماء وارتفعت  
أثمانه حتى بلغ ثمن جرة الماء عشرة قروش صاغ لان الآبار قليلة في الابيض  
ويبلغ عمقها مائتي متر ولا يتيسر حفر بئر في أقل من سنتين لان الارض  
محشوة بصخور صلبة من الصوان

وفي أوائل شهر جمادي الآخرة خطب في الناس وقال لهم ان المسيح  
الذجال سيأتي الابيض بعد شخوصي منها وان كل من تخلف عني وقع في  
فتنته وهمار من أتباعه ثم غادر الابيض الي جهة (غدير الرهد) الواقع في  
الجنوب الشرقي من الابيض على مسيرة مرحلتين ونزل بالرهد وأنشأ كواخا  
من البوص لسكناء وتابع الناس مسيرهم خلقه فصار ما بين الابيض والرهد

مكينة آهلة بالسكان لكثرة الذين يسرون في الطريق بينهما  
واستخلف المهدي على الابيض عمه محمود بن عبد القادر وهو من  
اكبر انصاره الذين شادوا أركان دعوة المهدي معه وسنعود الى ذكر بقية أخباره  
وثورة جنوده عليه وقتله

وعسكر المهدي في الرهد ووفد عليه كثير من أهالي الجزيرة لتقديم  
الطاعة له فكان يقابلهم بالاكرام ويحثهم على العودة الى بلادهم للجهاد وأقام  
المهدي في الرهد وأرسل جيوشه كلها للغارة على جبل الداير الذي لا يبعد عن  
الرهد الامسيرة مرحلة واحدة

### ذكر حرب المهدي مع اهل جبل الداير

جبل الداير واقع في الجنوب الشرقي من الابيض عاصمة كوردفان  
وسكانه من العبيد النوبيين وهو جبل يبلغ طوله ثلاثين ميلا وعرضه  
ينقص قليلا عن هذا القدر وحجره من الصوان بعكس قته فانها  
أرض زراعية من أجود أراضي كوردفان ينبت فيها الزرع وينبع فيها  
الماء وفي تلك القمة اكثر من مائة قرية يسكن كل واحدة منها ماينيف على  
عشرة آلاف نسمة يزرعون ويرعون الماشية في نباتها الكثير وعندما  
النحل بكثرة حتى أن قيمة العسل كالماء ومن اكثر محصولات ذلك الجبل  
نوع ( التبع ) المسمى ( كدراوي ) وهو شديد التخدير لمن يدخنه أو يلوكه  
في فمه على الطريقة المعروفة باسم ( مدغه ) وهؤلاء السكان لا دين لهم مثل  
سائر عبيد أفريقية والوانهم شديدة السواد وأجسامهم عارية من الملابس  
الاما رز صغيرة يسترون بها عوراتهم

وليس لهذا الجبل الا ميل واحد للصعود على قمته اذ يبلغ ارتفاعه نحو الاني متر  
وتقل لنا أحد المصريين انه صعد على قمة جبل قلي الواقع جنوب سنار  
عند منابع النيل الازرق في يوم كثير الغيوم فابصر جبل الداير وجبال تقلي  
كقطع من السحاب خضراء وقال له سكان ذلك الجبل هذا جبل الداير  
وهاي جبال تقلي

وعليه فان جبل الداير ذو منعة طبيعية يستطيع أهله مع بدهم عن  
المعدات الدفاعية أن يجعلوا الاستيلاء عليه رابع المستحيلات

وفي عام سنة ١٢٨٥ هجرية كان حسن حلمي باشا الجويس مديراً  
لكوردفان وقصد اخضاع جبل الداير لسلطة الحكومة فزحف عليه بطاير  
من المشاة النظاميين ونحو أربع مائة من جنود الباشبورق الغير نظاميين وأخذ  
لنفسه الحذر حتى لا يشعر النوبيون بقدومه اليهم ثم تمكن من الصعود على  
قمة هذا الجبل على غرة من أهله الذين لو علموا أمر تقدمه عليهم لاستطاعوا  
دفعه بغير كبير مشقة

ولما استقر الجنود في قمة الجبل قابلهم السكان بجيش جرار وأصلوهم  
حرباً كانت نتيجة انتصار المصريين وتقهقر النوبيين بخسارة بضعة آلاف  
من مقاتلتهم ثم ان القائد لما أمن النظر في قمة الجبل هاله ما فيها من الغابات  
الكثيفة وكثرة الوحوش الضارية وأخصها النور التي تضطر السكان الى ان  
يتمصوا داخل اكواخهم وزرائبهم قبل غروب الشمس بساعتين ويقضون  
ليلهم في كروفر مع النور التي تهاجم منازلهم وزرائب ما شينهم هجومًا عنيفًا  
في كل ليلة

ولما رأى ذلك عزم على العودة من غير ان يجنى شيئاً من ثمار انتصاره فاشار عليه واحد من صناعق الباشبوزق اسمه مصطفى أغا بالترتبص قليلاً فقبل مشورته وبعد بضعة أيام جاء رؤساء القرى يقدمون طاعتهم فتلقاهم بالاكرام وفرض عليهم مائتي الف قرش ضريبة يؤدونها للحكومة في كل عام فاسرعوا بالاجابة وأدوا هذا المال وقفلوا راجعين بعد ان أقام منهم رؤساء وحكاما يمثلون سلطة الحكومة عليهم ومن ثم صارت أبواب جبل الداير مفتوحة في وجه التجار ويجلب منها العاج وريش النعام والعسل والتمر هندي والتبغ والسهم ويوجد في هذا الجبل معادن حديد بكثرة والاهالي يجهلون كيفية استخراجها

وبعد ما فتك المهدي بحملة الجنرال هيكس أغار أهل جبل الداير ليل على شيكان محل مصرع الحملة واختطفوا كثيراً من البنادق والخرطوش فكتب المهدي الى رؤسائهم يدعوهم للدخول في طاعته ويسألهم ان يردوا ما اختطفوه فقابلوا دعوته بالرفض وعدم الاكتراث فقد عليهم وصمم على مفاجأتهم للانتقام منهم ولما اجتمعت انصاره في الرهد انتدب القائدين عبد الرحمن النجومي صاحب الراية البيضاء وحمدان أبوعنجه قائد الجهادية وأمر الثاني بطاعة الاول فزحفا على جبل الداير في أربعين الف مقاتل منهم عشرون الفا يقودهم حمدان أبوعنجه وسلاح جلمهم من بنادق رامنجتون وعسكر هذا الجيش في سفح الجبل عند قرية اسمها ( سدره ) وأخذ يوالي الهجوم صباحا ومساء على الجبل فيقالبه النوبيون بدفاع يضطربهم الى التقهقر بخسائر غير قليلة والمهدي يوالي ارسال المدد في كل يوم حتى بلغ عدد الجيش مائة الف مقاتل

واشتد الخلاف بين عبد الرحمن النجومي وحمدان أبي عنجه وكان  
التعاضد ظهيراً لحمدان لما بينهما من القرابة ولأنه من رايته فالح على المهدي  
فكتب منشوراً إليهما بأن كل المقاتلة من أهالي السودان الغربي يكونون  
تحت إمرة حمدان أبي عنجه أما الجعليون والداقلة فالأمير عليهم عبد الرحمن  
النجومي ويكون كل واحد من الأميرين مستقلاً بنفسه

وكتب المهدي منشوراً إلى الأميرين ومن مهمما قال فيه إن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أخبره في حضرة أن نصاره إذا هاجموا جبل الداير في  
صبيحة يوم الخميس يندك تحت أقدامهم وتتصدع صخورهم ويصير هو ووجه  
الأرض سواء

وفي ذلك اليوم صلى الأميران الصبح بغلس ودقوا طبولهم وهاجوا  
الجبل وبعد قتال عنيف دام إلى عصر ذلك اليوم انهزم الدراويش شر هزيمة  
وتركوا في ساحة الحرب أكثر من عشرة آلاف قتيل عدا المجرورين الذين  
يربو عددهم على هذا القدر وعاد كثير من الدراويش وفي أنفسهم شيء  
كثير من المهدي الذي كذب عليهم ووعدهم بذلك الجبل وقد صرح لي غير  
واحد من كبار الدراويش بأنه كان قوى التصديق بدعوى المهدي في السر  
والعلانية ولكن منذ واقعة الداير صار لا يصدق دعواه الا ظاهراً خوفاً  
على نفسه من الوقعة والانتقام

ولما اتصل بالمهدي خبر الهزيمة التي لحقت انصاره كتب اليهم يدعوهم  
إلى العودة إلى معسكره بالرهد وقال لهم ضمن كتابه أن رؤساء الجبل  
جاءوه ليلاً وقدموا له الطاعة والخضوع وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره  
بالكف عن مناوئتهم والاحسان اليهم والحقيقة أن رؤساء الجبل لم يخضعوا



له ولا رأتهم عينه وقد كذب عليهم ليؤوه على عقول البسطاء بانه قادر على التغلب عليهم

ولدى عودة الدراويش الى الرهد قابل أسراؤهم المهدي وذكروا له ان الجبل ذك امامهم كما أخبرهم ولكن سبب الهزيمة عدم الوفاق بين القائدين فأتى عليهم وشكرهم وانصرفوا من عنده والناس متعجبون من اكاذيب المهدي وأمرائه معاً

### ذكر رد طالقة الثلاث

لما عسكر المهدي في الرهد ووفد عليه كثير من أهالي الجزيرة لتقديم الطاعة والخضوع استفتاه كثير من أولئك الوافدين في أمر زوجاتهم اللواتي وقع عليهن الطلاق ثلاثاً قبل ظهور دعوته أو كانت طلاقاً أو اثنتان منهن قبل دعوته وقد بنى المستفتون فتاويهم على شيء مما قاله في دعاويه التي تقدم لنا إيرادها من ان الزمن الذي تقدم على ظهور دعوته حكمه حكم زمن الجاهلية الذي تقدم بهمة النبي صلى الله عليه وسلم فاجاب على هذه الفتاوي بمنشور صرح فيه بجواز وطئ أولئك المطلقات من غير ان ينكحن أزاجاً غير الذين طلقوهن بدعوى انهن كن غير مؤمنات ثم تطرف الى ذكر نساءه فذكر انهن كنساء النبي صلى الله عليه وسلم وتعرض الى تفسير بعض الآيات القرآنية التي نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وفسرها بما يطابق هواه وانه سمع كلاماً من قبل الله عز وجل ليس بصوت ولا حرف وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان ملك الالهام مصاحب له . والحاصل ان ذلك المنشور مملوء بالأكاذيب التي تدل على ما كان عليه المهدي من البدع والضلال

وهذا هو نص المنشور الآنف الذكر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .  
وبعد فيقول العبد المفقير الى الله محمد المهدي بن عبد الله انه قد كثر الضرر  
والتشكي الي وطلب النوث من الانصار الحاصل منهم الطلاق قبل زمن  
المهدية ولا يخلو ذلك من الضيق والخرج منهم ومن نسايتهم وقد تابوا والى  
الله انا بوا وللالة والاجتماع في دين الله طلبوا ومراراً أعرض عن ذلك  
وأقول أليسوا كانوا مؤمنين وأفنى للبعض ان عدم الحسبة في الطلاق لاهل  
القيقر والنساء اللاتي لم يكن مؤمنات لانهن لاعصم لهن فلا يكن لهن حسبة  
طلاق حتى كثر الضرر في ذلك والتردد فاهتمت بذلك وتضرعت وابهلت  
الي الله في ذلك ليحصل لي فرقان من كتاب الله تعالى لانه سبحانه قد وعد  
بالفرقان والمخرج للمتيقن وفوضت الامر الى الله وتركته حتى ورد على وارد  
في آخر ورد الراتب وقد كان هذا الامر خارجاً من بالي فوردت لي هذه  
الآية وهي قوله تعالى « وما جعل عليكم في الدين من حرج » مع الالهام انها  
المخرج من ذلك الضرر الحاصل في الطلاق قبل المهدية وان الطلاق قبل  
المهدية لا يحسب لمن تمت الثلاث ولو بعد المهدية وسبق طلاق قبل المهدية  
وبعد المهدية لا تكون الفتاوى التي كان العلماء يفتون بها في مطلقة الثلاثة  
وقد وقع في قلبي حينئذ أعني في وقت ذلك الوارد لنا من قوله صلى الله عليه  
وسلم انما نخرج من «أبا» الى الغرب فالناس يدخلون في دين الاسلام جديداً  
علي أو كما قال وقد وقع لبعض نسايت تمام عديد الطلاق ووقع بعضها قبل  
المهدية وقد تضرروا بأنفسهم بأهليهم وبعض اصحاب وأسرهم بأن يتزوجوا

فلم يرتضوا حتي ورد الخبر بمنع ذلك بالخصوصية التي يأتي ذكرها ولا زالوا  
يتضررون فقلت لاسبيل الى ذلك الا بشيء يأتي لنا من الله ورسوله صلى  
الله عليه وسلم مع وقوع بعض حضرات نبوية في حسبتها من نسائي ووقوفها  
معهن في التصفية وبعض حضرات حصل فيها الامر برجوعها من كثير من  
رأوي صالحة في حسبتها من نسائي وبكل ذلك كنت أجد في نفسي الحرج  
من الرجوع لها مع تمام حسبة الطلاق حتي ورد لي الوارد فيها مع ذلك الوارد  
المتقدم ذكره وهو قوله تعالى «لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما»  
الآية فلا أدري الا وقد انفرج ما بي من ذلك الخوف وانشرح لها صدري  
بغير ما أعده والامر لله والله تعالى في كل وقت شأن وقد جاء الاخبار من  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي ملك الالهام من الله يسدني وعينه  
فمن هذا الخبر النبوي علمت ان الذي يلهمني الله به بواسطة ملك الالهام لو  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضرا لفعله وقد ورد لي سرارا الخصوصية  
التي كانت له صلى الله عليه وسلم في نسائه مع التوصية منه صلى الله عليه وسلم  
ان تنزل نسائي كمنزلة نسائه صلى الله عليه وسلم ولما أهديت الي النساء مع  
الوارد لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن أخذني خجل من ربي  
سبحانه في أمرهن وأنا في ذلك بخاءني سلام سمعته بجميع جسدي من غير  
حرف ولا صوت ولا سر ولا جهر ولا بعد ولا قرب ولا أقدر على تكليف  
شيء منه فدلتني على أسرار كثيرة والله المثل الاعلى وتعالى الله عن كل ما يخطر  
ببال وأمر ذلك مفوض الى الله تعالى ولكي حصل لي مع ذلك الالهام الذي  
يحصل لي فانشرح لي به الصدر وانحل قلبي مما كنت مهتما به وحصلت لي  
اسرار كثيرة يعمض فهمها وقد حصل لي مثل واقعة هذا السلام شيء يشبه

ذلك في كيفية بعض النساء بشارتها نسيها مع تسمية الولد والبنت اللذين يجعلهما الله تعالى منها فسميته بسائر جسمى باطنا وكل ذلك بحول الله وفضله لا يشغف في النساء ولا أبري نفسي الا أن يزكيني ربي وعلم حالي عند ربي ، واعلم ان ظن المؤمنين بي حسن ولكن لحوف دخول الشيطان على من ضعف قلبه مع العلم ان خلافتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا بخلافة الخلفاء السابقين سابيين بعض النصوص المذكورة في بعض التفاسير في قوله تعالى «لا تحل لك النساء من بعد» لينحل قلب بعض الاخوان الذين تقع في قلوبهم عداوة الشيطان بسبب النساء اللاتي ارادهن لي ربي سبحانه وانما الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فاذا فقد العبد كثرة انوار المحبة واليقين بالحقيقة التي نحن عليها أخاف أن يضره الشيطان. قال عكرمة والضحاك «لا تحل لك النساء من بعد» أي الآلاتي أحللنا لك وهي قوله «انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن» الآية ثم قال «لا تحل لك النساء من بعد» أي الآلاتي أحللنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها وقبل لأبي بن كعب لو مات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد قال انما أحل الله له ضربا من النساء فقال تعالى «يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك» الآية ثم قال لا تحل لك النساء من بعد وبين بعضهم في هذا المقام انه صلى الله عليه وسلم تجوز له ثلاثمائة امرأة وقال مجاهد معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات «ولا أن تبدل بهن من أزواج» يقول ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية «ولو أعجبتك حسنهن الا ما ملكت يمينك» أحل له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن

يتسري بهن \* وروى عن الضحاك ولا أن تبدل بهن من أزواج يعني ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في حبالك أزواجا غيرهن بأن تطلقهن فتتكح غيرهن فحرم عليه طلاق اللواتي يكن عنده وحرمن علي غيره حين اخترنه فاما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه وغير ذلك من نحو هذا \* أقول وبعد هذا قد حصلت لي في هذا المعنى اسرار كثيرة يطول ذكرها والحمد لله على خاصيتنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنايته بنا ودعائه لنا قديما وحديثا فان شرف التابع من شرف المتبوع والسلام اه

### زحف ابي قرجة علي الخرطوم

لما سقطت فداسي في يد أبي قرجة وأرسل صالح بك الملك أسيراً الي المهدي كتب المهدي الي أبي قرجة يأمره بالتقدم الي الخرطوم من جهة الجريف وفي أوائل شهر رجب سنة ١٣٠١ وصل أبو قرجة بجيش جرار الي قرية الجريف التي تبعد عن الخرطوم مسافة أربعة أميال علي ضفة النيل الازرق وعسكر هناك وشاد اثني عشرة طابية حيال استحكام الخرطوم وانضم اليه دعاة المهدي الذين كانوا حول الخرطوم وفي مقدمتهم الشيخ مضموع عبد الرحمن وفي ثاني يوم واصله الي الجريف جمع مقاتلته وهجم بهم علي الاستحكام فسكت الجنود ولم يرموه بالنيران حتى اذا صار علي قرب الف ومائتي متر من الاستحكام انفجرت فيهم الالغام التي كانت مدفونة في الارض واطاق الجنود النيران علي العدو فتقهقر أبو قرجة وبلغت خسارته أربعة آلاف قتيل عدا المجروحين

وكانت هذه الالغام قد وضعت قبل زحف أبي قرجة بنحو عشرين

يوما وقام بتجربتها غردون والمستر ياور قنصل انكلترا في الخرطوم  
وعاد أبو قرجة الى معسكره في الجريف وأخذ يوالي اطلاق النار علي  
الاستحكام دون أن يجسر علي الدنو منه وكان مع أبي قرجة نحو مائة نفر من  
أقاربه الدناقلة وكانوا نخاسين في جهات خط الاستواء ولهم مهارة في اتقان  
رماية الرصاص مثل اكثر النخاسين حتى أنهم يقفون في ظلام الليل على بعد  
مرمى الرصاص وينادون باسماء دنائلة نخاسين بقوا علي ولاء الحكومة  
هم وقائدهم سأتى بك الدنقلاوى الذي كان نخاسا أيضا فاذا أجابه المنادي  
قذفوه بالرصاص فيعبيده وأخيرا أصدر غردون امرا منع به كل كلام بين  
رماة أبي قرجة وسأتى بك

ومكث أبو قرجة محاصرا الخرطوم من شهر رجب الى اليوم السابع  
من شهر شوال حتى هزمه محمد علي باشا وسنعود الى ذكر ذلك

### ذكر تفشي الجدري بين الدراويش

كان غردون أمر بوضع مادة الجدري في جوف السكل فاذا قذفت من  
المدافع وقعت في وسط الدراويش بغير أن تنفجر فيأخذونها ويمجدون الماء في  
جوفها فيقولون انها من كرامات المهدي ويتبركون بالمادة الجدرية ويمسحون  
بها وجوههم قشاشا فيهم الجدري وقد رعد الوفيات به كل يوم بخمسين نسمة  
ولم يفتنوا شيئا وما واتصلت الاخبار بالمهدي فبنى عليها ما بنى وزعم ان النبي صلى  
الله عليه وسلم أخبره بأن السكل تحول ماء كرامة له وكثير من البسطاء يمتدنون  
ان هذه المكيدة كرامة ثابتة للمهدي

## واقعة الجريفة

في صبيحة اليوم الرابع من شهر شوال سنة ١٣٠١ انتدب غردون الميرالاي محمد على بك حسين ميرالاي لواء السودان الاول ونحو ألف جندي من الباشبوزق وعدة الجميع خمسة آلاف مقاتل وخمس بواخر قد صفحت بالقولاذ مهاجمة معسكر أبي قرجة فتلقاهم بثبات غريب وما زالوا في كروفر حتى جاء الليل ولم تسفر الحرب عن نتيجة ونابر القائد على خطته وأحاط بطوابي الدراويش وضايقها من جهة البحر وهاجمها من البر مدة يومين وفي اليوم الثالث تمكن محمد على بك من الاحاطة بطوابي العدو حيث استولى عليها بعد الظهر وفر أبو قرجة ومعه أربع مائة نفر من خواصه وقتل من الدراويش نحو عشرة آلاف مقاتل وغنم الجنود مافي معسكرهم من المؤن والذخائر واحتملوا شيئاً كثيراً من الاقوات التي ساعدت سكان المدينة وخفضت ثمن الاقوات فيها وعثر الجنود في منازل الامراء على كميات كبيرة من المسكرات كانوا يخفونها في منازلهم ويعاقرونها سراً ولحق أبو قرجة بالفلاة وأرسل يعلم المهدي بما أصابه من الفشل فوافاه الكتاب وقد غادر الزهد قاصداً « شاة » القرية من النيل الابيض فاستاء من هذا النبأ

وروى سلاطين باشا ان عبد الله التعايشي استدعاه وقال له ان غردون رجل داهية وذو حيل وانه هجم على أبي قرجة وهزمه من الجريفة وان المهدي ينوي ارسال عبدالرحمن النجومي لانه الرجل الذي يمكنه قهر غردون فقال له سلاطين عسى أن لا تكون خسائر أبي قرجة عظيمة فقال لا حرب بغير خسارة

وكتب المهدي الى ابي قرجة يشجعه ويأمره بالانضمام الى الجيش الذي يقوده  
عبد الرحمن النجومي وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأن هذه المصيبة  
خاتمة المصائب التي يختبر الله بها أصحابه وانها آخر هزيمة تلحقهم حتى  
يفتحوا الخرطوم

## واقعة الخلفاية

( وهزيمة الدراويش فيها )

وفي يوم ٨ شوال سنة ١٨٠١ بعد عودة محمد علي بك من الجريف سار  
بالقوة التي كانت معه الى جهة الخلفاية وكان بها أولاد الشيخ العبيد الذين  
تقدم لنا ذكر حوادثهم وهجم على حصونهم فدافعوا نحو ثلاث ساعات ثم  
انهزموا واستولى الجنود على مواقعهم ولحق المنهزمون بالقالة

وكان أبو قرجة أرسل الشيخ مضوى بخمسمائة مقاتل لتعزيز حامية  
الدراويش في الخلفاية وذلك قبل هزيمته ببضعة أيام وعاد محمد علي بك الى  
الخرطوم ظافراً بعد أن وضع حراساً على الخلفاية وأمرهم بهدم القرية وحمل  
أخشائها الى المدينة

وأنتم غردون على محمد بك برتبة اللواء الرفيعة وتلقاه بالاكرام حين  
عودته الى المدينة

وكان غردون يظن ان نتيجة الواقعتين الجريف والخلفاية ستكون عودة  
أهالي القرى الى الطاعة على أثر هزيمة الدراويش فخاب ظنه حيث فر الاهلون  
الى الدراويش وتركوا قراهم ومنازلهم ومزارعهم فاستفاد سكان المدينة بعض  
الفائدة حيث كانوا يؤلفون عصابات يخرجون بها ويحتملون الغلال وسائر



الاقوات من منازل الاهلين

ووقت انباء هذه الهزيمة موقفاً سيئاً عند المهدي حيث تقدم بنفسه  
الى الخرطوم

على ان الذي ساعد على هذه الانتصارات هو ارتفاع النيل ومساعدة  
البواخر للجنود ولولا ذلك لم تقدر على هزيمة العدو وطرده من  
الجريف والحلفاية

وبقي الحال على ما هو عليه في المدينة وابتعد الدراويش عن ضفة النهر  
وأغلقوا في القلوات واسترد المدفع الذي غنمه الدراويش في الواقعة التي خان فيها  
السميد حسين الجمياني وحسن ابراهيم الشلالى

### واقعة ابي حراز

أبو حراز قرية واقعة في الضفة الشرقية للنيل الازرق وهي تبعد عن  
الخرطوم بمسيرة سبع مراحل وهي التي قتل فيها الشريف أحمد بن طه وقد  
تقدم ذكر قتله

سار اليها محمد على باشا في خمس بواخر تقل أربعة آلاف جندي بمد واقعة  
الحلفاية يدعوا أهلها الى الطاعة والخضوع للحكومة قفروا من وجهه ولم يحاربوه  
وأباح القرية للجنود فهبوا ما فيها من الاقوات وشحن من غلالهم نحو النى  
أردب ونحو ثلاثمائة قنطار من البن الحبشي لان هذه القرية مركز للتجارة  
الحبشية والقوافل الذاهبة الى حدود الحبشة والآية منها تنزل فيها ثم عادت  
الجنود الى الخرطوم بنير ان تصادف كيداً

## واقعة القطينة وقتل ساتي

القطينة قرية واقعة جنوب الخرطوم على ضفة النيل الابيض وساتي بك هذا كان نخاسا ثم سار موظفاً أميرياً في بحر النزال ولما وصل غردون الى الخرطوم عينه قائداً على اربعمائة جندي من الباشبوزق وأصلهم من جنود الخطرية الذين كانوا في بحر النزال

وفي أواخر شهر شوال سنة ١٣٠١ اتصل بغوردون ان شخصا اسمه على عبد الله من أهالي القطينة وصهر المهدي جمع جموعاً من بلده ينوي بهم الزحف على الخرطوم فانتدب ساتي بك بمجنوده على باخرتين لاكتشاف أولئك المجتمعين

ولما وصلت الباخرتان الى القطينة هجم على عبد الله ومن معه على ساتي بك هجوماً عنيفاً فقتل لهم وهزمهم عدة مرات وما زالوا في كروفر حتى أصيب ساتي بك برصاصة قضت عليه وانهمز جنوده ولحقوا بالباخرتين المتين أقلمتا بهم وعادتا الى الخرطوم

## واقعة العيلفون

العيلفون قرية على ضفة النيل الازرق تبعد عن الخرطوم بمسافة واحدة ولما انهزم الدراويش من الحلفاية لحقوا بام ضبان قرية الشيخ العبيد وفاوضوه في الامر فكتب منشوراً استصرخ فيه القبائل فاجتمع عليه نحو عشرة آلاف مقاتل وأرسل الشيخ مضوي الى العيلفون لجمع أهاليها وأهالي القرى التي حولها فتألب عليه نحو خمسة آلاف مقاتل عسكر بهم في العيلفون

وانتدب غردون اللواء محمد علي باشا ومعه خمسة آلاف جندي ونحو  
خمس آلاف من أهالي الخرطوم خرجوا متطوعين طمعاً في الكسب وقد  
أذن لهم غردون بمرافقة الحملة لأن ما يكسبونه من الاقوات والماشية يموذ  
بفائدة إيجاد القوت في المدينة وسارت الحملة من الخرطوم أوائل شهر ذي  
القعدة سنة ١٣٠١ على خمس بوخر وعشرة صنادل ومراكب شراعية

وعند ما وصلت الميلفون هجمت على العصاة فقابلوها بثباب عظيم ثم  
أحاطت بموقعهم واصلتهم ناراً حامية وقتلت منهم عدداً يربو على الأربعة  
آلاف وفر الشيخ مضوي في نحو مائتين ولحق بام ضبان وانضم الى الشيخ  
العبيد وغنمت الحملة شيئاً كثيراً من الماشية والحبوب ووصلت أخبار الانتصار الى  
غردون فسر بها وملأت الآمال جنبيه وأني على محمد علي باشا وأعجب بمهارته

### واقعة ام ضبان وقتل محمد علي باشا وحملة

لما انتصر محمد علي باشا في واقعة الميلفون ارسل جواسيسه الى ام  
ضبان فعادوا وأخبروه كذباً بأن الشيخ العبيد في عدد قليل من الرجال وان  
الذين حوله لا يبلغون الالف ويظهر أن أولئك الجواسيس كان الشيخ  
العبيد استمالهم ولقنهم هذه الاقوال ليجر الحملة الى ام ضبان وهناك يطش  
بها في وسط الغابات وقد افلح سعيه حيث لم يكذب محمد علي باشا يسمع هذا  
الخبر حتى زحف بحملته ومتطوعته على ام ضبان التي تبعد عن الميلفون بنحو  
أربعة أميال في الصحراء

ولما توسطت الحملة الطريق خرج عليها كمينان من وسط الغابات كمين  
من خلفها والثاني من أمامها وداهما على غرة فانتثر نظام الجنود وانخن العدو

فيهم قتلا ونزل محمد علي باشا واركان حربته عن دوابهم وجلسوا علي الارض حتى قتلوا

وكان فعلهم هذا تبعا لعادة متبعة عند أهالي السودان وهي أن لا يفر الانسان سيما اذا كان رئيسا أو مشهورا بالفرسية لثلا يقتل منهزمالان ذلك من اكبر العار عندهم ولولا ذلك لكان في استطاعة محمد علي باشا واركان حربته النجاة بدوابهم

وقد وقعت هذه النازلة وقعا سيئا عند غردون وأسقطت منزلة محمد علي باشا من قلبه لانه كان معجبا بمهارته ولم يكن يظن انه يتبع عادة همجية يضحى فيها حياته وحياته اركان حربته فضلا عما اتاه من الطيش والتهور اللذين ساقاه الى المخاطرة بالزحف علي أم ضبان بدون صدور اذن من غردون الذي كان يؤكد علي كل الحملات التي يبعثها بعدم التوغل في انفلوات والابتعاد عن شاطئ النهر وقد خالف محمد علي باشا هذه القاعدة وساق الحملة الى موقف الموت والهلاك

ونجا من رجال الحملة نحو مائتي جندي فقط والذي ساعدهم علي النجاة نحو ثلاثين فارسا كانوا مع الحملة فامتنع كل اثنين ظهر حصان وامسك بعضهم باذئاب الخيل فوصلوا الى البواخر التي أقلمت بهم الى الخرطوم وما انتشر نبي القتلى حتى ضجت المدينة بالبكاء والمويل اذ لم ينج احد من المتطوعة ووقع الخبر موقع الصاعقة علي غردون الذي أيقن بخرج الموقف وان العاقبة ستكون سيئة وخصوصا أن الجواسيس اخبروه بتقدم المهدي علي الخرطوم وان عبد الرحمن النجومي علي وشك الوصول اليها هذه الواقعة جاءت ضربة قاضية علي الخرطوم اذ فقدت فيها نحو خمسة

آلاف جندي جلهم من رجال الالاي السوداني الاول ومن أقوى الجنود الذين في الخرطوم واكثرهم دربة ولولم يفقد غردون هذه الجنود لكان في الامكان استخدامهما في مواقع كثيرة مثل واقعة الجريف والحلفاية وأبي حراز والميلفون ولا يخفى ان تلك الوقائع حادت بفائدة طرد العدو أولا وجلب الاقوات ثانيا ولو استمرت هذه القوة تهاجم البلاد في ابان الفيضان وتغتم ما فيها من الاقوات لاجتمع في المدينة شيء كثير منها ولم تقع الحامية والمدينة بين انياب المجاعة التي كانت من أقوى الاسباب التي ساعدت المهدي على اسقاطها ووقوعها بين مغالبه

### أوراق البون

لما بدأ حصار الخرطوم كانت الخزانة الاميرية خالية من النقود فاصدر غردون أوراق بون من فية قرش واحد الي الف قرش وكتب على كل ورقة ما يأتي «هذا المبلغ مقبول ونجزي دفعه من خزينة الخرطوم أو مصر بعد مضي ستة شهور من تاريخه ابريل سنة ١٨٨٤» وبلى ذلك ختم غردون وتوقيعه بخط يده

وصرفت مرتبات الحامية والمستخدمين من هذه الاوراق ولكن التجار لم يقبلوا التعامل بهذه الاوراق فرفعوا اثمان الاشياء الى درجة جعلت قيمة المائة قرش كمشرين قرشا فقبض غردون على اثنين منهم وأمر بإبعادهما عن الخرطوم خارج الحصون ليلجعا بالدرأويش ثم رق لهما وأعادهما الي المدينة بعد ان اكد عليهما بعدم العودة الى مثل هذا الذنب فاعطياه الذمام على الوفاء

وبالرغم عن التشديدات سقطت قيمة أوراق البون حتى صار الصرافون يأخذون المائة قرش بقرش واحد واستمر هذا السقوط الى نهاية الحصار ووقع المدينة في قبضة العدو

ولم يكن هذا السقوط واقفاً عند ورق البون وذلك ان قيمة الجنيه الانكليزي سقطت حتى صار الصرافون لا يقبلونه الا بريالين أعنى اثنين وثلاثين قرشاً مصرياً وتناول هبوط قيمة الجنيه صنف الذهب كله فان الاوقية من الذهب السنارى الذي هو كالذهب البندقي تباع بثمان ريالات مجيدية أو أقل وليس لذلك سبب غير ان الذهب فى الخرطوم أكثر من كل أصناف المعاملة وصغار الباعة يأبون التعامل بالمسكوكات الذهبية مثل سائر أهالى السودان ويفضلون الريال المجيدى على أى نوع كان من النقود

وقد كانت أوراق البون فى بداية اصدارها مكتوبة بخط اليد وفى ذات يوم جاء الى صراف الخزانة شماس من القسوس الافريقيين كان بيده اوراق من ورق البون يروم توريدها فى الخزانة وأخذ رجعة بها على مالسة مصر وكانت هذه الاوراق مما حصله هذا الشماس من ثمن أثمار بستان لاوئك القسوس واسم هذا الشماس دومينيكو

ولما قلب صراف الخزانة تلك الاوراق ظهر له ان بعضها مزور فأمسكها وساق دومينيكو الى غرفة وكيل المالية الذى تحقق تزوير تلك الاوراق وأسرع بإبلاغ غردون الذى تولى استنطاق الشماس بنفسه حيث ظهر له انه لم يكن هو الفاعل ثم حجز الاوراق المزورة عنده وأمر باعطائه بدلها وبث العيون فى المدينة للوقوف على الفاعل فقبض على صابر وأخيه ابنى عبد الننى السلاوي فاعترفا امام غردون بانهما للفاعلان وضبطت الآلة التى صوراً عليها ختم

غردون وتوقيعه وقالوا ان الذي اضطرهما لارتكاب هذه الجريمة هو الضنك  
 المسبب عن الحصار فعفا عنهما ولم يعاقبهما وأحسن على كل واحد منهما بخمسين  
 قرشاً مريباً شهرياً يتناوله من الخزينة ومن ثم أمر بطبع أوراق البون في المطبعة  
 الاميرية ولم يجسر أحد بعد ذلك على تقليدها

### ذكر وصول البواخر الى سنار

في أوائل شهر ذي القعدة سنة ١٣٠١ هجرية أرسل غردون الميرالي  
 بجيت بطراق بك ومعه اربع بواخر الى سنار فوصل الى نقطة (جادين) الواقعة  
 شمال مدينة سنار فألقى بها حامية من سنار تلقته بالترحاب وأخبرته ان  
 المدينة باقية للآن وانها تمكنت من قهر العدو عدة مرات وان الأقوات  
 متوفرة فيها ثم سلمته الف أردب من الذرة حملها على بواخره وعاد بها الى  
 الخرطوم فانتدب غردون اللواء محمد نصحي باشا بالبواخر الاربع ودفع له  
 عشرة آلاف جنيه من ورق البون لتصرف منها مرتبات الحامية بسنار  
 وأرسل الاعلانات بالانعام بالرتب والمداليات على مدير سنار وضباط  
 حاميتها وكبار موظفيها ومن هاته الرتب رتبة اللواء للرحوم حسن صادق  
 باشا مدير سنار وقومندان حاميتها

وفي أواخر شهر ذي القعدة وصل محمد نصحي باشا بالبواخر الى سنار  
 وقوبل بفرح وابتهاج عظيمين من الحامية والسكان وقفل راجعاً ومعه ألف  
 وخمسمائة أردب من الذرة

## ذكر خيانة ابراهيم رشدي كاتب غردون

كان ابراهيم رشدي كاتباً صغيراً في الحكمدارية ثم صار كاتباً لجبلرباشا الالماني الذي كان وكيلًا للحكمدارية وفصل عنها وعين مفتشاً لمنع تجارة الرقيق فقدم القاهرة معه واستقال جبلرباشا من وظيفته وبقي ابراهيم رشدي بالقاهرة حتى قدمها غردون فعينه كاتباً له وسافر معه فاحسن عليه بالرتبة الثانية وأبلغ مرتبه الى ستين جنياً شهرياً مع ان مرتب هذه الوظيفة كان لا يتجاوز عشرين جنياً وتحصل ابراهيم رشدي على ثقة عظيمة عند غردون فاستعمل هذه الثقة فيما يعود عليه بالمنافع الشخصية حيث أخذ يبيع الوظائف بيع السلع حتي حصل على ثروة طائلة من هذا السبيل وليته كان يبيع الوظائف لمن فيهم بعض أهلية أو استحقاق

وكان له والد يبلغ من العمر زهاء ثمانين عاماً كان ضابطاً برتبة ملازم ثان وهو أُمِّي لا يعرف الكتابة والقراءة واسمه محمد أغا العتباتي فرقاه الى رتبة اميرالاي وعينه قومنداناً للطوبجية حالة كونه لا يعرف شيئاً من هذا الفن وغاية أمره انه كان ضابطاً في البيادة برتبة ملازم ثان كمارقي كثيراً من ذوي قرابته الى وظائف سامية وكلهم بعيدون عن الاهلية والاستحقاق بعد السماء من الارض

ومن هاته الترقيات انه رقي عديله الى وظيفة رئاسة مجلس الاستئناف مع انه لا يعرف كلمة من القانون وكانت صناعته البزازة في الخرطوم ورقى واحداً من أصهاره كانت صناعته تبييض الاواني النحاسية الى رتبة ملازم ثان في الجيش وسماه «خضر جودت» بعد ان كان اسمه خضر النحاس ومثل



هذه الترقيات كثير وانما أوردنا بعضها هنا للدلالة على أعمال هذا الكاتب ولم يمس على وصول غردون الى الخرطوم اكثر من ستة شهور حتى أصبح ابراهيم رشدي في خلالها ذا ثروة تعد بعشرات الالوف وبني له داراً زخرفها ووضع فيها من الرياش ما دهش الناس وأوجب ارتياب غردون في نزاهته ولما وصلت بواخر نصحي باشا الى سنار كان معه فتح الله افندي جهامي السوري أحد معاوني الحكمдарية فسلمه المدير حسن صادق باشا عشرين أردبا من الذرة البيضاء المعروفة باسم (مقد) وهو نوع من الذرة ولكنه أبيض وطعمه قريب من طعم القمح ونحو عشرة قناطير من السم وثلثين خروفاً من الضأن ودفع له كتاباً خصوصياً برسم غردون

ولما عادت البواخر الى الخرطوم سلم فتح الله افندي الذرة والسم والخرقان والكتاب الى ابراهيم رشدي بصفته كاتباً لغردون فقبض الكتاب وقرأ ما فيه حيث علم ان هذه رسالة من مدير سنار هدية لغردون فارسل هذه الاشياء الى منزله ولم يذكّر لغردون شيئاً من أمرها حتى اتصل به ذلك من طبيبه الذي تلقى هذا الخبر من فتح الله افندي جهامي فاستدعى ابراهيم وسأله فأنكر انه تناول كتاباً أو شيئاً من فتح الله المذكور فشهد بعض موظفي الحكمدارية بانهم رأوا الكتاب لما دفعه اليه فتح الله وانهم رأوا الاشياء المختلسة وانه أخبرهم بان غردون تنازل له عنها فامر بتفتيش منزله فوجدت فيه الاشياء في أوعيتها وعليها كتابة تفيد انها رسالة برسم غردون وفقتش أوراقه فوجد الكتاب المرسل من مدير سنار بينها فاعتاظ غردون من هذه الحادثة التي برهنت له على خيانه ودناؤه مع كونه موضع ثقته وامين سره وأمر بالاشياء فاضيفت لجانب الميرى لانه كان من عادته أن

لا يقبل هدية أبدا من صغير أو كبير وقد رأيت ذلك منه منذ صراقتي له حتى  
 انه كان اذا نزل بقرية مدة تجوله في السودان لا يقبل من أهل القرى ضيافة  
 ولا شيئا مالا ويدفع ثمنه حتى شربة الماء لمن يناولها له ولو على ضفة النهر  
 ثم انه أمر بتشكيل مجلس لتحقيق جرائم ابراهيم رشدي فثبت ان ما اغتاله  
 ثمننا للوظائف التي باعها يربو على عشرة آلاف جنيهه وانه كان قد زور  
 توقيع المرحوم جعفر مظهر باشا حينما كان حاكما على السودان  
 وظهر من التحقيق أيضا انه كان قد تناول رشوة من الحائنين السعيد  
 حسين الجمياني وحسن ابراهيم الشلالى اللذين ذكرنا خيانتهم وقتلهم وأن  
 كثيرا من الذين ابتاعوا الوظائف منه كانوا يقصدون من شرائها الوقوف على  
 أسرار الحكومة ليوقفوا المهدي عليها  
 ولدى نهاية التحقيق حكم عليه بالتجريد من كل ألقابه ورتبه والفصل  
 من وظيفته والحرمان من كل وظيفة أميرية وعين بدله قريبا قص بك  
 القمص الذي كان وكيلا للمالية ومات ابراهيم رشدي قتيلا الدراويش يوم  
 سقوط الخرطوم

### ذكر ما ندأينه غردون من النقود

ذكرنا ان ورق البون هبطت قيمته هبوطا فاحشا فتدمر الجنود من  
 هذا المهبوط فاخذ يطلب من الاعيان نقودا بوجه السلفة فكانوا لا يقدمون  
 له الا قليلا واخيرا قال لهم اني استدين منكم لنفسي للحكومة وأجعل  
 لكم فوائد على كل ما استدينه منكم فتسابق الناس الى اجابته لانهم كانوا  
 يعتقدون فيه الوفاء فقد واه في يوم واحد عشرة آلاف جنيه حرر بها كبيالات

على نفسه بخطه وختمه وجعل مواعيدها كلها وصول الحملة الانكليزية الى  
الخرطوم وبهذه الطريقة اجتمع لديه من المال ما قام بمرتبات الحامية وخفف  
عنها ما كانت تتذمر منه من هبوط اوراق البون فلك الهبوط الفاحش

### ذكر مدالية حصار الخرطوم

صنع غردون مدالية في وسطها الهلال والنجمة مكتوب حولها  
هكذا « حصار الخرطوم سنة ١٣٠١ » وجعلها على ثلاث درجات الاولى ذهبية  
والثانية فضية والثالثة نحاسية  
وكل انسان كان محصورا في الخرطوم يحق له حمل هذه المدالية من النوع  
اتالث بغير أن تكون بيده براءة واما النوعان الاول والثاني فيحتاج حاملهما  
الي براءة من غردون

### وظائف المؤلف بعد الاصابة

لما أصبت في واقعة الحلفاية كنت بوظيفة قومندان الحامية ومكثت  
ثلاثة شهور طريح الفراش ولكنتي كنت قائما في خلالها باعباء وظيفتي فكانت  
تقارير القوادتصل الي واصدر لهم الاوامر ليل نهار بدون انقطاع  
ولما من الله علي بالشفا استعس غردون تعييني في وظيفة رئيس  
أركان حرب الحكمدارية حيث اكون شرفا على جميع أعمال قومندان الجنود  
الذي عين بدلي

ولما كثرت دسائس المهدي داخل الخرطوم وخيف وقوع ما لا تحمد  
منه اضاف غردون وظيفة محافظ الخرطوم على عمدي مع بقائي في

وظيفة رئيس أركان حرب الحكمـدارية فكثت قائماً بأعباء هاتين الوظيفتين حتى سقطت الخرطوم .

وكنـت أغدو الى الحكمـدارية في الصباح لتلقى تقارير القوادثم ابرحها الى المحافظة في الظهر حيث أتلقى أخبار المدينة ثم أعود الى الحكمـدارية في المساء لاصدار الاوامر عن الحركات العسكرية ثم أقضى اكثر ساعات الليل متردداً بين الحكمـدارية والمحافظة وقد تمضى علي ثلاثة أو أربعة أيام لا أجد في خلالها فرصة اذهب فيها الى منزلي وفي اكثر الليل تطراً أحوال توجب سروري على مواقف الحامية بمد نصف الليل وربما ركبت باخرة للذهاب الى حصن راسخ بك أو حصن أم درمان أو حصن جزيرة (توتي)

وقد فوض الى النظر في أمر توزيع الديون التي تطلب من أعيان المدينة وقبضها منهم وقد اتفق لي مرار عديدة ان أرسل الى منزلي أطلب غذاءً وأنا بالمحافظة مثلاً ثم يطراً ما يلجئني الى التوجه الى الحكمـدارية فاوصي بارسال الغذاء الى فيها ثم اضطر لمراقبتها قبل ان يدركني وأنا بها وربما كون في مثل هذه الحالة في حاجة شديدة الى الغذاء ولا يمكنني تداركه اذ المجاعة ضاربة أطنابها في المدينة

وقد وقع اكثر من مرة ان الخادم يؤخذ منه الغذاء ويختطفه الناس في الطرق قبل أن يهتدي الى المحل الذي أنا فيه

### ذكر احمد العوام واحراقه الحـبـه خانـه وبقية حوادثه

ولما وصل غردون الى الخرطوم وأصدر الاوامر بإطلاق المسجونين معها كانت جرائعهم اطلق احمد العوام بضمانه رجل من سكان الخرطوم يدعى أبا

بكر الجاركوك وكان هذا الرجل مسجوناً بعد النفي من الاسكندرية لانه كان من أهلها وذا ضلع كبير في حوادثها المرامية

وكانت المخازن المدة لحفظ الجبهه خانه خارج المدينة بالقرب من الاستحكامات . ولما بدأ الحصار كانت مقدوفات العدو تصل اليها فأمر غردون بنقلها الى مكان وسط المدينة تصير فيه بعيدة عن كل خطر فلم يوجد في المدينة بناء يقوم بالفرض غير دار الكنيسة الكاثوليكية وكان القسوس قد هجروا الخرطوم الى مصر ولم يبق بها غير الشماس دومينيكو فعرض عليه غردون استئجار دار الكنيسة لحفظ الجبهه خانات فامتنع من الاجابة ورفع الامر الى المسيو هنزل قنصل النمسا في الخرطوم فاحتج على غردون بعدم موافقة ذلك وحصل بينهما مآذى الى انقطاع الملائق ونقلت الجبهه خانه الى دار الكنيسة وكان منزل احمد العوام ملاصقاً لها فأشعل النار في الجب خانه بقصد احراقها فدورك الامر واطفئت النار قبل ان تبلغ أمكنة المواد الملتبئة وكنت وقتئذ مباشراً لاطفاء هذا الحريق فحصرت الشبهة في احمد العوام وبعض الجيران والقيت القبض عليهم وأخذت أباشر التحقيق بنفسى فظهرت براءة الجيران فأطلقتهم ووجدت النقب الذي وصلت منه النار الى الجبهه خانات في منزل احمد العوام

وقبل ذلك وصلت الى تقارير الجواسيس بان احمد العوام هذا ميال الى المهدي وانه ألف كتاباً سماه « نصيحة الخاص العام في ذكر المهدي عليه السلام » فرفعت خلاصة التحقيق الى غردون الذي أصدر امره الى فتح الله جهامى احد معاونى الحكمدارية أن يأخذ معه الشيخ حسين المجدي رئيس أساتذة المدرسة الاميرية والمدرس بجامع الخرطوم ويفتشا منزل احمد العوام

ويضبطا أوراقه فتوجها وضبطا الأوراق ووجدنا النصيحة المذكورة مكتوبة بخط يده ووجدنا غيرها كثيراً من القصائد التي ألفها في مدح المهدي وتصديق دعوته والخص على رفع لواء العصيان على الحكومة وحملت الأوراق كلها إلى غردون الذي أمر بخرج أحمد العوام في السجن وأبقى الأوراق عنده وأحيل على المحاكمة فحكم عليه بالإعدام فاستبدل غردون هذا الحكم بأخراجه إلى الدراويش فعارض المجلس في ذلك قائلاً إن لحاقه بالمهدي لا بد أن يكون ذاعاً بة سيئة حيث يوقفه على حلة المدينة وينهبه إلى ماهو في غفلة عنه فقبل ما أشار به المجلس وأمر بصلب أحمد العوام فراجعته في أمره والنهت أن يكون انفاذاً للحكم ليلاً في منزله فقبل التماسي وأعدم أحمد العوام في منزله ليلاً وبعد سقوط الخرطوم وقمت النصيحة والقصائد في قبضة المهدي فسر بها وأمر بطبعها فطبعت وأظهر الأسف على قتله وقال انه أشد إيماناً من مؤمن آل فرعون وتني أن يكون للعوام ذرية أو ذوو قرابة يصلهم ببعض ما كان يصل به أحمد العوام لو قدر له الاجتماع به

أما النصيحة فمقسمة إلى خمسة فصول ومقدمة. الفصل الأول في ذكر إمامة جلالة السلطان عبد الحميد حيث طعن على إمامته أشد الطعن وجاء بأدلة أوهى من نسج المنكبوت ونذكر منها نبذة للدلالة على سخافة مؤلفها وفقدانه العقل وهي انه زعم ان لفظة خان الرادفة لاسماء الخلفاء العثمانيين مأخوذة من الحياة وذلك ان السلطان سليم خان سرق مخلفات النبي صلى الله عليه وسلم وخان العهد الذي أعطاه لمن كانت عنده بارجاعها له ولا يخفى ما في ذلك من الدلالة على مبلغ علم ذلك الجاهل . وفي الفصل الثاني مطاعن كلها من قبيل تفسيره للفظه خان موجهة إلى ساكن الجنان محمد علي باشا محي

الديار المصرية وفي الفصل الثالث ذكر الحوادث المرافية والثناء على أولئك  
النوار . والفصل الرابع في دعوة أهالي القطرين المصري والسوداني لاتباع  
المهدي وانه هو المنتظر

وأما الفصل الخامس فقد خصصه لذكر المهدي وقال انه يؤجل الكلام  
فيه الى ما بعد اجتماعه بصاحبه فكتب فيه الشيخ الحسين زهرا كلاما طويلا  
يرمي به الى ما جاء في الاحاديث من ظهور المهدي ويرد على الذين تذرعوا  
بما ورد من الاختلاف الى تكذيبه



### بعثة الكولونيل ستيوارت وقتله

لما أيدت حملة محمد علي باشا ونفى الى غردون تقدم عبد الرحمن النجومي  
الى الخرطوم وان المهدي زحف عليها بخيله ورجله ايقن ان صيره الى الهلكة  
ولا نجاة له بغير وصول النجدة اليه من مصر

ولما كان غردون لا يجمل ان مصر لا تستطيع مساعدته الا اذا شاءت  
حكومة جلالة الملكة فيكتوريا وقد قلنا ان غردون حاول عبثا تحويلها عن الخطة  
التي وطدت النزم على انفاذها وهي ترك السودان للفوضى والقاء حبله علي  
غاربه بمث الكولونيل ستيوارت وزوده بكتب الي رؤساء حكومة الجناوب  
الحديري وحكومة جلالة الملكة وكل هذه الكتب لا تخرج عن التماس  
المعونة وطلب النجدة مع وصف حالة سكان الخرطوم وما يتوقعه لهم من  
المصيبة اذا وقعوا تحت مغالب المهدي

وأحصى المصريين الذين يسكنون الخرطوم فيبلغ عددهم مائتي الف  
نسمة وارسل قائمة الاحصاء مع الكولونيل ستيوارت

ثم استدعى أعيان الخرطوم وضباط الحامية والموظفين والنزلاء الأوربيين إلى مجلس عام وشاورهم في أنه يريد عمل طريقة لخلاصهم من قبضة المهدي وأنه خابر الحكومتين المصرية والانكليزية وأنها إذا لم تصفيا لندائه فلا بد من مخافة جلالة السلطان عبد الحميد خان باسم سكان السودان عموما وسكان الخرطوم خصوصا يسأله احتلال سواحل البحر الأحمر سواكن ومصوع بجنود شاهانية وإرسال مائة ألف جندي من الجيش العثماني لاختاد الثورة وتسكين حركة العصيان وتكون بعدئذ إقليم السودان خاضعة لسيادة جلالة مباشرة بدون واسطة الخديوية المصرية وإن حكومة السودان تقوم بنفقات هذه الجنود بعد زوال الفتن وإعادة المياه لجاريها فوافق الجميع على هذا الاقتراح ووقع أربعة آلاف رجل من أعيان الخرطوم عدا الضباط والموظفين والمساكين على عريضة استرحام بهذا المعنى ترفع إلى مقام مولانا السلطان عبد الحميد خان ووقع عليها أيضا كل مكلف من سكان الخرطوم وسلمت العريضة إلى الكولونيل ستيوارت وأكد عليه غردون بضرورة إرسالها إلى جلالة السلطان على لسان البرق لدي وصوله إلى دنقلة

وعين المسترياور قنصل انكلترا في الخرطوم لمرافقة الكولونيل ستيوارت والموسيو هر بن قنصل فرنسا في الخرطوم وأوصى الاثنين بمساعدة الكولونيل ستيوارت وأكد على الموسيو هر بن بهذا المساعدة لدى حكومة فرنسا حتى لا يقف حملة القراطيس المصرية من الفرنسيين حجر عثرة في طريق أي مشروع يعود بفائدة انقاذ الخرطوم من الوقوع تحت جبروت المهدي نعم إن غردون كان لا يجهل أن انكلترا لا ترضى احتلال الجنود العثمانية لسواحل البحر الأحمر كما أنها لا ترضى بإدخال جيش تركي في السودان



ولكنه قصد أن يكون التاريخ حكما نافذ الحكم بينهما وبينه وإن لا تكون عليه تبعه هازك الالوف من سكان الخرطوم امام الله والعالم أجمع ولكن سوء الحظ لم تكد تصل تلك المرائض الي دققة حتى اوقعها نكد الطالع في يد المدي بعد قتل الكولونيل ستيوارت فاستفاد منها فائدة حيث تحقق ان حكومتى انكائرا ومصر متقاء دتان عن إرسال المدد الى غردون فوظن العزم على الزحف على الخرطوم والقضاء الاخير على سلطة الحكومة فى السودان كلها حيث علم حقيقة مقصد انكائرا وانها ما بعثت غردون الا لسلامة السودان

وعينت الباخرة عباس لتقل الكولونيل ستيوارت ومن معه وعليهم مدفع وأربعة عساكر طوبجية ورافق الكولونيل ستيوارت حسن أفندي حسنين تلغرافى انكليزى بالخرطوم بصفة مترجم ورافقه أيضا محمود حلى أفندي غراب باشكاتب المالية بصفة كاتب له

والتمس من غردون نحو ثلاثين رجلا من الاوروبيين والسوريين كانوا تجاراً فى الخرطوم ان يسافروا بعائلاتهم على مراكب شرعية تقطرها الباخرتان اللتان تخفزان باخرة ستيوارت حتى يجتازوا بربر ثم يجتازون الشلالات فيصلون الى حدود دققة فاجاب التماسهم وعين باخرتين كبيرتين وعليهما نحو الف جندي ومدافع تحت قومندانية القائمقام عثمان حشمت بك وأصدر اليه الاوامر بالمسير بجانبى باخرة ستيوارت وان تكون مراكب التجار مقطورة خلف الباخرتين فاذا اجتازوا بربر تركت المراكب وشأنها وان يقف بالباخرتين عند مكان اسمه ( غنينيطه ) شمال بربر مدة أربع وعشرين ساعة حيث تكون فى خلالها باخرة الكولونيل ستيوارت اجتازت الشلالات وكان عند الدراويش باخرتان كبيرتان فى بربر يخشى منهما ان تتأثرا باخرة

الكلونيل ستيوارت وتلحقا بها المطب وعين مع ستيوارت ملاحين  
دقلين لهما معرفة باجتياز الشلالات

وغادر الكلونيل ستيوارت الخرطوم في أواخر شهر ذي القعدة سنة ١٣٠١  
هجرية ومعه الباخرتان وخلفهما مراكب التجار ومكث سائراً ثلاثة أيام حتى  
بلغ بربر وكان الرصاص يهطل عليه في خلالها من ضفتي النهر كالطرر  
ولما وصلوا بربر أطلق عليهم الدراويش القنابل من خمسة مدافع والرصاص  
ومع ذلك اجتازها بغير أن يصيبه أدنى ضرر

ولما وصلت البواخر والمراكب إلى (غنيطة) أمر عثمان حشمت بك  
بترك المراكب وكان الهواء عاصفاً فلم تستطع السفر  
وأما باخرة الكلونيل ستيوارت فاتجهت في سيرها جهة الشمال ولم  
تكدر تسير ميلاً واحداً حتى أمر عثمان حشمت بك الباخرتين بالاقلاع والعودة  
إلى الخرطوم فاندحش الكلونيل ستيوارت من عمل هذا القائد ومخالفته  
للاوامر التي تلقاها من غردون فامر ربان باخرته بالأسراع في السير فاجتاز  
الشلال الأول بسهولة

ولما نظر الدراويش في بربر عودة الباخرتين أرسلوا باخرة من اللتين عندهما  
لتلحق باخرة الكلونيل ستيوارت فظفرت بمراكب التجار وعادت إلى بربر  
حيث لم تقدر على اجتياز الشلال وسار نحو خمسمائة من الدراويش على ضفة  
النهر ليلحقوا ستيوارت

وفي اليوم الثالث من اجتياز الباخرة للشلال وصلت إلى جزيرة يحيط  
بها الماء من كل جانب وهناك اختلف الملاحان الدنقلان فقال أحدهما الدنو من  
الشاطئ الغربي اسلم من الدنو من الشاطئ الشرقي وقال الآخر إن الدنو من

الضفة الشرقية اسلم من الدنو من الضفة الاخرى وبينما كانا مختلفان ارتطمت  
البخرة بصخرة اتلفتها فدخلت المياه الى جوفها وألقي الملاحان الدنقلان انفسهما  
في جلة النهر وسبحا فيه الى حيث لا يعلم أحد وجهتهما وألقي الكولونيل  
ستيوارت المدفع والحرطوش في قاع البحر ونقل أمتعته وأمتعته من معه على  
زورق صغير كان معه

وعندئذ أظهر ستيوارت أسفه على تركه زورقين كان غردون قد أمره  
باخذهما وقال له انهما يساعدانك على النجاة اذا قدر لباخرتك عدم النجاة من  
الشلالات فتركهما ستيوارت ولم يعبأ بنصيحة غردون  
وكان ستيوارت صعب المراس قوي الشكيمة مستبداً برأيه في  
أكثر الاحوال

ولما استقر ستيوارت في الجزيرة أشار عليه من معه أن يسافر على الزورق  
ومعه بضعة أشخاص ليصل الى حدود دنقله اذ لم يكن بينه وبينها غير مسيرة  
يوم واحد فرفض اقتراحهم ولم يقبله ثم عرضوا عليه أن يبعث رسلا على الزورق  
الى حدود دنقله فاذا وصلوا سالمين وعلم بهم قومته ان الحدود أرسل مسدداً  
لا نقاذهم وكلتا الطريقتين كانت كافلة انقاذه وبلوغه دنقلة سالماً ولكنه لم  
يقبل واحدة منهما أيضاً

وفي أصيل النهار سمعوا صائحا على الضفة النهر فامعنوا النظر فعلموا ان  
الصائح هو ذاك الملاحان اللذان ذكرنا فناديا ستيوارت ومن معه قائلين  
لاباس عليكم وانكم ازاء قرية تدعي السلامة وانها من حدود دنقله ولم تزل  
على طاعة الحكومة ولم تدخل في دعوة المهدي وهم يطلبون ارسال مندوبين  
يتحققون بقاءهم على طاعة الحكومة

وكان حسن أفندي حسنين التلغرافي الآنف الذكر يترجم هذه الأقوال  
 الى اللغة الانكليزية بين يدي الكولونيل ستيوارت الذي أمر حسن أفندي  
 حسنين ومحمود حلمي غراب أن يصطحبا معهما بضعة رجال من ملاخي  
 الباخرة ويذهبوا الى قرية السلامانية من الشاطيء الشرقي للنهر فامتنعوا وقالوا له  
 ان ذهابنا بهذه المأمورية مخاطرة بحياتنا فاحتدم غيظا وتوعدهما بالقتل رميا  
 بالرصاص اذا لم يبادرا بالذهاب فاطاعاه خوفا من هذا الوعيد واجتازا النهر  
 على الزورق واجتمعوا بالملاحين وقصدوا القرية فوجدوا اثثة أشخاص جالسين  
 في فناء مسجد وسعهم رجل كفيف البصر فخطبهم حسن حسنين ومحمود  
 حلمي وقال لهم ان باخرتنا قد غرقت امام قريتكم فان كنتم على طاعة  
 الحكومة رجوناكم ان تمدوا لنا يد المساعدة لنصل الى دنقلة فاجابوهم  
 بانهم لم يزالوا على طاعة الحكومة وانهم خاضعون لحاكم إقليم دنقلة  
 مصطفى ياورياشا وحلقوا على المصحف الشريف بان ما قالوه عين الحقيقة  
 وطلبوا من الرسولين ان يؤمناهم فقالا ان ذلك ليس من خصائصنا بل  
 هو من خصائص الرئيس الذي هو الكولونيل ستيوارت وقفل الرسولان  
 راجعين الى الجزيرة ومعهما رجلان من الثلاثة الذين جرت المحادثة معهم  
 ورغب الرجل الضعيف ان يسير معهما فصار الكل واجتازوا النهر على الزورق  
 ولما مثلوا بين يدي ستيوارت اعادوا ما قالوه لرسوليهم اللذين أبلغاه  
 ما دار بينهم من الحديث وما كان من أمر حلقهم على المصحف فلم يرتب في  
 انهم صادقون في كل ما قالوه فامنهم على انفسهم وبالع في اكرامهم والاحتفاء بهم  
 وأعادهم الى قريتهم وقضى تلك الليلة في الجزيرة  
 وفي صباح الغد جاءه الرجلان اللذان كانا عنده بالامس وقالوا له ان

شيخ قريننا المدعو سليمان بن نعمان بن قركان مسافرا في بعض شؤنه  
وقد آب من سفره بعد عودتنا من عندكم بالامس وقد احضر نوقا لملكم  
عليها الى دنقله وان النوق في انتظاركم على الضفة الشرقية فاجتاز الكولونيل  
النهر ومعه القنصلان وخمسة ثلاثون ملاحا من خدام الباخرة واربعة جنود  
طوبجية وثلاثة موظفين ملكيين هم حسن حسنين ومحمود حلمي غراب  
وثالث قبطي كان كاتباً ايضا وبعد ان نقلوا متاعهم الى الضفة وجدوا بها سبع  
نوق وقيل لهم ان غيرها سيأتيكم على الفور وجلسوا منتظرين بقية النوق  
ولما انتصف النهار جاء من القرية رسولان قابلا الكولونيل وقالاه  
ان شيخ البلد يدعوكم للمأدبة ادبها اكرما لكم فلبس ملابس كانه مدعو  
للمأدبة في بلاد آمنة ولم يأخذ لنفسه أقل حيلة وسار معه القنصلان وحسن  
افندي حسنين ليترحم بينه وبين الاهالي

ولما اقتربوا من القرية قابلهم الاهلون بالبشاشة والترحيب وادخلوهم  
الى أودة كبيرة وجدوا بها نحو خمسين شخصا متزينين بزى التجار فرحبوا  
بهم واجلسوا كل اثنين على (عنقريب) ثم هنأوهم بالسلامة وخرجوا من  
عندهم بعد أن وعدوهم باحضار النوق لملهم الى دنقلة

وبعد خمس دقائق عاد الخمسون رجلاً وبايديهم الاسلحة من الحراب  
والبلط الصغيرة ووضعوا السلاح في رقاب الكولونيل ستيوارت والقنصلين  
فسقطوا قتلاء يتخبطون في دماءهم واصيب حسن افندي حسنين بجروح  
عديدة سقط منها يتخبط في دمه فظنوه قد فارق الحياة مثل رفيقائه الثلاثة  
وتقدم نحو اربعة رجل من القرية الى شاطئ النهر وذبحوا جميع الذين  
كانوا هناك من رجال الكولونيل ستيوارت وجمعوا ما عندهم من الاوراق

وارسلوها الى محمد الخير حاكم بربر من قبل المهدي فاسرع بارسالها الى المهدي الذي كان وقتئذ قد غادر الرهد ونزل في جهة (شاة) القريبه من النيل الايض فسر بها واطلق المدافع سرورا بهذه البشرى وارسل الي غردون بكتاب يدعوه فيه الى التسليم ويعلمه بما اصاب ستيوارت ووضح ملخص جميع الكتب والرسائل التي كانت صحبة الكولونيل ستيوارت وقد اضربنا عن ايراد ذلك الكتاب اكتفاء بملخصه

هذا وقد كان الخمسة درويش الذين تاتوا الكولونيل ستيوارت من بربر قد وصلوا الى قرية السلامانية واشتركوا مع سكانها في هذه المذبحة أما تدير الحيلة على الوجه الذي بيناه فقد دبره شيخ القرية سليمان بن نعمان ابن قر وسيأتي في هذا الكتاب ذكر قتله انتقاما عن هذه الفعلة الشنعاء ولا بد من ايراد شيء في هذا الباب من ترجمة سليمان بن نعمان فنقول هو زعيم قبيلة اولاد قر من بطون قبيلة الرباطاب التي تقدم ايراد ترجمتها وهي من قبيلة الجمعدين التي تكلمنا عنها آنفا

وأما حسن افندي حسنين الذي نجما من هذا الخطب فانه لما قبلوا القتلى وسلبوا من الكولونيل ستيوارت ملابسه وكذلك القنصلان والقوا بجثثهم الى الصقور والكلاب وجدوا حسن افندي حسنين حيا فتآمروا على قتله فشفع فيه الرجل الكفيف البصر والرجلان اللذان رافقاه الى الكولونيل ستيوارت فقبلت شفاعتهم واستلمه احد المشايخ كاسير لديه وكلفه برعى اغنامه مع ما كان يقاسية من آلام الجروح التي كان يضمدها ويمالجها في غضون اشتغاله برعى الماشية في الغلاة ثم ارسل محمد الخير حاكم بربر يطلب ارساله اليه فقيده وساقوه مكبلا بالحديد حتي بلغ بربر مقر هذا

الحاكم فزجه في السجن حتى تشفع فيه كوستي الايطالي فاطم كفتاته  
وسنذكر قصة كوستي فيما سيأتي .

وبعد خلاص حسن حسنين من سجن محمد الخير لحق بام درمان ثم  
غادرها الى كسلاكي يفر منها الى مصر وقد كان شرع في الهروب مع زوجته  
وابنه فافترست السباع وزوجه وابنه ووقع أسيراً بين مخالف المهدويين فسجنوه  
ثم وجد سبيلا الى النجاة واللاحاق بام درمان حيث أقام بها الى حلول الحكومة  
بها ثم عاد الى وطنه مصر واجتمع بأهله الذين حسبوه في عداد الاموات  
بعد طول زمان الفراق وقد روينا عنه هذه الحادثة وتأكدنا صحتها من  
التفاصيل التي وصلت للمهدي

على ان هذه القصة يظهر منها ان بعثة ستيوارت كانت آخر سهم في كنانة  
غردون وآخر عمل كان يأمل من خلاله النجاح ولذلك وقع عنده خبر قتله  
موقعا سيئا للغاية وزاد الطين بلة وقوف المهدي على كثير من الكتب والرسائل  
التي كانت مكتوبة باللغة العربية وان فاته الوقوف على أمثلها التي باللغات  
الفرنسوية والانكليزية وكان غردون متخوفا من ان يكون كوستي  
أطلع المهدي على مفاتيح الشفرة مما يدل على ان الكتب التي كانت  
حوت من الاسرار ما هو أهم من التي كتبت باللغة العربية واطلع  
عليها المهدي

ولما عاد القائم مقام عثمان حشمت بك الى الخرطوم أخبر غردون بانه  
اضطر الى الاقلاع بالباخرتين قبل مضي الاربع وعشرين ساعة وذلك لانه  
خاف مناوشة العدو ولكن التحريات حققت كذبه وان لا مناوشة اضطرته  
الى مخالفة الاوامر فحكم امام هيئة عسكرية حكمت باعدامه وتجريده من جميع

رتبه وألقابه ونياشينه الا أن غردون اوقف تنفيذ هذا الحكم وأبقى المحكوم عليه في وظيفته وعمله مراعاة لظروف الاحوال التي كانت ماسة لتعطيل هذا الحكم والاستفادة من وجود مثل هذا الضابط الذي كانت الحماية تكبر فقده لو انفذ عليه الحكم وكيفما كان الامر فان غلطة هذا الضابط لم تكن السبب فيما أصاب الكولونيل ستيوارت بل كانت السبب في وقوع التجار أسرى في يد الدراويش وما أصاب باخرة ستيوارت كان لا يستطاع دفعه الا لو ساعده القدر وقبل نصيحة غردون واصطحب معه الزورقين فكان يمكنه بواسطتهما للمحاق بحدود دنقله

على انه لو حمل ماخف من متاعه وأبحر على الزورق الذي كان لديه لاستطاع النجاة والعودة الى خلاص بقية رجاله من تلك الجزيرة التي كانت له معقلا طبيعياً يرد عنه كل من رامه. وكان رجاله يستطيعون البقاء والدفاع ريثما تصل اليهم النجدة من حدود دنقله لو لم يتعجل بالقاء المدفع والذخيرة في قاع النهر وزد على ذلك ما سردناه من عدم رويته وتسرعه في الامور ورفضه كل مشورة عرضها عليه رفقاؤه وعدا هذا وذلك فانه لو أرسل بضمة أشخاص من رجاله على الزورق لجاءه المدد من دنقلة ولم يقع في الاثر الك التي نصبها له أولئك الغادرون

والحاصل ان مأمورية ستيوارت وما تخللها من الحوادث جاءت ضغناً على ابالة حيث قضت علي كل أمل بانقاذ الخرطوم من الوقوع تحت طغيان المهدي وشجعت على التقدم الى الخرطوم بجنان ثابت وعزم ماض لئتم ما أراد الله وينفذ ما قضاه والامر لله



## ذكر اخبار كوتسيه الايطالي

كان كوتسيه خا. مآ للمسيو ماركيه قنصل فرنسا في الخرطوم فأرسله  
في تجارة الى بربر

ولما هلكت حملة الجنرال هكس هاجر ماركيه من الخرطوم وخلق بمصر  
خلفه في وظيفته الموسيو هربن الذي ذكرنا قتله مع الكولونيل ستوارت  
ولدى مروو غردون على بربر استبقاه بها بكاسوس يرفع اليه الاخبار  
بالارقام وسلمه مفاتيح الشفرة ليخاطب بها الوكالة البريطانية إن دعت  
الحالة الى ذلك

ولما اقترب محمد الخير من بربر فرّ كوتسيه الى مصر فقبضت عليه بعض  
قبائل من اللائي دخلن في دعوة المهدي وساقته أسيراً الى محمد الخير

ولما أوقف بين يديه عرض عليه اعتناق الاسلام فلم يقبل فأرسله مع  
حراس أوصلوه الى المهدي الذي عرض عليه الاسلام فقبله ونطق بالشهادتين  
مدعيًا انه رأى من كرامات المهدي ونور وجهه ما دعاه الى قبول الاسلام  
دينا وتعالى امام المهدي في الدهاء والترهات حيث قال للمهدي انه رأى من  
أنوار طلقاته ما بهر فؤاده وحجب اليه الاسلام فمرض عليه المهدي حمل  
رسالة منه الى غردون وطلب منه ان ينصح غردون بالتسليم له ويخبره بما  
راه من كراماته فاجابه كوتسيه وحمل الكتاب الى الخرطوم ودخل  
الخرطوم فسأله ضابط الحامية عن سبب مجيئه فقال جئت لانصحكم بالتسليم  
للمهدي وأخذ يسرد له ما حمله من رسالة المهدي فأسكنه الضابط وأمرع  
بإبلاغ غردون أمره على لسان البرق فأرسل غردون إشارة برقية قال فيها اذا لم

يكن كوتسيه راغباً في البقاء معنا ليرجع من حيث جاء فقال كوتسيه لاسبيل الى  
الاقامة مع الكفار وقفل راجعاً الى المهدي في كوردفان فتلصاه بالاكرام  
واغلق عليه العطاء وسماه محمد يوسف كرجته وأهداه جاريتين وعبدین  
وناقتين وأعادته الى بربر وأوصي محمد الخير بمراعاته وأجري عليه راتباً شهرياً  
يقوم بضرورياته

هذا وقد كتب غردون في مذكراته عنه شيئاً كثيراً وتخوف  
ان يكون سلم للمهدي مفتاح الشفرة وغاية ما يقال عن كوتسي انه رأى  
مع قصر نظره ان وقوع السودان تحت قبضة المهدي ضربة لازب وان  
ظهوره بهذا المظهر أسلم عاقبة من بقائه على ولاء غردون. وليس بصحيح  
ما قيل عن تسليم بربر انه كان بخيانة منه لانه فر منها قبل ان يحصرها العدو  
وقبض عليه في الطريق وهو فار الى مصر وتبقى أسر المهديين الى يوم استيلاء  
المصريين على أم درمان فنادوها الى مصر

### وصول عبد الرحمن النجومي الى الخرطوم

لما وصلت كتب الحاج محمد ابى قرجة الى المهدي وعلم منها ما أصاب  
أبا قرجة من الهزيمة والفشل انتدب عبد الرحمن النجومي وكيل الراية البيضاء  
ومعه ستون راية يتبع كل راية نحو ألف مقاتل يخضعون الى أمير ويخضع  
هذا الامير لعبد الرحمن النجومي وضم اليه عبدالله بن النور ومعه عشرون  
راية على مثال رايات عبد الرحمن النجومي واعطاه مدفعاً من الكروب  
وست مدافع جبلية وأصدر اذنًا عاماً لكل من رغب في مرافقة عبد الرحمن  
النجومي من قبائل السودان الاوسط ان يرافقه فصار عبد الرحمن النجومي

من كوردفان بجيش يربو على الستين ألفاً سلاح جلهم الخراب والسيوف  
 والمزاريق وعنده نحو عشرة آلاف من العبيد ( الجهادية ) مسلحين بالاسلحة  
 النارية ونحو عشرة آلاف فارس ومكث بضعة أسابيع في جنوب الخرطوم  
 مشتتاً باجتياز النهر الأبيض من الضفة الغربية الى الشرقية وفي أواخر ذي  
 الحجة سنة ١٣٠١ وصل الى الجريف ووضع معسكره عند قرية الكلاكله  
 المتوسطة بين النيلين الازرق والأبيض وتجاه نقطة الوسط من استحكام  
 الخرطوم ليكون المعسكر نائياً عن مقدوفات البواخر التي كانت لا تنفك عن  
 مناوشة مواقع الدراويش واغلاق راحتهم وهي كما قدمنا كانت من أقوى  
 الاسباب التي ساعدت محمد علي باشا على هزيمة الدراويش وقائدهم أبي قرجه  
 يوم واقعة الجريف

وقسم جنده الى ثلاث معسكرات وأصلح طوابي الجريف وزاد عليها  
 وعهد بالدفاع عنها الى عبد الله النور وشاد طوابي في قرية ( الفرقان ) وتولي  
 الدفاع عنها بنفسه واحفر متاريس بالقرب من النيل الأبيض وعهد بالدفاع  
 عنها الى أحد القواد

وعلى ذلك فيكون عبد الله النور بازاء استحكام ( برى ) على النيل الازرق  
 والمدافع عنه من حامية المدينة اللواء السوداني الاول وقومندان الميرالاي  
 بحيث بطارق بك وهو ضابط سوداني ترقى تحت السلاح . وطوابي الفرقان  
 حيال نقطة القلب من استحكام الخرطوم وهذه النقطة مقر قومندان الجنود  
 العام فرج باشا الذين كما ان طوابي الدراويش المحاذية لها تحت امره قائدهم  
 العام عبد الرحمن والحامية القائمة بالدفاع في هذه النقطة خليط من جنود  
 نظاميين وآراك غير نظاميين ومتطوعة من المصريين سكان المدينة

وأما الحامية التي تقابل متاريس العدو من جهة النيل الأبيض فإنها  
مؤلفة من اللواء الخامس المصرى وبعض جنود من الباشبوزق وقومندانها  
اللواء محمد نصحي باشا

وفي نقطة القلب باب كبير عليه برج من الحديد المصفح تحيط به جملة  
طواب وعليها مدافع من طراز كروب ومن الطرازا لبلى  
ولما وصل عبد النجوى وجوعه الى ضواحي الخرطوم أرسل بكتاب  
الى غردون يدعوه فيه الى التسليم وتوعده بالويل والشبور اذا امتنع عن  
الاجابة وكانت قد وصلت الى غردون أخبار تدل على ان جنود ابن النجوى  
واقعة فى مجاعة شديدة بسبب أن أهالي القري التي حوالى الخرطوم هجروا  
قراهم خوفا من غارات المصريين واعتصموا بالقلاوات وأوغلوا فيها ولذلك لم  
يجد النجوى فى طريقه من يقدم له الاغذية فكتب الى أهالي القري  
يدعوم الى العودة الى قراهم ويضعف لهم قوات المصريين حيال قوته وان  
الحامية التي فى الخرطوم سوف يرون بأعينهم ما يحل بها من بطش مقاتلته  
فأخذ الاهلون يتراجعون الى قراهم وبعد حين صار ابن النجوى وجيشه  
يتحصلون على ما يقتاتون به من الجبوب واللحوم

وفي غضون اشتداد المجاعة على ابن النجوى وجيشه أرسل غردون  
كتابا برسم النجوى وعبد الله النور وأرسل نحو خمسمائة أقة من الخبز الجفف  
(البسماط) بصفة هدية لهم وهدية أخرى من اللحم المصنوعة من اللجين وفى  
الكتاب استهزاء بهما حيث قال لهما انكما جئتما لحصارنا وقتلنا مع انكم فى  
نهاية الحاجة الى القوات فاشفاقا عليكما أرسلت لكما بهذا الغذاء وهذه الهدية  
فردا عليه بكتاب وجيز جاء فيه بعد الديباجة ما يأتى

لا نقول لك الا كما قال سليمان بن داود عليهما السلام بلقيس لما وصلت  
هديتها «أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون  
ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ،  
وتراجع المنهزمون من جماعة أولاد الشيخ البيد وعسكروا في الحلفاية  
كما كانوا واحتفروا المتاريس فكانت مقذوفاتهم تصل الى منازل المدينة وشوارعها  
وتلحق الضرر بالسكان وتميت كثيراً منهم في كل يوم

وكان بين الطوبجية الذين مع ابن النجومي رجل اسمه محمد سلامه وهو  
من الذين نجوا من مذبحه الجنرال هكس فقال له عبد الرحمن النجومي صوب  
قنابل مدفع الكروب الي منارة مسجد الخرطوم والي سراي غردون  
فاعتذر له بان هذه المسافة بعيدة عن الحدود لوصول مقذوفات هذا المدفع فقال  
بعض الدراويش صوب المدفع وبركة المهدي تكفل اتمام الناقص فكان جوابه  
انها لا تكفل أبداً فحنقوا عليه وشكوه الي ابن النجومي الذي أمر بضرب  
عنقه فمات وأخذ الطوبجية الآخرون يرمون المقذوفات في المدينة التي كانت  
تسمر كل يوم بزيادة الضيق وتحس بالغلبة والسقوط الذي وراءه كل البلايا  
والمصائب وثبتت اقدام العدو وصار من المتعذر طرده وانسدت أبواب الآمال  
في وجوه غردون ومن معه

### ذكر مغادرة المهدي الرهد الي الخرطوم

لما فشل المهدي في محاربة جبل الداير وكان ذلك في أوائل شهر رمضان  
سنة ١٣٠١ هجرية أعلن انه ينوي الاعتكاف للعبادة في أول يوم من العشرة  
الاخيرة من شهر رمضان فلا يخرج من الاعتكاف الا لصلاة العيد

وفي يوم العيد اعلن ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالتقدم الى الخرطوم  
ووعده بالفوز على من فيها من الحامية وبشره بفتحها ومن ذلك اليوم زحفت  
جيوشه كسيل العرم على الخرطوم وسار هو حتي قطع القلاة التي بين كوردفان  
والنيل الابيض وعسكر في قرية ( شاة ) على مسافة بضعة أميال من النيل  
الابيض وعلى مسيرة ثمان مراحل من الخرطوم  
أما جيوشه فكانت زهاء ستمائة ألف مقاتل فشت بينهم المجاعة  
والامراض كالجدري والاسهال

ونشر المنشورات على الناس يدعوهم الى الجهاد ويهددهم بالنعم في الدار الآخرة  
لما يقاسونه من التعب وشظف العيش وقضى باهدار دم من تخلف عنه فإبي  
الناس مطالبه وساروا معه بحيث كانوا أطوع له من بنائه بالرغم عن الشدائد  
التي كانوا يقاسونها

### وفود أوليفر باين الفرنسي على المهدي

بينما كان المهدي سائراً في القلاة من الرهد الى شاة بلغه ان سفيراً قادم  
اليه من فرنسا وقد جاءت اخباره مكبرة حتى قيل انه امبراطور فرنسا وقال  
آخرون انه من أقارب جلالة الملكة فيكتوريا

ولما أوقف باين امام عبد الله التمايشي وراه قد لبس جبة مرقعة  
وعمامة كالدرأويش أخذ يتكلم مع التمايشي بالعربية فلم يفهم كلامه لما في  
لسانه من عقدة العجمة فاستدعى سلاطين باشا وقال لبين تكلم معه بلغتك  
لخيا بالانكليزية ظنا منه انه انكليزي وقال له أتعرف الفرنسية فقال له  
سلاطين تكلم فيما أنت فيه وعرفه باسمه فارتاب عبد الله التمايشي وانهرها

فارتاع سلاطين واجاب التعايشى بقوله « انني اخبرته بان الله اعطاك علم ما يضره كل انسان وانك والمهدي لا تخفى عليكماشيء من هذه الضمائر » وكان حسين باشا خليفة حاضرا فقال لسلاطين صدقت ودعا لعبد الله التعايشى بطول البقاء فسر عبد الله التعايشى والتفت الى سلاطين وشكره على اخباره باين باصر اطلاعه على الضمائر وأوصاه بان يجتهد في سهر غور الرجل والوقوف على باطن أمره

وظفق باين يكلم سلاطين بالفرنساوية وسلاطين يترجم للتعاشى فقال انني منذ حداثة سني أحب السودانين وكذلك كل موظفي الفرنسيين يحبون السودانين وان الامة الفرنسية تبغض الامة الانكليزية التي احتلت مصر وارسلت غردون أحد رجالها الى الخرطوم وقد آتيت لاعرض عليكم مساعدتي ومساعدة قومي وانتهي الامر بان قدم التعاشى باين الى المهدي الذي رفض قبول مساعدته وأبقاه بمنزل سلاطين باشا حتي توفي بالحلمى التيفوسية

## ذكر وصول المهدي الي ام درمان

في أوائل شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٣٠٢ من الهجرة الشريفة ارسل المهدي الى اتباعه منشورا قال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بفتح الخرطوم في هذه السنة وأن عدد جملة ( نصر من الله وفتح قريب ) بالجلل الكبير يبلغ الفا وثلاثمائة واثنتين

ولما اقترب من ام درمان وضع معسكره العام عند مكان اسمه ( الفتيح ) على بعد نحو عشرة أميال من معقل أم درمان وارسل جاسوسا يحمل نحو الف نسخة من كتاب يدعو به أهل الخرطوم الى التسليم له ووضع الكتب

في اناء صفيح على شكل ابريق احتمله هذا الجاسوس وسبح به في النهر الابيض  
حتى وصل الى شاطيء المدينة حيث لاحراس يقومون بحراسة الشاطيء  
من جهة النيل الابيض لاتساعه وانما وضعت الجنازير فقط في المضائق لمنع  
السفن البخارية أو الشراعية من الوصول الى المدينة

ووزع الجاسوس الكتب والتي بعضها في الطرقات والازقة والمنازل ثم  
اختفي في المدينة حتى قفل راجعا من حيث جاء ولم يتيسر القبض عليه ومن  
ثم امرني غردون بوضع عسس في شواطيء النيلين الازرق والابيض وانقطع  
وقوع مثل هذه الحادثة وضبط العسس كثيرا من جواسيس المهدي وكان  
غردون يأمر باطلاقهم ولا يسمح بمعاقتهم وهما في صورة الكتاب المذكور  
نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة أهالي الخرطوم  
بهذاهم الله الى الصواب آمين نعرفكم ان الله تعالى غني عن العباد. يهدي من  
يشاء الى طريق الرشاد . ويضل من يشاء ومن يهد الله فهو المهتدي ومن  
يضل فلن تجد له وليا مرشدا وقد طال ما تكررت منا النصائح وارادنا نجاة  
عباد الله وسلوكهم طريق الله فاناب الي الله من اراد الله سعادته وخالف من  
خذله الله فاصمه وأعمى بصره فلا أدري ما الداعي الى عدم الاتقياد أو لله  
شركاء يستشيروهم فيمن يجعله مهديا أم له منازع في ارادته . كلا بل هو  
القادر الفاعل لما يشاء فيجب على كل ذي بصيرة الوقوف معه على حد الادب  
ولا يلتفت الى غير لا وجود له من نفسه وان يسلم الامر لله اذ بيده التقلبات



والله المصير. ومن المعلوم اني عبد دال على الله فن اتبعني فقد حاز السعادة  
الكبرى ومن خالفني سيديقه الله عذاب أخزي في الحياة الدنيا ولمذاب  
الآخره أخزي وقد أظهرني الله رحمة للمؤمنين ونقمة على الملحدين المكذبين  
وقد طالما ذكرتكم بالله ورغبتكم فيما عنده وحذرتكم من وعيده فالي متى الغفلة  
والتسوية والى متى مبارزة مولاكم بالمداوة ألم يأن لكم ان تميل قلوبكم  
الى ما ينفعكم في آخرتكم ويحلب لكم الخير ويصرف عنكم الشر والضير  
اترغبون النجدة والفرج عند الانكايز وتصرفون نظركم عن خالقكم الذي  
بيده أموركم وقوامكم وهو القوى العزيز فما الانكايز وغيرهم واضاف مضاعفة  
بشيء في جنب قدرة الله التي يعجز عن وصف كنهها كل لبيب ونجيب. وما  
الغوث الا من عند الله القريب المحيب. وحيث فهمتم ما ذكر فاني لا أؤخذكم  
على ما فات منكم ولا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين  
فانيوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتىكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون  
وعليكم أمان الله ورسوله وأمان العبد لله وليس عليكم حرج فيما مضى وغايته  
ان من سلم سلم. ومن خالف عطب وندم. فهاهنا ثم هيا الى طريق الفلاح  
والنجاح قبل قص الجناح ولا تخشوا من شيء يحصل عليكم فانا مناظرون  
فيكم قوله تعالى « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم  
كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء ابجھالة ثم تاب من بعده  
وأصلح فانه غفور رحيم » اه

هجوم المهدي علي أم درمان

لما كانت حملة الجنرال هيكس معسكرة في أم درمان حصنت نفسها

بمخندق مربع يتصل طرفاه بالنيل الأبيض قبالة نقطة (المقرن) التي يجتمع عندها النيلان الأزرق والأبيض بازاء الخرطوم في الشاطئ الغربي ثم انشا أحد الالوية خندقا داخل الخندق في مكان مرتفع وما حوله منخفض وفي ابان ارتفاع النيل تصل مياهه الى الخندق الصغير بحيث تستطيع السفن الرسو عنده بخلاف أيام الانخفاض فان النيل يبعد عنها بمسافة ألف متر تقريبا

ولما وصل غردون الخرطوم أعجبه موقع هذا المعقل ورأي ضرورة وجوده لحفظ المدينة من جهة الغرب فشاد فيه أبراجا وطوابي وضع فيها ثلاثة مدافع من الطراز الجبلي وأربعمائة جندي من النظاميين نصفهم من السودانيين والنصف الآخر من المصريين

وفي منتصف شهر محرم الحرام سنة ١٣٠٢ هـ هجم المهدي بجيشه كله على نقطة ام درمان فقاتلته الجنود بنيران حامية اضطرته الى التقهقر بخسارة بضعة آلاف من مقاتلته فأحاط بالخندق الصغير واستولى على الخندق الكبير وقطع الاسلاك بينه وبين النقطة وشاد نحو عشرين طاية على ضفة النيل الأبيض وضع عليها مدافع الكروب والمترليوز والجبلي فكانت مقذوفاتها تقع في المدينة فشاد غردون طاية في (المقرن) ازاء هذه الطوابي وشاد في جزيرة « توتي » أيضا طاية قبالة طوابي ام درمان

ومكث المهدي محاصرا ام درمان الى أواخر شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ وسيأتي خبر تسليمها له



## واقعة الجريفة

في شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ انفذ غردون حملة تبلغ ألف جندي نظامي وأربعة صنّاق من الباشبوزق تحت قيادة البكباشي سليمان افندي النشار فجمعوا على طواحي عبد الله بن النور في الجريفة حتى اذا اقتربوا من الطاية أصيب فرس محمد بك اسلام أحد الصنّاق برصاصة قضت عليه واستولى الجبل على جنود الباشبوزق ففروا وانسلم ركن المربع لقرارهم وتكاثر الدراويش على الجنود الذين تقهقروا بانتظام فتأثروهم حتى اقتربوا من الاستحكام الذي انصبت مقدوفاته على العدو واضطرت به الى الفرار وخسر الجنود في هذه الواقعة مائتي قتيل

وأصيب عبد الله بن النور برصاصة قضت على حياته. وعبد الله بن النور هذا من قبيلة (المركين) صاحب المهدي قبل دعواه وكان من خيرة أتباعه وأكبر قواده حتى قال عنه في «تقدير» انه يموت شهيداً يوم فتح الكوفة

ولما اتصل بالمهدي خبر قتله كتب منشوراً قال فيه ان اسم (الجريفة) في بعض الكتب القديمة الكوفة ثم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً فالذي قضى نحبه هو عبد الله بن النور والذي ينتظر هو عبد الرحمن النجومي

وجرت وقائع أخرى بين الحامية وبين ولد النجومي لا تختلف عن هذه الواقعة ولذلك أضربنا عن إيرادها

## ذكر ارسال البواخر الى المتمة

كان في الخرطوم نحو تسع بواخر منها ما تبلغ قوته البخارية مائة وعشرين حصاناً

ولما ابتدأ الحصار حصنت هذه البواخر بصفائح من الفولاذ وضمت باطرافها صناديق مملوءة بالأتربة لوقايتها من المقذوفات

وكان سعادة محمد نصحي باشا قائداً للواء المصرى الخامس فرقى الى رتبة اللواء وعين قومنداناً للبواخر الحربية وخلفه في وظيفته الميرالاي حسن بك الهنداوى وسار محمد نصحي باشا بالبواخر الى سنار وعاد منها بنسلا لعداء الحامية كما تقدم

ولما أخذ النيل في الانخفاض أرسل غردون البواخر الى المتمة تحت قيادة ومعه الصنجق خشم الموس بك الذى صار بمسند خشم الموس باشا ومكثت البواخر في المتمة بضعة شهور تنسم أخبار الحملة الانكليزية وتتردد بين المتمة وبربر حتى سقطت الخرطوم قبل ان يراها الانكليز

## ذكر المجاعة في الخرطوم

لما كانت حملة الجنرال هيكس ذاهبة الى كوردفان أعدت الحكومة نحو مليوني أقة من البقساط لغذائها وعهدت توريدها الى جماعة من التجار واتفقت معهم على ان يكون ثمن الاقة ثلاثة قروش مصرية

ولما ذبحت هذه الحملة وأصدرت الحكومة الخديوية الامر المالي القاضي بترك السودان واخلاء الخرطوم من الحامية واتلاف المتقاتل كان من البديهي ان مثل هذا القدر من الميرة لا بد من اتلافه وتقديمه طعمة

لاسماك النيل وكان بعض التجار لم يوردوا ما بقي من المقادير التي تهدوا  
 بتقديمها فاعتنم حسين سرى باشا الذي كان وكيلاً للحكمدارية قبل وصول  
 غردون الى الخرطوم هذه الفرصة واستدعى أولئك التجار واتفق معهم على  
 ان يتجاوز لهم عن نصف قرش في كل أقة ويؤدوا اليه الثمن فوراً وهو يأمر  
 أمين الخازن أن يكتب لهم ورقة الخصم التي يقول فيها ان هذه المقادير  
 سلمت اليه ووضعت في الخازن ويكتب حسين سرى باشا على ورقة الخصم  
 حوالة على مالية مصر وقد بلغ ما تناول منه بهذه الحياثة ستائة ألف أقة من البقسماط  
 يقدر ثمنها بعمليون ونصف من القروش اي نحو خمسة عشر الف جنيه ثم جاءت  
 الحوادث بخلاف ما كان ينتظره حيث لم تتجلب الحامية عن الخرطوم ولم يتلف  
 ما فيها من الذخيرة والميرة وابتدأ الحصار وكان غردون يظن ان مافي الدفاتر  
 والاوراق الرسمية عن تقدير كمية مافي الخازن من البقسماط صحيح لاريب  
 فيه حتي أعلن خبر فراغ مافي الخازن وقبض على أمين الاقوات وشكل مجلساً  
 من خمسين شخصاً من الاعيان والموظفين وظهر له ان مرتكب تلك الحياثة  
 هو حسين سرى باشا وكيل الحكمدارية وانتهى الامر بأن غردون صمم على  
 استدعائه من مصر ليعاكم على ما اقترفه من الاثم وبديهي انه لا يكون ذلك  
 الا بعد اخماد ثورة المهدي ورجوع المواصلات بين مصر والسودان وكانت  
 الحكومة دفعت مائة وخمسين ألف ريال الى حمد التلب وسبعة آلاف ريال الى  
 النور ابراهيم الجريفاوي ليوردا لها غلالاً من صنف الذرة سعر الاردب  
 أربعة ريالات فسافر حمد التلب مع حملة الجنرال وقتل معها وعهد الى وكيله  
 توريد الغلال في مخازن الخرطوم فلم يفعل. أما النور ابراهيم الجريفاوي فانه  
 اغتال المال لنفسه وانضم الى اعوان المهدي واشترك معهم في حصار الخرطوم

وسياتي ذكره في أيام التعالشي وأنه صار أميناً لبيت المال  
والخلاصة ان الغلال الـ كانت في مخازن الخرطوم تبلغ نحو ثلاثين الف  
أردب وكان راتب كل جندي سبع أقات ونصفاً من البقسماط وأربعة  
قراريط من الذرة

ويوجد حتى من أحياء المدينة فيه نحو أربعة آلاف نفس من الدناقلة  
كانوا عالة على الحكومة وكانت تقدم لهم الضرورى من القوت  
وتغشت المجاعة في المدينة بصورة مريعة جداً حتى ان كثيراً من  
السكان تورمت اطرافهم وصاروا لا قوت لهم غير ورق نبات اسمه (الابوية  
العفنة) كانوا يطبخونه ويلعقونه وصار قوت الحماية من الصمغ مخلوطاً مع  
جوار النخل وقد شوهد ان الذين يقتاتون بهذه الاصناف يصابون بالاسهال  
وتظهر على وجوههم أعراض تشبه أعراض مرض اليرقان الاصفر ثم  
تتناقص قواهم الجسمية في مدة ثلاثة أيام تمقها أعراض الموت

ومن غرائب ما رأينا في حصار الخرطوم ان صيادى السمك قبل  
الحصار كانوا يصطادون في كل يوم نحو ألف قنطار من الاسماك ولما بدأ  
الحصار انقطع وجود الاسماك كأنها فرت من قمعة البنادق وهزيم المدافع  
حتى ان غردون اشهى سمكة يتغذى بها قبل سقوط الخرطوم بأربعة شهور  
فلم يتيسر الحصول عليها

وكما ان الاسماك هجرت شواطئ الخرطوم فان اراضي بسايتين المدينة  
كانت تقوم بحاجة سكانها من البقول والفاكهة وفي إبان الحصار تلف كل  
مزرعتها ولم ينبت فيها شيء من البقول وذبلت أشجار الفاكهة  
وتلاشت محصولاتها

وقد قاسى غردون من ألم المجاعة ما قاساه أصغر جنسدي من الحامية  
أو أحقر شخص من سكان المدينة فانه اضطر الى التغذي بجمار النخل  
حتى أصيب بتلبك معدى كاديودى بحياته وفي ذات يوم جاءني الطبيب  
اكسيوداكي اليوناني طبيب الحامية واخبرني بان مداومة غردون على تناول  
الجارلا تحمد مغبتها وان صحته الآن على خطر كبير ولا بد من تدارك غداء  
جيد له فكنت أتحصل له بعد كل يومين أو ثلاثة على دجاجة أو زوج  
من الحمام الطائن في السن

ودخلت عليه مرة وقد قدموا له شيئاً من المرق وكان لم يطعم شيئاً  
منذ أربع وعشرين ساعة فلم يتناول من المرق الا قليلاً فالحلت عليه  
في تناول كمية تقوم بتغذيته فامتنع وقال لي اني لا يهنا لي بال ولا تميل  
نفسى الى طعام مادام جنودى يموتون جوعاً وانني فعلت الواجب عليّ والله  
يفعل ما يشاء

وكانت أسعار القوت في المدينة حتى سقوطها كما يأتي ثلاثين ريالاً ثمن  
الكيلة من الفلة وعشرة ريالات ثمن الاقة من البقساط وخمسة ريالات ثمن  
الاقة من اللحم البقرى وكان بعض السكان يذهبون الى البحر الاهلية والحكومة  
تعاقب من يرتكب ذلك

على أن كثيراً من سكان المدينة كانوا في رغد من العيش والغلال مخزونة  
عندهم وهم يالفون في اخفائها بطن الارض حتى التزمت الحكومة بتفتيش  
منازلهم ومقاسمتهم الغلال التي توجد عندهم فكانوا يتذمرون من هذه  
المشاطرة ويبدون الاعذار بكثرة عائلاتهم واضطرارهم الى القوت  
هذا وقد اختل نظام الجنود وفر اكثر الجنود ولحقوا بالمهدي وكثير

منهم توردوا على ضباطهم وألقوا عصايات تمبث في المدينة وتسطوا على باعة  
الأقوات وتختطف ما يعرضونه للبيع من الأقواب وهذه الأسباب دعت  
سكان المدينة وسرايتها الى الاحتفاظ على ما عندهم من القوت مهما عرض  
المشترون عليهم من الثمن الباهظ

### ذكر سقوط نقطة أم درمان

تقدم لنا ذكر هجوم المهدي عليها وما كان من أمر حصارها  
وفي أواخر شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ فقدت حامية أم درمان القوت  
واشتدت وطأة الحصار عليها فاستدعاني غردون لمرافقته في صبيحة يوم ٢٧  
ربيع الاول الى طابية المقرن تجاه نقطة أم درمان للمكاملة مع الحامية بالاشارة  
فرافقته اليها ومكثنا بضع ساعات نتبادل الاشارة فعلمنا ان الحامية فقدت  
القوت منذ ثلاثة أسابيع فسالنا قومندانها فرج الله باشا ان يوضح لنا عما اذا  
كان قادراً على الخروج من الخندق والحقاق بالثلاث بواخر التي استقر الرأي  
على انفاذها له في الغد فاجاب بانه قادر على ذلك فامرهم غردون باتلاف كل  
المثقلات التي يتمذر حملها

ثم عدنا الى سراي الحكمدارية وهناك أخذنا الالهية لاعداد الثلاث  
بواخر وأخذت حامية أم درمان في الالهية وقدّر أن ثلاثة من الجنود السود فروا  
من الخندق ولحقوا بالمهدي وأخبروه ان الحامية ستأتيها البواخر في صباح  
الغد وتحمّلها الى الخرطوم فاوصي قواده بالتيقظ لها فوضعوا لها كمينين  
بين النهر والخندق

وفي صبيحة الغد وصلت البواخر الى شاطئ أم درمان فخرج عليها



الكمينان على غرة وأعمال السيف في رقاب الجنود الذين اضطروا الى الدودة  
الى أم درمان بعد خسارة نحو مائة قتيل وعادت البواخر الى المدينة  
وفي منتصف النهار رافقت غردون الى طابية المقرن لمكاملة حامية  
أم درمان أيضا فلمنا ان سبب الفشل هم أولئك الجنود الذين لحقوا بالمهدي  
فاصدر غردون أمره الى القائد فرج الله باشا ان يسلم الحامية للمهدي فكتب  
اليه يسأله الامان فاجابه بكتاب صرح فيه بامانه وأمان أركان الحامية ولكن  
لم يوف به بل عذب الحامية وضربها بالسياط لتدل على ماخبائنه من الاموال  
وفي اليوم الاخير من شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ الذي ضرب أجلاً  
للتسليم ركب المهدي في عدد كبير من فرسانه حتى دنا من الخندق فخرجت  
اليه الحامية وتقدم الضباط نحوه فترجل لهم عن فرسه وجلس معهم على  
الارض وقدم لهم شراباً من المسيل وعين فرج الله باشا قومندانها قائداً  
من قواده وضمه الى حمدان ابني عنجه قائد الجهادية وسيأتي ان فرج الله باشا  
هذا هو الذي قتل نجاشي الاحباش يوم واقعة القلابات  
وهذا المذكور ضابط أسود كان بحامية فشوده وكان برتبة اليوزباشي فرقه  
غردون حتى أبلغه رتبة اللواء وكان ضابطاً لحراسة السراي ولم يكن أمر  
تسليمه ماساً بامانه ويظهر من خوى كتاب المهدي الآتي ان فرج الله يعرفه منذ  
كان بجزيرة «آبا» وعلى كل حال فانه لم يقصر في واجباته ولم يرتكب أمراً يسيئه  
وكما انه خدم الحكومة باخلاص فانه لم يخن الدراويش. وهما هي صورة الكتاب  
نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد

فمن العهد المفتقر الى الله الواثق بما عند مولاه محمد المهدي بن عبد الله الى  
 أحبابه المكرمين المعظمين وأهل الدراية وهم كبير العسكر وعظيمهم فرج الله  
 وصاحبه عبد النبي ومن انضم اليهم من الاكابر والاصاغر اعلموا وتحققوا  
 أحبابي اني لست قائما هذا المقام الا لدعوة الخلق الى الله وسعادتهم الكبرى  
 ونيل مراتبهم العلية وتغييرهم عما يضرهم من خسيس فاني للذات التي  
 تعقب طول الخسرات وقد بلغتني ان المكرم المعظم فرج الله من ضباط  
 أهل فشودة الذين يحبوني سابقا وانا «بابا» من معرفتهم زهدي في الدنيا وصدق  
 في الطلب لما عند الله وإرادة الآخرة ودلالي على الصلاح والصلاح وإرشاد  
 العباد الى رضا الفتح ليكتسبوا دائم المطلوب من النجاح فلا تظنوا اننا  
 نطلب أموالكم وما ملكت أيديكم ان سلمتم لنا وصرتم من أصحابنا فان  
 سلمتم لنا فقد حزتم الكرم وصرتم من أحبابنا وأصحابنا الذين بشرنا سيد الوجود  
 صلى الله عليه وسلم بانهم كاصحابه رضوان الله عليهم وأدنى أصحابي رتبة ينال  
 مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى وفيما ذكرته كفاية لاهل  
 العناية وأظن انه قد بلغتكم انذاراتي سابقا فلا فائدة في التطويل فان سلمتم  
 فقد عفوناكم ورضينا عليكم وكنتم من الاصحاب المكرمين الذين لهم عند  
 الله حسن المكانة الابدية فلا تظنوا فينا الا نياكم منا كل خير فاني المهدي  
 المنتظر خليفة نبيكم صلى الله عليه وسلم فابشروا بالكرامة والفخامة ان  
 سلمتم لي واتبعتموني وليكن معلوما عندكم أحبابي ان من لم يصدقني ويتبعني  
 يهذب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد واني موعود بملك جميع الارض ورأيتم  
 نصرتي في حال الضعف والقلة الى ان بلغت هذا المبلغ واجتمعت عندي  
 أسلحة راشد بك وولد الشلالي والهكس والابيض ودارفور وبحر الزوال

وجباخينهم وبشرت اني لو أردت لقبض الله سلاح الترك بحيث ان أصحابي يقتلونهم ولا يقتلون ولكني اخترت توفيقا من الله ان ينال أصحابي الشهادة ويبلون في الله لينالوا عظيم المكانة عند الله كما في كتاب الله واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما علمتم ولتمتدوا هذا زيادة كتبت هذا بخطي والسلام الخ

### ذكر الاخبار التي تبودلت بين غردون والمهدي

لم يفتأ المهدي يدعو غردون الى التسليم له والخضوع لجبروته وقد عرض عليه جملة اقتراحات منها انه يسمح له ومن معه من المصريين بالنزوح الى مصر وترك الخرطوم على شرط ان لا يحملوا من متاعهم الا ما خف وان يؤدوا أجرة الجمال التي تحملهم الى حدود مصر

واقترح المهدي مرة على غردون ان يسلمه المدينة وفي نظير ذلك يسمح له بالعودة الى بلاده بدون قيد ولا شرط

وكان غردون يرسل الى المهدي الكتب تباعاً في بعضها الاستمراء به وفي بعضها يقول له ان حكومة جلالة الملكة تفديه منه بعشرين الف جنيه فرد عليه المهدي بانه يسمح له بالذهاب الى وطنه بنير ان يتناول شيئا من الفداء وفي بعض الكتب يخبره بتقديم الانكيز لامداداه ويؤكد له ان اجتماعهم مستحيل وانه موقن بقتلهم وغلبيتهم كما حصل لملتى يوسف باشا الشلالى وهي كس باشا

وكان غردون قد انقطعت عنه أخبار الحملة الانكيزية ولم يكن يعلم بتقدمها نحوه الا من الكتب التي يرسلها له المهدي

وكان عبد القادر بن أم مريوم الذي تقدم لنا خبر خدمته لغردون ولحاقه بالمهدي وصيرورته قائداً من قواده قد أهدر غردون دمه وجعل جائزة لمن يأتيه براسه ثم كتب غردون الى المهدي يقول له ان عبد القادر بن أم مريوم صديقه الحميم وصاحبه القديم وانه يتنى ان يكون رسول المهدي اليه ليقدم له الخضوع والتسليم فقطن المهدي لهذه الحيلة وخاف ان ينتقم غردون من عبد القادر فصار يعده برسالة ان جنح لمسالته وهذه صور الكتب نقلها عن كتاب المنشورات

## الكتاب الاول

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المتعصب بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى غردون باشا هداه الله الى طريق النجاة قبل ان يتلاشأ آمين نعلمك ان جوابك رد المحرر منا وصل الينا وفهمنا مضمونه وقد عذرناك في عدم اذعانك واجابتك لنا بالطاعة كما طلبنا منك وذلك لانك لم تدر الحقيقة التي نحن عليها وبحسب مقامنا ودلالتنا الى الله وشفقتنا على عموم خلق الله حتي من هو مثلك لم يطب قلبنا بصرف النظر عنك ولا زلنا ندارجك عسى الله ان يهديك الى سواء السبيل فاجب داعي الله واغتم سلامتك من الشر الويسل فقد رأيت ماحل ونزل ولا زلت تري ولا طاقة لك ولا لاعوانك بحرب جند الله عز وجل وقد ذكرت أن عبد القادر ولد أم مريوم حبيبك وتقبل قوله ونصيحته وطلبت ارساله لك فلي م ذا هل أنت منيب الى الله وقصدك التسليم لنا على يد المذكور

أم انت على تصميمك في اعراضك ومعاداتك لربك فافدنا على هذا لنعلم طلبك  
له هو علي أي الوجيبين ونرسله لك ان راينا في ذلك صلاحا للدين واقول لك  
ان عزة الاسلام خير لك واقبى لدوام احترامك في الدارين فتحل بها ان عقلت  
والسلام ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٠٢

## الكتاب الثاني

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فمن العبد المفتقر الي الله المتعصم به محمد المهدي بن عبد الله الى الفردون باشا  
فسلم تسلم يؤتك الله أجرک مرتين وان اعترضت كان عليك اثمك واثم من  
معك فقد اتاني الخبر من الرسول صلى الله عليه وسلم ان الجردة الآتية لو  
لو كان معي ستة أنفار تموت أو خمسة تموت أو واحد تموت أو وحدي  
كذلك ولو كانت مثل ورق الشجر ونبت الوعر وموج البحر وقد اتاني خبرها  
انها تموت أبسر من موت جردة ولد الشلاي والهكس والمديريات الغربية  
كلها والبحر الابيض وكذلك موعود بجميع البلاد فالامر لله ومادام ان الله  
القادر أيديني بالكرامات وبالنصر فلا يضرني انكار منكر وانما يضر نفسه  
فقط والامر الذي أوعدت به من رسول الله صلى الله عليه وسلم جار على  
ان الجردة التي تعتمدونها مالها وجه يوصلها لكم من سد الانصار الطرق فان  
اسلمت وسلمت فقد عفونا عنك واكرمناك وسامعناك فيها جرى منك وان  
أبيت فلا قدرة لك على نقض ما أراده الله وستري والسلام ربيع أول سنة ١٣٠٢  
«تحشية» وان طلبت زيادة بعد وصول جوابي هذا فتخبرك المرأة لواصله

إليك وإن رأيت التمسكين واليقيين أن أردت التسليم أكثر من هذا الجواب  
سنرسل لك عبد القادر ولد أم مريوم لزيادة الطمأنينة في الأمان فلا مانع  
وبذا لزمت التحشية

## الكتاب الثالث

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم \* والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .  
(وبعد) فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى غردون باشا .  
وقاه الله كل شر لا شأ . فإن أراد الله سعادتك وقبلت نصحننا ودخلت في  
أماننا وضماننا . فهو المطلوب وإن أردت أن تجتمع على الانكليز الذين أخبرنا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهم فنوصلك اليهم فإلى متى تكذبنا وقد  
رأيت ما رأيت وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاك من في  
الخرطوم قريباً إلا من آمن وسلم ينجيه الله ولذلك أحبيت لك أن لا تهلك مع  
الهالكين لانا قد سمعنا مراراً فيك الخير ولكن على قدر ما كاتبناك للهداية  
والسعادة ما أجبنا بكلام يؤدي الى خيرك كما نسمعه من الواردين والمتردين  
والآن ما أئسنا من خيرك وسعادتك ولما سمعنا من الفضل فيك سنكتب  
لك آية واحدة من كتاب الله عسى أن ييسر الله هدايتك بها اذ جعلنا الله  
باب الرحمة والدلالة الى الله ولذلك طال ما كاتبناك لترجع الى وطنك وتحوز  
فضيلتك الكبرى وثلاثيأس من الفضل الكبير أقول لك قال الله تعالى  
« ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً » والسلام ٢٥ ربيع أول سنة  
١٣٠٢ وقد بلغني في جوابك الذي أرسلته إلينا أنك قلت أن الانكليز

يريدون ان يفدوك وحدك منا بعشرين الف جنيهه ونحن نعلم ان الناس  
يتقولون من البطل كلاما كثيراً ليس فينا وذلك لصدود من أراد الله شقاوته  
ولا يعلم نفيه الا من اجتمع بنا وأنت ان قبلت نصحنافها ونعمت والا ان  
أردت ان تجتمع على الانكليز فبدون خمسة فضة نرسلك اليهم والسلام في تاريخه

### ذكر فرار الصنچين عمر والعطا

كانت حالة المدينة وما أصابها من المجاعة مجهولة لدى المهدي لما كان  
يظهره له غردون من الجلد وكان ضمن جنود الباشبوزق صنچقان يقود  
كل واحد منهما مائتي جندي من الباشبوزق اسم أحدهما عمر ابراهيم والآخر  
العطا الدود الشايقي

وفي ذات يوم جاءني الاول وقال ان له قريبا في جيش المهدي ارسل له  
كتابا قال فيه ان الحملة الانكليزية وصلت الى جهة ( ولد البصل ) التي تبعد  
عن الخرطوم بمسيرة مرحلتين جهة الشمال وانه يتحمل مسؤولية عدم صحة  
هذا النبأ ثم طلب ان تدفع له مرتبات جنوده من صنف الجنيه الذهب  
خلافاً للمادة المتبعة وقتئذ من صرف المرتبات من ورق البون ومن المسكوكات  
مما فاصدرت الامر بصرف مرتبه ومرتبات جنوده من صنف الجنيه  
الذهب وكان ذلك نحو أربع مائة جنيهه وكذلك أمرت بصرف مرتبات  
جنود العطا الدود من صنف الذهب أيضاً وبعد قبضهما عادا الى مواقعهما  
من الاستحكام

وما كاد الظلام يرخي سدوله حتى فرا ولحقا بالمهدي وأوقفاه على حالة المدينة  
وما تقاسيه حاميتها من وطأة المجاعة وفقدان القوة ثم اعلماه بمكان في طرف

الخدق من جهة النيل الأبيض هبطت عنه مياه النهر وهو مملوء بالاوحال  
تستطيع جنوده ان يدخلوا من هذا المكان وأطلماء على كل عورات الخندق  
وارشده الى الطريق التي يمكنه الدخول منها . وبالجملة فان هذين الخائنين هما  
الذنان شجعا المهدي على محاولة فتح الخرطوم عنوةً ولولا هما لظل محاصراً  
للخرطوم لا يجسر على الهجوم عليها وأخذها عنوةً

ولما اتصل خبر فرار ذينك الخائنين بفردون استدعى فرج باشا الزيني  
ووجه على اختياره هذين الشقيين وشهادته باستقامتهما وبمدهما عن الميل  
لجهة العدو ثم أمر باجراء تحقيق ظهر منه انهما كانا قد اشتريا من فرج باشا  
وظيفتهما ودفعاً له ثمناً باهظاً ثم أمر بحفظ الاوراق حتى تسنح الفرصة  
بمحاكمة هذا القائد وذلك لا يكون طبعاً الا بعد انقاذ الخرطوم



### ذكر ما دبره فردون لانقاذ الاوربيين

لما سقطت أم درمان وبرحت المجاعة بحامية الخرطوم استدعى فردون  
قناصل الدول وأعيان النزلاء الاوربيين الى مجلس عقد بسراياه ثم اتفق الرأي  
على انتدابى ومى الاوربيون والقناصل لنهر الخرطوم على باخرة صغيرة  
اسمها ( محمد على ) وتلحق بخط الاستواء او بالتممة لتقابل جنود الانكليز  
القادمين لانقاذ فردون غير أن أحد القناصل أبدى رأياً قال فيه ان للدراويش  
طوايى وهوانع على البحر الأبيض تجعل نجاة الباخرة من مقدوفاتهم مستحيلة وقال  
ان اللحاق بالتممة أقرب الى السلامة فوافق الحاضرون على رأيه ثم كتب لي  
أمراً قال فيه « انه لمحتبى اياك واعترافي بخدمك الجليلة التي أدتها لي أرى ان



اكافك بالنجاة مما وقعت انا فيه ولذلك انتدبتك لمرافقة الاوربيين والقناصل الى المتمة لاننى عالم باننى اذا اصبحت أسيراً في أيدي هؤلاء الاشقياء فلا تتركني حكومة جلالة الملكة وانها تقدم القناطير المقنطرة من الذهب فدائلي وأنا أتمنى لك النجاة من صميم قواى يا عزيزي فوزى لانك اذا وقعت أسيراً في يدهم لا تفديك حكومتك ولو بدراهم قليلة »

وفي يوم الاربعاء ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٠٢ صرفت لي الذخيرة والاسلحة وتسليح الاوربيون وكان هذا التدبير سرىا وأذعت بين الناس انهم عينوا بصفة عسس ثم اجتمعنا بمنزل قنصل اليونان فيقولوا لوانديدي واجتمع معنا بقية قناصل الدول وأعيان رعاياهم فابدي الكل عدم استحسان هربهم مع بقاء غردون عرضة للخطر وودوا مساعدتى في اكراه غردون وحمله الى الباخرة ولو بالقوة ساعة السفر فاستصوبت رأيهم واتفقت مع حراسه وخدمه على حمله بالاكره الى الباخرة وقت السفر وقد ضربنا أجلاً لهذا السفر منتصف ليلة السبت ٧ ربيع الثاني

وفي صبيحة يوم الجمعة ٦ ربيع الثاني تفقدت خط النار والقيت التنبيهات ثم عدت الى المحافظة واستدعيت القناصل والقيت عليهم التعليمات ليكونوا هم ورعاياهم على قدم الاستعداد عند منتصف الليل فقالوا نرى ان العدو قد رسخت أقدامه حوالى المدينة وان مدافعه مطلة على كل مضائق النهر واننا نرى ان نتربص هنا نحو ثلاثة أيام ريثما تصل الجنود الانكليزية فذلك خير من محاولتنا القرار الذى لا تكون عاقبة الاقدام عليه مضمونة فلم أقبل منهم هذا القول وأصررت على انفاذ ما قررناه أولاً فذهبوا الى غردون وعرضوا مقاتلتهم

عليه فاستدعاني وأمرني بالاذعان لما أشاروا به فكان ذلك  
ثم أصبحنا يوم السبت ٧ ربيع الثاني والازمة في ازدياد الشدة والحامية قد  
فقدت كل قوة تدفع بها العدو والى الله مصير كل شيء

### ذكر سقوط الخرطوم ومقتل غردون

كانت الحملة الانكليزية قد وصلت الى النيل عند نقطة المتعة وانتصرت على  
جيوش المهدي في آبارابي طليح بين دنقله والمتعة كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه  
ولما وصلت اخبار الحملة الانكليزية وانتصارها على اتباعه الى المهدي  
كبر عليه الامر واستدعي خواصه الى مجلس عقده للمشاورة فيما ينبغي فعله  
فذهب فريق الى وجوب زحف المهدي بنفسه على الحملة الانكليزية وقال  
آخرون بل يترك المهدي حصار الخرطوم ويتمقر راجعا الى كوردفان فقام  
ابو قرجة احمد الامراء ومعه عبد القادر ساتي علي عم المهدي ورئيس نوابه  
وقالا ان الانكليز لا يقصدون غير الخرطوم وانه اذا بلغ الخرطوم مائة جندي  
انكليزي صار من المستحيل وقوعها تحت قبضتنا فالاولى بنان نحاول اسقاط  
الخرطوم وفي اسقاطها وقوع اليأس في قلوب الانكليز الذين نتقدم لمحاربتهم  
بعد ذلك فوقع كلامهما هذا موقع القبول عند المهدي واستحسنه

وشجع المهدي على ذلك ما علمه من عورات المدينة التي أطلعه عليها الصنجقان  
عمر ابراهيم والعطا الدود فمقد نيته على اسقاط الخرطوم بالقوة والاقتدار  
وفي صبيحة يوم الاحد ٨ ربيع الثاني خرج المهدي من كوخه يحمل  
على رأسه مقطعا من الخوص مملوءا من الرمل فتبعه الناس حتي انتهى الى  
ضفة النهر فاحاط به الناس وهو لا يكلم احدا منهم وأخذ يقبض من الرمل

بيده ويقذفه في النهر ويرفع صوته قائلاً « الله اكبر على الخرطوم » فيجأوبه من حوله بمثل مقالته حتي فرغ مافي المقطف من الرمل فالتفت الى من حوله وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالهجوم على المدينة في هذه الليلة وان سقوؤها في يده ضربة لازب ثم ركب زورقا واجتاز النهر الى الضفة الشرقية حيث قصد معسكر ابن النجومي

وبعد صلاة العصر ركب جملاً واحتشد الناس حوله فأتى على ابن النجومي وقال له ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالاستيلاء علي الخرطوم في هذه الليلة وأمره أن يقسم مقاتلته الى ثلاث فرق كقلب وجناحين ويكون هو في القلب ومعه الفرسان ويكون قائد الميمنة الحاج محمد ابو قرجة ومعه حملة البنادق ويكون قائد الميسرة محمد نوباوي شيخ قبيلة ( بني جرار ) احدي بطون قبيلة السكبابيش ومعه الاعراب والبقارة المسلحون بالحراب والسيوف وان يكون هجوم القلب على نقطة الوسط من الخندق عند البرج المعروف باسم ( باب المسلمية ) وهي مقر فرج باشا الزيني قومندان الحامية ويكون هجوم الميمنة على الخندق مما يلي النيل الازرق جهة ( بري ) ويكون هجوم الميسرة على الخندق مما يلي النيل الابيض عند المكان الذي انحسر عنه ماء النيل وتراكت عليه الاوحال وصار في الامكان الوصول الى المدينة منه وقد ذكرنا ان الصنجتين الحائنين عمر ابراهيم والعطا الدود الشايتي هما اللذان أطلقا المهدي على حقيقته

وقدم المهدي عمر ابراهيم المذكور الى محمد نوباوي قائد الميسرة بصفة دليل يرشده الى ذلك المكان ودفع اليه شخصاً آخر اسمه بدوى الدنقلاوي وكان كياناً في الشونة بصفة دليل ثان

وأصدر المهدي الى محمد نوباري أمراً قال له فيه ما يأتي

« لدى دخولك المدينة يجب ان تقصد سراي غردون على الفور وتبلغه تحيتي ثم تحافظ على حياته ولا تترك أحداً يعتدي عليه حتى توصله اليّ سالماً بغير ان يصيبه مكروه » وخطب على الجمع قائلاً لا تعرضنّ منكم أحداً الي حياة غردون بسوء لاني أريد أن افتدى به أحمد صرابي باشا ثم خطب فيهم يحضهم على الجهاد ويذكرهم بنعيم الجنان وقال لهم في ختام خطبته احملوا الحشائش لالقائهم في الخندق حيث يتجازون عليها وقفل راجعاً الى أم درمان ومعه عبد الله التعايشي وترك الخليفين محمد شريف خليفة الكرار والخليفة علي بن حلو خليفة الفاروق واجتاز النهر آيياً الى أم درمان

وأصدر المهدي أمراً أيضاً الي حمدان أبي عنجة قائد جيشه في أم درمان باطلاق القنابل تباعاً على المدينة من عصر الاحد ٨ ربيع الثاني الي ظهر يوم الاثنين ٩ من هذا الشهر وان يصبوب قنابله الي مضيق البحر لمنع أي باخرة تقصد الجهة الشمالية

وقد اجتاز النهر من أم درمان الي معسكر ابن النجومي نحو مائة ألف مقاتل من البقارة ليشاركوا في اسقاط المدينة وكلهم صاروا من مقاتلة الميسرة لانهم مسلحون بالحراب والسيوف

هذا ما كان من أمر المهدي وأما حالة المدينة والحامية فقد أصبحنا يوم الاحد وجو المدينة مكفهر والسماء متلبدة بالغيوم والشمس محجوبة عن العيون والبرد قارس خلافاً لمادة الطقس في السودان اذ الجو يكون صحواً والشمس بارزة بأشعتها المحرقة في كل أيام الشتاء وقد عد البسطاء تلبد السماء واحتجاب الغزاة بما ينذر بالمطر في مثل ذلك اليوم كرامة من كرامات المهدي لان

أهالي تلك البلاد لا يعطرون الا صيفاً والجو يكون في غاية الصحو زمن الشتاء عندهم

وقد أثرت برودة الطقس واحتجاب الشمس على قوي الجنود وتركهم كأنهم صرعى في مواقعهم على الخندق

وكان غردون ومعه قناصل الدول واقفين على سطح السراي ينظرون بالنظارات الممظمة الى كثرة الدراويش الذين يجتازون النهر ويلحقون بمعسكر ابن النجومي وقد استنجوا من تكوف الناس في صعيد واحد ان المهدي لا بد أن يكون في معسكر ابن النجومي ولا بد أن يكون قدومه لشأن ذي بال لانه لم يقدم على معسكر ابن النجومي منذ حل بام درمان

وفي منتصف النهار استدعاني غردون الى السراي وأخبرني بماشاهده مع القناصل من كثرة اجتياز الدراويش للنيل وانضمامهم لمعسكر ابن النجومي ثم قال لي هيا بنا نطوف حول الخندق ونفقد الجند فراقته الى الخندق وقضينا أربع ساعات في التطوف حوله وكان يشجع الجنود ويحثهم على المقاومة والثبات ويمدهم بوصول نجدة الانكاز في الغد فلم يلتفت احدا لقواله وكان من يصرخ في برية أو يطلب من الماء جذوة من الناراذ العساكر كما قلنا صرعى لاحراك لهم فعدنا الى السراي وقد أخذ اليأس منا كل مأخذ واجتمع عنده قناصل الدول لدى عودته وكان الليل قد اقبل ولا تزال السماء متلبدة بغيوم حجبست نور القمر فقال غردون للقناصل لقد رأيتم تجمع العدو وانى بتفقدى الحامية وجدت الجنود قد فقدوا كل قوة وشجاعة يقدرون بها على حراسة الاستحكام في هذه الليلة المشؤمة وانى موقن بسقوط المدينة قبل أن يسفر الفجر وقد كنت عملت ما في وسعي لانقاذكم من هذا الخطب فتقاعدتم وأبستم

ليتم بانتصاه الله عليكم وإلى هذه اللحظة فأنى أدعوكم لانفاذ ما اتفنا عليه أولاً  
فهاهى الباخرة فتوموا وسيروا بها ومعكم ابراهيم فوزي كما تقرر قبلا عسى  
أن يقرن سعيكم بالنجاح وتقابلوا الجنود الانكليزية أما أنا فأنى موقن بعدم  
لقاتهم فأجابوه بأن نجاة الباخرة مستحيلة لان طوابى العدو قد تضاعفت  
وزاد عددها اضماًفاً على الذي رأيناه يوم الجمعة وعلى ذلك فنحن هنا قاعدون  
والله يفعل ما يريد ثم هموا بالانصراف فصالحهم كلهم قائلاً اننى أبرأ الى الله  
والعالم أجمع من تبة أى داهية تلم بكم فقالوا نحن نشهد بما تقول فصالحهم  
وملاصحه تدل على انه لا يتوقع لقاتهم بعدوشيعهم الى السلامك وكان يحني  
رأسه ويحرك شفتيه فكأنه كان يقول «الوداع الاخير أيها السادة»

ولما عاد القناصل استدعانى الى غرفته وقال لي مايتنى

«أنا موقن بوقوع الحادث الاخير على هذه المدينة في هذه الليلة واننى  
كما علمت لم أدخر شيئاً من سعي في سبيل انقاذها ولكن لأزال أشعر بتبكيت  
الضمير الذي يؤلمنى لتركي اهالى هذه المدينة الذين وثقوا بي وحاربوا معي  
عرضة لانتقام المهدي ولو لم أكن طول حياتي اطلب رضا الله في كل أعمالي  
لا تحرت تخلصاً من وخز الضير لكن الانتحارين في التفويض والتوكل على  
الله الفاعل لكل شئ ويوجب غضبه سبحانه وتعالى» وقد كنت خلال  
هذا الحديث أنظر الى وجهه فلم أر ذير الثبات كأنه متوقع وقوع حادث جلل  
وقد لمحت في غضون محادثته ان صدره متجيش بالعبرات التي لم تكن  
من جزع أو جبن بل هي كما قال من تبكيت الضمير وفي الحتام ودعنى مشيما  
الى السلم خلافا لعادته المألوفة معى وقال عليك بحراسة البلدة بمن موك من  
الاوربيين واننى أعلم ان ذلك لا يجدي نفعا ولكن نقوم بواجبنا لآخر لحظة

والله يمل ما يشاء ثم قال لي انني ساصعد الى سطح السراي لانني أشعر  
بانقباض فقلت له ان البرد قارس جداً فقال ليس علىّ بأس منه فودعته حوالى  
الساعة الخامسة من الليل وكانت مناوشات العدو في ازدياد من جهة الخندق  
ومن جهة أم درمان

وكانت الالعاب النارية تطلق حوالى السراي تسكيننا لحواطر السكان  
وارهابا للعدو ولما خرجت من السراي قصدت دار المحافظة واجتمعت بالعسس  
الاوروبى وتجولت معهم فى المدينة وحوالى الجبله خانه ثم عينت لهم مواقعهم  
وأبقيت ممي ثلاثين جنديا من المصريين وقصدت دار المحافظة أواخر الساعة  
العاشرة فالتفت بها اشعارات فهمت منها ان لدى الحامية أخباراً بان العدو على  
وشك الهجوم على المدينة فشرعت في تدوينها وكانت الساعة اذ ذاك احدى  
عشرة ولم أفرغ منها حتى سمعت ضوضاء الدراويش قد دخلوا من جهة النيل  
الابيض فجمعت الثلاثين جنديا الذين كانوا ممي وأدركنا في الطريق ثمانية من  
البونانيين من العسس الاوروبى وقصدنا سراي غمردون فبلغناها والتعجر قد  
ظهر ولم نكد ندنو منها حتى أبصرنا نحو عشرة آلاف من العدو محيطين بها  
فتقهقرنا راجعين الى دار المحافظة وما بلغناها الا بعد اللتياء التي وهناك قعد الجنود  
في النوافذ وصوبوا البنادق على كل من اقترب منا حتى منتصف النهار حيث  
أحاط بنا العدو واسلمناه انفسنا وسيأتي ذكر ماملته الى ولسائر سكان المدينة  
هذا وقد كان زحف العدو على المدينة كما شرحناه وكان القائد فرج  
باشا واقفاً عند باب المسلمية ولما أحس بدخول الميسرة على الخندق مما يلي  
البحر الابيض أمر بفتح باب المسلمية حيث فر منه بعد ان تنكر بملابس  
جندي ومعه القائم مقام سرور بهجت وسنعود الى ذكر قتلها

ولما دخل محمد نوباوى المدينة قصد بكل مقاتلته سراى غردون وكانوا  
زهاء مائة الف مقاتل فاطل غردون من النافذة ونظر اليهم ثم قال لحراسه  
لا تبدوا معارضة لاي أحد يريد الوصول اليّ وإياكم ان تبدوا أقل دفاع  
ثم تقلد كسوة التشريفة الصغرى التي هي ملابسه اليومية على الدوام وتقلد  
سيفه ولبس طربوشاً وضع عليه رداء خريزيا (كوفية) وربطه بمقال كزى  
الاعراب فدخل عليه محمد نوباوى وجماعة من مقاتلته فوجدوه جالسا على  
كرسيه ممسكا بيده منديلا أبيض فابتدره أحد الدراويش وقال له اين أموالك  
يا غردون يا كافر فتبسم ضاحكا وقال له أين (محمد احمد) يقصد المهدي فابتدره  
الرجل بطعنة في صدره خر منها صريحا على الارض يتخبط في دمه ولكنه  
لم يفقد الحواس من هذه الضربة

ونقل لي أحد الحاضرين انه سمع واحداً من الدراويش صاح بالذى  
طعن غردون وقال له لا تقتله بل أبقه كما أمر المهدي فاجابه القائد محمد نوباوى  
بقوله ان الخليفة التمايشى أمر بقتله وكان صوته خافتا حين نطق بهذه العبارة ثم  
سحبوا غردون من رجليه ولم يكن قد فقد الحواس ولا قوة النطق حتي  
قيل انه كان يتبسم وهو مسحوب على وجهه ثم انزلوه الى حوش السراى  
وهناك قطعوا رأسه وارسلوها الى الخليفة محمد شريف الذي كان وقتئذ في  
جامع الخرطوم فانتدب محمد بن عبد الكريم من أقارب المهدي فركب الباخرة  
اسماعيلية وأوصل رأس غردون الى المهدي الذي انكر قتله وصاح قائلاً لما  
ذا قتلتموه ألم أنهيكم عن قتله فقال له التمايشى ان قتله خير من استحيائه فبدت  
على المهدي علامات الغضب وأسرع بالقيام ودخل الى منزله ونصبت رأس  
غردون على خشبة طولها متران وأخذ النساء والصبيان يرجونها بالحجارة



ويهنونها بالبصق حتي تهشمت قطعاً صغيرة

وبلغ عدد القتلى من سكان الخرطوم يومئذ أربعة وعشرين ألف رجل  
وثلاث نسوة وسنذكر معاملة المهدي لاهالي الخرطوم وانقامه منهم  
بمصادرة الاموال وهتك الاعراض بعد هذه المذبحة وما ربك بغافل عما  
يعمل الظالمون

❦ انتهى الجزء الاول من كتاب السودان بين يدي كتشنر وغردون ❦

« ويليه الجزء الثاني وأوله قيام دولة المهدي في السودان »

{ كل نسخة من هذا الكتاب تكون مختومة بختم المؤلف

الذي هو هذا }



مكتبة  
السليمانية  
تأليف

ألف

أبراهيم فوزي باشا

الجزء الثاني

طبع على نفقة مؤلفه وإدارة جريدة المؤيد

حقوق الطبع والترجمة محفوظة لهما معا

(طبع بمطبعة الآداب والمؤيد سنة ١٣١٩ هجرية)

﴿ فهرست الجزء الثاني من كتاب السودان بين يدي غردون وكثشتر ﴾

صحيفة

صحيفة

٣٣ الكتاب الاول من المهدي

٥ قيام دولة المهدي في السودان

لمصطفى باشا

٦ ذكر مقابلة المؤلف مع أمين بيت المال

٣٤ الكتاب الثاني » » »

٩ ذكر ماغنمه المهدي من الاموال

٣٧ واقعة كوني و قتل الشيخ الهدي

والذخيرة من الخرطوم

٣٧ ذكر وصول كتشتر باشا الى دنقلة

١٠ ذكر قتل فرج باشا الزين

٣٨ وصول الحملة الانكليزية الى دنقلة

١١ ذكر مقابلة المؤلف للمهدي

٣٩ حملة الجنرال اول و قتلته بواقعة

١٢ مقابلة المؤلف للتعايشي

كربكان

١٤ ذكر دخول المهدي مدينة

٤٠ واقعة أبو طليح

الخرطوم

٤٣ ذكر تعيين عبد الرحمن النجومي

١٥ القبض علي المؤلف وسجنه في

لقتال الانكليز في المتمة

الخرطوم

٤٥ ذكر عودة الحملة الانكليزية الى

١٦ ذكر أهالي الخرطوم بعد ذلك

دنقلة

٢٣ ذكر مقابلة الشيخ محمد الامين

٥٤ ذكر فداء القسس والمسيحيين

للمهدي ووفاته

٥٥ ذكر توجيه الجيش لمحاربة سنار

٢٥ ذكر انتقال المهدي الي أم درمان

٥٥ ذكر انتداب الشيخ حسين

٢٦ حوادث دنقلة

زهراء الى كسلا

٢٧ ذكر الشيخ الهدي

٥٦ ذكر وفود عوص الكريم أبي

٢٨ ذكر واقعة الشيخ الهدي

سن زعيم الشكرية على المهدوية

مخبرات المهدي مع مصطفى ياورد باشا

صحيفة

٥٧ ذكر تميمين حسين باشا خليفة

داعية للمهدي في قبيلة العباددة

٥٨ ذكر ضربخانة نقود المهدي

٥٨ ذكر ختان أولاد المهدي

٥٩ ذكر تميمين حمدان أبي عنجه على

جبال كردفان

٦١ ذكر مرض المهدي ووفاته

٦٥ ذكر طرف من سيرة المهدي

٧٣ ترجمة التمايشي

٧٦ خلافة التمايشي

٧٩ أول أكاذيب التمايشي

٨٢ دعوة التمايشي أهالي السودان

لاداء فريضة الحج بأم درمان

٨٣ ذكر مسألة الشعرة من حية المهدي

٨٤ ذكر وقائع سنار وسقوطها

٨٧ حوادث كسله وسقوطها

٩١ أول واقعة بين الدراويش

والاحباش

٩١ ذكر قتل المدير أحمد عفت ومن

معه من القواد

صحيفة

٩٢ شأن أهل الخرطوم بعد ذلك

٩٤ ذكر الاجتماع للعيد الاضحى

٩٧ ذكر وفود الهنود على التمايشي

٩٧ ذكر انتفاض الاشراف وسليم

الرايات

٩٩ القبض على أمراء سنار وفرار

الشيخ مضوى

١٠١ ذكر عصيان الجهادية بالايض

وقتل أمير كردفان

١٠٢ ذكر أعمال أبي عنجه في الجبال

١٠٣ ذكر اشخاص محمد خالد زقل

من دارفور وسجنه

١٠٤ القبض على أحمد سليمان أمين

بيت المال وعزله

١٠٧ الاشاعة بعودة الانكليز الى دنقلة

١٠٩ انقاذ عبدالرحمن النجومي الى دنقلة

١٠٩ انتفاض درا فور على التمايشي

واخضاعها

١١٠ ذكر لحاق قبيلة الشكرية بالحبشة

وقتل زعمائها

| صحيفة                            | صحيفة                              |
|----------------------------------|------------------------------------|
| ١١١ ذكر قبيلة الضبابية والقبض    | ١٤٨ ذكر ضربخانة التعايشي           |
| ١١٢ ذكر انتفاض قبيلة جهينة       | ١٤٩ ذكر انشاء دار للذخيرة والبارود |
| ١١٣ ذكر حرب قبيلة الكبايش        | ١٥١ ذكر موت لبن بك مدير بحر        |
| ١١٥ ذكر القبض علي شارل نيوفيلد   | الغزال                             |
| ١١٧ ذكر حروب الاحباش الى قتل     | ١٥١ المقدم عمر الجعلي واستخراج     |
| النجاشي يوحنا                    | الرصاص                             |
| ١٢٨ ذكر فتح قندر بالحشة          | ١٥٣ ذكر احراق عظام قتلى الخرطوم    |
| ١٢٩ وفاة أبي عنجه وولاية الزاكي  | ونبش القبور                        |
| طمل                              | ١٥٤ ذكر تخريب بلاد الجزيرة         |
| ١٢٩ واقعة القلابات وقتل النجاشي  | وحشد أهلها بام درمان               |
| ١٣٢ شأن خط الاسراء مع المهديين   | ١٥٦ ذكر تخريب الخرطوم              |
| ١٣٩ ذكر عزل محمد الخير من بربر   | ١٥٦ ذكر فرار المؤلف وارجاعه الي    |
| وموته                            | أم درمان                           |
| ١٤١ النور ابراهيم الجريفاي وتجار | ١٦٣ ذكر احترام المؤلف              |
| المصريين في بربر                 | ١٦٦ ذكر عثمان الملقب بشيخ الدين    |
| ١٤٢ السودان الشرق                | ابن التعايشي                       |
| ١٤٤ ظهور المهدي أبو حمزة في      | ١٧٠ الكلام على الخراج والجابة      |
| دراפור                           | والعمال                            |
| ١٤٥ شأن التعايشي وقبيلة التعايشة | ١٧٣ ذكر النخشين                    |
|                                  | ١٧٥ حوادث دنقله وقتل ابن النجومي   |

| صحيفة                             | صحيفة                              |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| ٢٠٤ ذكر فرار الغزالي وقتله        | ١٨٠ زواج المؤلف باحدى نساء         |
| ٢٠٦ ذكر صلب ابراهيم عدلان أمين    | التعايشي                           |
| بيت المال                         | ١٨٥ ذكر الميرالاي حسن البهنساوي    |
| ٢٠٩ ذكر بقية أخبار ابراهيم عدلان  | بك                                 |
| ومسألة مصادرة العاج               | ١٨٨ ذكر مالقيه المؤلف في مقابله    |
| ٢١٠ حادثة العباددة وابعادهم       | بعض الامراء                        |
| ٢١٣ ذكر غارة العباددة علي أبو حمد | ١٨٩ ذكر نفى عبد القادر ابن أم مريم |
| وقتل سليمان نعمان قر              | ١٩٢ ذكر قصة المراتين               |
| ٢١٤ ذكر موت الحاج علي سعد         | ١٩٣ ذكر رسالة محمد ماهر باشا       |
| ٢١٥ ذكر موت عثمان آدم وتولية      | للمؤلف                             |
| محمود أحمد بدله                   | ١٩٥ ذكر مسألة الشيخ محمد عبد       |
| ٢١٧ ذكر صفة معيشة التعايشي        | الماجد وصلبه                       |
| ٢١٩ ذكر حادثة البطاحين            | ١٩٧ ذكر تشييد قبة المهدي           |
| ٢٢٢ شأن محمد خالد زقل بعد ذلك     | ١٩٨ ذكر المجاعة في في سنتي ١٣٠٦    |
| ٢٢٥ ذكر استخراج الرصاص            | و ١٣٠٧                             |
| والنحاس والكحل من معادن           | ١٩٨ المجاعة في ام درمان والجزيرة   |
| حفرة النحاس                       | ٢٠٠ المجاعة في اقليم بربر          |
| ٢٢٥ ذكر بنات الجعليلين            | ٢٠١ المجاعة في دنقلة               |
| ٢٢٦ ذكر انسحاب الجيش من           | ٢٠١ المجاعة في كسله                |
| القلابات                          | ٢٠١ المجاعة في القضارف             |

| صحيفة  | صحيفة  |
|--|--|
| ٢٧٩ ذكر شأن نساء المهدي مع<br>التعاشي              | ٢٢٧ ذكر غارة الزاكي طمل علي الشلاك                           |
| ٢٨١ ذكر سجن أولاد المهدي                           | ٢٣٧ ذكر بقية أخبار عثمان دق                                  |
| ٢٨٣ ذكر مؤامرة عبد المولى صابون<br>على قتل التعاشي | ٢٤٢ ذكر هزيمة الدراويش من<br>هندوب وأخبار أم ارار            |
| ٢٨٤ ذكر قدوم محمود أحمد من<br>دارفور               | ٢٤٣ ذكر هزيمة عثمان دقنه من طوكر                             |
| ٢٨٦ ذكر القبض علي أمراء لعليين<br>ونقيهم           | ٢٤٨ شأن عثمان دقنه بعد ذلك                                   |
| ٢٨٨ ذكر نفى الامير أبي قرجه                        | ٢٤٩ حالة السودان بعد ذلك على<br>الاجمال                      |
| ٢٨٩ عودة الى ذكر بيت المال                         | ٢٥٨ ذكر تعيين المؤلف وجماعة من<br>المصريين أمراء             |
| ٢٩٢ ذكر سور أم درمان                               | ٢٦٢ ذكر ملازمتي الصلوات في<br>المسجد                         |
| ٢٩٥ ذكر قدوم الزاكي طمل من<br>فشودة الي أم درمان   | ٢٦٥ ذكر انتفاض الخليفة شريف<br>وأولاد المهدي                 |
| ٢٩٦ الزاكي في أبي حراز                             | ٢٧١ ذكر القبض على كبار حزب<br>الخليفة شريف وقتلهم            |
| ٢٩٧ علائق التعاشي ومنليك                           | ٢٧٥ ذكر القبض على الخليفة شريف<br>وحبسه                      |
| ٢٩٩ ذكر سجن الزاكي طمل وقتله<br>بام درمان          | ٢٧٧ ذكر القبض على عبد القادر<br>ساتي ومحمد عبد الكريم وقتلهم |
| ٣٠١ ذكر قتل صالح حسين خليفه                        |  |
| ٣٠٢ ذكر واقعة ( غوردت ) بين                        |  |

صحيفة

الايطاليين والمهدين

٣٠٣ ذكر احتلال الايطاليين كسلة

٣٠٥ ذكر معسكر أصوصرى وأخبار

حامد علي وأحمد خليل

٣٠٨ اجمال حال السوراني بعد ذلك

٣١١ ذكر قراءة الناس بالالواح

٣١٣ ذكر بقية أخبار سلاطين باشا

وفراره

٣١٦ ذكر نفي أحمد الفحل والذين

ساعدوه على فرار سلاطين باشا

٣١٨ ذكر سجن ابراهيم حمزة وجماعة

من اعيان بربر

٣١٩ تهديد في ذكر السجن ونظاماته

واطلاق اسم السائر علي كل سجن

٣٢١ ذكر سجن المؤلف

٣٢٣ أول ليلة في السجن وأخبار اثنين

يدعيان النبوة

٣٢٦ انذار المؤلف بالاعدام

٣٢٧ ذكر قتل القاضي أحمد بن علي

صحيفة

٣٣١ ذكر تولية الشيخ الحسين

الزهراء القضاء وقتله صبرا

٣٣٥ خفاء السجن

٣٣٦ الايام الاولى في السجن

٣٣٧ شارل نيوفيلد والمؤلف

مقرونان في قيد

٣٣٨ أمير السجن في منزله ونسائه

٣٣٩ صلاة المسجونين

٣٣٩ ضريبة ريال كل يوم على المؤلف

٣٤٠ النادرة العباسية في السجن

٣٤٢ ذكر ابطال القهوة

٣٤٤ ذكر اختتان المسيحيين واجبارهم

على تعدد الزوجات

٣٤٦ ذكر سجن ابن المؤلف

٣٤٨ التعايشي قبل حملة دنقلة

٣٥٠ جواسيس المهديوة

٣٥٣ ذكر جانب المنوعات من مصر

٣٥٧ دنقلة قبل الحملة عليها

٣٦١ ذكر مسألة المقرب مع التعايشي



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على آلائه. والصلاة والسلام على سيد رسله وأنبيائه. محمد وآله وصحبه وأوليائه

وبعد فقد انتهينا في الجزء الاول من كتاب (السودان بين كتشنر وغردون) الى آخر حادثة سقوط الخرطوم بقتل الطيب الذكر (غردون باشا) ووقوع البلد في قبضة المهدي ووقوعنا والحامية في أسره. وبقي أن نذكر من موضوع هذا الكتاب ما أتى ذلك فنقول وبالله المستعان

## قيام دولة المهدي في السودان

لما كانت مدينة الخرطوم عاصمة أقاليم السودان المصري فسقطها في قبضة المهدي صير السودان كله خاضعاً له ولا عبرة بأقليم دنقلة الذي كان وقتئذ مقر الحملة الانكليزية كما انه كانت توجد مدينتان لم تخضعا له بعد وهما مدينة سنار عاصمة اقليم سنار ومدينة كسلة عاصمة مديرية (التاكا) ومهما يكن من الامر فان حالة تلك المدينتين كانت منذرة بقرب بسقوطهما وسيأتي تفصيل ذلك كله في مكانه

بلغ عدد القتلى من سكان الخرطوم يوم سقوطها أربعة وعشرين ألف رجل وقتل الاطفال وكل ذكر ولو كان رضيعاً غير ان النساء لم يقتلن وابتدأت هذه المذبحة عند طلوع الفجر. وقبيل شروق الشمس أصدر الخليفة (شريف) الاوامر

بالكف عن القتل وأخرج السكان من منازلهم بملايس النوم وأصدر أمين  
 بيت المال أمراً إلى الحاج خالد العمراني بالوقوف على باب الخندق لتفتيش  
 كل خارج من سكان المدينة الذين أمروا بالبقاء في بقعة بين الخندق ومعسكر  
 ابن النجوم معرضين للبرد القارس والحر المحرق واستولى الدراويش على  
 المنازل وفي اليوم التالي بدأ بتعذيب الناس حيث يستدعون صاحب المنزل وكبار  
 أفراد عائلته إلى منزل الأمين ويبتدون مكالمته بقولهم له حيث أنك كفرت  
 بالله ورسوله وحاربت المهدي فقد أهدر الله ورسوله دمك وحرم مالك  
 عليك وصيره حقاً للمهدي والمهدي عفا عن دمك ولا سلامة لك في الدنيا  
 والآخرة إلا بتسليم جميع أموالك حتى الخيط والخياط وسواء أذن لهذه  
 الأكاذيب وسلم ماله أو لم يسلم فلا بد من ضربه الف سوط والمرأة نصفها  
 وتوثق يداه ورجلاه ويلقى على الأرض ويصب عليه الماء البارد في الليل  
 وبقي السكان في هذا العذاب شهراً حتى جمعت الأموال والامتعة  
 في بيت المال

ومن الحوادث التي وقعت يوم سقوط الخرطوم أن رجلاً اسمه (كريب)  
 من أقارب المهدي ومن حراس الخليفة شريف الذين يطلق عليهم اسم  
 (الملازمية) ومعه نحو عشرة من أقاربه دخلوا منزل رجل مصري اسمه  
 إبراهيم له سبعة إخوة فقتلوا الثمانية وقتلوا المنزل فلم يجدوا به مالا وكان  
 لإبراهيم غلام في التاسعة من العمر فاخفته أمه ونساء أعمامه في وسط الامتعة  
 خوفاً عليه من القتل فمعثروا به في غضون التفتيش وأخرجوه فترامت أمه  
 ونساء أعمامه على أقدام كريب ورفقائه وقلان له أن والده وأعمامه السبعة  
 قتلوا فانسألك بالمهدي إلا ما تركت لنا هذا الصبي فالتفت لهن وقال كيف

نتركه ونحن لم نجد في بيتكن ذهباً ولا فضة وكلكن نساء مسنات ليس  
بينكن من تميل النفس اليها ثم صاح برفقائه وقال قطعوا الصبي ثمانى قطع  
واتركوا لكل واحدة منهن قطعة ولم يتم هذه العبارة حتى تناول رفقائه الصبي  
وقطعوه ثمانى قطع وألقوا لكل امرأة قطعة ومثل هذه الحادثة يعذبها لالوف  
ذكرنا منها هذه للدلالة على اخواتها

وأخذت النساء سبايا وأرسل أمين بيت المال بنحو الف عذراء من بنات  
أعيان المصريين فاختر المهدى منهن ثلاثين فتاة من ذوات الحسن والجمال  
آبائهن من وجهاء المصريين سكان المدينة ووزع الباقي على حرسه وذوى  
قربته وكلهن كعوطات بملك اليمين

وأرسل أمين بيت المال عدداً عظيماً من النساء الى عبد الله التعايشي  
فأبقي لديه العذاري منهن ووزع الباقي على حراسه وذوى قربته ايضا وصار كلما  
قضى وطره من واحدة يهديها الى أحد رجال حاشيته

وأرسل أمين بيت المال أيضا بمئات من النساء الى الخليفيتين على بن  
حلو ومحمد شريف وكان عملهما بهن مثل عمل عبد الله التعايشي. وكثير من  
أولئك النسوة امتنعن من الفسق والفجور بهن فعذبن عذاباً شديداً وضربن  
ضرباً مبرحاً وحلقت شعور رؤوسهن وكثير منهن فضلن الموت على  
الحياة ورأيت امرأة أحد الصناجق وهى تركية من جهة أيها وسودانية من  
جهة أمها اتخرت تخلصاً من العذاب الذى نالها على أثر امتناعها من تسليم  
نفسها لعبد الله التعايشي وضربت امرأة الشيخ محمد السقا شيخ القراء فى  
الخرطوم وعذبت ستة شهور لا متناها من تسليم نفسها الى عبد الله التعايشي  
والخلاصة ان عدد النساء اللواتي سبين لا يقل عن خمسة وثلاثين ألف فتاة

وشاهد ذلك انك تجد عند أصغر أمير من أمراء المهدي عشرين فتاة أما  
الأمراء الكبار وأقارب المهدي فإن اللاواتي يأخذهن كل واحد منهم يزيد عددهن  
على العشرين عذراء ولا يظن القارئ انهم يختلسون أولئك الفتيات بل يأخذونهن  
بأمر من المهدي أو أحد الخلفاء أو أمين بيت المال موضحاً في كل أمر اسم الفتاة  
واسم أبيها وجدها وأوصافها وأنها أعطيت لفلان غنيمة له يحل له وطؤها بملك  
اليمين ويجوز له بيعها ما لم تصر أم ولد ومن وجدت عنده من اتباع المهدي  
امرأة وليس لديه أمر بالبيانات التي شرحناها تصدر أمواله ويقبض عليه  
ويعامل معاملة سارق

وكان المهدي أصدر أمراً حظر فيه سبي كل امرأة لها بعل ولكن هذا  
الامر كان لا يعمل به الا اذا كانت المرأة طاعة في السن أو قبيحة المنظر لا تميل  
اليها النفس وكان أمين بيت المال يمسك النساء ويفتشهن بعد خلع ملابسهن فن  
وجدت سليمة من العيوب أخذت ومن وجد بها عيب انتهت وطردت  
هذا يجعل مافعله المهدي بسكان الخرطوم من جهة الاموال والاعراض ذكرته  
بغاية الاجاز لا تاتي اذا تتبعنا التفصيل أنفيت الاعوام دون أن أوفي حق المقام  
وأصدر المهدي منشوراً قال فيه ان جميع الذين خرجوا من ققرة  
الخرطوم اي ( خندق ) الخرطوم لا يعتبر زواجهم شرعياً لانه حصل في زمن  
الفترة التي كانت قبل بعثته وأمر بعقد زواج كل زوجين من أولئك الاسرى  
واذا كان في المرأة شيء من الحسن أو بقية من الشباب لا يستأنف عقد زواجها  
بل تؤخذ غنيمة

وكتب أمين بيت المال الى المهدي يستفتيه في أنه وجد بالخرطوم عتق  
أعتقهم بوالهيم قبل فتح المدينة بزمن بعيد فهل يعاملون كالأحرار أو الأرقاء

فأجاب بان الذين أعتقوا كذا لا يعتبر عتقهم وأمره بمعاملة أولئك العتق  
معاملة الارقاء

## ذكر مقابلة المؤلف مع امين بيت المال

ذكرت اني أسلمت نفسي ومن معي من الجلود في منتصف النهار  
فتقبضوا علىّ وأوثقوني كتافاً وساقوني الي امين بيت المال يحيط بي نحو مائتي  
نفر من الدراويش شاهرين سيوفهم وكلهم يصيحون بي ويقولون يا كافر  
يا عدو الله فالقيته بمنزل أبي بكر الجار كوك أحد أعيان المدينة ووجدت المنزل  
مملواً بالنساء وهو مشغل بفرزهن

ولما أوقفت بين يديه كان مشغولاً بالنظر الى فتاة فتانة وهي مجردة من  
ملابسها ويسدها خرقة تستر بها عورتها وهو يقلبها يمنة ويسرة والدموع  
تساقط من جفونها وهي تقول « رضينا بقضائك يا الله » وبعد ان فرغ من  
أمر الفتاة التفت نحوي وقال أعوذ بالله من هذا الوجه الابيض ثم التفت  
للحراس الذين حولي وقال لهم من هو هذا الكافر فقالوا هو ابراهيم باشا  
فوزي فقال لماذا لم تقتلوه فقالوا تركناه ريثما يظهر أمواله وأموال غردون  
والحكومة ثم صاح بي وقال دلنا يا كافر على هذه الاموال فقلت ان أموالي  
أخذت من منزلي وأما أموال غردون والحكومة فليست موكلًا بحفظها ثم  
استل سيفه من غمده وتقدم الى وقال هذا الكافر لا يظهر هذه الاموال  
وقتلته خير من استحيائه فامسكه من حوله وقالوا له أرجئه ريثما نمذبه او يدلنا  
على الاموال ثم صاح بالعبيد فطرحوني على الارض وجلس واحد منهم  
على رأسي وأمسك اثنان السياط وضرباني حتي كلت سواعدهما فابدلا

باشين آخرين حتى سال الدم من جسمي فقلت لهم ليس لغردون مال وليس  
للحكومة مال غير أوراق البون

وبعد ان تمزق جسمي زجوني في السجن وبقيت ثلاثة أيام فيه يسوقوني  
للاستنطاق والضرب في كل غدوة وروحة

وفي اليوم الثالث أخرجوني من السجن موثوق الكتاف يحيط بي  
الحراس وأرسلوني الى منزلي فوجدت به أحد الامراء المشهورين بالورع  
والتباعد عن غل الغنائم فجمع أمتعتي وكتبها في ورقة عرضها على فلم أجد  
شيئاً مفقوداً منها ثم قال لي ان الاموال الظاهرة كلها استوليت عليها ولم يبق  
غير ما يخفي في بطن الارض فقلت انني لم أخف شيئاً في بطن الارض فأخذ  
يوعظني تارة ويهددني أخرى وأنا يئب على بالسيف فقلت له انني لم أخف  
شيئاً ولم يكن لدي مال غير ما استوليت عليه فساقتني ومعى ما خف حملة من  
الامتعة الذهبية والفضية والنقود وبعض حلى مجوهره الى أمين بيت المال  
فلما نظرني قال كيف أبقيتم هذا الكافر حياً حتي الآن فقال له الامير نحن  
نؤجل قتله حتي يظهر لنا أمواله وأموال غردون والحكومة ثم قال أمين بيت  
المال لذلك الامير ألم يك عنده نساء فقال له عنده محظيتان حبشيتان أخذتهما  
لنفسى فقال أمين بيت المال كيف تأخذهما قبل عرضهما على وأخذ الاذن  
بهما مني فأجابه الامير اني أخذتهما بسيفي ولا أطلب من بيت المال غيرهما  
فبارك لي فيهما فقال له قد باركت لك فيهما وملكتك اياهما فشكره وأنا واقف  
وساعداي موثوقان كتافاً

ثم تقدم أمين بيت المال الى الصناديق التي فيها امتعتي وفتحها فوجد  
ضمنها صواني وطواقم للقهوة والشاي مصنوعة من التبر على طريقة صناع الخرطوم

الماهرين وهى عبارة عن اسلاك مسبوكة يتألف منها كل واحدة من  
 تلك الاوانى فالتفت الى أمين بيت المال وقال لى يا كافر يا عدو المهدي ومحارب  
 انصاره لما ذا اتلفت ذهب المهدي وفضته وصنعتها أوانى مثل ما يصنعه الكفار  
 فقلت له اتنى صنعت ذلك لما كان هذا التبر ملكا لى ولما صار الآن ملكا  
 للمهدي فانه يصنع به ما يشاء فقال لى من أين لك انه كان ملكا لك مع انك  
 محارب للمهدي وكل ما فى الخرطوم ملك حرسه حتى الارواح وضربني  
 بسوط كان فى يده ضربتين على رأسى حتى خضب بالدماء وجهى ثم قال خذوه  
 الى الامير ابى قرجة ليرىحه من الدنيا . فاخذت بحالة لا أستطيع وصفها حيث  
 كان يحيط بى نحو ثلاثمائة درويش شاهرين السيوف والحراب حولى وهم  
 يصيحون يا كافر يا عدو الله حتى بلغت منزل أبى قرجة وكان نازلا بديوان  
 المديرية فالتفت بالباب جما غفيرا من الناس وسمعت قهقهتهم من البعد وهم  
 مزدهمون فادخلونى على الجمع المتكوف فنظرت رجلين مجردين من ملابسهما  
 فامعنت النظر فيهما فاذا احدهما حامدا أغا صالح أحد الصناجق وهو ابن صالح  
 بك الملك صاحب فداسى الذى تقدم لنا ذكره والثاني من ذوي قرابته والدرأويش  
 يطعنونهما بالحراب طعنا لا يجل موتهما فايقنت اذ ذاك انهم سيفعلون بى  
 مثل ما يفعلونه بهذين الرجلين وأخير اسقط الرجلان مضرجين بالدماء على الارض  
 وتطاير دمهما على وجهي وأصاب ملابسى فاجهزوا عليهما وكان ايقافى لمشاهدة  
 ذلك المنظر الفظيع بقصد اربابي لادلهم على ما يطلبونه ثم ادخلونى على  
 أبى قرجة فابتدأته بالتحية فرد باحسن منها فاطمان خاطرى بما توسمت  
 فيه من البشاشة فالتفت الى الحراس وقال لهم من هذا فتقدم رئيسهم اليه  
 وأسر اليه قولا لم أسمعه فالتفت اليّ بسكينة وحنان وقال فكوا وثاقه فقبلوا

وأمرني بالجلوس على الأرض فجلست وكنت وقتئذٍ في أشد حالات الظأ والآلام  
الضرب فقلت له ياسيدي الأمير ألتجاسر بطلب شربة ماء قبل الممات فقال لي  
« أبشرك بكل خير » وأمر أحد غلمانه بإحضار شراب من العسل ممزوج بالماء  
فقدمه لي فتناوت جرعة منه لم تقم بسد الظأ واشتدت بي الحاجة إلى طلب الماء  
فاعدت عليه الرجاء بطلب الماء فامرني بماء ممزوج بشيء من خبز الذرة اسمه  
(الابرية) ينفذ ويزيل الظأ فتناوت منه بقدر الحاجة وبعد برهة خاطبني وقال  
إن الدنيا فانية وإن زمن المهدي ليس كما تقدمه من الأزمان وإن المال أصبح  
ملكاً له ومن أخفاه عنه وقع في غضب الله فقلت له ياسيدي ليس لي مال  
غير ما أخذ مني وغردون لأمال عنده والخزانة الأميرية ليس فيها غير  
أوراق البون فقال أتحلف لي بالله العظيم فقلت أحلف بالله أنني ما قلت إلا الصدق  
فرفع صوته وقال للحراس الذين جاؤا بي ارجعوا من حيث جئتم فإن الرجل  
صادق فيما يقول واحذروا من أن يمسه أحد بسوء واعلموا أن من مسه بالماء  
أمسه بالسلاح والتفت إلي وقال لا بأس عليك ليهدأ روعك فانت آمن من كل  
سوء ثم أمرني بالبقاء في منزله فبقيت به ليلتين كان يقدم لي الغذاء الكافي في  
خلالهما وكان كريماً يأكل معه نحو ثلاثين رجلاً من خواصه وكانوا يقدمون لي  
الطعام منفرداً فاستعطفني في ذلك وقال أنه لا يمنعه من تناول الطعام معي غير  
شيء واحد وهو أنني لم أقابل المهدي ولم آخذ عليه البيعة فظهرت له رغبتني في  
ذلك وأني أصبحت لا أطلب غير شهوتي بعفو المهدي وتمتعي برضاه عني

ذكر ما غنمه المهدي من الأموال والخيرة من الخراطوم  
كان سكان الخرطوم أغنى أهالي السودان وأكثرهم مالاً ولما أحسوا



بقدم المهدي عليهم هجرا اكثرهم الحرطوم ولحقوا بمصر وكانوا من الطبقة الرفيعة جدا وأرسل اكثر التجار أموالهم الى مصر وغيب الباقون أموالهم في بطن الارض ولما قتلوا يوم سقوط المدينة ذهبت ولم يهتد أحد لحلها ولذلك يقول العارفون إن اكثر الاموال مودعة في بطن الارض ولم يحصل بيت المال على شيء يذكر من المال. ومن المؤكد ان الامراء كانوا لا يقدمون الى بيت المال اكثر من ربع ما يعثرون عليه ومع ذلك كله بلغ ما اجتمع في بيت المال نحو ثلاثمائة الف جنيه ونحو ثلاثمائة الف ريال من المجيدي والنمساوي ونحو ثلاثين قنطارا من الذهب المصنوع حليا ونحو اربعمائة قنطار من الفضة أما اثاثات المنازل والرياش والملابس فانها لا تدخل تحت حصر وقد جمعت تلالا يحلها الرائي جبالا

وأما الاسلحة فانها مدفان من كروب و ٣ مدافع متر البوز و ٢٠ مدفعا جبليا و ٦ آلاف بندقية رامنجتون جيدة و ٤ آلاف بندقية رامنجتون بها خلل وكانت مودعة بالمخازن وعدد لا يدخل تحت حصر من البنادق ذوات الطلقتين ومن طراز آخر قديم

وأما الذخيرة فكما يأتي ٢٠ قنبلة لمدافع الكروب أما المدافع الجبلية فقتالها موجودة بكثرة و ١٠ آلاف صندوق مملوءة بالخرطوش و ٨ آلاف اناة (برميل) مملوءة بارودا

### ذكر قتل فرج باشا الزين

لما دخلت ميسرة الدراويش من ميمنة خندق المدينة كان فرج باشا الزين قومندان الحامية وقتئذ واقفا عند باب المسلمية فتكرر ولبس ملابس

جندى بسيط وحذا حذوء القمام سرور بهجت بك واختلطا مع الجنود السود وخرجا من باب المسلمية فامسكهما حراس ذلك الباب من الدراويش وفتشوهما ولدي تفتيشهما ارتاب الحراس فى أمرهما حيث وجدوا عندهما ساعتين من الذهب وسلسلتين ذهبيتين ثم وجدوا مع فرج باشا خاتمه المنقوش عليه اسمه وكذلك سرور بهجت بك فقبضوا عليهما وأوثقوها كتافا وأرسلوها الى أمين بيت المال الذى أرسلهما الى عبد الله التعايشي وهو أمر بضرب عنقهما فضربا وكان ذلك فى اليوم التالى لسقوط المدينة

وذهب كثيرون من الناس أن لفرج باشا الزين يداً فى سقوط المدينة وانه كان خائناً والحقيقة انه لم يخن ولا يدل له ألبته فى أمر سقوط المدينة غير انه كان كسولاً يميل الى الراحة ويفر من التعب سىء الادارة

على ان الذى دعا غردون لتوليته هذا المنصب كونه سودانى الاصل وربما كانت توليته تجذب قلوب بني جلده الجنود السود لمعاوضته نخاب ظن غردون فيه ولم يتحقق شيء مما كان يؤمله فيه ومراعاة للظروف إبقاه فى وظيفته التى كان بنحيت بك بطراق يباشرها بدلا عنه

### ذكر مقابلة المؤلف للمهدي

قلت ان الامير أبا قرجة اطلقنى من الوثاق وسكن روعى وآوانى فى داره ليلتين ثم أرسل معى مندوبين حافظوا على واجتازوا النهر معى حتى أوصولني الى منزل يوسف منصور قومندان طوبجية المهدي وأبلغه المندوبون ان أبا قرجة أرسلني له ليقدمنى للمهدي فقضيت تلك الليلة فى منزله وفى ظهر الغد رافقنى الى دار المهدي ومعنا السيد بك جمعه مدير الفاشر فالفيناه

قد فرغ من صلاة الظهر والناس متكوفون حوله وهو يعظمهم فتقدم يوسف منصور اليه وقال له ياسيدي الامام المهدي هاهو ابراهيم فوزي فالتفت الى بوجهه باش وقال يا ابراهيم فوزي اني اعرفك منذ كنت حاكماً في مقاطعات البحر الابيض فلما ذركنت الى الكفار ولم تسلم لي ا ولم يكن الواجب على مثلك اجابة دعوتي فقلت ياسيدي اني من كبار قواد الحكومة ولا يليق بي ان اتركها في اويقات الشدة وسويكات الازمة وكما اني وفيت لها فساؤني لك أيضاً فتيسم وقال لي قد عفوت عنك وأمرني بالدنو منه فدنوت فبايعني بيعته المعلومة ثم نزع صرخته وقدمها لي فلبستها وكان ذلك دليلاً على منتهي رضاه عني ثم انصرف فاحاط بي الناس ليتبركوا بلثم جبة المهدي وبعضهم ناقم على نوالي هذه المنة فكان فريق من الناس يقصدون ثم تلك الجبة وآخرون يقصدون ايذاً بالاكهم وأخيراً خلعت لهم الجبة ليتبركوا بها ووقفت بعيداً وكانت الشمس محرقة حتى اجتاز بي كبير من الامراء فتقدمت نحوه وسأله ان يساعدني على ارجاع الجبة ففعل ولما دفعها لي أخذتها ووضعها على رأسي ثم لبستها وتوجهت قاصداً منزل يوسف منصور الذي نجا بنفسه وتركني وسط جموع المتبركين واللاكين وتبعني في الطريق عدد ليس بقليل وكلهم ناقون على نوالي هذه المارقة . ثم أبلغت ان المهدي أمر لي بعلاءة للغطاء وانا لطبخ الطعام وقصعة للأكل وجارية رأيت منها التذمر وعدم الرضى بالبقاء عندي فبعثها بعشرين ريالاً

### ذكر مقابلة المؤلف لعبد الله التعايشي

لما انصرف من دار المهدي وعدت الى منزل يوسف منصور قال لي

لا بد لك من مقابلة عبد الله التعايشي فقلت له بلغني ان هذا الرجل مشهور بالقسوة واني أخاف على نفسي منه فقال لي يوسف انه لكذلك ولكن اذا بلغه انك قابلت المهدي ولم تسع لمقابلته كانت العاقبة اسوأ فقبلت مشورته وفي الغد صاحبنى يوسف منصور والسيد بك جمعه الى دار التعايشي الذي مكثنا ننتظر خروجه علينا ست ساعات وفي منتصف النهار خرج علينا واذ هو رجل نحيف الجسم بوجه أثر الجدرى وملابسه مرقعة رثة بالية فابتدره يوسف منصور بالتحية فرد عليه ثم قال له يوسف منصور يا خليفة الصديق هذا ابراهيم فوزي من الخرطوم عفا عنه المهدي وبايعه فجاء يطلب عفوك أيضاً فالتفت اليّ بوجه عبوس وقال ما هذا ثم التفت لمن حوله من الدراويش وقال لهم ألسن أمرتكم ان لا تتركوا ذا شارب أو ملتحميا من الذين دخلتم عليهم في الخرطوم ثم قال ليوسف منصور ماهي وظيفة هذا الكافر في الخرطوم فتعلم يوسف منصور وتوقع شرا يصيبني وقال له انه كان ملازما بيته وكان يخدمه فقال التعايشي للسيد جمعه ماهي وظيفة هذا الرجل فقال كانت وظيفته ( باشا ) فقال التعايشي ( كان باشا الشونة ) ومنذ ذلك فهمت ان لفظة الشونة كلمة عظيمة جداً عندهم ثم قلت له يا سيدى خليفة الصديق ان سبب نجاتي من القتل هي تعلق قلبي بمحبتك ومحبة سيدنا الامام المهدي المنتظر وان أنوارك وانوار المهدي هما كانا سبب نجاتي واني أحمد الله على منته على بمشاهدة نورك ونور المهدي وقدصرت الآن لا اكره الموت لانعماسي في ذلك النور فاطرق الى الارض ورفع رأسه وقال يا يوسف منصور قد دفوت عنه ثم انصرفنا عنه وعدت الى منزل يوسف منصور وصنعت لي كوخاً من الحشيش بجوار منزل يوسف منصور الذي قال لي بعد

انصرفنا من عند التعاشي اذهب بنا لمقابلة الخليفتين على بن حلو ومحمد شريف  
فقلت له انني لاقيت من التعاشي مالاقيته فليت شعري ماذا الاقي من الخليفتين  
ثم قلت له لا اذهب اليهما البتة وقد كان من أمرى معهما اني ماصاغت  
واحداً منهما ولا اجتمعت بهما حتي من الله عليّ بالخلاص من أسر المهديوة  
والحمد لله على كل حال

### ذكر دخول المهدي مدينة الخرطوم

في يوم الجمعة ١٣ ربيع الثاني ركب المهدي وخلفاؤه الباخرة (اسماعيلية)  
واجتاز بها النهر الى الخرطوم ثم قصد المسجد وصلى فيه فريضة الجمعة ثم خرج  
بعد الصلاة وقصد سراي غردون ثم تفقد الترسانة والجبه خانه وكتب أمراً  
الى خاله طه محمد بتوليته ناظراً على الترسانة وأمره بجمع العمال الذين كانوا بها  
واعادة الاعمال فيها وفوض الى عبد الله التعاشي أمر حراسة الجبه خانه  
فانتدب لها رجلاً اسمه عبدالرحيم الطريفي وأمره بجمع العمال واعادة الاعمال  
فيها مثل تعبئة الخرطوش واعداد آلات الحروب واصلاح كل متخرب من  
البنادق التي في مخازنها ثم زار أمين بيت المال ولبث عنده برهة قدمت له  
في خلاها المرطبات والقهوة فتناول القهوة ومنجها بالحلوى ليظهر للملا زهده  
وعدم اعتناؤه بالمطاعم فقال له أمين بيت المال لا تفعل ذلك ياسيدي فقال له  
ولماذا فقال لان ذلك يذهب بلذة الحلوى والقهوة معا فقال قد تركنا اللذات  
لانها معقبة بالحشرات ثم قال لأمين بيت المال اني عازم على الاقامة بمض  
أيام في هذا المنزل أي منزل أبي بكر الجار كوك وأمره باعداد ما يلزم لراحته  
وكان لصاحب المنزل أبي بكر الجار كوك بنت تزوجت قبل سقوط المدينة

باسبوع وفي يوم السقوط قتل زوجها وابوها معا فامسكها أمين بيت المال وقال  
 للمهدي اني أقدمها لك في غضون اقامتك في منزل ابيها فقام المهدي ودخل الى  
 داخل المنزل ورأى المرأة فاعجبه حسننها ولم يخرج حتي نال وطره منها وكان  
 ذلك في اليوم الرابع لقتل زوجها ثم قفل المهدي راجعا الي ام درمان والمشاورة  
 دائرة بينه وبين أهل شورا على جعل الخرطوم عاصمة ملكه وكلهم  
 موافقون له على هذا الرأي ماعدا عبد الله التعايشي فانه كان يقول للمهدي انا  
 لم نعرف بعد عاقبة أمرنا مع الحملة الانكليزية التي ربما اضطرتنا الظروف  
 للتقهقر امامها الى كردفان فاذا أقمنا بالخرطوم صار النهر بيننا وبين كردفان  
 وما زال التعايشي يثبط المهدي ويقيم له العقبات لينمعه عن سكنى الخرطوم  
 وبقي المهدي مدة مترددا في القبول يقيم أسبوعا في الخرطوم وأسبوعا في أم درمان  
 ويصلي الظهر والعصر في سلامك الحكمدارية وإقامته في منزل ابي بكر  
 الجار كوك حتى وافته منيته كما سيأتي



### ذكر القبض على المؤلف وسجنه بالخرطوم

وبعد مضي شهر على سقوط الخرطوم ارسل الي حسين باشا خليفة  
 مدير بربر خمسين ريبالا فاشتريت منها جبة ونعلا وعمامة وأبقيت بعضها النفقاتي  
 وما مضت على ثلاثة أيام حتي جاءني نحو عشرة دراويش يحملون  
 الاسلحة فقبضوا عليّ وأوثقوني كتافا وفتشوا كوفي وحفروا أرضه وساقوني  
 الى أمين بيت المال في الخرطوم فدخلت عليه فصاح بي وقال يا كافر يا منافق  
 يا لص أنت سرقت من مالك وتوسعت به حيث غيرت ملابسك وعلا رأسي  
 بسوط كان في يده حتي تطاير الدم فقلت له ياسيدي انني لم أسرق شيأ بل

ان أحد مداري أحسن عليّ بخمسين ريالاً فرفع سوطه وقال من هو الكافر  
الذي يحسن على الكافر فلما رأيت إلحاحه خشيت أن يكون وراءه مسؤولية  
على حسين باشا خليفة فقلت انه رجل من جهات النيل الأبيض كان يعرفني  
أما أنا فلم أعرف غير وجهه ولا أعرف اسمه فأمرني الى السجن فمكثت فيه  
ثلاثة أيام ثم أخرجني منه وقال لي لاجتاح عليّ فيما فعلته معك لأن الذين  
وشوا بك مصريون من أبناء جلدتك فالآن عفوت عنك واطلب منك أن  
تجملني في حل مما أصابك منى فقلت له انت في حل فأعطاني عشرة ريالات  
وإنا للطبخ وآخر للأكل وملاءة وجارية وقال لي عد الى أم درمان فحملت  
الامتعة وذهبت مع الجارية التي أخذت تسبني وتقول (كيف أرضى بولد  
الريف تعني المصري سيداً لي) وبينما أنا سائر في الطريق وهي سائرة بجاني  
اذ لحق الجارية جماعة من العبيد الجهادية سائرين في الطريق فاستغاثت بهم  
وقالت ان ولد الريف سرقني فقال لي العبيد من أين سرقتها يا ولد الريف  
فقلت لم أسرقها بل أعطانيها أمين بيت المال فابتدروني بالضرب بالسياط  
وسلبوا كل ماعى من الامتعة والنقود والجارية ثم ذهبوا الى حيث لا أعلم  
وجهتهم فعدت الى أمين بيت المال وقصصت عليه قصتي فكان جوابه  
لا شأن لي فعدت الى أم درمان في اسوأ حالة لأملك قوت يومي فضلاء  
أنا فيه من آلام الجروح الناشئة من ضرب السياط.

### ذكر أهالي الخرطوم بعد ذلك

مكث الدراويش يمدون أهالي الخرطوم ليدلوهم على خبايا أموالهم  
بقية شهر ربيع الثاني وشهر جمادى الأولى الى أواخر شهر جمادى الثاني وهم

باقون في البقعة التي بين الخندق ومسكر ابن النجومي معرضين للبرد والحرارة ووكّل بحراستهم الحاج خالد العمري فكان يأخذ الرجل أو المرأة إلى منزله في المدينة ويؤالي تعذيبه حتى يدل على ماله وكثير منهم ماتوا تحت أيدي المعتذبين الذين لا يرون ولا يرحمون

وقد رأيت كثيراً من النساء أصهبن بالجنون لهول من ما قاسينه من أليم العذاب وأخريات فقدن العقل عند ما رآين أولادهن وأزواجهن مذبحين بين أيديهن وفيهن من فقدت من الأولاد سبعة وثمانية ولقد رأيت امرأة رجل مصري اسمه عطية كان أمين ورق التمرة قتل زوجها وأختها ثلاثة وأولادها خمسة وأحفادها من جهة أولادها ثلاثة وأزواج بناتها ثلاثة وأحفادها من جهة بناتها أربعة وكان عمرها زهاء سبعين سنة فكانت تراها وقد ذهل عقلها وهي تصف لكل من وقع نظرها عليه مصرع أولادها ثم تتناول التراب وتضعه على رأسها ثم تصرخ وتهم على وجهها في القلادة وهكذا كان حالها حتى توفيت بعد بضعة شهور ومثل هذه المرأة كثير يسد بالئات وأصيب كثير من الرجال بمثل ما أصيبت به هذه المرأة وكثير من الذين نجوا من تلك المذبحة ماتوا لفرط ما أصابهم من الحزن بعد أن انفطرت أكبادهم من هول ما رأوه في ذلك اليوم المشؤم

ومما يذكر هنا أن محمد باشا حسن مأمور المالية دخل عليه يوم سقطت المدينة أصدقاء له من جيش المهدي وأحاطوا به وحموه من القتل فلما خرج معهم ونظر في طريقه إلى جيرانه ومعارفه قتلى في شوارع المدينة قال لأصدقائه إلى أين تذهبون بي فقالوا إلى خارج الخندق لأنه لاسلامة لك مادمت داخل الخندق فقال لهم قد قتل أهل بلدي كلهم فم



من أعيش حتى تطلبوا لي النجاة فأنا أقول لكم أيها الأصدقاء انكم لا تحسنون  
إلى الا اذا قتلتموني بجانب هؤلاء فأخذوا يراجعونه وساقوه بالاكراه فامتنع  
وقال لهم اقتلوني أيها الناس فأنني كرهت الحياة فتركة أسدقاؤه وامتنعوا من  
قتله فقتله غيرهم

ومن أمثال هاته الحوادث امرأة أحمد عبد الوهاب وكيل الضبطية  
فإنها لما قتل زوجها واخوته الأربعة ترامت على اقدام القتالين وقالت لهم  
ألقوني بمن قتلتموهم فامتنعوا لأنها كانت فتاة رائعة الجمال وما زالت  
تلح عليهم فلم يفعلوا وأخيراً أمسكت سلاحاً وهمت بأولئك القنلة فقتلوا  
تخلصاً من شرها

وقتل أيضاً امرأة إبراهيم بك ليب حاكم دار بوليس المدينة مع  
زوجها لأنها احتضنته لما تم الأدرائش بقتله. وكذلك امرأة ثالثة حذت حذوها  
فهذه الثلاث نسوة المواتي ذكرنا خبر قتلهن يوم سقوط الخرطوم أما اللواتي  
ذهبن ضحية التعذيب فان عددهن يزيد على الثلاثمائة

وكان في الخرطوم رجل مصري أصله من نهر دمياط. ومن علماء  
الازهر الشريف ثم عين قاضياً لبربر ثم عين مدرسا بجامعة الخرطوم ورئيساً  
لأساتذة المدرسة الأميرية. وكان يتعمم بعمامة خضراء لا تنسابه لآل البيت  
المطهر كما كان في طليعة العلماء الذين كتبوا النصائح تكذيباً لدعوى المهسدية  
وكان غردون يحترمه ويحمله ويشاوره في كثير من الأمور واسمه حسين المجدي.  
وفي يوم سقوط المدينة دخل عليه الدراويش وله جاران اسرايلمان أحدهما  
اسمه بسيون والثاني اسمه اسراييل فلما أحسا بدخول الدراويش قالوا ان جارنا  
عالم من علماء الاسلام وذو انتساب لآل بيت رسول الله ( صلى الله عليه وسلم )

ولا بد أن يحترمه هؤلاء الدراويش ولا يمدوا أيديهم بسوء لمن دخل في  
جواره فها بنا ندخل منزله وبينما كنا تهيأين للاحتماء بالشيخ حسين المجدي  
اذ أبصره من نوافذ بيتهما جالسا على مصلاهما متعبا بهامته الخضراء يقرأ في  
المصحف فدخل عليه الدراويش فضربوه بالسيوف وبتروا يمينه فقال مرحبا  
بقضاء الله فقالوا له يا كافر فقال اني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول  
الله وأمتاً المصحف من دمه فأغمي عليه فتناول أحد الدراويش امرأته وآخر  
بنته على مرأى منه ومن جيرانه وفسق الاول بالمرأة واقتضى الثاني بكارة  
البنت وقالوا له قد أحل الله لنا دمك وعرضك فقال لهم كذبتم ان الله لم يحل  
دمي ولا عرضي ثم اجهزوا عليه أما الاسرائيليان فانهما قد نجوا من القتل  
ولا يزالان على قيد الحياة

وكان في الخرطوم أيضا رجل مصري اسمه الشيخ فايد كان شيخ سجادة  
الاحمدية وفي ساعة المذبحة التجأ الى بيته نحو عشرين شخصا من جيرانه من  
موظفي الحكومة فدق الشيخ طبوله وحمل راياته فذبجه الدراويش ومن معه  
ولم ينج منهم غير واحد اسمه عبد الله ابراهيم سعد كان ضابطا في الحامية  
بعد أن اصاب بثلاث ضربات بالسيف على راسه.

وقتل قناصل الدول كلهم وكان موسيو هنزل قنصل النمسا استأمن  
المهدي على نفسه ورعاياه فوعده المهدي باشخاصه الى بلاده اذ اخرج اليه مسلما  
نفسه وفي يوم سقوط المدينة ذبح وسبيت امرأته وصارت جثث القتلى مطروحة  
على وجه الارض.

ومن أعجب ما شاهدته أن هذه الجثث لم تتفخ ولم تتغير ملامحها حتى  
انك لتستطيع معرفة الشخص المقتول بعد بضعة شهور ولم تأكلها الطيور ولم

يشاهد حولها شيء من الديدان أو الحشرات التي تتأكل الاجسام الميتة وقد  
عد شعراء المهدي ذلك كرامة من كرامات المهدي حيث قالوا في أنشودة  
باللغة الدارجة مامعناه «ان اعداء المهدي الذين فتك بهم سيفه عافت اكل لحومهم  
الطيور والديدان والكلاب وسائر الحوام وذلك دليل على كفرهم»

ولم تقف الفظائع عند حد القتل وازهاق الارواح بل كانوا يمثلون باشلاء  
المقتولين ويجمعون التبع ويحرقون به الجثث

وكان في الخرطوم رجل من أهل خراسان اسمه الشيخ عبد الرحمن  
الخراساني وكان مجاورا بالمدينة المنورة ومعروفا عند أهلها بالصلاح والورع  
وله أتباع كثيرون في السودان فقتله الدراويش وربطوا جثته بحشة كلب ميت  
ووضعوا فيه على رأس السكاب واحرقوها مما

ومن الذين قتلوا يوم سقوط المدينة الشيخ شاكر الرئيس مفتي السودان  
وكان سوريا قتلته محمد نوبابوي الذي دخل على فردون وقتل ابنه قبله ولما  
هم بقتله قال له احد الحاضرين اتركه لانه رجل فقيه فقال له انه افقي بفتوى  
صدي منذ عشرين سنة فأنا اذبحه واذبح ابنه قبله تشفيا

وقتل من العلماء أيضا الشيخ موسى مفتي المحاكم الشرعية والشيخ محمد  
حتيك قاضي القضاة وكانا فقيهين محققين كتبارسالتين طوبلتين كذبا بهادعوي  
المهدي وفندا مزاعمه وقبل سقوط المدينة جاء في الشيخ موسي زائراً ثم اختلى  
بي وقال لي والدموع تتساقط من عينيه اني وأولادي لم نذق طعاما منذ  
ثلاثة ايام ثم كشف عن بطنه فرايت حجرا مربوطا عليها فهالني ذلك وعرضت  
عليه نقوداً فلم يقبلها ثم وجدت بمنزلي أقتين من البقسماط دفعت له أقة  
وابقيت لنفسى الثانية واعطيته خروفا من الضأن كنت اشتريته من احد

الصناجق الذين غزوا في ضواحي الخرطوم على احدى البواخر فشكرني  
ورجاني أن آذن له بالبقاء ريثما يأكل قليلا من البقسماط ليستفيد بعض قوته  
ثم سألتني ان أرسل معه جنودا يحفظونه من الاعتداء عليه حتى يبلغ منزله وفي  
الفد عاد اليّ واخبرني أن أولئك الحراس اغتصبوا منه البقسماط ولكنهم  
تركوا الحروف له فدعوتهم لاسألهم فقابلوني بشراسة خلق وقالوا ألم نصنع  
معه من المروءة ما لا يصنعه غيرنا حيث تركنا له الجروف فقلت لهم صدقت  
وطيبت خاطرهم وصرقهم

والحاصل ان المهدي بعد ان صادر جميع أموال سكان الخرطوم وسي  
من نساءهم كل حسناء وقاسوا من العذاب أشده ونالوا من الضنك غايته وكانوا  
محجورا عليهم الكسب وسبل الارتزاق وكان يعطى كل شخص نحو رطل من  
الذرة في كل يوم حتى هلك من هلك ونجا من أراد الله نجاته ركب هو  
وخلفاؤه ذات يوم ووقف حولهم فرثي لهم وأذن لهم بمبايعته ثم كتب لهم  
منشورا وعظمهم فيه وضمنه ما يقطع أملهم من إعطائهم شيئا مما سلب منهم  
وهذه صورة المنشور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
وبعد فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبيد الله الى كافة أحبابه وأصحابه  
الذين خرجوا من قفرة الخرطوم ومرادهم السلامة لليوم المعلوم ورضاء الله  
الحى القيوم أقول يا أحبائي ان نعمة الدين نعمة لا نعمة غيرها وحيث من  
الله عليكم بها وصرتم من عبيد الله الذين يطلبون ما عنده ويمثلون أمره  
ويرغبون فيما رغب فيه ويزهدون ويستحقرون ما حقره بعد ان كنتم على

شفا حفرة من النار فأنقذكم منها فاشكروا نعمة الله التي أنعم بها عليكم واستعظموها  
 لتشكروها وتكفوا بها عن نعم الدنيا ومتاعها لأن نعم الدنيا ومتاعها نصيب  
 أبناء الدنيا الذين لا نصيب لهم في الآخرة واعلموا أن الله هو المتكفل بالارزاق  
 الضامن لها فن عرف ذلك عرف أنه ما دام حيا لا يقطع رزقه ولو هرب  
 منه للحق كما ورد «لو ركب العبد الريح هاربا من رزقه لركب الرزق السبق  
 حتي يلحقه» وحيث كان كذلك وان ما وجد في الحرطوم شيء جزئي لا يكفي  
 الانصار الذين فتحوه وأنعم الله عليكم بأعانتهم وقد صرف عليهم جميع ما وجد  
 مع غنائم بربر ولم يفضل الا ما يحتاج للتزيين فاصرفوا نظركم عما خرج من  
 أيديكم جملة حيث بعم أنفسكم وأموالكم لله وأنتم تعلمون ان الصحابة لما  
 خرجوا الى الهجرة فارقوا ديارهم وأموالهم رغبة في دين الله وأنتم لما أنعم الله  
 عليكم بالصحبة التي تمنها كل السابقين فاخرجوا عن ذلك واكفوا بالله  
 وارغبوا فيما عند الله كما البيعة على ذلك فان من لم يخرب الدنيا للآخرة لا يستقيم  
 له دينه وقد بعث صلى الله عليه وسلم لحراب الدنيا وعمارة الآخرة كيف وقد  
 دعا النبي صلى الله عليه وسلم على طالب الدنيا الذي لا يرضى الا بها فقال صلى  
 الله عليه وسلم «تبس عبد الدينار والدرهم والخيصة ان أعطي رضي وان لم يعط  
 سخط تبس وانتكس واذا شيك فلا انتكس» ووصف الله المنافقين بذلك فقال  
 تعالى «ومنهم من يلدزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها  
 اذام يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا  
 الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون» وأنتم أحبابي اكثفوا باندراجكم مع  
 المجاهدين وما يعطيكم اسوتهم فلا خير في الرقيق حيث يعيش العبد بدونه  
 ويتأسف واجده عند فراقه وقد صدق فيه اسم الرقيق لان الرقيق ينقطع

ولا يدوم لمن تعلق به ولا يعصمه فاعتصموا بالله وتوكلوا عليه وآتقوه فإنه قال  
« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على  
الله فهو حسبه » صدق الله العظيم والسلام ٢١ جماد آخر سنة ١٣٠٢

ذكر مقابلة الشيخ محمد الأمين الضرير للمهدي ووفاته  
تقدم لنا ذكر الشيخ محمد الأمين الضرير وتقلنا صورة الكتابين  
الذين بعثهما له المهدي وفي غضون حصار الخرطوم كان الناس اشاعوا  
عنه انه جاسوس للمهدي وانه كان يطن ولاءه وكان أهل الخرطوم  
يغضونه لهذه الاسباب حتى شكوه الى غردون فقبض عليه وعلي  
قاضي القضاة الشيخ محمد ختيك والشيخ موسى المفتي الذين تقدم ذكر قتلها  
وقبض أيضاً علي عبد الرحمن ارباب أحد علماء المدينة وبالتحري عن شأنهم  
ثبت ان الشيخ محمد الأمين وقاضي القضاة والمفتي بريئون مما رماهم به أهل  
الخرطوم الموصوفون بأساء الظن بكل مواطنيهم الذين لم يكونوا مصريين  
من جنسهم

ولكن تحققت التهمة في عبد الرحمن ارباب فقط وبعد ان قضوا  
أربعة ايام في السجن امر غردون باطلاقهم حتي عبد الرحمن ارباب الذي ثبتت  
ادانته وبالغ غردون في الاعتذار الى الشيخ محمد الأمين واسترضاه ورفقاه  
وفي يوم سقوط المدينة دخل على الشيخ محمد الأمين ابن له اسمه علي  
كان قائداً صغيراً من قواد المهدي وساقه الى عبد الرحمن النجومي الذي هم  
بقتله واستل ابنه سيفه ليقتله اظهاراً لاختلاصه للمهدي وبينما هم كذلك اذ  
مر عليهم الخليفة شريف فسأل عن الخبر فقبل له ان القوم يتآمرون على قتل

الشيخ محمد الامين الضريز فاخترق الصفوف بحصانه وقال للمتأمرين احذروا ان تصيبوا الشيخ بسوء واعلموا ان من أصابه بماء أصبته بسيفي فنفرك الناس وأغمدوا سيوفهم عنبه وقاد على أباه واجتاز به النهر وقدمه للمهدي الذي قابله بالاكرام واكثر من لومه ومعابته ثم بايعه البيعة المشهورة ثم قاده ابنه أيضاً الى عبد الله التعايشي الذي أخش له في القول واسمعه من الكلام أمره وأخيراً قال له يا عالم السوء يا من أعمى الله بصره وبصيرته قضيت صمرك المشؤم في تحصيل علوم جاء المهدي بنسخها فقد كنتم تقولون حدثنا فلان عن فلان باسانيد طويلة ونحن الآن نتلقى الشريعة من المهدي الذي يتلقاها مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فاحذر يا شيعية السوء ان أسمع عنك انك تعلم الناس شيئاً من العلوم القديمة المنسوخة واعلم انك منذ الآن محتاج الى التعليم من أحقر انسان من أصحاب المهدي ثم دعا عبداً أعجيباً وقال للشيخ محمد الامين هذا استاذك منذ الآن فصل بجانبه وتلق شريعة المهدي عنه اما ما تعلمته قبل الآن فانه منسوخ وخير لك ان تحفر له في الارض حفرة تغيبه فيها فسكت الشيخ ولم يجاوبه بكلمة بل خرج من عنده وهو يقول اللهم اقبضني اليك غير مفتون فتوفى بعد بضعة أيام فحملت جثته الى المهدي فامتنع عن الصلاة عليه وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن الصلاة على المنافقين وقرأ « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » الآية

ونجا عبد الرحمن ارباب بعد ان هم عبد الرحمن النجومي بقتله فاكرمه المهدي واردفه خلفه ثم مال بث عبد الرحمن ان انكر على المهدي أفعاله ونقم عليه وياقن انه كان في ضلال مبين حيث كان مصداقاً بهذه الدعوة ومعيناً لذلك الطاغية

## ذكر انتقال المهدي الى ام درمان

ذكرنا ان المهدي كان معسكرا في جهة الفتيح بعيداً عن مرعي المقدوفات  
وفي أوائل جمادى الثانية سنة ١٣٠٢ زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم  
أمره بنقل معسكره الى ام درمان وكان يطلق اسم ( البقعة الطاهرة المشرفة )  
على كل معسكر حل فيه وفي صبيحة يوم ركب ناقته ونال ان النبي صلى الله  
عليه وسلم أمره باطلاق خطامها حتي تنزل بالمسكان المأمورة باللقاء رحلها  
فيه وذلك كما كان يعمره صلى الله عليه يوم دخل المدينة المنورة فارتت الناقة  
المأمورة على زعمه حتى القت رحلها بمكان مرتفع شمال خندق أم درمان  
يبعد عن ضفة النهر بألفي متر تقريباً وهناك القت رحلها فضربت اطناب الحيام  
وصنعت الاكواخ من البوص وجعل طول المسجد نحو ستمائة متر في ضفتي  
هذا القدر وصنعت للمهدي مقصورة من ألواح الزنك التي كانت تصنع للاماكن  
التي تودع فيها المواد المتلتهبة ونقل منبر الخطابة الذي كان موضوعاً في سلامك  
الحكمدارية الى تلك المقصورة وكانت بقية المسجد مكشوفة والمصلون  
معرضين للحر والبرد

ولما كان منزله متصلاً بالمسجد كان يصلي الاوقات كلها داخل بيته والناس  
يأمنون به وبينهم وبينه نحو عشرة حجب من الشوك والاطناب والبوص وكان  
لا يصلي في المقصورة الا فريضة الجمعة

وكان ذا صوت جهوري في الصلوات الجهرية يرفع صوته بالقراءة با كيا  
وتساقط الدموع من عينيه وكثيراً ما كان يسمح تلك الدموع في حال القيام  
وقومه معجبون به ويدون البكاء في الصلاة من علامات اطلاعه على الغيب



حيث يزعمون انه يرى اللوح المحفوظ متى أحرم بالصلاة  
 وقيامه وسجوده طويلا ن جذا حيث كان يقوم في قراءة الركعة اكثر  
 من عشر دقائق وفي الركوع والسجود نحو ثلاث دقائق  
 وصلى في رمضان صلاة القيام عشر ركعات قرأ فيهن جزأ من القرآن وصلى  
 بالناس في ليلة نصف شعبان مائة ركعة بالقرآن كله رافعا صوته بالقراءة با كيا  
 وكان عنده عبد اسود يؤذن له فقال انه وارث مقام بلال مؤذن النبي  
 صلى الله عليه وسلم واعطى مقام ابن أم مكتوم لمؤذن ثان  
 هذا وقد قلده كثير من الامراء والاتباع في رفع أصواتهم بالبكاء أثناء الصلاة  
 ومن المضحكات ان دنقليا من أقارب المهدي تناول الف ريال من تاجر  
 قبطني اسمه جرجس ليصنع له بها سراكب ثم اغتال المال ولحق بالمهدي  
 وبعد سقوط الخرطوم زاره نجاران مصريان فقام يصلي واسترسل في البكاء  
 فأندهش الزائران من هذا البكاء وقال أحدهما ما الذي أصاب الرجل فقال الآخر  
 لا أظن شيئا أصابه غير انه لما رآنا تذكر ما اغتاله من مال جرجس فبكى ظنا  
 منه اناجئنا فطالبه به

### حوادث دنقلة

دنقلة إقليم من أقاليم السودان المصري وحده من جهة الشمال  
 (خور موسي باشا) وهو يبعد عن حلفا بنحو خمسة أميال ومن جهة الجنوب  
 حدود مقاطعة بربر واقسامه احد عشر قسما أربعة منها في الشمال وسبعة  
 في الجنوب  
 وسكان الاقسام الشمالية هم قبائل (سكوت والمحس) والداقلة يسكنون

الاقسام الوسطى، والجهات الشمالية أرضها قاحلة مكسوة بالحجارة الاب  
النخل فيها كثير ومحصوله جيد وبه قوام معاش السكان خلافاً للاقسام  
الوسطى فان أرضها خصبة وطريقة الري فيها بالسواني وهي تجود بمحصول  
وافر من الحبوب وفيها النخل أيضاً لكن محصوله لا يذكر في جانب محصول  
الجهات الشمالية وسكان هاته الاقسام خليط يطلق عليهم (الداقلة) والغالب  
على اخلاقهم الهدوء والسكينة أما سكان الاقاليم الجنوبية فهم قبائل الشايقية  
وأرضهم تشبه الاراضي الشمالية والحاصل ان عوائد سكان دنقلة متقاربة متشابهة



### ذكر الشيخ الهدي

كان في احدى قرى الشايقية التي بين الخرطوم وشندي رجل اسمه  
(الشيخ الهدي) وكان صاحب طريقة وله صداقة مع محمد الخير داعية بربر وبمد  
هلاك حملة الجنرال هيكس وفد هذا الشيخ على المهدي فاكرم وفادته وقدم له  
الهدايا وتلقاه بالاكرام ثم عرض عليه ان يقوم بالدعوة له في مديرية دنقلة  
فاجابه بالقبول فكتب له بالامارة على قبائل الشايقية كلها وبالدعوة له في  
مديرية دنقلة ثم غادر الشيخ الهدي كردفان مع محمد الخير داعية بربر واشتغل  
معه في حصار بربر ثم انفذ خاله (ولد عبود) أحد افراد قبيلة الشايقية الي اقسام  
دنقلة الجنوبية فثارت معه قبيلة الشايقية واعلنت خلع طاعة الحكومة ورفعت  
لواء العصيان وقبضوا على ستة عشر جندياً واثنين صف ضباط كانوا جباة في  
هذين القسمين وقطعوا اسلاك التلغراف وأسروا عماله

ولما وصلت تلك الاخبار الى المدير مصطفى ياور باشا انتدب الضابط  
أحمد افندي سليمان ومعه عشرة عساكر من النظاميين لاكتشاف الاخبار

وما كاد يبلغ محل الثارين حتى فبضوا عليه وعلى جنوده العشرة بعد أن أطلقوا النيران على العدو الذي لم يتمكن من القبض عليهم إلا بعد أن نفذت ذخيرتهم وبعد أن هموا بقتل أحمد أفندي سليمان وجنوده أرجأوا قتلهم إلى الغد واعتقلوهم في منزل رجل اسمه الخليفة أبو بكر وكان صديقا حميلا لأحمد أفندي سليمان وما كاد الليل يرخي سدوله حتى أطلق الخليفة أبو بكر أحمد أفندي سليمان ومن معه فركبوا دوابهم وفروا وفي الغد فقدوهم فبعثوا خلفهم نحو مائتي راكب فلم يدركوهم وعادوا بغير طائل ولم ينتقموا من الخليفة أبي بكر لما بينه وبين العصاة من روابط الجنسية

ولما وصل أحمد أفندي سليمان إلى مركز المديرية رفع إلى المدير نتيجة مأوريته فأبحر المدير ومعه مائة جندي نظامية على باخرة قاصدا جهة (الدبة) وكان ولد عبود ومعه زهاء سبعة آلاف مقاتل قصدوا جهة الدبة وكان بها نحو ثلاثمائة جندي بين نظاميين وباشبوزق وما كاد المدير يصل تلك الجهة حتى علم أن العدو منقسم قسمين في جهتين متقاربتين وأنهم متمسكون عن الحرب حتى ينسلخ شهر رجب فآخذ المدير في الاستعداد وهاجم مركزي العدو فكان النصر حليفه حيث انجلى الهجوم عن انتصار المصريين وهزيمة الثوار وعاد الأمن إلى ربوع دنقلة وقفل المدير راجعا إلى مركز المديرية بعد أن حصن نقطة الدبة

### ذكر واقعة الشيخ الهدي

لما وصلت أخبار الهزيمة إلى الشيخ الهدي في بربر غادرها قاصدا جهة لدنة وأمدده بمئة خير بمائة جندي سدي من الذين انضموا إليه من جنود

الحكومة واستصرخ في طريقه ببائل الرباطاب وأولاد قر الذين صاحبه  
رئيسهم نعمان بن قروالد سليمان بن نعمان قاتل الكولونيل ستوارت فاجتمع  
ليه نحو ستة عشر ألف مقاتل وصل بهم الى الدبة وفي ذات ليلة هجم بهم  
علي مركز الدبة وكان الظلام حالكا فما شمعت الخامية الا بالضوضاء حول  
المعقل فصوبت مقذوفاتها على العدو فسقط منه ألفان وسبعمائة قتيل  
وقتل نعمان بن قر وفر الهدي ومعه نحو خمسة آلاف مقاتل وفر الباقون  
ولحقوا ببلادهم وعسكر الهدي في جبل على شاطئ النهر في جهة ( الختانة )  
وفي ثاني يوم الواقعة وصل المدير ومعه فصيلتان من الجنود النظاميين ثم سار  
الى الختانة ومعه خمسمائة جندي فابتدره الدراويش باطلاق البنادق فحاط  
بموقعهم وهجم بمجنوده عليهم فلما أبصر الهدي الجنود هاجم عليهم ولي  
الادبار ومعه قومه وغنم الجنود معسكرهم وفيه كثير من الاقوات واستولوا  
على عشرين صندوقا مملوءة خرطوش بنادق رامنجتون ثم تأثر المدير العدو  
مسييرة ست مراحل حتى خرج من حدود المديرية وقفل راجعا الى مركز  
المديرية وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان سنة ١٣٠١

ذکر مخبرات المهدي مع مصطفى ياور باشا

تقدم لنا ذكر وقائع دنقلة وها نحن نذكر ما فاتنا فنقول

لما حاصر أبو قرجة الخرطوم وظفر محمد الخير ببرر كتب المهدي  
كتبا مع رسول خصوصي الى مصطفى ياور باشا مدير دنقلة يدعوه فيه الى  
التسليم أو الحرب وكان الشيخ الهدي في بربر يتأهب للغارة على دنقلة كما تقدم  
فادرك مصطفى ياور باشا حرج موقفه اذ كان جنوده لا يزيدون على خمسمائة

جندى فعول على دفع البلاء بالختلة والحديعة فاستدعى المسيحيين الذين كانوا معه في المديرية وأسر اليهم انه عول على دفع شر المهدي بالحديعة ريثما تصل للجنة الانكليزية وانه سيستدعوهم على رؤس الاشهاد في سراي المديرية ويعرض عليهم الاسلام فيجيبونه فصدعوا بما أشار به عليهم ثم استدعى رجالاً من ذوي قرابة المهدي المقيمين في دنقلة وأعلن أمامهم انه دخل في طاعة المهدي وانه صار عاملاً من قبله على إقليم دنقلة ثم دعا المسيحيين للاسلام فاجابوه وكتب الى المهدي كتاباً ضمنه دخوله في طاعته وشرح له كل ما فعله من اسلام المسيحيين واعلانه الطاعة فاجابه المهدي بكتاب سماه فيه مصطفى جابر بدل ياور لانه من أسماء الكفار على زعمه وضمن الكتاب تعيينه أميراً على دنقلة من قبله وأمره بإبدال ملابس العساكر بالمرقات التي هي شعار المهدي ثم بعد ذلك حصلت وقائع الدبة والختانة التي تقدم لنا ايرادها

ولقد جاء ما أتاه مصطفى ياور باشا بنتيجة مرضية حيث استطاع حفظ البلاد مع قلة جنوده ريثما وصلت طليعة الحملة الانكليزية وساعد أيضاً على حفظ المديرية من السقوط في قبضة العدو وجود رجال اكفاء قاموا بتدبير الامور وخطروا بنفوسهم في جميع الوقائع التي انتصر فيها جنود مصطفى ياور باشا ونخص منهم بالذكر أحمد جودت بك وكيل المديرية وقتئذ فانه كان قومندان القوة المدافعة في واقعة الدبة التي انهزم فيها الشيخ المهدي شر هزيمة وقد أصيب وقتئذ أحمد جودت بك بطعنة رمح في جبهته أما الضابط أحمد أفندي سليمان الذي تقدم ذكر وقوعه في قبضة العصاة وفراره منهم بواسطة صديقه الخليفة أبي بكر فانه كان قومندان القوة النظامية وشهد كل وقائع دنقلة كما انه شهد كل الوقائع

التي انتصر فيها عبد القادر حلمي باشا في جنوب الخرطوم مما تقدم لنا ذكره  
ومن قواد الباشبوزق الصناجق نور الدين بك وماميش أغا وسليمان بك  
جبريل ومن الضباط النظاميين الضابط سعد نيه أفندي ومرسال كوكو  
أفندي وغيرهم

ولما وصلت طلائع الحملة الانكليزية الى حلفا كان الشيخ الهدى معسكراً  
في جنوب حدود مديرية دنقلة بعد هزيمته من الختانة وكان قد وصل الى  
دنقلة في غضون ذلك رسول الى مصطفى ياور باشا يحمل كتابين أحدهما  
من المهدي والثاني من شخص يدعي الشريف محمود من أقاربه وكان مضمون  
كتاب المهدي الى مصطفى ياور باشا أمره بتسليم المديرية الى الشريف  
محمود والشخص الىه وكتاب الشريف محمود مضمونه انه تعين من قبل المهدي  
أميراً على إقليم دنقلة وانه معسكر في بئر تبعد عن النهر بثلاث مراحل  
اسمها (أم بليلة) فكتب اليه مصطفى ياور باشا يقول فيه اني لم اكن مصدقاً  
بدعوة المهدي وان ما فعلته كان خديعة وحيث انك من أهالي دنقلة  
فانت آمن اذا عزمت علي العودة الى وطنك مستظلاً بطاعة الحكومة  
ولما عاد رسول الشريف محمود اليه في بئر (أم بليلة) واطلع على ما كتبه له مصطفى  
ياور باشا أسرع بالفرار من ذلك المكان ولحق بالشيخ الهدى الذي كان معسكراً  
في جنوب حدود مديرية دنقلة في مكان اسمه (كورتى) وأخذوا في الاستعداد  
والاهبة للغارة على الحدود وكان مع الشريف محمود حسن خليفة العبادي  
ابن أخي حسين باشا خليفة مدير بربر أرسله المهدي للدعوة له في مسعيد  
مصر ومعه أيضاً رجل مغربي أرسله أيضاً ليدعو أهل طرابلس الغرب  
وهاهي صورة كتابين اخترناهما من الكتب العديدة التي كتبها المهدي الى

من مدني ياور باشا الاول منهما في شهر رجب سنة ١٣٠١ والثاني في شهر  
رجب سنة ١٣٠٢ أي بعد سقوط الخرطوم وفي الاول من الدين والمجاملة ما يراء  
القارئ وفي الثاني من الهديد والوعيد بان النبي صلى الله عليه وسلم وعد  
المهدي بوقوع مصطفي ياور باشا في قبضته عاجلا أو آجلا ما فيه

## الكتاب الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فمن الابد الواثق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الي مصطفى ياور امير مدينة  
دقيقة وتوابعها كان الله له معين أمين ببند السلام والاحترام لا يخفى عليك ان  
الديار ليست دار راحة وما هي الا ساحة فمن لم يجعلها طاعة ويكتب رضا  
الله تعالى فيها ويكتب بالله ويجعل همه به واحدا لا يسلم من همومها وغموها  
ولا بد أن تذهب ويقع المفراط فيما لا ينبو منه من الاهوال الشداد كما جاء  
بذلك الوعيد في قوله تعالى «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع  
كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله  
شديد» واعلم أني داع الى الله ودال عليه وقد بثني الله تعالى رحمة لمن اتبعني  
من أهل زماني ونقمة على من عصى الله وخالفني واني انذرتك قبل هذا  
واوضحت لك الامر جليا وكتبت اليك بتوليتك اميرا في جهتك وما فعلت  
ذلك الا لك وما وليت احدا غيرك كان في ولاية الترك الابد لقاشا والاخذ  
عنا ورؤية الصديق منه محمد خالد الذي كان مدير «دارا» فانه قد اتانا  
عند فتح مديرية الابيض وصحبنا وتخلق باخلاقنا وتربي حتي تحقق بالصدق

والديانة المرضية على محبة كاملة فلما رأينا فيه آثار الصدق والامانة والعدالة  
والخلق باخلاصنا والقيام بامرنا على ما نحب ونرضى وايذاء على كافة نواحي  
دار فرر ففتحها وصدق في ارشاد أهلها وادخلهم جميعاً في طاعتنا فصدقوا  
كامل الصدق فجزاء الله الخير والاحسان فقد زاد على ما ظنناه فيه ورقي أصحابه  
ومن بنواحيه على حسن اليقين والثوق برب العالمين وإيثار الآخرة وزهد  
الدنيا في الانابة الى ما عند الله فجزاء الله عنا وعن المسلمين أجراً جزيلاً وأنت  
ما وليناك من قبل ان نراك الا لحسن ظننا بك في صدق ديانتك وطلبك  
ما عند الله ومعرفتك شؤم الدنيا وداءها ومعرفتك قوة الله وقدرته على كل  
شيء حتي لا تميل الى شيء الا الى رضى الله فان طاعة الترك بعد ظهور  
المهدي كفرو ضلال كما هو وارد فان قويت سريرتك واشتد عزيمتك على  
ذلك كما ظننا فيك فانت مؤتمر منا كما أمرناك والا فان علمت من نفسك  
ضعف يقين وعدم طاقة على مقاتلة الترك ومناوأتهم وقطع الاخبار عنهم  
فأت الينا لتزيد يقينا وتمكيناً وتكسب نوراً وتحسيناً حتي يسقط من قلبك  
الالتفات الى الاولاد والاهل والخشية من غير الله والطمع فيه بما نريك  
اياهم من الارشاد والثرية التي خصنا الله بها دون أوليائه السكرام وهو  
ذو الفضل العظيم وقد علمت ثواب الهجرة والجهاد في سبيل الله من قول  
الله تعالى « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم  
أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان  
وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها » الآية وقوله تعالى « فالذين هاجروا  
وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلى وقاتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم  
ولا دخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن



الثواب « فمن كان مؤمناً بمصدقاً بكلام ربه وعظمة وعده ووقوع ذلك يقيناً  
بؤثر ما ذكر على ملك جميع الدنيا وشهواتها ومتاعها ومقاساة الشدائد في ادراك  
الوعد المذكور ومن لم يكن مصدقاً بذلك مؤثراً له فذلك لعدم إيمانه وتصديقه  
لوقوع ذلك وتسفيهه لمن فعل ذلك ممن آمن بالله وآثر ما عنده فاستحق  
ان يكون ماله غنيمة وان يخذل في الدنيا ويحشر الى جهنم في الآخرة قال الله  
تعالى « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم » الآية وقد كتبنا  
اليك أبقاً انك ان قت باحد هذين الامرين فهو دليل صدق إيمانك  
وتسليمك والا فلا بد ان تقع في قبضتنا بقوة الله وخوله كما أشار الي ذلك  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ونسأل الله ان لا يخيب  
ظننا فيك لاننا نحب لك الخير ونعلمك بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ان الترك لو أتوا عدد الشجر والمدر لا تقوم لهم قائمة كما بشرنا بذلك رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وان كثروا كورق الاشجار والرمال لو دخلهم  
احد من أصحابنا يموتون كما بشرنا بذلك الصادق الامين صلى الله عليه وسلم  
هذا والسلام رجب سنة ١٣٠١ ( الكتاب الثاني )

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى مصطفى ياور وفقه الله  
لطريق رشاده آمين. اعلم وفقك الله تعالى الى سبيل الرشاد وصرف عنك  
خيالات النفس وباعد عنك طريق العناد ان الهدى خير من الضلال وان  
الدار الآخرة لهي الحيوان وهي الدار التي أعدها الله لاصفيائه وأمناء دينه  
ونذب اليها عباد المؤمنين في محكم كتابه العزيز بقوله « وسارعوا الي مغفرة

من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين » ولا يخفى عليك  
 أي طالما حسنت بك الظن ورجوت لك الخير وتوسمت فيك الديانة  
 والأمانة وأحببتك في الله وخاطبتك خطاب أهل المحبة حتي اني من فرط  
 ما حصل لي من محبتك في الله أصدرت لك أمراً بختي بجملك عاملاً من  
 طرفي على عموم ذنقة رجاء أن تكون من الذين باعوا الله نفوسهم بالجنة  
 وبذلوا مهجهم ونفائس أرواحهم في احياء السنة فظاهرتني بالقيام بذلك ثم  
 نكثت العهد ونقضته ومن نكث فاعما ينكث على نفسه وجاهرت بالعداوة  
 وبارزت وقتلت أخياراً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بمكرك وخديمتك  
 ولم تحش الله ولم ترع حقوقه مع انك في الحقيقة مغرور مستدرج لم تدر  
 عاقبة أمرك ألم تعلم أن الله يمهمل ولا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين  
 فيا أيها الرجل ويحك تدارك نفسك واعتبر بمن مضى من قبلك فإن العاقل  
 من اعتبر بغيره والسعيد من دبر أمر نفسه ونظر صلاح العواقب والكيس  
 من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واعلم ان الله يملئ للظالم حتى اذا أخذه  
 لم يفلته فان جميع ما حصل لك فهو استدراج من الله عاقبته الحسرة والندامة  
 فأعمل فمكرك وأعد نظرك واعلم أن الامر لله يعطيه من يشاء من عباده  
 وكفائك ما حصل منك من مبارزة الله بالعداوة وشدة أزر أعدائه الكافرين  
 والاستمانة بهم على قتال المسلمين أما علمت قوله تعالى في محكم كتابه «يا أيها  
 الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم  
 منهم فانه منهم » وقال « لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموادة  
 وقد كفروا بما جاءكم » الآية الى غير ذلك من الآيات الناهية عن موالاة  
 الكافرين على ان ما أنتم عليه من نقض اليهود وعداوة الله المعبود والركون

إلى المكر والحديعة والحيل الضعيفة الشنيعة لا يغني عنكم من الله شيئاً ولا يدفع  
عنكم المقدور ولا بد بعمون الله من وقوعكم في قبضتنا ولو صعدتم السماء  
بسلم فأنامبشرون من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بالنصر على من يعادينا  
ونملك جميع الأرض ولا يفرنكم ما حصل لكم من الاستدراج ولا ما رأيتموه  
من استمدادكم والنصارى الذين معكم فإن قدرة الله لا تقاوم وبطشه لا يصادم  
وكم أهلك الله من الأمم قبلهم ممن هو أشد منهم قوة وأكثر جمعا ولم يغن عنهم  
ما اعتمدوا عليه من دون الله شيئاً وحيث أنك تدعى العقل وتزعم أنك من  
أهله فاعتبر بذلك واعلم علم اليقين أنك إن أنبت إلى الله وندمت على ما فرط  
منك وأتيتنا نادياً نائباً فإنك مؤمن ومغفون عنك في جميع ما مضى منك غفواً  
خالصاً لوجهه تعالى ومقبول عندنا غاية القبول ولا نقول لك إلا كما قال يوسف  
عليه السلام لآخوته «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»  
وإن أحضرت معك بعضاً من عمد البلد كمحمد عبد القادر ساتي المشهور  
بفقر تود ومحمد الملك حمد بارقو ومحمد بن الفقير محمد إبراهيم وصالح امام  
الجامع وسعيد أحمد فرح ومحمد الجليل ومحمد محمد كنيش فذلك أولى عندنا  
فاحضبرهم فهم آمنون منا ومغفون عنهم في جميع ما جرى ومقبولون عندنا ولا  
خرج عليهم وإن أبيتم بعد هذا إلا الجحود والاعراض عن الانابة إلى الله  
المعبود وسلوك سبيل الضلال اعتماداً على المكر والحيل واغتراراً بالخيال فاعلموا  
أنكم إن تستطيعوا الخروج عن أسر القدرة الإلهية ولا بد من وقوعكم في  
القبضة وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله وذنبتكم عليكم فانا قد أنذرناكم  
ولا رشادكم دللناكم ومن أنذر فقد أعذر أسأل الله الذي يضل من يشاء ويهدي  
من يشاء أن يجعلكم من أهل الهداية الذين سبقت لهم العناية وأن يحل

هذا البيان منكم محل القبول انه اكرم مسئول هذا والسلام سنة ١٣٠٢ رجب

### واقعة كورتى وقتل الشيخ الهدي

لما وصل الشريف محمود الى معسكر الهدي بلغ مصطفى ياور باشا انهما يتأهبان للهجوم على الحدود فزحف عليهم في أربعائة جندي بين نظاميين وباشبوزق وكان قائد الجنود النظاميين الضابط احمد افندي سليمان والجنود الباشبوزق تحت قيادة نورالدين بك وسليمان جبريل بك

ولما اقترب من معسكر الشيخ الهدي اطلق الجنود النيران فجاءهم الدراويش وهجموا على صفوف المساكر ببسالة غريبة حتي اذا صاروا على مقربة منهم نحو مائة متر سقط من الدراويش ما تأقتيل وقتل الشيخ الهدي والشريف محمود والمغربي داعية طرابلس الغرب ونجا حسن خليفة داعية صعيد مصر وولي الدراويش منزه مين لايلون على شيء وتمزق شملهم كل ممزق وكانت عدة الدراويش نحو ستة آلاف مقاتل ولم يصب من الجنود غير ضابط من الباشبوزق أصابته رصاصة في صدره ثم عولج ولم يميت وكانت هذه الواقعة في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠١ هجرية

### ذكر وصول كشتنر باشا الى دنقلة

كانت الحكومة مرتابة في صدق بقاء مصطفى ياور باشا ومن معه من الحامية على الطاعة لان أخبار مما لا نه التي تقدم لنا ارادها كانت تصل اليها بصورة توجب الشك وقد روى لنا الضابط احمد افندي سليمان انه كان يقرأ وقتئذ في الجرائد الواردة عليه من مصر اخبار دخول مصطفى ياور باشا والحامية في طاعة المهدي وكان الضباط يعجبون من الحكومة التي كان مصطفى

ياور باشا يشاورها في كل ما يدبره من الحديعة والمالأة

والظاهر ان ما كان يخبر به الحكومة مصطفى ياور باشا لم تكن تعتقد صحته حتى ان الانكليز لما وصلت طليعة جيشهم الى حلقا انفسدوا كتشنر باشا وكان وقتئذ ضابطاً في أركان حرب الجيش الانكليزي وكان متشكراً في ذي مغربي ومتعمداً بعامة فوصل الى دنقلة والحامية زاحفة الي واقعة كورتى التي سبق لنا ذكرها ثم تأكد عنده بقاء الحامية على طاعة الحكومة وقدم نفسه للمدير فقبل بما يليق به من الحفاوة والاکرام ثم بقى هناك متجولاً في انحاء المديرية يرافقه وكيلها احمد جودت بك حتى وصلت الحملة الانكليزية التي زالت مخاوفها بعد ان أوقف كتشنر باشا الحكومة على الحقيقة التي كان فهمها ملتبساً عليها

### وصول الحملة الانكليزية الى دنقلة

لانطيل على القاريء الكلام في سر ما كان من أمر الحملة الانكليزية التي أرسلت بعد تردد واحجام كانا السبب الأكبر لفقدان فائدتها حيث صارت هاته الحملة كأنها لم تكن وذلك لانها لم يكن الباعث لارسالها الا انقاذ فردون باشا وقد علم القاريء انها لم توفق للقيام بهذا العمل

وفي أواخر شهر صفر سنة ١٣٠٢ تسكملت الحملة الانكليزية في (كورتى) وتعين اللورد ولسلى قائداً عاماً لها وأخذت في الالهبة والاستعداد لمناجاة السير الى جهة الجنوب فقر الرأى على انقاذ حملتين تسير احدهما في طريق الصحراء الى التمة في (عطبور جقدول) وتسير الثانية في طريق النيل قاصدة بربر

## حملة الجنرال ارل وقتله بواقعة كربكان

عين اللورد ولسلي الجنرال (ارل) قائداً لحملة النيل فصار من (كورتى) ومعه نحو ثلاثة آلاف جندي انكليزى ونحو خمسمائة زورق ثقل الجنود المشاة أما الفرسان والطوبجية فانهم ساروا حياض القوارب في الضفة الغربية وكان الطابور الاول المصري من حامية دنقلة يسير في الضفة الشرقية يقوده البكباشى احمد افندى سليمان الذي كان قبل قيام الحملة حائزاً لرتبة الصاغفول اغاسى فرقى الى رتبة بكباشى بناء على الشهادات الحسنة التى قدمها المدير الى اللورد ولسلي بخصوصه

واستمرت الحملة فى سيرها ثمانية أيام وفر أهالى القرى الى الجهات الجنوبية وتركوا قراهم حتى بلغت جهة كربكان بالقرب من أبو حمد وهناك علمت أن نحو ألفى مقاتل من الدراويش تحصنوا بجبل منيع ليقاوموها ويثوروا فى وجهها فانضمت القوة المصرية الى القوات الانكليزية فى الضفة الغربية وهاجمت معقل الدراويش من الجهة الشمالية فاطلقوا النيران عليها ثم قسم الجنرال (ارل) القوة وترك قسماً منها يناوش العدو من جهة الشمال وهجم بالقسم الثانى على العدو من جهة الجنوب الغربى فاستولى على المعقل وقتل الدراويش عن بكرة أبيهم ولم ينبج منهم غير خمسة أشخاص أصيبوا بجروح بليغة وأصيب الجنرال (ارل) برصاصة قضت عليه وتولى قيادة الحملة بعده الجنرال (بركنبرى) ثم صدرت اليه الاوامر بالعودة الى دنقلة وذلك على اثر وصول الاخبار بسقوط الخرطوم وقتل الطيب الذكر غردون باشا وكان بازاء كربكان فى الصحراء منهل اسمه (بيرسانه) اجتمع فيه زهاء الفين من

الدراويش اخذوا بشنوز الذرة على موقع الحملة ليقطعوا عليها خط الرجوع  
فانتدب الجنرال برنكنبري البكباشي احمد افندي سليمان والطاير الذي يقوده  
وأمره بالتربص خلف الحملة المطاردة أولئك فجرت بينه وبينهم عدة وقائع  
كان الفوز له عليهم في جميعها وبقي معسكراً في كربكان اسبرعين ثم قفل راجعاً  
الى دنقلة

هذا ما كان من أمر حملة النيل وسيأتي ذكر حملة الضجراء ووصولها  
الخرطوم بعد سقوطها بيومين

### واقعة ابو طليح

لما وصلت للمهدي أخبار وصول الجنود الانكليزية الى (كورتى) وأخبار  
تقدمهم الى الخرطوم عن طريق (عطمور جقدول) حيث ينتهى سيرهم  
الى شاطئ النهر في جهة المتمة التي كانت بواخر غردون باشا تنتظرهم فيها  
كتب المهدي الى محمد الخير صاحب بربر يأمره بحشد الجيوش في بربر  
لمقاومة حملة الجنرال (ارل) وانتدب موسى بن محمد حلو شقيق خليفة الفاروق  
وأمره بالتحضر معه نحو ثلاثين الف مقاتل من أولى القوة والبأس وهم  
من رجاله (دقيم وكنانة) الذين ذكرنا خبر مبايعتهم للمهدي يوم اجتاز النهر  
الابيض بعد واقعة (آبا) وشهدوا معه جميع وقائمه وجروبه وكان ذلك في أوائل  
شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢

وتقدم المهدي لتشجيع الجيش وسار معه نحو خمسة عشر ميلاً ثم ودعهم  
بعد ان بايعهم على ان لا يتركوا الانكليز يبلغون المتمة وفيهم رفق من الحياة  
ثم سار الجيش يقوده موسى الذي أطلق العنان لانصاره فنهوا جميع القرى

الواقعة بين الممتدة وأم درمان واستباحوا النساء ومكثوا في الطريق نحو  
أسبوعين حتى بلغوا الممتدة مع ان المسافة لا تتجاوز أربعة ايام مع السير البطيء  
وفي أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢ أنصر نصحي باشا وعساكره وهم  
في بواخرهم في الممتدة جيوش الامير موسى زاحفة الى جهة (أبو طليح) وهي  
بئر في الصحراء تبعد عن الممتدة بمسيرة ثلاث مراحل

هذا ما كان من أمر المهدي أما الحملة الانكليزية فلها سارت من (كورتى)  
في أوائل شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ وعدد جنودها نحو اربعين وقائد ها  
السر (هربرت استوارت) فوصلت الى أبو طليح في النصف الثاني من شهر  
ربيع الاول وتقدم نحوها الامير موسى بالثلاثين الف مقاتل الذين معه وانضم  
اليه بضعة آلاف من مقاتلة الجعليين فالتقى بالحملة في (أبو طليح) وهجم عليها  
كما تهجم الاسود على الفرائس ولم يكن الاكلح البصر حتى اختلط العسكران  
وصارت المحاربة بالسلاح الابيض وعندئذ قتل القائد السر هربرت استوارت  
وتولى القيادة بدله الجنرال (بول) فتمكن من التقهقر تاركا أحماله وأثقاله في  
ساحة المعركة فاشتغل الدراويش بالنهب والسلب مدة وجيزة تمكن القائد  
في خلالها من إعادة النظام بين جنوده الذين أظهروا من البسالة والثبات ما حير  
المقول حيث كرههم على الدراويش وأمطرهم نيرانا حامية فسقط من الدراويش  
نحو ستة عشر الف قتيل وقتل الامير موسى ونحو عشرين قائدا من قواده  
الذين هم من اكبر قواد جيش المهدي واكثرهم تمسكا وتصديقا بدعوته  
وتمسك بقية الدراويش بأذيال الفرار وهم مذعورون لا يصدقون بالنجاة وقد  
رأيت رجلا منهم في أم درمان أصيب بجنون عقب هذه الواقعة فقال لي ان  
الانكليز شياطين وليسوا آدميين لانهم بعد ان هزمونا في (أبو طليح) دخلوا



اجسامنا واحتلوا رأسي وانا لا أدري كيف ادفعهم عن نفسي . ووصلت اخبار هذه الهزيمة الى المهدي فكان من أمره ما تقدم لنا إirاده حيث عول على إسقاط الخرطوم الذي جراه على الاقدام عليه عمر ابراهيم الصنجق الذي ذكرنا نبأ فراره وبعد انتصار الحملة أرسل القائد كتابا الى المتمة قال فيه ما يأتي

نحن أول فرقة من جيش جلالة الملكة جئنا لكبح جماح الاشقياء المتمردين وانقاذ مدينة الخرطوم فان أردتم الدخول تحت طاعتنا فعليكم امان الله وامان جلالة ملكتنا وعليكم ان تقابلونا جنوب البلدة ناشري رايات الخضوع والتسليم واعلموا أنكم ان لم تفعلوا ذلك يحل بكم ما حل بالذين حاربناهم في أبو طليح وحينئذ يتجنون ثمار ما غرسته أيديكم والسلام

ولما وصل هذا الكتاب الي أهالي المتمة أخذوا البلدة وعسكروا شمالها وفي اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني وصلت الحملة الانكليزية الى المتمة وتحصن الدراويش في البلد فهاجمهم الانكليز بثبات غريب والحقت قنابلهم ومقدوفاتهم اضرارا كثيرة بمواقع الدراويش ومتاريسهم

واجتمعت الحملة بالبواخر التي كانت مرسلة من غردون للاستكشاف تحت قيادة محمد نصحي باشا وعسكرت الحملة في قرية ( القبة ) جنوب المتمة وتحصنت فيها

وهنا نقول لو أبحرت الحملة منذ وصولها الى الخرطوم لما سقطت ولكنها بقيت في المتمة خمسة أيام

وفي يوم السبت سابع ربيع الثاني أبحر (السرشارلس ولسن) مدير مخبرات الحملة لانكليزية على الباخرة (بردين) و(تلاحوين) قاصدا الخرطوم وكان سفره قليل غروب الشمس وسير بواخره بطيئا جدا لانخفاض ماء النهر وامامه شلالات

وفي مساء يوم سقوط الخرطوم سمعوا الصياح على ضفتي النهر بسقوط  
المدينة وقتل الطيب الذكر غردون فلم يصدقوا ذلك حتى كان يوم الاربعاء ١١ ربيع  
الثاني ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥؛ وكنت اذ ذاك في سجن بيت المال فسمعت الحراس  
يقولون لبعضهم «شددوا الحفظ على الاسرى لان بواخر الانكليز ستصل الي  
الخرطوم اليوم» وركب المهدي وخلفاؤه ووقفوا في أم درمان والرصاص  
والمقذوفات تتساقط على الباخرتين قبل ان تبلغا أم درمان بنحو عشرين ميلاً  
والراية الانكليزية تحفق فوقهما حتى وصلتا الي ملتوي النهر وهما قاصدتان  
سراى غردون فاطلقت عليهم المدافع من طابية (المقرن) التي لا تبعد عن السراى  
بأكثر من ميل وعندئذ أيقن السرسال ولسن بسقوط الخرطوم وقتل  
غردون فارتد راجعاً من حيث جاء ولما أبصر المهدي الباخرتين عائدتين نزل  
عن دابته الي الارض وخر ساجداً شكر الله الذي أوقع الخرطوم في قبضته  
قبل ان يبلغها الانكليز

وفي اليوم التالي اصطدمت الباخرة تلحوين بحجر في (شلال رحام)  
ففرقت وانتقل السرسال وجنوده الي الباخرة الثانية التي غرقت أيضاً  
بعد يومين واضطروا لأن يتحصنوا في جزيرة (ولد الحبشى) حتى تدرهم  
النجدة من معسكر المنمة وبعد يومين ادركتهم باخرة انقذتهم بعد ان أحاط  
العدو بهم وهاجمهم عدة مرات

ذكر تعيين عبد الرحمن النجومي لقتال الانكليز في المنمة  
وفي يوم ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٢ شيع المهدي عبد الرحمن النجومي  
وأبا قرجة والجيش الذي كان معهم لقتال الانكليز في المنمة وكتب منشورا

الى ضباط وعساكر الحملة الانكليزية يدعوم فيه الى الاسلام وهامي صورة  
المنشور نقلا عن كتاب المنشورات :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعد  
فن العبد المفقير الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة ضباط وعساكر  
الانكليز خصوصا الاعيان والرؤس . أرشدكم الله الى اتباع سبيل النجاة قبل  
البوس . وجعلهم من الالاثين بجانبه العزيز آمين . انكم اذا تدبرتم بقولكم  
وتفرستم في قدرة خالقكم وعجزكم عن مقاومته علمتم ان مخالفته شنيعة ولا  
ينبغي لكم الا امتثال أمره واجتناب نهيه والهروب منه اليه وقد أظهرنا  
للدعاية الى حماء . والدخول في ساحة كرمه وعطاياه . فيها الى ذلك واغتنموا  
سعادتكم قبل المهالك وسلموا تسلموا وأسلموا يؤتكم الله أجرهم مرتين  
ولا تعرضوا فتكونوا من النادمين كراشد ويوسف حسن الشلالى وعلاء  
الدين وهكسى وغردون لانا أنذرناهم مراراً . ودعوناهم فما زادهم ذلك الا  
فراراً . فذاقوا عذاب الحزى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى والسعيد  
من اتعظ بغيره وهذا انذار لكم فاذا بلغكم وأردتم الفوز العظيم . والنعم  
الدائم المقيم . فلبوا اجابة دعوتنا الى الله وبادروا بالتوبة قبل تعذرها عليكم وقد  
توجهت اليكم جنود الله ولا طاقة لكم بمحاربتها ولكن من باب الشفقة  
عليكم أمرناهم ان لا يحاربوكم الا بعد وصول هذا السكم وتحقق الالباء منكم  
عن الاجابة وأن لا يؤذوكم ولا يتعرضوا لكم في شيء من حقوقكم الخاصة  
اذا سلمتم ماعدا حق الميرى والاسلحة والجاخين فان سلمتم فمليكم أمان الله  
ورسوله وأمان العبد لله وتكونوا من ضمن أنصارنا وليس قصصنا استعباد

أحد ولا ارادة جاء ولا ملك في الدنيا ولا رغبة لنا في حياتها ولا في لذاتها  
 الفانية بل انما قسمنا الدلالة الى الله كما أمرنا الله ورسوله بذلك والا اذا  
 خالفتم فلا تقبل منكم صرفا ولا عدلا وسترون ما يحل بكم واصفوا بأذانكم  
 الواعية لما أقول ان كان لكم عقول فان الله تعالى قد اظهرني رحمة لمن اطاعه باتباعي  
 ونقمة على من عصاه بمخالفتي وأيدني منه بالنصر والظفر وأمدني بهم رسله  
 وأنبيائه وملائكته وأوليائه فلا يقدر على محاربتي الثقلان ولو كان بعضهم لبعض  
 ظهيرا ولو شئت لقبض الله سلاحكم بحيث ان أصحابي يقتلونكم ولا يقتلون ولكني  
 اخترت بتوفيق الله تعالى الشهادة لهم في سبيل الله اقتداء برسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم فايكم والغرور فان جند الله غالب وفي  
 هذا كفاية لاهل العناية والسلام ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٠٢

### ذكر عود الحملة الانكليزية الى دنقلة

بعد انقاذ السر شارلس ولسن من ( ولد الحبشى ) علمت الحملة ان جيشا  
 كثيفا تحت قيادة عبد الرحمن النجومي قادم اليها كما انه يوجد جيش من  
 الجعليين معسكر شمال المتمة فنصبت أشباحا من الحشب يخالها الرائي  
 من البعد فرسانا وأوقدت مصابيح من البترول ثم ارتحلت الحملة أول الليل  
 في ظلام حالك وجدت السير حتى بلغت منهل ( أبو طليح ) ولم يعلم أحد من  
 الدراويش المعسكرين حولها بمغادرتها ( القبة ) حيث كانوا يرون التماثيل  
 فيظنونها الجنود واقفة في حصنها وفي الليل يبصرون المصابيح فوق الحصن  
 وهم لا يشكون في شيء من أمر بقاء الحملة وظلوا على هذا الحال ثلاث  
 ليال وهم يطلقون الرصاص على المعقل وفي صبيحة الليلة الثالثة انكروا

سكوت الحلة عن مجاوبتهم فتقدم أحد الدراويش حتي صار علي مقربة من الحصن فرآى التماثيل والمصابيح موقدة ليل نهار وعلم أن ضوء النهار هو الذي كان يحجب نورها فجمع وأعلم الباقيين وأسرع مع ثلاثة آلاف راكب ليحرقوا الحلة في أبو طليح وكانت غادرتها منذ ليلتين وصارت علي مقربة من (كورتى) التي بها اللورد ولسلى فلم يعد في الامكان اللحاق بها

ووصل عبد الرحمن النجوى المتمه بعد ان غادرتها الحملة ببضعة ايام . وفي آخر شهر جمادي الاولى سنة ١٣٠٢ وصلت الحملة الى (كورتى) وقدم السر شاراس ولسن تقريره عن سقوط الخرطوم ومقتل الجنرال غردون ولما وصلت أنباء مغادرة الانكيز للمتمه للمهدى سر بها وكتب الى محمد الخير أمير بربر يأمره بجمع الجيوش والتقدم الى حدود دنقلة وفي شهر شعبان سنة ١٣٠٢ أخلى الانكيز دنقلة وعقب ذلك دخلها محمد الخير واستولى على الاقليم كله وبلغت جيوشه جنوب حلفا ومن ثم صارت الاقاليم السودانية تحت سلطة المهدي وأخذ يخبر من حوله من الاتباع بانه سينحرف على دنقلة بعد بضعة شهور ومنها الى القاهرة وبعث رسولين يحملان كتابين أحدهما برسم المغفور له الخديو الاسبق والثاني برسم سكان مصر وهامى صورة الكتابين نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد الممتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى خديو مصر لا يخفى على من نور الله بصيرته وشرح صدره ان الدين الذي يكون المتمسك به ناجيا عند الله هو دين الاسلام الذي جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونزل به القرآن من

الملك العلام قال تعالى «ان الدين عند الله الاسلام» وقال تعالى «ومن يتبع غير  
 الاسلام ديناً فلن يقبل منه» وما سوي ذلك من الاديان فضلال يدعو الشيطان  
 اليه حربه ليكونوا من أصحاب السعير ومن منحه الله تعالى عقلاً يميز به بين  
 الخبيث والطيب لا ينبغي له ان يصبره الا فيما ينتج خلاصه عند الله يوم نزل  
 الاقدام. ويشيب الطفل ويشد الزحام. والا كان أسوأ من البهائم حيث أضاع  
 حكمة تركيب العقل فيه ولا سبيل الى السلامة عند الله الا اتباع دينه. واحياء  
 سنة نبيه وأمينه. وامانة ما حدث من البدع والضلال. والانابة اليه تعالى في  
 كل الاحوال. وقد تأكد ذلك في هذا الزمان. الذي عم الفساد فيه سائر البلدان  
 فان دسائس أهل الكفر التي ادخلوها على أهل الاسلام. وضلالاتهم التي  
 مكنوها من قلوب الانام. قد أفضت الى اندراس الدين وعطلت أحكام  
 الكتاب والسنة بيقين. فصارت شعائر الاسلام غريبة بين الانام. وتراكت  
 الظلمات وانتشرت البدع وأبيحت محارم الاسلام. واشتد الكرب على أهل  
 الايمان. فصار القابض على دينه كالقابض على الجمر لثراكم البني والعدوان. فعند  
 ذلك اظهرني الله طبق الوعد الصادق رحمة لعباده لا تقضم من ظلمة الكفر  
 الى نور الايمان. وأدلهم الى الله على هدي منه وتبيان. وطوقني بالخلافة الكبرى  
 المهدية. وخلق عليّ حللاًها الهيبة. وبشرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بالنصر  
 على كل من يما ديني ولو كان الثقلين وبأن من يقصدي بمداوة يخذله الله  
 في الدارين. وقلدني سيف النصر وأيدني بقذف الرعب في قلوب اعدائي  
 يسمى امامي أربعين ميلاً وأخبرني باني أملك جميع الارض وبيان من شك في  
 مهديتي فقد كفر بالله ورسوله ونفسه وماله غنيمة للمسلمين وبأن الله قد أيدني  
 بالملائكة الكرام وبالجن والاولياء احياء وأمواتا وهكذا من البشارات والمعجائب

التي يطول شرحها وكل ذلك بحضرة الملائكة المقربين والخلفاء الاربعة  
والخضر عليه السلام وما كنت أترقب هذا الامر لنفسى ولا سألت الله اياه  
بل كنت أسأله أن يجمعنى معينا لمن يقوم به فلما أراد الله ما كان. وحتم الامر  
عليّ من سيد الاكوان. تمت باعباء هذه الحالة واعتصمت بالله وتوكلت عليه  
وأخبرت الحكمدارية باني المهدي المنتظر وقد كان بها محمد رؤف وما تركت  
لاهلها في ايضاح هذا الامر شيئا وأنا في انتظار الاختبار. وتسليم الامر لله  
الواحد القهار. فما كان منهم الا أن ضربوا عما أخبرتهم به صفحا. وطووا عن  
قبوله كشحا. وبادروني بالمحاربة من غير روية ولا تثبت في هذا الامر الديني  
الذي جئتهم به من خير البرية فأيدنى الله عليهم كما وعدني وهكذا صارت  
جيوشك تأتيني ثلة بعد ثلة وأقدم لهم الانذارات ولم تنفعهم والله يؤيدني  
وينصرني عليهم كما وعدني ويقطع دابرهم الى أن قلت حيلتك وتلاشى أمرك  
فسلمت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم لاعداء الله الانكيز وأحلت لهم  
دماءهم وأموالهم وأعراضهم بقاء الانكيز بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم  
على غير الله فلما سؤل الشيطان لهم ادراك غردونهم بالخرطوم وأبست من  
هداية أهله وعلمت أن تكرر الانذارات لا ينفعهم وحقت عليهم كلمة العذاب  
وصاروا مثل من قال الله تعالى في شأنهم « سواة عليهم أنذرتهم أم لم  
تنذرهم » الآية عجل الله بفتحهم واهلاك من فيه وأحرقت النار أجسامهم عيانا  
كالذين من قبلهم اظهارة للحقيقة وتمجيلا للمعقوبة وصدق عليهم قوله تعالى  
« حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » الآية ثم أنذرت الانكيز فلووا  
رؤسهم فوجهت اليهم طائفة من الانصار فقذف الله في قلوبهم الرعب فولوا  
هاربين بعد ان أهلك منهم من أهلك وشتت شملهم وهذا كله ليس بخاف

عليك ولا زال حزب الله مقتنياً أثر باغيهم وعن قريب يحل به من الدمار ما يكون عبرة لمن اعتبر. هذا وإن المؤمن المصدق بوعد الله لا يرى لجميع ما في الحياة الدنيا من الفانيات قيمة ولا يأسف على ما فات من ملكها الذي ماله إلى الزوال وعظيم النكال. وإنما يكون مطمح نظره إلى ما عند الله من النوال في دار السكرامة والأفضال. فإن الدنيا لو بقيت للأول لم تنتقل للآخر. ومن هنا نعلم أن هذا الملك لم يصل اليك إلا بموت أو عزل من كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل ما صار إليك وحيث كان الأمر كذلك فلا ينبغي لك أن كنت ترجو من الله نعيم الأبد أن تأسف على ما فاتك من الدنيا ولو كان الدنيا بمخذا فيرها فسدق النظر واجمع عليك فكرك وتدارك نفسك واسمع فيما ينحيك عند ربك إذا تمثلت بين يديه وسألك عما جري منك وسلم الأمر إليه نسلم وما كان يحسن منك أن تتخذ الكافرين أولياء من دون الله وتستعين بهم على سفك دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألم تسمع قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم» الآية وقوله تعالى «لا تتجددوا بؤمون بالله واليوم الآخر وادعوا من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم» الآية وقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق» الآية وقوله تعالى «يا أيها الذين لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء» الآية وما هذه الطاعة لأعداء الله والله تعالى يقول «يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله» إلى أن قال «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا



تموتن الا وأنتم مسلمون » الآية فاذا كنت ممن ينظر بعين بصيرته ولا يؤثر  
متاع الدنيا الحسيس على نعيم آخرته فاعتبر بذلك وبادر الى النجاة والسلامة  
المعتبرة وهى سلامة الايمان ونزه نفسك عن ان تكون فى اسر أعداء الله  
دائماً ولا تهلك من كان معك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم واغسل  
ما جرى منك بدموع الندم ولا تسكرث بحاج الدنيا الفانى ولا بملكها الزائل  
فان لله دارا خيرا منها وقد أعدها لعباده المتواضعين بجلاله قال تعالى « تلك  
الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الارض ولا فساداً والعاقبة  
للمتقين » الآية واياك والركون الى أقوال علماء السوء الذين أسكرهم حب  
الجاه والمال حتى اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهلكوك كما أهلكوا من  
قبلك فى الحديث القدسي « لا تسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا فيصدك  
عن طريقي أولئك قطاع الطريق على عبادي » ولا تغتر بقوة حصن بك  
وكثرة أسلحتك وعدادك الظاهرية ومظاهرة أهل الكفر لك فانها لا تغنى  
عنك من الله شيئاً ولم أهلك قبلك من الملوك أهل الحصون المنيعة من هو  
أشد منك قوة وأكثر جما لما بنوا وعثوا فى الارض مفسدين وليكن  
فى علمك ان أمرنا هذا دينى مبني على هدى من الله ونور من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ومؤيد من عند الله بمجنود ظاهرية وباطنية وما قصدنا  
فيه الا احياء الدين واطهار آثار الانبياء والمرسلين ولا نريد مع ذلك ملكا  
ولا جاهاً ولا مالا فان نور الله بصيرتك وخالفت النفس الامارة بالسوء  
وقبلت هدينا وأثبت الى الله بنية خالصة فملك أمان الله ورسوله واماننا وما  
بيننا وبينك الا الحجة الخالصة لوجه الله تعالى ونكون نحن الجميع يداً واحدة على  
اقامة الدين وإخراج أعداء الله من بلاد المسلمين. وقطع دابرهم واستئصالهم

من عند آخرهم ان لم ينيبوا الى الله ريسلوا وقد حررت اليك هذا الكتاب  
وانا بالخرطوم شفقة عليك وحرصا علي هدايتك فارجو الله ان يشرح  
صدرك لقبوله ويدلك على صلاحك ورشادك في الدارين. وها انا قادم الى  
جهتك بجنود الله عن قريب ان شاء الله تعالى فان أمر السودان قد انتهى  
فان باردتني بالتسليم لامر المهدي. والابانة الى الله رب البرية. فقد حزت  
السعادة الابدية وأمنت علي نفسك ومالك وعرضك انت وكافة من يجيب  
دعوتنا معك وان أبيت بعد هذا الا الاعراض عن طريق الفلاح والرشاد  
فانما عليك اثمك وانتم من معك ولا بد من وقوعك في قبضتنا ولو كنت  
في بروج مشيدة وهذا انذار مني اليك وفيه الكفاية لمن أدركته العناية  
والسلام على من اتبع الهدى (الكتاب الثاني)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاه على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الي كاتبة سكان مصر حكاما  
وتجاراً وعمدا وغيرهم وفقهم الله وهداهم. ولرشادهم ولاهم. أمين. أهدي لكم  
السلام وأعرفكم ان النجاة من عذاب الله انما تكون للتمسك بدينه الذي جاءنا  
به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد رأيتم ما ناله من الانداس الذي لا يخفى  
ولما ان أراد الله إحياءه واطهار شعائره انجز موعده نبيه محمد صلى الله عليه  
وسلم فظهرني بالخلافة المهدي. وأمرني بدعاية الخلائق الى العمل بالسنة المرضية  
ومن عهد ظهوري بهذا المظهر الديني ما زالت دولة الترك ت جيش جيوشها  
وترسل رجالها لمحاربتني من غير استناد الي دليل شرعي. ولا حكم شرعي. بل رغبة  
في ملك الدنيا القاني الذي مآله الحسرة والندامة. وجلب عذاب الله يوم القيامة

وما زال الله يؤيدني وينصرني عليهم نصرا من عنده لا بحولي وقوتي وقد أهلك  
الله جميع عساكرهم الذين بالسودان علي يدي وأحرقهم بالنار عيانا شاهدتهم  
جميع من رأيهم حين قتلهم الله بسيفي وما ذلك الا اظهار لكفرهم وتعجيل  
لعقوبتهم ولا شك ان جميع ذلك قد بلغكم وتواتر اليكم من الواردين. وما  
زلت عن الحق معرضين. وعلى حب حطام الدنيا الحسيس عاكفين. مع علمكم  
بان الله قد ذم هذه الدنيا في جميع كتبه السماوية والاسما القرآنية فقد أكثر  
من ذمها فيه ويكفي من ذلك قوله تعالى «اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة  
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته  
ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة  
من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الفرور» وقوله تعالى «وما هذه الحياة  
الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة هي الحيوان» ولاظم شأن الآخرة عنده  
أعد لها لعباده المؤمنين وجعل لهم فيها من النعم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت  
ولا خطر على قلب بشر وأكرمهم فيها بالنظر الى وجهه الكريم ودعاهم اليها  
بقوله تعالى «وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض  
أعدت للمتقين» الآية وحيث فهمت خسة هذه الدار القانية وعظم تلك الدار  
الباقية فيلزمكم الاعراض عن هذا القاني الحسيس. والمسارة الى حوز نعيم الابد  
النفيس. ولا يخفى عليكم ما حصل منكم من التفريط في جنب الله وترك الدوائر  
بجذب الله بالركون الى محبة نصرة أعداء الله ومع ذلك فقد ساءمناكم في جميع  
ما جري منكم ان بادرتهم الى اجابة دعوتنا والانتظام في سلك اصحابنا أول وصول  
كتابنا هذا اليكم ولا نقول لكم الا كما قال يوسف عليه السلام لاختوته  
«لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين» وليكن في علمكم

ان أمر السودان قد انتهى ونحن قادمون على جهتكم بحزب الله قريبا ان  
 شاء الله وما كاتبكم بهذا الكتاب الا شفقة عليكم وخوفا من أن يحل بكم  
 من العذاب ما حل باخوانكم الذين خالفوا أمرنا وضررهم الاماني واعتمدوا  
 على قوتهم الظاهرية التي أنستهم قدرة الله على كل شيء فان شرح الله صدوركم  
 وتلقبتم أمرنا هذا بالقبول فأبشروا بخير الدارين وعليكم أمان الله ورسوله  
 وأماننا في أنفسكم وأموالكم وأعراضكم أنتم وجميع من يجيب دعوتنا معكم  
 وان ضربتم عن مقالنا هذا صفحا فاعلموا ان الله تعالى قادر قاهر لا يمجزه شيء  
 في الارض ولا في السماء وقد وعدني بالنصر وأيدني بثلاثته وجنده وأوليائه  
 واخبرني بملكى جميع الارض وبانه لا يثبت لقتالي انس ولا جن ولا بد باذن  
 الله من وقوعكم في قبضتنا ولو اتخذتم نفقا في الارض أو سلفا في السماء  
 وستعلمون غداً من الكذاب. فيا عباد الله ارفعوا بأنفسكم وأصلحوا عاقبة  
 أمركم ودعوا هذا الاعراض والتلاهي بشهوات الدنيا المنغصة بالعلل والامراض  
 وتشوقوا للقاء الله فان الدار آخرة والحياة آخرة وهذه الدار قد ولت مدبرة  
 فاتخذوها معبرة ويحكم ويحكم ان لم تداركوا نفوسكم وتنشلوها من هذا  
 الوحل المفضي بكم الى المظلمة وإياكم ان تغتروا بقوة حصن بلدكم فان الله  
 أقدر من كل قادر وكم أهلك قبلكم من أهل الحصون المنيعة من هو أشد  
 منكم قوة واكثر جمعا فاعتبروا بهم وبما فعله الله بهم لما بنوا وعثوا في  
 الارض مفسدين فالله الله عباد الله هلموا الى النجاح والفلاح. قبل قص  
 الجناح. وهذا ما حبرته اليكم وأنذرتكم به ولا داعي الى التلويل. فان الهداية  
 من الله الجليل. أسأل الله أن يهديكم رشادكم ويأخذ بنواصيكم الى طريق  
 سدادكم هذا والسلام

## ذكر فداء القسوس والمسيحيين

لما سقطت الخرطوم أمسك اللورد ولسلي محمد عبد القادر وحاج شرفي محمد نور وشريف ساتي علي وعبد القادر عبد الكريم ومحمد ابراهيم وأحمد النجيب وحاج شرفي بن القاضي محمود وكلهم من أقارب المهدي وأنسابه وزجهم في السجن وهددهم بالقتل ان لم يكتبوا الى قريبهم المهدي يسألونه فداءهم بما عنده من الاسرى المسيحيين صموما والقسوس خصوصاً فكتبوا كتاباً الى المهدي قالوا فيه انهم مهددون بالقتل لا ان يتداركهم بالفداء بما عنده من القسوس والمسيحيين مراعاة لحق القرابة فاجابهم بكتاب قال فيه ان المسيحيين الذين لديه قد اعتنقوا الاسلام ديناً وتشرفوا بصحبته والالتقاء اليه حتي انهم صاروا أقرب اليه منهم كما ان الذين أمسكهم اللورد ولسلي تجمعهم واياهم جامعة الكفر ثم ختم الكتاب بتوله لذوي قرابته لا بد من وقوعكم في قبضتنا اتم واللورد ولسلي وتذوقون سوء بما صددتم عن سبيل الله وفي الكتاب تعنيف شديد لهم على جرائمهم بمخاطبته بمثل هذا الطلب ولما وصل كتابه الى اللورد ولسلي أطلقهم من السجن واغدق لهم العطاء وأعادهم الى وطنهم

هذا ولما علمت وأنا بام درمان بامر هذا الفداء تذكرت ما قاله لي المأسوف عليه غردون باشا حيث قال لي انك لا تجد من يسعى في خلاصك من الاسر وقد ساء وقع هذه الحادثة في نفسي ونفوس سائر الاسرى المعبرين الذين علموا ان حكومتهم لا تسعى في خلاصهم من الاسر الا اذا كانوا مسيحيين ولكن خفف عني بعض ما أجده سعي السر غرافيل باشا

سردار الجيش المصري في فكاكي من الاسر . على انني شكرته وان لم يقرن  
سميه بالنجاح وبمد الله كل شيء

## ذكر توجيه الجيش لمحاربة سنار

ذكرنا ما كان من بداية الثورة المهدوية حوالي سنار وما كان من انقادها  
على يد عبد القادر حلمي باشا

ولما سقطت الخرطوم في قبضة المهدي وجه ابن عمه محمد عبد الكريم  
في نحو عشرين الف مقاتل لتضييق الحصار على سنار فوصل اليها في أواخر  
شهر رجب وأحاط بها احاطة السوار بالمعصم وسنعود الى ذكر تلك الحوادث  
حيث كان سقوط سنار بعد وفاة المهدي بثلاثة شهور

ولما ذهب المهدي لوداع الجيش خطب خطبة قال فيها ما يأتي  
يا أنصارى الصادقين سيروا على بركة الله لقتال كفار سنار واعلموا ان  
الله معكم عليهم وسينصركم نصراً عزيزاً لانكم حزب الله وأوليائه. وهم  
حزب الشيطان وحزب الله أقوى من حزب الشيطان وقد بشرني النبي  
صلي الله عليه وسلم بفتح سنار قريباً وانه بعد انقضاء شهر رمضان نتقدم  
الى دنقلة ومنها الى مصر وفي العام الآتي نكون قد تجاوزنا مصر حيث نكون  
على أبواب الحرمين الشريفين

## ذكر انتداب الشيخ الحسين زهراء الى كسلا

انتدب المهدي الشيخ الحسين زهراء ومعه ابراهيم عالم الخلاوي ومحمد  
حمزة البربري الى كسلا الاول والثاني بصفة نائبين عنه ليعقد مع مدير كسلا

شروط السراح والثاني بصفة أمين لبث المال

فداروا قاصدين كسلا وما كانوا يبلغونها حتى فاجأهم نبي المهدي الذي بث في الحياة روح الثبات وأخذت تماطل في وضع شروط التسليم ريثما يصلها الرأس ألولا الحبشي الذي عاهد الحكومة الحديوية على انقاذ حاميه كسلا وكان من أمره ما نأتي عليه ضمن حوادث تلك المدينة حتى سقوطها الذي حصل بعد وفاة المهدي



ذكر وفود عوض الكريم ابي سن زعيم الشكرية على المهدي ذكرنا ما كان من أمر عوض الكريم ابي سن زعيم قبيلة الشكرية وامتناعه من الدخول في دعوة المهدي واعتصامه بقبيلته في صحراء (ريره) بين النيل الازرق ونهر (اتبره)

ولما سقطت الخرطوم انفذ المهدي جيشا يبلغ ستة عشر الف مقاتل الى قرية (رغاعة) ليزحف منها الى صحراء (ريره) حيث يلتقي بعوض الكريم ابي سن الذي فر من وجه الجيش وغادر محلته قاصدا ام درمان ولدي وصوله اليها علم ان المهدي موجود بالخرطوم فاجتاز النهر واستجار بمحمد صالح ساتي على عم والد المهدي ووضع على رأسه ترابا في رقبته جنزيرا من الحديد علامة على انه نائب نادم على ما فرط منه وقدم نفسه للمهدي في سلام ملك الحكمدارية فذهب محمد صالح ساتي الى المهدي وقال له انني اجرت عوض الكريم والتمس منك ان تصفح عن زلته وتعدل عن عقابه وكان عبد الله التمايشي حاضرا فامتقع لونه وهم بالقيام من مجلس المهدي ليأمر بضرب عنق الرجل قبل ان يفوه المهدي بكلمة العفو عنه فامسك بملابسه محمد صالح ساتي على

وقال له كما أنني أطلب له العفو من المهدي فأنني أطلبه منك أيضاً لأنك خليفة  
الصدوق وأمير جيش المهدي المشار اليه في الحضرة النبوية فهمم التعايشي  
بسبب هذا المدح وقال له ان عفوي لا يكون الا تبعا لعفو المهدي فاجابه المهدي  
بأنني عفوت عنه وأمر بادخاله ونفض التراب عن رأسه وإطلاقه من الجوزير  
ثم بايه البيعة المعلومة والقي عليه التعايشي تنبيهات خوافها أن لا يفارق معسكر  
المهدي حتي المات وسنعود الى ذكر ما حاق به بعد موت المهدي حيث  
قتله التعايشي صبراً وأفنى قبيلته كلها وصادر جميع أموالها والدوام لله

### ذكر تعيين حسين باشا خليفة

داعية من قبل المهدي في قبيلة العباددة

تقدم لنا ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر وكيف كان سقوط المديرية  
على يده. ونقول الآن ان حسين باشا المذكور غادر بربر على اثر سقوطها ولحق  
بالمهدي في كردفان فلقاه بالاكراام وعامله معاملة صديق لاهعاملة أسير حتي  
سقطت الخرطوم . وكان من يومئذ يتودد لعبسدة الله التعايشي ويظهر له  
الاخلاص ويعرض عليه قدرته على القيام بدعوة المهدي بين قبيلة العباددة التي  
تسكن حوالى اسوان

وفي شعبان سنة ١٣٠٢ كتب له كتاباً بالامارة على قبيلة العباددة فسار  
من أم درمان في منتصف شعبان حتي اذا صار على مقربة من « ابو حمد »  
وصل اليه كتاب من عبسدة الله التعايشي يدعوه الي العودة الى ام درمان  
فعلم ان سبب ذلك وفاة المهدي فتابع سيره حيث لم يكن بينه وبين الخروج  
من منطقة نفوذ المهدي غير يوم وليلة حتي بلغ الحدود المصرية آمناً وسلم للحكومة



أو امر المهدي المتضمنة تعيينه أميراً على قبيلة العبادية  
ولما وصل حسين باشا خليفة إلى مصر صممت الوزارة على معاقبته فوجد  
بين أعضاء الوزارة من دافع عنه وأقنع زملاءه بوجود ترك معاقبته حيث  
أنه جاء طائعاً مختاراً ثم كان من أمره ما نحن في غنى عن إirاده

### ذكر ضرر بخانة نقود المهدي

ذكرنا المقادير العظيمة التي غنمها المهدي من الخراطوم من الذهب والفضة  
وفي أواخر شهر جمادى الأولى جمع أمين بيت المال الصياغ وأمرهم أن  
يضربوا نقوداً من الذهب على شكل الجنيه المصري مكتوباً على صفحة منها  
(ضرب في مصر) وعلى الصفحة الثانية الطغراء العثمانية كما هو شأن الجنيه  
المصري وزنة هذا الجنيه نحو ثلاثة دراهم من الذهب السناري الذي لا يشوبه  
أقل زغل وقيمه مثل قيمة الجنيه المصري أي مائة قرش وأن يضربوا رايالاً من  
الفضة زنته ثمانية دراهم منقوشاً على وجهه (ضرب في الهجرة) وعلى الوجه الثاني  
طغراء نقش فيها « بامر المهدي » وقيمة هذا الريال عشرون قرشاً مصرياً  
وبعد وفاة المهدي جمع التعاشي هذه المسكوكات وأبدلها بالريال الذي  
سماه « مقبول » وسيأتي ذكر ذلك في مكانه

### ذكر ختان أولاد المهدي

كثيراً ما كان يباغتونا ونحن محصورون في الخراطوم أن المهدي مصمم على ختان  
أولاده في جزيرة (آبا) التي جاءت مرتبة المهديّة فيها وكثيراً ما نقل لنا الجواسيس  
أنه كان يقول لا تباعه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بختان أولاده في

تلك الجزيرة وقد ردد غردون صدى تلك الاشاعات في جريدته التي كان  
تكتبها يومياً زمن الحصار

وفي ذات يوم قال لي مامعناه «اني أرجو ان تحقق هذه الاشاعة حيث  
يكون من وراء تحقيقها ما يخفف عنا ويلات شدة الحصار» ويظهر ان المهدي  
لفرط دهائه كان يمهّد لنفسه اعتذاراً للتقهقر الى الوراء اذا اضطر له يوماً ما فكان  
يذيع بين الناس انه مأمور بختان أولاده في جزيرة (آبا) لكي اذا اقتربت الحملة  
الانكليزية من الخرطوم دون ان يظفر بها تقهقر راجعاً وأظهر للملا ان هذا  
التقهقر لختان أولاده لالجبن أو عدم قدرة على الوقوف في وجه الحملة الانكليزية  
ولكن قدّر أنه ظفر بالخرطوم وأمن شر الحملة الانكليزية فاقام  
معالم الافراح لختان انجالة في أم درمان وذبحت نحو مائة بدنة من الابل  
ونحو مائتي رأس من البقر والغنم وذلك غير ما قدمه الامراء من الهدايا  
والمطاعم . وبالجملة انه اظهر في ذلك الاحتفال أبهة الملك والغني بالرغم  
تظاهره بالتباعد عن تلك الاحتفالات وكان يزعم ان أمين بيت المال هو الذي  
قام بها من عنده دون ان يكون المهدي عالماً بشيء منها

وكان أمين بيت المال يذيع ان المهدي كان لا يتناول شيئاً من خمس  
الغنائم الذي يخصه بل كان يفوض له انفاقه في سبل البر والاحسان وانه  
انفق منه نفقات الاحتفال بختان أولاد المهدي الذي تم في السابع والعشرين  
من شهر رجب سنة ١٣٠٢

ذكر تعيين حمدان ابي عنجة على جبال كردفان  
حمدان أبو عنجة قائد الجهادية وأصله مولى من موالى التمايشة وكان

منتظماً في سلك عساكر الباشبوزق في دارفور بوظيفة ( بولكباشي ) أي قائد خمسة وعشرين جندياً

ولما لحق المهدي بجبال ( قدير ) كان أبو عنجة جانياً للحكومة في إحدى جهات دارفور فاغتال مبلغا من الضريبة وفر بها إلى المهدي وهناك اجتمع مع عبد الله التعايشي وصار من حزبه فجعله قائداً على ( الجهادية ) وصار من أكبر انصار عبد الله التعايشي وسيأتي انه فتح ( قندر ) من مدائن الاحباش الشهيرة وعلى كل حال فإن أبا عنجة ذو طباع شريفة وخلال حميدة ميمون الطالع ذودهاء يعرف به كيف يتمكن من امتلاك قلوب الرجال بالاحسان واللين ومن أطف ما سمعته من ثقة ان المهدي أهدي أبا عنجة امرأة حسنة كان أبوها صنيحاً فاستاء أهلها وقالوا اذا وطئت بنتنا بملك اليمين أفلاتكون تحت حر بدل أبي عنجة العبد فنقل إليه الخبر ومع انه كان قادراً على التكيل بهم لم يفعله بل استدعى أم زوجته وأعطاه ألف ريال وجواري وملابس وهكذا فعل ببقية اصهاره ثم دس من ينقل أخبارهم له فقبل لام زوجته ان صهره عبد فقالت انه والله فوق الاحرار وقيل لصهره مثل ذلك فقال « انما أصل الفتى ما قد حصل » والخلاصة انه أرضاهم بالاحسان والحر كما لا يخفى اسير الاحسان

وقد أوردنا هذه العبارة للدلالة على دهاء أبي عنجة وان النجاح الذي صادفه في جميع أحواله لم يكن غير نتيجة أعماله من أمثال هاته النادرة وفي شعبان سنة ١٣٠٢ هـ أبدى التعايشي للمهدي رغبته في انفاذ حمدان أبي عنجة إلى جبال ( النوبة ) حوالي كردفان للغزو وجلب الارقاء والماشية فوافقه المهدي على رغبته وسافر حمدان أبو عنجة في خمسة عشر ألف مقاتل

جلهم مسلحون بالبنادق وأعطاه مدفعاً جبلياً وذخيرة  
وما كاد أبو عنجة يسير من أم درمان عشر مراحل حتي بلغه نعي المهدي  
فكتب يستشير التعايشي في متابعة السير أو الرجوع فأشار عليه بالمضي لوجهته  
فتابع سيره وغزا الجبال وغنم شيئاً كثيراً من الماشية والنفوس وكان يرسل  
للتعايشي خمسها ولاخيه يعقوب بعضاً منها حتى كان من أمره مع محمد خالد  
زقل ما سنعود الي ذكره فيما يأتي

### ذكر مرض المهدي ووفاته

في ليلة الاربعاء لاربع ليال خلون من شهر رمضان عام ١٣٠٢ هجرية  
أصيب المهدي باعراض حمية وفي مساء الغد ذاع خبر مرضه بين الناس فلم يكثر ثوا  
به لانهم واثقون بما كان يمدهم به من أن المنية لا تدركه قبل أن يفتح مصر  
والشام والكوفة والحجاز

وفي يوم الخميس الخامس من شهر رمضان اشتدت به أعراض الحمى  
فجئ اليه باطباء مصريين فقرروا ان الحمى من التيفوس وان حالته خطيرة  
ووصفوا له العلاج ولما خرجوا من بين يديه زاروني بمنزلي وأخبروني بأنه  
لا يرجي له شفاء

وفي صبيحة يوم الجمعة أمر الخليفة عبد الله التعايشي أن يخلفه في صلاة  
الجمعة خلافا لعادته فانه كان لا يستخلف في الصلاة غير الخليفة على حلو وكثيراً  
ما كان يستخلف رجلاً من أهالي بربر اسمه احمد الجملي فقييل له ان الخليفة  
عبد الله أمي لا يدرى الكتابة والقراءة فكيف يخطب بالناس فقال لهم ادفوا  
له ورقة الخطبة ومروه فليقرأ منها كلمتين أو كلمة فدعوا له الورقة وخطب

بالناس وصلى بهم وهم في غاية الاستغراب من جملة بالقراءة وتوحيده ألفاظ القرآن  
وفي يوم الاحد ثامن رمضان اشتدت وطأة المرض على المهدي فكان  
ينظر الى من حوله من النساء نظرا يدل على الحسرة على فراقهن وكأنه  
يخاطبهن بقوله « ما كنت أحسب ان هادم اللذات يزورني قبل ان اتمتع بثمار  
فتوحاتي واتلذذ بالامر والنهي في المملكة الواسعة التي شيدت بناءها  
بعد مساناة احوال تشيب الطفل الرضيع » وكان يرفع صوته مستغنيا قائلًا  
« لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين » وكان يتجرد من ملابسه  
ويامر بالماء البارد فيصب على بدنه وبات ليلة الاثنين وحالته تثقل من سبي  
الى أسوأ ولا علم لاحد من الناس باشتداد وطأة المرض عليه غير الخلفاء وأمين  
بيت المال وبعض ذوي قرابته

وفي يوم الاثنين تاسع رمضان سنة ١٣٠٢ عند أو اخر الساعة الرابعة  
على الحساب العربي فاضت روحه وهو ملق على الارض محاط بخلفائه  
ونسائه وبعض ذوي قرابته فصاحت بناته زينب امرأة الخليفة شريف وهي  
اكبر بناته فوثب عليها زوجها ولطمها فسكتت وصاح احمد سليمان امين بيت  
المال وخر مغشيا عليه حتي ظنوه قد فارق الحياة . أما الخلفاء فانهم اجتمعوا حوله  
وتشاروا فيما يكون من امرهم فظهر كل منهم تخوفه من اقتضاح امرهم وان  
موت المهدي لا بد ان يكون دامغة سيئة إذ به يظهر للملا كذبه فيما كان يمدح  
به من فتح البلاد واملاك الارض كلها مما هو واضح علي صفحات منشوراته  
التي تقدم لنا ايراد كثير منها

وكان عبد الله التمايشي مندهشاً بعامل الفرح من جهة لان المهدي  
أوصى له بالخلافة وهو في الرمق الاخير من حياته ومن جهة أخرى كان

لا يؤمل من الناس الاتقياد له لان موت صاحبه جاء مكذبا لكل الدعاوي التي كان ينتحلها لنفسه ويعد الناس بها ولذلك كان التعايشي مع الخلفاء في الشوري كمستطلع لأفكارهم ومراقب لما يبدو منهم من الملح وعدم الثبات فأشار واحد منهم بوجوب اخفاء موت صاحبهم واصدار منشور باسمه يقول فيه انه أمر من النبي صلى الله عليه وسلم بالازمة الاعتكاف على العبادة الى أجل غير معلوم وذلك اعتمادا على منشور صغير اصدره قبل مرضه بثلاثة أيام قال فيه « انني نصبت لكم الخلفاء ووليت عليكم النواب والامناء وجعلت الامراء تابعين للخلفاء فلا تقصدوني لقضاء شيء من مآرب الدنيا بل اتركوني للاشتغال بامور العبادة والانابة الى الله وكونوا على علم بان ماتمذر قضاؤه على الامراء والنواب والامناء والخلفاء فان قضاءه متعذر على ايضا »

هذه خلاصة ذلك المنشور وقد نقل اليّ ثقة ان عبد الله التعايشي بعد ان سسمع ما أشار به زملاؤه الخلفاء انصرف من مجلسهم وهو مضطرب كريشة في مهب ريح واجتمع بأناس من خواصه وقص عليهم أمر وفاة المهدي وما أشار به الخلفاء فآظفروا له سوء مغبة هذا الاخفاء بعد ان يقف الناس عليه لانه مامن خفي الأسيعلن وان الاقرب الى السلامة أن يعلم امام الناس وفاة المهدي والبيعة لنفسه فلقنه الشيخ المكي ابن اسماعيل الولي من مشايخ الابيض الجملة التي قالها أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي « من كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات » ولكنه أبدل محمداً بالمهدي في القائه فخرج على الناس بباب المهدي وقال لهم هذه العبارة فتقدم الشيخ المكي وبايعه وبايعه الحاضرون وهم يبلغون عشرة أشخاص ثم احتفروا قبراً في نفس الغرفة التي

مات فيها وقالوا انه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن حيث قبض كما  
دفن صلى الله عليه وسلم حيث قبض

ومن جهالتهم انهم لم ينزعوا مرقعته عنه بل غسلوه من فوقها بما غسل صلى  
الله عليه وسلم وكفن في ثوب واحد من خرقة (الدمور)

وفي منتصف الساعة العاشرة صلى التماشي بالناس صلاة الظهر ثم  
استدعى نحو عشرين رجلا من أقارب المهدي ودخل بهم الى الغرفة  
واصطف الناس خارج الغرفة وبينهم وبين المسجد جداران فكانوا يسمعون  
التكبير متقطعا من الغرفة فيكبرون وهكذا ظل الناس يكبرون على تكبير  
من في الغرفة من الساعة العاشرة الى منتصف الساعة الثانية عشرة حتى تجاوز  
عدد التكبيرات الثلاثمائة ثم انقطع التكبير حيث دفن الميت  
وبلغني ان الخليفة على حلق قال ان هذه التكبيرات قليلة بالنسبة لما هو  
واجب لمقام المهدي

وبعد ان ووري بالتراب خرج التماشي الى الناس ورقى المنبر وتلا  
الآية «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الخ» الآية ثم بايعه الناس وليس  
فيهم من يجسر على القول بان المهدي مات كأنهم يجلون عنه هذا الامر وكثير  
من الدراويش هموا بقتل من قام بهذا الخبر امامهم



هذا وقد ذكرت ان اطباء الذين باشروا علاجه اخبروني باستحالة شفائه  
وكنت اتوقع حصول فشل كبير وخلف عظيم بين اتباعه حتى انني لزممت  
كوخي في يوم وفاته وأنا مترقب من وقت الى آخر ان يبلغني شيء أسر به وكان  
لي خصي أخذ مني وصار من خصميان دار المهدي وكان بعد خروجه من يدي  
يحترقني ويهينني ولا يخاطبني بغير (يا ابراهيم فوزي) ولذلك كنت اكره لقاءه

فدخل على في وقت العصر وقال لي يا ابراهيم فرزى فقلت نعم فقال ان المهدي قد مات فكذبت أظير فرحا لكنني أخفيت ذلك وابتدر الى ذهني ان ذلك الخصى ربما كان مدسوساً على للوقوف على مبلغ شماتي بموت المهدي فأجبتته على الفور بأن قلت له كذبت أيها العبد لان المهدي لا يموت قبل ان يفتح الدنيا كلها ولا يموت في غير المدينة المنورة

وقد كتب التعايشي والخلفاء وأقارب المهدي منشوراً بنعيه الى جميع الجهات ملاًوه بخرافات يضيّق المقام عن سردها منها أنهم قالوا انه اختار الرفيق الاعلى ومنعوا من القول بانه مات انما يقال انتقل من دار الدنيا الى نعيم الآخرة وانه استخلف التعايشي وأوصي بطاعته وفي المنشور تفسير لما وعد به المهدي من ملك الدنيا كلها حيث قالوا ان ذلك سيتم لأصحابه وعللوا ذلك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد بصيرورة ملك كسرى وقيصر له ولم يحصل ذلك بالفعل الا في ايام خلفائه رضوان الله عليهم أجمعين

وقد اضطربت الروايات في مرض المهدي وموته فقال البعض انه مات مسموماً من احدى النساء اللواتي أخذهن سبياً من الخراطوم ولكن الحقيقة هي التي أوردناها اذ لم يتناول المهدي سماً ولا غيره بل مات بالحمي التيفوسية كما تقدم

### ذكر طرف من سيرة المهدي

كان المهدي صاحب دهاء وحيل ولكن التأمل اللبيب يجد في اخلاقه شيئاً من البله مع طموح للمعالي وقد أوردنا في ترجمته انه كان مردياً عند الاستاذ الشيخ محمد شريف بن الاستاذ الشيخ نور الدائم بن الاستاذ قطب



الطريقة السمانية في الاقطار السودانية الشيخ أحمد الطيب  
وصار من أمره مع استاذاه ما أوردنا طرفاً منه آنفاً وفي ابان دعوته  
سراً أبلغ الاستاذ الشيخ محمد شريف الحكمدارية كل ما دبره فلم يلتفت  
الحكمدار محمد رؤف باشا الى بلاغه مع انه أطلعه على كل غيباته وما عقده  
مع الرؤساء في جهات النيل الابيض وكردفان من اليهود وما أخذهم  
من الموائيق

ولما ظهر بدعوته في جزيرة (آبا) أرسل بلاغا الى الحكمدارية ثم تلتته  
واقعة (آبا) فأنبرى لتكذيبه عدد ليس بقليل من العلماء فالفوا الرسائل مشحونة  
بالادلة الشرعية على بطلان تلك الدعوى وكذب مدعيها

ولما كانت تلك الرسائل مما يمدد علينا إيراد بعضها هنا اكتفينا بالاشارة  
اليها فراراً من التطويل الذي يملأ القراء

ومن هاته النصائح قصيدة ألفها استاذاه الشيخ محمد شريف أبان فيها  
أحواله في بداية أمره حيث قال انه كان صواماً قواماً لا ينام الليل منذ  
دخل في سلك الطريقة . وكان نهما يأكل كثيراً ولكنه منذ بداية أمره كان  
يخفي شرهه ليظهر امام الناس بالقناعة والزهد

وكان يلبس الرقعة مثل سائر دراويشه . أما اوصافه فانه كان طويلاً القامة  
أسمر اللون بخضرة عريض المنكبين مفتول الساعدين ضخمة الجثة عظيم  
الهامية واسع الجبهة أقنى الانف واسع الفم واليمينين مستدير اللحية خفيف  
العارضين أسنانه كأنها زواو وفي الفك الاعلى فليجة بين الاسنان حتى كنى  
بأبي فليج

وبالجملة فانه كان ذا صورة جميلة جداً بين السود أمثاله وكان يتعمم على

فلنسوة من نوع مايتعم عليه أهل مكة وعمامته كبيرة منفرجة من الامام يرسل عذبة منها على منكبه الايسر حتى تجاوز سرته ويضع على منكبيه رداء من (الدمور) ويتمنطق بمنطقة من الخوص أو بخرقة من الدمور ويلبس نعالا تشبه نعال أهل مكة مصنوعة في السودان وكان لبسها مخصر صا بالاعراب والضعفاء ويطلق عليها اسم (الشقيانة) اي نعل الشقاء فأبدل هذا الاسم باسم (السعيدانة) اي نعل السعداء ويحمل على الدوام في يده اليسرى أو على منكبه الايسر سيفا زعم انه سيف النصر الذي أهده له النبي صلى الله عليه وسلم ويتوكأ على هراوة طويلة مصنوعة من النحاس مكسوة بجلد أو هراوة من النوع المعروف باسم (خيزران)

هذه أوصاف المهدي أوردناها هنا وقد رأينا صوراً كثيرة يقال انها صورته ولكنها كلها صور خيالية تبعد عن الحقيقة بعد السماء من الارض ولذلك لم نأت بصورة منها في هذا الكتاب لعلنا بعدم انطباق واحدة منها على شيء من صفات المهدي وكذلك كل صور التعايشي خيالية أيضا لا تقرب من الحقيقة مطلقا

وتوفي المهدي وعنده مائة امرأة وعشر منهن أربع أطلق عليهن اسم أمهات المؤمنين . احدها بنت ادريس وأصلها من بلاد دكرور في السودان الغربي تزوج بها في جبال (قدير) علي أثر موت زوجها فتيلاني واقعة يوسف باشا الشلالي واسمه آدم الاعيسر وكان متزوجا أيضا بزينب بنت المهدي وبعد قتله تزوج بها الخليفة شريف

وكان المهدي يقول ان عائشة بنت ادريس بمنزلة عائشة بنت أبي بكر رضي الله الله عنهما وولدت له أنثى اسمها زهراء تزوج بها يعقوب شقيب

التماشي بعد وفاة المهدي

والثانية فاطمة بنت أحمد شرفي الدنقلاري كانت زوجة أخيه محمد الذي قتل في واقعة الأبيض وكان المهدي متزوجا بأختها وله منها عدة أولاد فماتت أختها وقتل زوجها فتزوج بها المهدي وجعلها من أمهات المؤمنين ولم ترزق منه غير ولد اسمه الكامل مات رضيما ولها أم اسمها حليمة كانت تنزي بزي الرجال وتتخذ السلاح وتركب الخيل وكانت تصدر الوعظ في مجالس الرجال وتقول لهم تمسكوا بالله ورسوله ومهديه وابن مهديه الكامل وأم المؤمنين والدته وجدة الكامل فانه لانجاة الانسان في الآخرة الا بهؤلاء فأحضرها التماشي وزجرها ومنعها من مخالطة الرجال وتوعدها ان عادت الى مقاتلتها هذه فصعدت بالامر أمامه ولكنها لما خرجت الى الناس قالت لهم ان التماشي يحسدني كما حسدت قریش النبي صلى الله عليه وسلم

والثالثة فاطمة بنت حاج وهي بنت عمه التي تقدم لنا ذكر زواجه بها في الحارطوم وانه طلقها لما ألت عليه بوجوب السمي للارتزاق من صناعة المراكب ثم راجعها بعد خاقه بجزيرة (آبا) وبعد زواجه بنت أحمد شرفي. وله منها ثلاث بنات تزوج عبد الله التماشي باحداهن بعد وفاة أبيها وتزوج الثانية الخليفة على حلو

والرابعة فاطمة بنت حسين الحجازي وهي مصرية من أهالي مديرية الحدود استوطن أبوها في جهة تقرب من جزيرة (آبا) وكانت متزوجة بابن عمها صالح الحجازي وكان المهدي قبل دعواه يختاف الى بيت زوجها الذي كان سریدا له وكان لا يحجبها عنه لقرط اعتقاده في صلاحه فأظهرت

لزوجها رغبتها في أخذ أوراد الطريقة عن المهدي فأذن لها ولقها المهدي أوراد الطريقة فظهرت بمظهر الزهد والمبادة وفرت من بيت زوجها ولحقت بالمهدي في جزيرة (آبا) فادر كها زوجها وسألها عن سبب خروجها من بيتها فقالت اني لا أقوى على التقيد بقود الزواج لاني أصبحت لا أميل لغير العبادة والانقطاع للصوم وقيام الليل فلم يشك زوجها في أنها كذلك فسألها بقاءها على ذمته بغير أن يطلقها على شرط أن تذهب الى حيث شاءت فبكت وقالت انني أخشى أن يعاقبني الله على عدم رعايتي حقوق الزواج ولذلك أتوسل اليك بحرمة شيخي وشيخك هذا وأشارت الي المهدي أن تطلقني فطلقها ورجع الى منزله وكان هذا كله مدبراً بينها وبين المهدي وقبل أن تنتهي العدة الشرعية سمع صالح الحجازي ان معالقة تزوجت بشيخه وشيخها فاحتدم غيظاً وحمل السلاح وهجم على المهدي وأطلق عليه الرصاص فأخطأه وكانت فاطمة بنت حسين هذه في منتهى الجمال بيضاء اللون

وكان صالح الحجازي المذكور قد حضر معنا حصار الخرطوم وقص علينا هذه القصة بغير زيادة ولا نقصان

ورزقت فاطمة المذكورة من المهدي بنتا اسمها مريم وهي التي تزوجها التمايشي بعد فراق اختها كلثوم

ولما سقطت الخرطوم اكرم المهدي صالحا الحجازي ولم يعاقبه بشيء وأصدر أمراً بعدم مصادرة شيء من أسلحته وبعدم نهب أمواله وكذلك بنت عمه اكرمته وأهدت اليه هدايا كثيرة من الاموال والجواري والخيول وسوى هاته الاربع نسوة نحو ثلاثين من بنات اعيان السودان اهداهن له آباؤهن مثل بنت محمد احمد ام برير التي تقدم لنا ذكرها ونحو ثلاثين امرأة

من بنات اعيان المصريين في الخرجوم والبقية من الجوارى اللواتى كن مومسات  
فانه كان ذالوع شديد بهن حتى انه كان كلما فتح بلدا ضم الي محظياته المشهورات  
من مومساتها . وكان كثير الشبق شديد الالع بالنساء وطريقة اجتماعه بهن  
انه يسكن غرفة منفردا فيها ونساؤه الاربع يتولين نظيب بقية النساء وتقديمهن  
له في غرفته فيختار منهن من يشاء

وعلى ذكر نساء المهدي وما استرسل فيه من قضاء الشهوات البهيمية  
وكيف انتهك الحرمات في سبيل قضاء الاوطار نذكر هنا انه كان لا يضع يده  
في يد امرأة ليست من نساؤه ولا من محارمه وكتب منشورا قال فيه . من  
صافح امرأة ليست من محارمه فانه يجلد ثمانين جلدة بالسوط ويؤمر بصيام  
شهرين متتابعين . فليتأمل القارئ كيف ساغ له التمتع بالمرائر كموطوات  
بملك اليمين وكيف تغالي في عقوبة من صافح امرأة ليست من محارمه وقد زاد في  
منشوره (ولو كانت المرأة طاعنة في السن أو صغيرة غير مشتهة) أفلا يصح  
بعد هذا انطباق المثل المشهور عليه (يستقى في الابرة ويبلغ المدرة)

وأما أولاده الذكور فيبلغون العشرة وكان صغرا كبرهم لما توفي هو حوالي  
المشر سنوات والبقية اطفال ليس لهم أهمية تستدعي ذكرهم ولكننا نذكر ثلاثة  
منهم وهم الفاضل ومحمد والبشري وأمههم فاطمة بنت أحمد شرفي التي توفيت  
في جبال (قدير) ويكنى المهدي بأولاده الثلاثة المذكورين وتكنيته باسم الثالث  
أكثر شيوعا مع انه أصغر الثلاثة وذلك لانه ولد في جزيرة (آب) في مبدأ  
دعوى المهدي ووزعم المهدي انه بشر بالمهدوية ليلة ولادته ولذلك سمي البشري  
وأما أطمعة المهدي فان الكلام عليها غريب في بابها فقد كان يظهر  
الزهد وعدم الميل الى الاطمعة وبكثر التنديد بالدين يأكلون غير ما خشن من

الطعام وكثيرا ما كان يربط على بطنه حجرا حتي ذاع بين الناس ان الذين يأكلون الاطعمة الفاخرة كفار لا نصيب لهم من الاسلام ولذلك صار كل أحد يجتهد في اخفاء ما عنده من الاطعمة الدسمة ولا يخرج امام الناس الا خبز الذرة بادام الماء والملح أو (البابلية) وهي من حبوب الذرة تصلق بالماء وكان المهدي لا يخرج أمام الناس من طعامه غير هذين الطعامين

وقد تعالي المهدي في إظهار الزهد في الاطعمة حتي انه منع إيقاد نار في بيته لطبخ أو خبز مدعيا ان ذلك يناقض التوكل على الله وكان الناس يقدمون له الاطعمة هدية فكنت ترى القصع محمولة الى منزله كل يوم تعد بالمشات فيتناول النساء منها حاجتهن بغير ان يشتغلن بطبخ أو خبز

وأما الطعام الذي يتغذى به المهدي فانه يصنع كل يوم في منزل أمين بيت المال فكان يذبح الخرفان الحولية ويصنع ما يتبها من الحلوي والفطائر وسائر الاطعمة الفاخرة وهرسها الى منزل عائشة بنت ادريس وهي تقدمها الى المهدي وقت انفراده في غرفته فكان لا يترك من الحروف الحولى غير عظامه عدا ما يتناوله من الاطعمة اللذيذة وقتي الغداء والعشاء أما الفطور فانه كان يتناول فيه ألوانا كثيرة كلها من الحلوي فمنها انهم يمزجون رطلا من السمن بمشله من العسل ويضعونه على اللبن ويطبخونه مع دقيق الحلبة وتارة مع دقيق الدخن وأخرى مع دقيق البر ولا يكاد يشرب ماء الامزوجا بحامض لبن الابل مع السكر ومع هذا الانغماس في الملاذ كان يظهر أمام الناس بمظهر القناعة والزهد والتشفي كأنه لا يملك من نعيم الدنيا غير مرقعة التي هي واحدة وكان يكثر من التطيب بالروائح الحارة مثل عطر الصندل والمحب فكانت رائحته تشم من البعد والبسطاء يمتدحون انها رائحة الجنة تتضوع من عرقه

وقد خرج من الدنيا ولم يدخر لاولاده شيئاً من المال كما انه لم يترك  
عنده ائنه حلياً ولا شيئاً من ضروريات الحياة لانه قد كان حرم على النساء التحلي  
بالحلي الذهب والفضة وغاية ما يتحلى به خرز من الزجاج والمرجان  
هذا وقد ذكرنا انه ابطال تقليد المذاهب الاربعة وأصدر للناس  
منشورات ضمنها كثيراً من العبادات والمعاملات

ومن غرائب مذهبه انه تعمد الاجحاف بحقوق النساء في كل ما لهن  
وما عليهن فقال لا يلزم الرجل بنفقة امرأته مادام من المجاهدين في سبيل  
الله وقال ان مهر العذراء لا يزيد على عشرة ريالات ومهر الثيب خمسة ريالات  
ومن زاد على ذلك صير ذلك أمواله. وكان يجبر أولياء المرأة على تزويجها بأى شخص  
كان من غير نظر الى كفاءة أو تعادل بين الزوجين مادام الزوج من المجاهدين  
في سبيل الله. وبالجملة فان النساء في مذهبه كمخلوق ليس من نوع الانسان  
وقد سار اتباعه على سيره فكنت ترى عشرات النساء اللواتي أخذهن الامراء  
سبياً من الحارطوم وغيره من المدن يتضورن جوعاً داخل البيوت ولا يقدم  
لهن أولئك الامراء غير قليل من طعام الذرة فاذا ضعفت احداهن وشوه  
الجوع محاسنها أعطاهم مولاها اذناً بالذهاب الى منزل أهلها ان كان لها أهل  
فيقطعونها حتى تستعيد نضارتها فتعود الى منزلها

ولقب المهدي عبداً من عبيده بلقب ( خليفة زيد بن حارثة ) رضي الله  
عنه ولقب آخر كان يؤذن له ( بخليفة بلال المؤذن ) ولقب كثيراً من أصحابه  
بألقاب خلفاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وكتب منشوراً في كردفان  
أمر فيه الناس أن لا يذكروا اسمه الا مقروناً بالسلام كالانبياء عليهم السلام  
وكانوا قبل ذلك يذكرونه مقروناً بالرضوان ثم كتب منشوراً آخر قال فيه

ان النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع به وقال له عليك السلام يامهدي الانام  
انك لجدير بهذا المقام واذك افضل من بعض الانبياء صلوات الله وسلامه  
عليهم اجمعين وكان كثير من الجهلاء ينادونه بالنبوة والرسالة فلا ينهائم وربما  
تبسم علامة على الاستحسان

ولكن وجلة القول ان المهدي على ما كان فيه من الزيف والاحاد والزندقة  
وفقدان الذمة فانه كان احسن سلوكا من عبد الله التعايشي وقد احسن الاستاذ  
الشيخ محمد شريف حيث قال مهما يكن المهدي ضالاً مضلاً فانه خير من  
عبد الله التعايشي وان قال غيره ( ان عبد الله التعايشي سيئة من سيئات المهدي )

### ترجمة عبد الله التعايشي

نورد هنا ترجمة عبد الله التعايشي الذي أفضت اليه خلافة المهديوة  
وبعوثه انقرضت دولتها وركدت ريمها

ولد عبد الله التعايشي بجمعة ( الكلاكة ) جنوب دارفور وبالقرب من  
(شكا) من قبيلة بدوية اسمها (التعايشة) تسكن هذه الجهة وتعيش بألبان ماشيتها  
التي جلبها من البقر ولذا يطلق عليها اسم ( بقارة ) كما تعيش من لحوم صيد  
ضواري الحيوان كالغليل وغيره

على أنه لم تكن قرابته لهذه القبيلة الا من جهة الارحام فقط  
لان جده المدعو بعلّي كان دكروياً استوطن بلاد التعايشة وتزوج  
امراًة منهم فولدت له محمداً المشهور بلقب ( ثور شين ) والد عبد الله  
التعايشي واخوة اُحدم احمد المشهور بلقب (دي) وهو والد الامير محمود اسير  
واقعة ( اتبره )



وكان جده يحفظ القرآن وكذلك والده ولددة من يحفظ القرآن في  
 قبيلة التعايشة حاز أبوه شهرة كبيرة لكنه كان فقيراً لا يملك شيئاً من المال  
 بل كان قوام معيشته من صدقات أولى البر والاحسان

وأما لقب (تورشين) فمعناه الثور القبيح الحلاقة وهذا اللقب من ألقاب  
 الفروسية بينهم وكلمة الثور منتهى المدح على الشجاعة عندهم أيضاً  
 ومن عوائد التعايشة في صيد الأفيال أن من اصطاد منهم فيلاً تقوم  
 امرأته وسط الحي وتصرخ بسكانه وتقول أن زوجي الثور ابن النور اصطاد  
 فيلاً فهلموا إلى أخذ نصيبكم من لحمه فينسلون إلى الفلاة وهم يترنمون بالاناشيد  
 في مدح ذلك الثور الذي قتل لهم الفيل ومن مزروعتهم الدخن والفاصولية  
 وعندهم نبات يشبه الارز ينبت في الفلاة دون أن يزرعه أحد

وبجوار قبيلة التعايشة قبيلة من العبيد يطلق عليها اسم (بنضله) بينهم  
 وبين التعايشة صلة المصاهرة والقراية وبجوار (الساكة) بحيرة يصطادون  
 منها السمك فيتركونه حتى يتمغن وتكثر ديدانه ثم يدقونه في الأهوان  
 ويصنعونه أقماصاً كأمقاع السكر الأحمر ثم يطبخونه مع البامية الناشفة (الويكة)  
 وهذا النوع يسمى (مندجي) وكان التعايشي يحب هذا الطعام كسائر  
 قومه وقد سمعته مرة يعطى أقاربه التعايشة قائلاً لهم « إن القصعة في الجنة  
 يبلغ عرضها مابين أم درمان وجبال قديروهي مملوءة بطيخ المندجي أو العصيدة »  
 وأم التعايشي اسمها أم نعيم وكانت ذات شهرة بين التعايشة لأنهم  
 يعتقدون فيها اتقان الشعوذة فكان الناس يتعبدونها للرقية وأخذ العروق التي  
 يعتقد أهل السودان أن لها خواص للمحبة وقضاء الحوائج وإجاء أفواه  
 الحيات والهوام السامة

وقد تزوجته بنحو عشرين رجلا والد عبد الله التمايشي أحد  
وفي سنة ١٢٩٤ غادر التمايشي بلاده مع والده ممتطين عجلا من البقر  
تد ذللاه بخطام على مألوف عادة البقارة الذين يذلون النيران والبقر ويحملون  
عليها أثقالهم من بلد إلى أخرى وكانا يقصدان الحج

ولما وصلا إلى بلاد الجمع في الجنوب الشرقي من كردفان توفي والده  
بالجسدري ثم مات العجل وبقي التمايشي بلا دابة فاعطاه أحد المشايخ حمارا  
سار عليه حتى لحق بالاستاذ الشيخ محمد شريف ومكث عنده حتى كان  
من أمره معه ما ذكرناه عند الكلام على اجتماعه بالمهدي

وكان التمايشي ذا دهاء وحيل فكان لا يجاس امام المهدي الا جاسيا  
ركبته منكساراه إلى الارض حتى انه كان يزعم انه لم يقع بصره أبدا على  
وجه المهدي وكثير من البسطاء يعتقدون صدقه

وكان يشجع المهدي على دعواه ويصف له قبائل دارفور وما عندهم من  
العدد والعدد وما هم عليه من الجمالة وما يمكن ان يصادفه من نجاح  
دعوته بين ظهرائهم فسر به المهدي وأمره بالعودة إلى بلاده كي يحضر  
امراته التي كان تركها في بلاده فذهب وعاد بها ومكث عند المهدي حتى صارت  
واقعة (آبا) ويقول البعض ان المهدي أصيب برصاصة في ذراعه فاشار عليه  
التمايشي باخفاء جراحه لئلا يعتقد فيه من حوله انه ليس ذا خاصية تميزه عنهم  
فصدع بمشورته

وعندي ان هذا القول عار عن الصحة لانه لو أصيب المهدي في تلك  
الواقعة لما اطلع عليه التمايشي وحده حتى يلقنه هذه الشعوذة والحقيقة التي سمعها  
ان المهدي اراد ان يركب فرسا في تلك الواقعة فقل له التمايشي

إذا لا يكون في مقاتلتك فارس غيرك ولا يشك العدو في أنك المهدي  
فيصوب مقدوفاته عليك فترك ركوبها وركبها أحد اتباعه فانهال عليه رصاص  
الجنود كالطر نحر صريحا يتخبط في دمه

ولما سار المهدي الى جبال (قدير) وكان التعاشي بقاريا مثل الاعراب الذين  
التفوا حول المهدي في هاتيك الجبال صار يستعين به على تهذيب اخلاقهم  
وطباعهم واستمالهم بالطرق التي تجذبهم اليه ومن ثم صار مشيرا للمهدي  
ووزيرا مفوضا اليه كثير من الامور وكان أقارب المهدي يبغضونه ويحتقرونه  
حتى أصدر المهدي المنشور الذي تقدم لنا إرادته بالثناء عليه فكفوا عن أذيته  
وأسروا عداوته

وكان التعاشي يمالئ المهدي ويرضي بالقليل من العيش فكان لا يتطلب  
من بيت المال الا ما يسمح له به أمينه (أحمد سليمان) الذي كان يبغضه ولا يعطيه في  
الشهر اكثر من مائة ريال ويخص الخليفة شريفًا وأقارب المهدي بالنصيب الاوفر  
من بيت المال وقد رأيت أحمد (دي) عم التعاشي ووالد الامير محمود يتسول على  
منازل الناس وكذلك بقية أقاربه التعاشية الذين كانوا وقتئذ زهاء ثلاثين رجلا ولكن  
ذلك كان قبل ان تفضى خلافة المهديوية الى قريبهم

### خلافة التعاشي

لما توفي المهدي وبويع عبد الله التعاشي ظهرت على الناس الكتابة سيما  
أقارب المهدي وأحمد سليمان بيت المال فانهم كانوا في وجل شديد من مغبة  
انتقامه منهم أما هو فكما قدمنا كان اكثر منهم دهشة وأشد هم خوفا من موت  
المهدي وما ينجم عنه من سوء المعاقبة وقد أسر الى ذوى قرابته أنه يخشى تقدم

جنود الحكومة الى أم درمان لاعادة سلطتها على تلك الانحاء ولذلك عول على الاتفاق مع الخليفين على بن حلو ومحمد شريف على ان يقتسموا البلاد فيما بينهم فيكون قسم التعايشي إقليمي كردفان ودارفور ويكون للخليفة على بن حلو البلاد التي على ضفة النيل الابيض وسائر ما يتبعها ويتبدى ذلك من أم درمان الى الجنوب ويكون للخليفة محمد شريف شمال أم درمان والبلاد التي على النيل الازرق حتى دنقلا والسودان الشرقي برمته

وقد فاض التعايشي ذينك الخليفين في أمر هذه القسمة فأظهر الخليفة على بن حلو استياءه منها وقال ان بلاد النيل الابيض لا تكفيه ولا بد من اضافة بلاد النيل الازرق عليها فأبى الخليفة شريف وقال ان الاراضي التي في قسمه هي الحد الفاصل بين مصر والسودان ولا ريب انه سيقوم بالدفاع عنها ولذلك يجب ان تضاف كردفان الى نصيبه فلم يرض التعايشي بهذه القسمة فاندفعوا وفي نفس كل واحد من الحقتة على الآخر ما لا يوصف

أما التعايشي فكان يعرض ما يدور بينه وبين الخلفاء على الحاج الزبير رئيس حراسه وقتئذ وكان من أهالي مديرية بربر فاخذ يثبط عنزمته من اتمام هذه القسمة ويعده بان البلاد كلها ستخضع له وانه يقدر على جعل الملك وراثيا في آل بيته وان الخليفين على حلو ومحمد شريف لا تخشي مغبتهما اذ هما غران يخذعان بمثل اكاذيب المهدي وما ينتحله من الحرافات ويقول له ليس عليك من حرج ان اتيتهما من هذا السبيل فانهما ان ادعنا لك حفظا كرامة المهدي الذي فتح هذا السبيل وان كذباك فان العامة تصدقك كما كانت تصدق المهدي ويمكنك ان تذرعه بهذا التكذيب الى اسقاط منزلتيهما والايقاع بهما

وعلى اثر ذلك اذن عبد الله التماشي لشهرة الحاج لزبير وعمل عن  
 طلب الهجرة الى كردفان للاعتلال بالاسلاكها بما انه من ذلك الحين طرح  
 مرقمة الرثة البالية التي كان يلبسها قبل وفاة المهدي إظهاراً لازهد وابس  
 مرقمة من نوع ما كان يلبسه المهدي وتسم على قلنسوة مكية كالتي كان يسم  
 المهدي عليها وصنع له كوخا من البوص في المدية على هيئة مقصورة وأمر  
 الناس ان يخذوا حذوه فصنع كل واحد منهم كوخا في مسجد حتى اتت الكواخ  
 بعضها وأمر الناس بترك صلاة الجماعة في أي مكان كان وان لا يصلي أحد في  
 أم درمان بجماعة غيره وشدد عليهم في ملازمة قراءة (راتب المهدي) في  
 الصباح والمساء

وراتب المهدي هو أوارد وأدعية بعضها من المسبغات التي تنسب  
 لمولانا الامام الدريد ومنها ما هو من الادعية والتوسلات التي تنسب الى  
 حجة الاسلام الغزالي ومع شهرة مصدر هذا الورد التي لا تخفي على غير  
 الاغبياء ادعى المهدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لقنه هذا الورد كلمة بكلمة  
 وحكى من فضائله وثواب من واظب على قراءته خرافات واكاذيب يقصر  
 القلم عن التعبير عن بعضها منها ان من قرأ هذا الورد نزل خمسمائة الف  
 من الملائكة كالذين نزلوا يوم بدر ليحفظوه وينصروه وان تلاوته مرة واحدة  
 تعادل تلاوة القرآن الف مرة ومثل ذلك حتى قال المهدي ان المواظبين  
 على قراءته ينالون مقامات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم

وكان المهدي شدد في النهي عن قراءة الصلوات النبوية المعروفة باسم  
 دلائل الخيرات مدعيا ان ثوابها نسخ براتبه وسيأتي في غير هذا المكان  
 مصادرة أموال من يتهم بقراءتها والحكم بكفره وأظهر التماشي للناس تواضعا

ولينا وخفض كثيراً من حدته التي كانت معلومة عند العموم حتي ذاع بين  
الملا أن السكينة نزلت عليه وقال هو ان روح المهدي حلت فيه وان اخلاقه  
لا بد ان تتبع الروح انما حلت

هذا ولم يكن القول بالتناسخ مذهب عبد الله التعايشي فقط بل هو  
مذهب سلفه المهدي الذي كان يزعم ان روح النبي صلى الله عليه وسلم  
حلت فيه

وجملة القول ان عبد الله التعايشي قبض على زمام البيعة وهو مضطرب  
وكان لا يدري كيف يدير دفتها كما كان شديد الحشية من انتقاض الخليفة شريف  
وأقارب المهدي عليه اذ هم أشد قوة منه وأكثر عدداً من رجاله ولذا لبث  
كأنه واحد من الخلفاء لا يقطع أسراً بغير مشورتهم ولا يعمل بغير ارادتهم  
منتظراً ما يكون من أمر مدينتي سنار وكسلا اللتين كانتا على وشك السقوط

### اول اكاذيب التعايشي

ذكرنا ان الحاج الزبير أشار على عبد الله التعايشي بولوج باب اكاذيب  
المهدي فكان أول اكدوبة وضعها بعد مهلك المهدي بشهرين أن أصدر  
منشوراً قال فيه ما يأتي

بعد ان أدت صلاة العشاء بالمسجد دخلت الى منزلي وبينما أنا جالس  
في مصلاي اذ دخل علي شخص طارقاي من رؤيته لانه لم يكن من نوع  
الانسان لان رأسه كانت تناطح السحاب وخصيتهاه كجبالين عظيمين فلم أتمالك  
نفسى من الخوف فصحت مستغيثاً بالمهدي فأخذ ذلك الشيخ يتقاصر ثم

جلس امامي وقال لي السلام عليك يا خليفة المهدي بل أنت المهدي نفسه فقلت  
وعليك السلام من أنت فقال أنا ملك من ملوك الجن كنت ساكنا وراء  
جبل (قاف) لذي يبعد عن هذا المكان مسيرة خمسمائة عام وقد مضى على  
خمس سنوات وأنا ساثر بقومي من ذلك المكان لادرك المهدي فكان من  
أمرنا ان الحضر عليه السلام قابلنا وهو يبكي ويصرخ قبل أن نبلغ العمران  
البشري وأخبرنا بموت المهدي وخلافكم عنه فلما وصلنا العمران البشري وجدنا  
جماهير الاولياء ومجامع الملائكة في المساجد الكبرى يقيمون مأتم المهدي فاشتغلنا  
معهم في اقامة شعائر المأتم ثم غادرنا المسجد الحرام بعد عصر اليوم وعسكرنا  
في البقعة التي تلى محل (الرضة) استعراض الجنود ومضى ستون ألف فارس  
من الجن غير النساء قال التعاشي فقلت ومن أهلك بظهور المهدي  
قال أعلمنا الحضر عليه السلام منذ ظهوره في جزيرة (آبا) فغادرنا جبل (قاف)  
منذ ذلك وكنا نسير في السنة مسيرة مائة سنة فقلت ما تقصدون قال تقصد بيعة  
المهدي وادراك فضل صحبته والجهاد معه فقلت وفي أي المساجد أقيم مأتم  
المهدي فقال في المسجد الأقصى وفي المسجد الحرام وفي المسجد النبوي ثم  
دنا مني وطلب مني أن أبايه فبايعته بيعة المهدي وأمرته بالبقاء في المكان الذي  
يلي محل الاستعراض

ثم سأله التعاشي عن عمره فقال انه ولد في زمن ابراهيم الخليل صلى  
الله عليه وسلم وانه صار ملصكا على قومه في زمن موسى الكليم صلوات  
الله وسلامه عليه

ولما نشر التعاشي المنشور المتضمن هذه الاكذوبة سر الناس  
باصر الجن الذين جاؤا لمساعدتهم وفي انفسهم ركب التعاشي بخيله ورجله

وتوجه للمحل الذي نزل فيه أولئك الشياطين ولما دنا منه أوقف الناس ثم تقدم هو بفرسه واطال الوقوف والناس ينظرون اليه والي ما يأتيه من الحركات، كأنه واقف يعظ أو يبايع وبعد بضع ساعات عاد فأخبر الناس بأنهم بايعوه وأنه كان مشغولاً بترتيب فرقهم وتولية القواد عليهم مثل ترتيب جيش المهدي ثم قال أنهم رغبوا إلى أن أشيد داراً لي بجوارهم كي أتردد عليها وتكون موعداً بيني وبينهم كلما دعت الحال للمقابلة

ومن المضحكات أن رجلاً ذكرورياً كان له كوخ بالقرب من ذلك المكان فاحتمل متاعه في ذات يوم ومعه امرأته وبنته وجازاً إلى التمايشي في المسجد فسألهم عن حالهم فقالوا انت لنا كوخاً بالقرب من محل العرصة وقد هجرناه لكثرة ما فيه من الضوضاء والنيران وصهيل خيول الجن وسائر حرارتهم التي أفقدتنا النوم واطارت قلوبنا خوفاً وفزعاً فضحك التمايشي وقال لهم ما الذي أطار نومكم وأفزعكم ألم تعلموا أن هؤلاء الجن صاروا من اتباع المهدي وأنهم خاضعون لحكمي ولا يجسرون على أذي أحد من انصار المهدي وإن احكام المهدي تجري عليهم كما تجري عليكم فقالوا ياسيدنا الخليفة ان خلقهم غريبة مخيفة فمنهم رؤس بلا جثث ومنهم جثث بلا رؤس ومنهم الطياريون ومنهم ومنهم فقال عودوا إلى مكانكم ولا تخافوا فرفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا نحن فقراء لا نملك غير هذا السكوخ وقد تركناه لهم فاسترسل التمايشي في الضحك الذي يشف عن السرور وأمر باعطاء الرجل خمسمائة ريال بدل كوخه وإن يعطي من بيت المال راتباً يقوم بحاجة عائلته

وسمعت التمايشي يوم ذهب لمبايعة الجن على زعمه يسأل الذين أدوا صلاة المغرب قائلاً لهم هل رأيتم شيئاً أو أحسستم بشيء فسكت أكثرهم



وقال البعض قد أحسننا برهبة ونحن في الصلاة فقال لهم ان عيسى عليه السلام صلى معكم مأموماً بي وأشار الى المكان الذي صلى فيه فهرع الناس اليه يتبركون به وأحيط ذلك المكان بزريبة من الشوك لئلا يبقى معروفاً عند كل من يقصده من الزائرين

## ذكر دعوة التعايشي اهلالي السودان

لاداء فريضة الحج بام درمان

كان المهدي قد نهى الناس عن السعي لاداء فريضة الحج مدعياً ان البيت الحرام في ايدي الكفار ونشر جملة منشورات بهذا المعنى وكان يزعم أن مرافقته للجهاد خير من السعي لاداء الحج وزعم ان الهجرة معه كالهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم وهي أفضل من الحج وتغالي حتي قال ان رؤيته تعدل ثواب سبعين حجة

ولما هلك المهدي اجتمع التعايشي والخليفةتان على حلو ومحمد شريف وقرروا فيما بينهم وضع الكذوبة ماسمع في الاسلام بمثلها لا ماسمع من أمر علي بن مهدي صاحب اليمن في القرن السادس من الهجرة وهي ان يصعدوا منشوراً يقولون فيه ان الحج الى البيت الحرام قد أبطل وعزموا على تشييد كعبة في أم درمان وجعل جبل (كررى) بدل جبل عرفات لتقام بهما شعائر الحج ويزور الناس قبر المهدي بدل زيارتهم قبر النبي صلى الله عليه وسلم وفعلاً شرعوا في اعداد ما يلزم لابرار هذه الضلالة حتى قالوا ان حفر بئر زمزم يكون بعد الوقوف بجبل عرفات واداء صلاة العيد بمنى ثم يرحلون الى البيت الحرام فيحفرون بئر زمزم ويعودون لقضاء أيام التشريق بمنى

ولما اذاع الخلفاء هذا الخبر دخل رجال من أهل العلم بعضهم من ذوي قرابة المهدي على أولئك الخلفاء واخبروهم ان هذا الامر لو تم كان دليلاً قاطعاً على كذب دعوي المهدي وخروجهم جميعاً من الاسلام كما تخرج الشجرة من العجين فانصاع أولئك الجهلاء وجمعوا الاوراق التي وصلت ايدي الناس واتلقوها ومنعوا الناس من الكلام في هذه المسألة ومن تكلم جلدوه ثمانين جلدة اه

### ذكر مسألة الشعرة من حجة المهدي

ذكرنا ما كان لاحمد سليمان أمين بيت المال من المنزلة السامية عند المهدي وانه كان واقفا على اسراره وكنه أعماله وكان أحمد المذكور ذا دهاء يظهر امام الناس بالزهد والورع ويروي للناس انه رأي من كرامات المهدي ما هو كيت وكيت ويختلق من الكاذب ما يحيله العقل . ومن اكاذيبه انه جاء الى التعايشي وكان جالساً مع الخلفاء وأخرج من جيبه حقاً من الخشب وفتحه وأخرج منه شعرة وقال يا خلفاء المهدي ان المهدي قبل مرضه بنحو أسبوعين أخبرني بأنه راحل من هذه الدنيا ونزع من لحيته السكرية شعرة ثم قال لي يا حبيبي أحمد خذ هذه الشعرة وابتلعها بعد وفاتي فان فيها سرّاً من أسرار المهدي وبعد ان تموت وتلحق بي أخبرك بهذا السر فوثب عليه الخليفة عبد الله التعايشي وأمسك بيده وقال له ان هذه الشعرة كانت امانةً عندك وقد أمرني المهدي باستلامها منك وكان الخضر عليه السلام حاضراً فسلمها أحمد سليمان له فابتلعها وأصدر منشوراً قال فيه ان في هذه الشعر سر المهدي وقوة خلافتها

## ذكر وقائع سنار وسقوطها

تقدم لنا ذكر وقائع سنار التي حصلت قبل مهلك حملة هيكلس ولما ذبحت هذه الحملة قويت عزائم الدراويش وأحاطوا بها وضيقوا عليها وبعد سقوط الخرطوم وثب النور بك محمد قومندان الجنود النظاميين ومعه عثمان بك الدالي الصنجق وقبضا على المدير حسن صادق بك وسجنناه في داره لاسباب لا نعلم كنهها والظاهر ان لاسبب لها الا سوء الظن بذلك المدير الذي لا يشك أحد في براءته من وصمة مانسب له

وبعد ان مكث المدير أشهراً في السجن اجتمع القواد ودخلوا منزله وأطلقوه من عقاله واعتذروا له وكان العدو محاصراً للمدينة فخرج عليه المدير في قوة كبيرة وهجم على موقعه ومزق شمله كل ممزق وعاد الى المدينة ظافراً منصوراً حتي اذا اقترب منها التي عصا سيره للراحة من وعشاء السفر وتناول الطعام عند مكان اسمه (الجيزات)

وبينا كانت الجنود وقوادهم مشغولين بتناول الطعام اذ هجم عليهم العدو علي غرة من جهتي النهر والقلاة واعملوا السيف في رقابهم فتمكن كل من النور بك محمد وعثمان بك الدالي من جمع شمل بعض الجنود حيث قاتلوا متقهقرين حتي بلغوا معقل المدينة

أما المدير حسن صادق بك فقد تمكن العدو من الفتك به حيث فاجأه وهو يريد ركوب فرسه بضربة كانت القاضية

ثم ان القائم حسن عثمان بك كر على الدراويش بقوة ألزمتهم الفرار من وجهه وتمكن من حمل جثة المدير الى المدينة حيث دفنت هناك بالاكرام

اللائق وكانت هذه الواقعة في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٢  
وفي شهر جمادى الآخرة وصل محمد عبد الكريم بمقاتلته لحصار مدينة  
سنار وقد ذكرنا ان المهدي بعثه بنحو عشرين الف مقاتل  
وفي أواخر شهر شعبان وصلت الى المهدي أخبار بان حامية سنار  
خرجت على معسكر محمد عبد الكريم وانتصرت عليه فأرسل الى المتمة يستدعي  
عبد الرحمن النجومي بمقاتلته فوصل الى أم درمان بعد وفاة المهدي بأسبوع  
وفي أوائل شوال سنة ١٣٠٢ وصل الى حامية سنار نبأ وفاة المهدي  
فقتوت عزيمتها وخرجت على معسكر محمد عبد الكريم مهاجمة فاصيب محمد  
عبد الكريم برصاصة في فخذه ثم انهزمت مقاتلته شر هزيمة وغنمت  
الحامية معسكرهم

ولما اتصل بالتعايشي خبر هزيمة محمد عبد الكريم انفذ عبد الرحمن  
النجومي الى سنار كما كان المهدي يريد انفاذه اليها حين استدعاه من المتمة  
وفي أوائل شهر ذى القعدة سنة ١٣٠٢ وصلت درجة المجاعة في سنار  
الى فقدان القوة بالكلية فتمرد الجنود على قوادهم وشقوا عصا الطاعة وخرج  
كثير منهم واسلموا نفوسهم الى العدو الذي تشددت عزيمته وعاد الى موقفه  
الاول من الاحاطة بمعقل المدينة وتشديد الحصار عليها  
ووصلت الى المدينة أخبار زحف عبد الرحمن النجومي عليها فاسرعت  
بطلب التسليم مع وفد ارسلته الى محمد احمد شيخ إدريس من أقارب المهدي  
ونائب محمد عبد الكريم الذي كان وقتئذ طريح الفراش من الاصابة بالرصاص  
في الواقعة الاخيرة

وعند وصولها عقدت شروط الصلح بين الحامية والدرأويش على ان لا يأخذ

الدراويش غلب مال الحكومة وان لا يعتدرا على احد من الاهل في ماله وعرضه  
وعلى هذا الشرط اسلمت الحامية نفسها فنكس الدراويش العهد على مألوف  
عادت ومدوا ايديهم الى الاعراض وعذبوا سكان المدينة الذين جلبهم  
من المصريين عذاباً اليماً وغنموا منهم شيئاً بعد بضرات القناطير من الذهب  
الذي يوجد بكثرة في مدينة سنار حيث ان منابع النيل الازرق التي يوجد بها  
هذا التبر داخله في دائرة مديرية سنار واهل سنار مشهورون بادخار الذهب  
بكثرة وقد عذبهم الدراويش عذاباً يفوق الذي وصفناه في عذاب اهل  
الخرطوم وهاكوا اعراضهم كما هتكوا اعراض اهل الخرطوم

وبعد مضى شهر على هذا التعذيب هدموا المدينة كلها وزحفوا بالاسرى  
الى أم درمان فوصلوها في اوائل شهر ذى الحجة الحرام ختام سنة ١٣٠٢  
هذا وقد وصل عبد الرحمن النجومي سنار بعد سقوطها ببضعة ايام  
ولم ينل من الغنيمة شيئاً

على ان حامية سنار كانت تستطيع النجاة لو قصدت حدود الحبشة قبل ان  
يصل اليها محمد عبد الكريم. وقد بلغني ان المدير كان ينوي سحب الحامية الى  
جهة حدود الحبشة بعد ان علم بسقوط الخرطوم لفرقه ان الانكاز لا يتقدمون  
لا نقاذ سنار بعد سقوط الخرطوم فخالفه اللذان سجناه معتقدين خلاف ذلك  
والخلاصه ان نجاة حامية سنار كانت ميسورة لو لم يسجن المدير  
حسن صادق بك

هذا وقد أصدر التعاشي أمراً باعتبار مدينة سنار كمدينة ثمود تحرم  
سكنها والاستقاء بمياهها

وقد اغتال الامراء الاموال ولم يقدموا لبيت المال عشر الغنائم فتغيظ

عبد الله التعايشي واصر على الانتقام منهم وسنعود الى ذكر هذا الانتقام في محله

وأخذ التعايشي نحو عشرين امرأة من نساء المصريين كانوا في تلك المدينة مسبيات وادخلهن منزله. والخالصة ان سكان سنار جلعهم مصريون مثل سكان الخرطوم وقد نالوا نصيبا من التعذيب والنهب وهتك الاعراض كالذي ناله اخوانهم في الخرطوم أو أشد وما الله بغافل عما يعمل الظالمون



### حوادث كسله وسقوطها

كسله اسم مدينة هي عاصمة اقليم (التاكا) الذي بين محافظتي مصوع وسواكن وحدود الحبشة وأغلب سكانها مصريون مثل سائر مدن السودان وكانت محصنة بسور منيع من الحجارة وفيه أبراج ومعدات الدفاع متوفرة فيها منذ دخلت في املاك الحديوية المصرية على عهد ساكن الجنان محمد علي باشا عزيز الديار المصرية

وكان السيد محمد عثمان الميرغني نازلا في قرية (الختمية) بجوار كسله وهي قرية أسسها جده السيد محمد عثمان الميرغني وقد تقدم لنا ان المهدي كان يدعو السيد محمد عثمان الميرغني الى الدخول في دعوته وكان يوالي ارسال الانذارات له تارة بالوعد وأخرى بالوعيد ففر من قرية الختمية لما رأى ان الخطر يقترب من جهته

ولبعد فراره خمد بقية سكان الختمية على قريتهم وأمدتهم الحكومة بالاسلحة والذخيرة والجنود

وفي محرم سنة ١٣٠١ قدم الى كسله مصطفى هديل داعية من قبل

عثمان دة فقبه جميع السكان ورفعوا الرء العصيان على الحكومة فارسل  
أحمد عفت بك المدير قرة تهاجم موقع تجمع العدو فعادت بخسارة عظيمة  
وكانت نساء العصاة (الهندوه) يقاتلن مع أزواجهن ولهن فظائع ما سمع  
بمثلها فى الدنيا فقد كن يسمن ورا أزواجهن قطعاً من الخشب فيجهزن بها  
على الجرحى وينزعن الملابس عن اشلاء القتلى ويضعن فى دبر كل قتل قطعة  
من الخشب طولها ذراع فيولجن فى الدبر نصفها ويبقى النصف بارزا ويطرحن  
الجثث على وجوها ليصير هذا المنظر الشنيع معرضاً لنظر المارة  
على ان هذه الفظيعة لم تكن من عنديات تلك النسوة بل ان مصطفى  
هدل هو الذى قال لهن من مثلت منكن بالقتلى هذا التمثيل بنى الله لها  
بيتاً فى الجنة

وكان مصطفى هدل هذا جاهلاً ضالاً وفى غضون حصاره كسله كان  
يزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بكيت وكيت  
وفى أواخر شهر ربيع الآخر هجم الدراويش على كسله فالزمتهم الحامية  
بالتقهقر بعد ان تكبدوا خسائر جسيمة

وفى شهر جمادى الآخرة اشتد الحصار وارتفعت اثمان الاقوات  
وفى شهر شعبان سنة ١٣٠١ بينما كانت الحكومتان الانكليزية والحدوية  
تداولان فى انفاذ حملة تقذ غردون اتفقت الحكومة الحدوية مع يوحنا  
نجاشى الحبشة على انقاذ حاميات الحكومة التى فى السودان الشرقى ونزلت  
له عن بعضها

وفى هذا الشهر أيضاً أحس مصطفى هدل بضعف فى حامية خندق الختمية  
فصمم على أخذها عنوة فغاب سعيه حيث دفعته الحامية وهزمته شر هزيمة

وفي شهر رمضان سنة ١٢٠١ سمي ماسون بك الامريكاني في اخلاء  
كسله واجلاء الحامية عنها فلم يفلح لان الجنود رفضوا ان يفروا بغير عائلاتهم  
التي لا تستطيع الفرار

وقد لبث ماسون بك يخبر المدير أحمد عفت في الانسحاب من كسله  
فكان يجاوبه باستحالة ذلك ثم غادر ماسون بك مصوع ولم يفلح في سحب  
الحامية من تلك المدينة

هذا وقد كان انقاذ كسله ميسورا بسبب قربها من حدود الحبشة ولكن  
أشياء كثيرة كانت من أقوى الاسباب التي ساعدت العدو على امتلاك  
المديرية. منها ان النجاشي يوحنا بعد ان أصدر أمره الى الرأس الولا بالقيام  
لانقاذ كسله عاد فنقض أوامره الاولى وكان سبب ذلك على ما علمته ان  
ال دراويش كانوا يخادعون ويمدون بالمخالفة والمعاوضة وكان في المدينة بعض  
جواسيس يطلعون الدراويش على كل اسرار الحكومة وما يدبره المدير وكان  
الرأس الولا يخبر المدير ويطلب رأيه في ترتيب الزحف على المدينة لانقاذ  
حاميتها فكان المدير يجاوبه فيسرع أولئك الخائثون ببلاغ الدراويش مادار  
بين المدير والرأس الولا من المخبرات

ولما وصلت انباء سقوط الخرطوم الى شرقي السودان قويت عزيمته  
محاصري كسلة وأرسل عثمان دقنه بالامداد لهم ثم تلاه قدوم الشيخ الحسين  
زهراء ومن معه من المندوبين وقد تقدم لنا ذكر بعثتهم قبل وفاة المهدي  
وفي أواخر شهر جمادى الآخرة عرض (شر مشيد باشا) محافظ شواطي  
البحر الاحمر على النجاشي يوحنا عشرة آلاف بندقية ليتقدم لانقاذ حامية  
كسله ولكن في غضون ذلك كانت المجاعة قد برحت بالحامية حتى أكلوا



## الكلاب والجرذان

وفي شهر رجب سنة ١٣٠٢ برحت المجاعة بحامية الحتمية فعزم السيد بكرى ابن عم السيد محمد الميرغني على التوجه لكسله لينضم الى من بها من رجال الحكومة وفعلا سار بنحو الف رجل فصادفهم في اثناء سيرهم مصطفى هدل وجنوده فذبخوا كل من كان مع السيد بكرى وجرح هو جرحا بليغا ثم شرعوا في الهجوم على معقل الحتمية لاستئصال من به من الحامية التي تمكنت من التفتقر بانتظام حتى دخلت معقل كسلة . ولقد أتى السيد بكرى من الاعمال الشريفة ما يناسب منصبه ويشهد له ولعائلته بطهارة الاصل وعراقة المجد

وفي منتصف شهر شوال سنة ١٣٠٢ فقدت الحامية كل أمل في النجاة كما فقدت القوات حتى قال لنا أحد المحصورين انهم طلبوا الارذب من الذرة باكثر من الف ريال فلم يظفروا

وعلى أثر ذلك عقد المدير أحمد عفت بك شروط الصلح مع الامناء الذين انفذهم المهدي قبل وفاته على ان لا يمدوا أيديهم لغير ما للحكومة من المال والذخيرة فخرجت الحامية وسلمت نفسها في منتصف شهر شوال سنة ١٣٠٢ فامسكوا المصريين وعذبوهم ونهبوا أموالهم مثل ما حصل في الخرطوم وغيرها ومات كثيرون تحت الضرب والتعذيب وحمل جل المال الى أم درمان واحد عشر مدمغا من الطرز الجبلي العتيق وأبقيت نحو تسعة مدافع تحت تصرف عثمان دقنه وغنموا أيضا نحو عشرة آلاف بندقية وشيئا كثيرا من الذخيرة ولله الامر من قبل ومن بعد

## ذكر اول واقعتين الدراويش والاحباش

بعد سقوط كسلة في قبضة العدو بثلاثة أسابيع قدم عثمان دقنه من  
سواكن ومعه زهاء عشرين الف مقاتل وقد استنفر الناس فاجتمع لديه  
نحو خمسين الف مقاتل زحف بهم الي ( كوفيت ) في حدود الحبشة وتحصن  
في المعقل الذي كانت حامية الحكومة متحصنة فيه قبل جلائها عن ( كوفيت )  
وهناك أرسل كتاب تهديد الي الرأس الولا فورده الردهانه سيقدم عليه  
يوم كذا وفي ذلك اليوم هجم الرأس الولا على عثمان دقنه في ثمانين الف  
مقاتل من الاحباش فاطوا بالمعقل احاطة السوار بالمعصم فخرج عثمان  
من المعقل بمقاتلته فهاجمه الاحباش هجمة الاسود الضواري على فراسها فسط  
جيشه كله قتلى واستطاع هو النجاة ومعه نحو خمسمائة مقاتل فظن ان الاحباش  
يتأثرونه الي كسلة فيستولون عليها حيث لا مقاتلة فيها يدفعون عنها غارتهم  
ولذا عاد عثمان دقنه الي كسلة وهو لا يصدق بالنجاة وكانت هذه الواقعة  
في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٢ ويقال ان تقدم الاحباش كان لانقاذ كسلة  
فكان شأنهم معها مثل شأن الانكليز مع الخرطوم حيث جاؤا بعد ان سقطت  
في قبضة العدو

## ذكر قتل المدير احمد عفت ومن معه من القواد

لما رجع عثمان دقنه من ( كوفيت ) قبض على المدير أحمد عفت ومعه  
الصنjq حسن أغا سليمان الالباني ومعتوقه احمد أفندي شوقي معاون مديرية  
( الناك ) وتاجران يونانيان يدعى احدهما استبلي والثاني بادروس وادعهم السجن

بعد ان وضع في أرجلهم من القيود مائتة بحمله الدواب وغل رقابهم باغلال الحديد وتركهم في اعماق السجن بلا طعام ثلاث ليال ثم دخل عليهم السجن وقال لهم قوموا الى الصلاة فقال له احمد عفت بك هل نطبق القيام ونحن بهذه الاغلال مع مانحن فيه من وهن الجوع فذهب الى عثمان دقنه وأخبره بما قاله احمد عفت بك فقال ليحضروا امامي فسيقوا اليه يرسفون في القيود والاغلال كلهم أشباح بلا ارواح فسأل عثمان دقنه احمد عفت بك عن سبب امتناعه من الصلاة فأجابه بمثل ما اجاب به السجن فامر بضرب اعناقهم فاضربوا جميعاً الفرح والارتياح وتقدم شوقي عتيق احمد عفت بك الى السيف وقال له أمهلني حتى اصلى ركعتين فامهله ثم قال له اننى اسألك بحق مهديكم ان تضرب عنقي قبل سيدى أحمد عفت بك فدعته غير هياب لشيء فضربت ثم مد احمد عفت بك عنقه مع الجلد والشجاعة فضربت أيضاً ثم مد الصنجق حسن اغاسليمان عنقه فضربت ثم تلا ذلك ضرب عنقي اليونانيين استبلى وبادروس

### شان اهل الخرطوم بعد ذلك

ذكرنا ما كان من أمر المهدي مع أهالي الخرطوم وقد أوردنا صورة المنشور الذي أصدره المهدي لأهالي الخرطوم وعلى أثره سمح لهم بالاقامة في الامكنة المتخربة من المدينة واخذوا في السعي للارتزاق باليمن الدنيئة مثل صناعة الجبز وفتح حوانيت الاطعمة وهم في كل آن عرضة لصنوف الاضطهاد وفي كل يوم يقع بعضهم في تهمة إخفاء المال فيعاد تعذيب الواحد منهم بما يقشع منه البدن

هذا وقد ذكرت انني كنت ائت بكوخ في أم درمان بجوار منزل يوسف منصور وبعد وفاة المهدي كانت لي زوجة على وشك الوضع كنت تزوجتها قبل سقوط المدينة وهي بنت احد الضباط المصريين العظام فانتقلت الى الخرطوم للحصول على قابلة مصرية بها وما كادت تمضي على ايام حتى نمت الى ان الحاج خالد العمراني كتب الي التماسي يقول ان ابراهيم فوزي قدم الخرطوم وهو يسمي في توحيد كلمة بني جلده المصريين للقيام بعمل ضد المهدي فها شعرنا في احدى الليالي الا بالنداء بان كل ذكر من الذين خرجوا من خندق الخرطوم يهدر دمه اذابات في المدينة بل يجب ان يكون في البقعة التي عند نقطة ملتقى النهرين الابيض والازرق وبينما كان الرجال يودعون اطفالهم ونساءهم للخروج الى محل الاجتماع اذ عاد النداء بوجوب خروج النساء والاطفال الى ذلك المكان ايضا فخرجنا بنسائنا واطفالنا ونحن في حالة لا أقدر على وصفها وبعد وصولنا الى تلك البقعة جاءنا دراويش من أم درمان اخبرونا بان المراد من هذا الاجتماع قتل ابراهيم فوزي (المؤلف) وبيع بقية المصريين ارقاء فقضينا تلك الليلة فراشنا الارض وغطاؤنا السماء فكنت لاتسمع غير صياح الاطفال وعويل النساء

وفي اليوم التالي مكثنا الى قرب منتصف النهار حتى جاءنا التماسي ممطيا حمارا يحيط به نحو الف حارس وامامهم اشخاص ينفخون في ابواق من العاج بصوت مزعج متقطع وهذه الابواق تسمي (أم باه) وسيأتي ذكرها في وصف سوكب الخليفة

ولما دنا التماسي من موقفنا أمرنا بالوقوف مصطفين رافعين أصواتنا بالتهليل ثم استدعاني من وسط الصفوف ومعي بضعة أشخاص من أعيان

الخرطوم ولما مثلنا بين يديه خاطبنا بما يأتي

« أيها الأتراك أهالي الخرطوم فضلة سيف المهدي عليه السلام انكم أضلتم الناس وغررتموهم بدنياكم فلماذا أيها المنافقون أقسم بالخرطوم ولم ترحلوا الى أم درمان فهل أنتم لا تزالون مكذبين للمهدي أو ما هي السبب « فاجبته قائلاً ياسيدنا الخليفة نحن نعوذ بالله من ان نكون مصرين على تكذيب المهدي ونحن نعرف امامك باننا مؤمنون بالمهدي وخلفائه والذي منعنا من الإقامة بأم درمان هو عدم قدرتنا على تشييد الكواخ فيها وتمكننا من الإقامة في خرائب الخرطوم بغير مشقة فاجابني التعاشي وهو منعم بالغضب أنت منافق ولا أرى غير ضرب عنقك فقلت له ياسيد الخليفة أنت تعلم الغيب وما تخفيه الصدور وان الخضر عليه السلام وزيرك ومشيرك وقد قال فيك المهدي عليه السلام أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فاطرق بوجهه الى الارض وسر من هذا الاطراء ثم رفع رأسه وقال لي يا ابراهيم فوزي لقد تحققت براءتك مما نسب اليك وقد عفوت عنك وعن جميع أهالي الخرطوم ولكن لا بد من منادرتكم الخرطوم واقامتكم بأم درمان لان الخرطوم دار كفر والمهدي عليه السلام قال لا تسكنوا في مساكن الكفار ولا تلبسوا ملابسهم ولا تزيوا بآزيائهم فقلت ياسيدنا الخليفة نحن لانملك أجرة اجتياز النيل فامر باجازتنا مجاناً فاجتزنا النهر وأقنا بأم درمان نقاسي من صنوف الذل ألوانا

### ذكر الاجتماع العام لعبد الاضحى

ذكرنا ما كان التعاشي شرع في عمله من إقامة مشاعر الحج بأم درمان واطاله هذا المشروع قبل ابرازه من القول الى الفعل

هذا وقد دعا الناس الاجتماع في عيد الاضحى ليتحقق طاعتهم وليظهر امامهم بمظهر الملك والقوة فدعا محمود بن عبد القادر أمير كردفان وسائر أهلها ودعا أيضا أهالي الجزيرة فاجتمع في أم درمان زهاء خمسمائة ألف مقاتل فخرج عليهم يوم العيد يحيط به نحو عشرة آلاف عبد يحملون الاسلحة النارية من طرز رامنجنون وامامه بوق ( أم بابه ) وهو بوق من العاج كان يستعمله كبار نخاسي النيل الابيض وكان المهدي قد ميز التعايشي عن بقية الخلفاء بهذا البوق الذي يكون علامة على دعوة فرسان الجيش بالتكوف حول التعايشي

وخرج التعايشي راكبا هجيناً كان يركبه المهدي وأخذ يسير الهوينا حتي بلغ زريبة من الشوك أعدت ليصلي فيها هو والخلفاء والمقربون منه فاقامت الصلاة قبل الزوال بنحو ساعة فصلى التعايشي بالناس اماماً ثم خطب بهم الخليفة على حلو وهكذا كان حال التعايشي في ايام الاعياد يصلي بالناس اماماً ويخطبهم الخليفة على حلو لان التعايشي أي يجمل الكتابة والقراءة وبعد انقضاء الصلاة عاد الى منزله وقد سره مارآه من إقبال الناس عليه وطاعتهم لاوامره

وقد ذكرنا انه كان يخشى انتقاض أقارب المهدي ولاكنه علم من أهالي الجزيرة انهم سيثو السلوك وقد حملوا الاهلين من المظالم والمغارم ما جعلهم يئنون تحتهما وأتوا من المنكرات ما يعجز القلم عن ايراده

ومن هاته الحوادث ان كريبا أحد حراس الخليفة شريف وقريب المهدي الذي ذكرنا انه قطع الصبي ثمانى قطع يوم سقوط الخرطوم ذهب الى المسلمية بأمورية جمع الغنائم فرأى بجوار داره امرأة أرملة في منتهى الحسن والجمال ولها بنتان لا يقلان في الحسن والجمال عن أمهما فقبض عليهن

وادخلهم داره ووقع على أمهما أولا ثم افتض الفتاين فقدم على  
 النعاشي ورفمن شكراهن اليه فاحلهن على القاضي الذي استدعى كريبا  
 ولدي استنطاقه اعترف بأنه وطئ المرأة بملك اليمين لانها غنيمة أما الفتان  
 فانكر افتضاضه اياها

وفي هذا الاجتماع أصدر النعاشي أمراً بإبطال وظيفة الامناء الذين  
 فوض لهم المهدي النظر في العرائض التي ترفع اليه لان جلهم من أقارب  
 المهدي ثم أعلن ابطال وظيفة النواب الذين أقامهم المهدي لينوبوا عنه في نظر  
 الظالمات التي ترفع اليه وأقام للقضاء بين الناس القاضي أحمد على الذي لقبه  
 بقاضي الاسلام وأشرك معه نحو عشرين قاضيا كلهم من جهلاء الاعراب  
 الذين لا يفقهون شيئا غير أنهم يحفظون الفاظ القرآن الشريف

ثم أشار عليهم بعدم قبول الطعن في الشهود وتحليف الشاهد على المصحف  
 فكانوا يكتبون في أحكامهم ما يأتى « ولعدم قبول الطعن في الشهود كما أشار  
 خليفة المهدي عليه السلام قد صار تحليف الشهود وحكمنا بكذا »

كل ذلك لينتقم من أقارب المهدي بقيام الناس عليهم ومقاضاتهم لرد  
 ما نهبوه منهم. وخرج الى محل القضاة في ذات يوم شاهرا سيفه وقال لهم  
 ان لم تحكموا بين الناس بالحق فلا بد ان أضع سيفي هذا في رقابكم ثم خطب  
 في الناس قائلا من كانت له مظلمة عندي فليقدم لمقاضائي امام القاضي والحاصل انه  
 ظهر امام الناس بمظهر العادل الشفوق وقفل الناس راجعين الى بلادهم وقلوبهم  
 مملوءة بالاخلاص له والانتقياد الاعمي لطاعته وشرعوا في مقاضاة اقارب  
 المهدي واستردوا اكثر ما سلبوه منهم

## ذكر وفود الهنود الى التعايشي

في أوائل سنة ١٣٠٣ وفد على التعايشي عشرة رجال منهم سبعة من الهنود المسلمين وثلاثة من بخاري فلتقاهم بالاكرام وقدم لهم الاغذية مدة أسبوع ثم أهمل أمرهم وشدد عليهم في مواظبة الصلوات الخمس في المسجد فساءت حالتهم حتى أصبحوا لا حرفة لهم غير التسول وكان بين الثلاثة البخاريين واحد اسمه محمد الامين فاخبر التعايشي بان له معرفة بالسكتابة ونسخ الصور التي تستعمل في مطابع الحجر القديمة فامر بارساله الى المطبعة لمباشرة تلك المهنة وجعل راتبه خمسة ريات يقبضها في السنة مرتين أو ثلاثا ويظهر من حالة أولئك الهنود انهم فقراء وانهم قصدوا بلاد السودان عسائم أن يجدوا سيلا للارتزاق

وكان من بينهم واحد اسمه كمال الدين وكان بارعا في أساليب الخداع والاحتيال ادعى انه ذو علم بصناعة المادة القابلة للانفجار وهي المسماة (عجينة الكبسون) وتناول من التعايشي نحو اثني عشر الف ريال ثم ظهر جهله وانكشفت حيلته وسنأتي على ذكر هذه المسألة في مكانها ان شاء الله

## ذكر انتفاض الاشراف وتسليم الرايات

ذكرنا ما كان من أمر المداولة بين الخلفاء وتقسيم البلاد بينهم وتردد التعايشي في انفاذ تلك القسمة وعدم رضاه بها ولما عاد محمد عبد الكريم بعد اسقاطه سنار واستحوازه على ما فيها من الذخيرة والامتعة طلب منه التعايشي أن يسلم ما لديه من الذخائر والاسلحة



والمال فامتنع واعلن الخليفة شريف عبد الله التعايشي بأنه يريد التقدم الي بربر  
ومنها الى دقلة كي يتقدم منها لفتح مصر فمنعه التعايشي فلم يصنع لقوله  
وخرج في شمال أم درمان وعسكر هناك وأخذ في الالهبة للرحيل فجمع  
عبد الله التعايشي خواصه واستشارهم في هذا الامر فاشاروا بوجوب مقاومته  
وارغامه على الخضوع لاوامره فرأى التعايشي ان قوة الخليفة شريف أعظم من  
قوته وانه لا بد ان تدور عليه الدوائر اذا قصد اخضاعه بالقوة فعمد الى طريقة  
الحيلة والخداع توصلا الى هذه النتيجة فبذل المال الى الخليفة على حلو وطيب  
قلبه بالوعود ليكون معه على الخليفة شريف

وكان الخليفة على حلو متزوجا بأخت عبد الله التعايشي وبينهما من  
رابطة جنسية البقارة ما يدعوه الى تفضيله على الخليفة شريف قال الى  
التعايشي الذي عمده الى أحمد شرفي صهر المهدي واستماله اليه بالهدايا والوعود  
فصار يرفع اليه أخبار الخليفة شريف وما دبره ووعدته بالمساعدة في كل  
ما يطلبه منه

وفي ذات يوم ركب التعايشي ومعه الخليفة على حلو وقصد معسكر  
الخليفة شريف فوقفوا صفوفا للقاءه ولدي وصوله الى الصفوف أخذ يبكي  
وينتحب فاحاط به كل من الخليفة على حلو وأحمد شرفي وغيرهم من خاصته  
وسألوه عن سبب بكائه فلم يرد عليهم وأخيراً قرب منه الخليفة شريف  
وأقارب المهدي ورفع رأسه وأشار بيده الى الامام وقال لهم هاهو المهدي  
امامكم يعض على أنامل النديم ويقول لي كيف تختلفون قبل ان يعضي على  
انتقالي من بين ظهرانيكم سنة ألم يعلم اصحابي انك خليفة الصدوق قبكي الماضرون  
وفي مقدمتهم الخليفة شريف وتراموا على ركاب التعايشي يقبلونه ويسألونه

الصفح عن زلتهم ثم طالب من الخليفتين على حار ومحمد شريف ان يسلماهما رايتهما فسلموهما وأسرهما بتسليم ما عندهما من الاسلحة والذخيرة والجهادية ففعلا وأصبح الخليفتان لا يملكان شيئاً من الاسلحة النارية وكان التعايشي يمد الخليفة على بن حلو سراً باعانة ما أخذ منه ولكن لم يوف له بشيء بعد ان تمكن من انفاذ غرضه وقلب له ظهر الحجن ومع ذلك كان يكرمه ويجزل له العطاء ويشاوره في كثير من الامور

ومن ذلك اليوم مال اصحاب الخليفة شريف وقواده عنه واحتقروه لما رأوا من ضعف عقله الذي اثرت عليه هذه الحديمة التي لا تؤثر على عقول الصبيان فانحازوا الى جهة التعايشي مظهرين له التزلف والتودد مضعفين له جانب الخليفة شريف الذي أخذ يبعد قواده واصحابه بان له أملاً كبيراً في اعادة نفوذه بواسطة القوة الضخمة التي تحت قيادة ابن عمه محمد خالد زقل في دارفور

وفي الحقيقة ان التعايشي كان في وجل شديد من القوة التي كانت مع محمد خالد زقل ويحسب لها حساباً ولذلك عاد الى استجلاب مودة الخليفة شريف وأبقى جميع أقارب المهدي الذين كانوا منتشرين في البلاد لجباية الخراج في مناصبهم ريثما ينظر في أمر محمد خالد زقل وكانت هذه الحادثة في أوائل سنة ١٣٠٣

### ذكر القبض على امراء سنار وفرار الشيخ مضوي

لما كان الامراء الذين اسقطوا سناد من أتباع الخليفة شريف لم يجسر التعايشي على مطالبتهم بما غلوه من غنائم سنار مع انهم لم يؤدوا الى بيت المال العشر منها

ولما استولى التعايشي على ما عند الخليفة شريف من الاسلحة والذخيرة  
 اصبح قادراً على مناقشة اولئك الامراء الحساب على ما غتالوه من القناطير  
 المقنطرة من الذهب والفضة فاستدعى اليه اعيان سنار الذين أخذت منهم  
 الاموال وأخذ يلين لهم الكلام ويعدم بنيلهم نصيباً مما أخذ منهم اذ هم  
 أوضحو له كمية المال واسم من استولى عليه من الامراء فأوضحوا له كل  
 ذلك فأمر بالقاء القبض على محمد عبد الكريم القائد العام لانه علم من كلامهم  
 انه استولى على نحو خمسة قناطير من الذهب واستولى بقية الامراء على  
 مقادير عظيمة من التبر

وقد علم التعايشي أيضاً ان الشيخ مضوى احد الامراء عذب مصريا  
 اسمه على مرزوق كان ناظر الشونة وأخذ منه خمسين رطلا من التبر المسبوك  
 فأمر بالقاء القبض عليه فلم يجدوه بام درمان اذ كان متغيباً في قريته (الليفون)  
 فأمر بأشخاص مائة راكب يقصدون تلك القرية التي تبعد عن أم درمان مسيرة  
 مرحلة واحدة للقبض عليه فاسرع احد اقاربه بمغادرة أم درمان وأبلغه الخبر  
 فركب راحلته قاصداً حدود الحبشة وزور خاتم التعايشي على مكتوب أمر  
 فيه الامراء بتقديم ما يلزم الى الشيخ مضوى وانه ذاهب بمهمة الى بلاد الحبشة  
 فتناول بهذا المكتوب نحو ثلاثة آلاف ريال وبلغ حدود الحبشة آمنا ولم  
 يصبه سوء ولحق بالشيخ عجيل الحراني في جهة ( غبته )

ولنعد الى ذكر الامراء الذين قبض عليهم التعايشي فنقول انه أبقاهم في  
 السجن بجمعة شهور لم ينفق في خلاها بشيء مما اشتالوه واصروا على الانكار  
 فأمر بمصادرة مائهم من أملاكهم مثل الجوارى والعبيد والاداب والامتعة  
 البيتية ثم امر بالافراج عنهم وألحق ببعض منهم بثمان دقمة والبعض بعبء

الرحمن النجومي في دقلة وانقضى الامر على ذلك

## ذكر عصيان المجهادية بالايض وقتل امير كردفان

لما غادر المهدي الايض الى (الزهد) ومنها الى أم درمان استخلف على اقليم كردفان عمه محمود عبد القادر وقد ذكرنا انه استخلفه في جبال (قدير) لما بارحها الى كردفان فكانه تفاعل باستخلافه وظل محمود عبد القادر قابضاً على زمام اقليم كردفان حتى توفي المهدي فاستدعاه التعاشي لحضور الاجتماع العام في عيد الاضحى الذي كان عقب وفاة المهدي ثم أعاده الى عمله في الايض وكان محمود عبد القادر هذا ابن عم والد المهدي ومن أصحابه القدماء الذين شاركوه في تأسيس دعوي المهديّة وكان متظاهراً بالزهد والقناعة وكان المهدي يكرمه ويحله

وكان في حامية الايض التي تحت قيادته الف وخمسمائة جهادي منهم نحو تسعمائة من جنود الحكومة الذين أسروا في واقعة يوسف باشا الشلاي وسقوط الايض والباقي من عبيد الاهالي الذين صادرهم منهم محمود عبد القادر وهؤلاء الجهادية يقودهم صف ضابط منهم اسمه (الجاك) فعهد اليهم محمود عبد القادر حراسة الجبهة خانات ورعى الماشية وجعل البعض حراساً له ولقواده وكان مع ذلك لا يعطيهم رواتب تقوم بضرورياتهم فاستأوا من هذه المماثلة واضمروا الخروج عليه فنعى اليه الخبر فارسل يدعو قائدهم الجاك للحضور الى المسجد لتلقي أوامر جديدة فاعتذر عن الحضور وأرسل اليه بعض أعوانه فقبض عليهم محمود عبد القادر وضرب أعناقهم فاستشاط الجاك غيظاً ونفخ أبواقه وهجم برجاله على الجبهة خانه فدافه محمود عبد القادر بنحو

أربعة آلاف من فرسان الدراويش الذين انهزموا امام نيران الجالك وتركوا له الجبله خانه فاستولي عليها ودخل منازل الدراويش وانتهب ما فيها من المال والماع وغادر الابيض الي جبال النوبة وأعلن دخوله في طاعة الحكومة المصرية وسبي نفسه ( الجالك باشا ) ومنح الرتب لمن معه من القواد وأخذ يجبي الضرائب من سكان الجبال وأوصى قواده بعدم التعدي على حقوق الاهلين وازلا يأخذوا منهم الا الضريبة المفروضة فساروا سيرة حسنة امتدحهم بها سكان الجبال فارسل خلفهم محمود عبد القادر ثلاثة آلاف من رجاله مسلحين بالاسلحة النارية تحت قيادة الهاشمي أحمد الجبلي فهزمهم الجالك باشا شر هزيمة وقتل قائدهم وذبح عددا كبيرا منهم ثم سار اليه محمود عبد القادر في أربعة آلاف مقاتل فالتقى الجمعان وثبت الجالك ورجاله ثبات الابطال وقتل محمود عبد القادر وقتل اكثر رجاله وولي الباقرن الادبار وهم لا يصدقون بالنجاة

ولما اتصل بالعاميشي خبر قتل محمود خاف عاقبة امر الجالك ولكنه سر من جهة أخرى بقتله لانه قريب المهدي وعضد من قوة الخليفة شريف فاسرع بانتداب علي الهاشمي العمرابي في مائتي رجل وسير خلفه قريبه عثمان آدم المشهور ( بجانو ) وأمرها بالبقاء في الابيض وان لا يتعرضا لحرب الجالك وكتب الي حمدان ابي عنجة يأمره بالهجوم على الجالك بجميع قواته فهجم عليه باكثر من عشرين الف مقاتل واصلا حربا أظهر فيها الجالك ورجاله اعظم بساله حتي قتلوا عن بكرة ايهم

### ذكر اعمال ابي عنجة في الجبال

لما هزم ابو عنجة الجالك عاد الي غزواته في الجبال حتي اقترب من جبال

نقل التي ذكرنا شأنها مع المهدي وقتله ملكها لما جاءه زائر آفي الأبيض فهجم على من فيها وقتل رجالها وساق النساء والصبيان سبياً وباعهم ارقاء مع انهم اعراب مسلمون كما تقدم لنا الكلام عنهم

ثم غزا أبو عنجة قبيلة الحوازمة التي تسكن بين دارفور وانهب مالها وماشيها وقتل زعيمها (نواي) الذي كان لحق بالمهدي في جبال (قدير) وكان المهدي وعده باعفائه من مرافقته الى الخرطوم فاخلف وعده وساقه اليها فقر نواي ولحق بقومه في كردفان فقتله أبو عنجة انتقاماً منه وانهب أموال قبيلته

### ذكر اشخاص محمد خالد زقل من دارفور وسجنه

أوردنا في الجزء الاول ماصار اليه شأن محمد خالد زقل واستيلاءه على دارفور وقد صار فيها كملك مستقل حيث جمع حوله جيشا كثيفا يربو على مائتي الف مقاتل

وكان التعايشي متخوفاً منه كما تقدم ولما استولى التعايشي على أسلحة الخليفة شريف وذخيرته وراياته كتب أحمد سليمان أمين بيت المال كتاباً الى محمد زقل اخبره فيه بكل ما كان عقب موت المهدي من الحوادث كما اخبره بوقوع الخليفة شريف في الفخ الذي نصبه له الخليفة عبد الله التعايشي حتى اسلمه ما بيده من الذخيرة والاسلحة والرايات وقال له في الختام انقطع الامل الامنك وحذر من الوقوع في فخ مثل الذي وقع فيه الخليفة شريف

وكان التعايشي قد شدد في مراقبة اقارب المهدي حتى لا تصل منهم كتب الى محمد خالد زقل فوقع كتاب احمد سليمان أمين بيت المال في قبضة

التعايشي فأسرع بإصدار أمر الى محمد خالد زقل بمغادرة دارفور بمن معه من الجيش فامتلأ الامر وغادر دارفور حتى اذا بلغ كردفان اعترضه أبو عنجة ودفع اليه أمرا من التعايشي بتسليم كل الجيش الى أبي عنجة المذكور فاطاع محمد خالد ولم يبدأ أقل اعتراض

ولما تمكن أبو عنجة من الاستيلاء على جيش محمد خالد زقل شرع في تجريدته من أموال الخصوصية ولم يترك له قوت يومه ثم كبله بالحديد وأرسله الى أم درمان يرسف في القيود والاغلال ولدى وصوله اليها زجه التعايشي في السجن فبقى فيه بضعة شهور ثم أطلق سراحه

وبلغ مجموع الخيول التي استولى عليها حمدان أبو عنجة من محمد خالد زقل ما ينيف على عشرة آلاف جواد وعدد الاسرى كان يربو على خمسة عشر الف جهادي مسلحين بالاسلحة النارية وظفر أبو عنجة بكل أموال زقل وكانت عظيمة جداً وأرسلها الى التعايشي

ولما اتصل بالتعايشي نبأ القبض على زقل جمع بطائنه وأخبرهم بذلك وقال لهم قد ذهب كل مخاوفي وصرت آمناً مطمئناً على مركزى وأنا أطلب منكم منذ اليوم ان تساعدوني على القيام بامور هذه المملكة المترامية الاطراف حيث لم يبق لى معارض فى جميع انحاءها ومن ثم بدأ بتواليه الاعراب على البلاد واستئصال شأفة الدين والهم المهدي من أقاربه ومواطنيه

ذكر القبض على احمد سليمان امين بيت المال وعزله  
احمد سليمان أمين بيت المال محسى الاصل من أهالى بلدة اسمها (رفاعة) على ضفة النيل الأزرق الشرقية اجتمع على المهدي في جزيرة (آبا) فاحبه

واكرمه واطلمه على كنهه اسراره وكان أحما سليمان يتفانى في محبة المهدي  
 وخدمته وقد ذكرنا انه كان متوليا تقديم الأطعمة له وكان يقود خطام دابة  
 المهدي حافيا وفي جبال (تقدير) ولاد المهدي أمانة بيت المال مفوضاً له فيه  
 العمل بلا أدنى مراقبة أو مسؤولية يعطى من شاء ويمنع من شاء  
 وكان أحمد سليمان يحترق عبد الله التعايشي ويبغضه ولا ينفذ له ارادة  
 مع ما كان فيه التعايشي من سمو المنزلة عند المهدي لازاً أحمد سليمان كان يرى  
 نفسه عند المهدي في منزلة اسمي وأرفع من منزلة عبد الله التعايشي مهما بلغ هذا  
 من القرب منه

وفي إبان اقامة المهدي بكردقان وقع خلاف بين التعايشي وبين أحمد سليمان  
 فامر التعايشي بسجن أحمد سليمان فسجن واتصل الخبر بالمهدي فكد يفقد  
 صوابه لشدة مالحقه من الغضب فارسل الى السجن وأطلق أحمد سليمان  
 وعنف التعايشي على اقدامه على مثل هذا الامر حتى ظن بعضهم انه سيعزله  
 من الخلافة ويقصيه من بين يديه

وقد تغالى المهدي في الثناء على أحمد سليمان حتى قال انه رأى مكتوباً على  
 ساق عرش الرحمن جل شأنه ان أحمد سليمان أمين المهدي عليه السلام  
 وقد قلنا انه كان يكرم ذوى قرابة المهدي ويخصهم بالنصيب الاوفر من  
 المال ولا يعطى التعايشي اكثر من مائة ريال في كل شهر. أما أقارب التعايشي  
 فلا نصيب لهم ألبتة حتى ان يعقوب أخا التعايشي ووكيل رايته كان يتردد  
 على باب أحمد سليمان شهرين أو ثلاثة فلا يمنحه بعدها اكثر من خمسة ريالات  
 وقد رأيت مراراً واقفاً على باب أحمد سليمان موقف اذلاء السـؤال فلا  
 يؤذن له بالدخول الى حضرته



وجملة القول ان من ينظر بعين الامعان يتحقق ان أحمد سليمان كان أقرب مقرب للمهدي وأصدق صدق له وأعظم مستشار أمين عنده حتي ان أولاد المهدي ونسائه لا يجسر أحدهم ان يقول أمامه كلمة تمس أحمد سليمان

ويظهر جليا من هذا ان أحمد سليمان كان لا يأتي أبداً أمراً يوجب انحراف المهدي عنه ولهذا أرجح صدق ما سمعته من الواقفين على كنه سيرة المهدي من ان أحمد سليمان كان لا يضع خيطاً في إبرة بغير ان يكون المهدي الأمر له بوضعه وهو كثير الاختلاء به وكان لا يحجب عنه حتى لو كان المهدي مختلياً بأحد نساؤه وعرفته مفلة وطرقها أحمد سليمان أجابه من الداخل وأذنه بالولوج عليه وهذا منتهى القربى ونهاية الزلفى

ولما توفي المهدي كان التعايشي ينتظر من أحمد سليمان ان يتقرب منه ويخدمه بمثل ما كان يخدم به المهدي ويقود دابته حافياً كما كان يقود دابة المهدي فلم يفعل بل غاية الأمر انه زاد في احترامه للتعايشي رعاية لمنصبه وزاد في مرتبته وخص ذوي قرابته بنصيب أقل من القليل من بيت المال وعكف على البذل والانفاق على أقارب المهدي وزاد أعطية نسائه وأولاده وأمهاتهم

وكان أحمد سليمان يتوقع شراً يصيبه من التعايشي على أثر إفشاء الخلافة اليه وقد ذكرنا كتابه الى محمد خالد زقل وبمسند ان سجن أبو عنجة زقل انتدب التعايشي من بطائنه أناساً ضبطوا بيت المال وكافوا أحمد سليمان بتأدية الحساب عن الدخل واخرج من يد علي بيت المال فسخر من هذا الاقتراح واحتج بأن المهدي لم يأمره بضبط الحساب في دفاتر ولذلك لا يمكنه

أداء مثل هذا الحباب فاصدر أمرا بعزله وزجه في السجن فبقي فيه أكثر من سنة ثم أطلقه وعهد بإتانة بيت المال بعده الى رجل من أهالي جزيرة الخرطوم كان تاجرا في الأبيض اسمه ابراهيم بن عدلان وسمنعود الى ذكر بقية أعماله وما كان بعد ذلك من صلبه

### الاشاعة بعودة الانكليز الى دنقلة

لما أخت الحملة الانكليزية دنقلة احتلها محمد الخير أمير بربري أوائل سنة ١٣٠٣ وصرح مقاتلته الى جهة الشمال حتى بلغوا جنوب حلفا التي كانت يومئذ مقر الحملة الانكليزية التي تقدمت منها بعض طواير وحارب جنود محمد الخير وانتصرت عليهم فاستنتج محمد الخير من تقدم الانكليز الى جنوب حلفا انهم يقصدون التقدم الى دنقلة لاختضاع السودان كله حيث سمعوا بمملك المهدي فاسرع ببلاغ الخبر الى عبدالله التعايشي فانقض هذا الخبر عليه انقضاء الصاعقة وارتاع روعا أفقده الصواب لان تقدم الانكليز يقضي على آماله التي شرع في تأسيسها وهي استبداده بالملك وانفراده بالسلطان اذ يصير ارضاء الخليفة ومنحه بعض السطة واجبين لتوحيد الكلمة لجمع أهل شوره وكتب الى محمد الخير يأمره بالتقهقر أمام الانكليز وتركهم حتى يبلغوا أم درمان وفي اليوم التالي أعلن خبر تقدم الانكليز وأمر المقاتلة ان يسكروا شمال أم درمان فخرجت معهم وفي أصيل النهار لحق بنا التعايشي والخليفتان على حلو ومحمد شريف

ولما مالت الشمس للغروب توضحنا من النهر وصلي بنا التعايشي صلاة المغرب على ضفة النهر ووجوهنا متجهة الى النهر وبعد أداء الصلاة برز القمر

وقرصه مستدير ولونه أحمر كهيئته في مثل ليلته عند بروزه اذ كانت ليلة السادس عشر من شهر ربيع الآخرة سنة ١٣٠٣ فوقف واحد من الدراويش بجانب التعايشي وهو جالس ورفع صوته قائلاً ( السلام عليكم يا أصحاب المهدي عليه السلام ) فردوا التحية فقال حولوا نظركم الى جهة الشرق وانظروا الى القمر كيف برزولونه أحمر قان هل رأيتموه بهذا اللون قط فاجابه الخليفة على حلقه قائلاً لا . لا . لم ننظره أبداً بهذا اللون فقال انني سمعت المهدي عليه السلام يقول ونحن في قدير « اذا فتحنا الخراطوم فان الله يجعل لأصحابي آية يعرفون بها النصر المبين الذي يصاحبهم الى الابد فقلنا ياسيدنا المهدي وما هي تلك الآية فقال هي خروج القمر في لون أحمر « فوقف التعايشي وقال للرجل صدقت يا صاحب المهدي فما أنا اذا أقرأ كتابة على صفحة القمر وهي « هذا نصر المهدي وأصحابه الى الابد » فضج الناس بالتهليل والتكبير حتى خلت السماء قد انطبقت على الارض ثم بعد اداء صلاة العشاء عدنا الى أم درمان وقضيت ليأتي متعجباً من جهالة دراويش المهدي الذين يعلمون ان التعايشي لا يقرأ ما يكتب على القرطاس فكيف يصدقون انه يقرأ ما يكتب على صفحة القمر وأخيراً كذبت الاشاعة وعاد الانكليز الى حلقنا اذ هم في الحقيقة لم يقصدوا التقدم الى دنقلة بل كانوا يقصدون طرد الدراويش من جنوب حلقنا ففازوا عليهم وأبعدوهم عن جنوبها

أما تلك الوقائع فان تفاهيلها لم تصل إلينا من مصادر شتى بروايتها وغاية الامر ان التعايشي لما علم بعدم صحة النبأ ذهب مخافه ولم ينشر شيئاً من تلك الوقائع التي عدها تافهة لا تستحق الذكر

## ذكر انفاذ عبد الرحمن النجمي الى دنقلة

في أوائل سنة ١٣٠٣ انفذ التعايشي عبد الرحمن النجمي الى بربر ومنها الى دنقلة ومعه جميع المقاتلة التابعين لراية الخليفة شريف فوصل الى دنقلة في أواخر السنة واتخذ مدينة (المرضى) قاعدة إقليم دنقلة معسكره العام ووصلت طلائع جيشه الى جنوب حلفا وسنعود الى (ذكر دنقلة) خبره الى قتله في واقعة (طوشكي) والله الموفق

Digitized by the Alexandria Library

Beirut

## انتقاض دارفور علي التعايشي واخضاعها

لما غادر محمد خالد زقل دارفور هب رجل اسمه يوسف من ذراري سلاطين دارفور واستخلص البلاد من ايدي الدراويش الذين تركهم بها زقل ونودي به سلطانا علي اقاليم دارفور كما كان اسلافه فكتب التعايشي الى عثمان آدم جانو يأمره بمحشد أهالي كردفان والتقدم بهم الي دارفور لاختضاعها فحشد جيشا يربو علي الخمسين الف مقاتل منهم نحو عشرة آلاف كانوا مسلحين بالاسلحة النارية وهجم بهم علي (الفاشر) عاصمة دارفور فقايله السلطان يوسف في جمع كثيف ودافعوا دفاع الابطال وانجبت الحرب عن هزيمة أهل دارفور وقتل السلطان يوسف ودانت البلاد بطاعة المهديونية فاستولي عليها عثمان آدم وأخذ يوالي الغارة علي الجبال التي حول دارفور فاجتمع لديه من الارقاء زهاء عشرين الف مقاتل مسلحين بالاسلحة النارية

وأرسل عثمان آدم بما غنمه من دارفور الي التعايشي علي مألوف العادة وأرسل اكثر من ثلاثمائة فتاة من فتيات دارفور سبيا الي التعايشي الذي سر

من عماله وكتب اليه بالولاية على إقليم دارفور وكردفان وجعله قائد جيوشها  
وسياقي ذكر بقية أعماله وحروبه مع أبي جيزة مدعي المهدوية

### ذكر محاق قبيلة الشكرية بالحبشة وقتل زعمائها

في أوائل سنة ١٣٠٤ كتب التعايشي الى قبيلة الشكرية يدعوها الى  
الشخص الى أم درمان بماشيته وكانت وقتئذ نازلة في باديتها بصحراء (ريره)  
بين نهري (اتبره) والنيل الارزق فايقنت ان دعوتها الى أم درمان لم تكن  
لغير نهب ماشيتها ومدايرتها فعولت على الالتجاء الى بلاد الاحباش وكان  
زعيمها عوض الكريم بن أبي سن الذي ذكرنا أخباره مع المأسوف عليه  
غردون وقدوة على المهدي تأبئا نادما مقيما يومئذ في أم درمان

وبعد أيام قلائل من دعوة التعايشي لقبيلة الشكرية جاءته الاخبار  
بمدايرتها ديارها ولاحقها ببلاد الاحباش فاحتدم غيظا وأمر بالقاء القبض على  
عوض الكريم بن أبي سن وسائر أفراد أسرته الذين هم من قبيلة الشكرية فقبض  
على نحو مائتي رجل من خيارهم وكبّلوا بالحديد وزجوا في السجن حتى  
أمر التعايشي بقتلهم صبرا فقتلوا جميعا ولم ينج منهم أحد

أما الذين هاجروا الى الحبشة فلم يكونوا أسعد حالا من الذين قضى  
عليهم في السجن لان رداوة هواء بلاد الحبشة استأصلت إبلهم التي كانت  
تعد بمئات الالوف وأبادت نفوسهم التي يقرب عددها من ثلاثمائة ألف  
نسمة. وبالجملة فان تلك القبيلة التي كانت من اكبر قبائل السودان واكثرها  
ماشية وأشدها بطشا وقوة هلكت عن بكرة أبيها وذهبت ماشيتها ولم يبق  
منها غير بضعة آلاف نسمة متفرقين في البلاد وهم في نهاية الفقر المدقع

ذكر قبيلة الضباينة والقبض على زعيمها في الجهات الجنوبية  
 في نهر ( اتره ) قبيلة تسمى الضباينة يربو عدد نفوسها على أربعمائة ألف  
 نسمة ولها من الماشية من نوع الابل والبقر ما يربو على ماشية قبيلة الشكرية  
 وهي رحالة وزعيمها محمود عيسى زائد الشامى وهو من أسرة تولت زعامة  
 تلك القبيلة منذ قرون وتؤكد هذه الأسرة ان جدها شامي قدم السودان  
 من الديار الشامية منذ قرون أيضا وكان محمد زائد هذا ذا ثروة واسعة وله من  
 الموالى والارقاء مالا يدخل تحت حصر حتى انك ترى قرى مملوءة بارقاؤه  
 وكان كريما جودا يقري الضيوف ويمطى المال بآلاف الريالات وكانت له  
 قصعة من الحشب يحماها خمسون رجلا . وقد أخبرنى واحد من الذين  
 حضروا مصادرة أمواله انهم أحصوا النوق الموسومة بالنار على نخذه  
 الايمن اشارة الى انها معدة لركوبه خاصة لا يسوغ لاحد من مواليه  
 أو أسرته ركوبها اجلالا لمقامه فكانت نحو أربعة آلاف راس من اكرم  
 أنواع النوق والهجن

وكان محمود عيسى زائد ينفذ المهدوية ويبطن ولاء الحكومة وان  
 كان يمالئ المهدوية ويتظاهر بطاعتها حتى ان عثمان دقنة كان يكتب له قبل  
 سقوط كسلة محرضا على وجوب شن الغارة على حامية (الجيرة) قبل سحبها  
 لانها قريبة من قرية ( التومات ) محل اقامته فلا يفعل وبعد أن سقطت كسلة  
 أرسل عثمان دقنة نحو أربعة آلاف مقاتل تحت قيادة دوض الكريم  
 كافوت الجعلى فقبضوا على محمود عيسى زائد على غرة وصادروا أمواله وحملوها

الى الخليفة التعايشي ومن جهتها (القصة) التي جعلها التعايشي اناء يتسدم فيه شيئاً من تافه الطعام الى المدعوين في أيام المراسم والاعياد ولكن محمود زائد كان يقرى ضيوفه بملئها صباحاً ومساءً طعاماً نفيساً هو خليط من قح ولحم وابن وسكر أو عسل مصفى وسقيق. محمود زائد الى التعايشي يرسف في القيود والاغلال فطرحه في السجن وفي سنة ١٣٠٧ اسأصل الزاكي طمل قبيلة الضباينة وأطاع الخليفة محمود زائد فأت غمابهـ ان أصابه من عذاب السجر فمدان القوة ما برح به خمس سنوات متواليات

### ذكر انتقاض قبيلة جهينة

ذكرنا بعض اخلاق وعادات قبيلة جهينة التي تسكن جنوب سنار وقلنا ان زعيمها المهدي اباروف شخص الى المهدي في جبل (قدير) وعاد من عنده داعياً له في قومه الذين جمعهم وظل يحارب بهم مدينة سنار حتي سقطت ثم عاد الى بلاده فيما وراء سنار

وفي أوائل سنة ١٣٠٣ أرسل التعايشي جاليا بقاريا اسمه أبو ام فضالي لجباية الخراج من قبيلة جهينة وسائر البلاد الواقعة جنوب سنار فحملهم من أنواع المظالم وضروب الخيف ما عجزوا عن تحمله فرفعوا شكواهم الى التعايشي الذي عنفهم واتهمهم بالروق من الدين لأنهم شكوا اليه أصحاب المهدي فهبت قبيلة جهينة وزعيمها وأخرجت ابا أم فضالي قسراً من بين ظهرانيها واعلنت خروجها على التعايشي الذي لما اتصل به هذا النبا أسرع بانفاذ نحو خمسة آلاف مقاتل جلهم مسلح بالاسلحة النارية فطاردوا قبيلة جهينة وقتلوا زعيمها المهدي اباروف واسرته وأصدر التعايشي أمراً بمصادرة أموال هذه

القبيلة وانفذ الامراء الى الجهات الي بها مساكنهم فكنت ترى الابل والبقر قد ضاقت بها الارض على وسعها ونزلت أثمان الذرق حتي صار ثمن الواحدة خمسة قروش مصرية وزاد الطين بلة مصادرة ماشية قبيلة الكبابيش في نفس الوقت الذي صودرت فيه أموال جهينة وماشية الكبابيش تربو على ماشية جهينة كما سنوضحه فيما سيأتي

والحاصل ان قبيلة جهينة بادت كلها وذهبت ماشيتها ولم يبق منها ولاؤها للمهدي وقيامها ضد الحكومة

### ذكر حرب قبيلة الكبابيش

ذكرنا قتل ابن زعيم قبيلة الكبابيش في الابيض لما كان المهدي نازلا بها وعلى أثر قتله جاهرت قبيلة الكبابيش بالمصيان على المهديونية وابتعدت من المناهل والمراعي القريبة من كردفان وتوغلت في الصحراء التي بين كردفان ودنقلة

ولما استولت المهديونية على الخرطوم وانسحب الانكليز من دنقلة كتب التعايشي الى الشيخ صالح زعيم الكبابيش يدعو الي الطاعة ويعدده تارة ويتوعدده أخرى فلم يلتفت الي وعده ولم يرهب من وعيده بل توغل في الصحراء حتي صار على مقربة من الواحات الجنوبية فانتدب التعايشي محمد نوباوي شيخ قبيلة بني جرار التي هي بطن من بطون قبيلة الكبابيش وهو الذي دخل على الطيب الاثر الجنرال غردون وقتله

وانتدب التعايشي معه عددا كبيرا من الفرسان فساروا من أم درمان مخترقين الصحراء حتي بلغوا منهل (أم بادر) وكان الشيخ صالح نازلا به



ومعه نحو مائتي رجل من أسرته ومواليه وبقية القبيلة متفرقة في المراعي  
والمناهل فاحاط محمد نوباوي بخيام الشيخ صالح في الغلس فانتبه من في  
الخيام مذعورين وركب الشيخ صالح فرسه وكذلك بقية من معه وأخذوا  
يطلقون الرصاص على الدراويش حتى نفذت ذخيرتهم فاستلوا سيوفهم وهجموا  
على صفوف الدراويش فاخترقوها وزحزحهم عن مواقعهم وأصيب الشيخ  
صالح برصاصة في ذرائه فخر صريعا عن جواده فتقدم اليه محمد نوباوي ليشد  
وثاقه فابتدره بالشم ولعن المهدي وخليفته وقال له أمثلي يساق أسيرا فامتنع  
محمد نوباوي عن قتله احتراماً لما بينهما من صلات النسب فتقدم أحد  
الدراويش وقتله وحز رأسه ورؤس اخويه ورجال أسرته الذين سقطوا  
قتلى بعد اصابته وحملت الرأس الى التمايش فسر بها وخرسا جداً على ما أوتيه  
من النصر وانتدب الزاكي عثمان ومعه كسبة وجنود ووجههم الى محل الواقعة  
كي يجمعوا الغنائم وبلغني من أولئك الكسبة ان عدد الرؤس من الابل كان  
يربو على مليون ويقرب عدد البقر من الخمسمائة الف رأس أما الماشية  
الصغيرة فانهم لم يعتنوا بتعدادها لكثرتها وأرسلت هاته الماشية وبيعت مع  
غنائم جهينة في أم درمان وقد ذكرنا أن ثمن الناقة انخفض الى خمسة قروش مصرية  
وجي بالجماعات من النساء سبايا وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة

وكانت قبيلة الكبابيش هذه أعظم قبائل السودان وأكثرهن ماشية وثروة  
وزعيمها أغني زعماء القبائل في السودان وكان قد وفد منذ خمسة وعشرين عاماً على  
المنفور له الخديو اسماعيل باشا وقدم له هدايا وتحفا فآكرم وفادته وأعاده الى بلاده  
بالعز والاکرام ومن أعجب ما شاهدته ان اكبر بنات الشيخ صالح هذا كانت تحمل  
على رأسها في أم درمان اناء تبيع فيه الماء لتحصيل قوتها وقد كانت هذه المرأة

وسائر نساء أسرتهما يلبسن ثياباً من خالص الصبر وإذا خرجت احداهن من دار الى أخرى مشي حولها مائة من الجوارى وعلى كل واحدة من الحلى ما لا يقل عن مائة أوقية من الصبر يظان على مولاتهن بالاردية الحربية وقد شامت اكثر هاته القليلات متسولات في الاسواق فسبحان المعز المذل

وفي ذات يوم كنت جالساً بالقرب من مقصورة التياشي فقال له أحد جلسائه ان بنت صالح زعيم الكبايش تبيع الماء اتوت يومها فظهر الأسف وقال من الواجب علينا اكرامها وأرسل في طلبها فجاءت نسائها عن حالها فاجابته واكثرت من الثناء والاطراء عليه فامر أحد غلمانه باعطائها شيئاً من النقود ضمته في كفها وخرج بالناس وراءها ليلاءوا ومتدار جائرته فاذا هي سبعة ريالات من عملة النحاس تقدر قيمتها بسبعة قروش مصرية فقالت المرأة انظروا لجائزة الخليفة ومبلغ اكرامه لمثلي

هذا وجملة القول ان قبيلة الكبايش بادت ولحقت بغيرها من القبائل والدوام لله وحده

### ذكر القبض علي شارل نيوفيلد

شارل نيوفيلد ألماني استوطن اصوان مزاولاً مهنة الاتجار بتقديم لوازم الجيش في الحدود فاحرز من هذه الحرفة ثروة واقتنى عقاراً وزاد في ثروته انه منذ بداية أمره كان يحسن معايشة الوطنيين ويتشبه بهم في الاخلاق والمعادات حتى كأنه واحد منهم ولم يظهر على ملامحه انه متكلف لهذا التشبه حتى نال حظوة عظيمة عند جميع السكان زادت في نجاحه وفتحت في وجهه

## أبواب الكسب وساعده على احراز الثروة

وفي أواخر سنة ١٣٠٣ أنفذ الشيخ صالح زعيم قبيلة الكبايش الذي تقدم لنا خبر قتله وفدأ الى الحكومة الحديوية يسالها امداده بالاسلحة والذخيرة ليقوى على دفع غارة المهديين عن نفسه فاعطت الحكومة رجال الوفد مائتي بنديقة من طرز رامنجنون بذخيرتها وأخذوا في الالهبة والاستعداد لاختراق صحراء الجلب من حلقا الى منارل قبيلتهم وفي إبان ذلك اجتمع شارل نيوفيلد بتاجر من أهل كردفان اسمه خوجال أم برير فقال له التاجر ان لدي كمية وافرة من الصمغ والعاج وریش النعام فاتفقا على ان يذهب نيوفيلد صحبة وفد الكبايش وبواسطة نفوذ زعيمهم يخترق بقية الصحراء الى الابيض ومن هناك يحمل الصمغ والعاج وریش النعام بنير ان يشمر به أحد من دروايش المهديوية وقد جعل له خوجال نصيبا وافرا من تلك السلع نظير مخاطرته التي يتذمر منها نجاحه ووصوله الى مقصده

وقد عرض نيوفيلد أمره على ولاية الامور في الحدود فلم يمانعه فنادر حلقا صحبة الوفد ومعه محظية حبشية وكان دليل الوفد ميالا لجهة المهديين فابلق عبد الرحمن النجومي الذي كان وقتئذ في دنقلة وأطلعه على خطة سيره وارشده الى المكان الذي يقابلهم فيه المبعوثون من عنده فصار شارل نيوفيلد مع الوفد وهو لا يعلم شيئا من القدر المخبوء له فصار بهم الدليل في بادية معطشة حتى وفقدوا الماء مدة أربع وعشرين ساعة

وكان النجومي قد أنفذ وراءهم خمسمائة راكب تحت قيادة محمد حمزة الانقريابي وبينما كانت القافلة سائرة والظما قد بلغ خائسته من رجالها والدليل يهدمهم بقرب الوصول الى الماء اذ داهمهم العدو على غرة وتمكن من ائثارهم فانحاز

الرجال الى ربوة مرسية واطلقوا النيران دفاعا عن انفسهم فهلك من هلك  
وأخذ الباقون اسري وصعدنيوفيلد على مكان آخر مفضلا الموت على الوقوع  
في اسر أولئك الطغاة المتوحشين فامسك العدو محظيته وجعلها بعضهم كترس  
يتقي به مقذوفات مولاها الذي شلت يمينه عند ما تحقق انه يقتل محظيته  
اذا أصر على عزمه الاول فاسلم نفسه ووقع أسيراً في يد العدو الذي جرده  
من ملابسه ووضع الاغلال في عنقه وساقه ماشياً على قدميه حتي لمغ ذنقة  
بعد مسيرة عدة ايام فامر عبد الرحمن النجمي بصلب أسرى الكبابيش وارسال  
شارل يوفيلد الى الطاغية التمايشي بام درمان

ولما أوقف بين يدي التمايشي صاح قائلاً هذه صفة الكافرا التي وصفها  
لنا المهدي ثم عرض عليه اعتناق الاسلام فابى فامر بصلبه فسبق الى  
محل ( المشنقة ) ثم ارجعوه الى التمايشي وهكذا فعلوا ثلاث مرات وبعد ايام  
رضى باعتناق الاسلام ديناً ونطق بالشهادتين واذا ذاك أمر التمايشي بترجه في  
السجن حتي اطلقه للورد كشنر باشا وسنعود الي ذكر بقية حوادثه والله الهادي

### ذكر حروب الاحباش الي قتل النجاشي يوحنا

تقدم لنا ذكر اول واقعة جرت بين المهديين والاحباش التي انتصر فيها الرأس  
الولا على عثمان دقنة في كوفيت وقبل الكلام على هذه الحروب نذكر طرفاً يمتلئ  
( بالقلابات ) وما يتبهما من بلاد ( القصارف ) مواطن تلك الحروب الهائلة فنعول  
القلابات اسم لبلدة على شاطئ نهر ( اتبره ) جنوب القصارف وهي آخر  
حدود الحكومة الخديوية في بلاد الاحباش من جهة الجنوب بالنسبة لموقع  
بلاد القصارف

وكان سكانها الاقدمون من دكرور الودن الغربي ولا نعلم كيف جاؤا  
من بلادهم واخترقوا السودان من الغرب حتى وصلوا لآخر نقطة من  
شرقه الجنوبي وكان أولئك السكان يؤثرون جزية لملك الحبشة

ولما احتلت الحكومة الحديوية السودان جعلت القسلايات من أهم  
المواقع التي حصنها لدفع غارة الاحباش عن بلادها وكان آخر زعيم من  
أولئك لدكروريين صالح شنقه الذي نال من الحكومة الحديوية لقب بك  
واستمر على دفع الجزية للاحباش كما كان اسلافه

أما القصارف فانها البلاد الواقعة شمال القسلايات يحيط بها نهر  
(اتبره) من جهتي الجنوب والشرق وهي بلاد مخصصة جداً وتجارها واسعة  
وفها من النباتات مالا يوجد في السردان كله وثمر ما يحمله الجمل من  
الذرة من نوع اسمه (الكركي) يخالف الذرة الرفيعة بعظم حبه وبياض لبه  
الذي يستخرج منه مواد نشوية تشبه ما يستخرج من الارز بضعة قروش  
مصرية وفي بلاد القصارف غلة تشبه الحلبة في اللون الا ان طعمها كالشهد في  
الحلاوة اسمها (الشمشم) تفلي على النار بالماء فتتحول الى حلاوة الشهد  
فيأكلونها ويشربون ماءها

وعاصمة هذه البلاد تدعى (ولد أبوسن) وهي مدينة كبيرة  
فيها منازل مشيدة بالابن الاحمر والآجر وقصور شاهخة مشيدة بالاحجار  
وأصحابها تجار مصريون وسوريون ويونان وبعض من الفرنسيين والارمن  
وحول هذه المدينة حدائق غناء وفواكه لذيذة كالعنب والتين  
والقشطة والموز والمان والبورقال ومن أعجب ما علمته عن القصارف ان  
النخل يثمر فيها مرتين في السنة وكذلك العنب الذي يثمر مرتين في السنة

مرة في الشتاء وأخري في الصيف موجود فيها وفي الخرطوم  
وفي القضارف مدن أخرى غير عاصمتها يسكنها أتراك ومصريون  
ويونان وأرمن وهي لا تقل عن عاصمتها وأشهرها (عصار) و (دوكه)  
وسكان القضارف قيمان سكان القري وسكان البوادي الذين جلبهم من قبيلة  
(الضباينة) التي تقدم لنا ذكر زعيمها محمود عيسى زائد وكلتاها متوفرة لديها  
أسباب المعيشة ومتحصلة على نعومة العيش من أسهل الطرق وأقربها  
وسياقي ذكر خراب تلك البلاد وانها الآن قفر ليس فيها عشرة آلاف  
ساكن بعد ان كان تعداد سكانها يربو على مليون نسمة

وكان لعوض الكريم أبي سن زعيم قبيلة الشكرية الذي قتله التمايشي  
صبرا ابن اسمه عبد الله أمه من قبيلة الجعليين مال الي اخواله ورغب عن  
خطة والده وقومه الشكرية وعدوهم عن قبول دعوة المهدي وقدم على  
المهدي الذي ولاد الدعوة له في القضارف فقام بها وأدخل البلاد في دعوة المهدي  
وكان في منزل صالح شنته زعيم دكروري القلابات رجل يعلم الصبية  
القرآن الشريف فلحق بالمهدي وعاد من عنده يحمل أوامره بالدعوة له في القلابات  
فانسحبت حامية القلابات الي بلاد الحبشة انفاذا للمعاهدة التي أبرمت بين  
الاحباش والحكومة الحديوية فاحتل ذلك الداعية القلابات باسم المهدي ومنع  
اداء الجزية للاحباش الذين كانوا وقتئذ مشغولين بدفع غارة الايطاليين عن  
بلادهم في الجهات التي تلي ساحل مصوع واسم هذا الداعية محمد بن ارباب وغادر  
صالح شنته القلابات مع الحامية ولم يشأ البقاء فيها

هذا وقد كانت دعوة المهدي قد دخلت في بلاد الحبشة على يد رجل  
من أمراء الاحباش المسلمين اسمه محمد جبريل وقد على المهدي قبيل وفاته

بأيام قلائل فإماده إلى بلاده بمنشور دعا الأقباش فيه إلى اعتناق الإسلام  
وطرح النصرانية والاجتماع على طاعة محمد جبريل لقتال الكفار وهاهي صورة  
المنشور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله مع التسليم  
وبعد فن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى أهالي (قبراقوما  
وقبا وحما ولموا والنارية بلد البن وليكاونونوا ولي بن وهروسي وقبا وكفاه  
وكونتا وكويشاوشتا وقونه ولا مواو اباردروكو اونسوا وسوروا) وفقهم الله  
لطااعته واتحفظهم بمرضاته آمين بعد السلام عليكم اعدوا وفقكم الله لما يحبه  
ويرضاه وجعلكم من الفائزين ان الدنيا قد ولت مدبرة وان الآخرة قد  
ترينت مقبلة ومع ذلك فانما في الدنيا خسيس جدا وما في الآخرة نفيس  
جدا وعلى العاقل ان يسمى لنفيس دائم ويعرض عن خسيس فان كثيرا  
ما حل بآبناء الدنيا من الدمار والحسرات وكثيرا ما اجتبي الله آبناء الآخرة  
ورفعهم اعلا الدرجات وأجزل لهم المسرات وأنواع الخيرات وان الله تعالى  
قد أظهرني رحمة للمؤمنين وبغية للصالحين وسيفا قاطعا للملحدين فن أراد  
الله سعاده ونجاته من خزي الدنيا والآخرة لباني وأجاب دعوتي ونصرني  
وآوانى ومن غلبت عليه شقوته أعرض ونأى وكذب وعصى فن لباني فاز ونال  
من الخير العظيم ما لا يعد ولا يحصى ومن أعرض فقد دمره الله وخذله خذلانا  
مبيننا وحيث فهمتم هذا البيان فاني على حسب المصلحة الدينية قد عينت لكم  
السلطان محمد جبريل عاملا عليكم في دين الله لأقامته ودعاية العباد إلى  
سلوك سبيل الرشاد فينبغي بوصول هذا عندهم ان توازروه وان تشدوا

عضده وتسموا أمره ربه مادام على الحق والصدق وان تحاربوا معه كل من ضل واعرض عن الاتباع وسلك طريق الزوايا والابتداع ولا تركزوا الى الراحة والبطالة فان الجهاد فضل عظيم وثواب جسيم منوه عليه بسواطع أدلة القرآن العظيم وأحاديث النبي الكريم. وكفى من ذلك قوله تعالى «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم» الآية وقوله صلى الله عليه وسلم «رب غدوة أو راحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» أو كما قال وحيث كان كذلك فاذا وصلكم جوابي هذا فشمروا في طاعة الله ورسوله وابذلوا أرواحكم في نصرة دين ربكم بحيث من كان منكم على دين النصرانية يرفضه ويدخل الاسلام ويبادر بالتسليم والانخراط في سلك المهدي قال تعالى «ان الدين عند الله الاسلام» «وانيبوا الى ربكم وأسلموا» انه من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين تري العذاب لو أن لي كرة فاكون من المحسنين «فرد الله على من هذا حاله بقوله «بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة تري الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة» الآية فهذه الآيات وما مثلها مما يرغب في دين الاسلام والتسليم لامر المهدي وينفر عما سواه وأما من كانوا منكم على دين الاسلام فتأييده وتشييده هو غايه مقصودهم فليشمروا في نصرتنا ابتغاء مرضات الله ادام الله توفيقكم وجعلكم من



عباده المؤمنين آمين وفي هذا كفاية لمن له قلب والسلام ١١ شعبان سنة ١٣٠٢  
وأنت أيها الأمير محمد جبريل أوصيك بتقوي الله في شرك وعلايتك وإيثار  
آخرتك على دنياك وأن لا تقدم على أمر مالم تعلم حكم الله فيه فان الامارة  
خطرها عظيم وخطبها جسيم ولا بد لصاحبها من الخلود في النعيم المقيم أو  
العذاب الاليم قال تعالى «فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى  
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى» ونظرا  
لذلك فان امارتنا لك معلقة على شرط اتباع الكتاب والسنة فان غيرت أو  
بدلت فلا امارة لك فافهم ذلك واسترشد به ولكمال المعلومية لزممت التحشية  
في تاريخه

هذا ولما دخلت دعوة المهديوية في بلاد الاحباش ادرك النجاشي يوحنا خشونة  
مركبه ومغلبة أمره حيال هذه الدعوة التي هاله انتشارها فلم ير وسيلة لدفع  
شرها غير التدرع بالجبروت ومقاومة دعايتها بضروب القوة والقهر بيد أنه  
تعالى في هذا السبيل حتي فقد الروية والنظر القصي للعواقب فانشب مخالب  
الاضطهاد الديني في مسلمي رعيته وخالف تقاليد اسلافه حيث اكره نحو  
مائة الف من أهل القبلة على اعتناق النصرانية وعذبهم عذابا اليا

على ان حرية الاديان في بلاد الحبشة كانت لا تزال بالغة حد الكمال  
حتى ان شقيقة النجاشي يوحنا اعتنقت الاسلام وتزوجت باحد الامراء المسلمين  
فلم يمنعها اخوها ولم ينقصها شيأ من الاحترام الواجب لمثلها  
وقد قام كثير من أمراء الاحباش المسيحيين ومحضوا النجاشي النصيح بالمدول  
عن هذا الاكراه فلم يكثرث بنصيحهم وظل على رأيه القائل وكان منديك  
نجاشي الحبشة الحالي أول معترض على عمل النجاشي يوحنا

وعلى أثر ذلك نزح كثير من مسلمي الاحباش ولحقوا بالتعايشي فولى عليهم رجلا منهم اسمه (محمد فقرا) وعسكروا في الشمال الشرقي من القلابات عند نهر (اتبره) بالقرب من جهة (العراديب) وسماهم معسكرهم (تبارك الله)

وفي أواخر سنة ١٣٠٣ وفد على التعايشي محمد أرباب أمير القلابات فأكرم وفادته وأعطاه أسلحة نارية وخيولا وأعادته الى القلابات وأوصاه بالغارة على اطراف بلاد الاحباش فاغار عليها في تلك السنة وخرب عدة قري وأحرق السكناس واتفق ما فيها من التماثيل وكذلك أغار محمد فقرا على القرى التي هي حيال معسكر (تبارك الله) واتخذ في أهلها

وكان في جهة (غبته) اعرابي اسمه عجيل الحراني في السودان الشرقي فر باكثر قبيلته من وجه المهدويين ولجأ الى بلاد الاحباش فامدوه بالأسلحة ووكلوا به الدفاع عن حدودهم في جهة (غبته) فكان يوالي الغارة على القرى التي على ضفة نهر (اتبره) وكانت غاراته لا يلحق المهدويين منها أقل ضرر بل كان شرها واقعا على الضعفاء سكان تلك القرى الذين دخلوا في طاعة المهدويين قسرا وفي أوائل سنة ١٣٠٤ تواترت الاخبار بتقدم الاحباش الى معسكر القلابات و (تبارك الله)

وفي أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٣٠٤ هجم الراس عذار على محمد أرباب في القلابات وقتله واكثر مقاتلته وفر الباكون الى (القضارف) وهجم جيش حبشي على محمد فقرا في (تبارك الله) فخر بجميع مقاتلته عند ترائي الجمعين ولحق بالقضارف أيضا وطارت الاخبار بذلك الى التعايشي في أم درمان فانتدب يونس بن الديك في عشرين الف مقاتل فسار من أم درمان الى

القلابات فوصلها في شهر رجب وانسحب الاحباش منها بغير قتال  
ولما استقر يونس بجيشه في القلابات بذل الامان لتجار الاحباش فجاءوا  
اليها بسلامهم فوثب عليهم وصادر أموالهم وساقهم اسرى يرسفون في القيود  
والاغلال الي أم درمان فاذاع التعاشي بين الناس ان يونس غزا بلاد الحبشة  
وخرّب عدة مدن واستولي عليها وأن هؤلاء اسري تلك الوقائع ولم تمض أيام  
حتى ظهرت الحقيقة وعلم الكل ان أولئك الاسرى كانوا تجارا أمهم يونس ثم غدر  
بهم ونهب أموالهم وساقهم اسرى الي التعاشي

أما يونس الدكيم هذا فانه تعاشي من قبيلة التعاشة وكان فقيراً لا يملك  
شروى نقيز وهو أحد أزواج والدته التعاشي قدم على المهدي في الابيض  
وبقي مع التعاشي يقاسى من شظف العيش أمره حتى توفي المهدي فجعله  
التعاشي قائداً على نحو عشرين الف مقاتل وله نوادر مضحكة تدل على سخافة  
عقله. منها ان الناس كانوا يأتونه فاذا وقفوا بين يديه صوبوا نظرهم الى الارض  
فيقول لهم لماذا لا ترفعون ابصاركم نحوي فيقولون وهل يستطيع أحد النظر  
الى وجهك الذي يفوق وجه السبع فيرتاح الي ذلك ويأمر بعزف الطبول  
ويركب جواده ويأمر مقاتلته باطلاق النيران في الهواء. ومنها انه اذا جلس بين  
اتباعه فلا كلام له غير الثناء على نفسه ومنها انه كان يقول اذا التقينا بجيوش الترك  
نقتل في الدقيقة مشات منهم ونحترق صفوفهم ونرحزهم عن مواقفهم الي غير  
ذلك من الاكاذيب فقد علم الخاص والعام ان يونس هذا من أجبن خلق الله وانه  
يفر من مواطن القتال كما تفر النعامة من مفير الصافر

ومن أعجب خرافاته انه كثيراً ما كان يقول انه سيفتح لوندرة عاصمة  
الانكايز وانه سيتزوج باكرم عقيلاتها

وصلى بالناس مرة صلاة الظهر ثماني ركعات فقال له أحد الحاضرين اسجد للسهو فغضب وقال وهل أنا جاهل حتي يرشدني مثلك فان سجود السهو لا يكون للزيادة بل للنقص لان العبد اذا أمره مولاه بحراثة أربعة أفدنة مثلاً من أرضه ثم رأى نفسه قادراً على حراثة ثمانية أفدنة فخرث موجباً لرضى مولاه عنه بخلاف ما لو أمره بحراثة أربعة أفدنة فخرث ثلاثة أو اثنين فان هذا النقص يكون موجباً لغضب مولاه عليه وحينئذ يجب ان يقدم المذرة وهذان المثالان ينطبقان على الصلاة ثم أمر بالرجل فجند بالسياط حتى مزق جسمه وسيق الى السجن وخزعت يونس كثيرة يضيق المقام دون سرد القليل منها والحاصل انه كان جاهلاً سخيف العقل ظالماً غشوماً قاتله الله

وفي أوائل سنة ١٣٠٤ استقدم التعايشي حمدان أبو عنجة من الجبال فقدم في جيش عمر مرم ومكث بام درمان بضعة شهور ثم انفضه التعايشي الى القلايات لتعزيز الحامية التي بها حتي تصبح قادرة على أخذ الثار من الاحباش فسار أبو عنجة قاصداً القلايات وبينما كان سائراً في الطريق لفته ظهور رجل فيها ادعي انه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه

ولما وصل أبو عنجة الى القلايات وعرض على يونس أوامر التعايشي بتوليته القيادة العامة على الحامية أرسل يونس يبلغ التعايشي ذلك الخبر فامر ان يسير حيال هذه المسألة بماضى عزيمته المعروفة مطيعاً لابي عنجة

أما ذلك المتنبي فانه من أهل دكرور وله معرفة بضروب السيمياء والشعوذة حتى انه كان يصنع امام الملائكة اشياء من تلك الخزعبلات يخاطها الرائي حقيقة لا ريب فيها

وأصل ذلك المذكور من جيش يونس الحكيم غادر أم رمان معه  
 وكانت أمي طائفا حديثه نفسه بأنه سيبلغ أربه من احتمال دعوي انه  
 عيبي روح الله لما اشهر من ان نزول المسيح عليه السلام يعقب  
 ظهور المهدي المنتظر فجهر بدعواه وصنع امام الناس خيالات من السيمياء  
 ظننا دراويش المهدي الاغبياء من أعظم المعجزات فآمنوا بذلك الكذاب  
 وبايعوه علي الطاعة العمياء وبايعه سبعة عشر قائدا من اكبر قواد جيش  
 المهديوة الذين مع يونس ولم يداخلهم ادنى شك في صدق ما ادعاه  
 ومن العجب ان بين أولئك القواد ابن بقارى وهو فقيه من عائلة بقارى  
 التي لها مدرسة يؤمها طلاب العلم في جزيرة السودان

وعرض السبعة عشر قائدا أمر تلك النبوة على قائدهم العام يونس  
 فرافقهم الي محل الرجل ورأي من خزعبلاته مارج على عقله الذي هو اكثر  
 سخافة من عقول قواده السبعة عشر الا انه خاف عاقبة الاسترسال في هذا الامر  
 فارسل يبلغ التعاشي بتفصيل المسألة سرا

ولما وصل أبو عنجة الي القلابات ومعه اكثر من أربعين الف مقاتل  
 وكثير من المدافع والسواربخ وبضعة آلاف فارس أحاط بالمعسكر احاطة السوار  
 بالمعصم واستدعي يونس ووضع يده على مخازن الذخيرة واستولي على الجبه خانة  
 ثم قبض علي المتنبي وسأله عن دعواه فقال انه جاء بعد المهدي وان الله أرسله  
 لشد عضد التعاشي فقال له ألت فلان بن فلان ولا تزال امرأتك  
 وبنوك بام درمان فاجاب بالسلب فامر بصلبه فصلب ثم قبض على السبعة  
 عشر قائدا الذين صدقوه وقال لهم ها هو صاحبكم مصلوب فقالوا كلا بل  
 شبه لكم وقرؤا قوله تعالى «وما قتلوه وما صابوه» الآية فامر بهم فصلبوا

وعادت المياه الى مجاريها وتبددت غياهب الفتنة التي كنا نظن انها تأتي بانقلاب  
يكون من ورائه فرج قريب وما ذلك الا لانا كنا كالغريق يتشبث بسعفة  
تقاذفها الامواج

ثم استمدعى التعايشي يونس الدكيم الي أم درمان وعنفه علي  
ما ظهر من خوره وضعف عزمته حيال دعوى ذلك الكذاب وسيأتي ذكر  
تعيينه على دنقلة

ولما اتصل بالتعايشي نبأ مهلك ذلك الكذاب خرج ذات يوم ويده  
منشور فرقي المنبر الذي أعده للخطابة وكان منبر المسجد العام في الخرطوم  
فنقله الي أم درمان وأعده للخطابة وقص على الناس أمر ذلك المتنبئ ثم دفع  
المنشور الي من يقرأه وفيه بعد البسلة والحمدلة مائنه

وبعد فيقول عبدربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن  
السيد محمد خليفة الصديق وأمير جيش المهدي لما أتى الخبر بصلب الشخص  
المدعى كذبا انه نبي الله عيسى وصلب أعوانه الذين صدقوه داخلتي شفقة شديدة  
على هؤلاء لانهم من أصحاب المهدي عليه السلام الاقدمين فاستغفرت الله لهم  
فانكشف لي حالهم انكشافا روحيا فرأيتهم بعيني في طبقات جهنم وابن بقاري  
في الطبقة الاخيرة منها وقد شفعت فيهم لجاء النبي صلي الله عليه وسلم  
والمهدي عليه السلام فقالا لي انهم ماتوا وهم كفار ولا شفاعة فيمن يكفر  
بالرحمن اه ملخصا

على اننا نستدرك هنا تفصيل شيء من الشعوذة التي أثرت على عقول  
أولئك الاغبياء فنقول ان هذا الرجل كان يدعو الاشجار فتسمى اليه واذا  
سأله المطر في غير أوانه جادت السماء بمطر كأفواه القرب ولكن لا يتجاوز

دائرة جارسه وانتخت جثته مرة فمألت غرفة كان فيها وخرجت من  
نوافذها زارهم مرة اشباحاً في النضاء لم يشكوا في انها ملائكة السماء نزلوا  
لخدمته وموازرتة وبالجملة فان هذا الرجل كان بارعاً في الشعوذة متضلماً من  
علم السماء بكيفية لا يدرك كنهها أولئك الاغبياء

### ذكر فتح قنندر بالحباشة

لما استقر حمدان ابو عنجة في القلابات سار الى (قنندر) عاصمة مملكة  
الاحباش القديمة في أفى فارس وأفى مساح بنادق رامنجنون فالتقي بنحو  
عشرة آلاف فارس من الاحباش في ضواحي المدينة ورفعت الحرب اوزارها  
بضع ساعات ثم انجلي القتال عن هزيمة الاحباش وتمزيق جيشهم شذرومندر  
وسقط منهم ستة آلاف قتيل في ساحة النزال

ودخل ابو عنجة المدينة ونهبها جنوده وغنم منها شيئاً كثيراً من الذهب  
والفضة وعدداً ينيف على العشرة آلاف رأس من الخيول والبغال ونحو ثلاثة  
آلاف نسمة من النساء والعلمان بيعوا أرقاء والنساء بينهن فتيات في منتهى  
الحسن والجمال ألوانهن تكاد تضارع ألوان المصريات خلافاً لما عرف  
من ألوان الاحباش الذين كانوا يجلبون فيما مضى من الازمنة الى مصر والسودان  
ثم دخل الكنيسة وهشم ما فيها من التماثيل وقتل القسوس واحتمل  
ما فيها من الآنية ذات القيمة واضرم النار في المدينة كلها وقفل راجعاً الى  
القلابات

وأرسل للتعايشي بعدد عظيم من العلمان والفتيات ونحو ألف رأس من  
البغال وخمسين حماراً وقسم بقية الغنائم على رجاله بمد أن أخذ ما اشتهاه منها

وأرسل متداراً عظيماً أيضاً من التبر والفضة الى يعقوب اخي التعايشي  
وبذل أبو عنجة الامازناتجار الاحباش وعادهم على ان لا يأخذ منهم غير  
خمس سلعمهم فهرعوا الى القلابات بتجارة البن والعسل والنسمن والتمح وغيرها  
من محصولات بلاد الحبشة فكان يحصل من هذه الضريبة ما يقرب من  
نفقات أبي عنجة وحاميته

### وفاة أبي عنجة وولاية الزاكي طمل

في رجب سنة ١٣٠٦ توفي حمدان أبو عنجة على أثر تناوله مسهلاً ودفن  
بالقلابات وتبادل الناس اشاعة ان احدي محظياته واحبهن اليه دست له السم  
في ذلك المسهل فاستدعاها التعايشي اليه وكانت ذات جمال باهر فدهش لدى  
وقوع بصره عليها وتلمع لسانه عن استنطاقها عن الجنسية التي اتهمت بها  
فامر بادخالها الى منزله ولم يحسر بعد على سؤالها عن شيء كيلا يسوءها سماعه  
ولم يكتف بذلك بل حظر على الناس الكلام في هذا الصدد  
ولما اتصل بالتعايشي نبأ وفاة أبي عنجة جزع جزعاً شديداً وظهرت عليه  
علامات الحزن والكآبة فانتدب قاضي الاسلام أحمد على ومعه أربعة قه  
ليسافروا الى القلابات ويحملوا الاوامر بتولية الزاكي طمل بدل حمدان أبي عنجة  
الزاكي طمل هذا تعايشي أحد أبويه من عبيد ( البنضلة ) وكان خادماً  
في إحدى شركات النخاسة في النيل الأبيض وكان جباراً قاسياً ظالماً سفاكاً  
للدماء وسيأتي ذكر خبر قتله

### واقعة القلابات وقتل النجاشي يوحنا

ما فتى النجاشي يوحنا منذ واقعة ( قندر ) يتأهب لاخذ النار وجلاء



العار وجواسيس التمايشى يرفعون اليه في كل يوم أخبار تأهب النجاشي  
للفارة على القلابات فلذا صار يوالى ارسال الامداد وأمر بتخصيص  
القلابات بزربية من الشوك حصينة لا يمكن تسورها تبلغ مساحتها عشرة  
آلاف متر تقريبا

وأعلن النجاشي قومه انه زاحف الى القلابات في وقت عينه قبل أوان  
الزحف بالفعل ببضعة شهور فعلم التمايشي بالامر وقبل حلول الاجل هلك  
حمدان أبو عنجة فارسل التمايشي أحمد على القاضي ومعه أبة من القضاة حاملين  
أوامر تولية الزاكي طمل وقد أسر اليهم ان يراقبوا الحركات الحربية حيث  
اقترب ميعاد زحف الاحباش على القلابات

ولما وصل أولئك القضاة الى القلابات تلقاهم الزاكي طمل بالاكرام واغدق  
عليهم العطاء الوافر من أصناف الرقيق والنقود

وفي شهر شعبان سنة ١٣٠٦ هجرية هجم النجاشي يوحنا على (القلابات)  
في مائتي الف مقاتل تقريبا جلهم من الفرسان واحاطوا بالقلابات وضربوا  
خيامهم حولها وجلس النجاشي امام خيمته يحيط به خدمه وحشمه ووزاؤه  
وهجمت جيوش الحبشة على القلابات هجمة الاسود على فرانسها واضرموا  
النار في الزريبة فتمتقر الدراويش الى الجنوب واستولي الاحباش على نسائهم  
وأولادهم ونهبوا دورهم

وبينا كان الاحباش مشغولين بالنهب وصل الى الدراويش مدد من جهة  
الشمال تحت قيادة فرج الله باشا السودانى الذي كان قومندان نقطة أم درمان  
الذى جعله المهدي قائدا من قواده بعد ان سلم له وقد تقدم ذكر ذلك  
وكان هذا المدد بضعة آلاف من الجهادية المسلحين بالاسلحة النارية

وهم من جنود الحكومة القدياء فتقدم فرج الله باشا بجنوده وأطلق انبار على الاحباش فاصيب النجاشي يوحنا برصاصة وهو جالس امام خيمته فتقضت على حياته في الحال وانتشر خبر موته في عسكره فاولوا منهزمين وساقوا السبي امامهم فتأثرهم الزاكي طمل حتي ارخى الليل سدوله فالتقوا عصا التسيار التماسا للراحة فداهمم الزاكي في الغلس على غرة ووضع السيف في رقابهم فانتهبوا من نومهم مذعورين وقتل منهم خلق كثير وفر الباقون واستخلص السبي من أيديهم وأرشدهم أحد الرواد الى تابوت وضعت فيه جثة النجاشي ففتحوه وحزوا رأسه وقبضوا على سائر اسلابه ومن بينها تاج مرصع بالاحجار الكريمة وخاتمه وملابسه وعاد الزاكي الى القلابات مسرورا وغادر أحمد على ومن معه من القضاة (القلابات) يحملون بشرى الانتصار الى التعايشي ومعهم رأس النجاشي وسائر الاسلاب

أما سرور التعايشي بهذا الانتصار فانه مما يعجز القلم عن وصفه حيث مكث أربعين يوما يذبح البدن ويدعو الناس الى تناول الطعام على قصمته المعلومة ولا حديث له غير هذا الانتصار وقد سمعته مرة يقول لمن حوله هل في الدنيا دولة تضارع الحبشة فيقولون كلا فيقول ان فتح مصر لا يكلفنا ما تكلفناه في الانتصار على الاحباش فيجيبونه بان حرب أوروبا برمتها أسهل من حرب الاحباش ثم أخذ يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بهذا الانتصار قبل وقوعه ببضع سنوات ثم قال ان المهدي عليه السلام أخبره بان ترك الحبشة الذي أشير اليه في الحديث الشريف معني بزمن الخليفة عبد الله التعايشي

ولما نصبت رأس النجاشي يوحنا في السوق ووضع تاجه وسائر اسلابه

في مقصورة المسجد هرع الناس لرؤيتها وهم يشكون في صحة هذا النبا  
ويقولون ان هذه الاسلاب قد سرقتها بعض الجواسيس من معسكر النجاشي  
وأوصلوها الي التعايشي

هذا وقد كنت أنا وسائر الذين يترقبون الخلاص من نير المهدوية نود  
من صميم افئدتنا انتصار الاحباش وفوزهم على الدراويش في القلايات عساهم  
يتقدمون منها للاستيلاء على بقية السودان ولذا جاءت أخبارهم بعمتهم بعكس  
ما كنا نود فسبحان من يؤتي النصر من يشاء

### شان خط الاستواء والمهدويين

أورد تحت هذا العنوان حوادث خط الاستواء مع المهدويين فاقول  
ذكرت في أوائل الجزء الاول الاسباب التي حملت الطيب الاثر غردون  
باشا على فصلي عن ولاية أقاليم خط الاستواء وبينت باسباب المساعي السافلة  
التي بذلها أمين أفندي طيب الحامية وقتئذ لنيل أمنيته من الولاية على أقاليم  
خط الاستواء وكيف دفع السائح (ينكر) على الوشاية بي عند غردون  
باشا حتى عاملني بالمعاملة القاسية التي شرحتها ثم ما كان من أمر ظهور  
براءتي عنده بإرشاد الضابطين اللذين كشفوا له حقيقة المسألة

وعلى أثر هاته الحادثة امتلاً غردون باشا غيظاً من أمين أفندي وتبدلت  
نقته ومحبه فيه بوصفه بالخيانة والكرهية

ثم لما عدت مع غردون الى الخرطوم في المرة الثانية وتحادثنا في شؤون  
كثيرة عن خط الاستواء علمت من حديثه انه حاقده على أمين بك حاكم خط  
الاستواء سي الظن به

ولما استولى كرساوي على أقاليم (بحر الغزال وشكا وحفرة النحاس)

غزا حدود خط الاستواء وعاد دون أن يظفر بشيء منها

وفي سنة ١٣٠٥ كان بام درمان رجل اسمه عبد الله الطريفي وهو عم  
الحاج الزبير الذي ذكرنا في أول خلافة التعايشي أنه أرشده إلى سلوك  
الطريق الذي سار عليه وكان عبد الله الطريفي هذا جابياً من قبل المهدوية  
في إقليم القصارف فاغتال منه مالا جزيلاً باتحاده مع ابن أخيه الحاج الزبير  
وفي سنة ١٣٠٤ أرسل التعايشي إلى (القصارف) من أوقفه علي خيانة الحاج  
الزبير وعمه عبد الله الطريفي فقبض عليهما واستصفي ما اغتالاه من المال  
وزجهما في السجن وبعد بضعة شهور أطلقهما وجعلهما تحت المراقبة النظرية  
فعمدا إلى وسيلة يتقربان بها إليه فدخل الحاج الزبير علي التعايشي وأخبره أن  
عمه عبد الله الطريفي كان نخاساً في جهات خط الاستواء وله معرفة جيدة  
بأخلاق وعوائد أهالي تلك البلاد وأبان له الثمرات التي تعود من فتح خط  
الاستواء من جلب العاج وريش النعام والارقاء من تلك الديار فعول التعايشي  
على انفاذ عبد الله الطريفي لفتح تلك الأقاليم

وعبد الله الطريفي هذا كان نخاساً وفي بداية ظهور دعوى المهدوية  
قبضت عليه الحكومة وسجنته لآتيانه أمراً من أنواع الحيل وذلك أنه كتب  
على بيض الدجاج لفظ الشهادتين وبمدهما ذكر اسم المهدي الذي عد هذا التزوير  
من كراماته وكان عبد الله الطريفي هذا ذا ذهاء وحيل ومكر سيء

ولما صمم التعايشي على انفاذ حملة لفتح خط الاستواء استدعاني إلى داره  
فذهبت إليه وأنا في جبل شديد من هذه الدعوة فدخلت عليه فالتفتة بالسأ  
وحده فلما وقع بصره على هش وبش فقبلت يده وجالست على الأرض

امامه وهدى ذهب، روى لما آلت من بشاشته فخطبني بما يأتى.  
 يا ابراهيم فوزى اننى عزمت الى انفذ حملة لفتح اقاليم خذا الاستواء  
 وبما انك كنت حاكما عليها فانى اود انفاذ اليها لتكون سرشدا صادقا  
 ومستشارا أميناً لقائد الحملة وانى اود ان تكون راضيا بالقيام بهذه المهمة  
 التي أعبد اليك القيام بها لاننى عالم بانك صرت من أخلص المخلصين لنا.  
 فاجبته بأننى أشكر مولاي على ثقته بي واعاهده على القيام بما عهد به الى  
 بالصدق والوفاء. فسرر هذا الجواب واعطاني عشرة ريات وتناولت معه  
 الغداء على قصبة الضيوف وانصرفت الى منزلى بماء الجوانح بالسروور وقد  
 رايت اننى استطع النجاة من اسر هؤلاء البرابرة المتوحشين لدى وصولي  
 الى خط الاستواء فقضيت ليالى لا يزور الكرى جفنى لشدة ما داخاني من  
 السروور الذى تلاه الترح حيث استدعاني التعايشى الى مجلس حافل بالقضاة  
 والخلفاء وارباب الشورى وبعد أن شكرنى على قبولي القيام بمهمة الدلالة لقائد  
 حملة خط الاستواء عبد الله الطريفي قال لى اننى اخشى عليك متاعب السفر  
 واود ان تكون قريبا منى ولذا اقلنك من مأمورية مرافقة عبد الله الطريفي  
 ولكن اكلفك بوضع رسم مشفوع بالعمليات التي يجب العمل بها اذا وجدت  
 بواخرنا النهر مسدودا فوعده باحضار الرسم في الغد وبعد خروجى علمت  
 ان سبب تاخيري ان عبد الله الطريفي وابن اخيه الحاج الزبير وشيأى عنده  
 حيث قال له ان ابراهيم فوزى كان حاكما لاقاليم خط الاستواء وقد  
 شهد وقائع فتحها مع غردون باشا وانه من أعرف الناس باخلاق وعوائد  
 أهلها وانا نخشى من مغبة وصوله الى تلك البلاد اذ بذلك يمكنه ان يأتى أي  
 عمل يريد من ضروب الاضرار بنا وانه اذا لم يستطع ذلك فانه يستطيع

الفرار الى ماوراء بحيرة فيكتوريا نيازاً فأثرت وشايتهما على التعايشي وعدل عن انفاذي مع تلك الحملة

هذا وقد اشتغلت ليأتي بعمل الرسم وتدوين التعليمات وفي اليوم التالي قصدت دار التعايشي فالفيتة جالسا ومعه الذين كانوا معه بالامس وغيرهم من الامراء وهو ياتي التعليمات على عبد الله الطريفي قائد الحملة فقدمت له الرسم فتناوله كاتبه واوقفه على كل ما فيه فالتفت الى وشكرني وقال اني عزمتم علي انفاذ الحملة ووجهتها كيت وكيت فهل عندك نصيحة فقلت نعم يا مولاي وقد مالت نفسي للانتقام من عبد الله الطريفي وابن اخيه الحاج الزبير لوشايتهما التي سدت في وجهي بابا كنت أرجو الخلاص بولوجه

فقال التعايشي هات ما عندك فقلت ان عبد الله الطريفي وسائر الذين انتدبتهم لهذه الحملة كانوا نخاسين وقد ذاق أهالي خط الاستواء من مظالمهم ما جعلهم يبغضونهم أشد البغض وهم قوم لا خلاق لهم اذ كانوا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق ليكتسبوا من وراء قتلها دجاجة فلذلك تري أهالي تلك البلاد يبغضونهم ويفرون من وجوههم كما يفر الانسان من الضواري فاذا ذهب هؤلاء النخاسون الى تلك البلاد جاءت النتيجة بمكس رغائبك حيث ياجأ الاهلون الى حاكم خط الاستواء ليكونوا معه على الذين ذاقوا صرارة سيطرتهم فيما مضى ورزحوا تحت نيرهم زمنا والاولى عندي ان يعهد مولاي قيادة الحملة الى أحد آل بيتيه ويشد أزره بجيش من الجهادية ليكون قادراً على كبح جماح هؤلاء النخاسين الذين بمجرد ان تطأ اقدامهم أرض تلك الارجاء يعودون الى أعمالهم السيئة التي تاباها عدالة ولاي وما وصلت الى آخر هذه العبارات حتى بدت علامات السرور على وجه التعايشي والتفت الى

وبانغ في البناء على وشكرني قائلا إن ماقلة حل في ابى جكرة مملوءة بماء  
الشهد وعملا بنصيحتك سأعين احد آل بيتي لقيادة الحملة وقد ارجأت أمر سفرها  
الذى كنت مزعما انفاذه في الغد ريثما اختار القائد الجديد الذى لا بد من  
اماله اياما ياخذ في خلالها اهبطه للسفر

وكان من جملة الحاضرين عبد الله الطريفي وابن أخيه الحاج الزبير فخرجا  
يتعثران في أذيال الفشل ووجوههما مكفورة والله أعلم بما في قلوبهما من  
الذيق والاحنة على

ولدي خروجهما قابلا أحدا صدقائي المصريين وقال له أليق من فلان  
ان يأتي ما أتاه امام الخليفة فقال لهما الجزء من جنس العمل لانكما بدا تما  
بالوشاية عليه فنجحتما في الضرار به وهكذا يكون جزاؤكما

وعلى أثر هذه المحادثة انتدب التعايشي احد اقاربه المسمى عمر صالح ومعه  
نحو الخمسمائة جهادى وجعله قائدا للحملة وجعل عبد الله الطريفي كدليل له ويبلغ  
مجموع رجال الحملة نحو ستة آلاف رجل جلهم مسلحون بالاسلحة النارية

وفي اواسط سنة ١٣٠٥ غادرت الحملة أم درمان على اربع بوخر ولما  
وصلت الى اماكن السدود وجدها متراكمة بها فتعذر عليها متابعة السير الى جهة  
الجنوب فبكشت بقية سنيتها تعالج فتح السدود فهلك من رجالها كثير وهلك  
أيضا عبد الله الطريفي مع من هلك وقوبلت الحملة من أهالى البلاد بنفور عظيم  
وامتنع الاهلون من تقديم الاغذية للرجال الذين انقسموا شطرين أحدهما  
اشتغل بتحصيل القوت بالسلب والنهب من القبائل القريبة من شاطئ النهر  
والآخر اشتغل بفتح السدود

هكذا وقد رايت ان اورد هنا شذرة من وصف السدود اتماما للفائدة التى

ربما تشرف اليها القارىء فاقول

يبتدىء خط السير في النيل الأبيض من الخرطوم قبل ان يختلط مع النيل الأزرق وهذا النهر هاديء وضفته متراميتان عن بعضهما حتى يتعذر في بعض الامكنة رؤية من بالشاطئ الشرقى الشاطئ الغربى مثلاً ولو بالنظارة المعظمة وذلك من بعد بركة السيورة فاذا غادرت بحر الزال متجها الى الجنوب عند حدود الاقاليم الاستوائية كان الامر بعكس ذلك فتشاهد ضفتي النهر متقاربتين والماء مندفع بقوة حتى ان خريره يصم الآذان وتربة تلك البلاد من طينة لزجة تكاد تضارع المواد الغروية الشديدة اللزوجة كالصمغ ونحوه

وينبت علي ضفتي النهر حشيش في طول قصب السكر والناظر اليه لا يشك انه قصب السكر ولكنه مملوء بشوك صغير يتطاير على من يدنو منه وتحدث منه قروح قل ان يبرأ من تعلق به ولشدة اندفاع ماء النهر تنقطع من الجزر قطع من الطين عليها اجزاء من هذه الحشيشة التي يطلق عليها اسم ( ابو صوفه ) فتتراكم عند مضيق النهر وتمنع سير السفن وطريقة ازلتها هي ان تقطع اجزاء صغيرة يدفعها التيار الى المتسع من النهر هذا ما كان من امر حملة المهديين واما امين باشا حاكم خط الاستواء فانه غادر ( اللادوه ) عاصمة الاقاليم الاستوائية الى الجهات الجنوبية على اثر ما اصاب جنوده من الفشل منذ عامين امام ( كرم الله كرساوى ) داعية المهدي في ( شكا وبحر الغزال ) وقد تقدم ذكر غارته على حدود خط الاستواء ولما وصل عمر صالح الى ( اللادوه ) ووجدها خالية علم ان الحامية لحقت ( بالرجاف ) جنوب اللادوه فتقدم نحوها وشن عليها الغارة وذبح بعض من بها من



الجنود وفر البعض فاجتمعت الحامية في مكان اسمه (اللابورية) وهاجوا  
 الدراويش فدارت الدائرة على الحامية وقتل كثير من جنودها وفر الباقون  
 الى (الدفليه) فاعاد الدراويش الكرة عليهم واستولوا على خطوط النار عنوة  
 وتقهقرت الجنود ثم كرت على الدراويش وقتلت منهم خلقاً كثيراً واجلبتهم  
 عن الدفليه فغادروها منهزمين لا يلوون على شيء ولحقوا بهواخرهم في  
 (اللاذوه)

وفي غضون اشتغال الحامية بدفع غارة الدراويش وصل المسترستانلى  
 الرحالة الذى كلفته الحكومة الحديوية بسحب حامية خط الاستواء عن  
 طريق زنجبار

ولما سمعت الجنود بامر هذا الانسحاب وعلمت ان طريقها الى جهة  
 زنجبار مملوءة بالمخاطر والصعوبات ولادواب للحمل في تلك الارحاء واشيع  
 بينهم ان مسافة الطريق تبلغ مسيرة سنة تمرد السودانيون منهم على امين باشا  
 وقبضوا عليه وسجنوه وعينوا حاكما وضباطاً من صفار الضباط السود كما قبضوا  
 على سائر الضباط المصريين والموظفين المسلمين وزجروهم فى السجن

ثم نعى الى أولئك الجنود المتمردين ان الدراويش متقدمون نحوهم فهرعوا  
 الى لقائهم في جهات جبال (الدفليه) فقام ضابط سوداني يدعى سليم مطرو وهجم  
 على السجن واطلق امين باشا وساروا الى جهة قريبة من بحيرة فيكتوريا نيازا  
 وقابلوا المسترستانلى هنالك فعمد المسترستانلى الى سليم مطر تسكين ثأرى  
 الحامية واسماتهم لم يفقه فتوجه الى (الدفليه) وحاول اقناع الجنود بجوب امتثال  
 امر الحديو الذى يحمله ستانلى فلم يفلح ورموه بالحيانة وكادوا يباشون به وظل  
 المسترستانلى ينتظر عودته نحو شهرين ثم اجتاز النهر وابتدأ مسيره الى زنجبار

ثم خفقه في الطريق كتب من الضابط سلايا غامطر يخبره فيها بحبوط مسعاء فتابع  
المسترساتالي سيره حتي وصل زنجبار بعد مسيرة تسعة شهور هلك فيها اكبر  
من نصف الذين رافقوه من متاعب السفر حيث كانوا يسرون على الاقدام  
ولولا سوء تصرف امين باشا وذبحه الافيال الهندية والثيران المروضة  
لكانت رحلة ستالي الي زنجبار من ايسر الاسفار اذ الذين رافقوه لا يبلغون  
التي نسمة والثيران المروضة التي ذبحها تقرب من ثلاثة آلاف راس عدا  
بضعة افيال

وعلى اثر ذلك صفا الجو للمهديين في خط الاستواء وانطلقت ايديهم  
فيه يجابون منه العاج والريش وسائر محمولاته ولله الامر من قبل  
ومن بعد



### ذكر عزل محمد الخير من بربر وموته

ذكرنا ما كان من امر محمد الخير وقيامه بدعوة المهدي في بربر واحتلاله  
دنقلا بعد جلاء الحملة الانكليزية عنها

وفي اوائل سنة ١٣٠٤ حين استتب السلطان للتعايشي على البلاد ووجه  
اهتمامه الي عزل الامراء الذين ولاهم المهدي واستبداهم بذوى قرابته او عن  
يعقوب اخو التعايشي الي الحاج علي سعد امير الجعليين الذين يسكنون القري التي بين  
بربر وام درمان ان يكثر من الشكوى الي التعايشي ويتذمر من أعمال محمد  
الخير ويقبح سيرته فيهم ويرميه بكل منكر وفظيمة وكان محمد الخير قد  
احتكر وظائف الجباية والقضاء لا قاربه واتباعه ووعد يعقوب الحاج علي  
سعد بالولاية بدل محمد الخير فاغتر بوعده واسترسل في الطمن علي محمد الخير

ونسب له أموراً هو براء منها وتعالى في تقبيح سيرته وتشديد النكير عليه  
 فارسل التمايشي يستدعي محمد الخير الى أم درمان فقدم عليه وعند ذلك عقد  
 التمايشي مجلساً عاماً جمع فيه بين محمد الخير والحاج علي سعد فاسمع هذا الأخير  
 محمد الخير مطاعنه فيه فبكي واتحب ورفع يديه الى السماء قائلاً اللهم اني أشهدك  
 اني برىء من هذا كله وكانت هذه المطاعن مما يتجاني القلم عن ذكره ومن  
 جملتها رمي محمد الخير بارتكابه الزنا وقد ذكرنا انه كتب للمهدي على اثر فتح  
 بربر يقبح له استباحة اعراض المصريين بضروب السبي التي سار عليها ملتمسا  
 منه الكف عن ذلك فاجاب التماسه وهذه الحسنة ادل دليل على أن الحاج علي  
 سعد كاذب في مطاعنه على محمد الخير لانه لو كان فاسقاً كما ادعى لما رغب عن  
 سنة السبي السيئة ولما رأي وجوب الكف عن هتك اعراض المصريين في بربر  
 على أن هذه الاذكايب مدبرة بين التمايشي واخيه يعقوب يقصدان  
 بها ابعاد محمد الخير عن بربر ليخلفه في وظيفته شخص بقارى ولما كان محمد الخير له  
 شهرة بين اهالى السودان رأوا أنه لا يحسن الاقدام على عزله بدون اسناد  
 فظائع اليه مثل التي فاه بها الحاج علي سعد

وفي ذلك اليوم أصدر التمايشي أمراً بعزل محمد الخير وتولية عثمان الديكيم  
 بدله فسار الى بربر في خمسمائة فارس ونهب القرى التي في طريقه واتلف  
 الزرع قبل ان يحصد وكان هذا العمل من مقدمات القحط الذي ضرب اطنابه  
 في السودان وستري تفصيله فيما سيأتي

أما عثمان الديكيم هذا فهو شقيق يونس الديكيم واعماله واخبار جهالته تفوق  
 الذي ذكرناه عن شقيقه

هذا وقد بقى محمد الخير في أم درمان بضعة شهور ثم .. جن بتهمة انه

فاه بكلام يمس شرق التعايشي ثم أطلق والحق بدقلة كأحد صفار القواد  
وتوفي بها في سنة ١٣٠٧

وحدث أناس من الذين حضروا وفاته انه لما احتضر جزع وقال انني  
كنت اظن أن دعوة المهديّة لله ورسوله فدعوت الناس اليها وأما الآن  
فقد علمت انها دعوة الشيطان اراد بالاسلام والمسلمين شرا بظهورها وان الله  
تعالى سيؤاخذني على ما جنته يداي ان لم يرحمني ويعف عن سيأتي ثم نطق بالشهادتين  
وفاضت نفسه

النور ابراهيم البحر يفاوي وتجار المصريين في بربر  
النور ابراهيم الجريفاوى دكروري استوطن ابوه أوجده قربة (الجريف)  
التي تبعد عن الخرطوم جهة النيل الازرق ببضعة اميال وكان مشتغلا بصناعة  
الابن وحرقة وبمه لسكان الخرطوم لتشييد المنازل  
وقد ذكرنا انه اغتال قدرا من المال دفعت له الحكومة ليورد لها به الغلال  
فسرّب المال الي جيبه وكان اذ ذاك من أعضاء مجلس السودان حائزا للرتبة  
الرابعة ثم لحق بدعاة المهدي  
ولما عزل الخليفة التعايشي محمد الخير من بربرولي النور الجريفاوى هذا  
امانة بيت مالها وكان النور هذا مشهورا لدى سكان الخرطوم بان اشتغاله بصناعة  
الابن بالورع والتدين ودماثة الاخلاق وحسن المعاملة مع الحقير والعظيم  
والصغير والكبير

ولما دخل في سلك موظفي المهديّة السليخ عن هذه الصفات وانقلبت  
كلها الى ضدها وصرت لا ترى منه غير رجل ظالم غاشم خرب الذمة قد نبذ

الورع والتقوى وداء ظهره شرس الاخلاق سيئ المعاملة لا يقول الا سوا  
والويل ثم الويل لمن كانت له حاجة عنده وألف ويل له ان كان مصريا فانه  
لا يسع منه غير الشتم المؤلمة ولا يرى منه الا سائر ضروب الاثارة وحاجته  
لا تقضي ولو كانت على طرف الثام وبالجملة انه قد صننا له الجحيم حتي خلناه شخصا  
غير ذلك الذي كان يبع اللابن ولا غرو فان الظلم كمين في النفوس تظهره القوة  
ويخفيه الضعف

وفي ايمان اسناد امانة بيت مال بربر اليه كان يفد اليها ألوف من التجار  
المصريين من أهالي مديرية اصوان ولم يكن غرضهم الحقيقي الاتجار بل كانوا  
ميالين الى دعوة المهدية وانما تذرعو بالتجارة لقضاء ما ربههم من المبايعة وحمل  
تعاليم المهدية الى بلادهم ونقل اخبار الحكومة للتعايشي فكتب النور الى  
التعايشي يقول له ان هؤلاء التجار رواد للحكومة الخديوية وهم يتسترون  
بالتجارة وعندهم من المال ما يجب ان يكون حقا لبيت المال فكتب التعايشي الى النور  
يا امره بمصادرة أموال اولئك التجار مع انه لا يجهل انهم معه على الحكومة  
وليسوا مع الحكومة عليه ولكن طمعه في أموالهم ألجأه الى سلبها

وعلى اثر ذلك وثب النور الجريفاوى على تجار المصريين وقبض على بضعة  
آلاف منهم وعذبهم ومزق اجسامهم بالسياط كي يدلوه على أموالهم التي  
بلغت قدرا طائلا ثم اطلقهم وهم لا يصدقون بالنجاة بعد ان وردوا موارد  
الموت فعادوا الي بلادهم بقلوب مملوءة ببنفس المهديين وحب الفرار من دعوتهم

## السودان الشرقي

بعد أن دارت الدائرة على عثمان دقنه في (كوفيت) وفر من وجه الراس

الولا عاد الى كسله ثم استخلف عليها ابن أخيه وغادرها الي (طوكر)  
ولم تمض سنة حتى ثقلت وطأة عثمان دقنه على الاهلين فارتفعت  
أصواتهم بالتذمر من مظلمه الفادحة التي أحسوا بثقل وطانها عليهم فهرعوا  
الى الخليفة يشكون مالا قوا فلم يجدوا منه غير التسوية والمطل والاتهم بالانحراف  
عن جادة الصراط المستقيم فثاروا على عثمان دقنه عدة ثورات  
وفي أواخر سنة ١٣٠٣ كتب التعايشي الى عثمان دقنه يستقدمه وكانت  
أول مرة استقدمه فيها بعد ان قبض على زمام الملك فشخص من  
(طوكر) الى بربرومنها الى أم درمان فاستقبله التعايشي بصنوف الاكرام وبعد  
انقضاء أيام عيد الاضحى أعطاه خمسة آلاف مقاتل من البقارة فسار بهم الى  
كسله عن طريق (القضارف) ثم سير خلفه الحاج محمد أبا قرجة في عشرة آلاف  
مقاتل وسلمه أمرا بانه امير شرقي السودان بدل عثمان دقنه الذي عزل من  
الامارة وجعل كواحد من القواد فسار أبو قرجة على طريق القضارف أيضا  
قاصدا كسله ولدى وصوله اليها أعلن عزل عثمان دقنه وولايته بدله فسكنت  
الاضطرابات وأمنت السبل وفتح طريق الاتجار بين مصوع وكسله . وبعد  
بضعة شهور أصدر التعايشي أمرا الى أبي قرجة بمنادرة كسله الى (طوكر)  
واستخلاف حامد على أحد أقارب التعايشي على كسله فسار أبو قرجه الى  
(طوكر) وعسكر فيها وجرت بينه وبين الحكومة في سواكن مخابرات سلمية  
أوجبت ارياب التعايشي في الثقة به فزله عن الامارة وأعادها الى عثمان دقنه  
وفي غضون ولاية أبي قرجة تقدمت جيوش الدراويش الى (هندوب)  
وضيقت الحصار على سواكن فخرجت حاميتها عليهم وفرقت جموعهم فنادوا  
الى (طوكر) وعسكروا فيها

أما أبو قرجة فقد ولاه التمايشى حتى بربر فكثت بها ثلاثة شهور ثم عزله وولى بدله الزاكي عثمان البقاري وبنى أبو قرجة الى خذل الاستواء وسنعود الى ذكر هزيمة عثمان دقته من (طوكر) والقضاء على نفوذه في السودان الشرقي



### ظهور المهدي ابو حمزة في دارفور

لما رسخت قدم عثمان آدم في دارفور انحنى القبائل نهبا وسلبا وخرب المدن وحمل الاهلين نيرا ثقيلاً حتى باتوا ولاهم لهم غير الاصل من ذلك النير فقام بين ظهرانهم رجل من المشايخ اسمه محمد كان يجلس تحت شجرة من الجوز حتى كنى باسم (أبي حمزة) وادعى انه المهدي المنتظر وكان مشعوراً ذا قدرة على عمل خيالات يخالها الناظر حقائق فاتبعه أهل دارفور كلهم وترامت أخباره الى الممالك المجاورة لها فنسل اليه كثير من سكانها ولحقوا به واجتمع حوله جيش كثيف عسكريه في الجهات الغربية وكتب الي عثمان آدم يدعوه الى التسليم فارسل له جيشاً تحت قيادة (الختيم موسى) التمايشى فهزمه شرهزيمة وبعد اللتيا والتي وجد القائد الى النجاة سيديلا

فارسل عثمان آدم الي التمايشى يعلمه يامر أبي حمزة ويطلب منه الامداد فارتاع التمايشى لهذا النبأ وأرسل الامداد الى عثمان آدم الذي أرسل لحرب أبي حمزة جيشاً آخر تحت قيادة (محمد بشاره) التمايشى فلم يكن نصيبه غير نصيب القائد الختيم موسى ثم توالى الحروب بين أبي حمزة وعثمان آدم فكانت الدائرة تدور على دراويش عثمان في جميعها وخضعت بلاد دارفور الغربية كلها لابي حمزة وشمرت معه على حرب عثمان آدم الذي ضاقت الدنيا

في وجهه كما ضاقت في وجه التعاشي الذي أصدر أمرا الي عثمان آدم بالتقهقر  
من دارفور الى كردفان

وبينما كان عثمان آدم يتأهب للتقهقر زحف عليه أبو جيمزة في جيش  
عمر مرم ولكنه في غضون سيره أصيب بمرض الجدري ثم توفي بعد أيام  
يسيرة فتابع أصحابه مسيرهم قاصدين (الفاشر) محل إقامة عثمان آدم  
الذي قسم جيشه قسمين جعل أحدهما كميناً وتربص هو مع الآخر فتقدم  
جيش أبو جيمزة حتى اجتازوا موقع الكمين والنقوا مع عثمان آدم فخرج عليهم  
الكمين من الخلف وصاروا بين نارين فسقط منهم عدد كثير وتمسك الباقيون  
بأذيال الفرار فأثرهم عثمان آدم وقتل منهم خلقا كثيرين وما زال عثمان آدم  
متأثرا للمهزمين حتى اجتازوا حدود دارفور ولحقوا بمملكة (أبي ريثة) وحملت  
الي التعاشي رؤس جماعة من وزراء أبي جيمزة وهجروا الي دارفور ديارهم  
الي ممالك الغرب كي يمتصوا بهامن انتقام الدراويش فنخربت البلاد وصارت  
بلقما ليس فيها ساكن ولا مساكن وانقطعت جباية الخراج وأصبح عثمان آدم  
وجيشه في حاجة عظيمة الي النفقات فوجه اهتمامه الي النزول في الجبال التي  
حوالي دارفور لينحصل منها على قوته وقوة حاميته

### شأن التعاشي وقبيلة التعاشية

لما تغلب التعاشي على مناظريه وسلب من أقارب المهدي القوة التي  
كانت في أيديهم استبد هو بالملك وانفرد بالسلطان على كل بلاد السودان  
وأضعف نفوذ الخليفين على حلو ومحمد شريف حتى صارا لا يعبأ بهما خصوصا  
محمد شريف فقد وضت حالته الي فقدان الضروري من القوت وانحط شأن



أقارب المهدي حتي صاروا في حالة يرثى لها ولا سيما أولاد المهدي فانهم صاروا يقاسون من شـطف العيش ومرارة الفقر مايجز القلم عن وصفه وفي أواسط سنة ١٣٠٥ اتجهت غزيرة التعايشي الى استنفار قبيلة التعايشة من ديارها في جنوب دارفور ليشـد بها عضده ويكون ذا عصبية امام الاقوام الخاضعة لجبروته وكان قبل ذلك يتألف قبائل البقارة لينال منهم مزايا العصبية والموازرة اذ لم يكن معه من أقاربه التعايشة الا نحو ثلاثين رجلا احتكر لهم الوظائف وولاهم الاعمال الخطيرة واستوزر أخاه لاييه يعقوب وأشرکه في سلطانه حتي صار ذا نفوذ كبير وأصبح يضارع أخاه التعايشي في كل خواص الملك والسلطان وصار يعقوب هذا القائد العام للجيش والمدير المطلق لامور مملكة أخيه

وكتب التعايشي الى عثمان آدم في دارفور يأمره باستنفار قبيلة التعايشة كما كتب الى رؤساء هذه القبيلة يخبرها بأنه صار ملكا عظيما وسلطانا فخما على جميع الاقطار السودانية وانه في حاجة شديدة لمعاضدتهم فانقسمت قبيلة التعايشة الى قسمين أحدهما رأي وجوب المبادرة لتلبية نداء التعايشي والآخر أظهر بفضله قائلا لا يرجي خير من سفل نال ملكا من طريق المصادفة صملوك كان متسو لا بين ظهر انينا بالامس واليوم نذهب لننزل على حكمه ونضع أنفسنا بين يدي جبروته ثم هجر هؤلاء ديارهم ونزحوا الى مملكة (وداي) مفضلين النأي عن الديار على اللحاق بالتعايشي وانصاع القسم الآخر لمطالب التعايشي ونزحوا من ديارهم الى دارفور ومنها الى أم درمان وكانوا زهاء مائة ألف نسمة أو يزيدون

وقد أنفق التعايشي على استخدامهم أموالا طائلة حتي بلغوا أم درمان فتلقاهم

بالخفاوة والاكرام ووزع عليهم الاقوات والملابس

وكان بين هؤلاء القادمين (الغزالي احمد خوف) زعيم التعايشي وكان حائزا  
المرتبة الثالثة من الحكومة وكان التعايشي يعده بالهيل والهيلمان لدى وصوله  
أم درمان فلم يوف له بوعده وسنعود الى ذكر بقية أخبار عثمان آدم وموته  
هذا وقد كانت قبيلة التعايشة تحب السكر والتمر وطريقة تناولهم السكر  
أن يكسروه قطعاً صغيرة ويأكلوه كما يأكلون الخبز

ومن النكات المضحكة ما نوردته عن أحد المصريين الذين يشتغلون في  
مامل الذخيرة للتعايشي وذلك ان الزاكي عثمان الذي كان أمير بربر كلفه بتعبئة  
خرطوش لغسادة صغيرة فأتهم المصري العمل وذهب الى منزل الزاكي  
ليدفع له الخرطوش فلتقاه بالاكرام وقدم له طبقاً كبيراً مملواً بقطع السكر  
الصغيرة وجاءه بناء فيه نحو خمسة أرطال من اللبن الحليب فأخذوا يأكلان من  
السكر ويشربان من اللبن ثم قال صاحبنا المصري لمضيفه لما اذا لاتضع  
السكر في اللبن فقال وهل يوضع السكر في اللبن فقال نعم وتناول المصري  
السكر وألقاه في اناء اللبن فصاح به مضيفه قد اتلفت السكر واللبن معاً فقال  
له المصري لاتعجل فسكت الزاكي ثم هز كتفيه ورأسه علامة على  
اليأس فقدم له المصري اناء اللبن وقال له ذقه فقال له والغضب باد على وجهه  
لاذوقه حتى تذوقه قلمي فشرب المصري وناوله الاناء فشرب منه ثم وضع الاناء  
من يده قائلاً (قاتلكم الله يا معشر المصريين انكم خيرون باتقان كل شيء) أما نحن  
فلا نعرف ان مزج السكر باللبن يصيره حسناً مثل هذا ولم نتعود منذ  
خلقنا الله إذابة السكر في اللبن ثم سأل المصري وهل يكون السكر لذيذا كهذا اذا  
القيناه في الماء فقال نعم فظهر الارتياح ثم دخل الى بيته وعاد منه بسكر وقال

له ألقه في الماء لذوق طعمه فآلقاه المصري في الماء فأمره ان يشرب منه  
قبله كما شرب في المرة الاولى ثم عاد فشرب منه واخذ في ابداء الاستغراب  
فساله المصري عن سبب امتناعه عن الشرب قبله فقال اني كنت اظن ان طرح  
السكر في اللبن ربما تولد منه ضرر واخذ المصري يصف له الاطعمة التي يصلحها  
السكر ثم انصرف عنه

ولقد اطلعت على منشور كتبه التعايشي الى قبيلة التعايشة يجب اليها  
القدوم عليه وفيه اني ملكت بلاداً فيها جبال من السكر وشجر التمر وان أهالي  
هذه البلاد الذين هم ( الجلابية ) صاروا عبيدي فسارعوا بالقدوم الى لتأخذوا  
النصيب الاوفر من جبال السكر وشجر التمر وتقضوا وطركم من نساء  
الجلابية وتركبو الخيول والحمر والهجن

ولما وصلوا الي كردفان كانوا يسألون من لاقاهم عن جبال السكر وشجر  
التمر ومدوا ايديهم ونهبوا سائر قرى كردفان وقتلوا مئات من الاهلين الذين  
رفعوا ظلامتهم الى التعايشي فكان جوابه لهم لا تتأثروا من فعل المهاجرين  
لانهم اخوانكم وشاهدوا ما حل بكم من الله تعالى ولا تنسبوه الي هؤلاء  
المهاجرين اذ الفاعل الحقيقي هو الله

### ذكر ضرر بخانة التعايشي

اسلفنا ذكر ضرر بخانة المهدي وما ضرب فيها من المسكوكات من نوع  
الجنيه المصري والريال الذي نقش عليه ( في الهجرة ) وفي الطغراء ( باسم المهدي )  
ولما عزل التعايشي أحمد سليمان أمين بيت المال وخلفه ابراهيم عدلان  
كانت مسألة الضرر بخانة من الامور التي احتج بها التعايشي على سوء ادارة

أحمد سليمان وشدد النكير عليه مدعيًا أن اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينفش في النقود ولا انشئت دار للمسكوكات على عهده صلى الله عليه وسلم فأمر بجمع النقود التي ضربت في عهد المهدي فجمعت وأنشأ ضرب بخانة لسك النقود من نوع الريال وجعل نصفه من الفضة والآخر من النحاس وضرب على أحد وجهيه (ضرب في أم درمان) وعلى الآخر طغرا مكتوب فيها (مقبول) فسمى الريال المقبول وكان في كل سنة يأمر بتخفيض الجزء الفضي حتى صار الريال كله من النحاس إلا الطلاء الذي يغيرون به حمرة النحاس

واقدهبط قيمة هذا الريال إلى حد أن صار لا يساري أكثر من ملليم أما المسكوكات الذهبية فقد منع إعادة ضربها كل ذلك ليحتكر لنفسه الذهب والفضة ولا يدع للناس ما يتعاملون به غير النحاس

على أن التعايشي لم يكن يجهل أن ضرب المسكوكات وأنشاء الضربخانة كان بأمر المهدي الذي ذكرنا أن أحمد سليمان كان لا يضع خيطا في خياط إلا بعد صدور أمره له بوضعه والحاصل أن التعايشي لم يترك شيئا وضعه المهدي إلا نقضه

### ذكر إنشاء دار للذخيرة والبارود

لما سقطت الخرطوم جمع المهديون رجالا من المصريين كانوا عمالا في الجبه خانات وجعلوا لهم رواتب طفيفة ليشتغلوا بتعبئة الخرطوش ووضع المواد المفرقة فيه ثم أدرك التعايشي أن البارود والذخيرة التي عنده لا بد من نفادها فأخذ يسعى إلى التوصل إلى طريقة استخراج البارود فعهد إلى يوناني اسمه (ديمترى بردغاجي) استخراج البارود وأنشأ دارا لهذا العمل

جعلها تحت نظر أخيه يعقوب وانفق أموالا طائلة لا تمام هذا العمل ورتب  
لعماله رواتب كبيرة فنجحت تجارب بردغاجي واستخرج شيأ من صنف  
البارود وعرضه على التمايشي الذي سر بهذا النجاح وسجد شكرا لله على  
ما منحه من النعم ومكث بردغاجي مشغولا باستخراج البارود بضع سنوات  
وبينما كان ذات يوم يباشر عمله اذ التهب جزؤ من البارود وتفرقع فامات  
بردغاجي وعماله واحرق الدار ونسف جدرانها فاستاء التمايشي وأظهر الحزن  
وركب الى محل الحادثة وأمر بجمع الاشلاء ودفنها

وكان التمايشي يتغالي في استرضاء بردغاجي ولدى شروعه في عمل  
البارود منحه خمسمائة ريال ومحظية من محظياته وجواري وغلما للخدمة  
وجعل راتبه الشهري مائة ريال عدا رواتب عماله

أما المواد التي يستخرج البارود منها فالحم شجر الصفصاف وعلح  
البارود وكبريت العامود وكان يستخرج في كل شهر عشرة قناطير من البارود  
وانشأ دار الاستخراج ملح البارود وكلف أحد الصيادلة المصريين  
بالعمل فيها

وكذلك انشئت دار لعمل المادة المفرقة التي توضع في الكبسون المسماة  
(عجينة الكبسون) واسند العمل فيها الى (لبتن بك) مدير بحر الغزال  
وحسن افندي زكي أحد أطباء الحامية في الخرطوم

وانشئت أيضا دار لعمل الخرطوش وأطلق على الجميع اسم (الورث  
الحرية) وكان المشرف عليها كلها يعقوب اخو التمايشي  
وشيدت دار لحفظ الاسلحة وسميت (بيت الامانة) وكانت رواتب رؤساء

العمل مائة ريال شهريا من ربايات التعميشي لكل واحد منهم واقل راتب  
لا صغر عامل عشرة ربايات

## ذكر موت لبنين بك مدير بحر الغزال

ذكرنا أخبار لبنين بك وسجنه قبل سقوط الخرطوم  
ولما سقطت الخرطوم أمر المهدي باطلاقه فخرج من السجن في حالة  
يرثي لها من الفقر والحاجة ولما اشتدت به الحال قدم نفسه للخليفة التعميشي وقال  
له انني أعرف صناعة تجهيز عجينة الكبسون فاثني عليه وأمره بجائزة  
وفي سنة ١٣٠٥ مرض لبنين بك ولما حضرته الوفاة أوصي سلاطين  
باشا على بننيه وامراته التي أصلها سودانية نصرت بدعوة الآباء الكاثوليك  
ثم تزوجت لبنين بك ورزقت منه بنتين  
وبعد وفاة لبنين بك زوج سلاطين باشا امراته بحسن أفندي زكي  
الذي كان يساعد زوجها في عمل عجينة الكبسون  
واعنتى سلاطين باشا بامر البنيتين اعتناء عظيما حتى غادر أم درمان

## المقدم عمر الجعلي واستخراج الرصاص

لما نفذ ما في مخازن التعميشي من الرصاص جاءه ذات يوم رجل من  
الجمعدين اسمه المقدم عمر مشهور بالشعوذة يختلف على مدينة الخرطوم  
ويحتال على ضمفاء العقول ويطلب منهم المال لشراء الادوات كي يحول النحاس  
والرصاص ذهباً

وقد عرفه الناس فصاروا لا يتخذون باكاذبه فقال للتعميشي انني أقدر

على استئراج الرصاص من اخجار ام درمان فاعطاء التعاشي عشرة من  
العمال وامر باعداد مايلزمه من آلات النفخ وعدد الممل ومنحه قدرا من  
المال فاخذ يوصي اقاربه بشراء الرصاص فاذا اجتمع لديه بضع أقات وضعها في  
التنور ووضع حولها الحجارة ثم أضرم النار حتى يذوب الرصاص وتحرق الحجارة  
فيخمد يستدعي يعقوب اخا التعاشي لمشاهدة نتيجة العمل فياتي يعقوب  
ويري الرصاص مذابا وسط الحجارة فيعتقد انه تحلل من الاحجار فيبلغ اخاه  
التعاشي فيامر للمقدم عمر بالمطايا من الجوارى والمال

وفي ذات يوم صعد التعاشي المنبر وتكوف الناس حوله فقال لهم ان  
النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بان المقدم عمر الجملي يستخرج له من الحجارة  
رصاصا يكفيه لفتح الدنيا كلها وان الحضرة عليه السلام اخبره بان وجود الرصاص  
في جوف الحجارة من كرامات المهدي عليه السلام

ولكن لم تمض بضعة شهور حتى فقد المقدم عمر الرصاص الذي كان  
يشعوز به عليهم وانقطع عن العمل مدعيا ان ادوات النفخ قد ضعفت فصنعوا  
له غيرها فلم يات بشيء ثم وكل التعاشي مراقبته الى اثنين من جواسيسه فعلم انه  
كان يبتاع الرصاص من الخارج لان الناس الذين كانوا يبيعونه له كانوا  
يلتقطونه من حول متاريس الخرطوم وغيرها من مواقع الحروب ثم يذيه  
وسط الاحجار فاستدعى التعاشي المقدم عمر وعدد له سياته وما ارتكبه من  
الفش فاجابه المقدم عمر بان ما قيل عنه من الغش ليس بصحيح ثم قال له  
ألمست قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم والحضرة عليه السلام اخبراك بكيت  
وكيت مذكرا له ما فاه به على المنبر وزاد ان قال له ان دعوى المهدي قامت اركانها  
بمثل هذه الاخبار فان كذب هذا الخبر فالمهديه كلها كذب في كذب فاغتنظ

التعاشي واستفتى التضاة فافتوا كما أوعز اليهم بقطع يده ورجله من خلاف  
فقطعا في السوق وفي اليوم التالي توفي المقدم عمر وانقضى الامر

ذكر احراق كمال الدين عظام قتلى الخرطوم ونش القبور  
لما توفي لبتن بك واستمر حسن زكي في عمل عجينة الكبسون ونفذت  
المواد الكيماوية التي تستخرج منها هذه المادة اهتم التعاشي لهذا الامر  
فقام رجل يدعي كمال الدين من الهنود الذين ذكرنا نبأ قدومهم على المهديين  
وقال للتعاشي اني اقدر على استخراج عجينة الكبسون بغير احتياج الى المواد  
الكيماوية التي نفذت فسر التعاشي هذا القول وقال له من أي شئ تستخرجها  
فقال من عظام الاموات فقال له هاهي عظام كفار الخرطوم وأمر باعداد  
ما يلزم لانجاز العمل فجمع كمال الدين عظام قتلى الخرطوم واحرقها بالنار ثم  
سحقها في الاهوان ووضعها في أحواض كبيرة وصب عليها الماء ثم نبش  
قبور قدماء اموات الخرطوم وصنع في عظامهم مثل ما صنع في عظام القتلى ثم  
أقفلت الابواب على الاحواض وترك ستة شهور فتولدت منها الديدان  
وتصاعدت الروائح المنانة منها

وبعد الستة شهور جاء يعقوب شقيق التعاشي ومعه جمع من الامراء  
وفتحوا الابواب فراوا الديدان تولدت والروائح السكرية تصاعد منها فسألوا  
كمال الدين فقال ان تولد الديدان وتصاعد الروائح علامتنا نجاح العمل فاذا أقفلت  
الابواب ثلاثة شهور أخرى ثم فتحت بعدها وجدت هذه الاحواض مملوءة  
بعجينة الكبسون التي تؤخذ مباشرة لوضعها في الخرطوش فلم يصدقه يعقوب  
وعاد الى ام درمان واخبر اخاه بان كمال الدين كاذب محتال فاحتدم التعاشي



غيظاً على كمال الدين ولكنه لم يماقيه بمقبوبة

وبلغت نفقات هذا العمل اكثر من اربعة آلاف ريال انفق كمال الدين  
جلها في حاجاته الخصوصية عدا ما أخذه من الجوارى والركائب  
وبعد وقوف الخليفة على حيلة كمال الدين أصدر أمره له وللنود  
الذين قدموا معه بأخذ الالهبة للعودة الى بلادهم وأعطاهم كتباً بالدعوة للمهدية  
وخرج لوداعهم فقال له كمال الدين انى أريد منك أن تعطينى شيئاً على سبيل  
التذكار فاعطاه التمايشى نعله فأخذ يقبلها ووضعها في جيبه فطلب منه القاضي  
احمد على رد النعل الي صاحبها فلم يفعل حتى أعطاه اربع جوار وحمارا  
ثم قال القاضي لمن حوله لو طلب منى كمال الدين كل ما أملكه من حطام  
الدنيا لافتديت به نعل الخليفة وقصد القاضي من هذه الاقوال أن يبلغها  
الحاضرون للخليفة فتزداد ثقته به وسار كمال الدين ورفقاؤه الى سواكن ومنها  
الى الاقطار الهندية

### تخريب بلاد الجزيرة

( وحشد أهلها بام درمان )

في أواخر سنة ١٣٠٤ هجرية اصدر التمايشى أمراً عاماً الى جميع سكان  
الجزيرة من الخرطوم الى حدود الحبشة والى حدود مديرية بربر من جهة  
الشمال وحدود مديرية فشوده من جهة الجنوب بالوفادة الى أم درمان وتوعد  
من بقى في داره ولم يهدم منزله بيده ويأت الى أم درمان وضرب لذلك أجلاً  
هو أواخر شهر رجب من السنة المذكورة ومن لم يصمدع بالامر في ذلك  
الاجل عد حاصياً محارباً للمهدوية

وما اقترب الاجل حتى خربت جميع الترى والمدن التي في الجزيرة  
وقدم سكانها الي أم درمان، وتركوا غلالهم وحاصلات أرضهم في البلاد مودعة  
في بطون الارض فمنهم الذين ساروا في البر حتي اجتازوا النهر الي أم درمان  
باجرة باهظة فرضها عليهم أصحاب الزوارق ومن سار في السفن الشراعية  
أدي أجرة لا تقل عن عشرة أضعاف الاجرة الاصلية لركاب السفن الشراعية  
وبعد اجتماع سكان هاته البلاد في أم درمان وهم سكان مديريات الخرطوم  
وسنار وفيزو غلى أنزلهم التعايشي في أم درمان في أماكن متفرقة حيث جعل  
سكان كل قرية أو مدينة وحدهم فملكث ماشيتهم التي لم تجدد مرعى بام  
درمان وانتدب التعايشي سرية من رجاله تحت قيادة (أبوأم فضالي) ليمروا على  
القرى ويقبضوا على من تخلف عن امتثال ما أمر به التعايشي فخرت هذه  
السرية ما بقي من القرى ومد رجالها أيديهم الي الحاصلات المخبوءة تحت الارض  
فنهبوها ولم يبقوا على شيء منها

وكان سكان الجزيرة اكثر أهالي السودان دعة وسكونا وثروة  
وبسبب هذا الانتقال فقدوا ماشيتهم وثورتهم وجاء هذا العمل من اكبر اسباب  
تفشي المجاعة في السودان وهي مجاعة سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ اللتان أبادتا النفوس  
وخربتا البلاد

وبعد استقرار هذه الخلائق في تلك المنازل استعرضها التعايشي في أم درمان  
مرات عديدة ثم بعد مضي بضعة شهور أذن للمزارعين بمغادرة أم درمان لمزاولة  
الزراعة فعادوا وقد عم الدمار بلادهم ولم يجدوا حاصلاتهم التي أودعوها  
في بطن الارض فساءت حالتهم وأقاموا موسم الزراعة ولم يعودوا الي

أم درمان وسنعود الى وصف تلك المجاعة وفشت أمراض الجدري والحُميات  
بين أهالي الجزيرة وصارت الوفيات في كل يوم تعد بالآلاف والحاصل ان أهالي  
الجزيرة هلك نحو نصفهم بالأمراض التي تفشت فيهم وذهب الباقيون الى  
مزارعهم بالحالة التي وصفناها

### ذكر تخريب الخرطوم

ذكرنا ما كان من أمر التعايشي مع اسرى الخرطوم يوم جمعنا في المقرن  
وأمرنا بمغادرة الخرطوم والسكنى بأم درمان وبقي بعض الأمراء ساكنين  
في الخرطوم ولما عزم التعايشي على تخريب مدن الجزيرة أصدر أمراً للدرأويش  
الذين كانوا ساكنين في الخرطوم بهدم المنازل التي يسكنونها وحمل الأخشاب  
لتشييد منازل بأم درمان فكانوا يهدمون الدور ويأخذون الانقاض يشيدون بها  
منازلهم في أم درمان وهكذا تم خراب الخرطوم حتى لم يبق من المنازل  
غير بضعة دور حوالى (الترسانة) أبقى لتسكنى عمال الترسانة وبقيت الحدائق  
التي على ضفة النهر عامرة يبيع بيت المال محصولاتها وتجلب منها الفاكهة  
والخضراوات الى أم درمان واحتكر التعايشي لنفسه حديقة سراي الحكماء  
وكان المهدي وهب أحمد شرفي إحدى حدائق الخرطوم الكبيرة واختص  
الخليفة شريف بحديقة كنيسة الكاثوليك والحاصل ان الخرطوم صارت  
خرابا بلقما ومنازلها وقصورها تلالا والدوام لله

### ذكر فرار المؤلف وارجاعه الى أم درمان

في أول سنة ١٣٠٥ هجرية بعث لي صهرى عثمان فهمى باشا مائتي جنيه

انكليزى مع شخص اسمه الحاج صالح على من قبيلة الببابة فدفع لى منها مائة جنيه واغتال المائة الثانية فاخذت المائة جنيه ولم أطلع أحدا على أمرها وفي غضون ذلك جاءنى اعرابيان من قبيلة الكبابيش واخبرانى ان محمد ماهر باشا محافظ القاهرة الآن ووكيل محافظة الحدود وقتئذ أوصاهما بمساءدنى على الفرار ووعدهما بمكافأة قدرها مائتا جنيه لدى وصولي الى الحدود المصرية وبعد ان تداولنا في كيفية الفرار قالالى انا نسافر من أم درمان على احدى السفن الشراعية قاصدين ( الترعة الخضراء ) التى تبعد عن أم درمان مسيرة ثمانى مراحل جهة الجنوب على النيل الابيض ثم نقصد جهة ( شرقيه ) فى الجنوب الشرقي من إقليم كردفان ثم نمتطي الجبال من هناك ونخترق اقليم كردفان من الجنوب الى الشمال حيث نكون فى جنوب ( صحراء بيوضه ) التى نخترقها الى الشمال وينتهي سيرنا بالوصول الى حلفا

على ان اختراق الصحراء كان يستدعى مسيرة ثلاثين مرحلة بسير الهجن الخيث عدا مسافة السير من الترعة الخضراء الى ( شرقيه ) وجهات كردفان الشمالية وقد كانت هذه الرحلة على ما فيها من الشقة كافلة لنجاتى وخلاصي من الاسر اذ المسافرين فيها يأمن ان يدركه رجال التعاشي الذين لا يعرفون هذه الطريق وغاية ما يفعلونه ان يتأثروا الفارين في الطريق التى تمر على بربر والصحاري التى حولها

ولما اجعت أمرى على الفرار مع ذينك الاعرابيين اللذين تعهدا لى بأنهما لا يأخذان شيئا من النقود قبل ان نصل الى الحدود المصرية تركت لعائلي خمسين جنيها من المائة جنيه ودفعت نحو عشرين جنيها كنت مدينا بها لبعض التجار ولم أخبر أحدا بأمر الفرار وقلت لعائلي اني ذاهب الى جهة

قريبة في البحر الأبيض لا عود منها بشيء من الذرة تقتاتون به وتزودت  
بشيء من خبز الذرة المجفف وأخذت قليلا من البصل وركبنا السفينة ومعي  
الاعرابيان وقد أوصياني بالابتعاد عنهما والتظاهر بعدم معرفتهما مادامنا  
في السفينة فغادرنا أم درمان وكان الفصل شتاء وليس معي غير الوعاء  
الذي فيه خبز الذرة وملاءة من الانسجة الخفيفة المسماة (مرمر) ومعي  
ثلاثون جنيا انكازيا وضعتها في منطقة من الجلد تمنطقت بهأتحت الملابس  
وبعد مسيرة أربع ليال رست بنا السفينة في ساحل التربة الخضراء فحلت  
وعاء الزاد ونزلت من السفينة والماء يكاد يبلغ تراقي والشاطئ بعيد عنا بنحو  
خمسة مائة متر وتبني الاعرابيان كأنهما لا يعرفان من امرى شيئا فخرجت من  
الماء وقد جمد الدم في عروقي من شدة البرد فلجأنا الى غابة مظلمة  
تزار فيها الاسد وتتوابع فيها النمر والذئب وسائر الضواري فقضينا تلك  
الليلة حول نار أوقدناها للاصطلاء بها واتقاء السباع لأن صاحبي قال لي ان  
السباع تفر ولا تقترب منها وقضينا مدة الليل لم يزر الكرى لنا اجفانا ولم  
نضطجع على التري

وفي الغداة سرنا نحن الثلاثة على اقدامنا نخترق الغابة متجهين الى جهة  
الجنوب الغربي وقضينا مدة النهار في السير حتى أرخى الليل سدوله فسمعنا  
نباح الكلاب حيث وصلنا الى قرية ( التربة الخضراء ) وهي قرية كبيرة  
سكانها زهاء خمسة آلاف نسمة ثم غادرناها واتيننا الى اكواخ خربة فدخلت  
انا وواحد منها في أحدها وذهب الآخر الى القرية كي يعود منها بالجمل  
فذهب بعد ما قطع غصنا من الشوك ووضعناه على باب الكوخ فاضطجعت حتي  
كان الثلث الاخير من الليل جاء صاحبنا الذي ذهب الى القرية بمجملين فامتطياهما

واردني أحدهما خلفه وما سرنا نحو عشرين ميلاً وسط الفلاة ووجهتنا الجنوب  
 الغربي حتي اسفر الفجر وهكذا ظللنا سائر نهار كله حتي مضى الثالث  
 الاول من الليل حيث بلغنا (شركيله) في حدود كردفان الجنوبية وهناك  
 نزلنا ضيوفا على اعراب حلقاء لصاحبيّ فقدموا لنا جانبا من اللبن الحامض  
 وخبز من الذرة وفي الغد قلت لصاحبي هيا بنا تابع سيرنا فقلا اننا منتظران  
 شخصين تركناهما في أم درمان ليأتيا باناس فارين مثلك فضقت ذرعا من هذا الكلام  
 وأخذت في حثهما على السفر وأظهرت تخوفي من افتضاح الامر اذا عثر بنا الدراويش  
 فلم يصغيا لقولي وأقنا في (شركيله) سبعة أيام ننتظر القادمين من أم درمان فلم يأتيا  
 وفي صبيحة اليوم الثامن جلست أمام الكوخ فاذا انا بشخص راكب على حمار وخلفه  
 عبد فأمنت النظر فيه فاذا هو قبطي من ككتبة جيش يعقوب أخي  
 التعايشي فتقدمت للسلام عليه فترجل عن دابته وحياني وصاحني وعلامات  
 الدهشة بادية على وجهه ثم ابتدرني بالكلام قائلا ان الحليفة فقدك وقد  
 سير الركبان الى كل الجهات في طلبك فقلت له اني قصدت هذه الجهة لان  
 لي بها صديقا قديما أرجو أن أنال من رفته دريهمات ثم استحلفتني على أن  
 يكتم خبر رؤيته اياي في ذلك المكان خلف أن لا يذكر شيئا من هذا الامر ثم  
 انصرف وتابع هو سيره قاصداً كردفان وعدت الى صاحبيّ فاخبرتهما بما  
 أنبأني به القبطي وقلت لهما إما أن تسيرا بي في هذه الليلة واما أن ترجعاني الى  
 التربة الخضراء فقلا لا سبيل الي السير مالم يحىء صاحبانا فألححت عليهما  
 بارجاعى الي التربة الخضراء وقضيت ذلك النهار وفي الاصيل رضيا باعادتي  
 الي التربة الخضراء فركبا هجينيهما وأردفني أحدهما خلفه وابتدأنا السير من أول  
 النهار وفي الغلس وصلنا الي ضفة النيل الأبيض عند المكان الذي رست فيه

السفينة فأراد صاحبها أن يرجع على أعقابهما فألححت عليهما بالبقاء ريثما يتبلغ الصباح ولما بدأت طلائع الصباح وولت جيوش الظلام ودّعاني وعاداني طريقهما إلى ( شركيله ) والسباع تزجر حولي فحملت وعاء الزاد وسرت على ضفة النهر فوق بصرى على زورق يشبه قوارب الصيادين فدنوت منه عساني أجد عنده أنيسا فلم أجد فقلت في نفسي لا بد لهذا القارب من صاحب يأتي إليه فكشكت نحو ساعتين ولما لم يأت احد وأدركني بأس عظيم هون علىّ حياتي التي سسّمته دخلت في الزورق وقذفته في لجة البحر ووضعت وعاء الزاد تحت رأسي واضطجعت في الزورق الذي توسط لجة النهر وسار به التيار إلى جهة الشمال وظل هكذا حتى اذا كان الاصيل أبصرت قرية على ضفة النهر القريبة فرسا الزورق عند هذه القرية فوثبت للنزول إلى البر فأمسك بملابسى شخص وقال لي ( يا ولد الريف يا سارق ) ولطمني على وجهي عدة لطمات فأخذت أنضرع له وكنت أود أن أعطيه جنيا من الثلاثين التي معي ولكنه مديده وسلب مني ملأتي وعمامتي ومنطقتي ثم انصرف فدخلت القرية وسألت هل بها مصري فقيل لي ان فيها مصريا اسمه عبد الفتاح فقصدت محله فاذا هو ضابط برتبة ملازم ثان كان بحامية الخرطوم فتلقاني بالاكرام وأخبرني بان رسل الخليفة قصدت جميع الجهات في طلبى فأخرجت بضع جنميات وقلت له أدركني بشراء عشرة أراذب من الذرة لاضعها على ضفة النهر وأجلس بجانبها حتى اذا أدركتني رسل الخليفة وجدتي على هذه الحال فأسرع عبد الفتاح بشراء عشرة أراذب من الذرة ووضعها على شاطئ النهر وجلست بجانبها وفي ضحوة الفلح بينا كنت مضطجعا أبصرت راكبين قد أناخا هجينهما بالقرب منى وبصرهما مصوب نحوى فعقلا جليلهما وتقدما

نحوي فوقفت لها وصاحته بها فجلسا بين يدي وأدب ووقار فقلت لها أأنتما قادمان من البقعة المنورة فقالا نعم فقلت لعل خليفة المهدي عليه السلام بخير فقالا نعم بخير وهو يقرأ عليك السلام فوقفت على قدمي أجلا لا لذكر الخليفة وقد طار قلبي فزعا من هذا الكلام ثم قال لي ان الخليفة يدعوك للحضور عنده فقلت ولماذا لم تخبراني بذلك قبل التحية لان أوامر الخليفة يجب انفاذها في الحال فساءلاني أين عمامتك ومنطقتك فقلت سرهما اللصوص مني في هذا المكان فقالا وما الذي جاء بك الي هذا المكان فقلت قصدت بعض معارفي هنا فاحسنوا علي بهذه الذرة وعما أنا مقيم لأجل حراستها ريثما تمر سفينة أحمله عليها وقصدا ذاك أم درمان فقالا اننا نريد إشغاصك معنا الي أم درمان فكيف تقابل الخليفة بالاعمامة ومنطقة

فارسلت في طلب عبد الفتاح فاسرع بالحضور وقال للرسولين انه جاء الي هذا المكان بقصد أن يتحصل على شيء من الذرة يناله من أولى البر والاحسان فجمع هذا القدر من الذرة وأخيراً أعطاني عبد الفتاح عمامته ومنطقته وترك الذرة وديعة عنده ريثما يجد سفينة يرسلها بها الي بام درمان ثم قمنا للسفر فاردفني أحد الرسولين خلفه وغادرنا قرية (ولد الزاكي) قاصدين أم درمان وبعد مسيرة ثلاثة أيام وصلناها قبيل العصر وانحنا الجمال امام باب دار التعاليش الذي خرج علينا فقال له يوسف منصور هاهو عبدك ابراهيم فوزي فالتفت الي وقال الي أين ذهبت يا ابراهيم فوزي فقلت يا مولاي انني شخصت الي احمدى قرى النيل الابيض لانال شيئاً من احسان أولى البر فجمعت عشرة أراذب من الذره فلم أجده سفينة شراعية تحملني فاقت في حراسة الذرة حتى جاءني هذان الرسولان وهنا قص عليه الرسولان ما راياه من حالتي فسكن جاشه وقال من الذى أذنك بالسفر فقلت أخذت اذنا من المقدم وهو قائد عشرين



مقاتلا في ترتيب جيش الدراويش فقال لي أمثلك يكون اذنه بيد المقدم فقلت  
كلا ولكنني اضطرت لهذا السفر بسبب ما لحقني من الجوع وضيق العيش  
فصاح التعاشي قائلا أين القاضي أحمد علي فجيء به فقال له أسلم هذا وأشار  
إلى واحد الاعراب المواظمين على الصلاة بالمسجد ليكون رقبيا عليه فأسلمني  
القاضي إلى بقارى كان أول كلمة سمعتها منه قوله لي (يا ولد الريف لماذا أنت  
ضخم هكذا) فاحنيت رأسي تذلا له وقلت (هكذا خلقني الله) وبعد انقضاء  
صلاة العصر قال لي (يانوبي) وهي كلمة يقولها البقارة لكل انسان لم يكن  
بقاريا من جنسهم وهي تدل على ان المنادى بها رقيق الى أين تذهب فقلت  
الى منزلي فقال أذهب معك لأتعشى معك فقلت لأبأس فذهب معي وتناول  
الطعام وسأعود الى ذكر بقية أخباري مع هذا البقارى الذي ظلت أربع  
سنوات في اسره وتحت مراقبته

أما نبأ غيابي فقد وصل الى الخليفة بعد غيابي ببضعة ايام من يوسف  
منصور الذي كان موكلا بحراستي منذ سقوط الخرطوم وهو من ضباط  
الحكومة وقد هال التعاشي امر غيابي حيث أيقن اني فررت الى الديار المصرية  
وفي مساء يوم وصولي لام درمان أظهر التعاشي من الفرح والسرور  
ما حمله على أن دعا نفاخي الابواق وعازفي الطبول فقضوا ثلاث ساعات في  
اللمو والطرب ولم يخرج التعاشي لصلاة العشاء الا بعد منتصف الليل والحاصل  
أنني أنفقت في بضعة شهور نحو عشرين جنيتها من الثلاثين جنيتها التي كانت  
معي في سبيل مدارة الاعراب الموكل بي ولولا ان الله لطف بي ووصلت الى  
نقود مرسله من صديق الحميم محمد ماهر باشا محافظ القاهرة الآن لأوقعني ذلك  
الريب في مهاوى الهلاك وسيأتي ذكر الرسائل والله الموفق

## ذكر حرف المؤلف

ذكرت اني كنت مقيما بجوار منزل يوسف منصور وبجوارى ضابط  
برتبة يوزباشى اسمه على خير الدين كان بحماية سنار

وفي ذات يوم زارني أحد معارفى من أهالى السودان فأعطاني  
خمسين ريالاً مجيدياً وأعطى جاري على خير الدين عشرة ريالات ثم  
انصرف فقال لى جاري أرى اننا فى حاجة شديدة الى حرفة نرتزق منها فقلت  
ماهى الحرفة الذى ترى اننا قادران على القيام بها فقال نفتح حانوتا نبيع فيه  
(القهوة) فى ساحل الموردة فقلت لا بأس وذهبنا الى ذلك الساحل واشترينا  
بوصاً وأخشاباً واستأجرنا أناساً عاونونا على تشييد كوخ فرشناه (بالابراش)  
وهى نوع من الحصر يصنع من الخوص وفى اليوم التالي فتحنا الحانوت وما  
مضت ساعتان على فتحه حتى جاءنا الحاج خالد العمرابى محتسب ساحل الموردة  
وقبض وأمرنا بهدم الكوخ فأخذنا نتضرع له ونستعطفه فلم يجاوبنا بغير  
الشتائم القبيحة ومنها يا كفار يا أولاد الريف يا أسرى وأخيراً أمر أعوانه بهدم  
الكوخ فهدموه ونهبوا أدوات القهوة وأخذوا الحصر والأخشاب ولم يتركوا  
لنا شيئاً من البوص وكانت نفقات تشييد هذا الكوخ قد بلغت عشرين ريالاً  
مجيدياً عدا ثمن أدوات القهوة فقلت لصاحبي على خير الدين ماذا نعمل فقال نبتعد  
عن ساحل الموردة ونشيد كوخاً آخر نبيع فيه القهوة أيضاً فقلت ان مابق  
لدينا من المال لا يكفي لتشييد كوخ آخر فقال نفق مابق عندنا من النقود  
أما ثمن البن فقد اتفقت مع تاجر مصري يبيع البن على أن نشيد ابن منه  
ما يكفيننا من البن فابتعدنا عن دائرة نفوذ الحاج خالد العمرابى وشيدنا كوخاً

آخر وبأشرنا بيع القهوة فيه

ولما أبصر من حولنا من الدراويش حانوتنا صاروا يترددون علينا شرب  
القهوة وإذا طلبنا منهم ثمنها أهانونا وضربونا وانصرفوا وبعضهم يقول لنا  
أتركوا ثمن القهوة ( في شان الله ) أي لوجه الله فإذا قلنا لهم لا تتركه يضربونا  
ويقولون انكم مازلتُم كفاراً

ومكثنا نحو شهر نبأشر هذه المهنة وقد بلغ ماتدائنا من التاجر عشرين  
ريالاً لم تحصل منها على أكثر من ستين قرشاً وما بقي ذهب بين ( في شان  
الله ) وبين ديون على بعض دراويش لا تقوي على مطالبتهم بسدادها لأننا  
موقنون أننا لو ذهبنا إلى مطالبتهم لقينا ما ذكره وربما رمونا بتهمة  
الكفر وساقونا إلى موقف يستحيل عودتنا منه سالمين فهدمنا الكوخ  
وبعنا أخشاباً وحصره وأدوات القهوة وذهبنا إلى التاجر لنوفيه حقه فتنازل  
عن النصف ودفعنا له النصف الآخر ثم زين لصاحبي عقله أن نحترف بمهنة  
شراء البطيخ من المزارع وبيعه فاستحضرنا ثلاثين ريالاً مجيداً جعلناها  
رأس مالنا وذهب صاحبي إلى قرية ( الملقون ) واشترى بطيخاً شحن به مركباً  
صغيرة وعاد إلى أم درمان في العصر وكان ذلك في شهر رمضان فأخرجنا  
البطيخ من المركب ووضعناه على شاطئ النهر زيثاً نبيعه للبيعة وذهبت إلى  
منزلي وتركت صاحبي يحرس البطيخ وبيننا كنت عائداً من المنزل رأيت  
موكب التمايشى ماراً فأبصرت الدراويش الذين خلفه قد اختطفوا البطيخ  
وبعد أن اجتاز الموكب ذهبت إلى صاحبي على خير الدين فالفيتة جاثياً على  
ركبتيه واضمماً يديه على رأسه شاخصاً بعصره إلى الأرض ووجدت  
عنده بعض بطيخ مشتم فمظم على نهب البطيخ وأمكنني أخذت في

تسليته وتهوين المصيبة ومازلت به حتي أخذته وذهبنا الى منازلنا  
 وكان التعايشي ذاهبا بموكبه الي منزل له بالقرب من هذه الجهة وبعد  
 ان أوصلت رفيقي الى منزله ذهبت خلف التعايشي فوجدته جالسا في المسجد  
 فقال له أحد الحاضرين ان ابراهيم فوزي ورفيقا له كانا يبعان البطيخ فداهمهم  
 الانصار ونهبوا البطيخ فقال ( في شأن الله ) ثم قال لمخاطبه من هو ابراهيم  
 فوزي كأنه لا يعرفني فوقفت بين يديه فقال هل البطيخ الذي أخذه الاخوان  
 لك فقلت نعم فقال ومن أين لك رأس المال فقلت تداينته من بعض الناس  
 على شرط ان يكون الزمخ بيننا فقال وماذا قلت لما أخذه الانصار فقلت لم  
 أقل غير ( في شأن الله وفي حب سيدنا الخليفة ) فتبسم وقال أهكذا قلت مع  
 ان رأس المال دين فقلت لم أقل غير ذلك ثم حان وقت الافطار فدخل  
 التعايشي داره وذهبت الى منزلي للافطار أيضا ثم عدت وأنا لا أشك في  
 انه سيعطيني تمويضا فقضيت الليل حول مقصورته حتي انتهت صلاة القيام  
 ودخل الى منزله وبعد أيام قلائل ارسل لي مع أحد خدامه أربعين ريالاً من  
 الريال المسمى ( مقبول ) الذي تقدر قيمته وقشند بخمسة قروش

وفي اليوم التالي قال لي صاحبي على خير الدين ان كثيراً من الذين  
 يتبايعون البقر والغنم يرغبون ان يكتبوا عقوداً بين البائع والمشتري يضمونها  
 أوصاف البهيمة المشتراة وان أجرة تحرير عقد بيع الراس من المعز أو الضأن  
 قرش ومن البقر قرشان وكذا الابل فذهبت مع صاحبي الى السوق واستأجرنا  
 مظلة من البوص وجلسنا تحتها وجاء أصحاب الماشية للبيع فاخذنا نكتب  
 العقود فاجتمع لدينا نحو أربعين قرشاً قبل ان ينتصف النهار ثم أذن لصلاة  
 الظهر فجاء الدراويش بالسياط وأوسعوني وصاحبي ضربا وأخذوا ما جمعناه

وقالوا اذهبوا الى الصلاة ومن العادة المتبعة عند الدراويش انهم يضربون الباعة  
وأصحاب الحوانيت بالمياط لينهبوا لاداء الصلاة في المسجد والحقيقة انهم انما  
يفعلون ذلك لينهبوا ما في الحوانيت من السلع فسرنا مع الدراويش الى المسجد  
ونحن نلج في الضراعة ونلتمس الاحسان علينا بشيء من القروش التي أخذت  
منا وبمذلتنا والتي اعطونا خمسة قروش بعد ان اشترطوا علينا عدم مباشرة هذه  
الحرفة لما فيها من كثرة الايراد وحيث اننا مصريون وكفار بزعمهم فلا يصح  
ان نتحصل على شيء يزيد على ثمن الخبز بلا ادام  
هذا وقد استطاع صاحبي على خير الدين الحرب والاحاق بمصر بعد هذه  
الكوارث بنحو عامين



ذكر عثمان الملقب بشيخ الدين بن عبد الله التعايشي  
لما أفضت خلافة المهديوية الى التعايشي كان سن ابنه عثمان لا يتجاوز  
عشر سنين تقريبا  
ولما كان التعايشي ذا طموح لجعل الملك وراثيا في آل بيته مهد كل الصعوبات  
التي تعترض هذا السيل وخط من قدر انجال المهدي وسائر ذوى قرابته  
وأخذ يعيرهم في مجالسه الخصوصية بانهم ذناقلة أسافل لا يصلحون لشيء غير  
حراسة الابواب

وفي أواخر سنة ١٣٠٥ دعا ابنه عثمان وعمره لا يتجاوز اذ ذاك ثلاثة  
عشر عاما وقال على رؤس الملا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبله بلقب  
(شيخ الدين) وانه مرشح ليكون خليفة رابعا ويجلس على كرسي عثمان بن  
عفان عليه سحائب الرضوان

وبعد ان أعلن التعايشي بين أهله ترشيح ابنه عثمان للخلافة عاد فسكت  
عن هذه المسألة ولم يتكلم عنها بعد لان اخاه يعقوب حذره من ولوج هذا  
الباب وقال له انك ان فتحت باب الكلام في أمر الخلافة أوجبت على نفسك  
السير على حسب ترتيب الخلفاء وإذ ذاك يجب تقديم على حلو خليفة القاروق على  
ابنك الذي تريد جملة خليفة لعثمان ولا يبعد ان الخليفة على حلو يحول بين الخلافة  
وبين ابنك ويجعلها وراثته لأولاده اذا قدر له ان يخلفك فعدل التعايشي عن تولية  
ابنه الخلافة واخذ في أسباب تناسي الناس ذكرى الخلافة واهمية الخلفاء فجلس  
ذات يوم والناس حوله وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم والحضر والمهدى  
اخبروه بان لا خلافة بعده وان الملك والسلطان سيكونان بيد اقرب الناس اليه  
وقال مرة ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بعبارة مبهمه حيث قال له انت اربعون  
فلم يفهم معنى الاربعين أي اربعون عاماً أم اربعون شهراً أم اربعون يوماً  
فاخذ من حوله من المتعلمين في البكاء وكان ابن النجومي حاضراً فقال لما اذا  
تكون فقالوا لقد ساءنا ان سنى حكم سيدنا اربعون سنة فقال لهم التعايشي  
سواء كانت سنو حكمى اربعين سنة أو اربعين شهراً أو اربعين يوماً فانه لا يبق  
بعدي على وجه الارض مؤمن وان الساعة لم يبق عليها غير ما هو باق من أجلى  
وفى هذه السنة أى سنة ١٣٠٥ زوج التعايشي ابنه عثمان بنت عمه  
يعقوب وبالرغم عن التقاليد التي سنّها المهدى بتخفيض مهر البكر الى عشر ريالات  
والثيب الى خمس ريالات وتحذيره من الاحتفالات في ليالى الاعراس وتوعده  
من خالف هذه القواعد بالعقوبة الصارمة تغالى التعايشي في إظهار الابهة  
في الاحتفال بقران ابنه حيث اقيمت الافراح وادبت نحو خمسين مأدبة  
حضر كل واحدة نحو الالفين من المدعوين ومع بساطة الأطعمة في هذه المآدب

التي كانت قاصرة على اللحوم والتمر وبعض الخضراوات قد بلغت نفقاتها  
قدراً طائلاً من المال

وكان لحمدان أبي عنجة دار كبيرة شيدها بالآجر واللبن الأحمر فاخذها  
التعايشي وأسكن فيها ابنه عثمان ومن ثم ظهر عثمان بن التعايشي بمظهر الامارة  
وحاول أبوه ان يولييه قيادة الجيوش ويستورزه بدل أخيه يعقوب الذي اضمر  
لعثمان الكراهة وأوجس خيفة من ان يشرع أخوه التعايشي في اقصائه عن  
منصبه ويستعيز عنه بابنه عثمان الذي أخذ يجاهر عمه يعقوب بالمداهة ويعيب  
أعماله ويشدد النكير عليه حتي أفضى ذلك بينهما الي مناظرات شديدة ظهر بها  
للتعايشي ان قبائل الاعراب البقارة سيما التعايشة شديدو التعلق بأخيه يعقوب  
وانهم منقادون له انقياداً أعمى وكثير من القواد صنائه وفي الحقيقة ان صفات  
يعقوب هي التي جذبت هؤلاء الاقوام وجمعت قلوبهم على ولائه والاخلاص  
له لانه كان اكرم خلقاً من أخيه التعايشي وألين جانباً منه ولشدة دهاؤه وتفننه  
في أساليب الخداع كان لا يباشر أحداً بسوء أما سياسة أخيه فكانت خرقاء ولذا  
كان لا يظهر بغير مظهر القوة والجهروت فامتلات الافئدة برهبته وفزع  
من قهره ومالت الي جانب أخيه يعقوب الذي كان قابضاً على زمام أعطية الناس  
وبيده ارزاقهم فمن أرضاه منهم أمن غائلة أخيه التعايشي وتناول عطاءه وحصل  
على رزقه وان كان من أولى الوظائف فانه يصير آمناً على وظيفته بعد ان يؤدي  
الي يعقوب ما يفترضه عليه من المال وسيأتي أن ما كان يتناوله يعقوب من  
رشا الوظائف وغيرها كان يدفع جله الي أخيه التعايشي

هذا وقد يقنن التعايشي ان محاولة اقصاء يعقوب ستكون ذات  
منفعة سيئة وكان يخشى أن يهب لمناواته حيث ان القوة في جانب أخيه

كانت ارجع منها في جانب فضلا عما يعلمه من سير ابنه الذي شب ولا هم له غير  
الشر والتفاني في حضور ليالي الرقص وشرب الخمر مع ان المهدوية منذ ظهورها  
شدت التكبر على الراقصات وسنت العقوبة الشديدة عليهن كالجلد بالسياط  
وحلق الرأس ومصادرة الاموال وفي الحقيقة ان المهدوية بسنها هذه الاحكام  
أحسنتم صنعا لان عادة الرقص سيما في الاعراس من أقبح عوائد السودان  
وأشدها مساسا للآداب العمومية اذ يجتمع في ليلة الزفاف عدد كبير من  
الشبان والفتيات يغنون بانغام مختلفة بين ثقيل ووسط وخفيف ويطنبرون  
باصوات مزعجة كأنها حشرة الصدور ثم ترقص الفتيات ومن ضمنهن  
العروس على هذه الانغام ويحنين ظهورهن حتى تكاد رؤسهن تمس الارض  
واجسامهن عارية ليس عليها غير الخلى وعلى عوراتهن سيور من جلد طولها  
أقل من عشرين سنتمرا تري من خلالها عورة الراقصة وتسمى هذه  
السيور ( الرهط ) ويظل الرقص والفناء مستمرا في منزل العروس مدة  
أربعين ليلة أو لاهن ليلة الزفاف

هذا ولعمد الى ذكر عثمان شيخ الذين الذي طرح الوقار وتهتك في حب  
الراقصات ووالي السهر في ليالي الرقص وجمع حوله عددا كبيرا من المغنين المطنبرين  
وأخذ عمه يمعن يرفع الى والده التعاشي أخبار ما يقف عليه من قبيح سيره  
واسترسالة في قضاء الشهوات وشرب الخمر ولم يترك بابا من أبواب الفسق الا  
ولج به وبالجملة انه ظهر في مسرح الخلاعة وضروب الفحش والمتهتكين وامسى ولا هم  
له غير اغتصاب كل بنت تعجبه والتمتع بها بضع ليال وجمع حوله عددا كبيرا  
من الخنثين وصار الامراء وسائر الناس يخفون أولادهم عنه حيث كان  
يأخذهم بصفة حراس وخدام له ولم يعمل أبوه لكبح جماحه عملا



سوى انه كان في بعض الاوقات يقبض على بعض ندمائه ويهدمهم الى جهات  
خط الاستواء

هـذا وقد مد عثمان يده الى الجباة وامراء الجهات فكانوا يدارونه  
بالمهديا اتقاء شره وكانوا في حيرة من أمره لان عمه يعقوب كان يحذرهم  
من إعطائه شيئاً من بيت المال

وجمع التمايشي نحو أربع مائة من غلمان الاحباش الذين أخذوا أسرى في  
حروب الاحباش واركبهم الخيول الكريمة وجعلهم حراساً لابنه

وقد حذا حذو عثمان شيخ الدين في جميع اخلاقه واطواره شبان البقارة  
الذين شبوا في أم درمان وصرت تري دور أمراءهم وقوادهم غاصبة بالمغنين  
والمطبشرين وانغمسوا كلهم في الترف واللغو وشرب الخمر حتي صاروا يتباهون  
بذلك ويفاخر بعضهم بعضاً بهذه المنكرات وسيأتي الكلام على الخنثيين وما  
كانوا يعاملون به في ايام المهديين ثم ماصارت اليه حالتهم من الانقلاب  
على عهد عثمان شيخ الدين واضرابه من شبان البقارة

والحاصل ان التمايشي رأى ان لا مناص له من ترك أخيه يعقوب يشاطره  
النفوذ والسلطان في ملكه بالرغم عن طموحه لرفع شان ابنه وترشيحه لنيل  
الملك من بعده ويبد الله كل شيء

### الكلام علي الخراج والجباة والعمال

عقدنا هذا الباب لنأتي فيه على ذكر نظمات المهديين وعواندهم  
في جباية الخراج وتعيين الجباة والعمال اذ من هذا الباب يقف القارئ على  
نظمات القوم ويعرف أساليب الخراج وتعيين الجباة فنقول

تنقسم البلاد السودانية في كيفية جباية الخراج الى قسمين. القسم الاول  
 أمراء البلاد الذين لهم شبهة استقلال في امارتهم ولاسلطة لأمين بيت  
 المال عليهم وهؤلاء أمراء شرقي السودان كعثمان دقنه وأمير دنقلة عبد الرحمن  
 النجومي والذين خلفوه وأمير جيش الولايات حمدان أبى منجعة ومن خلفه  
 وأمير دارفور وكردفان عثمان آدم ومحمود أحمد الذي خلفه بعد وفاته وكذلك أمير  
 بربر فهؤلاء الأمراء لهم شبهة استقلال في أعمالهم بحيث يقتلون وينفون في دائرة  
 نفوذهم لانهم يقودون جيوشا جرارة ويحكمون على عدة أقاليم ولكل واحد  
 من هؤلاء الأمراء بيت مال خاص وسجن وشرطى خاص بامارته وهو الذي  
 يعين الجباة من طرفه وينفق ما يجتمع في بيت ماله على الحامية التي تحت إمرته  
 وكانوا في ظاهر الحال غير مكافئين بارسال شئ من خراج بلادهم الى أم درمان  
 ولكن الحقيقة انهم يؤدون اكثر من نصف ما يجمعونه من الخراج الى يعقوب  
 أخى التعايشي بصفة هدايا واذا صودرت أموال أحد الاغنياء فان القيمة  
 التي صودرت ترسل برمتها للتعايشي وأخيه وابنه وفي جميع الاحوال كان  
 ما يرسل الى الخليفة من نوع الذهب والفضة الخالصة ونوعي الريال  
 المجيدى والنمساوى وان كان الذهب أحب هذه الاصناف الى التعايشي .  
 والقسم الثاني جباة صغار يعينهم أمين بيت مال أم درمان يبلغون عشرة  
 جباة كل جاب لا تتجاوز دائرة نفوذه قسما من أقسام مديرتي الخرطوم  
 وسنار وهذان الاقليمان هما اللذان بقيا تابعين لبيت مال أم درمان  
 اما الخراج الذى يجبي فهو عبارة عن عشر الحبوب وزكاة الماشية من الغنم  
 والبقر والابل حسب الفريضة الشرعية وزكاة الفطر يأخذونها قهراً من كل من  
 صرهم وليس بيده قسيمة بتوقيع أحد العمال تفيد انه أدى زكاة الفطر وزكاة المال

تؤخذ قسراً من التجار ومن يظن انه ذومال

هذه موارد خراج المهدوبين ومقاديرها ظاهرة ولكن الحقيقة انهم كانوا يأخذون اكثر من ثلث محصول الحبوب وهذا اذا لم يدعوا على المزي انه شرب خمر أو استعمل دخاناً ليتوصلوا بذلك الى مصادرة أمواله كلها

ويدفع الجابي قبل تعيينه الى يعقوب الف ريال من العملة القديمة ونحو خمسمائة ريال الى أمين بيت المال ونحو خمسمائة ريال لكتبة يعقوب وبيت المال وحجاب يعقوب فاجلثة ثلاثة آلاف ريال ثم تصدر الاوامر من التمايشى بتعيين أولئك الجباة فيغادرون أم درمان في شهر محرم من كل سنة ويعودون اليها في العشر الاولى من شهر ذي الحجة فيؤدي كل جاب اثني عشر الف ريال الى يعقوب ونحو خمسة آلاف أردب من الغلة عدا الماشية من أنواع البقر والغنم وعدا الركائب الجيدة من الخيول والجر الاهلية والهجن وعدا هذا وذلك الجوارى الحسان

واذا صادر الجباة أموال أحد الناس أرسلوا المال كله الى يعقوب والويل ثم الويل لمن اخفى ولو شيئاً تافهاً

وجملة القول ان ما يتناوله يعقوب كان يبلغ خمسة وعشرين الف ريال ولا محيص للجابي عن تقديم مثل هذا القدر الى بيت المال عدا ما يرثى به أمين بيت المال فيكون المجموع نحو ستمين الف ريال أما الفسائل فانها لا تدخل تحت حصر لكثيرتها ثم ان الجابي وكتبته واعوانه يتناولون من المال ما لا يقل عن نصف هذه القيمة عدا نفقاتهم مدة العمل حيث الاهلون مكافون بتقديم الاغذية لهم والعلف لدوابهم

ولا يفوتن القارى ان ما كان يتناوله يعقوب من الرشوة كان يصل خزائن

التعاشي بحيث لا ينتفع يعقوب منه الا بالطفيف  
وكثير من كبار أمراء البقارة يرسلون المال رأساً الي التعاشي بدون  
وساطة يعقوب وللاسباب التي سردناها تحوات ثروة السودان الي خزان  
التعاشي وأخيه وابنه وقبيلته وبات الاهلون يقاسون الفقر المدقع ليس  
لديهم من المال غير ما يحرقونه وليت المهدوية كانت تترك لهم من ثمار أرضهم  
ما يقوم بحوائجهم الضرورية ولا حول ولا قوة الا بالله

### ذكر المخنثين

يوجد في بلاد السودان مخنثون يتشبهون بالنساء في ملابسهم وربما  
سدلوا شعورهم مثلن وهم يأوون الي اماكن المومسات ليقوموا بمهنة القيادة  
اليهن ولا تخلو بلد من بلاد السودان من مومسات اكثرهن من الجوارى  
التي يفرض عليهن مواليهن ضريبة يقمن بادائها في كل شهر وقد جاء في كتاب  
(السيف والنار) ذكر أولئك البنايا ومواليهن الذين هم وجوه أهل السودان  
واغنياؤهم ولا عيب عندهم في ارتكاب البنايا هذا الفعل الشنيع لما ان هذه  
العادة قديمة متأصلة عند أهالي السودان ولذا لا يأنفون من أخذ المشاهدة  
من هؤلاء الجوارى

ولما ظهرت المهدوية وأقيمت الحدود الشرعية على الزاني والزانية مد  
المهديون أيديهم الي البنايا فاعتصبوهن من ملاكهن بصفة سبايا وبقي أمر  
المخنثين على ما هو عليه حيث ظلوا قائمين بحرفتهم في أمكنة الفجور السرية  
وفي سنة ١٣٠٤ قبض التعاشي على مئات منهم وزجهم في ظلمات السجون  
وعذبهم بالاشغال حتى اشرفوا على الهلاك ثم استتابهم وجعل عليهم حراساً

ورقباء وأمرهم بمواظبة الصلوات الخمس في المساجد فتركوا التشبه بالنساء وصاروا في وجل شديد ثم انه قبض على كثيرين منهم أيضاً ونفاهم الى خط الاستواء فلقوا حتفهم في الطريق قبل أن يبلغوها

ولكن ما لبثنا بضع سنوات حتى رأينا لرقباء والموكلين بالخنثيين قد تركوهم وشأنهم وصرنا نرى أولئك الخنثيين قد عادوا الي ما كانوا فيه من التشبه بالنساء وارضاء الشعوب وصار عدد ليس بقليل منهم يسكن دور عثمان شيخ الدين واضرابه من شبيبة البقارة ومنهم محمود احمد اسير وقمة ابيه وأخوه ابراهيم الخليل فتعلق الناس بالخنثيين وبعد ان كانوا لا يسكنون في غير محلات الباغيات وأحياء المومسات صار مأواهم دور الأمراء ومنازل القواد ولا غرو فالناس على دين ملوكهم وكان محمود احمد قد تفالي في تعلقه بالخنثيين الذين جمع منهم في منزله اكثر من عشرين واحدا منهم يرافقونه في الشخصوص الي دارفور ويعودون معه لدى قفوله راجعاً الي أم درمان

والبقارة يطلقون على الخنث اسم (عقايط) ومن ثم صار الخنثون أصحاب الكلمة النافذة عند عثمان شيخ الدين ومحمود احمد وسائر الأمراء وبالجملة انهم صاروا شفعاء لا ترد شفاعتهم عند عثمان وسائر الأمراء حتى صار أولئك الأمراء المفتونون يناظرون بعضهم بأولئك الخنثيين

وقد بلغ من تقرب عثمان شيخ الدين للخنثيين والانتصار لهم ان أحمد الرقباء الذين كانوا موكلين بمراقبة الخنثيين وكان شديد الوطأة عليهم حتي كان من أمرهم ما ذكرناه رماه بعضهم عنده بتهمة أنه يود إعادة المراقبة عليهم قبض عليه وسجنه ولم يطلقه الا بعد عناء شديد

ويزعم أولئك الأمراء انهم لم يأووا الخنثيين في منازلهم الا ليوكلوا اليهم

أمر تطيب نسايم وتدريبهن على أساليب الفنج والدلال لانهم على زعمهم  
أعرف من نسايم بهذه الاشياء وهو عذر ان صح نقله عنهم أقبح من الذنب  
لانه لا يبعد أن يتمتع أولئك المختنون بالنساء ويشاطرون هؤلاء الامراء المغفلين  
الحظوة بهن كما ان العقل يستبعد سلامة أولئك الامراء من التلطيخ باوضار تهمه  
اللواط أعاذنا الله منها

### حوادث دنقلة وقتل ابن النجومي

لم نذكر من حوادث دنقلة غير وصول عبدالرحمن النجومي وهنا نذكر  
بقية حوادثها الي سفره منها ومهاكمه بعد ان اجتاز حلقا فنقول  
لما غادر عبد الرحمن النجومي ام درمان قاصدا بربر ومنها الى دنقلة كان عدد  
مقاتلته سبعين ألفا ولكنه لما وصل الي بربر تفرقوا عنه ولحقوا ببلادهم  
ولم يبق معه منهم الا عشرون ألف مقاتل عدا الجهادية الذين يبلغ عددهم نحو  
عشرة آلاف مقاتل وكان قد ارسلهم من بربر الى دنقلة تحت قيادة مصطفى  
جبارة وكيل الجيش وكان قواد أولئك الجهادية آدم كرامة وسرور أباعنجة اللذين  
كانا في جنسية الحكومة في الايام السالفة ولما وطئت أقدامهما أرض دنقلة  
ورأوا أنفسهما قريين من حدود الحكومة اشتد ميلهما الي اللحاق بها  
فتشاورا علي اضرار نار الثورة وشق عصا الطاعة على المهديين فاجتمعا بصغار القواد  
المرؤسين بهما وتحالفوا علي أن يباغتوا الدراويش ويأخذوهم على غرة وعينوا  
آدم كرامة قومنداناً عاما عليهم ولقبوه بآدم (باشا) كرامة ومنحوه رتبة  
أمير اللواء ومنحوا سرور أباعنجة رتبة (أمير ألای) وسموا لواءهم اللواء

الرابع وأحسن أمير اللواء على بقية الضباط بالرتب ومن بينهم واحد اسمه عبد الله محمد كان حائزاً لرتبة ملازم ثان من الحكومة الحديوية منحه رتبة الملازم فاستاء من ذلك وعده إهانة كبرى لشخصه ولكنه لم يخبرهم باستيائه . على انه لو أخبرهم بما داخله من الغيظ لمنحوه ما يشتميه من الرتب ولكنه سكت فخالوا سكوته رضاء

وأجمع آدم كرامة وأعوانه على الوثبة على الدراويش في القدس ورسموا كيفية الهجوم وانصرفوا الى منازلهم على ان يجتمعوا في وقت عينوه ولكن لم يتم لهم ما اردوا فقد ذهب عبد الله محمد الى مصطفى جباره وأخبره بما دبره الجهادية فتقدمص الجدد وجمع حوله ألفاً وخمسمائة فارس وأرسل خمسمائة مقاتل قبضوا على آدم كرامة وسرور أبي عنجة وبعد ان سثلا فانكروا استشهد بعبد الله محمد الذي قال لهما انكما دبرتما كيت وكيت ثم ضربت اعناقهما وأعناق نحو عشرين من القواد الذين معهم وأرسل مصطفى جباره يخبر عبد الرحمن النجومي بهذه الحادثة وكان عبد الرحمن ينفذه فاتخذ هذه المسألة ذريعة الى الانتقام منه فكتب الى التعايشي يبري الجهادية بما رماهم به مصطفى جباره وادعى انه ما قتلهم الا لقصد سيء فرد التعايشي على عبد الرحمن النجومي قائلاً ان الحضرة النبوية أخبرته بصحة ما قاله مصطفى جباره وان ما فعله لم يكن عن سوء قصد كما قال عبد الرحمن النجومي الذي غادر بربر على أثر هذه الحادثة ولحق بدقلة وتكاملت جيوشه بها

هذا وقد ألعنا الى ان النجومي كان من حزب الخليفة شريف الذي كان التعايشي يسمى في تلاشي أمره واضمحلاله وقد كان من أمر النجومي انه رغب عن الخليفة شريف واحتقره ومال الى التعايشي الذي قابل ميله بالقصور وعده

خيانة توجب الازدراء بمرتكبها وكان ابن النجومى ذا بساطة فطرية مع به  
فلم يظن لهفوته هذه وبقي منزلاً للتعايشي

وبعد أن وصل ابن النجومى الى دنقلة انتدب التعايشى مساعد قيديم  
البقارى في بضعة آلاف مقاتل كلهم من البقارة وارسله الى دنقلة ليكون  
وكيلاً لعبد الرحمن النجومى

ولما وصل مساعد الى دنقلة زاره النجومى ذات يوم بمنزله فقدم له  
شرباً من العسل دس له فيه زرنخاً فتناول منه النجومى جانباً فابتدأت فيه  
اعراض التسمم ولزم داره واشتدت به العلة حتى اشرف على الهلاك  
وبعد مدة عوفي وزال عنه الخطر واشتد النفور بينه وبين مساعد الذي كان  
يطالب أمين بيت المال بنفقات باهظة تمدل نفقات الجيش كله فشكاه ابن النجومى  
الى التعايشي الذي كان لا يجاوبه بنفي العبارات المبهمة مثل أنت قائد  
الجيش ومساعد انما هو وكيلك والامر مشترك بينكما فاستحکم النفور بين  
مساعد وابن النجومى حتى خيف انتشاب الحرب بينهما وتفرقت كلمتهما وصار  
كل واحد منهما يستعرض جنوده على حدة

وفي ابان ذلك نفي الى ابن النجومى ان السير غرانفيل باشا سردار الجيش  
المصري ينوى الهجوم على معسكر الدراويش في جنوب حلفا وهو معسكر  
( صرص ) فارسل يبلغ التعايشي الخبر ويستأذنه في التقدم الى صرص فكتب  
له التعايشي يقول انك لن تزال في دور النقاة فابثت مساعداً بجميع فرسان  
الجيش وهم زهاء ثلاثة آلاف فارس فانفذ النجومى مساعداً الى صرص  
فالتقي قبل وصوله اليها بجواسيس المهديّة قادمين من حلفا فاخبروه بان  
السير غرانفيل معه قوة كبيرة وانه ربما كن لكم في الطريق فارتاع مساعد وكان



جباناً وعديداً ثم تقدم الى صرص فلقية جواسيس أخر اخبروه بمثل ما خبره به الاولون فترك الجيش وعاد الى دنقلة واستخلف أحد أقاربه على الجيش فتابع سيره الى صرص ولم يصادف كيداً في طريقه ثم قفل راجعاً الى دنقلة ولم يلتق بالجيوش المصرية التي قصدت صحراء (المرات) لاكتشاف آبارها

وفي سنة ١٣٠٥ استدعى التعايشي عبد الرحمن النجمي الى أم درمان واكثر من تأنيبه وتحقيره أمام الملائكة حتى قال له انك رجل مغفل لا تصلح للولاية على امرأتك وأولادك فضلاً عن ولايتك على جيش جرار

ولقد ذكرنا فيما مضى ان ابن النجمي كان من أعظم قواد المهدي الذين لهم عنده اكبر منزلة وقد كتب اليه مرات عديدة يقول ان الحضرة النبوية تقرأ عليك السلام وقال له يوم سقوط الخرطوم مفسراً الآية الشريفة (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) ان الذي قضى نحبه هو عبد الله بن النور الذي ذكرنا خبر قتله في واقعة (الجريف) وان الذي ينتظر هو عبد الرحمن النجمي فانظر كيف كانت منزلة عبد الرحمن بن النجمي عند المهدي وكيف سقطت الى الحضيض عند التعايشي الذي أنبأت أفعاله انه لم يكن مصداقاً بشيء من دعوى المهدي وتخرصاته وانه كان واقعاً على كنهه اكاذيبه بل كان مشاركاً له في وضعها واختلاقها

ثم أعيد ابن النجمي الى دنقلة في أواخر سنة ١٣٠٥ وأمر باخذ الالهبة لفتح مصر فدخلت عليه سنة ١٣٠٦ ولم يتقدم اليها بل أخذ في مماطلة التعايشي وود الاستقالة من عمله

وفي أواسط سنة ١٣٠٦ فشّت المجاعة في السودان واشتدت وطأتها

على أهل دنقلة فاصدر التمايشي أمراً بمزل ابن النجومي وتعيين يونس الديكم  
التمايشي بدله وأمر يونس المذكور باكره ابن النجومي على مغادرة دنقلة  
لفتح مصر

هذا وقد كان من الاسباب التي بعثت التمايشي لانهاذ عبد الرحمن النجومي  
الى فتح مصر أن بعض الجماعرة سكان مديرية أصوان كانوا يبعثون الكتب  
تبساعا الى التمايشي يظهرون فيها ولاءهم له وانهم ينتظرون بفروغ صبر تقدم  
جيش المهديوية الى بلادهم وانهم سيلة وانه في عدد عظيم من المقاتلة ويقدمون  
له ما يحتاجه من الاقوات وتفشى المجاعة في السودان كله مع ما ظهر له من ان  
الاهلين يودون الخلاص من ظلمه سيما وقد تفرقت دراويشه من حوله  
وأمر يونس معه منهم في أم درمان اكثر من بضعة آلاف فأشار عليه  
بعضهم بانفاذ جيش ابن النجومي الى حدود مصر ليظهر من الضعف قوة  
ومن جهة أخرى كان هلاك جيش النجومي مما يسعى اليه التمايشي لانه كما  
تقدم لنا من القول كان من حزب الخليفة شريف وكان ابن النجومي بعد ان هاد  
من أم درمان قد عاوده المرض وانتكست صحته فكتب يونس الديكم الى  
التمايشي يخبره بان ابن النجومي ملازم للفراس وان حالته منذرة بالخطر فاجابه  
بان يحملوه على نمش ويسيروا به امام الجيش لان الحضرة النبوية اخبرته بان  
فتح مصر سيكون على يده فخل ابن النجومي على نمش سيروه امام الجيش  
كانه تابوت بني اسرائيل وشخص من دنقلة ومعه اثنا عشر الف مقاتل  
وعشرون الفا من النساء والصبيان وأعطى لكل مقاتل من مقاتله كيلتين  
من الذرة وهو قدر لا يكفيه بضعة أيام  
ولما اقتربت الدراويش من حدود الحكومة عند مكان اسمه (ارغين)

هاجمته الحامية هجوما عنيفاً فسقط في ساحة القتال نحو نصف مقاتلته الذين صاروا لشدة فتك المجاعة بهم كغنم تساق الى الذبح

ومن المضحك ان أحد قبيلة الكنوز الذين كانوا مع ابن النجومي أرسل كتابا الي بعض أقاربه في أم درمان قبل مذبحة ( أرغين ) جاء فيه ما يأتي  
 اني ذهبت فرسى في هذه الليلة وتمشيت من لحما أنا ومن معي  
 وادخرت الباقي للتزود به حيث صرنا على مقربة من حدود الكفار وعما  
 قريب يأتيكم نأ فتح مصر اه فانظر هذه الغباوة واعجب لسخانة عقل من  
 تمشى من لحم فرسه وتزود بالباقي كيف يفتح مصر

وبعد واقعة ( أرغين ) سار ابن النجومي بجيشه حتى التقى بالسير غرا قيل  
 باشا قائد الجيش في ( طوشكي ) حيث قتل ابن النجومي وتمزق جيشه  
 كل ممزق

ولما كانت هذه الواقعة معلومة عند المصريين وقد وقفوا على تفاصيلها  
 فلا حاجة لا يراد شيء عنها زيادة عن هذا  
 اما تأثير هذا الخذلان على التعايشي فكان سيئاً ولكنه اظهر عدم  
 الاكتراث به

### ذكر زواج المؤلف باحدى نساء التعايشي

بعد أن أسلمني التعايشي للبقاري الذي وكل اليه مراقبتي في الصلاة  
 ببضعة شهور جلس في محراب المسجد بعد اداء صلاة الظهر وأخذ يكلم الناس  
 بامور زعم انه أخبره بها النبي صلى الله عليه وسلم ومن جملتها انه قال لهم سيظهر  
 كذاب يدعى انه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه وان أوصافه

كيت وكيت فقال له من حوله ان ذلك الكذاب مصري وكنت مصفيا لاقواله  
 فسمعتة يقول انه أبض اللون قصير القامة ضخمة الجثة مستدير الوجه فقال  
 لي بمض الحضور سرا يمازحني ان هذه الاوصاف تنطبق عليك فداخني  
 وجل شديد وقلت في نفسي رب واش أبغ هذا الطاغية عني أني مزعم  
 على ادعاء هذه الاكذوبة وانه قال مقالته هذه ليمهد بها طريقا للقبض على  
 والايقاع بي . فتتحييت من موقفي وجلست في المسجد واستندت ظهري  
 الي حائط وانا غارق في بحار الافكار فسمعت مناديا يقول يا فوزي فعلت  
 ان التعاشي يدعوني فذهب عتلي وقت وانا لأشك في تحقق ما وقع في روعي  
 واني مدعو الآن للتنكيل بي فشيت مسرعا حتى بلغت مقصورة التعاشي  
 فلما رأني قام على قدميه وخرج منها وأمسك بيدي ومشينا الى باب داره فقال  
 الناس لا ريب ان الذي أمسكه الخليفة هو الذي قال عنه انه سيدعي انه المسيح  
 عيسى بن مريم صلوات الله عليه وسلامه

ولما وصلنا عند الباب وقف معي وقال مخاطبا لي يا فوزي فقلت نعم  
 يا سيدي خليفة المهدي عليه السلام فقال اني أريد ان أزوجه امرأة مؤدبة  
 مهذبة حسنة التربية حسنة الخلق متدينة متورعة وهي احدي نسائي فقلت له  
 يا سيدي انني متزوج فقال أليس لك زوجة واحدة فقلت بلى فقال وما المانع من  
 ان يكون لك ثلاث زوجات أو أربع فقلت لا مانع سوى أني فقير مدقع وليس  
 لي كسب يعاوتني على القيام بواجبات زوجتين فقال لا تلتفت الى ذلك لان الله  
 متكفل بارزاق العباد ثم قال لي ما قولك قلت انا لا أرغب عما يختاره لي مولاي  
 فقال بارك الله لك فيها ثم قال لي لا تخبر أحدا بشيء من هذا الحديث ثم  
 تركني ودخل منزله فسكأ الناس على يسألوني فكنت أضرفهم بالجمالة

وأقول لهم لم يقل لي الخليفة شيئاً تخشى منبته

وبعد بضعة أيام استدعاني التعاشي الي داره فوجدته جالسا ومعه  
القاضي احمد على وقاضيان آخران وبعد ان قبلت يده أمرني بالجلوس  
فجلست على الارض بجانب هؤلاء الثلاثة ثم قال لاحد غلماناه أحضر الطعام  
فجاء بقصعة مملوءة بخبر الذرة ادامها من الطبخ الذي يصنع من البامية  
الحنفية (الويكة) وعلى وجه القصعة خمس قطع من اللحم يبلغ وزن القطعة  
منهار طلا فتناول التعاشي قطعة منها وقال خذ هذه يا فوزي ثم دفع لكل  
واحد من القضاة الثلاثة قطعة واطقي لنفسه قطعة فامسكت قطعتي بيدي  
اليمنى ونهشت جزءاً منها فوجدتها غير ناضجة وعلمت انها من لحم الابل  
فامسكتها بيدي اليسرى واخذت أكل بيدي اليمنى ولما فرغنا من الاكل وجدت  
ملايسي ملوثة بالطبخ فصاح بي التعاشي ماهذه القطعة التي تحملها يا فوزي  
فقلت له انني اكلت منها كفايتي واريد أن حمل الباقي الي آل بيتي ليتبركوا بقطعة  
اللحم التي صنعت في بيت مولاي وناولني اياها بيده الشريفة فتبسم والتفت الي  
القضاة وقال لهم لا ريب ان فوزي صار من خيرة انصار المهدي وانه نبذ  
الرفاهية ولم يلتفت الي شيء من الدنيا والتفت الي وبلغ في الشناء علي ثم  
تناول من القضاة ما بأيديهم من قطع اللحم وضمها الي قطعه وناولني الاربعة  
قطع وقال اذهب بها الي آل بيتك فحملتها في جيتي وخرجت من الدار  
حتى اذا صرت في طريق خالية من المارين طرحت اللحم من جيتي على الارض  
وذهبت الي منزلي واخبرتهم بما اتفق لي فاخذوا الجبة وغسلوها ومكثت  
حتى خفت اذ لم يكن لي غيرها ثم لبستها وذهبت الي المسجد  
وكان للتعاشي منزل في الجهة الجنوبية لام درمان عند حصن الحكومة

القديم فركب اليه ذات يوم بعد الظهر واستدعاني بعد وصوله اليه فقال اتني  
 ذاهب الي معسكر خارج المدينة وقد أمرت الخليفة على حلو بمباشرة عقد  
 زواجك بالمرأة التي أخبرتك بامرها وقد أمرت الحصيان ان ينقلوها الي  
 دارك في هذه الليلة فشكرته ودعوت له وبعد غروب الشمس أرسل الخليفة  
 على خلوصيا الي داخل الحرم ليسأل المرأة عن توكله فمادقائلها له انت وكيها  
 وكنت انتظر ان تجري صيغة العقد طبق الشرع فلم يفعل الخليفة على شيئا غير  
 انه رفع يديه وقرأ فاتحة الكتاب ثم قال لي بارك الله لك فيها وانصرف فدهشت  
 لهذا العقد الذي لم يكن فيه ايجاب ولا قبول ولا ذكر للمهر البتة ثم قال لي احد  
 الحصيان أرسل حمالين لحمل متاع السيدة فاحضرت عشرة حمالين ليحملوا  
 متاعها ولما اخرجوه اذا هو عبارة عن (عنقرب) وحصير من الخوص (برش)  
 وصندوق من الحشب فيه ملاءتان من القماش فتعجبت من هذا المتاع وانصرفت  
 مع حمال واحد حمله وقصدنا منزلي

على اني أقول انني كنت خائفا من هذه الزوجة حاسبا لها الف حساب اذ  
 كنت أظن انها ستكون عينا للخليفة في بيتي ورقيبا على أعمالي في داخل منزلي  
 ولذا امرت آل منزلي باخراج الدخان الذي أستعمله سرا في منزلي وايداعه بمنزل  
 احد أصدقائي وبعد هنية جاءت العروس راكبة على حمار التعاشي يحيط  
 بها خصيان وبعد دخولها في الدار استدعيت اربعة من جيراني المصريين وقدرنا  
 المهر وجددنا عقد النكاح بما يطابق الشرع الشريف سرا

وقد اتفق ان منزلي كان في تلك الليلة خلوا من الطعام فتقدم لي احد جيراني  
 المصريين أطباقا مملوءة اداما وخبزا من الذرة فتقدمته للخصيين فامتنعوا من  
 الاكل حيث كانوا يريدان عطية من الدراهم التي لم أكن املك منها شيئا اعطيها اياه

فقاما وشماني وقال ( يا ولد الريف ) اعلم ان هذه السيدة كانت حرم خليفة  
المهدي فافتح دينك هكذا وخلقنا بأصبعيهما الإبهام والسبابة إشارة الى الريال  
فكنت أجابهما بأنني عارف بذلك ومقدر هذه النعمة حق قدرها وأخيراً  
انصرفا غاضبين وبعد نصف الليل دخلت منزلي كاني أساق الى الموت  
لشدة ما تولاني من الفزع من هذه الزوجة التي مكثت معي بضعة أيام  
لم أعرف شيئاً من أمرها ومعلمتي لها كانت بالخطر الشديد ولم أسألها عن  
عائلتها ولا عن بلدها

وفي ذات يوم جلست لتناول الطعام معهما وكان ردياً من خبز الذرة وادامه  
من ورق اللوبية فرأيت الدموع تتساقط من عينيها فقلت لها ماذا يبكيك  
فاشارت الى الطعام قائلة أما ترى هذا الطعام فقلت لها هذا طعام انصار  
المهدي فنفقتها العبارة ورفعت صوتها قائلة لعن الله المهدي وخليفته  
الظالمين الباغين أليساهما اللذان هتكا عرضي وقتلا أهلي وسلبا نعمتي فاندثشت  
من كلامها ورفعت هي صوتها بالعويل والنحيب اللذين فتاكبدى فسألتهما  
من هم أهلك وأين كان مقامك فقالت أنا بنت حسن أغا أرناؤد وكان مقامي  
في الخرطوم فعجبت من ذكرها هذا الاسم لأنني اعرف أباه وأنه  
تركي من قواد الأتراك في الخرطوم استوطن بها وصار من وجهائها  
وكان له ابن اسمه علي كان موظفاً معي في خط الاستواء بوظيفة سامية فقلت  
لها ثم ماذا صار فقالت من يوم سقوط الخرطوم الى هذه الساعة مارأيت أهلي  
ولا أعلم هل هم أحياء أو أموات فداخني الريب في أمرها وظننت أنها كاذبة  
في دعواها حيث انني أعرف والدها وأخاها ومالهما من الوجهة وأعرف ان  
من أهلها من هم على قيد الحياة ومن حسن الحظ انهم كانوا يسكنون بالقرب

منا فارسلت اليهم في الحال فجاءوا وما وقع نظرهم عليها حتى عانقوها وارتفعت  
أصواتهم بالبكاء والنحيب ثم قصوا عليّ حديثها وأنها أخذت منهم مسيئة بعد  
سقوط الخرطوم فلم يقفوا لها على أثر ولم يعلموا الى أين طوحت بها المقادير  
وقد قالت هي انها أخذت الى بيت الطاغية التعايشي وما زالت فيه حتى أراد  
الله خلاصها منه وقد رزقت منها بنت وهي في عصمتي الى الآن

على انني كنت اخاف مستقبلا ربما كان مما يزيد في شقائي ويضاعف على  
أنواع الذل وعذاب الاسر حيث انه كان لي كما تقدم زوجة غيرها وكنت أخشي  
ان يتسع نطاق الخلاف بينهما بسبب الغيرة فاقع بينهما في شقاء لا يذكّر في  
جانبه ما أنا واقع فيه من شظف العيش وذل الاسر الذي سيأتي وصف كثير من  
ضروبه ولكن الله من فضله كفاني ما كنت اخشاه اذ صارت زوجتي  
كلهما أختان لا أثر للغيرة عندهما ولا هم لها غير تخفيف ويلات حزني وتسلية  
خاطري من الاكدار التي تساورني فكانتا تقضيان النهار وشرطاً من الليل  
في خياطة بعض الملابس للدراویش باجرة طفيفه

وقد كانت حالتى المعيشية تثقل من ردى الى أردأ حتى سجننت ومع  
ذلك بقيتا على ما كنا عليه من الصفاء والوفاق الى أن منّ الله عليّ بالخروج من  
السجن الذي سيأتي الكلام عليه في مكانه

### ذكر الميرالاي حسن البهناوي بك

كان الميرالاي حسن البهناوي بك ميرالاي اللواء المصري الخامس  
وأصله ضابط مصري قضى من عمره زهاء عشرين سنة في السودان وكان  
لواؤه قائماً بحراسة الخندق الجنوبي جهة المكان الذي دخل منه العدو يوم



سقوط المدينة وقد شرحنا كيفية دخوله وان اللذين اطلعا المهدي على عورات الخندق هما الصنجقان الخائنات عمر ابراهيم والعطا الدود ولم نعلم شيئاً يدعو الى اتهام الميرالاي حسن بك البهنساوى بانه تواطأ مع المهدي على انخال دراويشه من جهة الخندق الجنوبي اذ يستحيل وقوع مثل ذلك من مثل حسن بك البهنساوى حيث هو من خلاصة من صدقوا في ولاء الحكومة

وبعد سقوط المدينة وقع حسن بك في الاسر وعذب عذاباً شديداً وصودرت امواله وأخذت بنته مسبية وقدمها أمين بيت المال للمهدي وكانت له زوجة هي بنت رجل من مشاهير التجار اسمه عبد السلام أصله من مدينة حلب قدم السودان مشغولاً بالتجارة فآثرى وكنت أنا متزوجاً باختها فاخذنا مسبيتين وماتت زوجتي غماً بعد أيام قلائل مضت بعد أخذها

وقد ذهبت يوماً مع حسن بك البهنساوى الى المهدي وكلناه في أمر زوجتينا فامر أحد نوابه بردتينك الزوجتين فشكرناه وانصرفنا من حضرته وما كدنا نخرج من باب الدار حتى ابتدرنا جماعة من الدراويش اللذين اغتصبوا هاتين المرأتين بالضرب والاهانة وتوعدونا بما نخشاه اذا عدنا الى الشكوى فأنصرفنا واقنعنا النائب باستحالة رد المرأتين ثم ذهب الى المهدي وكله بما جري لنا فلم يكن لكلامه أثر ومكث البهنساوى بك في الاسر زهاء سنة ثم فر الى بلاد الحبشة ماشياً على قدميه وما بلغها الا بعد ان نادى روحه تزهق لشدة ما ناله من المشقة ثم غادر بلاد الحبشة ولحق بمصر وعلى أثر وصوله سمعنا خبراً أدهشنا وهو أن الحكومة اتهمت حسن بك البهنساوى بالخيانة وانه ادخا الدراويش مدينة الخرطوم في حين اننا نعلم الحقيقة دون الكثيرين وقد كان الطيب الذكر غردون باشا الى الساعة الاخيرة من

اجتماعنا يقول ان عورات الخندق لا بد ان يكون المهدي علمها من عمر ابراهيم والعطا الدود وانهما هما اللذان اطمأنا في الهجوم على الخرطوم بعد ان كان يتأهب للتقهقر الى كردفان على اثر ما اصاب دراويشه من الهزيمة والانكسار في واقعة (أبوطليح)

وبعد ان سقطت الخرطوم ووقعنا في الاسر تحمقنا من نفس قواد المهدي ومستشاريه انهم كانوا على وشك الزحف الى كردفان لو لم يقيض الله عمر ابراهيم والعطا الدود لاطلاعهم على عورات المدينة. رجلة القول ان حسن بك البهناوى براء من هذه التهمة براءة الذئب من دم ابن يعقوب وقد ظهرت براءته امام المجلس العسكري العالي الذي عقد لمحاکمته وكفى بذلك حجة على ان الذين رموه بالخيانة كانوا ذوي قصد سيء به

وقد يحار الانسان من اقدام الحكومة على محاكمة البهناوى بك مع انها عاملت كثيرا من الخوان الذين لا يختلف اثنان في صحة مانسب اليهم من الخيانة بالاعزاز والاكرام حتى انها قد اغدقت النماء على عمر ابراهيم ولم تترك وسيلة لاسترضائه الا فعلتها وقد أعجز الناس فهم مقاصدها ولم يفسره كثير من السودانيين الا بأنه من كرامات المهدي الذي تكافىء الحكومة الذين صدقوا في ولائه ولقد قال لي واحد من السودانيين انظر الى عمل حكومتكم كيف تصنع الجليل مع الذين ادوا خداما جليلة للمهدي مما يدل على صدق مهاديته وكيف عاملتكم انتم الذين بقيتم على ولائها وناوآتم المهدي فأخفني هذا القاتل ولم أحر جوابا أقنعه به لانني لم أفته كنه مقاصدها فلعلها أقصي نظراً مني

على ان الحكومة التي هدمت قبة المهدي لنقضى على الاعتقاد بمهاديته

قد أحسنت معاملة جميع الذين والوه ولم تقم ببعض من كل للذين والوها  
وبهذا التصرف الغريب مهدت كرامة جديدة للمهدي يتمسك بها السخفاء  
الذين يقولون ان جثة المهدي رفعت الى السماء من قبره قبل أن ينشئ ببضع  
سنوات وسيأتي ذكر ذلك في مكانه

### ذكر مآلقيه المؤلف في مقابلته بعض الأمراء

من أنواع الذل التي قاسيناها وضروب الاهانة التي كنا نعامل بها من  
أتباع المهدي ما أورده هنا

وذلك اني كنت ذات يوم ماشيا مع يوسف منصور في الخرطوم فررنا بمنزل  
أحد أتباع المهدي المسمى الحاج خالد العمراني الذي أصله من تجار الأبيض  
فدعاني يوسف منصور للدخول إليه لاجل زيارته فدخلنا عليه فأنقذه  
جالسا على فروة فقام واقفا على قدميه واستقبل يوسف منصور بكل  
احترام وفرش له فروة أيضا أجلسه عليها فتقدمت للسلام عليه فانهزني وقال لي  
اجلس هناك وأشار بيده الى أقصى مكان منه فجأست على الارض فجيء  
بالقهوة فقدمها للعلام الى يوسف منصور فقال له قدمها لقوزي فقال له الحاج  
خالد ولماذا تقدمه على نفسك فقال لانه ضابط عظيم وكان ضابطاً عليّ ولأنه  
عزيز قوم يجب اكرامه فقال كان عزيز قوم كفر وأنت سيده وأفضل منه  
وهو رقيق بل من يخرج من صلبه من الاولاد أرقاء الى يوم القيامة وانه  
كافر يجب على كل مؤمن ومؤمنة اهانة واحتقاره واطهار كراهيته فقلت له  
يا سيدي الحاج خالد اذا كنت كافراً فيما مضى من عمرى فقد أسلمت على يد  
المهدي فأجابني بالشم وقال بل لا تزال كافراً يحل بيعك واسترقاؤك أنت

وأولادك فقال له يوسف منصور مهلاً ان هذا الكلام غير لائق بك وان المهدي عليه السلام أوصانا بمراعاة الاسرى وعدم كسر خاطرهم واشتد اللجاج بينهما فقامت من بينهما وانصرفت لسبيلي

ومن النوادر المضحكة اني كنت يوماً بحضرة محمد بن البصير الحلاوي داعية المهدي في (الحلاوين) وكان معي أيضاً يوسف منصور فقال ابن البصير ان أصحاب المهدي أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والدليل على ذلك ان نبي الله الخضر شرب من هذه (الركوة) وهي إناء يصنع من الجلد ولم يشرب من ركوة أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا الى تلك الركوة وقبلناها وضممنناها الى صدورنا ووضعناها على رؤسنا التماساً لبركتها فقلت لاحد الحاضرين هل أنت مصدق بهذه لا كذوبة فالتفت اليّ وقال يزعم التعايشي ان الخضر جاسوس له وهذا يقول انه شرب من ركوته ونحن نقول لهما صدقتما مادمننا لا نقدر على تكذيبهما ثم قال لي وهل نستطيع تكذيبهما لو ادعيا على جبريل أمين الوحي باضعاف ما دعيابه على الخضر فقلت واني لنا القدرة على تكذيبهما فقال قبل وضم وضع واسكت والسلام

### ذكر نفي عبد القادر بن أم مريوم

ذكرنا ماجري بين عبد القادر بن أم مريوم والمأسوف عليه غردون باشا ولما أفضت خلافة المهديين الي عبد الله التعايشي قرب اليه عبد القادر المذكور وأدخله في عداد النواب الذين يعاونون القاضي في نظر القضايا التي ترفع اليه مع بقائه في وظيفة قائد لدرج (الكلاكله) الذين هم أقاربه فازداد نفوذه بين أولئك الاعراب حتي صاروا يحكمونه فيما شجر بينهم

وكانوا يقصدون داره زوافات لهذا الغرض ويقدمون له الهدايا وكانت أخباره  
تصل الى التعايشي الذي كان يكره تزلف الناس الى غيره فيغض الطرف عنها  
ولا يبدي لعبد القادر شيئا يكرهه

وفي ذات يوم جاء رجل يحمل البريد للتعايشي من احدي الجهات  
فقال له عبد القادر سلمني المظروف الذي باسم التعايشي لاسلمه له فدفعه له  
فاخذه وذهب الى المسجد ووضعه أمامه مما يلي مقصورة التعايشي حتى اذا  
فرغ من الصلاة ناوله له فتركه وذهب الى منزله بعد ان قضيت الصلاة فعثر  
به احد حراس الخليفة وقرأ عنوانه وسلمه له فاستغرب التعايشي وجود ذلك  
المظروف فاستدعى الذي جاء به فاخبره ان عبد القادر بن أم مريوم استلمه منه  
ليدفعه اليه فاستاء من ذلك ولم يكشف عبد القادر بشيء من أمر المظروف  
ولكنه أعرض عنه كل الاعراض واقصاه من قربه فعمد عبد القادر الى طريقة  
يستجاب بها رضي التعايشي فاشار عليه احد اصدقائه بتقديم ابنته هدية للخليفة  
فقدمها له وكانت بارعة في الجمال فنالت حظوة عظيمة عند التعايشي فخرج  
من منزله واستدعى عبد القادر واثى عليه وزاد في تقريبه والاحتفاء به بما أدهش  
الناس اذ لم يكونوا عالمين بسبب الجفاء والابعاد الاولين كما انهم كانوا يجهلون  
اسباب هذا التقريب الفجائي ولكن ظهرت الحقيقة بعد ايام قلائل وصار  
عبد القادر بن أم مريوم اقرب مقرب الخليفة الذي آس هو منه شدة الميل الى  
قضاء شؤاته من الفتيات الحسان فاخبره بوجود فتاة جميلة هي بنت رجل من  
أهالي (الكلاكله) أقاربه فارسله الى ذويها يطلبها منهم فبعثوا بها اليه فراءه  
جمالها ولكنه لما اقترب منها وجد خفاضا بها ليس على طريق خفاض النساء  
في السودان فسألها عن سبب ذلك فقالت ان عبد القادر بن أم مريوم أشار

على أهلها ان يعملوا بها هذا العمل فاحتدم التعاشي غيظاً وخرج من غرفته ليلاً وأمر عشرة من رجاله أن يحضروا قطعة من جلد بقر نىء ويقبضوا على عبد القادر ويضعو قطعة الجلد على عينيه ويتركوها عليها حتى تجف ويفلوا يديه ويسافروا به الى الابيض عاصمة كردفان واعطاهم أمرا الى عامل كردفان باستلام عبد القادر منهم وزجه في السجن فذهب الرجال الى منزله ليلاً وهاجوا عليه بصورة مزعجة وساقوه من بين أهله واولاده وانفذوا ما اشار به التعاشي وسافروا به ليلاً قاصدين كردفان واصبح الخبر شائعاً في المدينة والناس لا يعلمون اين ذهب به الذين قبضوا عليه وخرج التعاشي علينا للصلاة الظهر والغضب ظاهر على وجهه والشرر يقدح من عينيه وبعد انقضاء الصلاة عاد فدخل الى منزله ولم يتكلم بشيء يختص بآبن أم مريوم ولا بغيره ثم لزم السكوت ولم يتكلم بشيء ماعن هذه المسألة وبعد نحو ثمانية عشر شهراً جاء عبد القادر بن أم مريوم الذي ظل في سجن كردفان وعيناه معصوبتان لا يعرف في أى بلد هو ثم بعد ثمانية أشهر أمر التعاشي بإزالة الجلد عن عينيه فازبل واكنه مكث اياماً لا تبصر عيناه شيئاً ومكث بعد ذلك نحو عشرة شهور في سجن كردفان ثم اعيد الى ام درمان وأطلق سراحه ولم يعده التعاشي الى سابق قره

ولما اعاد التعاشي عبد القادر بن أم مريوم اعاده بهيئة مزعجة حيث بلغت اظفاره منتهى الطول وشعر رأسه ولحيته يكاد يستر جسمه وكان مسجوناً في غرفة ليس فيها غير نافذة صغيرة يتناولونه الماء والخبز منها ومن أعان ظالماً سابط عليه



## ذكر قصتي المراتين

المرأتان هما حمادة عبد المولى صابون أمير الجهادية وشقيق حميدان أبي عنجة.  
وقصة الاولى هي انها كانت امرأة أحد صناعق الشايقية ولها منه بنت ذات  
جمال بارع أخذها المهديون سبية فأعطاهم التعايشي لعبد المولى صابون الذي  
تغالي في حبها وأقبل عليها وترك نساءه ولم يلتفت اليهن

وفي سنة ١٣٠٥ أصيب عبد المولى صابون بداء الجدام ولزم الفراش  
فجزع التعايشي عليه اذ كان يحبه وأخذ يتردد على داره ليعوده فاعتنم نساؤه  
فرصة وجود التعايشي عنده للايقاع بالمرأة التي حازت منزلة عند سيدها اكثر  
منهن حيث تركن كما قلنا ولم يلتفت اليهن فاجتمعن وقلن للتعايشي ان مرض  
عبد المولى صابون مسبب من كثرة أعمال السحر والشعوذة التي تعملها له المرأة  
الشايقية للاستئثار بمحبته فصدقهن التعايشي لانه كان يعتقد السحر والشعوذة  
ويخاف على نفسه كثيرا منها فسأل المرأة فانكرت وقالت انها لا تخرج من  
دارها وأني لها بالدجالين والمشعوذين الذين يعملون هذه الاعمال فلم يصدقها  
وعزم على القبض عليها فالح عليه زوجها وتضرع له ان يتركها فقبل له ان  
إمها هي التي تذهب الى خارج الدار وتروح الى الدجالين فاستنطقها فانكرت  
وقالت له انني لم أصنع شيئا من الاسحار والشعوذة ألبتة فقال لها ولماذا  
أصيب عبد المولى بهذا المرض اليس ذلك نتيجة أعمالك السحرية وأمر بقطع  
يدها فقطعت وتوفيت بعد بضع ليال

ولشدة جبن التعايشي خاف على نفسه من مثل ما أصيب به عبد المولى  
معتقدا ان ذلك المرض لا يحدث الا من الشعوذة والاسحار وكانت له حمادة من

أهل دارفور بنّتها من نسائه الأول وقد رزقت منه بولد وكان يمنع أقارب  
 نسائه من رؤيتهن حتى ان المرأة كانت تظل عامين أو ثلاثة لا يؤذن لها بالدخول في  
 بيته لرؤية بنتها وكان خصيان التعاشي يعظمون هذه المرأة ويكرّمونها نظرا  
 لاحفادها أولاد التعاشي ولذا كانوا يدخلونها خلسة لرؤية بنتها وفي ذات يوم  
 رآها التعاشي لابسة تمائم كالأوف عادة نساء السودان اللواتي يلبسن  
 أحجية كبيرة فامر بالقبض عليها وتمزق أحجبها التي جعل يتأمل فيها كأنه  
 يقرأ ما فيها بادية عليه علامات الدهشة والاستغراب وبعد أن أمر بسجنها  
 نفّاها الى خط الاستواء فماتت جوعا في الطريق وعاقب الخصيان أشد  
 العقاب وقطع يد الذي اذن لها منهم في الدخول فتأمل

### ذكر رسالة محمد ماهر باشا للمؤلف

كنت قد عرفت محمد ماهر باشا محافظ القاهرة الآن منذ كنا تلميذين في  
 المدارس واتصلت المحبة بيننا من ذلك العهد  
 ولما وليت على مديريات خط الاستواء كان هو وكيلا لبراوت بك  
 الأمريكاني الذي كان حاكما على تلك الاقاليم قبلي. وفي أوائل سنة ١٣٠٦  
 أمر التعاشي بهدم منزلي ومنازل جيراني لتوسيع ماردة أم درمان فوقت  
 في حيرة شديدة لما كنت فيه من الاعسار وزيادة علي ذلك انني كرهت المقام  
 بجوار يوسف منصور فعزمت على الإقامة بجوار السوق في حي المسلمين  
 والكنني كنت غير قادر على انفاذ هذا العزم لما كنت فيه من الفقر المدقع  
 وبما أنا في هذه الشدة طرق باب داري طارق بعد العشاء فسألته عن اسمه  
 فلم يجاوبني فداخني الخوف وظننت أنه جاسوس وامتنعت من فتح الباب له



وأخيراً خفض صوته وقال لي انني آت اليك برسالة من مصر فطار عقلي ولم أشك في أنه عين عليّ فانتهرته من داخل الباب وقلت له اذهب أيها الكاذب فاسرع الرجل بالانصراف خوفاً على نفسه أيضاً وبت ليلي وأنا خائف أترقب وفي ضحوة الغد جلست أمام بابي فجاءني رجل بزي التجار المصريين فسلم عليّ وقال لي انني جئتك البارحة لأدفع لك نقوداً وكتاباً من أخ لك في أصوان فقلت له اني أخاف أن تكون عيناً عليّ فإن كنت صادقاً فأقسم لي علي المصحف الشريف أنك صادق فيما تقول وانك لست بجاسوس خلف لي علي المصحف فاطمأنت وسكن روحي ثم دفع الي كتاباً ففحصت غلافه فראيت فيه توقيع محمد ماهر باشا فقرأته فاذا فيه السؤال عن صحتي وانه مرسل اليّ بأربعين جنيهاً انكليزيا ورجاني أن أخبره عن كل ما يلزمي ثم دفع اليّ الرسول الاربعين جنيهاً فأحببت مكافأته باعطائه خمسة جنيهات فلم يقبل وقال لي ان الذي أرجوه منك هو أن تكتب لي كتاباً الي أخيك محمد ماهر محافظ أصوان بانني أسلمت اليك الاربعين جنيهاً تامة لتظهر أمانتي عنده نوعده بذلك ثم انصرف وعاد اليّ في المساء بهدية من السكر والصابون والبن والملابس فكتبت له الكتاب بما أراد وأودعته ذكر الهدية التي قدمها لي الرجل من نفسه. فجزى الله عني الشهم الهمام محمد ماهر باشا خير الجزاء وبلغه مأموله في الدنيا والآخرة آمين

وعلى اثر ذلك ذهبت الي حيّ المسلمين وبنييت فيه منزلاً انفقت عليه اكثر من مائة ريال فذهب يوسف منصور وأخبر الخليفة بانني سكنت في حي المسلمين وطلب منه اخلاءه عن المسؤولية اذا قررت فاستدعاني التعايشي وأمرني بالعودة الي جوار يوسف منصور فبعت المنزل بربع قيمته

وعدت الى جوار يوسف المذكور

ومن الحوادث التي اتفقت لي بعد عودتي انه كان لي ابن اسمه محمد ولد بعد سقوط الخرطوم ببضعة شهور وكان عمره وقتئذ ثلاث سنوات وكان يراني اختبئ في قعر بيتي وأدخن السجائر وفي ذات يوم أخذ الورق الذي ألف فيه الدخان وقعد امام المنزل وألف فيه رملا على هيئة السجائر واتفق ان حسن ابن حسين أمير المصريين جاء لزيارتي وكان شديد التعلق بالمهدوية لكنه كان يحب بني جلده المصريين ويفار عليهم ويدفع عنهم كثيراً من المصائب فخرجت للقاءه فرأى ابني محمداً وبين يديه سجائر الرمل فسأله قائلاً ما هذه يا بني فقال له ان أبي يصنع مثل هذه ويشعلها بالنار فيخرج الدخان من انفه وفيه فقطن حسن حسين الكلام وادرك اني أدخن في منزلي فهالني ذلك وانتهرت ابني فقال لي اذهب الى داخل البيت واتي بالسجائر التي تدخنها فامسكتها حسن حسين والتفت اليّ يحذرنى من وخامة المراقبة اذا شاع عني ذلك ولم يئني منه أقل مكروه لانه كان كما قدمنا مصرى لا يرضى لقومه ان ينالهم سوء من المهدوية بالرغم عن تعلقه بها وبعد انصراف الزائر أمسكت الغلام وأوجعته ضرباً كيلا يعود الى مثابها

### ذكر مسألة الشيخ محمد عبد الماجد وصلبه

كان في أحد أحياء أم درمان القريبة من سوقها رجل من اهالي مديرية بربر وكان ذا دين وورع وكان ناقماً على المهدوية منكرًا كل أعمالها وكان الخليفة كما تقدم قد حذر الناس من الاجتماع لجمعة أو جماعة في غير مسجده وكان الشيخ محمد عبد الماجد ملازماً لمنزله منقطعاً عن شهود الجمعة مع المهديين

وجماعتهم وكان جيرانه وجلهم مصريون يجتمعون في منزله فيصلي بهم جماعة ثم يمشون ويدين لهم فساد دعوي المهدوية ومخالفة مدعيها للشريعة المحمدية الغراء حتى أفتى بوجوب قتال هذه الفئة الضالة فسمي خبره الى التعاشي الذي أرسل اثنين من خاصته حضرا مجلسه وسمعا مايقوله وعادا اليه فاخبراه به فارسل اليه مائة رجل قبضوا عليه وعلى جارين له احدهما مصري وطرحوه في السجن وكان الوقت ليلا وفي الغد عقد مجلس اجتمع فيه القضاة كلهم برئاسة الخليفة على حلو وقدم الرجل وجاراه للاستئذان وكان المجلس هائلا اذ كانت القضاة والرئيس محاطين بألوف من الفرسان والمشاة والسيوف مسلولة على رؤسهم فلم يهب الشيخ محمد عبد الماجد هذا المنظر الهائل بل جلس ثابت الجنان ولما سئل اعترف بكل ما اسند اليه من التهم وسردها معززة بالادلة الشرعية وقال لهم هذا هو الحق واتم في ضلال وأنا أدعوكم الى التوبة والمدول عنه أما صاحبا فانكرا انهما يبرفانه وادعيا ان ليس بينهما وبينه علاقة وهما في ذلك صادقان اذ احدهما لم يكن ساكنا في هذا الحي بل جاء لزيارة الثاني الذي هو تاجر مشغول بتجارته لاعلاقة له مع هذا الرجل الذي أخم من في المجلس بادلته حتى احتدم من فيه بالغليظ والحق عليه فامروا بالرجل وصاحبيه ان يصلبا فسيقوا يحيط بهم بضمة آلاف رجل حتي قدموا الى المشنقة فصاب الشيخ محمد عبد الماجد الذي كان من أمره انه لما اقترب من المشنقة صعد الى الكرسي ساكن الجاش وفاه بكلام يدل علي انه آثر الموت دفاعا عن الحق وانتصارا للامة الخيفية فرحمه الله رحمة واسعة واكرمه بكرامة الشهداء أما صاحبا وهما عبد المجيد حسن ومحمد نور فاعيدا الى السجن وعوفيا من الصاب

## ذكر تشييد قبة المهدي

سردنا كثيراً من أعمال التعايشي بعد وفاة سلفه المهدي ولما كان بعضها يدل دلالة صريحة على انه انما كان يظهر اعتقاد دعوي المهدي حرساً على سلطانه الذي ورثه من وراء هذه الدعوى ويدل على ذلك انه صادر أموال أقارب المهدي واضطهد أولاده وصار يحقرهم في مجالسه الخصوصية ويعيرهم بأنهم دنقليون لا يصلحون الحراسة الابواب والاشتغال بمهنة ملاحه السفن وتداولت الاسن هذه الاقوال وعدّها الناس دليلاً ساطعاً على انه لم يكن مصداقاً بالمهدي وانما كان يراءى الناس عزم على تشييد قبة على قبر المهدي ليبرهن للناس على عكس ما خالج صدورهم فكلف مهندساً مصرياً اسمه اسماعيل افندي فوضع رسماً لهذه القبة ذا أربع زوايا يبلغ طول كل زاوية منها سبعة عشر ذراعاً وجعل عرض الاساس اكثر من مترين وبعد رفع البناء نحو خمسة امتار جعلوه مشمئماً مستديراً وفي يوم وضع الاساس اقيم احتفال كبير وذبحت البدن والثيران والخرفان وقدمت الاطعمة للالوف من الحاضرين وامسك التعايشي بيده معولاً وبدأ بحفر الاساس

أما الاحجار فانهم كانوا يجلبونها من انقاض منازل الخراطوم التي كانوا يهدونها ومن انقاض ديوان الحكمدارية والمديرية والارصفة التي على ضفة نهر المرقن وأنقاض ما هدم من الكنيسة الكاثوليكية. وجميع البنائين الذين بنوها مصريون أما القعلة فهم متطوعون من الدراويش والامراء وكان البنائون يقعون اياماً عديدة في العمل ولا يعطون شيئاً ما وفي بعض الايام جلس التعايشي وكلم من حوله قائلاً ان الذين يباشرون بناء قبة المهدي في الحقيقة هم الملائكة اما الذين

ترونها من البنائين والعملة فلا عمل لهم في الحقيقة بل هم متحركون بإرادة الملائكة فقال المهندس اساميل أفندي للبنائين أسعتم ما قاله الخليفة فقالوا بلى فقال لهم ان الخليفة اعتبركم ملائكة في الحقيقة وهذا الاعتبار هو الذي حال دون اعطائكم شيئاً من الاجرة لان الملائكة في غنى عن الطعام والشراب اللذين من كان منزهاً عنهما لا يعطي شيئاً من أجرته فضحكوا وتعجبوا من وقاحة الخليفة وبعد سنة تم تشييد القبة ووضعت في داخلها المصابيح وفرشت بالابسطة وأحيط القبر بمقصورة من النحاس ووضع عليه تابوت من الخشب صنعه نجارون مصريون ووضع على التابوت كسوة من الجوخ وثرىات من الفضة والذهب وصار الناس يقصدونها للزيارة في كل يوم

## ذكر المجاعة في سنتي ١٢٠٦ و ١٢٠٧

لما كانت هذه المجاعة قد لحقت السودان كله وكانت أسبابها مختلفة رأينا ان نذكر تأثيرها في كل إقليم على حدة مبتدئين بذكرها في أم درمان فنقول

### المجاعة في أم درمان والجزيرة

من عادة أهل الجزيرة انهم يخزنون محصولاتهم من الذرة اتقاء شر المجاعات التي تناب البلاد بسبب انحباس المطر عنهم وقد ذكرنا ان التعايشي لما أصدر الاوامر لأهل الجزيرة بمغادرتها وسكني أم درمان عادوا الى بلادهم فوجدوا المخزون من محصولاتهم قد نهبه الجهادية وفي سنة ١٣٠٦ لم تجد السماء عليهم بمطر فانتدب التعايشي ابراهيم عدلان أمين بيت المال ومعه عشرة من الامناء ووجههم الى الجزيرة لاغتصاب

ما بأيدي الالهين من الحبوب وأخيرا أصدر التعاشي أمره بمصادرة نصفها وترك النصف الآخر لهم فارتفع ثمن الذرة حتى بلغ ثمن الاردب منه أربعين ريالاً مجيداً أي نحو سبع جنيهات انكليزية واغتال ابراهيم عدلان ومن معه من المندوبين عشرة آلاف أردب تقدر قيمتها بأربعمائة ألف ريال وكانت بلاد العبيد الواقعة جنوب الخرطوم قد هطل فيها المطر بكثرة فهرع التجار اليها لطلب الغلال منها فأصدر التعاشي أمراً باخذ نصف جميع الغلال التي تجلب من خارج أم درمان بسعر ست ريالات من الريال المسمي المقبول تباع لأقاربه التمايشة الذين تقدم لنا ذكر وصولهم لام درمان فارتفعت الاسعار وعز وجود القوت وهلك أهالي القرى الواقعة جنوب سنار وبادوا حتى صرنا ندخل القرية فلا نجد فيها دياراً والناس أموات على أسرة نومهم وداخل حجراتهم هم وأولادهم ولم تصب كردفان بشيء من هذا القحط اذ كانوا أمطروا بمطر غزير أحيا موات الارض وأبنت الزرع فهرع التجار اليها ليجلبوا غلتها كما هرعوا الى بلاد العبيد وكان ثمن الاردب من دخن كردفان لا يتجاوز ريالين ولكن لا توجد جمال للحمل واني توجد وقد قصصنا عليك فيما تقدم ماحاق بالابل والقبائل الرحالة فسكانت أجرة حمل الاردب من كردفان الى أم درمان أخذ نصفه ثم كانت النتيجة صعود الاسعار في (كردفان وفشوده) اللتين هرع الناس اليهما لطلب الاقوات منهما واشتدت وطأة المجاعة وتضاعفت ويلاتها وزاد الطين بلة تفشي الطاعون البقري في ماشية السودان تفشياً مرعباً حتى هلك جل البقر ولم يبق منه في أنحاء السودان كله الا شيء قليل جداً فارتفعت أسعار اللحوم وساءت الاحوال وفي أواخر السنة هطلت الامطار فتنازل الناس خيراً وجادت الارض بمحصول وافر ولكن قبل اوان الحصاد

ببضعة أسابيع نزل الجراد على المحصول فاتمه ولم يبق منه شيئاً  
ودخلت سنة ١٣٠٧ والمجاعة لا تزال في أم درمان والجزيرة ولكن الاسعار  
هبطت الى النصف حيث بيع الاردب بعشرين ريالاً مجيداً وليس لذلك من  
سبب غير فناء الناس ويقول الخيرون ان الذين هلكوا بالمجاعة لا يتقصون  
عن ثلاثة أرباع السكان

### المجاعة في اقليم بربر

ذكرنا ما كان من أمر عزل محمد الخير عن بربر وتولية عثمان الديك عليها  
وفي أوائل سنة ١٣٠٦ حين بدأ القحط بام درمان والجزيرة أصدر  
التماشي منشوراً بمنع ارسال الاقوات الى بربر وتوعد من حملها اليها بالقتل ووضع  
حراساً على ضفة النهر لمنع السفن التي تحاول الوصول الى شمال أم درمان  
ثم أصدر أمراً الى عثمان الديك حاكم بربر ببث الرجال في انحاء البلاد لاتلاف  
الزرع قبل استوائه فقلع الزرع وطوله نحو شهرين وبعد ذلك أمر بقطع  
السبل ومنع أهالي بربر من مغادرة ديارهم وخطب على المنبر خطبة عدد  
فيها سيئات الجميلين سكان ذلك الاقليم ولم يترك وصمة الا نسبها اليهم وقال  
انهم اغتالوا المال يوم فتح بربر ولما أرسل لهم المهدي المنشورات وأمرهم برد  
ماغلوهم من الغنائم كادوا يشورون على المهدي ويخرجون عن طاعته وكان  
الانكليز وقتئذ زاحقين على (بربر وابوطليح) ثم أمر أن لا يترك زرع لهؤلاء  
المنافقين وأن يجبر عليهم ليموتوا جوعاً في بلادهم فنفذت أوامره وهلك  
الجميلون وماتوا في مضاجع نومهم ولم ينج منهم الا نحو العشر وبلغ ثمن السكيلة  
من الذرة عشرين ريالاً وفقد الثوت بالسكيلة

## المجاعة في دنقلة

اما المجاعة في دنقلة فن أهم أسبابها انخفاض النيل في تلك الديرية لان ري مزروعاتها مثل رى اطيان صعيد مصر يتوقف على زيادة النيل وزد على ذلك ان المهذوية منذ حلولها في دنقلة حافت على النفوس وصادرت الاموال وبلغ ثمن الكيلة من الذرة عشرين ريالاً ولكن ساعد على تخفيف وطأة المجاعة وجود التمر بكثرة في دنقلة من محصولات النخيل

## المجاعة في كسلة

ذكرنا ان التعايشي فصل مديرية كسلة عن سلطة عثمان دنقة وولى عليها قريبه حامدين على الذي حكمها بصرامة وصادر أموال قبائلها وقطع السبل عليهم فهلكت القبائل ونزح اكثرها الى بلاد الحبشة وهلكت قبيلة الهدندوة التي كان عدد نفوسها نحو مليون نسمة . ومما يجب ذكره هنا ان حامدين على أرسل الى التعايشي نحو مائتي ألف ريال عدا الذهب والفضة اللذين سلبهما من الاهلين

## المجاعة في القضارف

ذكرنا القضارف وخصوبة تربتها وكثرة حاصلاتها ولما تفشت المجاعة في السودان في أوائل سنة ١٣٠٦ لم تكن وطأة القحط شديدة على تلك الجهة وفي بداية سنة ١٣٠٧ زحف الزاكي حامل من القلابات بمد ان تركها حامية لا تتجاوز ألف مقاتل الى القضارف ووزع جنده في القرى فانهبوا ما بأيدي الناس من الغلال وجمعوا في بيت المال وأمر أن لا يباع الاروب منها الا بمائتي ريال



فهلك الناس واكلوا الميتة والجلود واكل بعضهم أولادهم وقد حكى لى من كان بالقضارف وقتئذ ان احدى نساء الامراء توفيت بغتة وكانت ضخمة الجثة فتآمر أناس ممن عرفوها ونبشوا قبرها فى الليل وقطعوا لحمها وانضجوه فى القدور واكلوه قبل ان يسفر الفجر وفى الغد وجد القبر منبوشا ففتشوا المنازل فوجدوا فيها لحوم الآدميين وعظامهم مما يدل على ان أهالى القضارف كانوا يقتاتون بلحوم بعضهم ولذلك لم يعرف من نبش قبر تلك المرأة

ولم ينبج من مخالب المجاعة فى القضارف غير أولى اليسار ولقد رأيت فى ام درمان رجلا من اهل القضارف متسو لا وقد كان راس مال تجارته لا يقل عن مائة الف ريال وكان له نحو الفى مملوك يشتغلون بحراثة أراضيه الواسعة فذهب رأس ماله وأراضيه ومماليكه فى شراء الغلة حتى خرج من تلك السنة لا يملك شروى نقير. والحاصل ان القضارف لم يبق فيها من السكان اكثر من بضعة آلاف نسمة وهلكت قبيلة (الضباينة) ايضا وهى قبيلة رحالة كبيرة تفوق قبيلة الشكرية التى تقدم ذكر فنائها ماشية ونفوسا

وأما كردفان فقد قلنا ان المطر هطل فيها بكثرة فرويت ارضها ونجت حاصلاتها من الجراد وبالرغم عن ذلك كله وقعت فى المجاعة لان التعايشى جمع اكثر من عشرة آلاف فارس من أقاربه وانفذهم اليها فنزلوا القرى ونهبوا ما بأيدي سكانها من الحبوب وذبحوا ماشيتهم فارتفعت أسعار الحبوب وفشت المجاعة فى البلاد حتى تجاوز ثمن الاردب عشرين ريالا أما مظلالم المهدوية فى كردفان فحدث عنها ولا حرج اذ قد تجاوزت حد المعقول وبعد ان كان أهاليها اغني أهالى السودان لان الصمغ ورايش النعام من اكثر محصولات بلادهم صاروا فى نهاية الفقر المدقع وخربت قري عديدة

وهجرها سكانها ولحقوا بالجبال التي حوالى كردفان وسكنوا بها ليعبدوا عن  
المهدويين وظلمهم الفاحش

وأما دارفور فقد اجتاحت الحروب بلادها وفشى القحط فى أرجائها  
وخربت بلادها ونزح أكثر سكانها الى الجبلات الغربية واستوطنوها ومنهم  
من اعتصم بالجبال ولحق بها. والخلاصة ان البلاد السودانية كلها قد عصفت  
بناب القحط وحل الخراب والدمار محل المزارع حتى صارت تلك البلاد كلها  
ينطبق عليها قول الشاعر

أُمتت خلاء وأُمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وليس لذلك من سبب سوى قصد التعايشى حلول هذه المصائب بأهالى  
تلك البلاد ليضعفهم ويأمن عاقبة ثورتهم عليه فانه لو لم يرسل الجهادية  
ويوعز اليهم بنهب محصولات الجزيرة لما وصل حال المجاعة الى الدرجة التي  
وصفناها لان أهالى السودان يخزنون الغلال بكثرة حتى ان الواحد منهم ليخزن  
فى السنة غلة تقوم بقوته عدة سنوات اتقاء شر المجاعات التي تنتابهم فى  
أكثر السنين وقد علمت ان مجاعة الجزيرة لم تصل الى الحد الذى تقدم لنا  
ذكره الا بعد ان صودرت غلات أهلها ومجاعات بربر لم يقصد بها التعايشى  
غير هلاك أهلها وكذلك مجاعات كسلة والقضارف قد علمت أسبابهما وكل  
ذلك لم يقصد به التعايشى الا اضعاف الأهلين فانه لما أحس بامتاعهم منه  
وخشى عاقبة ثورتهم عليه لم يغير سياسته العوجاء التي أوجبت امتاعهم  
منه بل عمد الى اهلاكهم وفنائهم ليصبح آمناً على مركزه ويبيت مطمئناً على  
ملكه فصار مثله مثل اليوم يسر بالخراب أكثر من العمران

ونقل لى ثقة أن أحد مقربى التعايشى قال له يوماً ان الكلب اذا جاع

لزم سيده فقال له التعايشي ان قتل الكلب ومحو اثره من الارض خير  
من اجاعته وكان قصد ذلك المقرب من كلامه أن يصادر التعايشي غلات  
رعاياه فتكون نتيجة ذلك الجوع فاجابه بان موتهم خير من هذه الطريقة  
أما ما اصاب المؤلف من هذه المجاعة فانه يفوق الوصف فمن  
ذلك أني ذهبت يوما الى دور البقارة لالتقاط الجبوب المبعثرة حول  
اسطبلات الخيول وبمد ان جمعت نحو مدين منها جاءني اعرابي فاخذه  
مني فيمست من الحياة وكدت أهلك انا واولادي لو لم تصل اليّ نقود  
مرسلة من صديقي الوفي محمد ماهر باشا محافظ مصر الآن اذ بها امكنتي  
أن اتخلص من مخالب المجاعة الاولى حتى دخلت سنة ١٣٠٧ وهبطت  
أسعار القوت الى النصف والذين استطاعوا الخروج من هذه السنة  
من أولي اليسار لم يخرجوا الا فقراء لا يملكون شروى نقيير أما الفقراء فقد  
ماتوا رحمة الله عليهم

وقد ملك التعايشي كثيرا من اقاربه البقارة لأراضى التي مات اهلها  
في سنتي المجاعة فانطلقت ايديهم في البلاد بالسلب والنهب وما بقي في  
ايدي الاهلين من مواد الحياة اصبح عرضة لعبث البقارة ومع ذلك كله  
كانوا نافرين عليه غير راضين باحكامه حتى أنهم كانوا يحنون الى ديارهم  
ويودون العودة اليها

### ذكر فرار الغزالي وقتله

الغزالي بن احمد خوف زعيم قبيلة التعايشة وكان ذا ثروة واسعة من الماشية  
ونفوذ عظيم في قبيلته وكان فارسا صنديدا تهابه القبائل وتقي بأسه الاعداء

ولما استقدم التعايشى قبيلة التعايشة ليشدها عضده وعد زعيمها  
الغزالي بان يجمعه وزيره وبذلك تمكن من استمالته

وكان الغزالي بعد وصوله أم درمان يستنجر التعايشى الوعد فلا يجد منه  
غير المماطلة والتسويق وكان من سياسة التعايشى ان يسند الوظائف الى  
ضعفاء البقارة وزعانهم ممن تؤمن غائلته لا الى من يكون فارسا قوى الشكيمة  
مثل الغزالي خوفا من استمالته الناس بقوته وحزمه

ولما يئس الغزالي من نيل ما تنوق نفسه اليه من الرئاسة وشاهد مظالم  
التعايشى وسوء تصرفه وطن عزمه على الفرار من أم درمان والحق ببلاد  
التعايشة في دارفور حيث يلحق بالذين تخلفوا عن مرافقته الي أم درمان من  
قبيلته وكان يظن ان اكثر قومه الذين جاؤا معه يرافقونه ولا يتقاعدون عنه  
ولكن خاب ظنه ولم يتبعه الا أحد مواليه وابن أخته فغادر الثلاثة أم درمان في  
أول الليل وساروا متجهين الى جهة الغرب وفي الغد نفي خبرهم الي عبد الله  
التعايشى فامر نحو سبعمائة رجل ان يتأثروهم وبعد مسيرة بضعة ليال ادركوهم في  
العربق وقد بلغوا جهة يقال لها ( كجر ) بالقرب من بلاد كردفان الشمالية  
فوقف الغزالي وقفعة من لا يحسب للموت حسابا وأطلق على رجال التعايشى  
الذين من بندقيته حتى طرأ عليها خلل أوقف متابعة الاطلاق فامتشق  
حسامه حتى أحاطت به الخيل وقتلوه وحملوا رأسه الي التعايشى اما رفيقه  
فقد وقعا أسيرين وقفل القوم راجعين الى أم درمان ، وقد ساء وقع هذه  
الفاجعة في قلوب التعايشة واشتد حنهم على عبد الله التعايشى وسيأتى ذكر  
شيء من نتائج هذه المسألة

هذا وقد تقدم لنا ان نحو النصف من قبيلة التعايشة كرهوا ان يرجعوا

الى أم درمان فسادروا دياره و-لقوا ببلاد ( وناي ) ولولم يفتر الغزالي  
بسراب وعود التعاشي ويجب دعوته لما جاء الى أم درمان أحد من قبيلة التعاشي  
التي كان يحيا شؤما وويل على البلاد وعلى كل حال فان الغزالي ذهب كما ذهب  
غيره من الذين ساعدوا المهديونية وعاونوا المهدي وخليفته على المظالم ولا غرو  
فن أكان ظالما سيط عليه

وكان يعقوب شقيق التعاشي يضرر السوء للغزالي ويخاف على مركزه  
منه لزماعته على قبيلة التعاشية ولذا سمي بينه وبين أخيه التعاشي حتى أوقع  
النفرة بينهما لينام مطمئنا في منصبه الذي كان حريصا على بقاءه فيه

### ذكر صلب ابراهيم عدلان أمين بيت المال

ذكرنا ما كان من أمر عزل أحمد سليمان أمين بيت المال واسناد منصبه الى  
ابراهيم عدلان الذي كان صنيعته وأحد اعوانه في بيت المال

ولما مات المهدي وظهر ما يضرره التعاشي لأحمد سليمان مال ابراهيم  
عدلان عنه وصار يشي به عند التعاشي حتى بواه منصبه وقربه منه وصيره  
من ذوى شوره فاستخدم هذا المنصب وجمع بسببه أموالا طائلة وقد أشرنا  
الى ما اغتاله من الغلال في سنة المجاعة الاولى والحاصل انه أصبح ذا ثروة  
كبيرة تعد بمئات الالوف وتمكن الفرور منه حتى صار ينازع يعقوب  
في النفوذ ويسمى به عند أخيه التعاشي الذي كان يندهش من جرأته  
ويخفي تأثره من وقاحته التي دفعته الى منازعة أخيه وقد رأيت ابراهيم المذكور  
جالسا بحضرة يعقوب غير مكترث به ولا جاث على ركبته كما يفعله  
الدرأويش

وصار ابراهيم المذكور ذانفوذ عظيم وشاد لنفسه داراً واسعة ملائها بالمحظيات من الفتيات الحسان وجمع حوله عدداً كبيراً من الغلمان وتغالي في اظهار الابهة وتمادي في الغرور حتى حسده القريب والبعيد واكثروا من السعاية به عند التمايشي وثان يعقوب في طليعة أولئك الواشين

وفي أواخر سنة ١٣٠٥ قبض عليه التمايشي وزجه في السجن وصادر مظهر من أمواله حيث لم يهتد الى جميعها ثم اطلقه وأعاده الى منصبه

وفي جمادي الثانية سنة ١٣٠٦ نفذت الاقوات التي كان ابراهيم عدلان صادرها من أهالي الجزيرة كما ذكرناه فيما تقدم ثم دخلت سنة ١٣٠٧

وقد اتهم الجراد محصولات البلاد قبل زمن الحصاد وقتل وورود الغلة الى أم درمان حيث لم يجد الجبابة محصولاً جديداً يأخذونه لبيت المال وهلك الناس من مجاعة السنة الماضية ولم يبق غير أولي الثروة الذين نفذ معظم ثروتهم

ولم يبق لديهم من المحصول غير قليل من الذرة استبقوه لقوتهم وأصبح التمايشي عاجزاً عن تقديم الاقوات الى أقاربه البقارة فعزم على مصادرة ثلاثة ارباع

مابقي من الغلال في ايدي أهل الجزيرة فاستدعي ابراهيم عدلان وعرض عليه انفاذ هذا الامر فامتنع من قبوله وقال للتمايشي ان مابقي بايدي الاهلين

لا يقوم بحاجتهم وان مصادرة هذا القدر منهم ضربة قاضية على من في الجزيرة من السكان فاجابه هكذا أمرت وعليك ان تسافر بنفسك لانفاذ

هذا الامر فامتنع وغازر أم درمان وأقام بالجزيرة زهاء ثلاثة أشهر فتكت في خلالها المجاعة فتكا ذريماً بالبقارة وظل التمايشي ينتظر من وقت لآخر

مجيء الاقوات من ابراهيم عدلان الذي لم يوافه بشيء ما وأخيراً عاد الى أم درمان وطلق يخبز التمايشي بما استعقب المجاعة من تدمير البلاد وهلاك

السكان ظنا منه ان هذه الاقوال تكون اعظم شفيع له لدي التعايشى الذى كان لا يجهل صدق قوله ولكنه لما كان يقصد خراب البلاد وهلاك سكانها أظهر تكذيبه واستدعى القضاة فاستنطقوا ابراهيم عدلان عن سبب عدم ارساله الغلال من الجزيرة فاعتذر لهم بما تقدم فاستدعى التعايشى رجلا اسمه (أحمد السني) من عمال بيت المال فتعهد له باحضار الغلال من الجزيرة فزوده بالأوامر وذهب اليها وبعد ايام قلائل أرسل له السفن مملوءة بالغلال. ويحىء فيما بعد ذكر بقية أخبار أحمد السني وما آل اليه أمره من الرئاسة على الجزيرة كلها ولا يعزب عن القاري أنه قام بانفاذ رغبة التعايشى حيث صادر مابقى بيد الاهلين من اسباب الحياة. على أن امتناع ابراهيم عدلان من انفاذ ماأراده التعايشى عاد بفائدة هي قرب موسم الزراعة حيث كان مايد الناس من الغلال يقوم ببعض ضرورياتهم ريثما يحىء زمن هطول الامطار ثم ان التعايشى قبض على ابراهيم وكبله بالحديد وفى الغد شكل مجلسا لحاكمته تحت رئاسة الخليفة على حلو حكم عليه بالاعدام شنقا ونفذ ذلك الحكم بعد ساعتين من صدوره

وابراهيم عدلان هذا أصله من قبيلة حقيرة فى الجزيرة اسمها (الحوالدة) وأمه من قبيلة تسكن (ولد مدنى) يقال لها (المدنيين) وكان يتجر فى كردفان بأموال بعض تجار الاسرائيليين المصريين ثم لحق بالمهدى حينما حاصر الابيض ومن ثم اصطحبته احمد سليمان أمين بيت المال ووصل اليه ببيع الارقاء والماشية التى لبيت المال ثم جوزى كما جوزى سنار وسيأتي ان أحمد السني سمي بابراهيم عدلان عند التعايشى فكان من أمره ماكان

ذكر بقية اخبار ابراهيم عدلان ومسألة مصادرة العاج  
لما أتى التعايشي القبض على ابراهيم عدلان انتدب الزاكي عثمان  
البقارى واحمد دى أحد كتبتة لمرجعة دفاتر بيت المال وابداء رأيهم فى أعماله  
فتبصروا على كاتب أسرار ابراهيم عدلان وأودعوه السجن وفتشوا بيته فوجدوا  
ضمن أوراقه وريقة فيها رسم من نوع الرسوم التى يسميها جماعة المشعوذين  
(الوافق) أو (الخواتم) مكتوبا فيها « الملك عبد الله » أي التعايشي  
وفىها أيضا اسم ابراهيم عدلان فاستنتجوا من ذلك ان تلك الورقة صنعت  
لاستماله قلب التعايشي لمحبة ابراهيم عدلان فعرضت تلك الورقة ضمن  
أوجه الاتهام التى اتهم بها ابراهيم المذكور فقال قضاة الجلس والظلم ما يأتى  
« ان تسمية الخليفة بالملك تدل على ان فاعلها غير مصدق بالمهدية ومن كان كذلك  
فهو كافر ودمه هدر وماله وأولاده غنيمة للمسلمين »

ومنذ استولت المهدوية على أقاليم بحر الغزال وخط الاستواء صار عملها  
يجلبون لها العاج وفى آخر عهد ابراهيم عدلان جاءت ارسالية من العاج  
فاصدر التعايشي أمراً ببيعها من التجار الذين أذن لهم بحملها الى سواكن  
لبيعها هناك فتلاعب ابراهيم عدلان فى تقدير قيمتها حتى انه كان يبيعها  
للتجار بنصفها ويشركهم فى الربح وأثبت كاتب أسرارده انه أعطى أحد أولئك  
التجار أربعة آلاف ريال وكتب صكاً بينهما على أن يكون رأس المال ديناً  
على التاجر والارباح مناصفة بينهما فاشتري التاجر بالاربعة آلاف ريال حاجا  
من بيت المال تقدر قيمته الحقيقية بثمانية آلاف ريال فمقد التعايشي مجلسا  
من القضاة وقال لهم انه لم يأذن لابراهيم عدلان فى بيع العاج وقد باعه وأنفق



ثمنه في مصارف بيت المال العامة مع ان العاج فيء والفيء من نصيبه  
الخاص به واستدعى أعوان بيت المال ووبخهم على ما فعله رئيسهم ابراهيم عدلان  
فلم يكن منهم غير الاستغفار والتضرع بطلب النفو وهم لا يجهلون ان الأمر  
بيع العاج هو التعايشي وفي بيت المال الامر الصادر منه ببيعه ثم  
أفتى القضاة بإبطال بيع العاج وجواز مصادرته من التجار فأرسل مندوبين  
خلفهم الى سواكن أخذوا ما بأيدي التجار من العاج قبل أن يتصرفوا فيه  
وكتب التعايشي بدفع العاج المصادر الى تاجر سواكني اسمه (عمر كشه) ليبيعه  
بمعرفة ويشتري منه بعض أدوات كياوية تحتاج لها معامل الخرطوش  
وبلغت قيمة ما صودر من العاج أربعمائة ألف ريال مجيدي وفقد أكثر من  
أربعمئة تاجر رأس مالهم وصاروا في حالة يرثى لها ولم يبق لديهم نفقة عودتهم  
من سواكن الى أوطانهم

وأكثر التعايشي من البحث والتنقيب على ثروة ابراهيم عدلان فلم يعثر  
على شيء منها والمرجح انه غيب أمواله في جوف الارض ولا يعرف موضعها  
غيره وستكون نصيب من يخدمه الحظ فيقتنم تلك الحبيثة التي تقدر بمئات  
الآلاف من الذهب

وخلف ابراهيم عدلان في وظيفة أمانة بيت المال النور ابراهيم الجريفاوي  
الذي كان أمين بيت مال بربر وقد ذكرنا فيما مضى طرفا من سيرته وأعماله

### ذكر حادثة العبادلة وابعادهم

العبادة قبيلة تسكن حوالي مدينة أصوان وهي تنقسم الى بطنيين  
(العشاب) و (المليكاب) وهؤلاء أقل عددا من الاولين وقوام معيشتهم

الماشية كسائر الاعراب ولكن بسبب غنم خصيب البلاد التي  
يسكنونها لا تقوم الماشية بمعيشتهم قايما يصرف وجههم عن غيرها من  
سبل الارتزاق

ولما افتتح المغفور له محمد علي باشا السودان اشتغل رجال قبيلة العبابدة بمهنة  
تسيير القوافل التجارية والحربية في طريق الصحراء بين (كروسكو وأبو حمد)  
وبالرغم عن قلة عدد المليكاب وكثرة سواد العشاباب استأثر المليكاب بالزعامة  
على القوافل التي تسيير بين مصر والسودان وبالعكس ونبع منهم رجال احرزوا  
الشهرة والنباهة في الازمان التي تقدمت ولاية ساكن الجنان محمد علي باشا  
على الديار المصرية

ولما قامت ثورة المهدي في السودان كان حسن ابو خليفة بن اخي حسين  
باشا خليفة قابضا على رئاسة تسيير القوافل بين مصر والسودان فانضم الى  
المهديين وكتب له المهدي أمرا بالرئاسة على قبيلة العبابدة والدعوة له حوالى  
مديرية اصوان وشهد بمض الوقائع التي انهزم فيها دعاة المهدي في اقليم دنقلة  
وبسبب استبداد المليكاب بالرئاسة على القوافل دون العشاباب تولدت  
بينهم العداوة واستحكمت الاحنة في صدورهم ونالوا من دماء بعضهم مازاد  
الطين بلة والطنبور نعمة واستقرت العداوة بين تينك البطين وتوارثها  
الخائف عن السلف

وقبض كثير من العشاباب على وظائف بريد التعاشي وبمض وظائف  
بيت المال فاشتدت المناظرة بينهم وبين المليكاب الذين ولي التعاشي رئيسهم  
حسن أبا خليفة الامارة عليهم ووكل اليهم رئاسة القوافل أيضا وجعلهم مرابطين  
في (آبار المرات) بين كروسكو وأبو حمد

واستخدمت الحربية أيضا عددا ليس بقليل من رجال العباددة ليجولوا في الصحاري وناطت بعضهم مهنة التجسس للحكومة وصار آخرون منهم تجسسون للتعايشى فاستحکم النفور بين المليكاب والعشاباب وصار جواسيس الحكومة من العشاباب يسعون عند الحكومة بجواسيس المهدوية ويلحقون بهم المصائب اذا كانوا من المليكاب أما اذا كانوا من العشاباب فلا يتعرضون لهم وربما اعانوا على قضاء أوطارهم وبمثل هذه المعاملة يعامل المليكاب جواسيس المهدوية فينكأون بالعشاباب ويتركون أقاربهم

ولبت العشاباب والمليكاب يحاربون بعضهم في دائرتى نفوذ الحكومة والتعايشى وينكأون بعضهم أشد النكال وفى سنة ١٣٠٦ قوت حظوة محمد بشير كرار أحد العشاباب عند التعايشى حتى جملة قائدا لدابته يأخذ بخطامها فى المواقب واتفق ان الحكومة ارسلت صالح بن حسين خليفة الى ابن عمه حسن خليفة للمخابرة فنزل عليه ضيفا فى (آبار المرات) ثم قفل راجعا الى اصوان فسمى خبره الى التعايشى فاستشاز غيظا وكانت وشايات قائد دابته قد تمكنت من قلبه وكتب جمع من الامراء الذين فى بربر والمراطين فى أبو محمد الى التعايشى يتهمون حسن خليفة بالخيانة والميل لجانب الحكومة فاستقدمه التعايشى الى أم درمان فلما قدمها قبض عليه فيها وسجنه وأصدر أيضا أمرا بالقبض على سائر أفراد قبيلة المليكاب من ذكر واثى وكان معظمهم يسكن حوالى بربر فقبض عليهم وصودرت أموالهم وسيقوا الى أم درمان يرسفون فى القيود والاغلال وسيبت نساؤهم وهم يلبثون بضمة آلاف

وتوفى محمد خليفة والد حسن خليفة غما بما أصاب ابنه وقومه وكان

شيخا كبيرا وفي أوائل سنة ١٣٠٧ حملوا الى منفام في خط الاستواء على السفن الشراعية بغير زاد فمات النساء والاطفال جوعا وهلك الرجال أيضا وعلى أثر ذلك خلا الجو للمشاباب واستأثروا بمنافع دولة التعايشي وانتقموا من اعدائهم شر انتقام وقطع دابر المليكاب من السودان فسبحان من يغير ولا يتغير

ذكر غارة العباددة على ابو محمد وقتل سليمان نعمان قمر  
ذكرنا ما كان من أمر المجاعة التي فشت في السودان وقد خلت الحدود من المراطين فيها وقتل وجود المقاومة حتى صار عدد الموجودين بام درمان من المقاومة لا يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل وبات التعايشي خائفًا يترقب تقدم الجنود المصرية لمناجزته حيث لا يجدون من يدافع عن البلاد أقل دفاع

وزيادة على ذلك ان التعايشي أقن بانحراف الناس عنه وميلهم لجانب الحكومة على أثر ما أروههم به من المظالم والمغارم

قلنا ان الحكومة وكلت حراسة (آبار المرات) الى صالح بن حسين خليفة الذي هاله ما أتاه الخليفة مع ابن عمه حسن أبي خليفة وقومه المليكاب فجمع نحو مائتي راكب من قبيلته وأغار بهم على معسكر (أبو محمد) وانتشبت الحرب بينه وبين دن فيه من الدراويش ومعهم سليمان بن نعمان قمر قاتل السكولونيل ستيوارت فاقتحم سليمان صفوف العباددة وقاتل حتى سقط قتيلًا بينهم فحزوا رأسه واحتملوها

وكانت الحكومة نشرت نشرة فخواها ان يأتوها برأس

سليمان هذا فله جائزة عتامة ثم اني امر هذه الجائزة قبل قتله ورجع  
 المغيرون من العباددة بعد ان قتل منهم وقتل من اعدائهم فكوني صالح  
 خليفة رئيسهم على قتل سليمان نعمان براتب خمسين جنبها شهر يا وقد كان  
 اثر هذه الحادثة على التعايشي سيئا حيث وقع في روعه ان الحكومة تنوي  
 التقدم لفتح السودان واستبدل الناس على ذلك بانه خرج بعد ان قرأ  
 بريد (أبو محمد) فصلى بالناس صلاة العصر ست ركعات ثم سجد للسهو فعرف  
 الناس ارتباكهم اذ كانت عادته ان يسهى في الصلاة اذا فوجيء بنسأ يفزعه  
 ثم هدأ روعه بعد ايام حيث علم انها غارة بسيطة ليس وراءها فتح

### ذكر موت الحاج علي سعد

الحاج علي سعد من قبيلة الجميلين وكان وضيعاً خامل الذكر ذا مهنة دينية  
 ولما دخلت دعوة المهدي في بربر رفع محمد الخير منزلته حتي صيره أميراً  
 على سكان القرى الواقعة جنوب نهر (اتبره) ثم كان من أمره مع محمد الخير  
 أمير بربر ما تقدم لنا ذكر طرف منه حيث سمى بمحمد الخير عند التعايشي  
 على أمل أن يخلفه في إمارة بربر وقد وعدته التعايشي بالوصول الى غايته  
 وقضاء لبائته فبالغ في توجيئه المطاعن الى محمد الخير فعزله التعايشي وولي  
 بدله أحد أقاربه البقارة وقلب ظهر الحجن لعلي سعد ثم أمره باحصاء عدد المقاتلة  
 الذين تحت امرته فبلغوا سبعة آلاف مقاتل فأمره بأن يصحبهم الى دنقلة  
 في أوائل سنة ١٣٠٦ لينضموا مع ابن النجومي فغادر علي سعد بربر ولحق  
 بابن النجومي في دنقلة فأحصى من معه من المقاتلة فاذا هم ستمائة مقاتل فقط  
 فكتب ابن النجومي الى التعايشي يخبره بأن مقاتلة علي سعد ستمائة رجل فقط

لا سبعة آلاف كما قال فاستاء التعاشي وأضرر السوء لعل سعد الذي يش من  
نيل أمانة بربر وامتعض من التعاشي وإخيه يعقوب الذي خدعه  
وأغراء علي الطمن في محمد الخير توصلا إلى عزله وإقصائه عن الأمانة وأطعمه  
في تبوى ذلك المنصب ثم لم يرو منه وفاء بل قلب له ظهر المجن

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ استقدم التعاشي علي سعد من دنقلة وقدم  
له غذاء وضع فيه مادة سمية فما كاد يفرغ من تناوله حتى أحس  
بأنحراف شديد فلزم داره وتوفي بعد ليال قليلة بعد أن ظهرت عليه  
اعراض التسمم

وخلفه في وظيفته أخوه عبدالله سعد الذي خرج على التعاشي قبل فتح  
أم درمان فقتله الأمير محمود في من قتله ويحىء ذكر ذلك فيما يلي والله الأمر  
من قبل ومن بعد



ذكر موت عثمان آدم وتولية محمود أحمد بدله  
ذكرنا ما كان من أمر عثمان آدم أمير دارفور وكيف جمع جيشاً جراراً  
هاجم به دارفور واستولى عليها بعد ثورة أهل سلطنتها القديمة ثم ما كان من أمر  
ظهوره على (أبو جيزه)

ولما فرغ عثمان من أمر أبو جيزه عم الدمار بلاد دارفور حيث أباد  
القحط البعض والبعض الآخر هجروا بلادهم ولحقوا بالبلاد التي في الغرب  
وكانت لم تخضع للمهدبين مثل بلاد (أبو ريشه) وبلاد (وداي) وغيرها  
وأخذ عثمان يوالي الغارة على سكان الجبال ليتحصل على نفقات جنده حيث  
صارت البلاد خراباً لا تقوم ببعض نفقات وأقوات أولئك المقاتلة فتحصل

على شيء كثير من الاقزات والماشية ثم وجه عزيمة الى بلاد الغرب لفتح  
بلاد (مسلات) وبلاد (أبريشه) وهما مملكتان واقعتان بين (برقو ودارفور)  
فظفر ببعض قرى في تخوم تلك البلاد وقصد التوغل لفتح البلاد كلها حتى  
يقف عند حدود (برقو) فاصيب بحمي خبيثة وقضى نحبه بعد ثلاث ليال فاحتمله  
جندد وتقهروا به راجعين الى دارفور وأخفوا وفاته على العامة واقاموا  
وكيله محمد بشاره مقامه وارسلوا بنفيه الى التعايشي الذي وقع عليه هذا الخبر  
وقع الصاعقة وسالت الدموع من عينيه لانه كان يحبه ويعتقد فيه الكفاءة  
في دفع الملهمات ومقدراً نجاحه في دارفور حق قدره

وبعد ايام يسيرة من وصول نعي عثمان آدم أعلن التعايشي نبأ تعيين ابن  
عمه محمود أحمد بدله

وعلى ذكر محمود هذا نأتى هنا على ترجمته تيمناً للفائدة فنقول. انه ابن أحمد دى  
عم التعايشي وكان مولده ببلاد التعايشة بجهة (الكلكة) وقد رايناه بعد سقوط  
الخرطوم مع والده وكان عمره اذ ذاك لا يتجاوز خمسة عشر عاماً ووجهه  
مشوه بآثار الجدري والمتربة ظاهرة على اطماره البالية لا يأنف من مديد  
السؤال الى أولى اليسار من الامراء والوجوه حتى وصلت خلافة المهديين  
الى ابن عمه التعايشي. والحاصل أن المترجم كان مثل سائر أقاربه في الغاية القصوى  
من الفاقة وشظف العيش وأهالي السودان الاوسط يحرقون سائر البقارة  
الذين هم في الدرجة القصوى من الهمجية والبداءة الوحشية ولغتهم مع  
كونها شبه عربية تكاد تكون غير مفهومة. وبالجملة ان المترجم كان بقارياً  
في جميع أخلاقه وأطواره ولكنه ما لبث بعد ان صار قريبه التعايشي ذا  
سلطان على السودان حتى غير أخلاقه وعوائده وتشبه بأهل السودان

الأوسط واسترسل كعثمان ابن التعايشي في الدعارة وانهمك في حضور ليالي الرقص والغناء التي ذكرنا بعض اوصافها وتغالي في حب المومسات، وجمع حوله عددا ليس بقليل من الخنثين المتشبهين بالنساء وله أخ اسمه ابراهيم الخليل هذا حدوه وسار على وتيرته

وقبيل توليته توفى والده وكان فيما يزعمون بارعا في معرفة علم الرمل ومعرفة البخت مثل ابن أخيه عبد الله التعايشي الذي كان خبيرا بهذا الفن والحاصل ان ترجمة محمود أحمد لا تختلف كثيرا عن ترجمة عثمان ابن التعايشي وفي أوائل سنة ١٣٠٨ خرج التعايشي لتشجيع محمود وسار معه أيضا مندوبون من القضاة ليعانوا أمر توليته ويأمروا القواد بطاعته

ولما وصل الي دارفور امتعض القواد منه لانها كاه في الشهوات وعكوفه على المعاصي والدنات وظهر لمرؤسيه الفرق بينه وبين سلفه الذي كان على نهج كبار المهديين

والحاصل انه قبض على زمام دارفور وبقي بها حتى شغب الدنقلدون أقارب المهدي على التعايشي وتحفز الاهلون كلهم للثورة عليه فاستدعاه من دارفور الي أم درمان بجيشه وسيأتي ذكر ذلك في مكانه

### ذكر صفة معيشة التعايشي

كان التعايشي قبل ان يفرض اليه الملك مثل سائر بني جلده البقارة في الدرجة القصوى من الخشونة والبداءة لا يعرف شيأ من ضروب التمتع في الاحوال المعيشية على طريقة المترفين من أهالي السودان الأوسط التي هي وان كانت عوائد بربرية غير مألوفة الا أنها تمد مدنية بالنسبة لخشونة البقارة



الذين لا يعرفون من أنواع الاطعمة غير المصيدة وادام ( المندجية ) الذي سبق لنا تعريفه ولحوم الصيد

وقد كان التعاشي عريقاً في هذه العوائد وكان يتطيب بكبريت الامود ذى الرائحة الكريهة التى تنقبض النفس من شمهـا وكان احسن الطيب عنده وهذا بخلاف اهالى السودان الاوسط فانهم يتطيّبون بعطور الصندل والحلب وغيرها من انواع الطيب التى يتخذها المصريون وينفرون من رائحتها والحاصل أن عوائد التعاشي وقومه تباين عوائد اهالى السودان الاوسط وتختلف عنها اختلافاً كبيراً وهى كما قلنا فى منتهى الخشونة والبداوة

وكان قبل افشاء الخلافة اليه نحيف الجسم مقوس الظهر كانه شيخ هرم طويل الوجه غائر الصدغين المنتشر بهما آثار الجدري وكان يلبس مرقعة بالية ممزقة يظهر جسمه من خلال خروقتها ويتمم على قلنسوة من (الدمور)

ولم يلبث بعد ذلك حتى نبذ عوائده كلها ولبس المرقعات النظيفة وتشبه بالمهدى فى ملابسه واخذ يتطيب بعطر الحلب والصندل وصار يأكل الاطعمة المصرية التى كان يقوم باتقانها نسوة مصريات من أهل الخرطوم وجمع عنده نحو مائة وعشرين امرأة من أجمل نساء السودان وضخمت جثته وتغيرت سحنة وجهه حتى انه يخيل للناظر اليه انه شخص آخر غير التعاشي ولكن لم تمض عليه ثلاث سنوات حتى تنقص عيشه بما اعتراه من ضعف أعضاء تناسله وخمود شهوته فاستدعى طبيباً مصرياً اسمه حسن زكي من أطباء الحكومة السابقين وناجرين اسم أحدهما محمد طه الشامى واسم الثانى بندليه اليونانى وشكاهم ما انتابه من الضعف وفقدان الشهوة وسألهم ان

يبحثوا له عن الاشياء التي تقوي الباء وأكد عليهم في الكتمان فذهبوا وبدا  
 المداولة قر رأيهم على ان يحضروا له شيئاً من العنبر مشافاً على نوع الحشيشة  
 المطبوخة المسماة (قراوش) فقصدوا محل رجل كان يبيع الحشيشة سرّاً اسمه  
 بكتاش أغا وعادوا بالقدر الكافي ثم طبخوه مع العنبر ووضعوه في حق  
 وذهبوا الى دار النمايشي الذي فغتمه رائحة العنبر فأمرهم ان يأكلوا منه  
 بحضرته خشية ان يكونوا قد دسوا له فيه السم فاكلوا منه فشكرهم واجاز  
 كل واحد منهم بمئزر ريالات وأكثر من أكل هذا النوع حتى نفذ فامرهم  
 تجهيز غيره وصار ذلك عادة له لا يقدر على تركها

### ذكر حادثة البطاحين

البطاحين قبيلة بدوية تسكن شرق النيل الازرق غرب صحراء (بره)  
 وماشيتها من الغنم والبقر وبمض الابل ورجالها مشهورون بالشجاعة والاقدام  
 مع قلة عددهم وكلهم لصوص وقطاع طرق ولا توجد عصاة سطو أو جمعية  
 سلب في سائر انحاء السودان الا من البطاحين وقد أمسكت الحكومة  
 كثيراً منهم قبل المهدوية وعاقبتهم على ما كانوا يأتونه من قتل النفوس  
 ونهب الاموال

ولما ظهرت دعوة المهدوية كانت قبيلة البطاحين في مقدمة القبائل  
 التي مالت اليها طمعاً في النهب والسلب اللذين هما ديدنها. ولحق بالمهدي  
 في جبال (قدير) أحد رجال هذه القبيلة المدعو عثمان بن أحمد وكان  
 من حفظة القرآن وهو كقومه البطاحين الذين جيلوا على الفساد وسفك

الدماء وكان ذا دهاء تمكن به من الظهور بمظهر الزهادة والنفاني في حب المهديوية والاخلاص لها فجعله المهدي نائباً من النواب الموكل اليهم النظر في القضايا الكلية فاستخدم هذه الوظيفة في سبيل اطلاق يد قومه البطاحين في النهب والسلب ووقف وظيفته لدرأ كل عقوبة يراد عقابهم بها على ما يرتكبونه من جنائيات السطو والقتل وقطع الطرق فانطلقت ايديهم في النهب والسلب بلا خوف من طائلة عقاب حيث صار قريبهم نائباً من النواب المهديوية ومقرباً من مقربي التعايشي وارتفعت الشكوى منهم الى التعايشي الذي كان مع ظلمه لا يرضى بجولان يد في العبث والفساد غير يده وايدي قومه البقارة فكتب الى قبيلة البطاحين يأمرها بمغادرة ديارها واللاحاق بابن النجومي في دنقلة وذلك في سنة ١٣٠٥ فسافر منهم نحو الف رجل واختفى الباقون في قفار بلادهم وصحاريها حتى كانت سنة ١٣٠٦ وفشت المجاعة في السودان

وفي أواخر هذه السنة ازدادت مفايد البطاحين وانتشروا في بلاد شرق النيل وقطعوا الطرق على القوافل التجارية والسابلة التي تجتاز الصحراء بين النيل الازرق ونهر (اتبره) وحدود الحبشة وأبادوا عدة قوافل بعد ما نهبوا وسطوا على أكثر القبائل النازلة في انحاء تلك الصحراء وكلما رفع المجنى عليهم شكواهم وأحيلوا على القضاء الذي من اكبر رجاله قريبهم عثمان السالف الذكر خرجوا ظافرين بريئين

وفي ذات يوم جلس التعايشي في محرابه وحوله القضاة والنواب فقال لهم لقد طغى البطاحون وزادت شرورهم ومفاسدهم فأجابه عثمان النائب بقوله يا مولاي انهم تركوا السطو وقطع الطرق منذ بايعوا المهدي ونصروا دعوته

فقال له التمايشي كلاً بل أخبرني الحضر عليه السلام انهم لم يتركوا شيئاً مما كانوا فيه بل زادوا جرأة واقداماً على السطو وقطع الطرق فسكت عثمان واذعن لقول التمايشي

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ أنفذ اليهم التمايشي رسولا اسمه ابن جابر النبي فذهب الى حبيهم وقرأ عليهم أمراً من التمايشي بمغادرة بلادهم والحقاق برباط دنقله فقابلوا الرسول بالضرب والاهانة وهموا بقتله وألقوا به وبمن معه جروحاً خفيفة فقر من وجوههم وقفل راجعاً الى أم درمان فلقى التمايشي خارجاً من داره لصلاة المغرب فأخبره بما أصابه فأمر في الحال باعداد نحو عشرة آلاف مقاتل بين فرسان وجهادية مسلحين بالبنادق وان يغادروا أم درمان بعد صلاة العشاء تحت قيادة قريبه عبد الباقي عبد الوكيل

وبعد صلاة العشاء ركب التمايشي والابواق حوله قاصدا ضفة النهر لتوديع الجيش وتزويد القائد بالوصايا التي يعمل بها وما انتصف الليل حتى اجتاز الجيش كله النيل على البواخر والسفن وتابع مسيره في الصحراء الى المساء وبعد ثلاث ليال داهم حى البطاحين في الغلس وأمطرهم النيران الحامية فسقط منهم نحو ألفي قتيل وسبق الباقيون أسرى بنسائهم وأطفالهم ونهبت ماشيتهم كلها وجرى نحو ثلاثة آلاف أسير منهم الى أم درمان عدا الصبيان والنساء فاختر التمايشي مائة وخمسين رجلاً من أعيانهم ومشايخهم وأصدر أمراً بجلب خمسين منهم في ميدان السوق وضرب أعناق خمسين أيضاً وقطع أيدي وأرجل الخمسين الآخرين

وركب التمايشي في ظهر ثاني يوم ووصلهم الى ميدان السوق وشهد انفاذ هذه الاحكام الفظيعة ومات أكثر الذين قطعت أيديهم وأرجلهم ونجا

الذين أدركتهم غيرة أولي الشبهة فصبوا على جراحهم الزيت المحمى بالنار  
 لقطع نزيف الدم وقد قال التعايشي وقتئذ لمن حوله اني لم أفعل ذلك الا بأذن  
 من النبي صلى الله عليه وسلم والخضر والمهدي فانهم أمروني بالامس بهذا  
 العمل فقال رجل من المناقلة وهو نوتى ان صدقناهم أمروا بالصلب وضرب  
 الاعناق وقطع الايدي والارجل فهل نصدق أنهم أمروا باخذ النساء الحسنات  
 ونكاحهن كوطوات بملك اليمين فسمعه بعض الحاضرين وأبلغ التعايشي مقالته  
 فأمر بإحالة على المحاكمة حيث ادعى عليه أنه لعن أبا المهدي فحكم القضاة بضرب  
 عنقه فضربت في اليوم التالي في محل استعراض الجيش

وأخذت نساء البطاحين مسبيات ووزعن على البقارة والقواد وامتلات  
 أم درمان بالمتسولين منهم وكانوا كما قدمنا من أشد القبائل تشيعاً للمهدوية ومن  
 شدوا أزرها فاتقم الله منهم بيدها ومن أعان ظالماً ساط علىه  
 وبيعت ماشيتهم التي جلبها من الضأن والبقر في أم درمان فهبطت أثمان  
 الماشية حتى بلغ ثمن الرأس من الضأن نصف ريال

### شان محمد خالد زقل بعد ذلك

ذكرنا ما كان من حوادث محمد خالد زقل في دارفور وما وقع له مع  
 حمدان أبي عنجه الى سجنه بام درمان بضعة شهور وخروجه من السجن حيث  
 أمره التعايشي بملازمة الصلوات الخمس في المسجد معه وكان زقل هذا ذا دهاء  
 شديد فأخذ يتظاهر بولاء التعايشي ومحبة حتى خدعه ما يتظاهربه الي أن  
 دخلت سنة ١٣٠٦ وكثرت الاختلافات بين عثمان دقنه وأبي قرجة الذي  
 تولى على شرق السودان بدله

ولما استعجلت تلك الاختلافات انفذ التعايشي الشيخ الطاهر بن المجدوب  
ومعه محمد خالد زقل الى السودان الشرقي ليفصلا بين المختلفين فتوفي الشيخ  
الطاهر في (طوكر) وقفل محمد خالد زقل راجعا الى ام درمان ومعه عثمان دقنة  
ثم عزل التعايشي أبا قرجة واعاد عثمان دقنة الى الامارة ثم ولي محمد خالد  
زقل على دنقلة زهاء سنة حتى دس له يعقوب أخو التعايشي الدسائس

وكان في دنقلة أميران من البقارة هما مساعد قيدوم الذي تقدم لنا ذكره  
مع ابن النجمي وكان قائد المقاتلة من البقارة وعربي دفع الله وكان قائد الجهادية  
المسلمين بالبنادق

وعربي هذا كان خادما عند محمد خالد زقل تربى في منزله بدارفور  
ولما عين زقل أميراً على دنقلة وصار عربي تحت إمرته حفظ لزقل  
حق التربية فكان يتواضع أمامه ويجلس متأدبا بحضرته ولم يكن  
في الحسبان أن يقلب حالهما ويتبدل صفاؤهما بالعداوة لولا مادسه يعقوب  
أخو التعايشي لعربي حتى دفعه الى السعي بزقل عند التعايشي . وفي ذات يوم  
جمع عربي رجاله وكانوا زهاء الفين وأحاط بهم منزل زقل ومنعه  
من الخروج فانقسم جيش دنقلة فريقين فريقاً ينتصر لزقل والآخر  
يظاهر عربي عليه وهذا مؤلف من الجهادية والبقارة وذلك من  
الدناقلة والجعليين وكان قد وصل في غضون هذه الحوادث أحد أعداد  
جريدة مصرية فيه نبأ يشير الى أن زقل أمير دنقلة اتفق مع الحكومة  
على ان يسلمها دنقلة بغير مقاومة وأن الحكومة السودانية وعدته  
بالمكافأة الحسنه فلم يبق ريب لدى التعايشي في صحة الخبر وخشى ان يكون  
زقل قد قرر ذلك مع من معه من القواد فانفذ اليه يونس الديكم ومعه أمر

بانه عينه خادما يحمل نعل محمد خالد زقل فامرك سر المسألة وكتب الى التعايشي يستأذنه في القدوم عليه ويسأله ان يعين من ينوب عنه في دنقلة فاجابه بتعيين يونس نائباً عنه وأمره بالقدوم عليه فاستقبله بالأكرام وبعد أيام يسيرة عقد مجلساً لحاكمته لما جاء في الجريدة المصرية لحكم المجلس باعدامه ولكن التعايشي أوقف التنفيذ وأمر بسجنه ومصادرة أمواله ووضع في رجليه من القيود ما أثقله حتى عجز عن المشي ونهبت أمواله وبقي في السجن بضع سنوات ثم نفي الى خط الاستواء في مستهل سنة ١٣١١

وكان زقل شديد البغض للمصريين مع انه كان موظفاً أميرياً بدارفور كما قدمنا وحائزاً للرتبة الثالثة ولما استولى على دارفور ارسل الى المغفور له الخديو توفيق باشا كتاباً ينصحه فيه بالتسليم للمهدوية واستهل كتابه بمقدمة مملوءة بالوقاحة والسفاهة والمطاعن الشخصية التي يتجافى اليراع عن رقتها. ولما ولى على دنقلة أرسل له كتاباً آخر لا يختلف عن الكتاب الاول مملوءاً بالمثالب والمطاعن وقد اتصل بنا ونحن نبض هذه السطور ان محمد خالد زقل فر من منفاه بخط الاستواء بمد هزيمة التعايشي بأمر درمان ولحق بمملكة (برقو) فأمسكه سلطانها كأسير ولم يفلته حتى الآن ويقول العارفون بمادات تلك البلاد انهم لا يسمحون لغريب ذهب الى ديارهم أن يعود من حيث جاء مخافة أن يكون جاسوساً يحوس خلال الديار ويعود منها مزوداً بالاسرار ومهما يكن من الحال فان زقل لم يتمتع بلذة الحكم على بلاد دارفور التي استخلصها من جنود الحكومة بالصفة التي تقدم لنا ذكرها الا زهاء سنتين كانت مغبتهما السجن ونهب ما جمعه من الاموال في خلالها ولا غرابة في ذلك فكذا كانت معاملة المهدوية لكل من أعانها والله الامر من قبل ومن بعد

## ذكر استخراج الرصاص والنحاس

والكحل من معادن حفرة النحاس

تقدم لنا ان الطيب الذكر غردون باشا افتتح جهة ( حفرة النحاس )  
المملوءة بمعادن النحاس وشرع في استخراج النحاس منها ثم أهمل خلفه أمر  
هذه الحفرة ولم يحفل باستخراج النحاس منها حتى دخلت بلاد دارفور في  
حوزة المهديوية

وفي سنة ١٣٠٧ أنفذ التمايشي أناسا الى تلك الجهة فاستخرجوا شيأ  
كثيراً من الرصاص والنحاس والكحل فاستخدم الرصاص في تعبئة الخرطوش  
بعد ان جبطت مساعيه التي بذلها في استخراج هذا الصنف بسبب الغش  
الذي قطعت يد ورجل المقدم عمر الجملي من أجله  
وصنع من النحاس ظروف الخرطوش ثم لم يعد لاستخراج شيء  
من هذه الأصناف بعد أن حصل على كفايته منها

## ذكر بنات الجمليين

الجمليين اسم قبيلة تقدم لنا تعريفها في حوادث بربر  
وفي أوائل سنة ١٣٠٨ أنفذ التمايشي رجلاً اسمه محمد وهبي بن حسين  
ادأى المشهور بالرئيس وكان من موظفي الحكومة في بربر الى قرى الجمليين  
الواقعة بين بربر وأم درمان على احدى البواخر ليأخذ كل حسناء من بنات  
الجمليين ويحملها على الباخرة ويأتيه بها فذكرت بضعة مشهور متجولا في شواطئ  
تلك القرى باخترته ثم عاد بها وهي مكتظة بالنساء الحسان وجلهن عذاري  
وسمعت من أحدهن ان التمايشي كان يأمر بنزع ثيابهن عنهن لدى وصولهن



اليه فكانت الواحدة منهم تدخل عليه في حجرته وهي عارية كيوم ولدتها أمها  
وبعد أن ينعم نظره فيها وهي مقبلة يأمرها أن تدبر ثم يدينها منه فإذا أعجبته  
أبقاها في داره موطوءة بملك اليمين وإن لم تعجبه أمر بإخراجها واهدائها  
لأحد أقاربه البقارة

أما دخول النساء عليه وهن عاريات فكان لا يقصد به التمتع بالنظر اليهن فقط  
بل كان يخاف أن يحمن تحت ثيابهن سلاحاً أو مادة سامة وهو يامل كل نسائه  
بهذه المعاملة إلا من يشق بامانتها وقل أن يأتين واحدة منهم

### ذكر انسحاب الجيش من القلايات

تقدم لنا ذكر ما كان من أمر محاربة الدراويش والاحباش الى قتل  
النجاشي يوحنا

ويقولون ان النجاشي منليك الذي خلف يوحنا في سلطنة الحبشة  
عقد مهادنة مع الدراويش على ان يكفوا عن حربه والتعدي على حدوده  
لانه لم يرغب ان المملكة الحبشية مشغولة بدفع غارة الايطاليين عليها من جهات  
(أسمره) وفتحها باباً للحرب مع الدراويش يضاعف مشغوليتها ويزيد خسارتها  
فداهن الدراويش بل صافاهم على انه كان موقناً بان سوء تصرفات سلفه  
هي التي فتحت على المملكة هذا الباب الذي كانت في غنى عنه لكي تنفرغ  
لوقوف امام المنيرين على بلادها من الفاتحين الايطاليين

والتعاشي لم ينشر شيئاً يدل على وقوع هذه المهادنة الا ان قرائن الاحوال  
تدل عليها لان بعض مصادر الاخبار تؤكد ان غارة الدراويش على الاحباش  
لا تخلو من يد للايطاليين في تدبيرها. وفي نفس الوقت الذي كان منليك

يستعد فيها المناجزة الايطاليين في الواقعة الاخيرة بينهما كانت جيوش  
الدراويش أيضاً تزحف من جهة أخرى لمهاجمة مراكز الايطاليين مما يدل على ان  
الدراويش كانوا أولاً على وفاق مع الايطاليين ضد الاحباش ثم انعكس الحال  
فصاروا مع هؤلاء على أولئك

والحاصل ان التعايشي بعد أن ملأ القلابات خيلاً ورجالاً ونال جـنـده  
من الاحباش ما نالوه من الظفر حصن القلابات بسور من الحجارة وأصدر  
أمراً الى الزاكي طمل قائد الجيش ان يترك القلابات ويوكل حراستها الى الف  
رجل تحت إمرة أحمد على البقاري فصعد الزاكي بالامر وغادر القلابات  
وعسكر في القضارف وارهب أهلها نهياً وصادر غلاتهم بالكيفية التي ذكرناها  
في الكلام على القحط الواقع في القضارف

وفي أواخر سنة ١٣٠٧ قدم الزاكي طمل على التعايشي ودفع له مائة  
وثمانين الف ريال وقناطر مقلطرة من الذهب والفضة فأمره بالعودة  
الى القضارف وأخذ الالهبة لاختراق الجزيرة والغارة على بلاد (الشلك)  
بأقليم فشودة

### ذكر غارة الزاكي طمل على الشلك

الشلك اسم لقبيلة من العبيد تسكن إقليم فشودة وهم حفاة عراة يلبس  
الاغنياء والعظماء منهم قطعة من خرقة تستر أنصاف أخاذهم فاذا جلس احدهم  
طوي الخرقة ووضعها على كتفيه وبقيت عورته بلاستر

أما النساء فيأترن بفروة من الجلد اذا كن متزوجات أما اللاتي لم  
يتزوجن فن عاريات كيوم ولدتن أمهاتهن وهؤلاء النسوة يحلقن شعر

رؤسهن مما يزيد في تقبيح مناظرهن وتشويه خلقهن والرجال يسبلون شعورهم  
ويدهنونها بالمواد الغريبة كالصمغ ويمسكون منها شكلا يخاله الراى من بعد  
قبح الافرنج

وهم غلف لا يعرفون الختان ويزعمون ان الختان هو كسر أربعة أسنان  
من اسنان الرجل أو المرأة من الفك الاسفل ليتمكن احدهم من اخراج  
اللسان بغير أن يقف شيء في طريقه

ويزين الرجال نحورهم وأذرعهم بكثير من الحرز وأجراس النحاس  
الصغيرة وقطع العاج وزينة المرأة شيء من الودع والحرز على خصرها وعلى  
كل حال تربو زينة الرجل وحليته على زينة المرأة وحليها والرجال مع استشارهم  
بالنصيب الاكبر من الزينة على ما ذكرنا تراهم مع سواد بشرتهم طوال القامات  
حسان الوجوه مفتولى السواعد يبدو على وجوههم العجب والزهو ويحملون  
بأيديهم الاسلحة من المزاريق والحراب ولا يعرفون هم ولا نساءهم لبس  
نعل أو حذاء

ودياتهم وثنية همجية لهم صنم من الخشب اسمه (النيكامه) بتعطيش  
النون وأما (الكجور) فهو كعالم ديني يرجعون الى مشورته في أمور الدنيا  
والدين والطب وهو إن صح ما نسمعه من قومه عنه لا يخلو من معرفة شيء  
من علم النجوم والانواء علما نظريا لانه كثيرا ما يخبرهم بأخبار المطر وغيره  
قبل الحصول

ومما يدل على ذلك ان وظيفة الكجور لا تكون الا وراثية من  
الاسلاف للاعقاب وبالجملة ان الكجور عند الشلك أشبه شيء بالكاهن  
والعراف في عهد الجاهلية

وأغذيتهم من لحوم الصيد وابن المشاية والبوظة المسكرة وما شيتهم من  
النعم والبقر كثيرة جداً وهم يقدسون الفحل من البقر ويلقون على قرنيه  
الاجراس والحرز وسائر أنواع الزينة ويسمونه (مجوك) ويخرجونه في الحفلات  
والمواسم حيث يكون موضع احترام الجميع

وإذا خرجوا يستسقون المطر يخرجون الفحل أمامهم متوسلين به  
والحاصل أن (مجوك) عند الشلك يشبه العجل (أبيس) عند قدماء المصريين  
وعادة الزواج عندهم أن الرجل يتزوج بما شاء من النساء بمعنى أنه يتزوج  
ما شاء من النساء بغير قيد ولا حد

ومهر الزواج لا يقل عن ستين رأساً من البقر للمتوسطة من النساء ومائة  
لاهل الطبقة العالية ولا يجيزون أن يكون المهر أقل من أربعين رأساً من البقر  
والمهر حق لا قارب الزوجة يأخذ أبواها القسم الأكبر منه ويوزع الباقي على  
أقاربها من جهة الأب والام وهؤلاء ينالهم أكثر مما ينال أولئك

وإذا توفي الزوج خلفه أكبر أنجاله على جميع نساؤه عدا أمه والأولاد الذين  
يولدون له منهمن يعتبرهم اخوته لانه يرى نفسه نائباً عن والده واسم (مريم)  
علم لجنس النساء كما أن اسم (ثور) علم لجنس الرجال كلهم وتخضع قبيلة الشلك  
كلها الى ملك يسمونه (الملك) وحكمه نافذ فيهم وطاعتهم له صمياء وهم يعتبرونه  
متدسا يستمد سلطته من معبودهم (النيكامه) كما كان قدماء المصريين  
يعتقدون شبه هذا الاعتقاد في فراعنتهم

وهذا الملك طاري الجسم مثاهم ولا يدنو منه احد الا بعد أن ينخي  
ويزحف على ركبتيه ولا يرفع احد عينه اليه بل يظلون جلوساً كأن الطير على  
رؤسهم ويجاس حواليه الشيوخ والكجور فاذا عقدت جلسة لمحاكمة جلس

المك وبين يديه أنواع السلاح كلها وانما يعاقبون بالقتل وعند نهاية الجلسة يتنازل الملك نوعاً من السلاح الذي بين يديه يومئ به نحو الجاني وينصرف فينفذ الحاضرون العقوبة عليه بنوع السلاح الذي أوى مأبه

ومن دأبهم مع ما هم فيه من التوحش والهمجية حيث لا فرق بينهم وبين الانعام المحافظة على الآداب حتي يظن الانسان انهم في نهاية التسدين فلا توجد بينهم فاحشة ألبتة والزاني والزانية لا عقاب لهما الا القتل ومما زاد في إعجابي بأولئك الاقوام ان المرأة منهم في نهاية الحرية تختلط مع الرجال وتجالسهم وهي محترمة عندهم كاحترامها عند الافرنج ومن عوائدهم ان الرجل اذا انتصب ذكره وهو جالس مع غيره عوقب بالقتل في الحال مع انهم يجلسون صراة والنساء معهم

ومنازلهم اكواخ مستديرة واعاليها مستطيلة كالتبة والنظافة متوفرة فيها حتي ان أرض منازلهم مرصوفة بشيء من الحجارة يخالها الناظر لأول نظرة رخاماً وفي كل قرية مكان كبير يحرقون فيه روث البقر حتي يصير رماداً ينامون عليه ويتمرغون فيه

ويغسلون وجوههم ببول البقر ويتضمضون به ويضعونه في اللبن والسمن وياكلون الميتة والدم ولا يذبحون الماشية الا اذا اشرفت على الهلاك فيشد يذبحونها بقصد الحصول على الدم اذ هو احسن غذاء عندهم وفي بعض الاحايين يحرقون البقر في شرايينها ويتزفون الدم في آنية ثم يضمّدون الجرح ويربطونه حتي يندمل

ولهم مهارة غريبة في اقتناص الضواري كالقيل والسبع والنمر وبقر الوحش والزرافة وسائر أنواع الوحوش . ولنذكر هنا طريقة صيد

الفيل وبقر الوحش وهى ان يجتمع اثنا عشر رجلا منهم بيد كل واحد منهم  
 حربة طويلة ويقترّبون من الفيل أو بقر الوحش ثم ينفرد واحد منهم دون  
 رفاقه فيقطع ما يريدون صيده في افتراسه ويتجه نحو مطارده فيثب عليه الباقر  
 ويطعنونه بحراهم في دبره قبل ان يتمكن من افتراس رفيقهم لان الطعن  
 لا يؤثر في بقية جسمه لئلا يجلده وصلابته. أما صيد بقية الوحوش فانه دون  
 هذا في العناء وللملك نصيب من كل ما يصطاده الافراد فاذا كان من نوع الفيل  
 فله العاج وأطياب اللحم أما الغزلان فانهم يقدمون له أحسن نصيب من لحمها  
 ومهارتهم في صيد دواب الماء تكاد تفوق تفننهم في صيد وحوش الفلاة  
 وذلك انه يوجد في بلادهم فرس البحر بكثرة والتساح والاسماك الكبيرة التي  
 يزيد طولها عن مترين ولهم زوارق صغيرة مصنوعة من الخشب ومن  
 العجب انهم يربطونها بالخيوط فقط اذ لا مسامير من الحديد عندهم والزوارق  
 المذكورة محكمة الصنع متساوية الاطراف يركبونها ويحملون بأيديهم  
 مزاريق صغيرة رؤسها كالصنارة يقذفون بها الاسماك في عمق الماء فلا تعود  
 بغير مصيد وينسدر أن يخطي المزارق وصيد التساح يقرب من هذه  
 الطريقة. أما طريقة صيد فرس البحر فهي انهم يربطون جبلا متينا في أسفل  
 حربة رأسها كالصنارة وفي آخر الحبل حزمة من نوع خشب اسمه ( العمبيج )  
 يشبهه ( الفلين ) في خفته وطفوه على وجه الماء ويتربصون على ضفاف النهر  
 بعد غروب الشمس حتي تخرج فرس البحر لتأكل الحشائش التي تثبت على  
 الضفة فيرمونها بالحربة في دبرها فتولى عنهم وتعود الى اليم وقد  
 غاصت الحربة في دبرها والحبل والعمبيج خلفها وبعد أيام قلائل يتعفن الجرح  
 فيجتمع الصيادون في زوارقهم الصغيرة ويمسكون الحبل ويطاردون الفرس

التي تظهر على وجه الماء بعد جذب الجبل فيرشتونها بالسهام حتى يقضى عليها  
فيقتسمون لحمها بعد اخراج اطاييسه للملك ويجففون جلدها الذي يصنع منه  
السياط المرووفة في مصر

وهم يسكنون الضفة الغربية للنهر ويسكن الضفة الشرقية أمة اسمها  
( الدينكة ) لا تختلف في شيء من العادات عن الشلك الا انهم لم يحرزوا  
صفات الشجاعة التي للشلك ولا يعرفون صيد البر والبحر مثل الشلك  
ولا ملك عندهم بل لكل قرية رئيس مطلق ولذلك يضطهدهم الشلك  
وينيرون عليهم وينهبون ماشيتهم حتي ان الواحد من الشلك يطارد عشرة من  
الدينكة الذين لهم صنم من خشب كصنم الشلك يسمونه ( دينديت ) وعدد  
نفوس الدينكة يبلغ أضعاف الشلك وبسبب فرقة الدينكة صاروا عرضة لغازة  
جيرانهم الشلك الذين هم مع ما هم فيه من القوة والعزة تراهم ذلاء امام جيران  
لهم في الجنوب وهم أمة اسمها ( نوير ) حيث يوالون الغازة على الشلك وينهبون  
ماشيتهم مع ان عدد نفوس الشلك يبلغ أربعة أضعاف عدد نوير والحاصل  
ان نوير آفة الشلك كما ان الشلك آفة الدينكة

وعوائد نوير و اخلاقهم مشابهة لعوائد الشلك الا انهم اكثر ثباتا من الشلك  
واجرا وقاماتهم أطول منهم

وأرض الشلك والدينكة ونوير خصبة التربة وريها بالامطار التي تهطل غزيرة  
جدا عندهم غير انهم كسالي لا يحرثون من الارض الا شيئا قليلا يقوم  
بضرورياتهم

وحاصلاتهم الذرة الرفيعة والسسم والدخان الذي يستعمله رجالهم ونساؤهم  
صغارهم وكبارهم ويمتاز الدينكة عن الشلك بزيادة الحاصلات وكثرة الحرثة

ولما دخلت السودان تحت حوزة مصر لم يلتفت الحكام والولاة الى تنظيم حكومة للجهات الجنوبية على النيل الابيض التي منها فشودة بل كان الشلك وغيرهم من سكان البلاد عرضة لغارة عصابات النخاسين الذين يجلبونهم ارقاء وينهبون اصلاهم وماشيهم

وفي سنة ١٢٨١ اعنتى المرحوم موسى باشا حمدي حاكم دار السودان بامر الجهات الجنوبية ونظم حكومة لها فكانت فشودة أول مديرية أسسها وولى عليها القائم مقام حلمي بك الذي طرد النخاسين عنها ولكن الشلك قابله بالجفاء ونفروا منه وشهروا عليه الحرب حتى اضطر الى ان يتحصن منهم في نقطة فشودة الواقعة في وسط الاقليم واختارها عاصمة لمديريته وبعد ذلك هادنوه فقدم لحم كثيراً من الهدايا والملابس التي كان يفرغ جهده في اقناعهم بضرورة لبسها فلم يفلح بل كان كبراؤهم يلبسون بعضها عند قدومهم الى مركز الحكومة فاذا عادوا الى قراهم خلعوها وبقوا عراة كما كانوا

ولما ولي المرحوم جعفر مظهر باشا حكمه دارية السودان اهتم بشأن مديرية فشودة وبذات الحكومة الجهد في استئلافهم حتي صاروا يأدون لها بعض ضرائب لا تقوم بعشر معشار نفقات الحامية والادارة

ولدى تولية الطيب الذكر غردون باشا على جهات النيل الابيض أنشأ في فشودة عدة مراكز وشاد معاقل في الجهات الشمالية والجنوبية وكان اذ ذلك ملك الشلك من عائلة اسمها (كيكون) فلخذ ذلك الملك في أسباب التمدن وصار يلبس الثياب ويأكل على الموائد . وقد اهدى له غردون باشا عدة هدايا ومنحه لقب (بك) فزاد اخلاصاً للحكومة الا ان قومه امتنعوا منه وذموا مخالفته لموائدهم وتشبهه بالترك واضمروا له الشر فثاروا على الحكومة عدة



ثورات قتل في احداها يوسف بك حسن المشهور بكرده مدير فشوده  
وتقدمت تلك المديرية في مدته تقدما عظيما. ولما ظهر المهدي على جند الحكومة  
في جزيرة (آبا) ولحق بجبال (قدير) وحمل عليه راشد ايمن بك مدير فشوده  
وكان من امره ما تقدم لنا ايراده في مكانه كان (كيكون بك) ملك الشلك معه  
وقتل مع من قتل فقام أحد رؤساء الشلك وأخذ معه وفداً شخص  
به الي المهدي في جبال قدير فكتب له المهدي بالامارة على الشلك وسماه  
(عمر) واعطاه أبواقا من التي غنمها من الحكومة فعاد الى الشلك وأخبرهم  
بان المهدي اله وانه أخو معبودهم (النيكامه) وانه ولاء ملاكا عليهم فاتبعوه  
لانهم كانوا يبرفرن المهدي مذكان شيخا في جزيرة (آبا) فجمع عمر قومه  
وشرع في مناوأة الحكومة وامتنع عن تأدية الضرائب وتوطد نفوذه بينهم  
وحافظ على عواندهم التي تقموا على كيكون بك ملاكهم السابق من أجل نبذها  
ولما فك المهدي بحملة الجنرال هيكس وقررت الحكومة جلاء  
حاميتها عن فشوده لتعزيز حامية الخرطوم خلا الجو لعمر ملك الشلك واستقل  
بالتصرف في البلاد كلها

ولما توفي المهدي أعلن عمر أن المهدي استخلفه على العميد واستخلف  
الحامية على العرب وهم يسمون العرب (بون) بتعطيش النون واستمر  
في بلاده مستبداً بالحكم فيها حتى دخلت سنة ١٣٠٦ هجرية وفشا القحط في  
السودان ونسل الناس من جميع الفجاج الي فشوده لجلب الغلة فارسل التعايشي  
باخرتين تقلان الف مقاتل انتلوا فشوده وكتب الي الملك عمر يأمره بتأدية  
عشر محصولات بلاده منذ عودته من جيل قدير أي نحو ثمانى سنوات  
وأرسل له هدية من الجوارى الحسان والسكر وبعض الابس فسالهم عن ثمة

السكر فاذا قوه طعمه فقال انه لذيت ثم قال ان الجوارى اللاتي أهداهن الى الخليفة ينعني من قبولن أنهن متعذرات يلبسن الثياب وكان يمكنني قبولن لو كنت أجد لهن في بلادى ثياباً مثل التي يلبسها وأخشى ان يصبن بضرد اذا ألزمتن بان يظللن عاريات مثل نسائي وأما الملابس فلا أستحسن أخذها حيث اني لم أعود لبسها والاولى ان اردھا الى الخليفة ليهديھا الى من يلبسھا وأما السكر فان في بلادى عسل النحل بكثرة ويمكنني أن استعيض به عنه واني وان وجدته لذيداً واشتيت نفسى تناوله ولكنني أمتنعها عنه لانه غير موجود في بلادى اذ أخشى أن تتعلق نفسى به في وقت لا أجد فيه

واما الاعشار التي يطلب الخليفة منى تاديتها له فلا أدفعها اذ لست خاضعاً له لاني مولى من قبل المهدي الذي هو مثل (النيكامه) والخليفة ملك العرب وأنا ملك الشلك وأنا مثله فلا تلزمني طاعته ولا تلزمه طاعتي غير اني أدفع له اثني اردب من الغلال على سبيل الهدية ومكافأة له على هديته التي رفضت قبولها لعدم صلاحيتها لي

وكتب الملك عمر كتاباً الى التمايشي ضمنه هذا المعنى وأنفذه مع رسولين من قبله فقدموا على التمايشي بام درمان فعجب من وجود من يحسن الكتابة عند الشلك وأخيراً علم أن الكاتب غلام ابوه مصري وأمه من الشلك وكان مع والده في الخرطوم حتي قتل يوم سـقوطها فقر مع امه ولحق ببلاد الشلك اخواله وأمه قريبة احد رؤساء الشلك الكبار فجعله الملك كاتباً له

وحدث في بعض الايام ان أحد الدراويش أراد نهب جدي من ماشية لرجل من الشلك فلم تكمد تصل يد المتعدي الى لمس الجدي حتى

طعمه صاحبه بحربة جندلته في الحال وثار الشلك كلهم ورفعوا رايات الحرب التي من عادتهم رفعها بالليل بكيفية يفهم منها اخذ الالهة للحرب وهي ان ياخذوا قنائة يدهنونها بالزيت ويشعلون النار فيها فيراها أهل القرية القريبة منها فيرفعون مثلها لأهل القرية التي تليها وهكذا حتى يعلم أهل البلاد كلها بالحرب في ليلة واحدة ويحتشدوا في أسرع ما يمكن ويرسلوا وفودهم لتلقى الأمر بالحرب

وبعد عناء شديد وأخذ ورد بين قائد الدراويش وملك الشلك ثاب التأثرون إلى السكنينة وعاد الأمن إلى مجراه

وكان مع الدراويش شلكي من رؤساء القري التي في الشمال ولكنه بالنسبة لقربه من بلاد العرب تشبه بهم وصار يلبس الثياب فأخذه قائد الدراويش معه بصفة دليل واسمه (ايك) بن (غري) وهو من أقارب عائلة (كيكون) التي منها الملك كيكون بك. وحدثني أحد الحاضرين ان الملك عمر أرسل خمسين مقاتلا ومعهم عشرة من الشيوخ والكجور إلى منزل (ايك) وكان بجوار معسكر الدراويش فجلس العشرة معه ووقف الخمسون على بعد واخذوا يوبخونه على مخالفته عوائد الشلك وتشبهه بالعرب وانه جاء مع العرب بصفة دليل وعدوا ذلك خيانة للملك يعاقب عليها ثم وثبوا عليه وضربوا عنقه وحملوا راسه إلى الملك فلم يجسر أحد من الدراويش على مقاومتهم أو الذب عنه واخيراً استاء التعايشي من عصيان الشلك وخطرت عليه ملكهم فجوز إليهم في سنة ١٣٠٨ الزاكي طمل أمير جيش القلايات في نحو عشرين ألف مقاتل جلهم فرسان ومسلحون بأسلحة رامنجتون فسار الزاكي من القضايف ثم اجتاز النيل واخترق الجزيرة حتى وصل إلى أطراف فشوده

وهناك وجد البواخر التي انفذها له التمايشي وحشد الملك عمر جيشه  
للذود عن بلاده فهاجمهم الدراويش هجوما عنيفا وقتل الملك عمرو حلت  
رأسه الى التمايشي

ومكث الزاكي نحو ثلاث سنوات في فشوده يعمل في الشلك السيف  
والنار غربت القرى التي على ضفة النهر وسالت الدماء كالانهر وصادر  
ماشيتهم وارسلها الى الخليفة فكان يختار منها ما هو صالح للنتاج ويؤلف  
منه قطعانا ينتفع بتاجها ويبيع الباقي بواسطة بيت المال هذا عدا الارقاء الذين  
جلبهم منهم حتى هبط ثمن الجارية الى بضع ريات وثن الرأس من البقر الى  
ريالين وبالجملة ان الزاكي طمل خرب بلاد الشلك كلها ودمرها وجلب منها  
اهلها ارقاء اختار التمايشي نحو خمسة آلاف من غلمانهم جعلهم من ضمن  
الجهادية حراسا له وسيأتي ذكر بقية أخبار الزاكي وقته

### ذكر بقية اخبار عثمان دقنه

قلنا في ما تقدم ان التمايشي استدعى عثمان دقنه الى ام درمان وعزز  
قوته بعشرة آلاف مقاتل مع أبي قرجة على أثر ما علمه من انحراف القبائل  
في السودان الشرقي ونفورهم عنه

ولما غادر عثمان دقنه طوكر اغارت عليها القبائل الخارجة عليه بمساعدة  
بعض جنود الحكومة ثم عادت عنها بغير جدوى اذ لامقاتلة فيها ولا جنود  
تدفع غارتهم عنها

وفي منتصف سنة ١٣٠٤ وصل عثمان دقنه الى سواكن معززا بقوة أبي قرجه  
الذي ولاه التمايشي على السودان الشرقي بدله اتقاء لثورة الاهلين ونفورهم

عن عثمان دقنه الذي شق عليه العزل ومكث في كسلة هو وابو قرجة الذي سار في الناس سيرة حسنة فثاب اكثر الثائرين على عثمان دقنه الى الطاعة وأمن أبو قرجة السبل واعاد الصلات التجارية بين مصوع وكسلة واخذ في مخبرة القبائل التي حوالي طوكر وسواكن بلهجة سلمية وقصد بذلك ارجاعها الى الطاعة فلم تفلح مخبراته لان أنصار عثمان دقنه كانوا يذيعون في الناس أن ولاية ابي قرجة اسم بلا مسمي وأن الغرض منها تسكين الثوار حتى يعودوا الى الطاعة فانما عادوا صاروا تحت سلطة عثمان دقنه الذي هو الأمر الناهي لابي قرجة في باطن الامر ففشلت مساعي ابي قرجة وذهبت ادراج الرياح على اثر اذاعة انصار عثمان دقنه هذه الاقوال التي لا تخلو عن الصحة

وأنفذ أبو قرجة حملات متتابعة الى بعض القبائل التي تسكن في المنطقة القريبة من حدود الاحباش حوالي جبلي (البيكوت والمناع) وأكثرها القبائل مجوس لادين لهم وهم من قبائل الزنوج القديمة واشهرها قبيلتا (الباريه والباذه) وقوام معيشة هذه القبائل لحوم الماشية والصيد والابلان ويندر بينهم من يعرف الخبز وهم مثل سائر اهالي شرق السودان من حيث العادات حيث لا يعرفون اكل الخبز والخضراوات التي يعتبرونها غذاء الانعام يترفع عن اكلها الآدميون ويسكن معظم تلك القبائل فوق قمم الجبال الشاهقة وفي سفوحها وكوفها التي تحذونها معاقل اذا دهمهم عدو وهي متسعة يأوون اليها بماشيتهم التي هي الغنم والابل والبقر ورجال الباريه والباذه فرسان لا يشق لهم غبار ولا يصطلى لهم بنار يقطعون السبل ويعترضون القوافل للساب والنهب

ولهم عادات ومراسم تقرب مما نسمعه عن طوائف اليزيدية والدروز  
هذا وقد اتخن أبو قرجة في هذه القبائل وأغار عليها إغارات كثيرة  
ونهب شيئاً لا يحصى من ماشيتها

وبعد سنة زحف الى طوكروا حتل ( هندوب ) وهي موقع يبعد من  
سواكن ببضعة أميال وأغار على القبائل التي خلمت الطاعة فظفر ببعضها وفر  
اكثرها ولجأ الى الجبال واعتصم بالكهوف

وحصلت جملة مناوشات بين عثمان دقنة والاعراب الموالية للحكومة وبينه  
وبين الحكومة من جهة أخرى وقد جرح كتشنر باشا جرحاً خفيفاً في إحدى  
المناوشات وكان وقتئذ قرمندان حامية سواكن وكانت الحامية في غصون هذه  
المناوشات مشغولة ببناء الحصون وتشييد الاسوار على سواكن  
ثم حصلت بعد ذلك واقعة بين عثمان دقنة وحامية سواكن قتل فيها  
ضابط انكليزي اسمه السكاكين تاب

وفي شهر رجب سنة ١٣٠٥ شفى كتشنر باشا وعاد الى سواكن وفيه  
هاجم عثمان دقنه ومقتل ( ردوت والجزه ) وأمد أبو قرجة عثمان دقنة  
بسبعة آلاف مقاتل وتعززت قوة الدراويش في هندوب ولكن خرق  
الحلاف التسع بين عثمان دقنه وأبي قرجه فهذا يرى ان لا فائدة في مناوشة  
سواكن والمرابطة في هندوب وذلك يخالفه ويتمه بالجن وعدم الاقدام بل  
بالحياة والميل لجانب الحكومة واذاع عثمان دقنة ان أبا قرجة كان يجتمع  
مع قواد الحكومة ليلا فاستدعى التعايشي أبا قرجة على أثر ما علمه من عثمان  
دقنه الذي أعيد للإمارة وخلال الجوف في السودان الشرق  
وفي شهر ذي الحجة من سنة ١٣٠٥ اشتدت مضايقة عثمان دقنه لسواكن حتى

اقتربت متاريسه من الاسوار وصارت على بعد خمسمائة ( برده ) فقط  
وعين عثمان دقنه رجلاً دنقلياً اسمه عثمان النائب، قائداً للمقاتلة الذين  
في المتاريس الامامية ووالوا اطلاق النيران على سواكن حتى خيف سقوطها  
في أيديهم ولم تدركها حماية السفن الانكليزية في البحر وأحرق حصن شانه  
الذي كان من الشوك وضويقت سواكن وافتقرت حاميتها الى النجدة وكانت  
الحكومة ترى وقتئذ اجلاء الحماية وترك المدينة لل دراويش وبعد مداولات  
قررت حفظها

ثم دخلت سنة ١٣٠٦ وسواكن في حالة ضيق شديد وطم العدو اكثر  
الآبار التي تستقي الحماية منها اذ كانت خارج الاسوار  
وفي أوائل شهر صفر من السنة المذكورة وضع عثمان دقنه المدافع على  
حصونه وصار يطلقها على حصون الحكومة فاندحش القواد من انتظام  
مقدوفاتها واصابتها المرمي

وفي ربيع الثاني من السنة المذكورة وصل الى سواكن الجنرال غرانفيل  
باشا سردار الجيش المصري وقتئذ فارسل اليه عثمان دقنه كتابا يخبره فيه بان  
أمين باشا حاكم اقاليم خط الاستواء والمستر ستانلي السائح الانكليزي المبعوث  
لانتفاذ حامية خط الاستواء قد وقعا في أسر المهدوية وكان مقصده من ذلك  
الارهاب والتضليل

وبعد أيام قلائل هاجم الجنرال غرانفيل معاقل عثمان دقنة بعدة طوابير  
من الجيش المصري فدمرها وقتل من فيها من المدافعين وكانوا لا يزيدون  
عن سبعمائة مقاتل ولكنهم ابلاوا بلاء حسناً ودافعوا عن موقعهم دفاع الابطال  
وكانت هذه الواقعة في أواخر شهر ربيع الثاني عام ١٣٠٦ هجرية

وعقب واقعة المتاريس تقهر عثمان دقنة الى طوكر وعسكر بها وكانت  
 المجاعة وقتئذ ضاربة اطنابها في انحاء السودان كله خلا طوكر فان الاقوات كانت  
 تجلب اليها من سواكن ومكث عثمان دقنة في طوكر بقية سنة ١٣٠٦ يوالي  
 الفسار على الاعراب الذين انحازوا الى الحكومة وشقوا عصا الطاعة  
 عليه لاشتداد وطأته عليهم حيث زاد المكوس زيادة فاحشة وصار  
 يقتل منهم في كل يوم عشرات فكانوا يهرعون الى الخليفة مستظلمين منه فلا  
 يجدون لديه مايشفي غليلهم وكثيراً ماأمسك المتظلمين وجلدهم بالسياط  
 حتى أنه جلد واحداً منهم ألفاً وخمسمائة جلدة بسياط قد وضعت فيها حلقات  
 من الاسلاك الحديدية حتى مات

ولما علم الاهلون ان لانصاف من عثمان دقنة ولا راحة من مظالمه  
 قبلوا للمهدوية ظهر المجن ووالوا الحكومة وحالفوها على حربه فوزعت  
 عليهم الاسلحة النارية ومن ثم اشتغل عثمان دقنة بالفارة عليهم وكان في اكثرها  
 يرجع مدحوراً متكبداً خسائر جمة

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ استقدمه التعايشي الى ام درمان عن طريق بربر  
 ثم اذن له في العودة عن طريق القضارف فكسلة فطوكر واعطاه أمراً الى  
 جميع الامراء ان لايعترضوا من رغب من الناس في مصاحبته  
 ولما وصل القضارف تبعه أناس كثيرون من أهلها فارين من المجاعة  
 التي أناخت عليهم بكأكبا ومنهم كثير من اسري المصريين الذين كانوا في كسلة  
 ثم لما وصل الى كسلة تبعه كثير من المصريين أيضا ولحقوا بطوكر فرارا من  
 المجاعة أيضا كمن تقدمهم

ووصل عثمان دقنة الى طوكر وجعل همه الفسار على الاعراب



الموالين للحكومة وسنعود الى ذكر بقية أخباره وهزيمته في طوكر

ذكر هزيمة الدراويش من هندوب واخباراً مارأر  
أمارأر اسم لقبيلة في ارباض سواكن وهى قبيلة رحالة ماشيتها من الابل  
والغنم ولغتها أعجمية مثل سائر سكان السودان الشرقى وكانت هاته القبيلة  
أول من خلع طاعة الحكومة وظاهر عثمان دقنة عليها وزعيمها أحمد بن محمود  
كان اكبر انصار المهديّة في أوائل الدعوة اليها ولم يكن لذلك من سبب سوى  
انه كان من مريدى الشيخ الطاهر المجذوب استاذ عثمان دقنة

ثم مالبث طويلاً حتى مج عثمان دقنة وبفضه بسبب ما رفق به (أمارأر)  
قبيلته من المظالم والمغارم واشتد الحصاص بينهما فتحفز عثمان دقنة للوثبة على  
على احمد محمود شيخ أمارأر والبطش به فقر ولجأ الى حكومة سواكن ثم فر منها  
ولحق بالتعايشى بام درمان وقدم مالا طائلاً الى يعقوب اخي التعايشى وسأله  
ان يكون وسيطاً له عند اخيه ليكتب له بالامارة على قومه على أن لا تلزمه  
طاعة عثمان دقنة فأجاب التعايشى طلبه وكتب له بالامارة على قومه وان  
يجعل معسكره في هندوب وفوض اليه أخذ العشور من التجار الذين  
يخرجون ببضائعهم من سواكن فغادر أحمد محمود أم درمان آياً الى سواكن  
في أواخر سنة ١٣٠٧ فتوفي في أحد المناهل التي بين بربر وسواكن وكتب  
التعايشى الى أحد اخوته بان ينوب عنه في عمله

وفي أوائل شهر رجب سنة ١٣٠٨ ارسل أحد جواسيس التعايشى في أصوان  
عدداً من اخدى الجرائد المصرية فيه أن عدة طواير من الجيش المصري  
ستبحر من السويس الى سواكن لتأليف قوة حربية تهاجم معسكر الدراويش

في هندوب ثم تعود تلك القوة الى سواكن حيث تجر منها الى ثغر (تريكتيات) ومنه الى طوكر برا

وبعد ليلتين مضتا على وصول هذا النبا - باء الى التعايشي خبر من هندوب ان ثلاثة طوابير زحفت من سواكن على هندوب فباغت الدراويش عند شروق الشمس وكان شيخ (أمارار) ومن معه من قومه كانوا على علم بهذه المباغثة فامتطوا دوابهم ولم يسبوا اقل مقاومة وولوا مدبرين من وجه الحامية المصرية التي كانت سائرة الى المعسكر بسكينة وانتظام كأنها داخلة الى احدي ثكناتها العسكرية ونجا رجال (أمارار) ووقع في أسر الحكومة بعض اعراب من الذين يجهلون مابين الحكومة وشيخ أمارار الذي قيل ان اخوه احمد محمود كان بايعاز من حكومة سواكن وان ما قدمه ليعقوب ابي التعايشي من المال كان من مصروفاتها السرية

ويدل على ذلك انهم بعد هزيمتهم من هندوب عادوا الى سواكن من طريق آخر فقبولوا بالاكرام واجريت عليهم المرتبات وبلغني أن موت أحمد محمود لم يكن الامن سم دسه له التعايشي في الدسم

والحاصل ان قبائل السودان الشرق التي كانت موالية لعثمان دقنة على الحكومة رجعت بالعداء عليه وصارت مع الحكومة عليه

### ذكر هزيمة عثمان دقنة من طوكر

ان من يتأمل في الحالة الاولى التي كان عليها عثمان دقنة في اوائل دعوته للمهدوية وما كان يصادفه في خطواته كلها من النجاح والظفر ثم ما آل اليه امره من الفشل والهزيمة يرى انه قضى على نفوذه بنفس السلاح الذي كان

يضرب به هام رجال الحكومة

وذلك انك ترى فيما كتبناه عنه في ما تقدم من هذا الكتاب أنه أحرز شهرة تكاد تضارع شهرة المهدي نفسه لأنه قام بدعوة قبائل السودان الشرقي بالصفة التي تقدم ابرادها وكان في بداية أمره يتدرب بنفوذ استاذ الطاهر المجذوب ولكنه مع هذا النفوذ أظهر سياسة تكفلت بالتفاف القبائل حوله واستيلائه على قلوبهم حتى بلغ من أمره انه لو قال لهم خوضوا البحر الأحمر حتي تبلغوا الهند للبوا الى ذلك مسرعين

وتوجد مشابة بين المهدي وعثمان دقة وذلك أن المهدي عرف كيف يتمكن من التأثير على أهالي السودان بما يفتره من الدعاوي الطويلة العريضة وهي مهارة لا يتردد أحد في ان متوخيها عرف ان لاسبيل للتأثير على الامم الا من الجهة التي تميل اليها

وكان عثمان دقنة يتأثر المهدي الذي كان ذا طلاقة في اللسان وتصرف في البيان يقدر معه على التعبير عما يكنه فؤاده بجمل عامية يفهمها الجهلاء ويمثلون بخمرة بلاغتها من حيث تأديتها المعنى المقصود بالفاظ عامية توافق أذواق السامعين سيما أهالي السودان الشرقي الذين لا يتكلمون باللغة العربية بل لغتهم أعجمية همجية وكان من الحال ان يبلغ المهدي غايته من التأثير عليهم فقام فيهم عثمان مقام المهدي وعرف طريقة استمالتهم بما أوتيته من البراعة في لغتهم حتى انه كان اذا قام فيهم واعظا أو خطيباً يؤثر عليهم تأثيراً يجعلهم له أطوع من بنانه

وكان يقرأ عليهم آيات القرآن الشريف ويتقها بتفسير معانيها . على ان أهالي السودان الشرقي كانوا لا يعرفون من الاسلام الا اسمه وكانوا في

حالة بدواة تكاد تكون قريبة من حالة الشلوك التي تقدم لنا وصفها  
فاجتذب عثمان بمذوبة الفاظه وبلاغة كلامه أفئدتهم للإسلام حتى تمكن  
الايمن من قلوبهم وحكى لنا اكثر من واحد أنه جمع ذات ليلة نساء  
(الهدندوه) ووعظهن حاثا لهن على الصدقة وانفاق المال في سبيل الله فإنا  
منهن واحدة الا ونزعت ما عليها من حلل ومصاغ وألقته بين يديه فاجتمع  
من هذه الصدقات مقدار وافر من الذهب والفضة وبلغ من حماس أولئك النسوة  
انهن كن يرافقن أزواجهن في الغزوات يحملن الماء والزاد لهذه المقاتلين  
ويجهزن على المبروحين بما يحملنه في أيديهن من السلاح حتى صرن يمثلن  
باشلاء القتلى تمثيلا شنيعا وقد تقدم لنا ذكر ذلك

والحاصل ان عثمان دقنة نال حظوة في السودان الشرقى كانت كافلة له  
أن يسبق بموت المهدي في مركزه ولو كره ذلك التعايشي الذي كان  
يمجز عن مناوآته ولكنه ما لبث أن انفض الناس من حوله وجأهروه  
بالعداوة ولا ضر وفان الظلم مرتته وخيم

هذا وقد أمد التعايشي عثمان دقنه بالجيوش الجرارة بقصد ارغام الاهالي  
على الطاعة فلم تقرن أعماله بالنجاح ولو فرض أنه نجح في اخضاع الناس فلا  
يكون خضوعهم الا مداراة حيث كانت القلوب منصرفة عنه كما بات التعايشي  
في أخريات أيامه تداريه الالسة والقلوب تتربص به الدوائر لتتخلص  
من وطأة ظلمه الذي أرهقهم به

وأصبح عثمان دقنه اثر ذلك فريدا لا أنصار له من أهالي البلاد وكان جنده  
عبارة عن المقاتلة التي أمدته التعايشي بهم وجلبهم من متائلة أبي قرجة الذين  
به نسوه ونفروا عنه لما كان بينه وبين قائد هم أبي قرجة من المنافسة التي تقدم لنا

الاماع اليها وفر أذره هؤلاء المقاتلة ولحقوا بديارهم في الخرطوم لانه كان لا يطمئهم ما يقوم بحوائجهم الضرورية

ويظن كثير من الناس ان عثمان دقنه قد ندم في أخريات أيامه على ما فرط منه من متابعة المهدي لما شاهده من أعمال التعاشي التي تخالف أعمال المهدي على خط مستقيم ولكنه كان لا يأمن جانب الحكومة بعد ان أتى ما أتاه معها

ولقد حكى لي أحد القواد الذين كانوا معه انه سامر له في خلوة وقال له ان الحكومة تدعوني الى الطاعة وتعدني بكل خير ان أنا خضعت لها فماذا تظنها تفعل بي اذا أسلمت نفسي لها فقال القائد وقد ظنه يختبر ما يضره لا تأمن جانب السكفار فاني أرى انهم اذا تمكنوا منك سجنوك وجعلوا غذاءك الغلة تمضغها كما تمضغ الخيل العلوقة وربما فتموا عينيك وتركوك في قعر السجن فاربد وجه عثمان وقال له ما قلت الا حقاً

وحكي آخر ما يفهم منه ان عثمان دقنه أدرك خشونة مركبه وانه صار بلا سند في السودان الشرقي ولذا أصبح في حاجة للاستمرار على ولاء التعاشي الذي كان يبنضه في السر وينسب الى سوء ادارته ومظالمه خراب السودان وأنه قال يوماً لبعض خاصته ما يأتي

أحلف بكتاب الله هذا (ووضع يده على المصحف الشريف) اني لا أخاف الا من ثلاثة فقال جليسه ومن هؤلاء الثلاثة فقال هم الخالق عز وجل والمجنوب بن استاذي الشيخ الطاهر والخليفة التعاشي فقال له لم أفهم قصدك وأرجو أن تفصح لي عن مرادك فأجابه عثمان اني أخشى الله تعالى لانه قادر على خذلاني في الدنيا وعذابي في الآخرة وأما خوفي من المجنوب فلانه رجل

قليل الأدب يضيق صدرى من وقاحته وأخشى أن تفرط منى كلمة تغير  
خاطره ولو تغيراً خفيفاً فاكون قد أسأت والده أستاذى الشيخ الطاهر  
الذى أجله وأحبه أكثر من حبي لنفسى وأفديه بأبويّ وانه كما علمت أهدي  
الى الامارة وبوائى منصبها وانى أطلب من الله أن أخرج من الدنيا  
وتسكون حياتى ومالى فداء لشرارك نعل اى أحد من عترة أستاذى الشيخ  
الطاهر رحمة الله عليه. وأما خوفى من الخليفة التعايشى (وعندئذ تنهد عثمان  
وخنقته العبرة وقال يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى) فانى أخاف ان أنا  
خالفته ان يقبض عليّ وينفىنى الى خط الاستواء (ثم سكت طويلاً) فقال  
واقسم لك على كتاب الله اننى لأهlab الموت ولست جباناً وليكتفى أتقى  
شهامة الاعداء

ومن هذا الحديث يفهم القاريء ماوصلت اليه حالة عثمان دقنه من  
الارتباك فى أيامه الاخيرة

ولما دخلت سنة ١٣٠٨ منعت الحكومة خروج الاقوات من سواكن  
فتصاعدت الاسعار ثم عز وجود المؤنة فى معسكر طوكر ففر من المعسكر  
كل من قدر على الفرار من المقاتلة وتجهز عثمان فيمن بقى معه منهم للغزوي  
يحصلوا من النهب مايقوم بحاجتهم من القوت فاوغل فى وسط الجبال ونازل  
الاعراب الموالين للحكومة ففاجأه نبأ احتلال الجنود المصرية هندوب فاسرع  
الابوة الى طوكر فبلغها قبل ان تهاجمها الجنود ببضع ليل

وفى أواخر شهر رجب سنة ١٣٠٨ هاجم هولدميث باشا طوكر  
ببضعة طواير من الجيش المصرى فخرج عثمان دقنه للقائه فى بضعة آلاف  
مقاتل وانتشبت الحرب بين الفريقين وحاول الدراويش اقتحام المربع

فصدتهم المقذوفات ووارى منهزمين لابلون على شىء وكان عثمان واقفاً وراء مقاتلتهم بعيداً عنهم بمسافة ألفي متر وبعد الهزيمة اسلموا ماخف من امتعتهم ونساءهم وقصدوا كسلة وتخلّف عن مرافقتهم عدد كبير من المصريين ولم تتقدم القوة الى طوكر وخاف المصريون ان يكر عليهم عثمان في الليل فحملوا الاسلحة واستمدوا لدفعه عنهم حتى تبلغ الصباح وسار أحد أسرى المصريين الى معسكر الجنود المصرية واخبر القائد بفرار عثمان دقنه وتخلّف المصريين عن مرافقته وانه ودراويشه حملوا متاعهم ونساءهم وغادروا طوكر قاصدين كسلة منذ صباح أمس ولم يبق في طوكر غير المصريين الذين كانوا مأسورين فتقدمت الحامية واحتلت طوكر ومن العجب ان الجنود مدوا ايديهم وسلموا ممتلكات المصريين وعاثوا في أعراضهم فلا حول ولا قوة الا بالله .

### شان عثمان دقنة بعد ذلك

لما انهزم عثمان دقنة من طوكر سار فيمن بقي معه من المقاتلة خائفين مذعورين يتبعون عن الفجاء التي تقرب من العمران ويخفون في الغابات خشية أن تشربهم قبائل الاعراب النازلة بين تلك الغابات والجبال وجعلوا وجهة سيرهم كسلة فهلكت دوابهم ومات اكثر الضمءاء من الاطفال والنساء ونفذت اقواتهم حتى صاروا يقتاتون بورق الشجر وكان سيرهم بطيئاً لما هم فيه من الجوع وفقدان الدواب والخوف من الاعداء ولما وصلت أنباء هزيمتهم الى التماشي اظهر غضبه على عثمان دقنة ونسب اليه سوء التصرف في الامور وان أنصاره ما انفضوا من حوله وتركوه

وحيدا لا بسبب فظاظته وسوء سيره

وكان عثمان دقنة مدركا لما أصدق به من الخطر بسبب غضب التمايشي الذي لا يظنره غير الرشا التي تدفع لآخيه يعقوب ويحسن أن أورد هنا قصة تحققت ثقة راويها وهي أن عثمان دقنة كان قد خبأ قدرا عظيما من المال في أحد الجبال القريبة من كسلة فخرج في سيره الى كسلة على ذلك الجبل وأخذ نحو مائتي ألف ريال وزرع منها خمسين الفا على من كان معه من الاعوان وحمل الباقي معه الى أم درمان حيث بلغها في أواخر شهر ذي القعدة فدفع منه مائة ألف ريال ليعقوب أخى التمايشي الذي توسط له عند أخيه فصنح عنه. وفي أواخر شهر ذي الحجة أمر التمايشي عثمان دقنة أن يذهب الى جهة ( دارامه ) على نهر ابره بين بربر وكسلة وان يجتهد هو وجنوده في زراعة الذرة ليحصلوا على قوتهم منها ودفع لهم نحو مائة رأس من البقر والغنم ليقتاتوا من نتائجها ففساد عثمان دقنة أم درمان وعسكر في ( دارامه ) وأخذ يغير على أطراف سواكن للسلب والنهب ولم تعد له أهمية تذكر

### حالة السودان بعد ذلك على الأجمال

ظهر لك مما تقدم كيف استبد التمايشي بالملك وكيف قدر على التغلب على من ناوأه وكيف أزهق البلاد بمظالم تنوء بحملها الجبال وقد ذكرنا ماحاق ببعض القبائل الكبيرة من الهلاك والدمار ولا يظن القاري أن القبائل الصغيرة والعشائر التي تسكن القرى قد سلمت من ضرر هذا السيل الجارف فانها نالت نصيبا من الحيف لا يقل عما نالته القبائل الكبيرة



عدا الحجة التي صمت السودان كله

ونحن لم نذكر تفاصيل ما أصاب القبائل الصغيرة والمشاير التي تسكن القرى لعلنا ان ذلك يستغرق مجلدين ضخمين لا يقل حجمهما عن حجم كتابنا هذا ولكن الذي لا يدرك كله لا يترك جله. وهانحن موردون لك نزار من تلك المظالم ليكون لك دليلا على ما أصاب السودان ونبدأ بذكر حادثة « قري وادي شعير » فنقول

هذه القرى واقعة في جنوب شرقي الخرطوم بمسيرة بضع مراحل وتبعد عن النيل الازرق بنحو عشرة أميال وأرضها خصبة تجود بمحاصيل وافرة من الذرة والقطن ذهب اليها جماعة من الدراويش لجباية الضرائب ثم دخلوا احدى القرى ومدوا أيديهم الى الماشية فذبحوا منها ما زاد على كفايتهم ثم نهبوا الاغذية من داخل البيوت فلم يعترضهم السكان ولا حركوا ساكنا لمنعهم بل تركوهم وشأنهم فعدوا بعد ذلك أيديهم الى النساء وعبثوا بهن فهبّ الاهلون حينئذ ووقفوا في وجوههم وقفة المدافع عن عرضهم الذاب عن حريمه فلم يثن الدراويش عن الاعتداء ولجوا في الطغيان وضربوا الاهلين بالاسلحة فسقط منهم قتلى وجرح منهم كثيرون ونشبت الحرب بين الفريقين وسالت الدماء واستصرخ أهالي القرى بعضهم وتألّبوا على قتال الدراويش الذين فروا أمامهم مدحورين حتي بلغوا ضفة النهر وهناك بعثوا يخبرون اتعاشي فأرسل خمسة من النواب توجهوا الى محل الواقعة وعادوا فاخبروه بما وقفوا عليه فأصدر أمره بمصادرة أموال سكان تلك القرى وأخذ نسايتهم مسبيات لانهم كفار حاربوا دراويش المهدي ولم يرضوا لكل ما أتونه من المنكرات

هنا ما وقع لاهالي (قرى وادي شعير) ولم توجد في بلاد السودان كلها قرية لم يقع لها مثل ما وقع لها من القرى وانما أوردنا جادتها مثالا يقياس عليه ما حاق ببقية القرى لضيق المقام عن استيعابه

وكان من العوائد الوفرة عند الدراويش انهم اذا سافروا من بلد الى خري لا يحملون زاداً ولا ميرة بل يذبجون ما يصادفهم في طريقهم من الماشية ويدخلون منازل السكان يأخذون ما يجدونه فيها من الاغذية يأخذون الحبوب لعلف دوابهم وينزل القواد في منازل الاكابر فيقدمون لهم الاغذية الفاخرة وليتهم يقفون عند ذلك بل لا بد من دفع الرشاهم فاذا تناولوا المال وأكلوا ماشاؤا من الاطعمة ورحلوا عن القرية أو البلد بدون أن ينتحلوا لها أسبابا يستعملون بها أخذ المال وسبى النساء عند ذلك من أكبر النعم على أهل تلك القرية وفي غالب الاحوال تكون نجاتهم هذه لاسباب منها ان لا تكون نساؤهم جميلات وأن لا تكون أمواهم الاقدر ما يقوم ببعض ضرورياتهم أما اذا كانت النساء حسانا والمال زائدا عن الضروريات فلا بد لهم من يوم يذوقون فيه المذاب الاليم

ونقل اليّ واحد من المصريين سافر مع احدى السرايا الى جهة النيل الابيض وكان الدراويش زهاء ألفي مقاتل أنهم بعد ان غادروا أم درمان بمائة ميل ذبحوا مائة وخمسين رأسا من البقر ومائتي رأس من الغنم وهكذا كان فعلهم بالماشية التي تقابلهم في الطريق أما الغلال فكانوا لا يأخذون منها غير كفايتهم وفي ذات يوم وصلوا الى أحد الاسواق وفيه أجران الفلة فنهبوا وكانت نحو ثلاثة آلاف أردب

وجلة القول ان بلاد السودان في أوائل سنة ١٣٠٨ أصبحت بسبب

المجاعة فاقدة تسمة اعشار سكانها وأصبحت البلاد قاعا صنفصفا وكأن التعاشي  
انما رضى بتلك النتيجة لانه بها أمسي آمننا على ملائكة من ثورة الاهالي عليه  
وأخذ في توزيع أقاربه البقارة واسكانهم في المقاطعات الحصية

أما بلاد كردفان فانها لم تصب بالمجاعة في الستين الماضيتين لان الامطار  
هطلت فيها غزيرة ولكن التعاشي أرسل لها نحو اثني عشر ألف فارس  
انتشروا في البلاد انتشار الجراد فالتهموا محصولاتها في أشهر قليلة وما جاء آخر  
سنة ١٣٠٧ حتى تصاعدت أسعار الاقوات ودخلت سنة ١٣٠٨ والمجاعة فاشية  
في اقليم كردفان وانحبس المطر عنها وهلك من هلك من السكان وفر باقيهم  
ولجؤا الى الجبال

ويرى الذين وقفوا على الحوادث السودانية منذ بدايتها ان المهديوية  
تلاشى أمرها منذ سنة ١٣٠٦ ولم تقم لها قائمة بعد ذلك وأنهمزمت جيوشها  
في أكثر الجهات ففي سنة ١٣٠٦ قتل ابن النجومي في حدود مصر وسيأتى  
ان الايطاليين هزموا الدراويش شر هزيمة قبل أن يحتلوا كسلة في واقعة  
( غردت ) ثم أخذت في التلاشي والهبوط

ومن الحقائق التي لامراء فيها ان الحكومة المصرية لو قصدت فتح  
السودان في سنة ١٣٠٦ أو ما بعدها لقدرت على الاستيلاء عليه بغير عناء يذكر  
بالنسبة لما صادفته في طريق فتحه فقد أرسل اليها في سنة ١٣٠٦ أكثر الامراء  
المرابطين في دنقلة يعرضون خضوعهم لها ويسألونها العفو عن جرائمهم

أما التعاشي وقومه البقارة فقد انغمسوا في الترف وتنسوا بالملاذوب ذلك  
فقدوا ما كان فيهم من صفات الشجاعة والبسادة ومع ذلك فقد كان  
لا يوجد بين الاهلين خمسة في المائة يخاضعون لهم الولاء بل كان الكل يثنون

من ثقل وطأة مظالمهم ويتأففون من سوء سيرهم ولسكن بقيت في قلوب  
الاهلين بقية من الاعتقاد بمهدوية المهدي وكانوا يلقون تبعه المظالم كلها على عاتق  
التعاشي ويسمون في الخلاص من ظلمه بمبايعة أحد الخليفين على حلو ومحمد  
شريف الا أن آمالهم في هذا الأخير كانت أوثق منها في ذلك نظراً لقربته من  
المهدي ولأن ذلك كان له بمض حظ في دولة التعاشي

ومن المضحكات ان الناس لفرط ما أصابهم من ظلم التعاشي قام الكثير  
منهم وكل يزعم أنه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يرومون  
بذلك الوصول الى سلب الملك من التعاشي اذ ظهور المسيح يعقب المهدي فكان  
لا يمر يوم الا ويظهر فيه كثير منهم عدا الذي ذكرنا خبره في (القلابات)  
ولقد قام رجل مصري من أهالي الخرطوم اسمه (خليل جامع) مدعياً  
ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأنه خليفة عثمان بن عفان عليه  
سحائب الرضوان وأمره بتوزيع مافي بيت المال من الاموال فقبض عليه  
وسيق الى التعاشي الذي كان يعرفه حيث كان متزوجاً بنت عمه فقال له  
يا خليل ما هذا الذي تدعيه فانتهره وقال له هذا أمر جاءني من الله ورسوله  
وأنت لا تجهله فقال التعاشي انه مجنون وان الجنى الذي مسه ساكن في بيت  
المال فاذهبوا به الى سجن بيت المال فمكث فيه بضع سنوات ثم أطلق سبيله  
واستمر على حالة جنونه

وكان بجوار بيت المال قبطي اسمه (محروس) يسكن مع قريبة له  
اسمها (مصطفية) وكلاهما من أهالي الخرطوم أصيب ذلك الرجل بجنحة فصعد  
على رابية عالية وخطب في الناس قائلاً انه (ماري جرجس) فدنت منه  
قريبته المذكورة وقالت له يا محروس انك بدعواك هذه تلمصق بنا تهمة أنا

لانزال نصاري فأرجوك أن تترك هذه الدعوى وتدعي غيرها كما يدعي المسلمون فانتهرها وقال لها اذهبي فقالت له انتظر الموت لان أصحاب الدعاوي الملائمة لا ذواق المسلمين يقتلون ويسجنون فكيف بمن يدعي مثل دعوائك التي تدل على انه نصراني ثم هرع أقاربه اليه وحملوه الى داره فمات بعد أيام يسيرة

والخاص ان اهل البلاد صاروا في حالة غريبة وجل الناس تغيرت عقيدتهم في المهدوية وتبدلت أميالهم نحوها بالنفور عنها ولم يعد التعايشي يثق بأحد من الاهالي غير أقاربه البقارة ولذا جمع ألوف من المبيد (الجهادية) وسلحهم بالاسلحة النارية

وقد نفي الى خيبر حادثة لأري بأسا بايرادها وان كنت لأجزم بصحتها وهي أن رجلا من التعايشة أقارب الغزالي الذي تقدم لنا ذكر قتله استأذن على التعايشي فأذن له ولمن معه وكانوا زهاء عشرين رجلا وبعد ان أخذ الحراس مامعهم من السلاح دخلوا عليه وأوجعوه ضربا (ولم يشمر بذلك غلمانا لبعدهم عن غرفة جلوسه التي لا يؤذن لهم في الدنومنها الا اذا استدعي واحدا منهم) حتى أغشي عليه ثم تركوه وانصرفوا وكانت هذه النادرة في شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٨ وفي الغد قبض على الرجل والذين كانوا معه ونفوا الى خط الاستواء واشتد مرض التعايشي حتى أرجف الناس بموته ومكث مريضا الى العشر الاولي من شهر ذي الحجة. وقد تضاربت أقوال الناس في اسباب نفى أولئك الرجال فمنهم من يرى ان السبب فيه هذه الحادثة ومنهم من يقول ان التعايشي أسر اليهم كلاما فافشوه في ليلتهم فقبض عليهم في الغد والذين رووا الحكاية الاولى يخالفونهم ويؤيدون قولهم بمرض

التعاشي والله أعلم بالحقيقة

وقد حدث في خلال السبع سنوات التي مضت على ولاية التعاشي كثير من الحوادث التي لو اوردناها لضاق بنا المقام وأخصها مصادرة أموال كثير من الاغنياء لاسباب تافهة ان لم نقل انها مختلفة يقصد بها الحصول على أموال الناس

وقد حور التعاشي اكثر الاحكام التي وضعها المهدي في الحدود منها أن المهدي لما كان في جبال قدیر أصدر منشوراً بشأن الدخان قال فيه ما يأتي « من استعمل الدخان مضغاً في النعم أو حرقاً بالنار أو وضماً في الانف يجلد سبعا وعشرين جلدة بالسياط »

ثم بعد استيلائه على كردفان أصدر منشوراً آخر جعل فيه العقوبة ثمانين جلدة وحبس سبع ليال وبمثل هذه العقوبة يعاقب شارب الخمر ولما ولي التعاشي قال للناس وهو على منبر الخطابة (من وجد في بيته ربع درهم من الدخان يجلد ثمانين جلدة ويؤخذ جميع ماله غنيمة للمسلمين) وذلك مخالف لما قاله المهدي وليست مخالفته من جهة العقوبة فقط بل ومن جهة ان المهدي اشترط ثبوت استعماله بالاوجه التي اوردناها وامتألت البلاد بالجواسيس الذين يتجمعون على المنازل لضبط الدخان مع أنهم يحملونه معهم ويدعون أنهم ضبطوه في المنزل ليتذرعوا اني مصادرة أموال أولى اليسار ولهم في ذلك حكايات يطول شرحها

ونقل لي ثقة ما رايت ايراده تفكها للقاريء وذلك ان أحد أهل العلم من أهالي الخرطوم فقد كل ما يملكه وقتل كثير من ذوى قرابته فصار في حالة تقرب من حالة الجنون . ومن نكاته المضحكة انه كان يتشام من يوم الاثنين الذي كان فيه سقوط الخرطوم فكان يمتكف في داره لا يخرج

منها منذ عصر يوم الاحد ويصبح منقطعاً عن كل عمل كما يفعل اليهود في السبت  
ومكث على ذلك زهاء سنة ثم انه ذهب يوم الثلاثاء الى النهر للاستحمام فاخطفته  
الامواج وكان لا يحسن السباحة فانتشل بعد أن أسرف على الهلاك فخرج  
من النهر وهو يقول اللهم لا اعتراض على حكمك في يوم الاثنين عذبتنا بالقتل  
والنهب وفي يوم الثلاثاء عذبتنا بالغرق فتشاءم من يوم الثلاثاء أيضاً وصار يعتكف  
من عصر الاحد فلا يخرج الا صبيحة الاربعاء وبعد أشهر مضت وهو على  
هذه الحال دخل عليه في داره جماعة من الدراويش وأسمعوه ضرباً بدعوي انه  
يستعمل الدخان وبعد الالتيا والتي خلص منهم فقال اللهم ارفع غضبك عنا في  
يوم الاثنين عذبتنا بكذا وفي يوم الثلاثاء بكذا وفي يوم الاربعاء بالضرب  
بالسياط وتشاءم أيضاً من يوم الاربعاء وصار لا يخرج من داره الا في صبيحة  
يوم الخميس ثم توفي بعد ذلك رحمة الله عليه

هذا وقد انهمك التعاشي وبطائه في الترف اكثر من ذي قبل  
وصار في حالة من السمن بحيث يكاد الذي رآه حين افضاء الملك اليه  
أن لا يعرفه وقد تقدم لنا انه كان نحيف الجسم مشوه الحلقة بآثار الجدري  
التي تركت في وجهه كهوفا صغيرة زادت في شناعة منظره أما في سنة ١٣٠٨  
فقد محيت آثار تلك الكهوف من وجهه فصار مستديراً بعد ان كان قبيحاً  
مستطيلاً وصارت عيناه كأنهما عينا لث يظنهما الراى مصابتين برمد اشدة  
احمرار بياضهما

وقد فعل التعاشي أشياء كثيرة تخالف ما كان المهدي ينهي عنه ويحذر من  
استعماله بل كان يرمي مستعملها بالمروق من جادة الحق وآداب الدين  
فقد كان المهدي يلبس حذاء شرقياً ويلبس نعلاً عربياً سبق لنا تعريفها

وأما التعاشي فلا يوجد في بلاد الشمال العربية فكان في بداية أمره لا يلبس غيرها وقد رأيت بعيني شقوق قدميه التي تكاد تختفي الحشرات الصغيرة فيها كل هذا ذهب وأصبح في خبر كان وصار يلبس الاحذية الشرقية والخف

وكان المهدي قد حذر من سكنى القصور وبالغ في ذلك حتى ألزم الذين يشيدون المنازل باللبن النقي ان لا يتجاوزوا في ارتفاعها أكثر من ذراع أو ذراعين وكان التعاشي شديد البغض لمن يرى داره مرتفعة عن هذا الحد وكثيراً ما أمر بهدم بعض المنازل التي يزيد ارتفاعها عن ذلك

هذا ما يعامل به الناس أما هو فقد شاد داراً واسعة شرقي الجامع واحاطها بسور من اللبن المحروق ورفع بناءها حتى كانت يحلها الانسان حصناً أو معقلاً وشاد قصرًا فيما يلي جدار المسجد وجعل نوافذه مطلة عليه وعلى ساحة الاستعراض « العرضة » الواقعة غربى المسجد ومنع الناس ان يقولوا انه « قصر » وكان القضاة يزرون من يقول ذلك وقال التعاشي للناس انه ما شيده ليسكن فيه بل ليصعد عليه في كل غداة جمعة لينظر الى ساحة استعراض المقاتلة وأطلق عليه اسم « كشافة العرضة » مع ان نوافذ القصر كما قلنا مطلة على المسجد والناس يرون باعينهم المصاييح فيه وروائح المطر تفوح من نوافذه ولا يجسر أحد على القول بان التعاشي ساكن في ذلك القصر وهم حمام سراي الحكمادارية ونقل انقاضه وأدواته من الخرطوم الى أم درمان وشاد بها حماما في داره يستحم فيه ونقل منبر مسجد الخرطوم ووضع في مسجد أم درمان وشاد فوقه بناء شاهقاً واحاطه بمقصورة من قضبان الحديد وخصصه للخطابة



في غير الجمعة فاذا صعد عليه احتشد الناس حوله فيبدأم بقوله « السلام عليكم يا أصحاب المهدي » فيردون تحيته ثم يكلمهم بما شاء ويأمرهم بما يريد ويعظهم ويحثهم على مواظبة الصلوات الخمس في المسجد  
وجملة القول ان التعايشي تغيرت عليه قلوب الناس وتبدل ولاؤهم له بنفضاً وسرت روح الثورة في جميع انحاء البلاد وبتنا ننتظر انقلاباً نرجو من ورائه فرجا

ذكر تعيين المؤلف وجماعة من المصريين امراء  
قلت انني لما رجعت من قرية ( ولد الزاكي ) في البحر الابيض اثر  
هروبي الى ( شركيه ) ورجوعي منها أسلمني التعايشي الى بقارى يقوم  
بحراستي في المسجد وقد ظلت خمس سنوات في اسره وسيأتي بيان ما قاسيته  
في تلك السنوات حتى دخلت سنة ١٣٠٩ هجرية وحالة السودان على الصفة  
التي بينهاها

وفي عصر أحد الايام سمعنا مناديا يقول ان الخليفة يدعو جميع أولاد  
الريف ( المصريين ) الى الاجتماع ضحوة الغد في ساحة دار أخيه يعقوب فقزعنا  
من هذا الخبر وبتنا بليلة طويلة نتوقع في غداها سواء يصيننا وذلك ان التعايشي  
عودنا انه لا يدعونا الا لامر نكرهه وتقدم بيان بعض دعواته فيما مضى  
وفي ضحوة الغد اجتمعنا في منزل أخيه يعقوب وكنت جالسا خلف  
المحتشدين من المصريين وكانوا زهاء خمسة آلاف رجل وبعد هنيهة جاء  
التعايشي فوقفنا اجلالاً له ورفعنا أصواتنا بكافى الشهادة فسلم على يوسف  
منصور رئيس الطوبجية المهدوية والسيد جمعه الذي كان مدير الاشر ثم صار

طوبجيا مع يوسف منصور وأثني عليهما وامتدح اخلاصهما للمهدوية وقال  
يا حبذا لو صار المصريون كلهم مثلهما في الاخلاص للمهدوية ثم التفت الى  
عينه ويساره وقال مالي لا أرى ابراهيم فوزي فأسرت بتلبية ندائه وخرجت  
من الصفوف فقال لي يافوزي أما ترى الاخوين الصادقين المخلصين لنا يوسف  
منصور والسيد جمعه فهلا اقتديت بهما وفعلت فعلهما ألم ترهما يقضيان أكثر  
الوقت في بابي ولا تراح نفوسهم الى غير رؤيتي فقلت يا مولاي اني أشد اخلاصا  
منهما ولكنك لا تقربني منك كما قربتهما فسكت وقال لقد أترمتني الحجة ثم  
جلسنا وقدموا لنا أربع زكائب مملوءة تمرا وثرورها أمامنا على الارض  
فصرنا نأخذ التمر من التراب ونأكله فقلت له يا سيدي أريد أن أحمل جزءا  
من التمر تبركا لآل بيتي فضحك وقال لي حمل كل منكم ما شاء

وبعد الاكل استدعاني أنا واسكندر بك وأعطاني راية لا كون أميراً على  
جميع المصريين الذين كانوا من جند الحكومة النظاميين ودفع الى اسكندر بك  
راية وجعله أميراً على جماعة ( الحلبة ) أي الرعاع الذين يقضون حياتهم رحالة  
ويحترفون بالنسول بعضهم بالقردة وبعضهم بالدفوف ويتغنون على  
نغماتها ويضحكون الناس وهم المعروفون في مصر باسم ( غجر الشام ) ودفع  
الى رجل كردى الاصل اسمه ( حسن قره شوللى ) راية وجعله أميراً على  
الذين كانوا من جند الحكومة الغير نظاميين ( باشبوزق ) وكان أيضا  
للمصريين أمير آخر اسمه ( حسن حسين ) مصري الاصل كردفاني المولد  
والنشأة عينه المهدي أميراً على جميع ( المواليد ) وهم المصريون الذين ولدوا في  
انحاء السودان وكان حسن حسين هذا تقياً ورعاً صالحاً يتظاهر بالاخلاص  
للمهدوية ذا منزلة عليّة عند المهدي والتعايشي وسائر الامراء وموظفي المهدوية

وكان مع ما هو فيه من شدة التمسك بالمهدوية ذاتوية حسنة لقومه المصريين فكان يدافع عنهم عند التعاليشي الذي كان لا يرد له قولا وكثيراً مادفع عنهم الضرر وبالجملة انه كان يريد منهم أن يتظاهروا بولاء المهدوية ليتمكنوا من داخلتها ويقبضوا على كثير من وظائفها التي لا يمكن لنيرهم القبض عليها وقد ذكرت فيما تقدم انه رأى ابني محمد يمثل تدخين السجارة فسأله عن ذلك فأجابه بقوله هكذا يفعل أبي وأخيراً حذرني من اطلاع هذا الصبي على مثل هذا العمل ولم يصنع معي شيئاً يكدرني مع ان مثل هذه المسألة لو وقف عليها غيره جلبت علي ضرراً بليفاً

وعلى ذكر المصريين نذكر هنا حالتهم التي كانوا عليها في اسر المهدوية وهي لا تقل عن الحالة التي قاسيتها الا أن بعضهم نالوا وظائف كتابية في بيت المال وعند عمال الخراج ونال بعضهم وظائف صناعة البارود وتمبئة الخرطوش وسائر الادوات الحربية وقد أشرنا الى ذلك فيما تقدم وفريق منهم وأكثرهم من الضباط وذوي المراتب السامية قبل الاسر احترقوا بمن تافهة وفتح كثير منهم حوائط اللاطعة والجزوم مع ذلك كانوا كلهم في حالة الاضطهاد والتحقير من جميع السودانيين ولم يكن لذلك من سبب سوى بياض بشرتهم الذي يدل على جنسيتهم

ومن الغرائب المضحكة ان رجلاً كان جاوisha مصرياً ثم صار يبيع « الترمس » وكان يرفع صوته في السوق ويقول ( تفرج ) فأمسكه حاكم السوق وقال له انك تقصد بكلمة « تفرج » عودة حكم الترك وزوال المهدوية فتصل من هذا التأويل وحلف انه لا يقصده فأمر بجلده بخمسة مائة جلدة وفي أثناء الجلد كان يصيح بقوله « لا تفرج » لا تفرج ثم إنه ترك

كلمة تفرح في ندائه على بيع الترمس واستبدلها بقوله « خليه اعي الله » فأمسكوه  
 نانيا وجلدوه بعد ان قالوا له انك تقصد بهذه الجملة مقصدك الاول ومثل  
 هذه العبارة كثير يعد بالالوف ومنها ان امام أحد المساجد في الجزيرة قال في  
 خطبة الجمعة « اللهم حول حالنا الى أحسن منه » فجلدوه وعزلوه وقالوا له انك  
 تقصد عودة الحكومة السابقة فقال لهم ماذا أقول فقالوا قبل ( اللهم أدم علينا  
 هذا الحال » فالتزم ذلك

على ان كثيراً من المصريين تقدموا عند المهدويين ونالوا وظائف كتابية  
 وصناعية حجة كانوا بواسطتها في رغد من العيش الا انهم كانوا عرضة للسخرية  
 والازدراء من العامة حيث كانت ألوان بشرتهم بيضاء وكانوا ممنوعين من السفر  
 الى الجهات الشمالية كيلا يفرروا الى مصر حتى ان التعايشي كتب منشوراً باهدار  
 دم أي مصري وجد في جهة ( خورشنبات ) شمالى بلدة أم درمان بستة  
 أميال تقريباً

هذا وقد فاتني ان اذكر ان التعايشي لما مثلت بين يديه في هذه المقابلة  
 قال يافوزي ان النصراري كتبوا لنا في شأنك وهم على ماظن يحبونك فقطعت  
 عليه الكلام وقلت هم يحبونني لانني خدمتهم باخلاص فيما مضى وانني أقسم  
 بالله انني أخدك باخلاص أشد مما خدمتهم به لانني اذا كنت خدمتهم  
 بصديق وهم كفار فكيف لا أخدمك وانت خليفة المهدي عليه السلام الذي  
 هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وتمايل طرباً من هذا  
 المدح وقال لي جزاك الله خيراً وبارك فيك أيها الرجل الصادق

هذا وقد فرحت بالامارة لانني رجوت بها خلاصاً من ربة الموكلين  
 بحراستي في المسجد الذين سيحجى ذكر ما قاسيته من عذابهم بضع مدة سنوات

## ذكر ملازمتي الصلوات في المسجد

قد تقدمتني لما فررت في أوائل سنة ١٣٠٥ عدت الى أم درمان بالكيفية التي مرّ الكلام عليها

وفي يوم عودتي الى أم درمان اسلمني التعميشي الى بقاري يقوم بحراستي في الصفوف التي خلف مقصورتة ولما رأي ذلك البقاري قال (يا ولد الريف) لماذا أنت ضخم الجثة ولماذا وجهك أبيض مع أنك كافر فقلت هكذا خلقتي الخالق فقال احمل سلاحي وسر خافي فحملت سلاحه وذهب معي الى منزلي وتناول طعام العشاء معي

وفي اليوم التالي بدأت بأداء الصلوات بجانب ذاك البقاري الذي انضم اليه آخر ليكونا معاً في حراستي فكانا يمتعاني من الخروج من المسجد ولو لقضاء حاجة الوضوء كما يمتعاني من أخذ الراحة فلا أجلس الا جأياً على ركبتني كما يجلس المصلّي وقال لي يوماً (يا ولد الريف) اعلم أنك كافر وان الخليفة اسلمك الينا لنعلمك الصلاة والصوم وضيقا على حيث صرت لا أقدر على التخلف من الصلاة بالمسجد وكان منزلي يبعد عن المسجد جهة الجنوب بنحو أربعة أميال فكنت أخرج من منزلي قبل طلوع الفجر بنحو ساعتين وبعد أداء الصلاة أجلس لقراءة (واتب المهدي) حتي ترتفع الشمس ثم أعود لصلاة الظهر قبل نهاية الساعة الثامنة من النهار على الحساب العربي لانهم انما يصلون الظهر في بداية الساعة التاسعة وبعد نحو ساعتين يصلون العصر وفي بعض الاحيان لا يصلون العصر الا قبل الغروب بنحو ساعة وصلاة المغرب في الغالب تكون بعد غروب الشمس بنحو ثلثي ساعة وبعد ذلك اذهب

الى منزلي الذي كنت لا أدرك فيه راحة اكثر من بضع ساعات حتى صرت في حالة يرثي لها من العذاب الاليم والحاجة الى الراحة فاتفقت مع البقاريين الحارسين على ان أدفع لهما ريالين عن كل وقت أتخلف فيه عن حضور الصلاة فقبلا بعد رجاء شديد وعدا ذلك أنهما كانا يذهبان معي الى منزلي ويتناولان معي الطعام ويكلفاني بشراء ملابس لهما ولولادهما ونسائهما بعد كل شهرين أو ثلاثة وفي بعض الاحيان يأخذني احدهما الى الحى الذي تقيم فيه عشيرتهم فيجتمع حولي منهم نحو مائتى شخص أظل نهاري كله اكتب لهم الخطابات الى ذويهم في جهات مختلفة واقراً لهم الخطابات التي تأتيتهم منهم وكلهم يدعوني (النوبى الذى دفعه الخليفة رقيقاً لهم)

وتصنع نساؤهم آنية من سعف (الدوم) محكمة الاطراف الى درجة ان الماء لا يقطر منها كانها من الاجسام الصلبة ويتخذها الناس أنيسة يشربون فيها الماء فكانا يأتاني ببضع أواني منها فى الاسبوع ويكلفاني بيعها والويل ثم الويل لي اذا لم أجد من يشتريها فكنت أحملها واذهب الى معارفى واكلفهم بشرائها وأعود بثمنها اليهما .

وفى ذات يوم قضيت نحو نصف النهار ولم أجد من يشتري تلك الآنية فعدت بها اليهما فاغتاضا وقال لي انك لا تزال كافراً يا منحوس وسنخبر الخليفة بذلك نجهد الدم فى عروقي واسرعت الى حانوت أحد أصدقائى التجار وكان أوروبيا والدمع يسيل على خدي فاخبرته الخبر فاسرع باعطائي ثمن الاواني وأخذها لنفسه فعدت اليهما ودفعته لهما فقال لي الآن اسلمت .

وصرت بعد ذلك الح عليهما واكثر الاعتذار حتى صارا يقبلان ريالاً واحداً عن كل وقت من أوقات الصلاة أتخلف عن حضورى فيه ثم بعد بضعة شهور

أعدت الرجاء عليهما حتى رضيا بثلاثة أرباع الريال ثم بنصفه وهكذا حتى صرت أدفع عن كل وقت قرشين

ولما اشتدت الجوعاءة في سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ كانا يقولان لي يظهر لنا انك في سعة من العيش فكنت أحلف لهم اني في نهاية الضنك وفقدان القوت وكنت في ذات يوم تناوت غذاء من اللحم وجئت المسجد فتجشيت فصاح بي هل تغذيت بلحم فقلت كلا فغضبا وشتامى وقال لي انك لا تزال مصرا على الكفر وكلما اعتقدنا فيك حسن الاسلام يبدو منك ما يغير هذا الاعتقاد لانك تاكل اللحم وحدك فاجتهدت في نفي هذه التهمة عني وزدت لهما الراتب وبعده عناء شديد تحصلت على رضاها وصرت أمانع التجشي وانا جالس معهما

ومما يشبه هذه النادرة ان أحدهما قال لي يوما ان بنته مريضة وهي تشتهي السكر فقلت له اني ما ذقته منذ خرجت من الخرطوم لان المهدي أوصاني بالزهد في الدنيا والسكر ذو طعم حلو لا يليق بالزهاد تناوله فتعجبا من قولي وقال لي لا بد من احضار (عجل سكر) هكذا يسمون القمع من السكر فقلت لهما ان ثمنه مرتفع جداً ولا يمكنني دفعه وبعد الالتيا والتي تمكنت من إقناعهما بتركه وقلت في نفسي يكفي تقديم الملابس لهما ومعلوم الاوقات فاذا فتحت باب السكر واللحم اكون قد جنيت على نفسي جناية ربما كانت مغبتها سيئة على

ومكثت على مثل هذه الاحوال من سنة ١٣٠٥ هجرية الي أوائل سنة ١٣٠٩ حيث تعينت اميراً كما مر

ولما تعينت اميراً امتنعت من حضور الصلاة بجانب ذيك البقارين

فاعلم التمايشي فاستدعاني وهو جالس في مقصوده بالمسجد وقال لما  
 ذا امتنعت من حضور الصلاة مع رفيقك فقلت له يا مولاي انك عيشتي  
 اميراً ولا ريب انك رايت في أهلية لان اكون مرشداً لمن وليتني عليهم فانا  
 أقوم اليوم بتربيتهم وحضور الصلاة معهم ففحك وقال لذيالك البقاريين  
 اتركاه وبذلك خلصت من ربة ذلها وبت آمناً من وشايتها في اكثر أوقاتي  
 والله الحمد من قبل ومن بعد

ويوجد مئات من الناس قضوا اكثر ايام المهدي في مثل هذا الحال الذي  
 وصفناه وكثير منهم فقدوا ثروة طائلة في سبيل استرضاء الموكلين  
 بحراستهم بمثل الطريقة التي تقدم الكلام عليها مما يدل على ان المقصود الحقيقي  
 من وضع الناس تحت المراقبة في الصلاة هو تسريب مافي جيوبهم من المال  
 الى جيوب ضمهاء البقارة وكذلك أمر السجن فان السجناء واعوانه يتناولون  
 من المسجونين أموالاً طائلة حتي أصبح السجناء ارباب أموال كثيرة

### ذكر انتقاض الخليفة شريف واولاد المهدي

الخليفة شريف ابن عم المهدي وثالث الخلفاء كما مر الالماع الى ذلك وهو  
 الذي لقب ( بخليفة الكرار ) وكان قبل وفاة المهدي صاحب الخطوة عنده  
 بالرغم عن تقدم التمايشي عليه

وقد ذكرنا انتقاضه على التمايشي بعد وفاة المهدي وكان للمهدي ثلاثة  
 اولادهم الفاضل ومحمد والبشرى وكانوا في سن الطفولية لما توفي أبوهم  
 وفي أوائل سنة ١٣٠٧ زوج التمايشي محمد بن المهدي بنته واسكنه  
 معه في داره فكان يظهر لها الكراهة والنفور لان التمايشي اضطهد اخوته



وأقاربه ومنع عنهم العطاء من بيت المال منذ وفاة المهدي فكان الخليفة شريف يعطى مرتباً شهرياً يبلغ مائتي ريال وهو قدر زهيد بالنسبة لما كان يتناوله في أيام المهدي وليتهم كانوا ينقدونه إياه في كل شهر اذ الحقيقة انه كان لا يقبضه الا مرتين أو ثلاثاً على الاكثر في السنة كلها وزد على ذلك أن التعايشي انتزع رايته من يده ووزع جيوشه التي اهمها الجيش الذي هلك مع ابن النجومي في الحدود المصرية

وكان للخليفة شريف حراس من ذوي قرابته يطلق عليهم اسم (الملازمة) يركبون الخيول الكريمة ويحملون الحراب الطويلة ويحيطون به كلما خرج من داره فانتزعهم التعايشي منه واخذهم بثمان دقنة في السودان الشرقي وبالجملة أصبح الخليفة شريف مجرداً عن كل مميزات الخلافة التي كان حائزاً أو فري نصيب منها في أيام قريبه المهدي وكذلك أولاد المهدي الذين ذكرناهم فانهم صاروا في نهاية الاضطهاد الا محمداً الذي تزوج بنت التعايشي فانه كان معتمداً بشؤونها ويقدم الطعام لها ولصهره فقط

وكان للمهدي أولاد غير هؤلاء في سن الطفولة ونساء يزيد عددن على المائة وكان الكل في نهاية الضنك يتضورون جوعاً ولما فشت المجاعة في سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ كادوا يهلكون من الجوع لولم يتداركهم ذورهم

ولما دخلت سنة ١٣٠٩ وصارت حالة السودان الى ما أشرنا اليه وتغيرت قلوب الاهلين وتحفزوا للوثبة على التعايشي اغتتم الخليفة شريف وأولاد المهدي والمضطهدون من أقاربهم هذه الفرصة وارسلوا الدعوة سرّاً الى بلاد الجزيرة يدعون الاهلين للانتفاض على التعايشي ومبايعة الخليفة شريف

وغربوا لذلك اجلا يجتمعون فيه بام درماز وهو السابع والعشرون من شهر رجب سنة ١٣٠٩ ودخل في هذه البيعة كثير من الوجوه والقواد واكثرهم من حزب التمايشى الذى لم يكن علما مما دبروه حتى اذا كانت ليلة الثانى والعشرين من شهر ربيع الثانى دخل عليه أحد الجواسيس وأوقفه على المسألة فاستدعى رجلا من أهالي كردفان وهو دقلى الاصل اسمه السيد المسكى بن اسماعيل الولي وكان أول انسان بايعه يوم توفى سلفه المهدي وقال له اذهب الى الخليفة شريف وبايعه بما يريد على شرط ان تقف على مادبره وتخبرني به فاطاعه وذهب الى شريف وعاهده على المصحف الشريف وعلم منه كل ما يريد التمايشى الوقوف عليه ثم عاد اليه واخبره به فجمع التمايشى أخاه يعقوب وذوي قرابته ليتداولوا في الامر فقر رأيهم على ان يهجم رجال التمايشى على الخليفة شريف وأولاد المهدي ويقبضوا عليهم قبل ان يحل الاجل المضروب وكان فوزي وأحمدى ابنا محمود باريه الدنقلان كاتبين للتمايشى فاعلما الخليفة شريفا بما أجمع عليه رأى التمايشى لانهم ما كانوا ممن عاهدوه على اتمام امره

وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الثانى فشا الخبر بين الناس فاصدر التمايشى أمرا الى الجهادية بالزحف من معسكرهم الى داره فخرجت الجهادية مارة على (الموردة) وما حولها من السوق فنهبوا كل ما صادفهم في طريقهم حتى وصلوا الى دار التمايشى

واجتمع حول منزل الخليفة شريف نحو عشرة آلاف مقاتل جلهم من الدناقلة وأهالي القرى التي حول أم درمان وكان منزل التمايشى لا يبعد عن منزل الخليفة شريف باكثر من مائة متر واحتشد في المسجد اكثر السكان الذين يظن التمايشى انهم مع عدوه فامر الجهادية بالوقوف على أبواب المسجد ومنع من به

من الخروج حتى لا ينضدوا الى الخليفة شريف وحولت الازقة التي بين منزل  
الخليفة شريف ومنزل التعايشى الى متاريس وخطوط نار

وكان التعايشى وقتئذ في بيته فلم يخرج حتى وثق من ان معذوفات  
المنتقضين لا تصل اليه وأقيمت عدة متاريس على جدار منزل المهدي الملاصق  
لمنزل الخليفة شريف ووقع الرعب في قلوب البقارة وفر ثلاثمائة فارس منهم  
قاصدين كردقان وبلغ الحماس مبلغا عظيما من المنتقضين حتى ان النساء تسلحن  
مع الرجال وفي أصيل النهار هجمت مائة امرأة منهم على نحو خمسين فارسا  
من البقارة كانوا يسيقون خيولهم على ضفة النهر فاوسعهم ضربا بالاصحى ففروا  
وتركوا خيولهم غنيمة للنساء المتحمسات

وبات الناس ليلتهم يحترس بعضهم من بعض والتعايشى يرسل الرسل الى  
الخليفة شريف ويلين له الكلام

وفي منتصف الليل هجمت رجال الخليفة شريف على صفوف التعايشى  
حتى زحزحوهم عن مواضعهم ونهبوا بعض أمتعتهم  
وانضم الى الخليفة شريف أحمد سليمان الذي كان أمينا لبית مال المهدي  
وسعيد محمد فرج من رؤساء القبائل في دنقلة وكان قد وفد على التعايشى في أم درمان  
متظلما من يونس الديكم أمير دنقلة وانضم اليه أيضا شايب بن أحمد أحد أمراء  
الداقلة المشهورين وكان مع عثمان دنقة وأخبار فروسيته وإقدامه مروفة  
يتحدث بها أهل سواكن

أما موقف الخليفة على حلوا الملقب (بـ الخليفة الفاروق) في هذا الانتقاض  
فكان موقف خديعة للخليفة شريف ومباينة للتعايشى لانه كان يظهر للخليفة  
شريف انه معه ويقال انه هو الذي أخبر التعايشى بأمر انتقاض الخليفة

شريف عليه

وقد جمع الخليفة على حلو مقاتلته وكانوا زهاء خمسة آلاف فارس ونحو عشرة آلاف من الرجالة وكلهم من عشيرته (دغيم وكفانة) وهم الذين مرلنا الكلام على أنهم اول من بايع المهدي يوم اجتاز النهر من جزيرة آبا الى الضفة الغربية وهم الذين نصره في جبال (قدير)

وفي غداة اليوم التالي فرق التعايشي مقاتلته فأحاطوا بمسزل الخليفة شريف من جميع الجهات وابتدأ إطلاق النيران من الفريقين واستمر نحو ساعتين لم تظهر في خلالهما نتيجة غلبة أحدهما وهجم شايب احمد شاهرا سيفه على مائتين من جهادية التعايشي فولوا مذعورين

وفي ساعة وقوع القتال كان الخليفة على حلو مع الخليفة شريف يعرض عليه شروط الصلح وهي كما يأتي

أولا تعاد للخليفة شريف راياته

ثانياً يدفع له مرتب ٢٠٠٠ ريال في كل شهر

ثالثاً يدفع لكل واحد من اولاد المهدي مرتب يكفيه

رابعاً يعفو التعايشي عن كل الذين بايعوا شريفاً على الانشقاق

خامساً يتعهد الخليفة على حلو بانفاذ هذه الشروط

سادساً يعزل يعقوب أخو التعايشي عن وزارة أخيه لانه مرتش

ولانه سبب جميع المظالم التي أخربت البلاد

سابعاً يعزل قاضي الاسلام أحمد على

ثامناً لا يقطع التعايشي أمراً دون مشاورة الخليفة شريف

تاسعاً يطلق سراح محمد خالد زقل (الذي تقدم لنا ذكر سجنه)

وقد تم الاتفاق شامهاً على هذه الأوجه وحلف الخليفة على حلوه على  
المصحف الشريف أن يكون ظاهراً للخليفة الشريف أن لم تنفذ هذه  
الشروط ثم اضطحب الخليفة شريفاً معه إلى منزل التعايشي الذي قابله  
بالتجاة والاكرام وأخذ يبكي ويبانق الخليفة شريفاً ويقول له إن المهدي  
جاءه في الحضرة وأمره بإجابة مطالب الخليفة الشريف وأن النبي صلى  
الله عليه وسلم أوصاه به وحلف التعايشي على المصحف أنه لا يبدل شرطاً  
من الشروط التي اشترطها عليه الخليفة الشريف وانصرف الخليفة الشريف إلى  
داره وأرسل له التعايشي ثلاثة آلاف ريال وأمر الناس بالكف عن الحرب  
وأمر الرؤساء بالذهاب إلى تجديدبيعة التعايشي فوقع ذلك على الجميع موقع الصاعقة  
وعلموا أن ذلك خدمة وأن التعايشي سسية تص منهم فلاموا الخليفة شريفاً  
على تسرعه في إبرام الصلح بدون مشورتهم فأخذ يؤكد لهم استحالة  
إقدام التعايشي على الانتقام منهم فجزوا بقوله ولكنهم لم يجدوا سبباً عن  
الكف عن الحرب والتوجه لمبايعة التعايشي الذي قابلهم بالبشاسة والاكرام  
وعفا عنهم وحلف لهم على الوفاء بما جاء في الشروط التي أوردناها فلم يصدقوه  
وايقنوا أن العاقبة وخيمة

ويقال أن الخليفة شريفاً عمداً إلى المصالحة مضمرّاً الفدر حيث كان  
موعد الاجتماع عليه في أواخر شهر رجب فصالح على أن يقوم بأمره عند حلول ذلك  
الاجل حيث يجتمع عليه الناس ولكن ساء فآله واتخذ التعايشي الحيلة لاحتباط  
ذلك كله

وفي اليوم التالي ركب التعايشي في نحو ستة آلاف فارس واجتاز الأحياء  
التي يسكن فيها المنتقضون مع الخليفة الشريف وأمر الفرسان بنهب ما في المنازل

من المتاع ففعلوا وكانوا يجردون النساء من ملابسهن حتى المآزر  
وانفذ السرايا الى الجزيرة فقبضوا على رؤساء الذين بايعوا الخليفة شريفا  
ونهبوا أموالهم

على ان اكثر الناس كانوا مشايخين للخليفة شريف وكانوا على يقين بان  
قيامه سيأتي بفائدة الخلاص من نير البقارة وأنه لو لم يصالح على الشروط المتقدمة  
وشهر الحرب لظهر على التعايشي الذي لا قوة عنده غير الجهادية الذين اكثرهم  
يظاهرونه على التعايشي

والحاصل ان ثورة الخليفة شريف جاءت مغتبا سيئة عليه وعلى كثير من  
الذين مالوا اليه اذ يبلغ عدد من ذهبت دماؤهم هدرا بسببها بضعة آلاف شخص  
كلهم ماتوا في المنفى وقتلوا بسيف انتقام التعايشي كما سيأتي ذكر ذلك كله في  
مكانه فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ذكر القبض علي كبار حزب الخليفة شريف وقتلهم  
تقدم لنا الكلام على المعاهدة التي انحسمت بها ثورة الخليفة شريف  
وقد مضت على هذه المعاهدة اثنتان وعشرون ليلة يبدى التعايشي في كل يوم  
منها من دلائل الاحترام للخليفة شريف ما جعله له أطوع من بنانه حتي  
أسلمه جميع الاسلحة النارية التي كانت عنده وكانت تبلغ زهاء النى بندقية من طرز  
رامنجتون وكان التعايشي يركب في كل يوم والى جانبه الخليفة شريف الذي غمره  
بكثرة عطاياه حتى وردت عليه انباء من انفذهم للقبض على رؤساء القبائل الذين  
لهم ضلع مع الخليفة شريف وجيء بهم مقرنين في الاصفا فقلب له ظهر  
المجن وأرسل في اليوم الثالث والعشرين لتقرير المعاهدة من قبل على أحمد



الى السجن الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بادخالكم فيه وقال للخبراء الذين يحيطون بهم سربوا السجن ان لا يضع في رجلى كل واحد منهم غير قيد صغير لانهم من أجل أصحاب المهدي عليه السلام وذوى قرابته ثم قال لهم هيا اذهبوا على بركة الله فودعوه وخرجوا من الباب فاحاط بهم نحو خمسمائة بقارى وضربوهم الضرب الذي يسمونه (مطر دصبت) وكيفيته ان يجتمع مائة نفر فاكثر ويضربوا بالعضى شخصاً واحداً أو عدة أشخاص

ثم سيقوا الى السجن وعاد الخبراء واخبروا التعاشى بانهم قد أودعوا السجن فامر الناس بالانصراف الا واحداً من أقاربه فلما انصرفوا قال لاحد الخبراء عد الى السجن وقبل له ضع في كل واحد عشرة قيود وزن كل قيد عشرون رطلا من الحديد ثم قال لقريبه اعلم اننى منذ ست وعشرين ليلة مازار الزوم اجفاني أى من يوم سمعت بأمر الخليفة شريف الذي لم يكن في ظني ان مسامحي تقرر في مسألته بالنجاح وتأتى بمثل هذه النتيجة المرضية ومنذ حبست أحمد سليمان ومن معه شعرت براحة في نفسى وهجم النوم على جفنى فاستودعك الله لاننى ذاهب الى حجرة نومي فودعه وانصرف ودخل التعاشى الى حجرة نومه فلم يستيقظ الا بعد ظهر اليوم التالي ومكث أحمد سليمان ومن معه ثلاثين ليلة في السجن ثم حملوا الى فشوده على إحدى البواخر النيلية وأرسل معهم التعاشى كتابا الى الزاكي طمل وكان معسكراً وقتل في فشوده لقتال (الشك) كما قدمنا

ولما وصلوا اليه استدعاهم في مجلس خاص بقواده وخاطبهم لماذا يامعشر المناقلة تحاربون خليفة المهدي فردوا عليه أقبح رد وقالوا له ان المهدي الذي أورثكم الملك دنقلى منا وانتم بقارة ارقاء فساءه ذلك وقال لهم لا قتلنكم كما قتل



الكلاب وأمر أن يضرب كل واحد منهم عشرة أشخاص بالمصى الغليظة  
حق يموت فكثروا على هذه الحالة بضع ساعات حتى تهشمت رؤوسهم  
وسحقت سحقاً

ولما شرعوا في ضربهم قال أحمد سليمان لفوزي نحن الآن على شفا الموت  
ولا مطعم لنا في الحياة فانا أناشدك الله هل المنشور الذي يتلى كل يوم في  
المسجد وفيه ان التعايشي أوتي الحكمة وفصل الخطاب مطابق للاصل الذي  
صدر من المهدي فقال فوزي اللهم لا بل التعايشي هو الذي أمرني بوضع الزيادة  
التي زيدت فيه فقال أحمد سليمان اعلموا ان المهدي كان ينوي الفتك  
بعبد الله التعايشي ولم يستخلفه الا لانه كان مظلوماً على كثير من اسراره  
وكان يظن انه ترك قوة عظيمة في يد الخليفة شريف تقدر على كبح جماح  
التعايشي متى أراد الخروج عن طوره ولكن بالأسف ان الخاتمية شريفا خدع  
في بداية الامر وأسلم رايته للتعايشي وأصبح بلا قوة ثم خدع في هذه المرة  
وسيلاتي ماجنته يدها فالتفت اليهما سعيد محمد فرح وقال لهما كفا عن هذا  
الهديان واعلم يا أحمد بن سليمان ان مهديكم كاذب ظالم وعقوله اسخف من عقل  
قريبه الخليفة شريف والدليل على ذلك انه لم يختر من جميع الناس الذين تبعوه  
ممن هو أهل لخلافته غير بقاري أجهل من الحمار وليته كان بقارياً ذا حيثة في  
قومه بل هو كما يعلم الكل دكروري من أوباش البقارة ثم طرأ عليهم كلامهم  
مامنهم عن الكلام فأتوا وألقيت اسلاؤهم للكلاب والذئاب

وكانوا كلهم عدا سعيد محمد فرح من اكبر انصار المهدي ومن خيرة اعوانه  
وقد تقدم لنا كلام عن أحمد سليمان ومنزله عند المهدي فلا حاجة لاعادته  
هنا وقد ذكرت أيضاً ما لحقني من تمديبه لي

أما فوزي واخوته فأنهم كما قلنا دنقلون كان أبوهم قاضيا في أحد سراكر  
كر دغان فالحق فوزي بكتابة التماشي حتى صار رئيسهم  
وقد صودرت أموالهم وأخذت نساؤهم مبيات وهدمت منازلهم  
وأصبحوا عبرة لمن يعتبر والي الله مصير كل شيء

### ذكر القبض على الخليفة شريف وحبسه

لما قبض التماشي على احمد سليمان ومن معه لزم الخليفة شريف منزله  
وامتنع من الذهاب الى منزل التماشي الذي أمر بالقبض على نحو ألفي رجل  
من حزب الخليفة شريف ونفاهم الى النيل الاعلى وقتل اكثرهم في الطريق  
وشاع بين الناس ان التماشي ظفر بالقائمة التي فيها أسماء من بايعوا  
الخليفة شريفا وجلهم من الامراء ووجوه البلاد نخافوا العاقبة وأرسلوا  
للخليفة شريف سرا يدعونه للفرار من أم درمان واللاحاق بالجزيرة  
ليظهروا مبايعته ويقوموا بأمره وحينئذ يكون أحد الامرين إما الموت  
أو الظفر وهذا قريب من الصحة لما قدمناه من انحراف الناس عن التماشي  
وسعيهم في الخلاص من يده

ولما كان الخليفة شريف هذا بليدا لم يلتفت لما أشار به أنصاره ولم يعبا بما  
عرضوه عليه من الآراء الحازمة وظل مقيما في داره حتى شاع بين الناس  
ان التماشي أوشك أن يقبض عليه فذهب واحد من خواصه وأخبره  
بذلك فسخر منه وقال له ان ذلك لا يمكن أبدا لاني ثالث الخلفاء وان  
المهدي أخبرني في أحد منشوراته بان المهدي لا تقوم قائمتها بغيري  
وعلى ذكر المنشور نقول انه يوجد منشور منسوب للمهدي ولكنه لم يدرج

ضمن كتاب المنشورات التي تقدم لنا ايراد بعضها لان التعايشي منع من طبعه  
وفي المنشور معميات والنغاز كالتى يستعملها بعض المتصوفة ومنها كلمتا (دهودي  
بهودي) وفيه أيضا عبارة تشبه اللغز وهي ( انه لن يصح انتقالى من الدنيا  
حقيقية مادام الخليفة شريف موجودا بها )

على ان بعض الناس ينكرون صدور هذا المنشور من المهدي والحاصل  
ان الخليفة شريفا كان آمنا على نفسه اعتمادا على هذه الخزعات ولذلك لم  
يعبأ بمشورة الذين حثوه على الفرار

وتوجد مسألة خلاف قديمة بين التعايشي والخليفة شريف وهي ان  
المهدي زعم في أوائل دعواه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله سيفا  
قال له هذا سيف النصر وخاصيته أنه لا ينصر أحد على من كان حاملا له وقد  
جعل له من ضمن الكرامات التي خص بها وقد تقدم ذلك في كثير من  
المنشورات التي تقدم ايرادها

ولما توفي المهدي أمسك الخليفة شريف هذا السيف وامتنع من تسليمه  
للتعايشي الذي كان يلح في طلبه من الخليفة شريف لالاعتقاد بما يقال عنه  
بل لانه كان يرى ان بقاء هذا السيف في يد غيره يخفض من شأنه قليلا في  
حقوق الخلافة اذ العامة من الدراويش تتحدث بشيء كثير عن كرامات هذا  
السيف فيقول بعضهم انه يضطرب ويسمع له صوت كقصف الرعد اذا  
اقترب العدو من مدينة المهدي. ومنهم من يقول انه اذا اقترب منه الجنب  
ضرب عنقه بغير ضارب ولا يستطيع أحد حمله غير صاحبه المهدي الى غير  
ذلك من أقوال البسطاء. ونقل لي مصري كان مقربا من المهدي انه سيف  
مثل سائر السيوف وليس فيه خاصية مما تتحدث به العامة ويصدق البسطاء

وشعراء المهديّة ينظّمون فيه الموشحات ويذكرونه كثيرا في قصائدهم  
وكان الخليفة شريف متقلده في غضون ثورته

وفي اليوم الثالث من شهر رجب سنة ١٣٠٩ جمع التمايشي القضاة  
والامراء وطلب منهم ان يكتبوا محضرا يقولون فيه ان الخليفة شريفا  
اعتزل الجمعة والجماعة واصر على العصيان ولزم منزله فكتبوا ذلك ثم قال لهم اذهبوا  
مع الخليفة علي حلو وادعوه الى الحضور في داخل قبة المهدي ثم اقبضوا  
عليه فذهبوا وارسل اليه الخليفة على حلو يدعوه الى الحضور فامسكه محمد أحد  
أولاد المهدي وقال له لا تذهب واعتذربانك مريض فاذا أرخى الليل سدوله  
فاهرب الى الجزيرة فقال له لا تخف فانهم لا يستطيعون ايصال الاذي الى  
فذهب معهم وما كاد يستقر به المجلس حتي وثب عليه من حوله وقبضوا عليه  
واخذوا سيف النصر من يده وأوسعوه ضربا وساقوه الى باب التمايشي  
وأسلموه للحراس الذين أخذوا يلطمونه ويهينونه ودخل الخليفة على حلو  
والقضاة على التمايشي واخبروه بما صنعوا. ويقال ان التمايشي طالب منهم ان  
يوافقوه على صلبه وأخيراً أمر به فسيق الى السجن وما وصله الا بعد أن بلغت  
روحه التراقي لكثرة ما لحقه من الضرب وهناك وضعوا في رجليه عشرة  
قيود من الحديد ووضعوا في عنقه جنزيراً وزنه خمسون رطلا وسنمود الي  
ذكر بقية أخباره

ذكر القبض علي عبد القادر ساتي علي

ومحمد عبد الكريم وقتلها

عبد القادر ساتي علي ابن عم المهدي ومحمد بن عبد الكريم

ابن أخى عبد القادر سائى على وكان الاول فقيها شاعراً أديباً وإن فى الخرطوم  
وتربى فيها ولحق بقريبه المهدي فى كردفان فأكرم وفادته وعرف منزلته  
وصار مبعلاً عنده وعهد اليه برئاسة الامناء الذين ينوبون عنه فى نظر المسائل  
العمومية وجعله أميناً على خاتمه

وكان عبد القادر سائى على شديد البغض للتعايشى يعيبه بالجهل ويرميه  
بالظلم وكثيراً ما طلب من المهدي اقضاءه عن منصب الخلافة وكان يئامه فى  
انفاذ كثير من مآربه ويزدريه ويحقره ولا يجلس بين يديه جاثياً على ركبتيه  
كما هى عادة الدراويش فى آداب البلوس عنده

ولما توفى المهدي كان أول عمل أتاه التعايشى عزل عبد القادر عن منصبه  
ثم بعد بضع سنوات صادر أمواله وحبس بضعة شهور. وكان لعبد القادر معرفة  
بالطب فاشتغل بهذه المهنة ليحصل منها على قوته حتى اتصل بالتعايشى ان  
عبد القادر أصبح ذا ثروة عظيمة من مهنة التطبيب فاستدعاه الى مجلس حافل  
بالقضاة وقال له لا يليق بك وأنت عم الامام المهدي عليه السلام ان تشتغل  
بمهنة دنيئة كالتطبيب فقال له (نعم يليق بعم المهدي ان يموت جوعاً) فقال له  
اياك ثم اياك والتطبيب واعلم أنك ان لم تنته عن هذه الصناعة تكن قد  
عصيت أمرى وأنت عالم بمقوبة من يعصيني فذهب الى منزله وامتنع من  
التطبيب خوفاً على حياته حتى صار فى حالة يرثى لها من الفقر وفقدان القوت

وأما محمد عبد الكريم فانه ابن عم المهدي وكان من اكبر قواده وهو  
الذي فتح سنار واغتال منها قناطير مقنطرة من الذهب كما سبق الكلام على ذلك  
وكانت طريقته فى الازدراء بالتعايشى لا تختلف عن طريقة عمه عبد القادر  
وقد صادر التعايشى أمواله أيضاً جملة مرات

ولما انتقض الخليفة شريف كان محمد عبد الكريم معه أما عمه عبد القادر فكان ملتزما بجانب الحيات

وبعد ان قبض التعايشي على الخليفة شريف وسجنه قبض على عبد القادر ساقى وابن أخيه محمد عبد الكريم وأرسلهما الى الزاكي طمل في فشوده فقتلها ضربا بالعصى كما قتل احمد سليمان ومن معه

وقد جرت بينهما وبين الزاكي طمل مكالمة تشبه التي جرت بينه وبين احمد سليمان ورفقائه وقد أظهر عبد القادر ساقى عليّ جلدأ وشجاعة بخلاف ابن أخيه محمد عبد الكريم فانه جبن وخارت عزيمته وطمع في الحياة بالتزلف للزاكي الذي كان لامندوحة له عن انفاذ ما أمر به التعايشي

هذا وقد جثنا بذكر قتل هذين لشهرتهما بين أقارب المهدي الذين يقدر عدد من قتل منهم ومن اقاربهم بسبب هذه الحادثة بنحو ثلاثة آلاف رجل عدا الشيبان الذين كانوا حراسا للخليفة شريف فقد طرح عدد كبير منهم طعمة لاسماك النيل

وكان لمحمد عبد الكريم محظيات في نهاية الحسن والجمال فكان التعايشي يرسل الي الواحد منهن ويجلبها الى منزله فاذا قضى منها وطره أخرجها وأعادها الى منزلها

### ذكر شأن نساء المهدي مع التعايشي

ذكرنا ان المهدي مات عن نيف ومائة امرأة اكثرهن قد استحل وطأهن بملك اليمين على الطريقة التي تقدم الكلام عليها فلاحاجة لاعادتها ولما مات المهدي وأتمت النسوة عدة الموت جمع التعايشي الخلفاء

والقضاة وعرض عليهم اخلاء سبيل كل امرأة لم ترزق ولداً من المهدي لان كثيراً منهم لم يقترب منهم فعارض الخليفة شريف في هذا الامر وقال ان نساء المهدي كنساء النبي صلى الله عليه وسلم وآله وهن أمهات المؤمنين اللواتي أمرهن الله بعدم الخروج من بيوتهن وأورد الآيات التي نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم كأنها نزلت في نساء المهدي فقبل الحاضرون قوله وأعرضوا عما أشار به التعاشي

ومكث أولئك النسوة في داخل بيت يسكن كل خمس مهن في كوخ من البوص واجري التعاشي على كل واحدة منهم راتباً شهرياً قدره خمس ريات يتناولنه في السنة كلهما مرتين أو ثلاثة و لكل حراستهم إلى نحو خمسين من الحصيان الذين كانوا ملصكا لوجوه وأعيان المصريين في سائر مدن السودان وصارت حالة النساء والحصيان تنتقل من سيئ إلى أسوأ. وبالجملة لولم يكن لهاته النسوة أقارب يتداركوهن ببعض القوت لمتن من الجوع وكذلك الحصيان كان قوام معيشتهم من التسول ومد ايدي السؤال للامراء واعيان البلاد

وفي سنتي المجاعة مات كثير من النساء اللواتي لم يكن لهن أقارب ومات كثير من أطفالهن أولاد المهدي

وكن كلما شكون إلى التعاشي ما هن فيه من شظف العيش يبكي وينتحب ويقول لهن انكن آل بيت المهدي لانصيب لكن في الدنيا وليس لكن غير الآخرة حتى اذا كانت سنة ١٣٠٩ وانتقض الخليفة شريف على التعاشي قام نساء المهدي بمظاهرة ولاء للخليفة شريف فاغتاز التعاشي وأمر بإحاطة منزل المهدي بسور من الحجارة ليفصله عن ملاصقة منزل الخليفة شريف وبعد أن

قبض على الخليفة شريف جاء التعايشى الى منزل المهدي ومعه ألف مقاتل  
 مسلحون بالأسلحة النارية فاحاطوا ببناء المهدي وهن داخل ستره وضع لهن  
 وقال لهن (انكن عصيات الله ورسوله ومهديه وكفرن بهنهم وفدحكن القضاة  
 باعلمكن رميا بالرصاصة) فرفعن رؤوسهن فوجدن أفواه البنادق موجهة  
 اليهن نصرخن واطمن وجوههن ومنهن من هربن لتساق الجدران التي  
 كانت تناطح السحاب ومنهن من القت نفسها في بئر وبالجملة ان أولئك النساء  
 روعن روعا شديدا فضلا عما هن واقعات فيه من شظف العيش وسوء الحال  
 ولما رأي التعايشى ما صارت اليه حالتهن وأن بمضهن ثبتن وقبأن له انا  
 لا نرهب الموت الخدي تم يدنا به لانك انما تقتل نسوة لا يشرفك قتلهن  
 ومع ذلك فان قتلنا شيء لا يذكر في جانب كفرانك بنعمة المهدي الذي أجلسك  
 على الملك فاذا كنت تنادي كل يوم وليلة على رؤس الاشهاد بان المهدي  
 دنقلي فان قتلنا لا يذكر في جانب هذه الشتمات

ويقال ان زينب اكبر بنات المهدي امرأة الخليفة شريف أغلظت  
 له القول واهاته بالشتمات فانصرف وقال لنساء المهدي اني عفوت عنكن وانما  
 قصدت بفعل هذا ارهاب اللواتي تظاهرن منكن بولاء الخليفة شريف  
 والحاصل ان نساء المهدي وخصيانه وكثوا في الذل والهوان يقاسون  
 من شظف العيش أشده حتى فتحت أم درمان وانتشع ظلم دولة الدراويش  
 عن السودان

### ذكر سجن اولاد المهدي

لم يكتف التعايشى بما فعله بالخليفة شريف والذين بايعوه حتى أمسك اولاد



المهدي الثلاثة وهم الفاضل ومحمد والبشرى وسجنهم في منزل جدهم لامهم أحمد شرفي ومنعهم من الخروج منه، وكان محمد متزوجا بنت التعايشي فطلقها منه ومكث الثلاثة في الحبس ولم يخرجوا منه الا بعد استيلاء الجيش المصري على دنقلة

على ان أولاد المهدي لم يكونوا طامعين في الخلافة وانما كانوا متذمرين مما أصاب ذوي قراباتهم من الظلم والاضطهاد ثم القتل والنفي وكان محمد كما قلنا متزوجا بنت التعايشي وكان ينفذها ويسب أباهما بحضرتها ويذكر كفرانه بنعمة أبيه وعدم وفائه بعهده فكانت تخبر أباهما بذلك كله حتى آل الامر لطلاقها منه

وعلى ذكر أولاد المهدي نذكر الشيخ الحسين زهرا الذي أوردنا قصيدته الحمزية التي امتدح بها المهدي ونصحه فحبسه التعايشي ثم انه بعد وفاة المهدي قدم للتعايشي قصيدة مملأها بالنصح ومن ضمنها قوله له ان استخفافك بأولاد المهدي واضطهادك لأقاربه يحملان الناس على الاعتقاد بانك غير مصدق بعهديته فغضب عليه التعايشي وسجنه وبعد أيام أضلعه وأمره أن يسكن في قريته في جهات (المسلمية) على بعد ثمان مراحل من أم درمان جهة الجنوب والحاصل ان جميع أقارب المهدي أصبحوا بين قتلى ومسجونين وكذلك الأمراء والاقواد الذين أسسوا دعوة المهديوية معه فقد فعل بهم التعايشي ما فعله بأقارب المهدي وأولاده ولا غرو فان المهدي سبب كل هذه المصائب التي حاقت بأقاربه وقواده حيث استخلف التعايشي عليهم وهو لا يدري ان عدوا عاقلا خير من صديق جاهل

## ذكر مؤامرة عبد المولى صابون علي قتل التعايشي

عبد المولى صابون اخو حمدان أبي عنجة فاتح بلاد الحبشة الذي تقدم لنا ذكره وكان عبد المولى هذا قائدا للجهادية في أم درمان وفي سنة ١٣٠٥ أصيب بمرض الجدنام وقد مر لنا الكلام على ان التعايشي كان يحبه وانه قد نفى أم زوجته بعد ان قطع يدها لما قيل له ان مرض عبد المولى ناتج من كثرة ما تصنعه له من الشعوذة والاسحار اللتين تقصد بهما استمالته لحبة بنتها ولا توفي حمدان أبو عنجة في الانقلابات كان أخوه عبد المولى يتوق لنيل منصبه فلم يفلح وولى التعايشي الزاكي طمل بدل أبي عنجة وعزل عبد المولى أخاه من قيادة الجهادية وولى بدله أحد أقاربه البقارة فاغتاظ عبد المولى من التعايشي وأضر له السوء وحالف الخليفة شريفا عليه ولكنه لم يظهر مخالفته له وانضم اليه نفر من التعايشة أقارب النزالي الذي تقدم لنا ان التعايشي قتله لما فر من أم درمان وتآسروا على قتل التعايشي غرة بين منزله ومنزل أخيه يعقوب حيث تعود التعايشي ان يسير بينهما بحراس قبيلين ولكن المتآسرون في الطريق قبل الوقت الذي يخرج فيه التعايشي من داره الى دار أخيه يعقوب بنحو ساعة من الزمن ليفتكوا به اذ ذاك

وبما كان التعايشي يتأهب للخروج استأذن عليه أحد المتآمرين فاذن له ولدي دخوله عليه تراعي عليه مظهر اتوبته واخبره بما دبره له عبد المولى ومن معه فارسل التعايشي من قبض عليهم وأودعهم السجن ثم نفوا الى خط الاستواء وهناك لقوا حتفهم

وكان عبد المولى هذا ذفاظا وكبر ونال من الرفعة والثروة في أيام التعايشي

ماله خطر مع انه عبد اسود من عبيد ( البنضلة ) لمحاورين للتعايشة كما انه أخذ من جرار النساء نحو خمسين امرأة من بنات الاعيان كلهن موطوات بملك اليمين

وبعد مسقوط الحرطوم بامين كان لي عبد قد أبق ولحق بجهادية أم درمان الذين يقودهم عبد المولى هذا فذهبت اليه أسأله ان يعطيني ذلك العبد أو ثمنه فكان أول كلمة قلني به أن قال لماذا أنت ضغنهم يا ولد الريف أم عندك مال نجباً تخرج منه ما تنفقته على نفسك فطار لي من هذا الكلام وقلت له لا يا سيدي بل أنا رجل فقير أعيش من هبات سادتي الامراء امثالك فقال وهل هبات الامراء تسمنك الى هذا الحد فقلت نعم وان مولاي خليفة المهدي عليه السلام يتماهدني باحسانه في كثير من الاوقات فانكسرت شوكة حدته وقال لي ماذا تطلب الآن فقلت أطلب عبيدي فقال أنت عبيده فقلت له نعم انني عبيده لانه صار عبيدك فشفع لي عنده أحد الحاضرين فقال انني سمحت لك باخذ العبد اكراما لحاطر من شفع فيك واحذر من ان تعود اليّ بمثل هذا الطلب فاني اذ ذك أضرب عنقك هذا المملوء لحما فاخذت العبد وانصرفت به الى النخاس وبعته باول ثمن عرضه على فيه

ذ كر قدوم محمود احمد من دارفور

مر لنا الكلام على موت عثمان آدم أمير دارفور وتولية محمود أحمد ابن عم التعايشي بدله وذلك في سنة ١٣٠٧ وقد سار محمود هذا سيرة عوجاء أوجبت انحراف القواد عنه ونفور الجنود عن ولائه واشتدته الحالة في إبان ثورة الخليفة شريف فتخوف التعايشي من هذه الحركة وكتب الى محمود

يستقدمه الى أم درمان بمن معه من المقاتلة وقصد بذلك ان يهرب أهالي الجزيرة الذين مالوا للخليفة شريف ويربهم قوة التي في دارفور وأن يوفق بين محمود والذين تقموا عليه من جنوده ومقاتلته فقاد محمود أحمد الفاشر حاصمة دارفور ومعه نحو أربعين ألف مقاتل منهم بضعة آلاف من الجهادية ومثلهم من الفرسان والبقية من المشاة

وبعد ان وصلوا الى جهة (الهود) وهي أول بلاد كردفان مما يلي دارفور ثار عليه قواد الجهادية واطلقوا عليه الرصاص وكادوا يقتلونه وكانت عدة الثوار خمسة عشرة قائدا يقود كل واحد منهم مائة مقاتل كلهم مسلحون بالأسلحة النارية من طرز (رامنجتون) وانفصل الثوار عن المعسكر وابتعدوا عنه فإسل اليهم محمود قاضي المعسكر يدعوهم الى الطاعة ويعدهم بالعفو عن جريمتهم ثم دفع لكل واحد منهم ألف ريال فآخذوا المال ولم يقبل العودة الى الطاعة غير ثلاثة منهم وأصر الباقون على عصيانهم وابتعدوا عن المعسكر ولحقوا بجبال (إبـ جنوب) وهي جبال واقعة في الجنوب الغربي لكردفان وسكنها من العبيد (النوبة) الذين تقدم لنا الكلام عنهم فلا حاجة لتكراره هنا ووصل محمود الى أم درمان في منتصف ذي القعدة سنة ١٣٠٧ أي بعد ان زالت مخاوف التعاشي من الخليفة شريف والذين بايعوه فخرج لاستقباله خارج البلدة وظهر سروراً عظيماً بمقدمه وبلغ في اكرامه الى درجة انه أمر بعمل ثمانية اجريت امام محمود وجنوده وهي أول مرة صنعت فيها تلك الالاعاب في أيام المهديوية

وارتفعت أسعار الاقوات على أثر قدوم محمود أحمد ومقاتلته الذين قدموا بنحو مائة ألف نسمة من الارقاء باعوها في أم درمان كما تباع البهائم

وقد سمى محمود هذا أ. والأ طائلة للتعايش وأخيه يعقوب

ثم انه تزوج براقصة شهيرة اسمها بنت بدوى كان الشعراء يتغزلون  
ببراءتها في الرقص وجاها في حفلات الزواج بشرب الخمر وأحيى إلى  
الرقص بما يخالف آداب المهدوية وصادر كثيراً من الجوارى المؤسسات  
وشهرهن جارية اسمها « السكات » وجمع حوله كثيراً من الخنثين والمغنين  
الذين تقدم لنا الكلام عليهم وسيأتي ذكر الجارية السكات وانها اباحت قرية  
( الجميعاب ) للجهادية فنهوها وألحقوا بها العار

وأقام محمود بام درمان بضمة شهر ثم قفل راجعاً بجنوده إلى دارفور  
وستجيء بقية أخباره

## ذكر القبض على أمراء الجميلين ونفيهم

ذكرنا ان جل تجار كردفان من قبيلة (الجميلين) التي تسكن بربر وقد سبق  
لنا شرح احوالهم فلا حاجة لاعادته هنا وقد استوطنوا كردفان منذ زمن مديد  
وكان من أمرهم انهم أعانوا المهدي على الاستيلاء على الأبيض عاصمة كردفان  
وكان الياس باشا أم بربر في مقدمة أولئك التجار الذين تقدم لنا الكلام عليهم  
وقبيل ثورة الخليفة شريف باشا جمع التعايشي نحو أربعين من أمراء  
الجميلين ودفع لكل واحد منهم راية وكان من بينهم عمر بن الياس باشا الذي  
ذكرنا بعض ما أناء في دارفور لما ذهب إليها مع محمد خالد زقل

وعين التعايشي قائداً عاماً على الأربعين أميراً اسمه البدوى بن العريف  
كان أخوه محمد بن العريف سر تجار الأبيض عاصمة كردفان ومن أكبر الذين

ساعدوا المهدي على الاستيلاء عليها

ولما ثار الخليفة شريف كان هؤلاء الامراء في جملة من بايعوه من الناس فوشى بهم الى التمايشي أحد خصيان المهدي المسمى « شكر الله » ثم ذهب أولئك الامراء وأخبروا التمايشي بانهم ما فعلوا ذلك الا ليقنوا على سر المسألة كي يوففوه عليه فشكرهم وأظهر لهم عظيم الميل والانمطاف وبعد حبس الخليفة شريف بأيام دعاهم الي مجلسه وأخبرهم ان رباط كسله ذو أهمية لا تخفي وان الايطاليين يطعمون في التقدم الى كسله وان أميرها مساعد قيودوم البقاري ضعيف الرأي وانه ينوي انفاذهم الى كسله ليقوموا بحفظ الرباط فشكروه وانصرفوا بعد ان تعهدوا له بأن يجهزوا أنفسهم ومقاتلتهم من ملهم الخاص

وبعد أيام غادروا أم درمان وخرج النعاشي لوداعهم وساروا الى قرية ( رفاعه ) التي تبعد عن الخرطوم بست مراحل في النيل الأزرق ليضمو اليهم المتفرقين من مقاتلتهم في قري الجزيرة وأقاموا فيها نحو شهر وبدلا من أن يجمعوا الرجال ويسيروا الى وجهتهم ضربوا على كل مقاتل ضربة يقدمها كغدية ليتركوه فجعلوا من ذلك أموالا طائلة والتمايشي يكتب لهم في كل يوم يحثهم على مغادرة رفاعه واللاحاق بكسله وهم يقدمون له الاعذار في كل مرة وفي ذات يوم أرسل لهم مندوبين قبضوا عليهم في رفاعه ونهبوا أمتعتهم وما جمعوه من ضريبة الغدية وجيء بهم الى أم درمان يرسفون في القيود والاغلال ونهب دورهم التي بأمر درمان

ولما أدخلوا السجن ناداهم الخليفة شريف قائلا « ان خيانتكم لم تدفع عنكم مكروها » ومكثوا في السجن نحو شهر ثم نفوا الى خط الاستواء

وقد رأيتهم وقت خروجهم من السجن يحيط بهم الحراس والاغلال في أعناقهم واقيدون أرجلهم فكان الحراس يحملون الواحد كما يحمل المتاع ويرمونهم في غدير السفينة كما ترمي الامتعة وهكذا ساروا الى خط الاستواء وكان ذلك في أواخر سنة ١٣٠٩ هجرية

### ذكر نفي الأمير أبي قرجة

ختمت سنة ١٣٠٩ وحوادث السودان فيها تحاكي ما يجري على الخليفة شريف وحزبه وأقارب المهدي ردخلت سنة ١٣١٠ ولم يبق من الأمراء أو أصحاب المقامات من الذين تجمعهم مع الخليفة شريف جامعة التحزب أو الجنسية غير أبي قرجة الذي تقدم لنا كلام كثير عنه حيث هو من أكبر أمراء المهدي الذين حاصروا الخرطوم وولى اتميادة العامة على جيش السودان الشرقي بدل عثمان دقنه كما مر ذلك

ولما عزل أبو قرجه عن بربر أعيد الى السودان الشرقي ولما نار الخليفة شريف كان هو غائباً لم يحضر تلك الحوادث فاستدعاه النعاشي في أوائل سنة ١٣١٠ وأظهر له رغبته في توليته الامارة العامة على خط الاستواء لسابق خبرته بتلك الانحاء فجمع نحو ثلاثمائة مقاتل سافر بهم الى خط الاستواء على احدى البواخر وسافر معه قائد من قواد البقارة يحمل كتاباً من النعاشي فحواه القبض على أبي قرجة ومن معه وزجهم في السجن حينما يبلغون خط الاستواء ودفع النعاشي الى أبي قرجة أمراً مضموناً انه أمير عام على سائر انحاء خط الاستواء

والحاصل ان أبا قرجة سافر من أم درمان أميراً على خط الاستواء ولكنه

كان موقنا بأنه ساع الى حتفه بظلمه لانه كان ذا ذكاء وعقل  
ولما وصل خط الاستواء أودع السجن هو ومن معه وقد بلغنا ونحن نهيء  
هنا الكتاب للطبع انه قد فر من سجن خط الاستواء ولحق باحد  
معسكرات بلجيكا التي في جهات بحر الزل ثم لحق بمملكة «برقو» فاکرم  
وفادته سلطاتها وانزله على الرحب والسعة لكنه لم يسمح له بالعودة الى بلاده  
على ألوف عادة اهل تلك البلاد خشية ان يكون رائداً يجوس خلال الديار  
هذا وان أبقرجة وان كان غاملاً مهما من عمال دعوة المهدي لكنه كان أقلام  
شراً وأكثرهم خيراً واقربهم الى العدل والاحسان  
وانني بسبب ما ذكرته عنه واحسانه اليّ في يوم كنت أساق فيه لادوت  
لايسمى الا ان اتني له نوال الخير في غربته والخلاص من ربة أسره

### عود الى ذكر بيت المال

ذكرنا آنفاً ما كان من صاب ابراهيم عدلان أمين بيت المال السابق  
وتولية النور الحريفاوي بدله  
وقد كان النور هنا ذا ثروة عظيمة جمعها مما نهبه من تجار المصريين  
في بربر كما مر ذلك وقد تناول سبعة عشرة ألف ريال من الحكومة ليشتري  
بها غلال فاغتمها وفر بها ولحق بالمهديين وبعد ان مضى عليه عامان في  
بيت المال زادت في خلاصتها ثروته زيادة عظيمة أخذ يفكر في وسيلة يتمكن  
بها من ترك وظيفة امانة بيت المال ليتاح له الانزواء بعيداً عن نظر التمايشي  
الذي كان يطمح الى ثروته فتظاهروا في أواخر سنة ١٣٠٩ بالجنون على أثر وقوعه  
بن جواده وأخذ يخالط في الكلام بحضرة التمايشي



وقد روى لي ثقة ان النور هذا كان سائراً من المسجد الى منزله في ليلة حالكة الظلام منفرداً وكان الراوي متأثره وهو لا يراه فسمعه يحدث نفسه ويقول « أحلف بالطلاق ان التعايشي سيصلبني كما صلب ابراهيم عدلان ليحصل على ثروتي والاجدر بي ان أسلمه هذه الثروة واحفظ حياتي لانفرد بنفسى واحترف بادنى حرفة يتعيش منها اطفالي » ثم يعود فيقول « كلا اذا دفعت له أموالى فانه يظن اننى خبأت معظمها ولم أظهر له غير جزء يسير منها واذا ذاك تحرك اطعمه ويعذبني لاسلامه الباقي ولا شك فى اننى أموت بسبب العذاب وحينئذ اكون قد جنيت على نفسى » ثم يقول « أحلف بالطلاق الثلاث ان المسألة معقدة لا يقدر أحد على حلها والاولى بي أن أظاھر بالجنون والله تعالى يفعل بي ما يريد »

ثم انه أظاھر بالجنون مدة حتى بداله أن يتضرع الى التعايشي ليقبله من أمانة بيت المال فأجابه التعايشي الى ذلك على شرط ان يجزىء اختصاص بيت المال الى ثلاثة اجزاء احدها أمين بيت مال يختص بمعامل الذخيرة ( الورش الحربية ) والثاني يختص بمال النبيء الذي يزعم التعايشي انه خاص به والثالث هو بيت المال الامام وأن يكون النور الجريفاوى اميناً لبيت المال الاول وأن يكون محمد بشير كرار العبادي قائد دابة التعايشي اميناً للثاني وأن يكون العوض المرضى أميناً للثالث

وعلى ذلك صار اختصاص أمانة بيت مال ( الورش الحربية ) منوطاً بالنور الجريفاوى وعليه ان يتفق مع التجار الذين يفدون الى الديار المصرية ليجلبوا المتقاير اللازمة لملك المعامل ويهربونها حتى لا تظفر بها الحكومة ولطعمه المسألة كلام خاص بها سنورده فى غير هذا المحل

أما اختصاص بيت مال النعمية فهي عبارة عن جميع موارد الإيرادات المهمة وذلك مثل خمس سلع التجار المصريين وعشر بضائع التجار السودانيين وخمس واردات بلاد الحبشة وغيرها من البلاد الأجنبية وعشر الصادرات التي تخرج من البلاد السودانية إلى البلاد الخارجية كالصمغ والعاج ودرش النعام وكذلك عشر واردات التجارة التي ترد على أم درمان من داخلية السودان وأهمها الحبوب والملح والبالح والموص الذي يصنع منه الحصر المسماة (إبراش) وكذلك إيرادات السنن الشراعية التي تنقل الحاصلات من جميع الجهات التي اغتصبها التمايشي كلها وجعلها ملكاً له وكذلك عوائد النزام (التمدية) في جميع الجهات وكل هذه الإيرادات مضبوطة بدفاتر وحسابات جارية لا يصرف منها فلس واحد في غير لوازم التمايشي على يد رئيس خصيانه (عبد القيوم)

وأما اختصاص بيت المال الثالث فإنه قاصر على الإيرادات التي تجلب بواسطة الجباة التي تقدم لنا الكلام عنهم وله اختصاص آخر هو مصادرة أموال الأغنياء وطلب القروض المالية من التجار حيث لا ترد لهم أبداً ومن امتنع صودر ماله كله وتنفق هذه الإيرادات على أقارب التمايشي فقط والحاصل أن التمايشي استأنز بجميع إيرادات البلاد حتى أصبحت في نهاية الفقر المدقع وأخذ يتفنن في أساليب زيادة الخراج ومضاعفة المكوس التي صارت التجارة معها كاسدة لا تربح شيئاً وبالجملة فإن الحالة كانت تنتقل من سيء إلى أسوأ وبمد الله كل شيء

## ذكر سورام درمان

قبل الكلام على السورناني بتمهيد في تخطيط مدينة أم درمان ومواقع  
احيائها ليكون القاري على بينة من ذلك فنقول

من الاصطلاحات التي جرى عليها المهديون أن يسموا كل جهة سكن  
فيها للمهدي باسم (بقعة) وقد يضاف هذا الاسم الى اسم المدينة الاصلية  
أو الجهة التي سكنها المهدي فيقال (بقعة الابيض) مثلاً لان المهدي كان  
ساكناً فيها أو (بقعة الرهد) وهو منهل جنوب الابيض لانه كان نازلاً فيه  
كما تقدم لنا ذكر ذلك

ولما زحف المهدي على الخرطوم كان أول معسكر اتخذته في جنوب أم  
درمان على بعد عشرين ميلاً عند مكان اسمه (الفتيح) بعيداً عن شاطئ  
النهر اتقاء لمقدوفات البواخر التي كانت تحاربه في الخرطوم ولم يجسر على الدنو  
من شاطئ النهر الا بعد سقوط الخرطوم في قبضته

وقد أشرنا فيما تقدم أنه عقد مجلساً للمداولة في أمر سكنائه فلم يوافقته على  
ذلك الامراء لانهم قالوا ان نقطة أم درمان يمكن أن نغادرها بسهولة الى  
كردفان اذا حدث ما يضطرنا الى التقهقر فنزل المهدي بها واختط المسجد  
وداره بعيداً عن ضفة النهر بنحو ميل واحد ونزل التعايشي جنوب بيت  
المهدي بنحو مائة متر في الجنوب الشرقي للمسجد حذاء منزل المهدي المتقابل  
لنقطة الوسط من قبلة المسجد وكان بين منزل التعايشي ومنزل المهدي ميدان  
فسح و نزل الاعراب والبقارة الذين أصلهم من جهات كرفان ودارفور  
وهم التابعون لرايات التعايشي جنوب منزله وامتدت مساكنهم الى الجنوب

الغربي والجنوب الشرقي الى قرب المعسكر الذي كانت به جنود الحكومة وهو (خندق أم درمان) ويبعد عن المسجد جهة الجنوب ببضعة أميال وقد اتخذ هذا الخندق معسكراً للجهادية الذين يقيمون بأم درمان وسمى معسكر أبي عنجه

ونزل جماعة من المصريين الذين كانوا بكردفان شمال هذا المعسكر عند نقطة (المواردة) وأمير هؤلاء المصريين هو حسن حسين الذي تقدم لنا الكلام عنه

ونزل يوسف منصور رئيس الطوبجية ومن معه من المصريين شمال معسكر أبي عنجه

ونزل الخليفة على حلو في الشمال الشرقي من منزل المهدي ونزل أتباعه (دغيم وكنانة) في الشمال الغربي من المسجد مما يلي السوق الذي نزل فيه جماعة من التجار وجاهم من اليونانيين واليهود والسوريين وأطلق على حيهم اسم (حارة المسلمين) ونزل الخليفة شريف شرقي منزل المهدي ونزل أقارب المهدي وسائر أتباع الخليفة شريف الذين جاهاهم من أهالي السودان الأوسط في الجهة الشرقية من منزله وامتدوا الى الشمال حتى اتصلت منازلهم ببضعة النهر وحد المدينة يومئذ يقف في جهة الشمال عند معسكر ابن النجومي الواقع في شمال المسجد بنحو ميلين فقط ولما أمر التعايشي بتخريب مدن الجزيرة في سنة ١٣٠٤ وحشد سكانها في أم درمان نزل سكانها في الجهة الشمالية لمعسكر ابن النجومي وصاروا يسدون أحياءهم بأسماء بلادهم الأصلية فيقال (حي المسلمية) و (حي رفاة) وغيرهما من بلاد الجزيرة حتى وصل امتداد حدود المدينة الى جهة (خور شبابة) التي تبعد عن المسجد بستة أميال

وعقب افشاء الخلافة للتعاشي وسع منزله حتى ادخل فيه الميادين  
الذي بين بين منزله ومنزل المهدي

ولما نار الخليفة شريف وأقاربه وصارت مقدونات جماعة الخليفة  
شريف تقع في وسط دار التعاشي خاف التعاشي عاقبة اختلاط المنازل  
فأمر باخراج جميع اقارب المهدي واتباع الخليفة شريف من منازلهم التي  
هدم جلها وأسكن أقاربه البقارة فيما بقي منها ليكون منزله محاطا من جميع  
الجهات بمن يأمنهم على حياته

وأسكن من أخرجوا من منازلهم في الجهة الواقعة شمال معسكر ابن  
النجومي الذي صار لا يسكن جنوبه غير البقارة وقد قاسى الناس أحوالا  
شديدة من جراء اخراجهم من منازلهم وصاروا في حالة تفتت الكبد اذ  
صاروا بينما يكونون في منازلهم يدخل عليهم البقارة فيأمرؤنهم بالخروج  
منها بغير ان يتمكنوا من حمل امتهتهم التي يأخذ البقارة جلها فيخرجون  
وليس عليهم غير ثيابهم وما غف حمله من ثاقه متاعهم فيتضون على هذه  
الحالة التعمية زمنا لا يستطيعون في خلاله تشييد مساكن ان كانوا من أولى  
اليسار وقليل ما هم وظل الفقراء في هذا الشقاء حينما وقد كان نصيب من  
هذه المصيبة عظيما وسيأتي تفصيله بعد حيث أخرج المعريون الساكنون  
بالقرب من معسكر أبي عنبه من منازلهم وكنت أنا من جملتهم

على أن بناء سور أم درمان يدل على ما خسر التعاشي من الخوف على  
حياته من ثورة الخليفة شريف

وفي ذات يوم رقى التعاشي منبر الخطابة وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم  
أمره باخراج من أخرجهم من منازلهم وأمره ببناء سور من الأحجار يتدى

من ضفة الهر حتى يبلغ منزله ثم يتجه الى الشمال حيث يصير شرقي المسجد  
وغربي منزله ثم ينتهي الى ضفة الهر أيضا وانه صلى الله عليه وسلم أمره أن  
لا يذن في السكنى داخل هذا السور لغير البقارة والجمادية ووضع أساس السور  
وجعل عرضه أربعة أمتار ووزع حصصاً على القبائل ومن جملتها المصريون  
الذين كما مر الكلام كنت أحد أمرائهم فكانت تذهب الى شاطئ النهر وتستخرج  
منه الحجارة ونحوها الى محل العمل ومكثنا على هذه الحالة نحو سنتين ثم في  
خلالها تشييد السور بسخرة الناس وبلغ ارتفاعه فوق خمسة أمتار

## ذكر قدوم الزاكي طمل من فشودة الى أم درمان

لما فرغ الزاكي طمل من قتل الشلك وأخضعهم لسلطة المهديوية حيث  
قتل ملكهم (عمر) الذي قيل عنه أنفا انه مولى من قبل المهدي وحمل رأسه  
الى التمايشي الذي أمره بمهادنة الشلك وإبرام معاهدة معهم وتولية ملك  
عليهم يكون من اعداء عائلة الملك السابق فأقام رجلاً من أطراف الشعب  
سماه (عبد الفضيل) ملكاً عليهم غادر فشوده بجيشه قاصداً أم درمان وذلك  
في أوائل سنة ١٣١٠

ولما بلغ أم درمان استقبله التمايشي بالحفاوة والاكرام وقدم له الاغذية  
ثم قدم الزاكي للتمايشي مقدارا عظيماً من المال الذي غنمه من الشلك وكثيراً  
من الماشية وأمره بأخذ الالهبة والاستعداد لمغادرة أم درمان الى بلدة  
أبو حرز

## الزاي في أبو حراز

أبو حراز قرية في الضفة الشرقية للنيل الأزرق تبعد عن أم درمان مسيرة سبع مراحل وهي مفتاح الطريق الوصول إلى التضاريف عن طريق الصحراء المسماة ( عقبة العذنبية ) وهي موطن لقبيلة صغيرة اسمها ( العركين ) ومن هذه القبيلة نبغ رجال في القرون الماضية اشتهروا بالصالح والاحرازوا منزلة عالية في مشيخة الطريقة القادرية وأشهر هؤلاء النابغين ( الشيخ الطربني ) وكان معاصراً على ما يروونه للشيخ تاج الدين الفاكهاني من مشاهير رجال الطريقة القادرية ببغداد وقد صحبه الشيخ الطربني وأقام معه في بغداد زهاء عشرين عاماً عاد إلى قرية أبو حراز وانتشر نفوذه الديني في سائر أنحاء السودان حتى أكرمه مارك السودان واقطعوه الأراضي الواسعة وخلفه عدد كبير من أولاده كانوا على قدمه في الشهرة واعتقاد الناس وماتوا كلهم ولهم قبور شيدت عليها قباب

ومن نسلهم الشيخ حمد النيل العركي وكان ذا نفوذ كبير في السودان وكتب له المهدي كتاباً تقدم لنا إirاده يتوعده هو وعوض الكريم بن أبي سن زعيم قبائل الشكرية لأنهما ساعدا الحكومة على قتل داعيته الشريف أحمد طه الذي تقدم ذكر قتله

ولما ولي النعاشي بعد المهدي صادراً أموال الشيخ حمد النيل وقتله صبراً في سجن أم درمان

ولنعد إلى ذكر الزاي طملاً فنقول أنه لما وصل إلى أبو حراز عكسها وأباحها لجنوده فأرهبوا سكانها سلباً ونهباً وأمر بقباب المشايخ فهدمت وشاد بانقاضها

داراً لسكناء وأطلق العنان لمقاتلته فانتشروا في مدن الجزيرة كلها ونهبوا أموال  
الاهالي وحملوهم من المظالم والمغارم مائتو بمحمله الجبال حتي كان آخر سنة ١٣١٠  
أصدر التعايشي أمره الي الزاكي طبل بمغادرة أبو حراز والحق بالقضارف وحي  
البلاد التي ذكرنا فيما مضى أنه خرج بها وحمل أموالها الي التعايشي ثم من القضارف الي  
كسله التي اتخذها معسكراً له بقصد شن الغارة على حدود الايطاليين في مصوع

### علائق التعايشي ومنليك

يدل تتبع الحوادث التي جرت بين المهديين والاحباش على أن منليك  
نجاشي الحبشة الذي خلف النجاشي يوحنا الذي مات قتيلاً بيد الدراويش  
في واقعة القلايات التي مر الكلام عليها وعلى ما تقدمها من حروب الدراويش  
والاحباش على هزيمة هؤلاء وظهور الاولين

وأول هاته الأدلة أن الاحباش لما انهزموا من القلايات وقتل منهم  
يوحنا كان المنتظر أن يعيدوا الكرة لاختد الثار وجلاء العار فلم يفعلوا  
وعلم من ذلك أن منليك الذي خلف يوحنا أيقن أن مصلحة مملكته تقضى  
بالكف عن مناوأة الدراويش لينفرغ لصد الفاتحين من الايطاليين الذين اغاروا  
على الحبشة من جهة مصوع وانتقصوا المملكة من أطرافها وهم طامعون في  
الاستيلاء عليها والقضاء على استقلالها

وقد أشرنا فيما تقدم الي أن سبب الحرب بين المهديين والاحباش أن  
النجاشي يوحنا خاف من انتشار دعوة المهدي بين مسلمي الاحباش فشرع  
في اضطهادهم واجبارهم على اعتناق النصرانية دينا فساء عمله اقبال الحبشة  
واستهجنوه وخافوا تفرق كلمة الاحباش الذي لا تحمد عاقبته وكان منليك



قيل ( التيقره ) وقتل لأول مستهجن لهذه السياسة الخرقاء وقد نصح النجاشي بالعدول عنها فلم يلتفت لنصائحهم

ولما قتل يوحنا النجاشي السابق وخلفه منليك أعاد الحرية الدينية إلى حالتها الأولى ومن ثم أزمّت جنود الحبشة حدودها وامتنعت من الاعتداء على تخوم الدراويش وبعد سنة سحب التعايشي جيشه من القلايات كما تقدم ولم يترك لحراستها أكثر من ألف مقاتل

وقد ذكرنا أنه وجه جيش القلايات لاختضاع أشلك في فشوده ثم وجهه إلى القصارف ومنها إلى كسله لمهاجمة تخوم الإيطاليين من جهة مصوع وكان هذا الاستعداد في وقت كان الإيطاليون يستعدون فيه للوثبة على الاحباش في ( لاريتره ) مما يدل على أن تقدم الزاكي إلى كسله متفق عليه بن التعايشي ومنليك وسيجي أن التعايشي لما أحس بدنو الحملة الانكليزية المصرية من أم درمان أنفذ سفيراً يستصرخ منليك لمعاونته

ولا مندوحة لنا عن الإشارة هنا إلى أن الإيطاليين كانوا حلفاء للدراويش على الحبشة وقد تمت هذه المحالفة بمعاوضة بعض رؤساء الحبشة الذين كانوا على رأي البعض معاضدين لانكائرا التي كانت ترمي بهذا الغرض لاشغال المهديين بمحاربة الحبشة عند حدود مصر حيث تجبني انكائرا وإيطاليا من وراء تلك الحروب أضعاف ما يجني الدراويش والاحباش مما تلقى إيطاليا إبانها من هؤلاء وتذكر انكائرا غايتها من أولئك

على أن ذلك كله مأخوذ من قرائن الاحوال ومن روايات بعض الذين لهم اطلاع على سياسة التعايشي الذي لم يصرح بشيء من أمر المحالفتين مما يدل على أنهما سريتان والحاصل أن منليك أفلح في سياسته التي نهجها إذ جني

من عاقبتها اراحة الحبشة من حرب دينية كحرب الدراويش ومن جهة أخرى  
ان تمكن من اشغال قسم من حامية ايطاليا بدفع الدراويش عن حدود بلادهم  
ثم كان من وراء ذلك انتصاره الباهر في واقعة (الاريتره) التي لا يجزمها  
القراء وهو ما يجعلنا في غنى عن التصدي لابرادها وتدوين تفاصيلها

### ذكر سجن الزاكي طمل وقتله بام درمان

الزاكي طمل هو الذي خلف القائد أبا عنجه في قيادة جيش القلابات  
كما بسطنا ذلك في مكانه وفي بداية ولايته انهزمت جيوش الحبشة في القلابات  
وقتل النجاشي يوحنا ثم وجهه التعاشي لاختضاع الشلك في فشوده فقتل  
زعيمها عمر وأتى فيها ما سبقت الاشارة اليه وأهله من قبيلة اسمها (البنضله)  
وهي التي منها أبو عنجه سلفه وهي قبيلة من العبيد المتوحشين في جنوب  
دارفور تسكن قبيلة (التماشة) وقد تقدم تعريفها بأوفى من هذا فلا حاجة  
لتكراره هنا وكان الزاكي هذا في بداية أمره جنديا مع النخاسين الذين يعيشون  
الفساد في بلاد العبيدوم المعروفون باسم (البجارة) وفي أيام المهدي صار قائداً  
من قواد جيش أبي عنجه حتى صار وكيله

ولما خاف أبا عنجه في الامارة خالفه في كثير من أحواله وصار فظاً  
غليظاً يسفك الدماء ويقتل مروضيه لاقول هفوة وأخذ يتظاهر بالانفاس  
في الترف وشاد له كسناه القصور في القلابات حتى أنه شاد قصرأ زوج فيه  
ابنه وشرع في نقشه وزخرفته بصفار بيض الدجاج وفرض على الاهالي تقديم  
البيض ومن تأخر عن الميعاد المضروب له عاقبه عقاباً صار ما فارقع عن البيضة  
الواحدة الي بضعة قروش ورحل الناس من القضايف على ظهور الهجن الي

بلاد الجزيرة لجلب البيض حتى تم النقش والتبييض

ولما اتصل بالتماشي خبر هذا القصر أرسل الى الزاكي يأمره بهدمه فهدم  
الدور الاعلى وترك الدور الاسفل وكان قد جلب له البنائين والنجارين من  
الخرطوم وكلهم مصريون

وبعد هدم القصر أمر التماشي الزاكي بمفادرة القضايف والحقاق بكسله  
لاخذ الاهية للفتارة على الايطاليين ففادر القضايف وعسكر في كسله  
وكان الزاكي في جميع أحوال ولايته حكاهم مطلق يفعل كل ما يراه واذا  
قدم أم درمان يستقبل بالخفاوة والاكرام ويخرج أنى سار في موكب يحيط به  
خمسون حارسا مسلحون وكان بما احرزه من الانتصارات على الاحباش والشلك  
وما كان يقدمه للتماشي من الاموال الطائلة يرى نفسه ذامنة على  
التماشي حتى أخذ يتفوه في حديثه بانه قادر على سلب الملك من يد التماشي  
ولولاه لم تقم له قائمة فسمى به الى التماشي وبعد وصوله القضايف نظمت فيه  
السماية وارتاب التماشي في أمره ونمي اليه انه طامح للاستقلال فارسل  
اليه يستقدمه فقدم عليه وخرج للقائه وبالغ في الاحتفاء به حتى انه تنازل  
الي معانقه وهي خفاوة لم يسبق من التماشي مثالا وبعد بضعة أيام اجتمع في  
منزل يعقوب جماعة من مشيريه أحدهم القاضى أحمد بن على وانفقوا على  
طريقة القبض على الزاكي فاستدعوه من منزله وجلس يعقوب داخل ثلاثة  
أبواب فلما دخل الزاكي الباب الاول حجبوا عنه الحراس فدخل بالاحراس  
ثم قابله القاضى أحمد وجلس معه داخل الباب الثانى ثم فارقه حيث ولج الباب  
الثالث الذى فى داخله يعقوب فجاء اليه جماعة بصفة رجال من حراس يعقوب وجثوا  
على ركبهم امام الزاكي ومد أحدهم يديه مسلما عليه فدفع له يده ليقبلها فأسسكها

ووثب الآخرون وأمسكوا سيفه ثم صرعوه وغلوا يديه فأخذ يصبح مستغيثا  
 يعقبوب الذي أمر بإرساله إلى السجن فوضعوها في رجله عشرة قيود  
 وجنزيرا كبيرا ومكث ثلاث ليال مع سائر المسجونين ثم عزل إلى غرفة في  
 السجن تسمى (غرفة الأعداء) فأجلسوه في وسطها وشبوهه بالأغلال  
 حتى كان لا يتمكن من التزحزح عن مقعده يمنة أو يسرة وربطوا الكمام ملابسه  
 وصار اثنين من السجنائين يذهبان إلى الحرات ويلتقطان المقارب ويدخلانها  
 داخل ملابسه وقد منع عنه الغذاء والماء فكث أربع ليال يصبح صياحا يفتت  
 الجمادات حتى ضاعت قوته ومات في منتصف الليلة الخامسة وحات  
 جثته وأقيت خارج البلد غذاء للطيور والكلاب وعين أحمد علي التماشي  
 قائدا للجيش بدله ولحق بكسلا بعد أن تلقى أوامر التماشي بالهجوم على  
 الايطاليين وسيأتي ذكر هزيمة الدراويش من وجه الايطاليين

### ذكر قتل صالح حسين خليفه

تقدم لنا ايراد شيء عن قبيلة (العبادة) والمناظرات الشديدة التي بين  
 (العشاباب) و(المليكاب) وقد أوردنا أن العشاباب نالوا إرهابهم من المليكاب  
 في دولة التماشي وتمكنوا من الإيقاع بحسن أبي خليفه الذي كان معسكرا  
 في نقطة آبار (المرات) بجيش من قبل التماشي  
 ولما قبض التماشي على حسن أبي خليفه ونفاه إلى خط الاستواء كما مر  
 ذلك احتل ابن عمه صالح بن حسين خليفه تلك النقطة برجال من قبيلته  
 (المليكاب) الذين كانت الحكومة المصرية تدفع لكل رجل منهم رواتب  
 من جنسه لاثنتين فأخذوا يغيرون على حدود المهديين وقد ذكرنا فيما مضى

إغارهم على (أبو حمد) وقتلهم ابن نعمان قاتل الكولونل ستيوارت قبل سقوط الخرطوم

وفي أوائل سنة ١٣١٠ هجرت شرفمة بن الدراويش على ضابط انكليزي برتبة بكباشي وآخرين في جهة وادي حلفا وقتلوهم غرة وحموا رؤسهم الى التمايشي وقد صالح خليفة ومن معه بالسبل وقبضوا على كثير من جواسيس المهديوية الذين هم من مناظرهم (العشاب) ومن بينهم رجل اسمه كرار ابن بشير كرار رئيس حملة بريد التمايشي وأسدوه للحكومة فأودعته سجن اسوان ولم تطلقه الا بعد ان كلها في شأنه بشير ابو جبران شيخ قبيلة العشاب فداد الرجل الى أم درمان وأخبر التمايشي بما يقاسيه جواسيسه من تضيق صالح خليفة عليهم وقطعه السبل عليهم فسأله التمايشي عن عدد المقاتلة الذين معه فأجابهم بأنهم لا يتجاوزون لما تين فارس التمايشي الى يونس الديك أمير دنقله يأمره بانفاذ خمسمائة راكب من (المرات) تحت قيادة عثمان ازرق للهجوم على صالح خليفة فانفذهم وفي صباح بعض الايام هجموا عليه ونشبت الحرب بينهم فقتل صالح خليفة وحملت أسلابه الي التمايشي الذي خطب في الناس بأن الله تعالى قد أهلك صالح بن خليفة وقتله بيد أنصار المهديوية شر قتلة

ذكر واقعة (غوردت) بين الايطاليين والمهديين

لما وصل أحمد على الذي خلف الزاكي طعل في القيادة الى كسله سار بجيشه وكان نحو عشرين الف مقاتل واغار على حدود الايطاليين وأثنى في القبائل الموالية للحكومة الايطالية واستولى على أحد الحصون وفر من

وجهه الايطاليون خدعة ثم كروا عليه وهاجموه على غرة فسقط أكثر من  
اثنى عشر الف قتيل من الدراويش وقتل أحمد على ومن معه من القواد  
ولم ينج غير النور عقرة أحد القواد ومعه نحو ستة آلاف مقاتل ولوا مذعورين  
حتى وصلوا الى كسله وأرسلوا يخبرون التمايشى بأمر الهزيمة التي ساء وقعها  
عنده وجزع جزعا شديدا حيث لم يبق عنده جيش يعول عليه غير جيش  
محمود الذي هزم في واقعة اتبره

### ذكر احتلال الايطاليين كسله

ذكرنا ما كان من أمر كسله وسقوطها في قبضة المهديين الذين نفت  
القبائل حولهم في بادي لا مر عدا القبائل التي كانت قاطنة بالرب من  
نعر مصوع فانها بقيت على ولاء الحكومة حتى احتل الايطاليون نعر مصوع  
وأشهراته القبائل قباينا ( بنى عامر والباب )

وكانت كسلة تابعة لإمارة عثمان دقنة الذي لم يمض على سقوط المدينة  
في قبضته الا عام واحد نفرت في خلاله القبائل عنه واشتدت وطأته عليهم  
فلجأ جملها الى ارباض مصوع واحتتموا بالايطاليين

وكان الحاكم على كسله من قبل عثمان دقنة محمد بن على دقنة وهو ابن  
اخي عثمان دقنة وفي أيامه نارت قبيلة الهدندوه عليه لانه سجن زعيمها  
وهجمت على السجن وأطلقتها من اعتقاله

وعقب ذلك ولي التمايشى ابانرجة وعزل عثمان دقنة عن منصب الإمارة  
كما مر ثم عزل ابانرجة أيضا وفصل حكومة كسله عن إمارة السودان  
الشرقي وولى عليها حامد بن على أحد أقاربه البقارة فعمها الظلم والدمار

وهالكت قبيلة الهدندوه التي كان عددها ثمان مائة ألف على مليون نسمة كما هلك غيرها  
من القبائل التي لا يقل مجموع نفوسها عن مليوني نسمة وحمل حامد بن  
على القاطير المنطرة من الذهب والفضة الى التمايشي وأخيه يتوب  
وفي سنة ١٣٠٩ عزل التمايشي حامد بن علي وولي عليها مساعد بن  
قيسوم الذي كان في دقنة مع ابن النجومي وقد ذكرنا بعض أخباره ضمن  
حوادثها التي تقدم إيرادها

ثم تلا ذلك الواقعة التي قتل فيها أحمد بن علي وهلك معه أسنا عشر  
ألفا من الدراويش

وكان مع مساعد في حامية كسله عبد الرحمن بن بان النقا الذي كان مع  
الجنرال هيكرس وقد ذكرنا بعض أخباره هناك وأنه أصابه ضربة سيف  
فقتل عينه فأخبر عبد الرحمن هذا مساعداً بأن الإيطاليين اقتربوا من المدينة فها  
بقوله ولم يأخذ لنفسه حيلة حتى ارتفعت الشمس فاذا الإيطاليون زاحفون  
على المدينة بانتظام حيث كانت القوة مشككة من قلب وجناحين فاندحر  
مساعد ومن معه من الدراويش وأسرعوا بالفرار وتركوا نساءهم في المعسكر  
الذي دخله الإيطاليون ووضعوا السيف في رقاب من فيه وأحرقوا الأكواخ  
بالبترول والنفار

وتخلف عن الدراويش كثير من أسرى المصريين وكذلك تخلف في  
المعسكر عبد الرحمن بن بان النقا آلاف الذكر فاصابته رصاصة أودت  
بحيائه ويقال أنه كان يرسل الإيطاليين ويطلعهم على عورات الدراويش  
هذا ما كان من أمر الإيطاليين أما مساعد ومن معه من الفارين  
فانهم لحقوا بمكان اسمه (أصوري) في الضفة الأخرى من نهر أتره وعلى

بعد نحو ست مراحل من كسله وهناك أرسلوا يبالغون التمايشي الذي كاد يفقد صوابه لشدة الفزع ما جرى فأرسل الى بان النقا والد عبد الرحمن يخبره أن ابنه مات كافراً لأن مساعداً لم يجد عذراً ليمتد به عند التمايشي غير أخباره بان عبد الرحمن كان يطلع العدو على عورات المعسكر ويرفع اليه أخباره وأخيراً تقدم مساعد الى أم درمان فتقبل من البقارة والتمايشي بالازدراء والاحتقار لفراره من وجهه العدو ولا يكن التمايشي أصدر منشوراً قال فيه ان المهدي أخبره بامر هذه الواقعة وان مساعداً شجاع وليس جباناً ونهى الناس عن تحقيره وتعميره

وقد استولى الخوف والرعب على قلب التمايشي وخاف تقدم الايطاليين الى جهات القضايف فامر بإقامة معسكر في جهة (اصوبري) على ضفة نهر اتبره

ذكر معسكر اصوبري وأخبار حامد علي وأحمد فضيل (اصوبري) اسم لمكان على نهر اتبره لم يكن حوله عمران ولا بلاد وغاية الامر انه علم على جهة صحراء (ديره) التي كانت قبيلة الشكرية البائدة ضاربة أطناها في أرجائها وهي صحراء واقعة بين النيل الأزرق ونهر اتبره ولما خلت الصحراء من أعراب الشكرية باتت اصوبري وغيرها قفراً بلقما ليس فيها دار ولا ديار غير وخوش الفلاة وحيوانات القفار ولما نهزم الدراويش وأجبلوا عن كسله لحق الفارون بجهة أصوبري حيث اجتازوا النهر وصاروا آمنين غارة الايطاليين الذين كانت طلائعهم تصل الى الضفة الشرقية من نهر اتبره الذي صار حداً فاصلاً بين العنيتين



وبعد ان جاءت اخبار الايطاليين الى أم درمان بايام جمع التعاشي رؤساء قبيلتي (الجمليين) والدنقليين وجعلهم من التجار وأولى اليسار وخطبهم في المسجد «قائلا انكم انصار الدين واصحاب المهدي الاقدمون وقد توفي المهدي وهو عنكم راض وقد علمتم امر الايطاليين وانهم قد أخذوا كسله منا ونحن نود منكم ان تكفونا ما اهتمنا من أمرهم وقد جعلت لكم ميزة على غيركم وذلك اني تركت لكم الخيار في من رضونه أن يكون قائداً عاماً عليكم وانكم لا تجهلون ما فيه بيت المال من العسر وأنتم بحمد الله موسرون فعليكم أيضاً أن تقوموا بنفقة سفركم من خاصة أموالكم» وأعقب ذلك بكلام طويل في مدح المجاهدين بأموالهم وأنفسهم واستشهد بالآيات الشريفة الآمرة بالمادحة للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم فقام جماعة منهم وقالوا لا نرى أهلاً لهذا المنصب غير حامد بن علي الذي كان أميراً على كسله وهو أخو أحمد بن علي الذي مات قتيلاً في واقعة آتبره فاندھشنا من كلام هؤلاء الذين لم يروا أهلاً للرئاسة عليهم غير بقاري واكننا ما لبثنا أن علمنا انهم موهون اليهم بهذا الاختيار لانه لا يمكن أن يولي الرئاسة في دولة التعاشي غير البقارة . فاستدعي حامد بن علي وصدر نطق التعاشي الذي كانوا يسمونه ابان دولته باسم (النطق الشريف) كما كانوا يسمونه بابه باسم (الباب العالي) بتعيين حامد على قائداً على الجمليين والدنقليين ومرابطاً في ميسكر أصو بري

هذا وقد كنا نظن أن التعاشي يروم أن يري الايطاليين من هذا الجيش العرمرم بما لا قبل لهم به ولم يكن يدور في خلدنا أن غاية الاستفادة من ثروة الجمليين والدنقليين وجعلهم كما قلنا من التجار وأولى اليسار فقد أصدر أصراخواه التفاوض لحامد بن علي في إشخاص من يري إشخاصه وترك من يري تركه

من الرؤساء والرؤسين من الاجناد والمقاتلة قبل الناس الى داره يقدمون له الرشاعلى تركهم فكانت الرشوة عن كل شخص خمسمائة ريال فصاعدا كل بحسب ثروته وما يملكه من المال اغتتم حامد بن على القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وقد كان للتعايشى وأخيه يعقوب النصيب الاوفر من هذه الغنيمة

وبعد أن فرغ حامد بن على من أخذ الرشاسار في بضعة آلاف الى أصوبرى وجعل معسكره على ضفة نهر (أبهره) وأقام الناس وهم في حالة ضنك شديد لان ما حوالى أبهره لم يكن مأمو لا بنير الاعراب الرحالة الذين بادوا وختل الديار منهم منذ أعوام وكذلك كان من في الماء كرفي شظف من الميش تجلب لهم الجبوب من القضارف التي تبعد عنهم بمسيرة عشر مراحل ودواب النقل قليلة جداً وليس في المعسكر شىء من الحضر وقس على ذلك سائر حاجيات الافراد وشأن حامد داراً واسعة لسكناء وقصره على مصادرة أموال من معه من المقاتلة واغتصاب نساءهم حتى جمع في داره من الحظيات الاوائى تضرب الامثال بجمالهن اكثر من عشرين محظية ونحو أربعمائة غلام لا تتجاوز أعمارهم خمسة عشر عاماً عاشت البلاء على الذين معه من القواد وعيل صبرهم وأخذوا في رفع الشكاوى تباعا الى التعايشى يوضحون بها سوء سلوك حامد المذكور ويخبرونه بأن معسكرهم لا أهمية له وأن الايطاليين لا يتقدمون خارج كسله

وكان في القضارف أحمد بن فضيل البقارى ابن عمه التعايشى أميراً من قبله عليها فكتب اليه يأمره بالشخوص من القضارف الى معسكر أصوبرى لتحقيق شكاوى الامراء من حامد بن على فشنخص الى أصوبرى وقدم له

الامراء أموالا طائلة ليدعي في خلاصهم من ظلم حامد بن علي أولا ومن  
معسكر اصوبري ثانياً فأمرهم بتدوين مطالبهم في عريضة يقدمونها له ففعلوا  
وكتب الى النعاشي يسأله اجابة التماسهم فاصدر أمره الى أحمد بن فضيل عصابة  
أموال حامد بن علي والغاء معسكر اصوبري وإضاعة مقاتلته على القصارف  
فتناول أحمد بن فضيل أموالا طائلة من حامد وأرسلها الى النعاشي وقفل  
راجعاً الى القصارف ومن يومئذ أنى معسكر اصوبري

### اجمال حال السودان بعد ذلك

رأيت من مفصلات ما سردناه أن حالة المهدوية تبدلت تبديلاً عظيماً  
وتوالى عليها الفشل في أماكن متعددة وبالجملة فإنها لم تقم لها قائمة منذ سنة  
١٣٠٦ ولم تجنى ثمرة انتصار في ميدان قتال بعد نصرتها على أبي حمزة في  
دارفور ونجاشي الحبشة يوحنا في (القلابات) وكلا الانتصارين كانا في سنة ١٣٠٦  
ثم تلت ذلك الفتن الداخلية والاضطرابات الاهلية كانتقاض الخليفة  
الشريف وغيره ممن بينا لك حوادثهم واستقصينا فيما تقدم أخبارهم  
وقد أضربنا عن ذكر كثير من سفاسف الامور فراراً من التطويل  
ولأنها كثيرة تحتاج الى مجلدات ومنها أخبار الذين حاولوا قتل النعاشي الذي  
صار لاهم له غير المحافظة على حياته ودفع من يريدون به السوء ولذلك زاد  
في عداد حراسه حتى بلغوا ثلاثين ألف مقاتل فكان اذا خرج من منزله الى  
المسجد أحاط به عشرون ألفاً مدججون بالسلاح ثم يحيطون بالمقصورة بعد  
دخوله فيها فلا يستطيع أحد الدنو منها  
أما هو فقد انغمس في ملاذ أكثر من ذي قبل وضخم جسمه حتي

صار أضعاف ما كان عليه قبل ذلك

أما الأهلون فقد فقدوا كل شيء ولم يبق بأيديهم من وسائل الحياة سوى بعض الاراضى التى يستغلون منها الحاصلات التى يأخذ بيت المال نحو ثلاثة أرباعها

وكثر الزنى والقتل فى الاعيان لا - باب غير انتقاض الخليفة شريف ومن الذين نفوا وقتلوا فى منافع اسماعيل بن عبد القادر ابن أخت الشيخ المكي وكان فقيها أزهريا اجتمع بالمهدي فى الأبيض واشتغل عدة سنوات بكتابة سيرة المهدي وتدوين وقائع المهذوية وفى أخريات أيامه صار من مقرري التعايشى فوثبى به حساده بأنه يمتد اجاسريا ضد المهذوية فنفى الى خط الاستواء وقتل فى منفاه

وأصدر التعايشى أمرا قال فيه ان كل رجلين اجتماعا بعد صلاة العشاء خارج المسجد يعد اجتماعا لغاية هى الانتقاض كما أصدر أمرا بإبطال المنتديات العمومية ( القهاوى ) لأن أكثر الذين يدبرونها مصريون ولأن الذين يجلسون فيها لشرب القهوة يتكلمون فى أشياء تمس المهذوية وهذا كله كما لا يخفى خوف من الاجتماعات التى ربما اتفق المجتمعون فيها على خلع طاعة التعايشى وقد تغيرت حالة العمال والجبسة الذين سبق لنا الكلام عنهم حيث عين التعايشى أحمد السني جاكاً عاماً على أقسام الجزيرة وألزمه بتقديم مائتى ألف ريال الى أخيه يعقوب وثمانين ألف أردب من الذرة ومائة ألف ثوب من خرقة ( الدمور ) وهذا عدا الهدايا والتحف والجواري الحسان والحيول

وعلى ذكر أحمد السني نورد هنا ترجمته فنقول هو من عشيرة صغيرة تنسب

الى رجل اسمه مدنى السنى وأصله من عشيرة ( البصيلية ) فى جنوب مقاطعة  
قنا سكن هذا الرجل فى قرية بين الخرطوم وسنار يطلق عليها اسم ( ودمدنى )  
ثم مصرتها الحكومة ابان الفتح الاول وجعلتها قاعدة حكومة السودان وكان  
المرجع من رعاى وأوفاد هذه العشيرة وكان يرعى غنم المرحوم الشيخ محمد  
بخيت الجمل سر تجار تلك المدينة

ولما خضع السودان للمهدوية وصار ابراهيم عدلان الذي تقدم لنا  
ذكر تعيينه أميناً لبيت مالها وكانت أمه من هذه العشيرة لحق به المترجم فلم  
يزال ابراهيم يرفعه رعاية لحقوق القرابة حتى صار رئيساً لقلم مبيعات بيت  
المال فكان جزاء ابراهيم أن أحمد السنى هذا صار من أعدائه الذين وشوا  
به عند التعايشى وكانوا السبب الاقوى فى الايقاع به كما ألمعنا الى ذلك فيما  
تقدم من هذا الكتاب

وبسبب وشاية هذا الوضع بمن أحسن اليه ورفعته من حضيض  
الخلول الى ذروة العلى التي صار بها ذا حيثية فى الوجود رفعه التعايشى حيث  
آنس منه لثوما ودناءة هو فى حاجة الى استخدامهما للنهب والسلب وأكل  
أموال الناس بالباطل فولاه على الجزيرة كلها فارحق أهلها ظلماً يعجز عن  
وصفه القلم وسلب مابقى فى يد الاهالى من الثروة ووسائل الحياة وجمع  
لنفسه أموالاً طائلة تقدر بمئات الآلاف

والحاصل أن حالة السودان فى هذه السنة أى سنة ١٣١١ هجرية  
كانت تفتت الاكباد وتنذر بسوء المصير ولاغربة فان الظلم مدمر لكل عمران



## ذكر قراءة الناس بالالواح

كان التماشي أميا يجهل الكتابة والقراءة وكان اذا أم الناس في الصلاة الجهرية يسر في القراءة حتي لا يسمع من وراءه قراءته التي يرجح الا كثرون انهم لم تكن قرآنا لانه فضلا عن جهله المركب كان بليد الفهم حتي قيل ان الذي أقرأه فاتحة الكتاب نضي معه مدة في سبيل تلقينه اياها وفي سنة ١٣١١ شرع في قراءة السور الصغيرة من القرآن الشريف وخطب في الناس قائلا يجب على كل فرد من أفرادكم صغيرا كان أو كبيرا أن يحضر بعد ثلاث ليال لوحا من الخشب ويبتديء في كتابة القرآن كما يفعل صبية المكاتب فاجابه أحدهم بأن كثيرا من الناس يحفظون القرآن عن ظهر قلبهم ومنهم العلماء والفقهاء فالاولى أن تكون القراءة الزامية بالنسبة للاميين والذين لا يحفظون القرآن فاجابه التماشي بان حفظه القرآن والعلماء والفقهاء لا تنفعهم معرفتهم ولا تغني عنهم فتيلا الا اذا امتثلوا ما أشرت به عليهم فاجابوا بالسمع والطاعة وانصرفوا الى حوانيت النجارين لصناعة الالواح فارتفعت أثمان الالواح وكان الفائز من يتحصل على لوحه قبل الميعاد المضروب لكيلا يصبح تحت طائلة العقوبة

وبعد ثلاثة أيام أحضر جل الناس الالواح فلما رآهم رقي منبر الخطابة وقال لهم هيا ابدأوا بقراءة القرآن من 'وله وعلى كل أمير أن يجمع آاعه في المسجد بعد غروب الشمس ويؤمر نارا من الخطب يحيط بها الناس ويقرؤن ألواحهم على ضوءها حيث يصير الأمير كفقيه يعلم الصبيان فينتهر هذا ويزجر ذاك وهكذا ثم يمر التماشي متفقدًا تلك الحلقات كأستاذ أكبر ويقف على كل حلقة

ويبدي ما يعين له من الانتقاد فانظروا الى هذه السخافة فكأن هذا الطاغية  
 الغشوم لم يكتف بما صار له من السلطان بل الناس يحكم فيهم كيف شاء  
 حتي أراد ان يجعل نفسه معلم صبيان فيجعل شعبه كاطفال يتعلمون  
 على أنه ربما كان الباعث له على هذا الامر هو أن والده ( التمايشي ) كان  
 يعلم الصبية القرآن وقد كانت نفسه قبل نبيله الملك تتوق لان يكون معلم  
 صبيان كايه وكان بينه وبين تلك الامنية صعوبة تعامه القراءة والكتابة فلما قدر  
 له أن يكون ملكا رأي أن يقضي وطره من تلك الامنية التي كان دون وصوله  
 اليها خرب القناد هذا ما يمكنني ان ابرره به سخافة ذلك الظالم ان كان ثم ما يبرر  
 السخافة والا فالناس كلهم كانوا في حيرة لا يمتدون معها الي الباعث له الي  
 هذا الامر

والحاصل أن الناس ظلوا أكثر من عامين حاكفين على القراءة في المسجد  
 والتمايشي بثلثه بالتبخر حولهم وتقدم حلقاتهم التي كانوا يتكوفون فيها  
 ويرفعون أصواتهم بالقراءة

ولسنا ندري بعد ذلك هل زالت عنه بلادة الفهم ووفقى الى حفظ بضع سور  
 من القرآن الشريف فانه استمر على القراءة سرا سرا كانت الصلاة مما يسرفي  
 قراءتها أو يجهر فيها وكان يحمل لوحا مثل بقية الناس يخرج به من منزله ويعود  
 به وكان من جملة ما أمر به أن يحمل أرباب الموانيت من التجار والصناع التواحا  
 تكون معهم مسددة العمل وبعد غروب الشمس يحملونها الى المسجد لينضموا  
 الى الحلقات التابعة لها حتي ارتفعت أصوات الناس بالنذر والشكوى وبعد  
 أكثر من عامين أصدر أمره بمقاطعتهم من القراءة فتركوها وهم فرحون

## ذكر بقية اخبار سلاطين باشا وشرار

وعدت بذكر بقية اخبار سلاطين باشا التي وفقت فيها عند ذكر سجنه لما وتمت عليه تهمة مخارة المأسوف عليه غردون باشا واقول الآن انه ظل مسجوناً الى ما بعد سقوط الخرطوم حيث أطلقه التمايشي من السجن وأمره بالازمة بابه مع شرفة من حراسه يطاق عليهم اسم (اللازمة) فظل مقبلاً هكذا وشاد لنفسه داراً بالقرب من منزل يعقوب أخي التمايشي وكان يقضى معظم ليله ونهاره في باب التمايشي رافعاً صوته بالتهليل وكان صوته أشبه بنغمات الافرنج وكان عنده من الخيل حصان يركبه كلما ركب التمايشي وكان في بيته جوارلخدمته أهداهن له التمايشي ومن رقيات عليه وكان يلبس الملابس الرثة اظهاراً للزهد وتمويهاً على اجتناب الرفاهية وكان يمشي في أكثر الاحيان حافياً وكان له حذاء من نوع النعل الذي يقال له (شقبانه) واذا ركب جواده في موكب التمايشي تميم بهامة حمراء وتمنطق بمنطقة حمراء مثل سائر الفرسان وفي بعض الاوقات يحمل بندقية من طرز رامنجنون من النوع المخصص للفرسان وكان شديد الحذر والنية فلما يظهر ماتكنه نفسه من المقاصد وله اصدقاء كثير من منهم من لا يصدق بدعوى المهدوية أصلاً وهؤلاء لا يحترس من التصريح لهم بما يوافق مشربهم وله اصدقاء أيضاً من الذين يصدقون بدعوى المهدوية لكنهم ينقمون على التمايشي ويودون أن يكون سيره مطابقاً للمدلة التي تكفل عمران البلاد وتنظيم الحالة وهؤلاء يظهر لهم انه من الذين من الله عليهم بالهداية الى الاسلام وانه يود من صميم فؤاده ان تصبح دولة المهدوية من أرقى دول الارض ويتفهم بكثير من اخبار تقدم الممالك وما



يلزم له من ضمانه العدالة والمساواة اللتين هما اس العمران وله اصدقاء  
غير هؤلاء واولئك وهم البقارة والذين معه في ملازمة باب التمايشي وهؤلاء  
يظهر لهم في كل لحظة وحين انه من اخلص الخالصين للتمايشي وربما ألقى عليهم  
من المواعظ ما يزيدهم تمسكا بولاء التمايشي حيث يقول لهم ان لاسلامه  
للانسان في الدنيا والاخرة بغير ان يكون طائعا لحليفة المهدي في كل  
ما يأمر به

والخلاصة انه صار ذا صداقة مع جل الناس ومع ذلك كله لا تجدد منهم  
من لا يحترمه ويشهد له بالعقل والدهاء  
وأما علائقه مع قلم المخابرات في مصر فبالطبع انه كان يكتمها كل  
الكتمان ولكن يظهر انه كان ذا علاقات كثيرة معه اذ كان يوافيه ببعض الانباء  
مع حذر وتيقظ

هذا مجمل حال سلاطين باشا وفي اواخر سنة ١٣٠٣ كان التمايشي  
انفذه بمأمورية الي يونس الديكم لما كان مسكرا في (ود العباس) فماد منها  
ويقال انه قدم للتمايشي نصائح عديدة كان البعض يظن وقوعها موقع القبول  
عند التمايشي فخابت ظنونهم

وأما فراره فقد تم الاتفاق عليه بين قلم المخابرات وشخص يدعى  
(احمد الفحل) احد أفراد قبيلة الجميلين وكان علي مابغنى جاسوسا لقلم المخابرات  
براتب قدره عشر جنيهات وكان يتستر بالتجارة في ذهابه وايابه الي مصر  
وكذلك يوجد شخص آخر اسمه (الصادق بن عثمان) كان يماون أحمد الفحل  
لانجاز هذه المهمة قدم الشخصان أم درمان وخبأ الجوال وادلاء الطريق خارج  
أم درمان واخبراه بالامر فلم يربدا من الفرار لانه أصبح في خطر من

التعايشي بسبب ان بعض التجار جاء باعداد من احدي الجرائد المصرية وفيها  
من الاخبار ان الحكومة باذلة جهدها لانقاذ سلاطين باشا وان الجائزة  
التي كانت مجمولة لمن ينقذه ضوعف مقدارها فاشترى سلاطين باشا احدي  
تلك النسخ بمبلغ من الريالات ثم علم بوجود غيرها وانه لا سبيل الى شرائها  
بغير مبالغ عظيمة وذلك من جملة الاسباب التي جرته على المخاطرة بحياته  
في سبيل الفرار كما قيل

اذا لم يكن غير الاسنة مركبا فلا يسمع المضطر الا ركوها  
وكان التعايشي وقتئذ ملازما داره لانحراف طرا على صحته فاغتم سلاطين  
باشا الفرصة وغادر ام درمان فارا الى اصوله حتى بلغها بعد جهد جهيد وبعد  
ما عين الهلاك بعينه ولا فائدة لنا بعد ذلك في سرد مآلقاته في الطريق من  
الصعوبات وما قاساه من فادح الاخطار لانه والحق يقال شجاع من الذين  
لا يبالون بالاخطار وذو ذكاء تضرب بحذقه الامثال على انه اذا كان الفضل  
لكتشرباشا فيما أبداه من الحنكة والتدريب في فتح السودان وونج باشا في  
ادارة المخبرات التي تتوقف عليها اسباب النجاح فان سلاطين باشا لا يصح  
أن يغفل ذكره كلما ذكر هذان القائدان اذ هو صاحب المعلومات التي كان  
الاثنان في حاجة لها في جميع أطوار الحملة. والخلاصة انه من الذين كانوا السبب  
الاكبر في انقاذ بلاد السودان من ربة الظلم والاستبداد وسيدكر ما ذكر  
هذا الفتح الحميد والى الله عابدة كل شيء

وأما التعايشي فلم يتصل به نبأ فرار سلاطين باشا الا بعد يومين مضتا على  
فراره فاحتدم غيظا واركب خلفه الركبان الذين رجعوا بغير أن يدركوا غباره  
وقد كان من شدة غضب التعايشي انه أمر بسجنى خوفا من فرارى كما سيحيى

ذكر لك مفصلاً فيما يأتي وكما سيجيء ذكر القبض على اللذين دبرا له الفرار  
وهما أحمد الفحل والصادق عثمان

ذكر نفي أحمد الفحل والذين ساعدوه علي فرار سلاطين باشا  
قلت ان أحمد بن الفحل كان جاسوساً لقلم الخبايا المصرية يتناول  
راتباً قدره عشرة جنيهات ورفيقه الصادق بن عثمان كان كذلك لكنني لا أعرف  
مقدار الراتب الذي كان يتناوله على الجاسوسية

وأحمد الفحل هذا من قبيلة صغيرة من الجميلين تسكن قرية اسمها  
(الغلاب) في الضفة الغربية للأنيل وعلى بعد بضعة أميال جنوب بربر وأما  
الصادق عثمان فانه كان من أهالي بربر وكان من جنود الحكومة (الباشبوزق)  
ثم ترك الجندية وصار يتجر بالسلع ظاهراً وبالجاسوسية باطناً

ولما عقدا الاتفاق مع قلم الخبايا الذي لا بد أن يكون نفعهما شيئاً من  
المال يستعينان به على ابتياع الجمال وشراء الدواب واستئجار الادلاء غادرا  
القاهرة ولحقا ببربر ويظهر أنهما كانا ذير مبايعين بما عقدا النية على انفاذه  
حيث أخذوا في شراء الجمال بنفسهما ومعهما الادلاء وهما في بربر وقد كنت في  
حيرة عسر على الاهتداء معها الى الاسباب التي ملأت قلوبهما جرأة حتي  
صارا في حركة كانت سببا في وقوعهما في برائن التعايشي حتى نقل الي بعضهم  
أن أحمد الفحل قدم رشوة من المال الي الزاكي عثمان أمير بربر يؤذو أطامه  
على ما ينويه فوعده بالكف عن عمره حتى صار يباشر شراء الجمال غير خائف  
ولا متحيب حتي أن التعايشي لم يستدل علي الذين هربا سلاطين باشا الامن  
أحد أهالي بربر كما تراه مبسوطاً في هذا الباب ويظهر جلياً للمتأمل صحة هذا

القول ولو لم يكن كذلك لما خفي على الزاكي ما يحاوله أحمد الفحل ولا استطاع أن يقبض على سلاطين باشا قبل مغادرته قرية الفحل ولا وقد نقل الى مخبري أيضاً أن أحد الجواسيس أخبره بأن سلاطين باشا لما بلغ قرية الفحل ذهب وأخبر الزاكي بمكمنه فأمر بإيداعه السجن لكيلا يذاع الخبر وبعد بضعة ليال أطلقه بعد أن أمره بكتمان هذا الامر

والخلاصة اني أرجح اشتراك الزاكي في مسألة هرب سلاطين باشا وأنه تناول رشوة اذ كان أحمد الفحل صديقاً حميماً له ومقرباً عنده. والحاصل أن أحمد الفحل ورفيقه لما غادرا بربر ولحقا بأمر درمان وأوعزا الي سلاطين بالهرب وظل التمايشي في حيرة لا يعرف معها من ساعده علي الهرب قدم عليه عبد الماجد بن الحاج محمد وهو ابن أخي محمد الخير الذي كان داعية المهدي في بربر فأخبره أنه رأي أحمد الفحل ورفيقه الصادق عثمان ومعهما دليل يتعاون الجمال في بربر فأرسل التمايشي العوض المرضي أمين بيت المال الى أحمد الفحل فاستدعاه اليه وقال له اننا نريد منك أن تجلب لنا موسيقى من القاهرة فمات لهم نعم أنهم لم يأتوا باحضارها وبينما هو في الكلام اذ هجم عليه العبيد وقبضوا عليه وأوثقوه كتافهم زوجوه في السجن وكذلك قبض على رفيقه الصادق عثمان وعلى شخص آخر يدعي ابن أبي بشر اتهم بأنه كان يمينهما ثم أرسل التمايشي الي بربر فقبضوا على الدليل الذي رآه معهم وهو عبد الماجد الآنف الذكر ولما أوقف الدليل بين يدي التمايشي خاطبه قائلاً اذا صدقتني الخبر فانت آمن علي نفسك ومالك فاجابه قائلاً ان أحمد بن الفحل والصادق عثمان استأجرا من بربر وجاءا بي مع الجمال التي اشتراها منها وتركاني في سفح جبل (كرري) ثم أتاني في يوم كذا بنصراني مبيتور الاصبع الوسطى وقالوا

لى أوصله قرية ( الفحلاب ) وسلمه الى أخوة أحدها أحمد الفحل فذهبت  
وأوصاته لهم ثم لا أعلم ماذا صار فامر به الى السجن وبعد أيام أطلقه ولم  
يصبه بسوء إذ تحقق صدقه ثم أرسل فقبض على أخوة أحمد بن الفحل  
الثلاثة وأودعوا السجن وبعد أن مضى عليهم شهران فى السجن سجنوا فى  
خلالها معهم كما ذكر ذلك فى مكانه فاشعرت الانحو خمسين عبداً من حراس  
يعقوب دخلوا السجن وبايديهم السياط فاخرجوا أحمد الفحل والصادق عثمان  
وابن أبى بشر وأخوة أحمد الفحل الثلاثة ونزعوا ثيابهم عنهم وقرنواهم فى  
الاصفاد وأخذوا يضربونهم بالسياط حتى تمزقت جلودهم وسالت الدماء منهم  
وكانت احدى البواخر راسية على ضفة النهر فسبوا اليها وهى على وشك  
الغمر الى خط الاستواء ولما وصل هؤلاء المسجونون الى ضفة النهر أغمر  
عليهم من شدة الضرب فكان الحراس يحملونهم كما يحمل المتاع ويلقونهم  
فى غنابر البخرة فكانت تسمع مصادمة اجسامهم مع جسم قاع البخرة  
كانهم من نوع المتاع ثم اقلعت بهم البخرة الى خط الاستواء وهناك لقوا حتفهم  
فهؤلاء هم الذين ذهبوا ضحية سلاطين باشا وانا سابعهم لى كنتى والله الحمد  
نجوت بعد عذاب قاسية خمس سنوات فى السجن كما سيأتى ذكر ذلك

### ذكر سجن ابراهيم حمزة وجماعة من اعيان بربر

ابراهيم حمزة عميد قبيلة فى بربر اسمها ( الانقرياب ) ولما وصلت دعوة  
المهدي الى بربر نفر عنها ابراهيم وقومه وبقي على ولاء الحكومة حتى اكره على  
الخضوع للمهدوية وهو كريم جواد ذو أياذ بيضاء على جل اسرى المصريين  
وفو سعة وسيجيء فى اخبار سجن المؤان ذكر كثير من شمائله الغراء

ولما فر سلاطين باشا كما تقدم وبلغ قرية ( الفحلاب ) ذهب خبر الى  
ابراهيم حمزة هـ ا وأعلمه بمكمن سلاطين فامتنع من القبض عليه وبحث اليه  
من حذره وامره بسرعة الريل وأوصي نومه بعدم التعرض له وتظاهر  
بعدم العلم بامره فاتصل ذلك بالتعايشى فارسى يستقدم ابراهيم وبعض أقاربه  
ومنهم ابن عمه محمد الشايقى وكذلك استقدم منصوراً ومحمداً ابني العجمي وهما  
عميدا عشيرة في بربر أيضاً

ولما قدم ابراهيم جلس التعايشى مع القضاة واهل الشورى وادخل  
عليه فسأله قائلاً لماذا تركت سلاطين اجناز بلادك فاجابه يامولاي اني لم  
اعلم بامرهم وانه شيطان قادر على الفرار من بابك وفلت من ايدى الالوف  
من حراسك فكيف لا يقدر على اجتياز بلادى التي هي فلاة مملوءة بالادغال  
والغابات فاطرق التعايشى ثم امر بسجنه وابن عمه وكذلك ابني العجمي  
ووضع في رقبة كل منهم جنزيراً من الحديد وجملة من القيود فمكثوا في السجن  
خمس سنوات حتي انقضى لهم اللورد كتشنر يوم فتح ام درمان وسنذكر بقية  
اخبارهم في السجن وما كان من احقافهم بي فيه اذ لولا ما كان يبذل  
ابراهيم حمزة من المال في سبيل دفع اذي السجائين عنى لهاكت فجاءه الله  
عنى أحسن الجزاء

تمهيد في ذكر السجن ونظاماته واطلاق اسم

الساير على كل سجن

علمت مما تقدم كيف هرب سلاطين باشا الذي لم ألبث بعد فراره الا  
أياماً قلائل صار سجنى تقرباً حيث ظلمت في السجن خمس سنوات ثم أطلق

اعتقالي منه اللورد كيتشنر يوم دخل أم درمان

ولما كان جل ما يحى ذكره في أخريات هذا الجزء من أخبار السجن التي قاسيتها رأيت أن أقدم هذا التمهيد في ذكر نظمات السجن وترجمة السجن للمسمى (الساير) ادريس الذي اطلق اسم الساير على كل سجن من سجون المهدي وفي الانحاء الخاضعة له لاجله فاقول أما ترجمة الساير المذكور فانه أعرابي من قبيلة (الجمع) التي تسكن شرق كردفان وقد تقدم لنا ذكر شيء من عوائدها التي من جملتها ان الفتاة لا تتزوج الا بعد ان تلد بضعة أولاد من الزنا ليعينوا اخاها ويعالق عليهم اسم (عينه خالهم) وكان الساير هذا من أكبر أشقياء تلك القبيلة وكان رئيس عصبة تقطع الطرق بالهلب والسلب

ولما ظهرت دعوة المهدي في جبال قدير لحق بها الساير فقلده المهدي وظيفة سجان ومن ثم اطلق على السجن اسم الساير وأما أوصانه فانه كان ربة في الطول بدين الجسم ولونه نحاسي غامق ووجهه عبوس وكان عينه شملة نار

وكان التماسي لا يدفع له مرتبا ولكنه ذو ثروة عظيمة تقدر بمئات الألوف جمعها من الذين أوقعهم نكد الطالع بين يديه وسترى فيما يأتي أمثلة من ضروب ابتزازه اموال المسجونين

وأما عوانه منهم كثيرون وجاههم من المبيد (الجهادية) ورؤساؤهم من ذوي قرابته من قبيلة الجمع

وأما السجن نفسه فانه عبارة عن سور من اللبن الاخضر على أكمة مرتفعة عند ضفة النهر وفي داخل السور العام عدة اسوار ومبان اسكنى الخفاء وجلس السجن

وأما غرف المسجونين فهي كثيرة منها ما هو مشيد بالحجارة وجلها ليس له نوافذ لتبديل الهواء ويوجد من الغرف ما يطلق عليهما اسم (الاعدام) وعلى كل حال فإن السجن نوعان خفيف وثقيل أما الخفيف فهو عبارة عما يعامل به الذين يسجنهم القضاة بسبب الديون أو الحدود وغيرها وأما الثقيل فمخصوص بالذين يسجنهم التعاشي وهم في الغالب ذوو الجرائم السياسية وما يالحق بها وسترى فيما يأتي ذكر كثير من أخبار السجن وغرائبه والله الموفق



### ذكر سجن المؤلف

لما فر سلاطين باشا استدعى التعاشي القضاة وكثيراً من أهل شوره وجلس معهم وعدد لهم مآثاه مع سلاطين باشا من أنواع الاكرام وما غمره به من الاحسان ومع ذلك فقد كفر تلك النماء وارتد عن الاسلام ولحق ببلاد الكفار فأجابوه بالاستغراب وقال له أحدهم انه لا أمان لمن كان وجهه أبيض خصوصاً اذا كان ذا وظيفة في الحكومة وقال له آخر ان سلاطين قد كان مضمرًا للكفر مظهرًا للإسلام والدليل على ذلك انه كان صديقاً حميلاً لبراهيم فوزي (المؤلف) وكانا يجتمعان في منزليهما ويشربان الخمر ويدخان التنباك ولا بد أن يكون ابراهيم فوزي ذا ضلع في مسألة فراره فقام ثالث وقال للتعاشي انك اذا لم تأمر بسجن ابراهيم فوزي فر ولحق بسلاطين لان سلاطين أصغر منزلة في الحكومة من ابراهيم فوزي اذ هو حائز رتبة (باشا) أما سلاطين فلم يكن حائزاً الا على رتبة (بك) فصادت هذه الاقوال أذناً صاغية من التعاشي فأرسل أحد حراسه لاحضاري



وبينما أنا في غفلة من هذا اذ فاجأني الطلب فارتعت له وأدركت ان  
المصير سيئ فحاولت اخفاء ماألم بي فلم أفلح وذهبت وكأني أودع الحياة  
على أن ما قاله مشيرو السوء لم يكن له نصيب من الصحة اذ كنت  
لا أجتمع بسلاطين باشا الا نادراً وليس بيني وبينه غير مودة سطحية لانه  
كان يخاف على من تهمة كهذه ولكن لا يغني حذر من قدر

ولما دخلت على التعايشي ألقيته جالسا على عنقريب ( سرير ) وحوله  
القضاة والمشيرون جاثين على الارض كما دأبهم وسيفه موضوع على فخذه  
ممسكا بيمينه على قبضته كانه يريد أن يستله والغضب باد على وجهه فخاطبني  
قائلا يا ابراهيم فوزى فقلت ليك يا خليفة المهدي عليه السلام فقال أين سلاطين  
صاحبك فقلت لا أعلم ياسيدي وأظن انه في منزله فأنهرني بصوت جهوري  
قائلا اذهب اليه وأحضره لي فمشيت بضع خطوات نحو الباب فقال لي  
يا ابراهيم فوزى فعدت اليه فقال ألم يكن عندك خبر بهروب سلاطين فقلت  
كلا فقال لي انه هرب فقلت باند هاش (أهرب أهرب) فقال لي ماذا تقول  
في أمر هربه فقلت يا خليفة المهدي عليه السلام ان سلاطين نصراني ارتد  
عن الاسلام وعاد الي دينه النصرانية وقد أبعد الله عن التمتع بمشاهدة أنوار  
خليفة المهدي عليه السلام في الدنيا والآخرة ومع ذلك فانه لحق بمصر التي  
ينوى مولانا الزحف عليها في هذا العام ولا بد من وقوعه في قبضة المهدي  
ويدوق جزاء خيائته وفراره فأطرق التعايشي الى الارض هنيهة ثم رفع رأسه  
والتقى على الاسئلة الآتية

س - هل كان سلاطين يدخن التبناك - ج - لا أعلم شيئا من هذا -  
س - هل كان سلاطين يشرب الخمر - ج - أستغفر الله يا خليفة المهدي عليه

السلام أنا أعتقد أن مدينتك طاهرة مطهرة من كل رجس وليس فيها خرا أو محرم - س - هل كان سلاطين تاركا للصلوات الخمس - ج - ان سلاطين كان ملازم الخليفة المهدي عليه السلام في أوقات الصلوات الخمس وبذا لا يكون تاركا للصلاة وهذا ما نراه نحن بأعيننا أما البواطن وما تخفى الصدور فان علمها عند خليفة المهدي عليه السلام

وعند نهاية هذه الكلمة التفت التعالشي لمن حوله وقال خذوا هذا (وأشار الي) الى السجن وكان ذلك آخر عهدى بمحادثته ورؤية وجهه فاجتذبنى أربعة من الحراس الى خارج الباب وهناك اجتمع على نحو خمسين منهم فاخذوا يضربوننى حتى سال الدم من أنفى وجسمى ثم نزعوا عمامتى وشدوا بها وثاقى وساروا بى الى السجن والسياط تمزق جسمى فلم أقدر أن أمشى الا بعض خطوات ثم سقطت على وجهى وقد أغمى على فأمسكونى وأسندنى بعضهم والبعض الآخر يضربنى بالسياط حتى بلغت باب السجن فتلقانى حراسه بالضرب بالسياط أيضا ووضعوا فى رجلى ستة قيود يربو وزنها على أربعين رطلا ووضعوا فى رقبتي غلا كبيرا (جنزيرا) وامسك الحراس عن ضربى بالسياط فالتفت اليهم وقلت اسقونى ماء فكان جوابهم الضرب بالسياط وقالوا الى مثلك لا يستحق شربة ماء ياعدو خليفة المهدي عليه السلام ثم أدخلونى السجن

### اول ليلة في السجن واخبار اثنين يدعيان النبوة

كان وصولى الى دائرة السجن في أصيل النهار وبعد وضع الحديد فى رجلى ادخلت الى أودة يطلق عليها اسم (أودة الحجر) لانها مشيدة

بالاحجار وليس فيها نوافذ غير الباب الذى يدخل منه وهى مظلمة جدا  
 قدخلت وليس على جسمى من الملابس غير السراويل فوجدت فيها نحو مائتى  
 مسجون وهى لاتسع أكثر من ربع هذا العدد فرأيت بينهم ثلاثة رجال  
 بيض الوجوه يكادون لفرط ما هم فيه من العذاب مع طول مدة السجن أن يكونوا  
 أشباحا بلا أرواح قدنوت منهم وجلست بجانبهم فاذا أحدهم الموسيو شارل  
 نيوفيلد الذى تقدم لنا ذكر خبره والآخر صيدلى مصرى اسمه خليل أفندى  
 بسيم والثالث رجل من تجار اليهود فى أم درمان فجلست بينهم وأنا اتقلب  
 فى الآلام الجروح والضرب اللذين ذكرتهما قبل فظهروا لى من المواساة  
 والتوجع لمصابى ما كاد يعزىنى واخذت أجيل نظرى فى الغرفة فاذا الذين  
 فيها جلهم مرضى مصابون بالاسهال واذا بجانب كل واحد حفرة يتغوط  
 فيها ولضيق الغرفة كان الناس مترامكين على بعضهم ومنهم من هو واقف  
 على فخذه غيره ومنهم من يصيح وطئت على رقبتي كل ذلك ولا منفذ يستنشق  
 منه الهواء غير الشقوق التى فى الباب

ولم يمض على أكثر من ساعة حتى أغمى على وفقدت الشعور ولم أفاق  
 الا على صوت الموسيو نيوفيلد الذى كان يصيح من داخل الباب خفير  
 السجن قائلا ( ان الرجل الذى جثم به قد مات ) لانهم أيقنوا بموتى فلم يعبأ  
 الخفير ولا السجنانون بكلامه ولما رفعت رأسى سمعت أصحابى الثلاثة  
 يقولون ظنناك فارقت الحياة فالحمد لله على سلامتك وكان عند كل واحد  
 قطعة من الخرق بالية يروح بها على نفسه من شدة الحر فكان  
 الثلاثة يروحون على بخرتهم وقد نسوا أنفسهم فجزاهم الله عنى  
 أحسن الجزاء

وقبيل الصباح دخل علينا السجانون فأوسعوني وأصحباني ضربا بالسياط  
 قائلين لنا لماذا يا أولاد الريف يا كفار تجلسون مع بعضكم ثم وضعوا كل  
 واحد منا في أودة مع أناس من المسجونين فجلست بجانب عبد أسود تظهر  
 عليه علامة المرض فبدأته بالحديث مستفهما عن جريمته فرفع رأسه وقال لي  
 أما تعرفني فقلت كلا فقال أنا عيسى بن مريم نبي الله ورسوله فظننته مازحا  
 فقلت له أصحيح ما تقول فالتفت إلي وقال لي سترى مصداق ذلك قريبا فقلت  
 له ان عيسى صلوات الله وسلامه عليه أبيض اللون وانت عبد أسود فأجابني  
 بثبات جاش ان جميع الالوان بيدي ولوشئت جعلت لوني أبيض ولكنني اخترت  
 سواد اللون تواضعا لله تعالى ثم رأيت بجانب رجلا آخر ذا ملابس نظيفة  
 وهيئة مهيبة فقلت له هل سمعت ما يقوله هذا الذي يزعم انه عيسى بن مريم  
 عليه السلام فلم يرد علي فظننت انه مستغرب هذا الخبر وأخذت أكله  
 وقلت له حقا ان هذا الامر غريب جدا وهل يظن مثل هذا الكذاب  
 ان دعواه تقابل بالتصديق ولو من البسطاء فلم يرد علي بشيء بل أعرض  
 عني وبينما أنا متعجب اذ التفت الى خلفي فرأيت احمد الفحل ورفيقه  
 الصادق بن عثمان اللذين سبق لنا الكلام عنهما وانهما هربا سلاطين باشا  
 يضحكان فلم أفهم لماذا يضحكان فدنوت منهما وسألتهما عن سبب  
 ضحكهما فقالا لي ان الرجل الذي تكلمه وتشكو له أمر المتنبي يدعي هو ايضا  
 انه عيسى بن مريم عليه السلام فازددت تعجبا ودخل ساعتئذ أحد  
 السجانين واسمه (ابولباده) وقال لي يا ابن الريف لماذا حبسوك فقلت  
 لا أدري فقال لي انكم معشر أولاد الريف لا تتركون كفركم وانكازكم على  
 المهدي وخليفته فدنوت منه وأخذت أترامى على اقدامه ورجوته أن ينقلني

من هذه الغرفة. التي فيها متنبئان فقال لي على شرط أن تنقذني ريالاً فقلت له  
أأنقذك الريال مع انني لا أملك قرشاً واحداً ولا في بيتي درهم ولا دينار  
فأخرجني من تلك الغرفة الى غرفه أخرى فيها أكثر من مائة مسجون فقضيت  
بقية الليل واقفاً على قدمي والناس يضجون من شدة الحر والازدحام  
وتوفي اثنان منهم في تلك الليلة

ولما لاح الصباح أخرجونا من الاودة فسمعت السجانين يقولون ان  
(الاودة كرمت) اى أنها ضحت هذين الرجلين ثم جروا الرجلين من  
أرجلها وألقوهما في النهر

هذه أخبار الليلة الاولى في السجن أوردتها بإيجاز كثير وسأعود الى  
ذكر بقية الاخبار في محالها والله الهادي الى سواء السبيل

### انذار المؤلف بالاعدام

وبعد خروجي من الأودة جلست مع المسجونين في حوش السجن  
وبعد بضع ساعات كنت أستنشق الهواء في خلالها جاءني أحد السجانين  
يدعوني للخروج الى أودة أمير السجن فخرجت أرسف في قيودي فوجدت  
بها اثنين من القضاة أحدهما سليمان بن الحجاز والثاني احمد بن حمدان  
فقالا لي ان خليفة المهدي عليه السلام بلغه عنك انك كنت تصنع أشياء  
مخالفة لمنشورات المهدي عليه السلام وانه رأى وجوب قتلك فقلت ان خليفة  
المهدي عليه السلام أوتي الحكمة وفصل الخطاب وان المهدي عليه السلام  
أخبر بانه من اهل الكشف فاذا كان هذا القول من عندياته فهو  
صادق والا فان لي أعداء يرومون التشكيل بي من قبل زمن المهدي فهم

كذابون وعلى كل حال فأنا لا اطلب لذييائى أو آخرتى غير رضا خليفة المهدي  
فاذا عزم على قتلى فأنا راض بأمره واسأله أن يرضى عني وان شاء استحيائي  
فاننى لا أرغب في الحياة الا اذا كانت مصحوبة برضاه فذهب القاضيان له  
وأخبراه بما قلته وبعد ساعتين عادا الى وقالوا لى ان خليفة المهدي عفا عنك  
واستبدل قتلك بسجنك مؤبداً فسجدت بين يديهما شاكرًا لله تعالى ثم  
رفت رأسى وقلت لهما أبلغا تحيتى لمولاي خليفة المهدي عليه السلام وقولا  
له ان عبدك طامع في عفوك ومتوسل اليك بحمدك وحنانك فذهبا ولم يعودا  
الا بعد سنتين وسيجيء ذكر ذلك في مكانه

### ذكر قتل القاضي احمد بن علي

القاضي احمد بن علي أصله من عشيرة اسمها ( بنى هلبه ) تسكن جنوب  
دارفور وكان يحفظ القرآن الشريف ويعرف قليلا من الفقه على مذهب  
الامام مالك وولى القضاء فى أحد مراكز مديرية (شكا) احدى مديريات  
دارفور ولما ظهرت دعوة المهديوية فى جبال قدير فر احمد المذكور ولحق بها  
وشهد مع المهدي واقعة يوسف باشا الشلالى وقدم معه الى الايىض عاصمة  
كردفان حتى كانت وقعة يوم الجمعة التى قتل فيها احمد بن جباره الذى كان  
قاضيا للمهدوية كما مر ذكر ذلك باسهاب فى الجزء الاول

وكان احمد هذا ميالا لجانب عبد الله التعايشى الذى جعله قائدا صغيرا  
على عشيرته<sup>(١)</sup> ( بنى هلبه ) وأعطاه راية صيرها تابعة لرايته الزرقاء فتكلم  
مع المهدي فى شأنه وسأله أن يولييه القضاء بدل احمد جباره فولاه  
ولقبه بلقب ( قاضى الاسلام ) ولكن وظيفته هذه صارت اسما بلا مسمى

وذلك لان المهدي أقام نوابا للفصل في القضايا المهمة ونصب أمناء ينوبون عنه في نظر ما يرفع اليه من المسائل وقد تقدم ذكر ذلك فيما مر من الكتاب

وقد ذكرنا ان لكل من القاضي والنواب والامناء اختصاصا في وظيفته ولكن النواب والامناء تجاوزوا حدود اختصاصهم ولم يتركوا للقاضي اختصاصا ينظر فيه حتى صارت وظيفته اسما بلا مسمى الى أن هلك المهدي واستبد التعالشي بالملك فالنفي وظيفته الامناء ثم النواب وجعل المحكمة واحدة تحت رئاسة أحمد بن علي تنظر في كل ما يرفع اليها من الدعاوى والخصومات وقد أشرنا فيما مضى الى الغرض الذي كان يرمى اليه التعالشي من وراء هذا الانقلاب الذي يتوخى به الاضرار بأقارب المهدي واضطهادهم. وحاصل القول ان أحمد بن علي أصبح ذا مركز سام ونفوذ عظيم ولم تقف خطواته عند القضاء فان التعالشي وأخاه يعقوب كانا لا يقطعان أمرا دون مشاورته فاستفحل أمره وتلاعب بالقضاء أي تلاعب وانضم الى رايته أغنياء البلاد وسراتها في سائر أنحاء السودان وصار يكتب الى الجباة بمعاذاة المنتمين اليه من أهالي البلاد من الضريبة والخراج التي صاروا يؤدونها له واقتنى عددا كبيرا من السفن الشراعية وامتلك كثيرا من قطع الاراضي الخصبة أما الرشوة فقد كان دخله اليومي منها يقدر بالالوف من الريالات وشاد لنفسه دارا واسعة بالقرب من ضفة النهر ملأها بالنساء الحسنات السودانيات والمصريات وجاهن قبليات من سكان الخرطوم اللاتي استباحهن المهديون وامتلات القياقي وأما كن المرعى بقطعان ماشيته من الابل والبقر والغنم وبالجمله فقد أصبح ذا ثروة طائلة

ومن غرائب شعورته في القضاء وخراب ذمته وميله الى الارتشاء ما ورد منه هذه النكتة ليقاس عليها بقية أعماله وذلك انه في احدى السنين تشاجر جاب اسمه حسيب مع احدى قبائل البحر الابيض لاسباب طفيفة كان الحق فيها مع رجال تلك القبيلة فأمر مقاتلته باطلاق الرصاص على الحي فقتل من الرجال نحو ثلاثين رجلا عدا الجرحى فرغت الحادثة للتعاشي فأكبرها وغضب على الجاني وأحال محاكمته على القضاء فمقدت الجلسة الاولى ثم ارجئت الى الغد وفي تلك الليلة حمل الجاني الى القاضي أحمد بن علي ثلاثة آلاف ريال فأمر في الغد بإيداع المظلمين من تلك القبيلة السجن وأفهم التعاشي انهم شهبوا حربا على المهدي وخليفته وبعد عناء شديد اخرجوا من السجن وذهبت دماء المقتولين هدرًا ومثل هذا كثير لا يسع المقام ايراده وانما أوردنا هذا مثالا تقاس عليه حالة ذلك القاضي

وفي أواخر سنة ١٣١١ كتب التعاشي سرا الى الجباة يأمرهم بارسال الكتب التي ترد اليهم من القاضي أحمد بن علي يأمرهم فيها بمعافة المنتمين لرايته من الضرائب والخراج فاجتمع عنده شيء كثير منها فجلس ذات يوم ومعه القضاة واستدعى القاضي أحمد وقال للحاضرين ما يأتني

أيها القضاة أخبركم انني اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم والخضر والمهدي عليهما السلام وبينما كنت معهم اذ رأيت شخصا معذبا بين السماء والارض فسألت عنه فأجابني المهدي بانه القاضي أحمد بن علي فدهشت لذلك فقال لي الخضر عليه السلام انه نقض عهدهك وجمع الاموال وظلم العباد فلهذا أنا آمر القاضي أحمد بالتوبة والاستغفار كما أمره بالتخلي عن الرايات التي يقودها والانقطاع الى القضاء فقط اهـ



فقام القاضي وقبل يد التعايشي وبكى وانتحب وتاب واستغفر وخرج مع زملائه يرجوهم أن لا يذكرُوا شيئاً مما جرى في هذه الحضرة لاحد من الناس وبعد مضي بضعة أسابيع على هذه الحادثة ضبط محتسب السوق شخصين يدعى أحدهما عبد المجيد عبد الله الدقلى ويدعى الآخر عبد الله سليمان يزيفان المسكوكات من نوع ريات المهدوية وأحضرهما امام التعايشي الذي سألهما عن جنائيهما فقالا له لم نزيف بل نضرب العملة لك فتعجب من هذه الجرأة وسألهما الايضاح فقالا ان القاضي احمد بن علي هو الذي أمرهما بسك هذه النقود وأفهمهما انه مأمور من قبل التعايشي وكأنا يؤديان له كل ما يصنعانه منها ثم أبرزا كتابا من القاضي بخطه متضمنا هذا المعنى فأمسك التعايشي الكتاب واطلع من حوله عليه فأكدوا صحة صدوره من القاضي احمد بن علي فاستدعاه وسأله قائلاً ألم يكفك ما اغتلته من الاموال حتى صرت تزيف النقود فأنكر ذلك فأبرز له التعايشي الكتاب المذيل بتوقيعه ثم عاد الى الاعتراف فاحتدم التعايشي غضبا وقام من مجلسه ودخل الى اودة جلوسه واستدعى القضاة فجلسوا ولم يكلمهم بشيء بل أمر باحضار القاضي احمد ابن علي فلما حضر بين يديه أمر الحراس بايداعه في السجن فسيق اليه ثم قال لمن حوله من القضاة سأقوم فيكم خطيباً بعد صلاة المغرب فليكن أن تسمعوا ما أقوله لكم ومروا الناس بانتظارى لسماع ما أقوله فخرجوا من عنده وبعد صلاة المغرب صعد منبر الخطابة وقال ما يأتى

ان احمد الاسود (لانه كان أسود اللون) أصله مولى قبيلة بنى هلبه ولم يكن منها وقد أفسد وظلم العباد واغتال أموال المسلمين فإذ لك أرى ان موته خير من حياته فرد عليه الحاضرون بلسان واحد حسناً تفعل

ومن هذه الخطبة أيقن الناس ان القاضي احمد سيقتل  
 وفي اليوم التالى ذهب يعقوب أخو التعايشى الى السجن وانقرض بالقاضى  
 احمد وخدعه بانه سيسعى فى خلاصه من السجن فانخدع له ثم سأله عن  
 أمواله فأوضحها له وكانت شيئاً كثيراً من الذهب والفضة فضبطت كلها  
 وصودرت لجانب بيت المال  
 وبعد استصفاء أمواله طرح منفرداً فى احدى غرف السجن ومنع عنه  
 الطعام والشراب حتى توفى بعد بضعة ليال وكان طويل القامة بدين الجسم  
 شديد سواد اللون وكان غير مصدق بدعوى المهدوية وكثيراً ما رأيت  
 منه محابة لجانبى فى أمور اُحليت محاكمتى فيها عليه بسبب فلتات من اللسان  
 عقوبتها الجلد بالسياط عند الدراويش

### ذكر تولية الشيخ الحسين الزهراء (القضاء وقتله صبراً)

تقدم لنا فى الجزء الاول من هذا الكتاب شئ من أخبار الشيخ  
 الحسين بن الزهراء وما كان من أمر قصيدته الهزلية التى نصح بها المهدي  
 وقد نشرناها برمتها وأن المهدي أتقذه الى كسلا وقد كان التعايشى  
 حاقداً عليه بسبب النصيحة المذكورة اما هو فقد رجع على نفسه باللائمة  
 لما فرط منه من الميل الى دعوى المهدوية التى انكر كل اعمالها وجاهر  
 المهدي بانكاره والمهدي يفضى عن عقابه رعاية لجلالة قدره وتقواه حتى  
 توفى المهدي وخلفه التعايشى الذى كان ذاميل شديد للانتقام من الشيخ  
 الحسين المذكور

وقد كان التعايشى استقدم الشيخ الحسين من بلده في الجزيرة وعهد  
اليه بالقاء دروس في علمي الحديث والمواريث في المسجد ولما قبض على القاضي  
احمد بن علي ولاء القضاء بدله

ولما ولي القضاء قال لخواصه انني لا أريد المحاباة بل أريد الوقوف عند  
حد الشرع وكل أمر يعرض علي لا أقول فيه غير الحق وأنا لا أجهل ان  
عاقبة ذلك ستكون الموت

وبعد أن تولى القضاء عرضت عليه مسألة وهي ( ان رجلاً من الموسرين  
اسمه عوض الكريم من أهالي قرية ( المئمة ) بمقاطعة بربر هجر دياره  
فراراً من ظلم المهدوية ولحق بالحرمين الشريفين وتوفي هناك فافتى القضاء  
بكفره ووجوب مصادرة أمواله ) فقال الشيخ الحسين لم يكفر هذا الرجل ولا  
تجوز مصادرة أمواله أبداً فحققت التعايشى عليه وأضر له السوء

وفي ذات يوم دعاه ومعه قاضيان هما حسين جزو ومحمد حمدان وكلاهما من  
أهالي السودان الغربي لا يعرفان شيئاً من الاحكام الشرعية ولكنهما يحفظان  
الفاظ القرآن وكانا من اكبر قضاة الجهل والظلم ومعهما أمين بيت المال ولما  
استقر بهم الجلوس بين يدي التعايشى خاطبهم قائلاً « أيها القضاة ان بيت  
المال ليس فيه نقود وان الانصار يطلبون أعطيتهم فماذا نضع » فاجابه محمد  
حمدان بما يأتي

انني سمعت المهدي عليه السلام يقول ان الناس يابعونني على ان  
اتصرف في رقابهم واموالهم تصرف المالك فيما يملك لانني خليفة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وعليه فيجوز لامين بيت المال ان يكره ذوى اليسار على  
ان يقرضوه ما يطلبه منهم وليس بيت المال ملازماً بالسداد ولكن يعد الدائنين

بالوفاء تطيبها لخواطرم فاحتدم الشيخ الحسين غضبا وضرب بيده محمد  
حمدان قائلا

استغفر الله مماقلته فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقترض ويوفي  
دائنيه ولا يجوز ابدا أخذ اموال الناس بالطريقة التي قلتهافساء ذلك التعايشي  
واحتدم غضبا وقال مخاطبا الشيخ الحسين

لقد كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن ملازما بتأدية  
مايقترضه وقد اباح الله اخذ اموال الناس ثم أمرهم بالانصراف وقال  
للقاضيين الضالين حين جزو ومحمد حمدان احكما بكفره لانكما قاضيان  
يجب انفاذا ماتحكما به فاخذاه وذهبا به الى السجن وامرا بوضع ثلاثة  
قيود في رجله وغل في عنقه ثم ذهبا الى منزل يعقوب اخي التعايشي  
ليتداولوا في الامر ثم رفعوا الى التعايشي حكما فحواه ان الشيخ الحسين كفر  
وان عقوبته احدى ثلاث اما ان ينفي واما ان تقطع يده ورجله من خلاف  
واما ان يسجن مؤبدا فاختر التعايشي هذه ظاهرا واضر قتله فاعز الى  
السجان بوضعه في احدى غرف الاعدام ومنع الاغذية عنه فنقله اليها بعد ان  
وضع في رجله اثني عشر قيداً وجنيرين ومنعوا عنه الماء فكان يستغيث من  
الظما وفي ذات ليلة رفع صوته بالاستغاثة طالبا شربة ماء ليستعين بها على معالجة  
سكرات الموت فلم يعطوه شيئا وكانت ليلة شديدة الحر فلم يشعر الا بالمطر قد  
هطل على السجن كافواه القرب مع اننا في فصل لا تمطر السماء فيه في السودان  
ابدا وتداعى ركن من اركان الغرفة المسجون بها فامتلات بماء المطر فشرب  
الشيخ واغتسل وتوضأ وملا ابريقه وفاض الماء حتى تجاوز ركبتيه

وفي الغد دخل عليه السجانون واوسعوه ضربا قاتلين انك ساحر فقال

لهم لست بساحر ولكن الله سقاني الماء لما طلبته منه فاخذوا منه الابريق  
واصلحوا ما تداعى من ركن الغرفة وبعد ليلتين دخلوا عليه فأنقوه في سكرات  
الموت بثبات جاش غريب ولما توفى أمر التعايشى بعدم غسل جثته وتكفينها ودفنها  
وصرح بان تلقى على وجه الارض لانه كافر بزعمه وأمر بكتمان أمر وفاته عن  
ذويه الذين ظلوا يروحون ويغدون الى السجن حاملين له الاطعمة والملابس  
فكان السجنانون يأخذونها منهم ويعودون لهم قائلين ان الشيخ يأمركم  
باحضار كذا وكذا من الاطعمة والملابس فيسرعون باجابتهم وهم لا يعلمون  
ان الشيخ مضت على مفارقتها الحياة بضعة أسابيع وجثته قدمت غذاء لانسور  
وظلوا على هذا الحال زهاء شهر من الزمان حتى أمر التعايشى عقيها بمصادرة  
امواله وأخذ نسائه فعلم ذووه انه فارق الحياة

أما وفاته فقد كان لها تأثير سيئ عند الاهلين واطهر المسجونون حزنهم  
عليه وكان له تلامذة عديدون اختفوا وخافوا الايقاع بهم. ولا بأس بايراد ملعة  
من ترجمته اتماما للفائدة فنقول. هو من قبيلة صغيرة في الجزيرة قدم القاهرة  
صغيرا وتلقى العلوم بالازهر الشريف وبرع في العلوم العقلية وكان ذا ذكاء  
عظيم ودين متين حتى قال أحد مشايخه الازهريين انه لم ير سودانيا مماثلة ذكاء  
ولما قفل راجعا الى دياره وهبت ثورة المهذوية صادفت هوى في قلبه  
لانه كان ناظرا اليها من الوجهة السياسية وقد تقدم أنه لما قابل المهدي  
ونصحه بقصيدهته التي أودعها مقامز كثيرة بدم ولم يعد قادرا على احتمال  
معاشرة المهذوية فكان يقضى اكثر أوقاته في قريته بالجزيرة راضيا بالحمول  
والبعد عن المهذوية وشرورها حتى استدعاه التعايشى وكلفه قراءة درسين  
في الحديث والمواريث وكان قصده من ذلك الحجب عليه بام درمان تمهيدا

لما حل به من القضاء المحتوم

وعلى ذكر الشيخ الحسين نقول ان من الوشايات التي كان التعايشي يقبلها ويبطش بالموشى به ان يقال له ان فلانا من أهل العلم لانه يوقن اذ ذاك بان من كان عالما لا بد ان يكون غير راض بالهدوية وفي ذات يوم قال ان العلماء مفسدون في الارض ولا أمان لنا من مفاسدهم التي يفرسونها في افئدة الناس الا بقتلهم ومثل العالم في البلاد كمثل شجرة في وسط مزرعة تاوى العصافير اليها وتقتات بثمار المزرعة وهكذا العالم يأوى اليه الناس ثم يبت فيهم معارفه التي تأكل ايمانهم وتصديقتهم بالهدوية كما تأكل العصافير ثمار المزرعة فكما انه لا سبيل لحفظ المزرعة من عبث العصافير الا بقطع الشجرة كذلك لا سبيل لحفظ عقائد الناس في الهدوية بغير قتل العلماء

وخلاصة القول ان الشيخ الحسين كان اعلم أهل السودان ومن اكبر الذين شايعوا الهدوية في بدايتها وقد رأيت ما حل به من الانتقام مثل كثير من الذين ساعدوا المهدي وأعانوه على دعوته ومن اعان ظالما سلط عليه

### خفراء السجين

كل خفراء السجين والسجانين من أقارب السائر السجان أى من قبيلة الجوامعة التي عرفناها فيما تقدم من هذا الكتاب وجلهم من أبناء السفاح الذين يقال لهم ( عينة خاله ) فاذا سألت واحداً منهم عن اسم أبيه يجيبك بقوله « أنا ابن أخت فلان » ولم اسمع بواحد منهم اسمه من الاسماء المألوفة والاعلام المعروفة كمحمد واحمد وغيرهما بل لهم اعلام هي في الحقيقة صفاتهم مثال ذلك ان احدهم اسمه ( شقيب ) ومعنى هذا الاسم « الصارع اي انه

يصرع كل من صارعه وآخر اسمه « كبه كاه » ومعناه ان خلاله كلها مما  
يمجه الانسان ولا يقبله احد وقس على هذين العلمين سائر اسماء الخفراء  
والسجاني

وهؤلاء لا يدفع لهم التعاشي مرتبا ولا يجري عليهم رزقا فاذا ذهبوا  
الى بيت المال طالين اعطية قابلهم موظفوه بالاستغراب قائين كيف تطلبون  
عطاءً من بيت المال وعندكم من الناس المسجونين من يمكنكم ابتزاز المال  
منهم وضرب الضرائب عليهم وهم مرغمون على اجابة مطالبكم فكان امير  
السجن يفرض الضرائب على كل مسجون بما يزيد عن طاقته وكان ابراهيم  
حمزة عميد قبيلة ( الانقرياب ) الذي ذكرت امر سجنه كثيراً ما يؤدي تلك  
الضريبة عنى اذ لم اكن املك درهما منها وكنافى ايام الاعياد والمواسم تؤدي  
ضريبة فوق العادة عدا الضريبة الشهرية التى لا مناص من دفعها وعدا  
ماندفعه كل يوم وليلة للسجاني الذين كثيرا ما كانوا يأخذون ملا بسنا بدل الرشوة  
ومن نظمات السجن ادخال المسجونين فى الغرف التى لا منفذ فيها  
ليقضوا الليل فى فصلى الصيف والربيع فى الحر الشديد أما فى فصلى الخريف  
والشتاء فينامون تحت السماء مقرنين فى الاغلال فراشهم الارض وغطاؤهم  
السماء يحيط بهم السجانون بايديهم السياط ويأمرونهم بالاضطجاع على جنب  
واحد فاذا تحرك احد هم حركة ولو خفيفة اوسعوه ضربا بالسياط

### الايام الاولى فى السجن

لما ادخلونى السجن ضاعفوا قيودى حتى بلغت ستة قيود ثم  
انتدبوني مع آخرين لحفر بئر فى منزل امير السجن المجاور للسجن فكان

اثنان يحفران بداخل وأنا أجذب الاناء الذى يضعان فيه التراب وكان هذا الاناء من الحديد وورنه لا يقل عن خمسين رطلا والحبل الذى أجذبه به جنزير من حديد فتورمت ككفاى بسبب ذلك وسالت الدماء منهما والسجانون حولي يضربونني بالسياط فددت يدي لهم باكيا مسترحما من ألم الجروح التى بهما فما كان منهم الا ان ضربوني بالسياط عليهما فوقعت مغشيا على فاخذوا يضربونني ضربا مبرحا

## شارل نيوفيلد

والمؤلف مقرونان فى القيود

ذكرت اننى فى الليلة الاولى التى سجنت فيها كنت مع شارل نيوفيلد ثم فرقوا بيننا وكان كثيرا ما يجتمع بى كلما لاحت له فرصة فى غفلة السجانين الذين كانوا قد تلقوا عن التعايشى تعليمات سرية بالحيلولة بيننا خشية ان نتفق على الهرب

وفى ذات يوم كان السجان الاكبر مارا فوق نظاره علينا فامر بجعلنا فى قيد واحد زيادة فى تعذيبنا وبعد بضعة ايام أصبت بحمى شديدة كادت تودى بحياتى وأصيب شارل نيوفيلد باسهال شديد يضطره الى الذهاب الى المراض كل خمس دقائق وأنا بسبب شدة الحمى لا أقدر على القيام من مضجعى وكان الفصل صيفا شديد الحر فتقب ثوبا فى الارض بجوار مضجعنا لقضاء حاجته فكنت على ما بى من الم الحمى فى أشد حالة من تن رائحة المراض الذى بجانبى وظللنا على هذه الحالة السيئة مدة خمس ليال

ثم مرت بنا ذات يوم أم احدي نساء أمير السجن وكانت مصرية من أهل



الخرطوم فوقفت وسلمت علينا وهي باكية متحسرة وسألتنا لماذا قرئتما في قيد واحد فقلنا لها هكذا أمر أمير السجن فذهبت متشفعة ومسترحمة لنا فقبل شفاعتها وأمر بوضع كل واحد منا في قيود على حدة

### أمير السجن في منزله ونسائه

لامير السجن دار بالقرب من المسجد لم ينفق في تشييدها قرشاً بل كان يشغل المسجونين في بنائها

وكان عنده من النساء خمس عشرة امرأة منهن واحدة مصرية من اللواتي أخذن مسبيات من الخرطوم والبقية من أجناس مختلفة من السودانيات وكان له حارس اسمه طنبل الشايقي يجلس على باب المنزل وله سلطة كبيرة في السجن اذ لا يؤذن بادخال طعام الى أحد المسجونين الا اذا رآه طنبل فاذا كان جيداً أمر بادخاله الى منزل أمير السجن واذا كان متوسطاً دعا بقية الخفراء الى الاكل منه وقل ان يتركوا لصاحبه ربهه وقد أطلق المسجونون على طنبل لقب (شنقل منقل) ومعناه المنشار يا كل صاعدا ونازلاً

هذا وقد ذكرت الضريبة الشهرية التي كنانؤديها الى أمير السجن وعدا ذلك فانه كان يجمع المسجونين كلما أراد ان يشتري محظية أو يتزوج امرأة جديدة أو يولد له ولد ويخاطبهم قائلاً انكم لا تجهلون اننى لست تاجراً ولا زارعاً بل اتم زراعتى وتجارتى فعليكم ان تجمعوا الى مائة ريال لاننى أريد الزواج أو ولد لى ولدنم يضرب لهم موعداً للدفع فاذا تأخروا أمر السجناء بتعذيب المسجونين فاذا كان الفصل شتاء يكون التعذيب بصب الماء البارد

على اجسامهم ليلا مع الضرب بالسياط واذا كان الوقت صيفا وضعوا الاغلال في اعناقهم وجردوهم من ملابسهم واجلسوهم في الشمس مع الضرب بالسياط أيضا كل ذلك عدا ما تؤديه الى السجنائين والخبراء فلكل واحد الحق في طلب ما يريد من المسجونين مثل مطالب اميرهم التي هي الضريبة الشهرية وضريبة المواسم والاعیاد وضريبة الزواج وضريبة الاولاد وعدد الخبراء يبلغ المائة ورؤساؤهم اربعة لكل واحد منهم نوبة يوم وليلة يتصرف في خلالها التصرف المطلق بدون ادنى معارضة من امير السجن

### صلاة المسجونين

من نظمات السجن ان المسجونين يصلون الصلوات الخمس جماعة ولهم امام منهم وفي كثير من الاحيان نكون وقوفا في الصلاة فيهم علينا الخبراء بالسياط ويضربونا بحجة اننا لم نحسن الصلاة فنفرع وترك الصلاة ونهرب مذعورين

وفي احدى ليالى الصيف قمنا للصلاة المغرب التي بعد انتهائها يدخلونا الى الغرف التي تقدم لنا وصفها فرجنا امام ان يطيل القيام والسجود لتتمكن من استنشاق النسيم في خلالها ففعل وكان الخبراء ادركوا ذلك فوثبوا علينا بالسياط واوسعونا والامام ضربا ففترقنا شذر مذر واسرعنا الدخول الى الغرف

### ضريبة ريال كل يوم على الموقوف

قلت ان المسجونين يدخلون الغرف في ليالى الصيف وفي كل ليلة

يموت بعضهم اختناقاً وفي إحدى الليالي اتفقت مع أمير السجن على أن ادفع له في كل ليلة ريالاً وهو في نظير ذلك يأمر بتركى جالساً عند باب الغرفة لاستنشاق الهواء من شقوق الباب

ولقد كنت لأملك قرشاً من هذا الريال ولكنني أقدمت على الاتفاق معه رجاء تركى تلك الليلة فنى الخبر إلى أحد معارفى وهو يونانى اسمه الخواجه مانولى ديا كوينى كان تاجراً في الخرطوم وله في معى صداقة قديمة ومعاملات مذ كنت حاكماً على أقاليم خط الاستواء وبعد سقوط الخرطوم وقع أسيراً في قبضة المهدوية فاستعمله التعايشى في صناعة الصابون فأرسل إلى أمير السجن وتعهده بتأدية الريال في كل يوم وإن لا يطلبنى به بل يدفعه هو في نظير مطالب قديمة كانت لى في ذمته وبذلك تمكنت من الجلوس خلف الباب كل ليلة واستمر الخواجه مانولى يؤدي عنى ضريبة الريال حتى من الله على بالخلاص لما دخل اللورد كتشنر أم درمان فاتحاً

### النادرة العباسية في السجن

رأيت أن أعنون هذه النادرة بهذا العنوان لما تراه فيها من الخبر الغريب الذى أقصه عليك وقد كنت ذكرت أن التعايشى زوجنى امرأة من نساء الخرطوم اللاتى كن عنده وكانت لها أخت متزوجة بسودانى اسمه «عباس» وفى ذات يوم دخل على بضعة أشخاص من البقارة وكنت وقتئذ جالساً بالقرب من عبد متهم بقتل واسمه (عاكيش) فخطبني أولئك الأشخاص قائلين يا فوزى فقلت نعم فقالوا أصدقنا ماهى قرابتك من عباس فقلت انه عديلى فقالوا كلا بل هو ابن أختك فقلت كلا كيف يكون ذلك وأنا

مصرى وهو سودانى فقالوا وضح لنا الحقيقة فقلت لهم ان خليفة المهدي عليه السلام زوجنى امرأة عباس هذا زوج أختها فقالوا يظهر انك لم تفهم كلامنا لاننا نسألك عن (عباس خديوى مصر) وفي غضون ذلك كان شارل نيوفيلد قد وقف بجانبنا فالتفت اليه وقلت ان الفرق بينى وبين عباس خديوى مصر كالفرق بين خليفتم وبين «عاكيش» هذا وأشرت الى العبد السالف الذكر فقالوا كذبت فقد علمنا انك خاله ثم انصرفوا عني وذهبوا الى امير السجن فقصوا عليه ما دار بينى وبينهم من الكلام فغضب وامر الخفراء باحضارى فساقتونى اليه بعد ان اوسعونى ضربا ولما وقفت بين يديه امر الخفراء بضربى حتى صرت استغيث فلا اغاث وبعد ان مزقوا جسمى امرهم بالكف عني وقال لى يا كافر انت شاك في خليفة المهدي عليه السلام فقلت ياسيدى ما الدليل على ذلك فقال انك قلت للذين كانوا يحادثونك «خليفتم» ولم تقل خليفة المهدي عليه السلام وهذا يدل على كفرك فانكرت اننى قلت هذه الكلمة واستشهدت بشارل نيوفيلد فاحضره بحالة تشبه الحالة التى احضرونى بها وبعد ان اوسعوه ضربا سألوه فانكر انه سمع هذه اللفظة منى وأصر على الانكار فقال له انت تشهد لابن عمك وامر امير السجن بمجلد شارل نيوفيلد خمسين جلدة وضاعفوا قيوده

اما انا فقد ضوعفت قيودى واغلالى وتغلت يداى الى عنقى وامر بوضعى فى الثرفة المعدة لمن يراد قتله وهى التى اعدم فيها القاضيان احمد بن على والحسين بن الزهراء اللذان تقدم لنا ذكرهما وهم امير السجن بالذهاب الى منزل التعايشى لاستصدار امر باعدامى وفي الحقيقة لو ابلغه القصة لامره بذلك فترامى المسجونون على اقدامه يرجونه الصفيح عني فقال لهم لا بد من

ان يحضر عشرين ريالاً فدخل على صديقاي ابراهيم حمزه ومحمد الشافعي عميدا بربر اللذان سجننا من أجل تهمة الاشتراك في تهريب سلاطين باشا وقالوا ان أمير السجن وعدنا بالصفح عنك على ان تدفع له عشرين ريالاً فقلت لهما كيف ذلك واتما لا تجهلان اني لا املك قرشاً من العشرين ريالاً وليس عندي متاع ولا أرقاء غير عبدى المسمى «لدوم» وهو لا يبلغ ثمنه عشرين ريالاً مع ان قيمته الحقيقية عند توازي الآلاف من الريالات لانه كما تعلمان يطوف على منازل اصدقائي واخواني المصريين يجمع منهم ما تجود به مروءتهم لغذائي وغذاء زوجتي وولدي فاذا كان لا يعفني فاني اختار الموت لارتاح ويبق عبدى «لدوم» ليقوم بحمل تغذية عائلتي الشقية اذ هو ينفق كسبه عليها زيادة على ما يتبرع به المصريون لى فرقالى ورثيا لحالى ودفعوا العشرين ريالاً من مالهما وخلصاني من هذه الورطة التى لارتاب ان التعايشى يأمر باعدامى لو وصلت اليه هذه القصة فجزاها الله خيراً الجزاء وعوضهما عن ثروتهما وما خسرناه من الاموال الطائلة التى انفقناها في السجن خيراً أما مشار القصة فان احد اعدائى وشى بى عند اقارب التعايشى وافهمهم اننى خال مولانا الخديوى عباس حلمى باشا وقصده من ذلك زيادة تغذيى او اعدامى لان انتساباً كهذا مما يضر ضرراً ليعاين يكون سبباً للهلاك فتأمل في غباوة هؤلاء المهديين وظلمهم

### ذكر ابطال القهوة

من غرائب احكام التعايشى انه امر بابطال الاماكن العمومية التى تباع فيها القهوة ويجلس الناس فيها للسر واصحابها في الغالب من المصريين وهى عبارة

عن الكواخ من الخوص فيها كراسى من الخشب والجلد تشبه (العقرب) وفي بداية الامر اصدر امرا بابطال المقاعد وان لا يجلس شاربو القهوة الا على الارض فاستعاض اصحاب القهاوى عن المقاعد بالحصر السودانية التى تسمى (برشا) ثم وشي له واش بأن الذين يتسامرون فى القهاوى جلهم من المصريين وانهم اذا جلسوا فى تلك الاماكن يخوضون ويتحدثون فى شأنك وهم يطلقون عليك اسم (الزر) فاذا جلسوا تحدثوا مع بعضهم ماذا فعل الزر فيحيون بعضهم فعل كيت وكيت فاصدر امرا بابطال القهاوى وجرت فى ذلك محادثات ومداولات كثيرة وكان التعايشي ميالا الى وضع قانون يحرم به القهوة كتحريم الدخان الا انه عاد الى الصواب وقال لولا اننى رأيت المهدي يشربها لحرمتها ولاغرابة فى ذلك فان اعراب السودان الغربى الذين منهم التعايشي لا يعرفون القهوة ولا البن ولما قدموا الى الخرطوم ورأوا الكثيرين من الاهلين يشربونها كانوا يجهلون بانكاز ذلك ويعمدونه من دلائل قلة العقل وفقدان الرشد فيقولون ماهى الفائدة من شرب شي شديد الحرارة مر الطعم أسود اللون وبعضهم يسميها « القطران » ومن الشتائم التى يشتمون بها الاهالى (ياشاربى القطران) ولهم نوادر كثيرة فى القهوة لابس من ايراد بعضها لما فيها من التفككة. منها ان اعرابيا قدم له «فنجال قهوة» ففتح فاه فلما وصل جوفه كان سببا فى موته ومنها أنه نزل اضياف من أهالى السودان على أحد امراء البقارة فقال لهم انتم اضيافى وانا ابذل الجهد فى اكرامكم اكراما حقيقيا اقدم لكم فيه الاغذية من الخبز واللحم واللبن والعسل اما الشيء القبيح الاسود فانه يدل على قلة عقل من يستعمله فلذلك لا اقدمه لكم ابدا فضحكوا وقالوا نحن لا نكلفك ذلك بل نصنعه بايدينا وتتناوله فقال لهم لو لم

يكن قدركم معظما عندي لما سمعت احكم باستعمال هذه الدنيا في منزلي  
وقس على ذلك وقد ذكرنا ان التعايشي كان يريد ان يحرمها لولم يعارضه الناس  
ويخبرونه بان تجارة البن منبع ثروة عظيمة لبيت المال وانه هو رأى المهدي يشربها  
ولولا ذلك لحمل الناس على تركها فتأمل

## ذكر ختان المسيحيين واجبارهم

على تعدد الزوجات

كان في السودان تاجر من اهل حنب الشهباء مسيحي اسمه «جورج  
اسلامبوليه» يتردد بالتجارة بين الخرطوم وكردفان حتى ادركته الثورة  
المهدية في مدينة الابيض فغادرها واسلم نفسه للمهدي صيانة لامواله وجاهر  
باعتناق دين الاسلام ولكنه مالبث طويلا حتى نكب وصودرت امواله  
واتهم بانه ييطن النصرانية ويقلد اطفاله الصلبان من داخل الملابس وانه  
يراسل الحكومة في الخرطوم فضبط كتاب منه باحدي اللغات الاجنبية  
فطلب التعايشي مترجما يترجم له الكتاب فتصدي للترجمة يهودي اسمه  
(داود منديل) مع انه لا يعرف لغة اجنبية وتوعد جورج بانه اذا لم يدفع له  
خمسائة ريال ترجم الكتاب بما يوجب قتله فاسرع جورج باجابة ماطلبه  
اليهودي الذي ترجم الكتاب بان جورج يدعو الحكومة للتسليم للمهدوية  
ويحذرهما منبة عدم التسليم فسجن الرجل وصودرت امواله ثم اطلق سبيله  
وقدم الخرطوم مع المهدي وهناك اجتمع برجل آخر حلي ايضا  
اسمه (نعوم العجي) وتصاهرا بزواج اولادهما وكان نعوم مدعيا انه يعلم  
بمض العلوم الكيماوية فذهبا الى التعايشي ذات يوم وقالوا انهما يعرفان

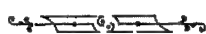
بصناعة صك النقود وانهما قادران على تحسين حالة المعاملة فقبول طلبهما من  
التعايشي بالاستحسان فكتب الى أمين بيت المال يأمره بمساعدتهما على جلب  
ما يطلبانه من القوالب بواسطة الترسانة فاخذ ما طلبها ويعدهما من يوم لا خرحتي  
يدبر حيلة للايقاع بهما تخلصا من استيلائهما على دار الضرب الذي يتسرب من  
ايرادها شيء كثير الى جيب النور الجريفاوي امين بيت المال واقاربه القابضين  
على منابع تلك الايرادات. وبالجمل فانه اخذ يغرر بهما حتى انفقوا نحو مائة  
جنيه من مالهما في سبيل تهية القوالب واعداد المعدات

ولما يئسا وايقنا انهما خدعهما النور الجريفاوي ذهبا متظلمين الى  
الطاغية التعايشي الذي استدعى النور وعنفه على ما ارتكبه فاخذ يعتذر بان  
ابدا المسكوكات يوقع بيت المال في أزمة مالية شديدة اذ تكون النقود  
القديمة بأيدي الناس ثم يطلبونها مما ضرب حديثا ثم ذيل اعتذاره بأن  
ذنيك الرجلين لا يزالان نصرانيين فسأله التعايشي كيف يكونان كذلك  
وما هو الدليل على صدق هذا القول فقال الجريفاوي انهما وسائر الذين  
أسلموا على يد المهدوية لا يزالون غلفا لم يختنوا حتى الآن وهناك دليل  
آخر وذلك انهم لا يزالون يحافظون على توحيد الزوجة فغضب التعايشي  
وأرغى وأزبد واستدعى القضاة وسائر المسيحيين الذين تظاهروا باعتناق  
الاسلام وفي مقدمتهم جورج ونعوم فسألوه هل أتم غلف فاعترفوا  
بذلك فدخل القضاة على التعايشي وأخبروه بهذا الاعتراف فخرج علي عادته  
متسربلا سربال القمر وخاطبهم بعبارات التعنيف ولم يسكن غضبه حتى بالغوا  
في الاعتذار بانهم لم يمنعهم من الاختتان غير الخوف من ألم الجروح فقال لهم  
اذهبوا واختنوا على يد مطب اسمه شعبان فذهبوا وهم لا يصدقون بالنجاة



وشرعوا في الاختتان وكانت عدتهم نحو أربعمائة فكان الرجل يختن مع ابنه وأخيه ومنهم من قاسوا آلاماً شديدة من الجروح ومكثوا نحو شهرين طريحاً الفراش

ثم بعد ذلك ذهبوا إلى التعايشي إليه متظلمين من عدم مقدرتهم على نفقات أكثر من زوجة لما هم فيه من شظف العيش والفقر المدقع فلم يقبل منهم بل توعدهم فعادوا وشرعوا يعتقون الجوارى ويتزوجون بهن لأن المسلمين لا يرضون بمصاهرتهم وعلى ذكر ختان هؤلاء نورد هنا قصة مصرى مكث عدة سنوات لا عيش له ولا كسب إلا من تهديد جماعة المسيحيين بأنه سيعرض على التعايشي أنهم غلف فكانوا يدارونه ويؤدون له ما شاء من المال حتى جاءت حادثة جورج ونعوم بما لا يستطيعون دفعه فكانوا يتدمرون منهما ويسخطون عليهما زيادة على ما أصابهما من ضياع مالهما ومقاساتهما آلام الجروح وزد على ذلك اضطرابهما إلى تعدد الزوجات التي لم يجدوا منه مفراً



## ذكر سجن ابن المؤلف

مر الكلام على أن زوجتي كانت على وشك الوضع لما سقطت مدينة الخرطوم وفي شهر ذى القعدة سنة ١٣٠٢ سكنت بالخرطوم ابتغاء الحصول على قابلية مصرية تساعدني على الوضع وقد تقدمتني بسبب ذلك وشي بي للتعايشي واتهمت بانني انما قدمت الخرطوم لتدبير مكيدة ضد المهديوية ولذلك أمرت أنا وسائر المصريين بمغادرة الخرطوم وسكني أم درمان التي بعد أن وصلت إليها بإيام قلائل وضعت زوجتي غلاماً سميته (محمد فوزي)

ولما أن سجنحت كان عمره زهاء عشر سنوات فوقعت عائلتي في

الشقاء الاليم ولما مضى عليّ ثلاث سنوات ونصف في السجن كان سن ابني هذا  
عشر سنوات وشهورا فذهب في أحد الايام الى التعاشي باكيا مسترحا  
يسأله ان يطلق سراحى فرق له وقال له اذهب الى أهلك وأخبرهم اننى سأطلق عقل  
أبيك فى الغد فاقضوا ليلتكم هذه بفرح وسرور فذهب الولد واخبر اخوته  
بذلك فقضوا تلك الليلة بفرح وسرور

وفى الغد ذهب الولد مستنجزا للوعد فاعرض عنه التعاشي فصار  
يتعرض له حتى التفت اليه غاضبا وقال لمن حوله « هل يلد الثعبان الا ثعبانا »  
فقالوا نعم فقال « وهل يحسن بالانسان ان يربى ابن الثعبان » فقالوا كلا فقال  
أليس هذا الولد ابن المناق ابراهيم فوزى فقالوا بلى فقال لا بد من  
الحاقه بابيه فاستدعى كاتب أخيه يعقوب المسمى « بان النقاموسى » وقال  
له خذ هذا الولد الى بيتك وضع فى رجليه القيود وוכל به غلمانك يحرسونه  
ويشغلونه بسياسة خيلك ودوابك

فأخذ به بان النقا ووضع فى رجليه القيود ومع كونه كان يراعيه ويرأف  
به فى السر فانه كان يلاقى من عبيده وخدمه المذلة وسوء المعاملة

والسبب فى اخلاف التعاشي ما وعد به وعدوله الى حبسه انه فى  
نفس اليوم كانت جواسيسه قبضت على واحد من جواسيس اللورد كتشنر  
جاء أم درمات من قبل سلاطين باشا لارسال مكاتيب الى بعض  
الناس وكان ذلك الجاسوس يسأل بعض الناس هل ابراهيم فوزى حى يرزق  
وهل شارل نيوفيلد على قيد الحياة وسأل عن بقية المسجونين بتهمة تهريب  
سلاطين باشا كبراهيم حمزة وغيره من الذين مر ذكرهم فقبض على ذلك  
الجاسوس وكانت الحملة المصرية وقتئذ فى دنقلة

والخلاصة ان الولد بقى محجورا في منزل بان النقا الى يوم دخول اللورد  
كتشنر أم درمان ظافرا حيث أصيب بان النقا بجروح بليغة كانت من أقوى  
الاسباب على نجاة الولد لانه لما انهزم التعاشي وركن الى الفرار اتقد الى بان  
النقا يأمره باللاحاق به مستصحباً الولد فلم يستطيع مغادرة فراشه بسبب الجراح  
ولما دخل كثير من اخواني الضباط المصريين منزل بان النقا ورأوا  
الولد فيه وضعوا الحراس علي المنزل فحفظ من عبث بعض الاعراب  
الموالية للحكومة وهم الذين اعملوا النهب والسلب على أثر دخول الجنود المدينة  
أما تأثير حبس ابني علي فكان سيئاً جداً حيث فقدت الرشد ولقد أخبرني  
من كانوا حولي أنه لما فاجأني ذلك الخبر قطعت سبحتي وقلت وأنا ذاهل يا الله  
رضيت ببلاتك في نفسي ولزمت طاعتك شاكرًا على السراء والضراء فابتليتني  
بحبس ابني لا تركن الصلاة وسائر العبادات

ولما عدت الى صوابي واخبروني بما قلت أسرع بالتوبة والاستغفار وعدت  
الى ما نافيه من ملازمة الفكر والانتقطاع الى الذكر ولم أعلم أن رحمة الله تعالى  
ستدركني وابني الذي صار حبسه سببا لصيانة من حبس عنده فالحمد لله  
الذي انتقذني وابني وجعل لنا بعد الضيق فرجا وبعد الخوف أمنا ونجاة

### التعاشي قبل حملة دنقلة

لما تمكن التعاشي من قهر أقارب المهديّ وسجن مناظره الخليفة  
شريفًا كما تقدم اطلق لا قاربه البقارة العنان في البلاد يظلمون وينهبون  
وعكف على شهواته وصار يركب العربية التي ذكرنا في اخبار فتوحات خط  
الاستواء ان الطيب الذكر غردون باشا جلبها من القاهرة ليقدمها هدية الى

الملك « اميتيه » صاحب أوغنده وقتئذ

على ان هاته العربة لم تكن مقصورة على ركوبه بل كانت تسير في شوارع المدينة ليلا فيها الخصيان ليقبضوا على النساء البارعات في الجمال ويمضوا بهن الى دارالتعايشي فيلبثن بها حتى اذا قضى وطره منهن أعادوهن الى بيوتهن وقد كانت بداية عملهم هذا اثر القبض على الخليفة شريف وسائر أقارب المهدي الذين نفوا وقتلوا في زمن تلك الحوادث المريعة ولا فرق بين امرأة ذات بعل أو أيم أما ذات البعل فان الخصيان يفهمون بعلمها أن خليفة المهدي يريد اسماعها مواعظه التي يسمونها (المذاكرة) وأما التي لا بعل لها فليسوا في حاجة الا الى أخذها وادخالها العربة

ومن اللواتي أخذن بهذه الصورة زهراء بنت محمد شقيق المهدي الذي تقدم انه قتل يوم الهجوم على الابيض عاصمة كردفان وكانت تحت أحد أقاربها الذين تفاهم التعايشي الى خط الاستواء وكذلك فعل بنات حامد شقيق المهدي وفد مر أنه قتل في إحدى وقائع جبال قدير

وقد كان التعايشي متزوجا بأمة كلثوم بنت المهدي وأولدها بضعة أولاد ثم طلقها لغير ذنب جنته غير انه أراد الاقتران باختها مريم لجمالها المفرط حيث تزوجها ودخل بها بعد وقوع الطلاق بيوم وليلة

أما المظالم فقد تضاعفت ويئس الناس من اخلاص بشورة داخلية حيث تمسكن الطاغية من القضاء على كل قوة يتوقع منها القيام للخلاص من ظلمه

وبالجملة فان حلقات المصائب قد استحكمت ولم يبق للناس صبر على الخطوب المتوالية والمصائب النازلة على رؤسهم حتى انهم كانوا ينقطعون في

الخلوات يضرعون الى الله أن يخلصهم من هذا البلاء واذا سمعوا بشيء من أخبار الحملة ظهرت عليهم علامات الفرح والسرور وبذلوا الصدقات للفقراء والمعوزين شكرا لله تعالى وقد كان التعايشي أول من أنبأ بتقدم الحملة علي دنقلة قبل تقدمها ببضعة شهور وسيأتي ذكر ذلك

### جواسيس المهديوية

قلنا فيما مر ان أهالي مديرية الحدود كانوا ميالين الى دعوة المهديوية في بداية امرها وخصوصا (البرابرة) الذين يسكنون بين أسوان وحلفا وقد أشرنا الى العذاب المهيّن الذي أُرهِقَهم به النور الجريفاوى في بربر اذ كانت مغبته تقورهم عن المهديوية وانحراف جلمهم عن موالاتها وقبل ذلك كان جلمهم يتقربون الى المهديوية ببلاغها أخبار الحكومة بغلوفاحش في اسناد العيوب اليها ونسبة الوهن الى حامياتها في الحدود وبقي كثير منهم على الولاء حتى قتل عبد الرحمن النجوى حيث كانوا يستعدون لمعاونتته والانضواء الى لوائه بالرغم عن فظائع النور الجريفاوى التي عامل بها تجارهم لولا الحيلة التي اتخذها السير غرانفيل باشا سردار الجيش المصري وقتئذ ويقال ان الاسباب التي دعت هؤلاء الى التمسك بولاء المهديوية والانحراف عن الحكومة هي تحرير الارقاء وابطال النخاسة

واذ ذاك أى في بداية دعوة المهديوية كان كبراء مديرية الحدود كما قلنا يرسلون أمراء المهديوية بالاخبار ويتطوعون لهم بالتجسس وفي كثير من الاحيان كانت أخبار سواكن وما يقع فيها من الحوادث تبلغ التعايشي قبل وصول يزيد سواكن اليه فكانوا اذا حملها البرق من سواكن يتلقاها الروادفي

الحدود فيذهبون بها على ظهور الهجن الى بربر وقد اتهمت الحكومة كثيرين من هؤلاء الكبراء وحاكمتهم أمام المجالس العسكرية ولكنها لم تتمكن من قطع دابر جاسوسية التعايشى التى لم تعد بفائدة عليه

وفى الايام الاخيرة صار للمهدوية جواسيس بعضهم يتجسسون ليونس الديكم أمير دنقلة وبعضهم للتعايشى وآخرون للزركى أمير بربر

وكان من أشهر جواسيس التعايشى رجل يدعى ولد الحسين وأصله سوداني وآخر يدعى أبا شعبان وهو مصرى من سكان مديرية الحدود وللأول منهما نادرة مع سلاطين باشا وهى أنه وشى به الى التعايشى بأنه على أهبة الفرار حتى خيف من التعايشى على سلاطين باشا الذى تمكن من استمالة القضاة الى جانبه حتى وشوا بولد الحسين الجاسوس عند التعايشى فحبسه وارتاب فى صدق مافعه اليه من الانباء

أما أبو شعبان فكان التعايشى ذائقة عظيمة به وكان يتردد على الحدود المصرية ومع شهرته التى لا يجهلها جواسيس قلم المخابرات كان يعود دون أن يصيبه مكروه حتى ذهب بعض الناس الى انه مأجور لقلم المخابرات ومتواطىء معه على ان لا يبلغ التعايشى خبرا الا بموافقة والحاصل انه كان للتعايشى جواسيس ولكنهم قلما يرفعون اليه

ما يستفيد منه العلم بشيء قبل وقوعه

على ان جواسيسه رفعوا اليه قبل حملة دنقلة ببضعة شهور ان الحكومة مصممة على الزحف الى دنقلة واستدلوا على ذلك بانها جمعت الملاحين الذين لهم خبرة بالشلالات الواقعة جنوب وادى حلفا ولما اتصل به هذا النبأ أمر باخراج تجار المصريين من البلاد وضرب لهم موعداً يخرجون فيه ومن تخلف منهم

صودرت أمواله ونفى الى أعالي النيل

هذا ما فعله حينما اتصل به الخبر وهو يدل علي ما مر من عدم حصول

فائدة للتعايشي من هذا التجسس

ويقولون ان أغاب جواسيسه متفقون مع الحكومة عليه ومنها يتلقون

ما يرفعونه اليه ولا ينافي ذلك ما قلناه من ابلاغهم اياه أمر الحملة قبل حركتها

ببضعة شهور اذ يحتمل انهم موعز اليهم بهذا الامر ليرى الموعزون ما يكون

من وراء ذلك

والخلاصة ان رواد التعايشي كان جاهلهم من أهالي مديرية الحدود وأخبارهم

ملفقة مبالغ فيها كقولهم للتعايشي ان حكومة مصر في رعب شديد وكلما طرق

أذان رجالها ذكر كرتبكو وكذلك أهلها فانهم يصرعون خوفا وجبنا كلما

سمعوا بذكر كرتبكيمايل طربا ويظن أن ما قالوه حق

علي انه يوجد في البلاد رواد ولكنهم قاصرون في ارتيادهم علي ضبط

السكيرين وصناع البوطة والمدخين والذين يتاجرون بالدخان

وفي كثير من الاحوال يتناولون الرش منهم ويتركونهم ويلفقون

الدعاوى الكاذبة علي من كانوا مظنة المال ايتوصل بيت المال الى مصادرة

أموالهم بمجرد اتهامهم بوجود دخان أو بوطة في منازلهم وقد خطب التعايشي

يوما فقال ان القدر الذي يوجب مصادرة المال من الدخان هو ربع درهم

ومن البوطة ربع رطل وربما دفع المتهمون الالوف من المال بغية النجاة

من الضرب والتعذيب والاهانة ومصادرة المال



## ذكر جلب الممنوعات من مصر

ومن أنواع جواسيس التعايشي ناس يجلبون له «الممنوعات» من مصر وهي الذخائر الحربية التي منعت الحكومة ارسالها الى السودان ولذلك أطلقوا عليها اسم «الممنوعات»

وقد تقدم ان التعايشي أنشأ معامل لتعبئة الخرطوش وغيره من ذخائر الحروب

وقد مر الكلام على الرصاص في قصة الايقاع بالمقدم عمر الجملي وكذلك ما أتاه المسمى كمال الدين الهندي الذي أحرقت رفات قتلى الخرطوم ومثل باشلائهم أبشع تمثيل مدعيا أنه يستطيع اخراج صنف البارود من تلك العظام وقد ذكرنا فشل جميع هؤلاء الدجالين ماعدا اليوناني برديقاجي فانه وفق لاستخراج صنف البارود ثم احترق هو وواعوانه لما انفجرت عليهم آنية البارود

وقد كان نجاح هذا اليوناني متوقفا على إيجاد شيء كثير من العقاقير الكيماوية التي لا توجد في السودان لاتمام تجهيز «عجينة الكبسون» و(ملح البارود) وغيرهما من المواد القابلة للانفجار التي على محورها يدور عمل المعامل الحربية ولا سبيل الى ذلك الا بجلبها من القاهرة فاهتم التعايشي بهذا الامر واستقدم اليه النور الجريفاوى وكان يومئذ أمينا لبيت مال بربر وفاوضه في ذلك الامر فأشار عليه بالاتفاق مع جماعة من تجار بربر وأم درمان للاستعانة بهم على التحايل على تهريب تلك «الممنوعات» وهؤلاء التجار هم (عمر كشه) وأصله من أهالى سواكن (وعلى محمود الضوى) وأصله مصري من مديرية الحدود



استوطن أبوه بربر (وعبدالرحمن منصور) من أهالى أم درمان وصهر النور  
الجريفوى فصار هؤلاء التجار ينفذون أعوانهم الى مصر فيبتاعون المنوعات  
ويحتالون على تهريبها بوضعها في أكياس الارز ومن العجيب ان الحكومة  
لم توفق لاحباط أعمالهم حتى استروا على ذلك عدة أعوام وجابوا  
مقادير عظيمة من الرصاص وغيره من العقاقير وتمكن أعوان على محمود  
الضوى من استحضار ذخيرة من خرطوش مدفع « المتريوز » الانكليزي  
الذى غنمته المهدوية من حملة الجنرال هيكس وكان التعايشى يؤدى لهم الاثمان  
مضاعفة ويتجاوز لهم عن مكوس سلمهم التى يصدرونها الى مصر أو يجلبونها  
منها تنشيطا لهم فكانوا يجلبون هذه الاشياء دفعتين فى العام وفي بعض  
المرات بلغ ما جلبوه مقدارا عظيما من الرصاص وارتقت همة على محمود  
الضوى الى انه ابتاع نحو ألف وعاء من الالوعية التى يسمونها « شنطه » وضع فى  
كل واحدة خمسين خرطوشة جالها من مصوع ويقال ان الحكومة لم  
توفق الى معرفة حيلهم واحباط أعمالهم الا فى الايام الاخيرة  
والحاصل ان هؤلاء التجار كانوا من أقوى الاسباب فى تقوية المهدوية  
وامدادها بالذخيرة التى لولاها ما استطاعت محاربة الاحباش فى القلابات  
والشلك فى فشوده وغيرهما من الحروب الاهلية التى شبت نيرانها فى دارفور  
واكثر انحاء السودان وكان أبو شعبان الجاسوس الآنف الذكر ممن يجلبون  
المنوعات أيضا

### ذكر غارة الدراويش على الواحات

لما افلح عثمان ازرق فى الغارة على (آبار المرات) وقتل صالح بك خليفة

كما مر وكان يونس الدكيم أميرا على دنقلة وقتئذ من قبل التعايشي وعثمان  
ازرق قائد الدراويش المعسكرين في الجهات الشمالية بالقرب من ضواحي حلقا  
وكان عثمان هذا لا ينفك عن الغارة على الجهات الواقعة شمال حلقا طمعا  
في السلب والنهب وكان يونس الدكيم يرسل الكتب تباعا الى التعايشي  
مفعمة بالثناء على عثمان ازرق واقدامه وما حازه من النصر المتتابع في  
وقائعه وسطواته التي أضربنا صرحا عن جها ولم نذكر الا القليل منها اذ هي  
أشبه بما يجري من عصابات السطو واللصوصية

وفي أوائل سنة ١٣١١ هجرية كتب التعايشي الى يونس الدكيم كتابا  
يأمره بانقاذ عثمان ازرق في الف راكب علي ظهور الابل للغارة على الواحات  
وكان ذلك اجابة لالتماس يونس الذي كان يشحن كتبه الى التعايشي بذكر  
الواحات وما فيها من المال الذي سيفنده اذا أغار عليها فتحركت اطماع  
التعايشي وأمره بالغارة عليها وأوصاه أن يفاجئها تحت ظلام الليل

فسار الالف راكب يقودهم عثمان ازرق وبعد ان مضى عليهم بضع ليال في  
السير واقتربوا من الواحات أقنذ عثمان العيون ليأتوه بالخبر فقصوا الليلة  
وعادوا في الغد وأبلغوه ان اعراب الواحات كثيرون جدا وأن أطنابهم  
متدانية من بعضها وعندهم الاسلحة النارية وليس بينهم حامية للحكومة بل  
هناك ضابط للشرطة ومهندس لحفر الآبار فخاف عثمان ازرق مغبة محاربة  
أهل الواحات فعول على خديعتهم حيث زحف في مقاتلته حتى بات قريبا  
من احيائهم ثم تقدم اليهم في الغد بصفة سلمية وأفهمهم ان يونس الدكيم  
أمير دنقلة نازل علي مسافة مرحلة من حيهيم وانه قادم لفتح مصر عن طريق  
الواحات وانه جاء من قبله لبذل الامان لهم فانخدع الاعراب وراجت

عليهم حيلته ثم قال الخمسة عشر عميدا من رؤساء القبائل وللمهندس اذهبوا  
معي لمقابلة الامير فامتطوا الحمر وذهبوا معه وهو يخدعهم بقوله هو نازل وراء  
هذه الربوة أو الغابة حتى مضى النهار كله وحينذاك ايقنوا بانهم خدعوا وان  
القصد من ذلك ايصالهم الى دنقله التي بلغوها بعد بضع ليال

ولما وصلوا دنقله استقبلهم يونس الدكيم وأطلق واحدا وعشرين  
مدفعا علامة الانتصار وكانوا في حالة سيئة من شدة ما نالهم من وعناء السفر  
الفجائي ثم لم يلبثوا في دنقله الا ليلة وبمض يوم ثم أرسلوا الى أم درمان  
تحت الحفظ

ولما مثلوا بين يدي التعايشى عاتبهم وألأن لهم القول قائلا نحن واياكم  
اعراب وكلنا نبغض الترك الكفار وننفّر منهم فلماذا لم تنضوا الى لواء  
المهدوية وتحاربوا الترك الكفار الذين نبذوا الشريعة وتمسكوا بالبدع  
وأصروا على الكفر

فأجابوه بقولهم نحن نتوب الى الله مما سلف ونحمد الله الذي قدر لنا  
الخلاص من ربقة الكفار ومن علينا برؤية وجه خليفة المهدي عليه  
السلام فأمرهم ببايعة فبايعوه ثم استدعى أحد التجار وأمرهم بالاقامة في  
داره وخصص لهم مرتبات من بيت المال فقام التاجر بكل لوازمهم بمجد  
وسخاء أما بيت المال فانه كان اذا تقدم مرتب شهر ما طلبهم ثلاثة شهور  
وهذا التاجر اسمه (البلال الاسيده) وهو رجل سخي مشهور بالرأفة بالمصريين  
الاسرى وخصوصا المؤلف وقد مكثوا على هذا الحال زهاء عامين كانت  
حالتهم فيهما تنتقل من سيء الى أسوأ

وفي ذات يوم استدعاهم التعايشى الى منزله بحضرة القضاة وأهل

الشورى وقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أخبره بان  
سرايرهم قد ملئت بالاخلاص للمهدوية وانه عليه الصلاة والسلام امره ان  
يعيدهم الى اوطانهم دعاة للمهدوية وأمرهم على عشايرهم ليصدقوا في الواحات  
بدعوة المهدي ويناوؤون الحكومة المصرية فرقت افئدتهم طربا لما لاح  
لهم بارقة النجاة ولكنهم بكوا وانتحبوا وأظهرا كراهة ان يكونوا بعيدين عن  
خليفة المهدي الذي كان يكثر الاحاح عليهم بوجوب الامثال لما اشار به الرسول  
صلى الله عليه وسلم وهم يتأسفون وينتحبون وما زال بهم حتى تابوا  
الى الطاعة وكتبت لهم صكوك الامارة وتلقوا التعليقات ونقدم بيت المال  
نفقات السفر وشدد عليهم في موافاته بالضرائب التي يجلبونها من أعمالهم  
فغادروا أم درمان وهم وجلون لا يصدقون بالنجاة حتى بلغوا الحدود المصرية  
وهناك مزقوا المرقعات ودفعوا للحكومة صكوك الامارة ومنشورات  
الدعوة واعلموها بما وقفوا عليه من ضعف المهدوية وانحراف الناس  
عن طاغيتها وكانت نجاتهم في الزمن القريب من حملة دنقلة

### دنقلة قبل الحملة عليها

انتهينا في الكلام عن دنقلة فيما مضى من الكتاب الى ذكر المجاعة التي فشت  
فيها سنة ١٣٠٦ والى ذكر عزل عبد الرحمن النجومي عن امارتها وولاية  
يونس بن الدكيم  
وهنا نشرع في الكلام على مدة يونس التي ابتدئت من ذلك العهد  
تبيينا للمظالم التي دمرتها فنقول

لما تفشت المجاعة في دنقلة وغادرها عبد الرحمن النجومي الى حيث لاقى حتفه  
في ( طوشكى ) ضعف أمر الاحزاب التى كانت متشعبة له وهجر أهالى  
دنقلة الشمالية أو طانهم فارين من وجه الظلم حيث لحقوا ببلاد مديرية الحدود  
وكان يونس قد عزل كل الجباة الذين أصلهم من أهالى السودان الاوسط  
أى الذين لم يكونوا من البقارة وعين نحو سبعين جايا من عبيده بدلهم  
أما طريقة جباية الخراج فقد ذكرنا فيما مر من هذا الكتاب أن الضريبة  
في دنقلة منذ دخول السودان تحت طاعة مصر كانت عقارية ولما كانت بلاد  
دنقلة خصبة ومن حاصلاتها القمح والذرة واللوييا التى هى متعددة الاصناف  
عدا التمر وريها بالآلات كالسواقى والشواذيف فقد اخترع يونس لجباية  
ضريبة الحبوب طريقة سماها ( التخريص ) وهى ان الجابى يذهب الى المزرعة  
ويقدر ان محصولها يبلغ كذا فيلزم الزارع بتأدية نصف التخريص الذى  
لا يقل عن ثلثي المحصول ثم يلزم صاحب الزرع بتأدية ريال مجيدى عن كل  
أردب من المطلوب تأديته وهذه الضريبة ليست ليت المال بل هى للجابى  
ويسمونها ( ضيافة العامل ) وزد على ذلك أنهم كانوا يطالبون من كل زراعة تبلغ  
مساحتها فدانين فأقل نحو عشرة ريالات قيمة ثمن التبن اذا كان المحصول  
قمحا وقيمة ثمن البوص اذا كان من الذرة أو الجذور اذا كان من اللويياء  
وهناك ضريبة أخرى تجبى لغذاء الامير يونس الديكم وتتجدد كل  
شهرين أو ثلاثة وهى ضريبة المسلى والاغنام وهى لا تقل عن عشرة ارطال  
وخروفين عن كل مزرعة فيرسل السبعون جايا للامير ما يجتمع عندهم وأقل  
ما يتحصل من ذلك عشرون قنطارا من السمن ومائة راس من الاغنام  
أما الضرائب التى لا تدخل تحت قيد فكثيرة منها ما سببه اعسار بيت المال

الذى يضرب بسببه على كل شخص قدر من المال يؤدي له وتنفقات البعوث  
والسرايا وهي أجل من أن تدخل تحت حصر

وإذا سافر جيش أو سرية من الدراويز من مكان لا خرفاتهم لا يحملون  
ميرة ولا علفا لدوابهم بل يهبون ويأكلون ويذبحون قطعان الماشية في  
الطرق ولا يستطيع أحد من الاهلين منعهم أو الحيلولة بينهم وبين ما يريدون  
وعلى أثر ذلك استأثر يونس ومواليه بخيرات البلاد وانطلقت أيديهم  
في أموال الناس وبات الاهلون تحت اثقال هذا الظلم يئنون

وقد مدّ موالى يونس أيديهم الى الاعراض واستحلوا نكاح الحرائر  
المسلمات بملك اليمين فكنت تجد عند الواحد منهم أكثر من أربع حرائر  
وكانوا يعيشون بالنساء الحسان الى التعايشي وأخيه يعقوب وابنه شيخ الدين  
وجميع كبراء البقارة

ومكث يونس علي هذه الحالة ثلاث سنوات ثم عزله التعايشي وولى  
بدله محمد خالد زقل الذى كان أميرا علي دارفور وقد ذكرنا شيئا كثيرا  
من سيرته فشرع في تخفيف الوطأة عن الدنقاليين لانه دنقلى منهم ولكن  
مدته لم تطل حيث عزل بعد سنة وسجن ثم نفى الى خط الاستواء  
وقد أعيد يونس الى الولاية وعادت كل المظالم التى ابتدعها ومكث كذلك  
الى ما قبل الحملة عليها ببضعة شهور

ويونس هذا أصله من قبيلة (التعايشة) التى منها التعايشي وكان  
زوجا لام التعايشي وكان قصير القامة جدا وجسمه ضئيلا نحيفا  
وكان أميا لا يعرف الكتابة والقراءة يأتيه الناس فيقولون له انك شجاع  
وان الاسود فى آجامها تفرع منك وان ملايح وجهك ثرعب من ينظر اليها

وانه اذا ذكر اسمك في مصر ولوندره يموت الناس فزعا فينتفخ من هذا الشاء الكاذب ويلتفت لمن حوله من الرجال والمشيرين فيقول لهم أما سمعتم ما يقول هذا الرجل فيقولون سمعنا فيقول وهل صدق الرجل فيققون على أقدامهم ويرفعون أصواتهم قائلين ياسيدنا الامير اتطاب منا دليلاً على الشمس والى متى تنكر صفاتك التى لا يجهاها أحد وانت فوق الاسود شجاعة وعزيمة ويحلفون انهم في حالة وجل وروع شديدين من رؤية وجهه والدنومنه فيطير سروراً ويأمر في الحال بضرب الطبول ودعوة المقاتلين للاستعراض ثم ينم بالمال على الرجل الذي اثنى وعلى الذين ايدوا أقواله

هذامع انه جبان لم يذكر بمنقبة في حرب وقد ظهر جنبه في سنة ١٣٠٣ لما أتته التعاشى لقتال عساكر بن كلام زعيم قبيلة (الجمع) شرق كردفان لما خلع طاعة المهديّة وكان عساكر هذا فارساً مقداماً يشق صفوف الرجال ويزحزح الابطال وكان كلما حمل ليارز يونس يحتفى منه ويقول لمن حوله اياكم ان تتركوني ابارز هذا الشقى ثم يتظاهر بانه سيهجم عليه فيتعلق الناس بدابته فيرجع قائلاً أما لو تركتموني لمبارزته لجندلته لكم علي الارض بغير سلاح بل كنت اختطفه من قربوس سرجه واجلد به الارض وكان هذا حاله طول الايام التى نشبت فيها الحرب بين الجمع حيث انتهت بقتل عساكر وعودة قومه الى الطاعة

أما قسوته وغلظته فحدث عنهما ولا حرج فانه كان اذا أمر بحبس واحد أمر خمسين من عبيده بالاحاطة به وضربه بالعصي والسياط حتى يبلغ السجن وهم يسون هذه العادة (الفرقة) أى المسافة ما بين منزل الامير والسجن وهى لا تقل عن ميلين وقد لا يصل المسجون حيا بل يقضي عليه وهو في الطريق

ونقل لى أحد الثقة ان يونس أمر بسجن على بن الامين أحد صغار القواد وابن الشيخ محمد الامين رئيس علماء السودان الذى ذكرناه مرارا فى هذا الكتاب فاحدق به مائة وخمسون عبدا وأخذوا يضربونه (الفرقة) حتى بلغوا به السجن مغشيا عليه ومكث يوما وليلة لا يعى شيأ فيئسوا من حياته وبعد أيام أمر بالنقل أيضا الى السجن لذنوب طفيف فاسرع الى الاقتراب منه ووقع على الارض وانكسأ على بطنه وقال له ياسيدى الامير اتوسل اليك ان تأمر بضربى (الفرقة) أمامك ثم تحظر على الحراس أن يضربوني فى الطريق فضحك وقال أأنت خائف من الفرقة فقال كيف لا أخاف فقال له أتتوب فقال تبت الى الله والرسول والمهدى وخليفة المهدى ومولاي يونس فقال قد عفوت عنك فانهض ولا تخف .

هذا قليل من كثير من أخبار يونس التى لاتسمها المجلدات الضخمة أوردناه للدلالة على ما كان يقاسيه الدنقاويون من حيفه وسوء معاملته وقد هلك نحو ثلاثة أرباع السكان وأمست أراضيهم قفرا بلقما. وكانت وفودهم تشخص تباعا الى التعايشى متظلمة من جور عماله فلا تجديهم الشكوى ولا ينفعهم انتظلم وكثيرا ما كان يسجن الشاكين وينكل بالمتظلمين والخلاصة انهم انقطعوا عن الشكوى وصبروا على مر البلوى حتى أراد الله تعالى انقاذهم فحملت الحكومة على دنقلة وأجالت الدراويش عنها فخرجوا منها مذمومين مدحورين كما سيأتى ذكر ذلك فى مكانه والله الهادى الى سواء السبيل

### ذكر مسألة العقرب مع التعايشى

يوجد بام درمان الحشرات السامة بكثرة فوق التصور وخصوصا نوع



العقرب لانها كانت قبل اتخاذها عاصمة للمهدوية بركة ليس فيها زرع ولا ضرع وأرضها مكسوة بالحجارة ويستحيل نجاة من لسعته عقرب الا اذا كانت صغيرة وكثيرا مارأيت عقربا يبلغ طول ما بين رأسها وذيلها عشرين سنتمترا

وفي ذات يوم وقف التعايشي لصلاة المغرب فابصر بعد تكبيرة الاحرام وقرأة أم الكتاب عقربا تدب نحوه فارتاع وصار يكرر قراءة الفاتحة ويشير بيده الى من خلفه من المصلين فلم يفهموا قصده بل ظلموا وقوفاً في الصلاة ولكنهم ادركوا انه لم يكرر قراءة الفاتحة الا لسبب قوى من الاسباب فقطع المدعو ( الحاج الزبير ) أحد حراسه الصلاة ولحقه في حالة الاضطراب والفرع الشديد من العقرب ووقف بازائه فإشار بيده الى العقرب فقتلها ثم ان التعايشي خرج من الصلاة بتسليمة وهو في خجل شديد من اعتقاد الناس جنبه الى هذا الحد فجلس مضطربا وقد بلل العرق جبينه وبعد ان ثاب اليه رشده قليلا عزم على التخلص من ذلك بوضع اكدوبة في غاية الغرابة حيث جلس وألقى على الناس خطبة هذا نصها.

اعلموا يا أصحاب المهدي عليه السلام ان هاته العقرب لم تجسر على الدخول في هذه المقصورة الا لان ساعة انقضاء حياتي كانت وشيكة غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهدي والخضر عليهم السلام حضروا في هذه اللحظة واخبروني انهم سألوا الله عز وجل تأخير منيتي لان الامة في حاجة شديدة الى هذا التأخير وقد أمروني بقتل هذه العقرب . أما الدهشة التي ظهرت علاماتها على فأنها نتيجة أسرار لا يمكن اخباركم بها كانوا يخبرونني بها حتى ودعوني وانصرفوا فاشرت اليكم فلم تفقهوا اشارتي حتى ألهم الله الحاج الزبير فهمها فهو من الشهداء

الكبار ومن خيرة أصحاب المهدي جعلكم الله مثله ومكث نحو ساعتين يقرر هذه الخرافة ولم يصل المغرب الا في آخر الساعة الاولى من الليل

أما الحاج الزبير هذا فانه رجل كثير التلق والاحتيال وقد ذكرنا فيما مضى ان التعايشي كان يشاوره في بداية خلافته ويستمد منه الآراء ولكن مدته لم تطل حيث نكبه وصادر أمواله بعد خلافته بعامين اظهر خيافته مع عمه عبد الله الطريفي الذي كان عاملاً للمهدوية على القضايف وقد نكب عبد الله المذكور وسائر اقاربه أيضا وحبسوا وعذبوا ليظهروا خبايا أموالهم

وقد ذكرت ان عبد الله الطريفي هذا وشى بي عند التعايشي لما كان ينوي انفاذي مع دراويشه الى خط الاستواء وقد كافأته علي هذا حيث نصحت التعايشي أن لا يولي غير اقاربه البقارة

ومكث الحاج الزبير مسجوناً نحو عام ثم اطلق سراحه لكنه لم يعد الى منزلته الاولى

وكان اذا ناداه التعايشي يرفع صوته قائلاً (لييك يا خليفة المهدي عليه السلام) ثم يظهر التغير في صوته والاضطراب في جسمه كأن هية خليفة المهدي ونور محياه هما اللذان نشأ عنهما ما اعتراه وقد مكث بعد اطلاقه من السجن محفواً من التعايشي الذي لم يعده الى منزلته الاولى الا بعد حادثة العقرب التي شرحناها في هذا الباب وأخيراً توفي حنفاً في قبيل فتح أم درمان وكان أبوه عبد الرحيم الطريفي أميناً من قبل التعايشي على احدى الورش الحربية التي تصنع بها الذخيرة والمعدات الحربية

وبالجملة فان الحاج الزبير هذا هو الذي قوى عزم التعايشي علي البقاء  
 بام درمان وثنائه عما كان عازما عليه في بداية خلافته من ان يأخذ نصيبا  
 من الاسلحة ويغادر أم درمان ويؤسس دولته بغرب السودان

﴿ انتهى الجزء الثاني من كتاب السودان بين يدي كتشنر وغردون ﴾

« ويليه الجزء الثالث وأوله البدء بحملة دنقلة »

( كل نسخة من هذا الكتاب تكون مختومة

بختم المؤلف الذي هو هذا )



# جمعية الاخاء الجركسية

٣٠ شارع غيط العدة

عابدين : القاهرة

- ١ — تأسست « جمعية الاخاء الجركسية » ، سنة ١٩٣٢ بالقاهرة . وتفيد اسمها ضمن أسماء الجمعيات المعترف بها من الحكومة .
- ٢ — أغراضها : إيجاد رابطة تعارف وتعاون بين الأعضاء ، واتصال باخوانهم في الأقطار المختلفة ، للتعاون الاجتماعى والثقافى ، وللعمل على دوام حسن التفاهم بين أولئك الاخوان والامم التى يقيمون بينها .
- ٣ — قامت الجمعية وتقوم بالصرف على طلبة العلم فى الأزهر الشريف ، وفى مختلف المدارس الحكومية والأهلية ، وفى وجوه البر والعناية بالمرضى والمحتاجين ، وبالضيافة فى دارها .
- ٤ — أموال الجمعية تتكون من الاشتراكات والتبرعات والاعانات .
- ٥ — لا دخل للجمعية فى السياسة .
- ٦ — لجنة الجمعية تقرر قبول الاعضاء ومن ترى أن من المصلحة انضمامه للجمعية .

# تاريخ القوقاز

هذا الكتاب هو الأول من نوعه باللغة العربية ، وهو مترجم من كتاب للمرحوم عزت باشا الهركى الأصل ، وقائد سلاح السوارى بالجيش التركى الحديث ، والذي أبلى بلاء عظيما فى حرب الاستقلال التركى مع الغازى مصطفى كمال باشا .

والكتاب مدعم بالمستندات التاريخية واللغوية ، وهو صاحب النظرية التاريخية القائلة بأن الحثيين القدماء هم أجداد الجراكسة ، حيث يدل على ذلك بالأدلة الأثرية والانتروبولوجية ، وهى النظرية التى افقت نظر المؤرخين ورجال الأنساب والآثار من علماء أوروبا .

وقد أراد أناتورك ، فيما بعد أن يجعل من وجود آثار للحثيين فى بعض جهات الأناضول سبباً لأخذ هذه النظرية وتطبيقها على تاريخ الأتراك .

والكتاب مجموعة تاريخية نفيسة عن بلاد القوقاز من عصورها الغابرة إلى هذه العصور الحديثة ، وعمن سكنها ومن لا يزال يسكنها من الأمم ، وما لهم من عادات وتاريخ تليد .

وهكذا وفقت جمعية الأخاء الهركية ، فى نشر هذا الكتاب بين الناطقين بالاضادى

يناير سنة ١٩٤١

---

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع على باشا — ١٥ شارع المدايح













